



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0040583740

BP  
130.4  
.T28  
v. 12-14

Ø9 289674

JAN 29 1973







75-963503

(Vol. 12-14)





# جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

## نَافِلَاتِ أَبِي الْقَزَائِبِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .  
قرآن كريم

« ما أعلم على آدم الأرض أعلم  
من ابن جرير » .  
محمد بن إسحاق بن عزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري  
المنوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الثاني عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصير



BP

130.4

.T28

v. 12-14

## فهارس الجزء الثاني عشر من جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

## ١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦	وما من دابة فى الأرض . . .	١	٢٩	ويا قوم لا أسألكم عليه مالا . . .	٢٩
٧	وهو الذى خلق السموات . . .	٣	٣٠	ويا قوم من ينصرنى من الله . . .	٣٠
٨	ولئن أخرجنا عنهم العذاب إلى أمة . . .	٦	٣١	ولا أقول لكم عندى خزائن الله . . .	٣٠
٩	ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة . . .	٧	٣٢	قالوا يانوح قد جادلنا . . .	٣١
١٠	ولئن أذقناه نعمة بعد ضرء مسته . . .	٨	٣٣	قال إنما يأتىكم به الله . . .	٣١
١١	إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات . . .	٨	٣٤	ولا ينفعكم نصحى . . .	٣١
١٢	فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك . . .	٨	٣٥	أم يقولون افتراه . . .	٣٢
١٣	أم يقولون افتراه . . .	٩	٣٦	وأوحى إلى نوح أنه . . .	٣٢
١٤	فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا . . .	١٠	٣٧	واصنع الفلك بأعيننا ووحينا . . .	٣٣
١٥	من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها . . .	١١	٣٨	ويصنع الفلك وكلما مرّ عليه ملاً . . .	٣٤
١٦	أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة . . .	١٤	٣٩	فسوف تعلمون من يأتيه عذاب . . .	٣٤
١٧	أفمن كان على بينة من ربه . . .	١٤	٤٠	حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور . . .	٣٤
١٨	ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً . . .	٢٠	٤١	وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها . . .	٤٣
١٩	الذين يصدون عن سبيل الله . . .	٢١	٤٢	وهى تجرى بهم فى موج كالجبال . . .	٤٥
٢٠	أولئك لم يكونوا معجزين . . .	٢٢	٤٣	قال سأوى إلى جبل يعصمنى . . .	٤٥
٢١	أولئك الذين خسروا أنفسهم . . .	٢٣	٤٤	وقيل يا أرض ابلعى ماءك . . .	٤٦
٢٢	لاجرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون . . .	٢٣	٤٥	ونادى نوح ربه فقال . . .	٤٩
٢٣	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٢٤	٤٦	قال يا نوح إنه ليس من أهلك . . .	٤٩
٢٤	مثل الفريقين كالأعمى والأصم . . .	٢٥	٤٧	قال رب إني أعوذ بك . . .	٥٤
٢٥	ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه . . .	٢٦	٤٨	قيل يا نوح اهبط بسلام منا . . .	٥٤
٢٦	أن لا تعبدوا إلا الله . . .	٢٦	٤٩	تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك . . .	٥٦
٢٧	فقال الملأ الذين كفروا من قومه . . .	٢٦	٥٠	وإلى عاد أخاهم هودا . . .	٥٧
٢٨	قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة . . .	٢٨	٥١	يا قوم لا أسألكم عليه أجراً . . .	٥٧



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٢	ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا . . .	٥٧	٨٠	قال لو أن لى بكم قوة . . .	٨٦
٥٣	قالوا يا هود ما جئتنا ببينة . . .	٥٨	٨١	قالوا يا لوط إنا رسل ربك . . .	٨٨
٥٤	إن نقول إلا اعتراك بعض آهتنا . . .	٥٩	٨٢	فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها . . .	٩٣
٥٥	فكيدونى جميعا . . .	٥٩	٨٣	مسومة عند ربك . . .	٩٣
٥٦	إنى توكلت على الله ربى وربكم . . .	٦٠	٨٤	وإلى مدين أخاهم شعيبا . . .	٩٨
٥٧	فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به . . .	٦١	٨٥	ويا قوم أوفوا المكيال والميزان . . .	٩٩
٥٨	ولما جاء أمرنا نجينا هودا . . .	٦١	٨٦	بتقيت الله خير لكم . . .	١٠٠
٥٩	وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم . . .	٦١	٨٧	قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك . . .	١٠١
٦٠	وأُتبعوا فى هذه الدنيا لعنة . . .	٦٢	٨٨	قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة . . .	١٠٣
٦١	وإلى ثمود أخاهم صالحا . . .	٦٢	٨٩	ويا قوم لا يجر منكم شقاقى . . .	١٠٤
٦٢	قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا . . .	٦٣	٩٠	واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه . . .	١٠٥
٦٣	قال يا قوم أرأيتم إن كنت . . .	٦٣	٩١	قالوا يا شعيب مانفقه كثيرا . . .	١٠٥
٦٤	ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية . . .	٦٤	٩٢	قال يا قوم أرهطى أعزّ عليكم . . .	١٠٦
٦٥	فعمقروها فقال تمتعوا فى داركم . . .	٦٤	٩٣	ويا قوم اعملوا على مكانتكم . . .	١٠٨
٦٦	فلما جاء أمرنا نجينا صالحا . . .	٦٥	٩٤	ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا . . .	١٠٨
٦٧	وأخذ الذين ظلموا الصيحة . . .	٦٨	٩٥	كان لم يَغشوا فيها ، ألا بعدا . . .	١٠٩
٦٨	كان لم يَغشوا فيها . . .	٦٨	٩٦	ولقد أرسلنا موسى بآياتنا . . .	١٠٩
٦٩	ولقد جاءت رسلنا إبراهيم . . .	٦٨	٩٧	إلى فرعون وملئه فاتبعوا . . .	١٠٩
٧٠	فلما رأى أيديهم لا تنصل إليه تكبرهم . . .	٧٠	٩٨	يتقدم قومه يوم القيامة . . .	١٠٩
٧١	وامراته قائمة فضحكت فبشرناها . . .	٧١	٩٩	وأُتبعوا فى هذه لعنة . . .	١١٠
٧٢	قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز . . .	٧٦	١٠٠	ذلك من أنباء القرى نقصه عليك . . .	١١١
٧٣	قالوا أتعجبين من أمر الله . . .	٧٦	١٠١	وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم . . .	١١٢
٧٤	فلما ذهب عن إبراهيم الروع . . .	٧٧	١٠٢	وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى . . .	١١٤
٧٥	إن إبراهيم لحليم أواه منيب . . .	٧٧	١٠٣	إن فى ذلك لآية لمن خاف . . .	١١٤
٧٦	يا إبراهيم أعرض عن هذا . . .	٨٠	١٠٤	وما تؤخره إلا لأجل معدود . . .	١١٥
٧٧	ولما جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم . . .	٨١	١٠٥	يوم يأت لاتكلم نفس إلا بإذنه . . .	١١٥
٧٨	وجاءه قومه يهْرعون إليه . . .	٨٣	١٠٦	فأما الذين شقوا فى النار . . .	١١٥
٧٩	قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك . . .	٨٦	١٠٧	خالدين فيها مادامت السموات . . .	١١٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٨	وأما الذين سئدوا في الجنة . . .	١١٥	١٢	أرسله معنا غدا يرتع ويلعب . . .	١٥٨
١٠٩	فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء . . .	١٢٢	١٣	قال إني ليحزنني أن تذهبوا به . . .	١٦٠
١١٠	ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف . . .	١٢٣	١٤	قالوا لئن أكله الذئب . . .	١٦٠
١١١	وإن كلا كلاً ليوفينهم ربك . . .	١٢٣	١٥	فلما ذهبوا به وأجمعوا . . .	١٦٠
١١٢	فاستقم كما أمرت ومن تاب . . .	١٢٦	١٦	وجاءوا أباهم عشاء يبكون . . .	١٦٢
١١٣	ولا تركتوا إلى الذين ظلموا . . .	٩٢٦	١٧	قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستيق . . .	١٦٢
١١٤	وأقم الصلاة طهر في النهار . . .	١٢٧	١٨	وجاءوا على قميصه بدم كذب . . .	١٦٣
١١٥	واصبر فإن الله لا يضيع أجر . . .	١٣٨	١٩	وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم . . .	١٦٦
١١٦	فلو كان من القرون من قبلكم . . .	١٣٨	٢٠	وشروه بثمن بخس دراهم معدودة . . .	١٧٠
١١٧	وما كان ربك ليهلك القرى . . .	١٤٠	٢١	وقال الذي اشتراه من مصر لامراته . . .	١٧٤
١١٨	ولو شاء ربك لجعل الناس . . .	١٤٠	٢٢	ولما بلغ أشده آتيناها حكماً وعِلماً . . .	١٧٦
١١٩	إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم . . .	١٤٠	٢٣	وراودته التي هو في بيتها عن نفسه . . .	١٧٨
١٢٠	وكلا نقص عليك من أنباء الرسل . . .	١٤٥	٢٤	ولقد همت به وهم بها . . .	١٨٣
١٢١	وقل للذين لا يؤمنون اعملوا . . .	١٤٧	٢٥	واستبقا الباب وقدت قميصه . . .	١٩١
١٢٢	وانظروا إنا منتظرون . . .	١٤٧	٢٦	قال هي راودتني عن نفسي . . .	١٩٣
١٢٣	ولله عيب السموات والأرض . . .	١٤٨	٢٧	وإن كان قميصه قد من دبر . . .	١٩٣
<u>سررة يوسف عليه السلام</u>					
١	الآن تلك آيات الكتاب المبين . . .	١٤٩	٢٨	فلما رأى قميصه قد من دبر . . .	١٩٣
٢	إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . . .	١٤٩	٢٩	يوسف أعرض عن هذا . . .	١٩٧
٣	نحن نقص عليك أحسن القصص . . .	١٥٠	٣٠	وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز . . .	١٩٧
٤	إذ قال يوسف لأبيه يا أبت . . .	١٥١	٣١	فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن . . .	٢٠١
٥	قال يا بني لا تقصص رؤياك . . .	١٥٢	٣٢	قالت فذلكن الذي لمتني فيه . . .	٢٠٩
٦	وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك . . .	١٥٣	٣٣	قال رب السجن أحب إلي . . .	٢١٠
٧	لقد كان في يوسف وإخوته . . .	١٥٤	٣٤	فاستجاب له ربه فصرف عنه . . .	٢١١
٨	إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب . . .	١٥٤	٣٥	ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات . . .	٢١٢
٩	اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا . . .	١٥٥	٣٦	ودخل معه السجن فتيان . . .	٢١٣
١٠	قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف . . .	١٥٥	٣٧	قال لاياتيكما طعام تدرزقانه . . .	٢١٧
١١	قالوا يا أبانا مالك لأتأمننا . . .	١٥٧	٣٨	واتبعت ملة آباءي إبراهيم . . .	٢١٨
			٣٩	يا صاحبي السجن أأرباب . . .	٢١٩



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٠	ما تعبدون من دونه إلا أسماء . . .	٢١٩	٤٧	قال تزرعون سبع سنين دأباً . . .	٢٣٠
٤١	يا صاحبي السجن أما أحد كما . . .	٢٢٠	٤٨	ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد . . .	٢٣٠
٤٢	وقال للذي ظن أنه ناج منهما . . .	٢٢١	٤٩	ثم يأتي من بعد ذلك عام . . .	٢٣١
٤٣	وقال الملك إني أرى سبع بقرات . .	٢٢٥	٥٠	وقال الملك ائتوني به فلما جاءه . . .	٢٣٤
٤٤	قالوا أضغاث أحلام . . .	٢٢٦	٥١	قال ماخطبكن إذ راودتن يوسف . . .	٢٣٦
٤٥	وقال الذي نجا منهما . . .	٢٢٧	٥٢	ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب . . .	٢٣٧
٤٦	يوسف أيها الصديق أفتنا . . .	٢٢٧			

## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٤٧	١
الموضع واليوم اللذين رست فيهما السفينة ، وما فعله نوح ومن معه في ذلك اليوم .	تأويل قوله تعالى « وما من دابة » . . . الآية . والصواب في معنى الدابة والمستقرّ والمستودع .
٤٩	٣
ابن نوح الذي غرق ، أهو ابنه ، أم ابن امراته ؟	تأويل قوله « وهو الذي خلق السموات » . . . الآية . وبيان بدء هذا العالم ، وخلق السموات في أيام الأسبوع .
٥٧	١١
تأويل قوله « وإلى عاد » ، وسياق خبر هود معهم .	إذا عمل الإنسان الطيبات لأجل الدنيا يستوفى أجر ذلك فيها ، وليس له في الآخرة إلا ما عمل لها .
٦٢	١٤
تأويل قوله « وإلى ثمود » ، وخبر صالح معهم .	تأويل قوله « أفن كان على بينة » . . . الآية . والخلاف في المراد من البينة .
٦٨	١٧
تأويل قوله « ولما جاءت رسلنا إبراهيم » ، وخبره مع الملائكة .	بيان الصواب فيها .
٨١	١٨
تأويل قوله « ولما جاءت رسلنا لوطا » ، وتمام قصته مع الملائكة وقومه .	نهى الله رسوله عن الشكّ في أن النار موعده من كفر .
٩٨	٢٠
تأويل قوله « وإلى مدين أخاهم شعيبا » ، ونصائحه لأهل مدين ، وما تمّ له معهم .	تأويل قوله « ومن أظلم » . . . الآية ، ومعنى الأشهاد .
١١٥	٢١
تأويل قوله « يوم يأت » . . . الآية .	ما يُفْعَل بالمرء يوم القيامة .
١٢١	٢٦
المراد بالاستثناء المذكور في شأن أهل النار وأهل الجنة .	تأويل قوله « ولقد أرسلنا نوحا » وما تمّ لنوح مع قومه .
١٢٧	٣٢
تأويل قوله « وأقم الصلاة » . . . الآية ، وما أشير بالآية إليه من الصلوات .	تأويل قوله « أم يقولون افتراه » وبيان أنه من كلام الله لحمد صلى الله عليه وسلم .
١٤٠	٣٥
تأويل قوله « ولو شاء ربك لجعل الناس » . . . الآية ، وأن الاختلاف بالشقاء والسعادة من مقتضيات علمه .	مقدار الزمن الذي مكثه نوح في قومه يدعوهم إلى التوحيد ، وما صنع قومه به .
	٣٩
	من أى موضع كان انفجار الماء أولا .



الصفحة	الصفحة
١٧٤ بيان من اشترى يوسف من مصر :	١٤٩ تفسير سورة يوسف
١٧٦ السن الذي بلغ فيه يوسف أشدّه .	١٥١ أسماء الكواكب التي رآها يوسف عليه السلام في منامه .
١٧٨ ما فعلته امرأة العزيز حين راودت يوسف .	١٥٥ ما فعل إخوة يوسف به حين أرادوا إلقاءه في الحبّ .
١٨٥ البرهان الذي رآه يوسف .	١٦٢ ما فعله نبيّ الله يعقوب حين أتى بنوه بالقميص ملطخا بالدم .
١٩٣ الخلاف في الشاهد الذي شهد ليوسف .	١٦٨ ما فعله الذين أخرجوا يوسف من الحبّ ، وإخفاؤهم أمره عن معهم من التجار .
٢٠١ المكر الذي سمعته امرأة العزيز ، والمتكأ الذي أعدته .	١٧٠ بيان أن إخوة يوسف باعوه للذي أخرجهم بثمان زهيد .
٢١٣ خبر الغلامين اللذين دخلا معه السجن .	
٢٢٤ الخلاف في قدر المدة التي لبثها يوسف في السجن .	
٢٢٥ المنام الذي رآه الملك وطلب تعبيره :	
٢٣٥ ما ورد في صبره عليه السلام .	

## ٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٧١	والصَّلَعَا	١٠٩	وتودُدِ		ب
١٨	مَدْفَعَا	٢٣٣	المنجودِ	٩٤	الكَرْبُ
١٢٥	مَصْرَعَا	٦٢	العُنْدَا	٤١	وتُصِيبُ
١٥٨	الرَّتَاعَا	٢١٠	فاعبُدَا	٨٢	عَصِيبِ
	ف		ر	٤١	مُشْرَبِ
٨٣	الأُنُوفِ	١٢٣	مَصَادِرُهُ	١٢١	الحُبَابِ
١٢٩	فَرَزُفَعَا	٧٥	سيارِ	٨٢	عَصِيبِ
	ق	٧٥	يا حارِ	٦٣	ثَوْنِي
١١٦	تَهَقُّ	١٠٦	الظَّهْرِ	٢١١	يُضْيِي
٧٣	اللَّقَا	٢٣٤	مُعَصَّرِ	١١٣	تَبَابَا
	ل	٢٠٥	إِكْبَارَا		ت
١٩٨	طَلَّ		س	١٨١	هَيْتُ
١٩٧	مالُ	٤٥	العَيْسُ	١٧٩	أَيْتَا
١٧٧	كوا مَلُ	٤٦	الكاسِي	١٧٩	هَيْتَا
٧٣	النحلِ	١٥٧	والكنائِسِ		ج
١١١	أَقْنَالِ		ع	٦٩	يَهْرَجَا
٢٢٦	شَمَالِ	٤٤	تَطْلَعُ		ح
٢٠٠	الطَّالِي	٧١	جُرُشُعُ	٦٩	اللوائحُ
١٥٧	الهِلالِ	١٦٨	مَصْرَعُ		د
١٧٧	الأموالِ	١٩٨	الأصابعُ	١٤٠	المُمتادُ
٢٣٠	بمأسَلِ	٨٣	مَهَارِعِ	٢٧	يَبْدِي
١٦١	عَقَتُنُقَلِ	٤١	مَعَا	٢٧	وَيَدِي



الجزء الثاني عشر

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٨٨	بان	٧٨	الْحَمْحَمِ	٨٢	الطُّوَالَا
١٢٥	حُمَمَانِ	١٢٤	الْمَخَارِمِ	١٦٥	مَعْقُولَا
٢٠٩	مُسْتَوِيَانِ	١١٦	الدِّمَا		م
٢٠٩	تَلْتَقِيَانِ	١٧٠	هَامَةً	١٩٧	والْحَتُّومُ
١٢٤ ، ٣٣	لَقِينَا		ن	٢٣١	لَازِمُ
٧٤	وُدِينَا			٦٠	وَمَا نَمُّ
٣٢	لِسَانِي	٢٢٦	مُكْتَمِينُ	٢٠٨	وَالشَّمُّ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ ، كُلٌّ

فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ) وما تدبّ دابة في الأرض ، والدابة : الفاعلة من دبّ فهو يدبّ ، وهو دابّ ، وهى دابة ( إلا على الله رزقها ) يقول : إلا ومن الله رزقها الذى يصل إليها ، هو به متكفل ، وذلك قوتها وغذاؤها وما به عيشها .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، فى قوله ( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ) قال : ما جاءها من رزق فمن الله ، وربما لم يرزقها حتى تموت جوعاً ، ولكن ما كان من رزق فمن الله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ) قال : كلّ دابة .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ) يعنى : كلّ دابة والناس منهم : وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن كل ماش فهو دابة ، وأن معنى الكلام : وما دابة فى الأرض ، وإن « من » زائدة .

وقوله ( وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا ) حيث تستقرّ فيه ، وذلك مأواها الذى تأوى إليه ليلاً أو نهاراً ، ( وَمُسْتَوْدَعَهَا ) : الموضع الذى يودعها ، إما بموتها فيه ، أو دفنها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمي ، عن ليث ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال ( مُسْتَقَرَّهَا ) : حيث تأوى ( وَمُسْتَوْدَعَهَا ) حيث تموت .  
 حدثني المنثى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا ) يقول : حيث تأوى ( وَمُسْتَوْدَعَهَا ) يقول : إذا ماتت :  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاريق ، عن ليث ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ( يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ) قال : المستقر : حيث تأوى ، والمستودع : حيث تموت .  
 وقال آخرون : ( مُسْتَقَرَّهَا ) في الرحم ( وَمُسْتَوْدَعَهَا ) : في الصلب .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا ) : في الرحم ( وَمُسْتَوْدَعَهَا ) : في الصلب ، مثل التي في الأنعام .  
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه عن ابن عباس ، قوله ( وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ) فالمستقر : ما كان في الرحم ، والمستودع : ما كان في الصلب .  
 حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا ) يقول : في الرحم . ( وَمُسْتَوْدَعَهَا ) : في الصلب .  
 وقال آخرون : المستقر : في الرحم ، والمستودع : حيث تموت .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ويعلى وابن فضيل ، عن إسماعيل ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ( وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ) قال : مستقرها : الأرحام ، ومستودعها : الأرض التي تموت فيها .  
 قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله ( وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ) المستقر : الرحم ، والمستودع : المكان الذي تموت فيه .  
 وقال آخرون ( مُسْتَقَرَّهَا ) : أيام حياتها ( وَمُسْتَوْدَعَهَا ) : حيث تموت فيه .

## ذكر من قال ذلك

حدثني المنثى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس ، قوله ( وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ) قال : مستقرها : أيام حياتها ، ومستودعها : حيث تموت ، ومن حيث تبعث .  
 ﴿ وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الَّذِي اخْتَرْنَاهُ فِيهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ أَنْ مَا رَزَقْتَ الدَّوَابَّ مِنْ رِزْقِ فَتَنَهُ ، فَأُولَى أَنْ يَتَّبِعَ ذَلِكَ أَنْ يَعْلَمَ مَثْوَاهَا وَمُسْتَقَرَّهَا دُونَ الْخَبْرِ عَنْ عِلْمِهِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ الْأَصْلَابُ وَالْأَرْحَامُ .  
 ويعنى بقوله ( كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ) عدد كل دابة ، ومبلغ أرزاقها وقدر قرارها في مستقرها ،



ومدة لبثها في مستودعها ، كل ذلك في كتاب عند الله مثبت مكتوب مبين ، بين لمن قرأه أن ذلك مثبت مكتوب قبل أن يخلقها ويوجدتها ، وهذا إخبار من الله جل ثناؤه الذين كانوا يثنون صدورهم ليستخفوا منه ، أنه قد علم الأشياء كلها ، وأثبتها في كتاب عنده قبل أن يخلقها ويوجدتها ، يقول لهم تعالى ذكره : فمن كان قد علم ذلك منهم قبل أن يوجدكم ، فكيف ينحى عليه ما تنطوي عليه نفوسهم إذا ثننوا به صدورهم ، واستغشوا عليه ثيابهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ  
أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧)

يقول تعالى ذكره : الله الذي إليه مرجعكم أيها الناس جميعا ، هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ، يقول أفيعجز من خلق ذلك من غير شيء ، أن يعيدكم أحياء بعد أن يميتكم ؟ وقيل : إن الله تعالى ذكره خلق السموات والأرض وما فيهن في الأيام الستة ، فاجتزى في هذا الموضع بذكر خلق السموات والأرض ، من ذكر خلق ما فيهن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ، فقال « خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَخَلَقَ الْجِبَالَ فِيهَا يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ فِيهَا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثاءِ ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعاءِ ، وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ يَوْمَ الْخَميسِ ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ ، فِي آخِرِ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ) قال : بدأ خلق الأرض في يومين ، وقدر فيها أقواتها في يومين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن كعب ، قال : بدأ الله خلق السموات والأرض يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وفرغ منها يوم الجمعة ، فخلق آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة ، قال : فجعل مكان كل يوم ألف سنة .

وحدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاك ( وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ) قال : من أيام الآخرة ، كل يوم مقداره ألف سنة ، ابتداء في الخلق يوم الأحد ، وختم الخلق يوم الجمعة ، فسميت الجمعة ، وسببت يوم السبت ، فلم يخلق شيئا .

وقوله ( وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ) يقول : وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض وما فيهن .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ) قبل أن يخلق شيئا .

حدثني المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .  
حدثني المنثى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ) يَنْبِئُكُمْ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَيْفَ كَانَ بَدَأَ خَلْقَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ) قال : هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماء والأرض .

حدثني المنثى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حدس ، عن عمه أبي رزين العقيلي ، قال : « قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال : في سماء ، ما فوقه هواء ، وما تحته هواء ، ثم خلق عرشه على الماء . »

حدثنا ابن وكيع ومحمد بن هارون القطان الرازي قالا : ثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حدس ، عن عمه أبي رزين ، قال : « قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : كان في سماء ما فوقه هواء ، وما تحته هواء ، ثم خلق عرشه على الماء . »  
حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا المسعودي ، قال : أخبرنا جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن ابن حصين ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أتى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلوا عليه ، فجعل يديرهم ويقولون : أعطنا ، حتى ساء ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرجوا من عنده ، وجاء قوم آخرون فدخلوا عليه ، فقالوا : جئنا نسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونتفق في الدين ، ونسأله عن بدء هذا الأمر ، قال : فاقبلوا البشرى إذ لم يقبلها أولئك الذين خرجوا ، قالوا : قبلنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان الله ولا شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر قبل كل شيء ، ثم خلق سبع سموات ، ثم أتاني آت ، فقال : تلك ناقتك قد ذهبت ، فخرجت ينقطع دونهما السراب ، ولوددت أني تركتها . »

حدثنا محمد بن منصور ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، قال : ثنا عمرو بن أبي قيس ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ) قال : كان عرش الله على الماء ثم اتخذ لنفسه جنة ، ثم اتخذ دونها أخرى ، ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة ، قال : ومن دونهما جنتان ، قال : وهي التي لاتعلم نفس ، أو قال : وهما التي لاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ،



جزاء بما كانوا يعملون ، قال : وهي التي لاتعلم الخلاق ما فيها أو ما فيهما يأتيهم كل يوم منها أو منهما تحفة .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، قال  
سئل ابن عباس ، عن قول الله ( وكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ) قال : على أي شيء كان الماء ؟ قال : على  
متن الريح .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير  
قال : سئل ابن عباس ، عن قوله تعالى ( وكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ) على أي شيء كان الماء ؟ قال : على  
متن الريح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن سعيد ، عن ابن عباس ،  
مثله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ميسر الحلبي ، عن أرطاة بن المنذر ، قال : سمعت ضميرة يقول : إن  
الله كان عرشه على الماء ، وخلق السموات والأرض بالحق ، وخلق القلم ، فكتب به ما هو خالق ، وما هو  
كائن من خلقه ، ثم إن ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام ، قبل أن يخلق شيئا من الخلق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل ،  
قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن العرش كان قبل أن يخلق الله السموات والأرض ، ثم قبض قبضة  
من صفاء الماء ، ثم فتح القبضة ، فارتفع دخان ، ثم قضاهن سبع سموات في يومين ، ثم أخذ طينة من  
الماء ، فوضعها مكان البيت ، ثم دحا الأرض منها ، ثم خلق الأقوات في يومين ، والسموات في يومين ،  
وخلق الأرض في يومين ، ثم فرغ من آخر الخلق يوم السابع .

وقوله ( لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ) يقول تعالى ذكره : وهو الذي خلق السموات والأرض أيها  
الناس ، وخلقكم في ستة أيام . ( ليبلوكم ) يقول : ليختبركم . ( أيكم أحسن عملا ) يقول : أيكم أحسن له طاعة .  
كما حدثنا عن داود بن الخبير ، قال : ثنا عبد الواحد بن زيد ، عن كليب بن وائل ، عن عبد الله بن  
عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه تلا هذه الآية ( لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ) قال : أَيُّكُمْ  
أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَأَوْزَعُ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ ، وَأَسْرَعُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ  
أَحْسَنُ عَمَلًا ) يعنى الثقلين .

وقوله ( وَلَئِن قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا  
إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ) يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : ولئن قلت لهؤلاء المشركين من قومك  
إنكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم ، فتلوت عليهم بذلك تنزيلى ووحى ، ليقولنَّ إن هذا إلا سحر مبين : أى  
ما هذا الذى تتلوه علينا مما تقول ، إلا سحر لسامعه ، مبين حقيقته أنه سحر . وهذا على تأويل من قرأ ذلك  
( إن هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ ) . وأما من قرأ ( إن هَذَا إِلاَّ سَاحِرٌ مُبِينٌ ) فإنه يوجه الخبر بذلك عنهم



إلى أنهم وصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه فيما أتاهم به من ذلك ساحر مبين : وقد بيننا الصواب من القراءة في ذلك في نظائره فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته هاهنا :

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَيْنَ أَخْرُنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولَنَّ مَا يَجْحِسُهَا ؟ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨)

يقول تعالى ذكره : ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد العذاب ، فلم نعجله لهم ، وأنسانا في آجالهم إلى أمة معدودة ، ووقت محدود ، وسنين معلومة ، وأصل الأمة ، ما قد بيننا فيما مضى من كتابنا هذا ، أنها الجماعة من الناس ، تجتمع على مذهب ودين ، ثم تستعمل في معان كثيرة ، ترجع إلى معنى الأصل الذي ذكرت ، وإنما قيل للسنين المعدودة والحين في هذا الموضع ونحوه أمة ، لأن فيها تكون الأمة . وإنما معنى الكلام : ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى مجيء أمة ، وانقراض أخرى قبلها .

وبنحو الذي قلنا من أن معنى الأمة في هذا الموضع الأجل والحين ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، وحدثني المنثني ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفیان الثوري ، عن عاصم ، عن أبي رزین ، عن ابن عباس ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا الثوري ، عن عاصم ، عن أبي رزین ، عن ابن عباس ( وَاَيْنَ أَخْرُنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ) قال : إلى أجل محدود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن عاصم ، عن أبي رزین ، عن ابن عباس ، بمثله : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( إلى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ) قال : أجل معدود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاک ، قال : إلى أجل معدود . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( إلى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ) قال : إلى حين .

حدثني المنثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَاَيْنَ أَخْرُنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ) يقول : أمسكنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : إلى حين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ ) يقول : إلى أجل معلوم .  
وقوله ( لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ) يقول : ليقولنَّ هؤلاء المشركون ما يحبسه ؟ أي شيء يمنع من تعجيل العذاب الذي يتوعدنا به ، تكذيباً منهم به ، وظناً منهم أن ذلك إنما أخر عنهم لكذب المتوعد .  
كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قوله ( لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ) قال : للتكذيب به ، أو أنه ليس بشيء .

وقوله ( أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ) يقول تعالى ذكره تحقيقاً لوعيده ، وتصحيحاً لخبره ، ألا يوم يأتيهم العذاب الذي يكذبون به ليس مصروفاً عنهم ، يقول : ليس يصرفه عنهم صارف ، ولا يدفعه عنهم دافع ، ولكنه يحل بهم فيهلكهم (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول : ونزل بهم وأصابهم الذي كانوا به يسخرون من عذاب الله ، وكان استهزاؤهم به الذي ذكره الله قيلهم قبل نزوله ما يحبسه نقلاً بأنبيائه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، كان بعض أهل التأويل يقول .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنثري ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) قال : ما جاءت به أنبيأؤهم من الحق .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَنْ أَذِقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ، ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ، إِنَّهُ لَيَكْفُرُ (٩)

يقول تعالى ذكره : ولئن أذقنا الإنسان منا رحمةً ، ثم نزعناها منه ، إنه ليكفور .  
وهي الرحمة التي ذكرها تعالى ذكره في هذا الموضع ( ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ) يقول : ثم سليناها ذلك ، فأصابته مصائب أجاحتها ، فذهبت به ( إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ) يقول : يظل قنطاً من رحمة الله آيساً من الخير .  
وقوله : يكفور : فعل ، من قول القائل : يكفور فلان من كذا فهو يكفور ، إذا كان ذلك صفة له . وقوله كفور ، يقول : هو كفور لمن أنعم عليه ، قليل الشكر لربه المتفضل عليه بما كان وهب له من نعمته .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ) قال : يابن آدم إذا كانت بك نعمة من الله من السعة والأمن والعافية ، فكفور لما بك منها ، وإذا نزع منك يبتغ لك فراغك ، فيكفور من روح الله ، قنوط من رحمته ، كذلك المرء المنافق والكافر .



القول في تأويل قوله تعالى

وَلئنْ أذَقْتَهُ نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَهْمَةٍ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي، إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ (١٠)  
إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١١)

يقول تعالى ذكره : ولئن نحن بسطنا للإنسان في دنياه ، ورزقناه رخاء في عيشه ، ووسعنا عليه في رزقه ، وذلك هي النعم التي قال الله جل ثناؤه (وَلَيئنْ أذَقْتَهُ نَعْمَاءً) ، وقوله (بَعْدَ ضَرَاءٍ) يقول : بعد ضيق من العيش كان فيه ، وعسرة كان يعالجها (لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي) يقول تعالى ذكره : ليقولن عند ذلك : ذهب الضيق والعسرة عني ، وزالت الشدائد والمكاره (إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ) يقول تعالى ذكره : إن الإنسان لفرح بالنعم التي يُعطاها ، مسرور بها فخور ، يقول : ذو فخر بما نال من السعة في الدنيا ، وما بسط له فيها من العيش ، وينسى صروفها ، وتكد العوارض فيها ، ويدع طلب النعيم الذي يبقى ، والسرور الذي يدوم ، فلا يزول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ) غرة بالله وجرأة عليه ( إِنَّهُ لَفَرِحَ ) والله لا يحب الفرحين ( فَخُورٌ ) بعدما أعطى الله ، وهو لا يشكر الله .

ثم استثنى جل ثناؤه من الإنسان الذي وصفه بهاتين الصفتين الذين صبروا وعملوا الصالحات ، وإنما جاز استثناءهم منه ، لأن الإنسان بمعنى الجنس ومعنى الجمع ، وهو كقوله ( وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَسَفِيحٌ ضَالٌّ ) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقال تعالى ذكره : إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات ، فإنهم إن تأتهم شدة من الدنيا وعسرة فيها ، لم يشهم ذلك عن طاعة الله ، ولكنهم صبروا لأمره وقضائه ، فإن نالوا فيها رخاء وسعة شكروه ، وأدوا حقوقه بما آتاهم منها ، يقول الله ( أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ) يغفرها لهم ، ولا يفضحهم بها في معادهم ( وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ) يقول : ولهم من الله مع مغفرة ذنوبهم ثواب على أعمالهم الصالحة التي عملوها في دار الدنيا جزيل ، وجزاء عظيم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج : إلا الذين صبروا عند البلاء ، وعملوا الصالحات عند النعمة ، لهم مغفرة لذنوبهم ، وأجر كبير ، قال : الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا تَرَكَ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَاحِقُ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا: لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ،  
أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ، إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ، وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٢)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى إليك ربك



أن تبلغه من أمرك بتبليغه ذلك ، وضائق بما يوحى إليك صدرك ، فلا تبلغه إياهم مخافة ( أن يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا ، أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ) له مصدق بأنه لله رسول ؛ يقول تعالى ذكره : فبلغهم ما أوحيت إليك ، فإنك ( إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ) تنذره عقابي ، وتحذره بأسمى على كفرهم بي ، وإنما الآيات التي يسألونكها عندي ، وفي سلطاني أنزلها إذا شئت ، وليس عليك إلا البلاغ والإنذار ( وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ) يقول : والله القيم بكل شيء ، ويديه تدبيره ، فانفذ لما أمرك به ، ولا يمنعك مستلهم إياك الآيات ، من تبليغهم وحيي ، والنفوذ لأمرى .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قال الله لنبيه : ( فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ) أن تفعل فيه ما أمرت وتدعو إليه كما أرسلت ، قالوا ( لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا ) لانرى معه مالا ، أين المال ؟ ( أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ) ينذر معه ( إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ) ، فبلغ ما أمرت .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ، وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْطَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : كفاك حجة على حقيقة ما أتيتهم به ، ودلالة على صحة نبوتك ، هذا القرآن من سائر الآيات غيره ، إذا كانت الآيات إنما تكون لمن أعطيها دلالة على صدقه ، لعجز جميع الخلق عن أن يأتوا بمثلها ، وهذا القرآن جميع الخلق عجزت عن أن يأتوا بمثله ، فإن هم قالوا : افتريته : أى اختلقته وتكذبتة ، ودل على أن معنى الكلام ما ذكرنا قوله ( أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ) . . . إلى آخر الآية . ويعنى تعالى ذكره بقوله ( أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ) أى يقولون افتراه . وقد دللنا على سبب إدخال العرب أم في مثل هذا الموضع ، فقل لهم : يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات ، يعنى مفتعلات مختلفات ، إن كان ما أتيتكم به من هذا القرآن مفترى ، وليس بأية معجزة كسائر ما سألته من الآيات ، كالكنز الذى قلتم : هلا أنزل عليه ، أو الملك الذى قلتم : هلا جاء معه نذيرا له مصدقا ، فإنكم قومي ، وأنتم من أهل لساني ، وأنا رجل منكم ، ومحال أن أقدر أخلق وحدى مئة سورة وأربع عشرة سورة ، ولا تقدرُوا بأجمعكم أن تفتروا وتختلقوا عشر سور مثلها ، ولا سبيا إذا استعنتم في ذلك بمن شئتم من الخلق . يقول جل ثناؤه : قل لهم : وادعوا من استعظمت أن تدعوهم من دون الله ، يعنى سوى الله ، لافتراء ذلك واختلاقه من الآلهة ، فإن أنتم لم تقدرُوا على أن تفتروا عشر سور مثله ، فقد تبين لكم أنكم كذابة في قولكم

افتراه ، وصحت عندكم حقيقة ما أنيتكم به ، أنه من عند الله ، ولم يكن لكم أن تتخيروا الآيات على ربكم ، وقد جاءكم من الحججة على حقيقة ما تكذبون به ، أنه من عند الله ، مثل الذي تسألون من الحججة ، وترغبون أنكم تصدقون بمجيبها .

وقوله ( إن كنتم صادقين ) لقوله ( فأتوا بعشر سورٍ مثله ) وإنما هو : قل فاتوا بعشر سورٍ مثله مفتریات ، إن كنتم صادقين أن هذا القرآن افتراه محمد ، وادعوا من استطعتم من دون الله على ذلك ، من الآلهة والأنداد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( أم يقولون افتراه ) قد قالوه ( قل فاتوا بعشر سورٍ مثله مفتریات وادعوا شهداءكم ) قال : يشهدون أنها مثله ، هكذا قال القاسم في حديثه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَهَلْ أأنتم مسلمون (١٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : فإن لم يستجب لكم من تدعون من دون الله ، إلى أن يأتوا بعشر سورٍ مثل هذا القرآن مفتریات ، ولم تطيقوا أنتم وهم أن تأتوا بذلك ، فاعلموا وأيقنوا أنه إنما أنزل من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم بعلم الله وإذنه ، وأن محمدا لم يفتره ، ولا يقدر أن يفتره ، ( وأن لا إله إلا هو ) يقول : وأيقنوا أيضا أن لا معبود يستحق الألوهة على الخلق إلا الله الذي له الخلق والأمر ، فاخلعوا الأنداد والآلهة ، وأفردوا له العبادة .

وقد قيل : إن قوله ( فإن كنتم يستجيبوا لكم ) خطاب من الله لنبيه ، كأنه قال : فإن لم يستجب لك هؤلاء الكفار يا محمد ، فاعلموا أيها المشركون أنما أنزل بعلم الله ، وذلك تأويل بعيد من المفهوم .

وقوله ( فهل أنتم مسلمون ) يقول : فهل أنتم مذعنون لله بالطاعة ، ومخلصون له العبادة ، بعد ثبوت الحججة عليكم . وكان مجاهد يقول : عني بهذا القول أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فهل أنتم مسلمون ) قال : لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ) قال لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وقيل ( فإن كنتم يستجيبوا لكم ) والخطاب في أول الكلام قد جرى لواحد ، وذلك قوله ( قل )



فَأْتُوا) ولم يقل : فإن لم يستجيبوا لك على نحو ما قد بيننا قبل في خطاب رئيس القوم وصاحب أمرهم ، أن العرب تخرج خطابه أحيانا مخرج خطاب الجمع ، [إذا كان خطابه خطاب الأتباع وجنده ، وأحيانا مخرج خطاب الواحد ، إذا كان في نفسه واحدا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٨)

يقول تعالى ذكره ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ ) بعمله ( الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ) وأثابها ( وَزِينَتَهَا ) يطلب به ( نُوَفِّ إِلَيْهِمْ ) أجور ( أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ) وثوابها ( وَهُمْ فِيهَا ) يقول : وهم في الدنيا ( لَا يُبْخَسُونَ ) يقول : لا يُنْقَصُونَ أجرها ، ولكنهم يُؤَفَّقُونَ فيها .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ) . . . الآية ، وهي ما يعطيهم الله من الدنيا بحسناتهم ، وذلك أنهم لا يظلمون نقيرا ؛ يقول : من عمل صالحا التماس الدنيا : صوما أو صلاة أو تهجدا بالليل لا يعمله إلا لالتماس الدنيا ، يقول الله : أَوْفِيهِ الَّذِي التمس في الدنيا من المثابة ، وحبط عمله الذي كان يعمل التماس الدنيا ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ) قال : ثواب ما عملوا في الدنيا من خير أعطوه في الدنيا ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ، وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير ، قوله ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ) قال : وربما عملوا من خير أعطوه في الدنيا ، ( وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ، وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا ) قال : هي مثل الآية التي في الروم ( وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ) قال : من عمل للدنيا وُفِّيَهُ في الدنيا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ) قال : من عمل عملا أمر الله به من صلاة أو صدقة ، لا يريد بها وجه الله ، أعطاه الله في الدنيا ثواب ذلك مثل ما أنفق ، فذلك قوله ( نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ) في الدنيا ( وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ) أجر ما عملوا فيها ، ( أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا ) . . . الآية .



حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عيسى ، يعني ابن ميمون ، عن مجاهد ، في قوله ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا ) قال : ممن لا يقبل منه ، جوْزِي به يُعْطَى ثوابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفیان ، عن عيسى الجُرَثُمِيِّ ، عن مجاهد ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَاءَهُمْ فِيهَا ) قال : ممن لا يقبل منه ، يجعل له في الدنيا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَاءَهُمْ فِيهَا ، وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ) أي لا يظلمون ، يقول : من كانت الدنيا همه وسدمه ، وطلبته ونيته ، جازاه الله بحسناته في الدنيا ، ثم يُفَضِّلُ إِلَى الآخرة ، وليس له حسنة يُعْطَى بها جزاء . وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ، يثاب عليها في الآخرة ( وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ) : أي في الآخرة لا يظلمون . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق جميعا ، عن معمر ، عن قتادة ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَاءَهُمْ فِيهَا ) . . . الآية ، قال : من كان إنما همته الدنيا ، إياها يطلب ، عطاها الله مالا ، وأعطاه فيها ما يعيش ، وكان ذلك قصاصا له بعمله ( وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ) قال : لا يظلمون .

قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ليث بن أبي سليم ، عن محمد بن كعب القرظي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَحْسَنَ مِنْ مُحْسِنٍ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا ، وَآجِلِ الآخِرَةِ » .

حدثت عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَاءَهُمْ فِيهَا ) . . . الآية ، يقول : من عمل عملا صالحا في غير تقوى ، يعني من أهل الشرك ، أعطى على ذلك أجرا في الدنيا ، يصل رحما ، يعطى سائلا ، يرحم مضطرا ، في نحو هذا من أعمال البر ، يجعل الله له ثواب عمله في الدنيا ، يوسع عليه في المعيشة والرزق ، ويقر عينه فيما خوله ، ويدفع عنه من مكاره الدنيا في نحو هذا ، وليس له في الآخرة من نصيب .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا حفص بن عمر أبو عمر الضرير ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، عن أنس في قوله ( نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَاءَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ) قال : هي في اليهود والنصارى . قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن أبي رجاء الأزدي ، عن الحسن ( نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَاءَهُمْ فِيهَا ) قال : طيباتهم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن وهيب أنه بلغه أن مجاهدا كان يقول

في هذه الآية : هم أهل الرياء ، هم أهل الرياء .

قال أخبرنا ابن المبارك ، عن حيوة بن شريح ، قال : ثنى الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان ، أن عقبة بن مسلم حدثه ، أن ثنى بن مائع الأصبحي ، حدثه أنه دخل المدينة ، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس ، فقال من هذا ؟ فقالوا أبو هريرة ، فدنوت منه ، حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس ، فلما سكنت وخلّيت ، قلت : أنشدك بحقّ وبحقّ لمّا حدثتني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلته وعلمته ، قال : فقال أبو هريرة : أفعل ، لأحدثك حديثا حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نَشَخَ نَشَخَةً ، ثم أفاق ، فقال : لأحدثك حديثا حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا البيت ، ما فيه أحد غيري وغيره ، ثم نَشَخَ أبو هريرة نشخة شديدة ، ثم مال خارا على وجهه ، واشتدّ به طويلا ، ثم أفاق ، فقال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة نزل إلى أهل القيامة ليقتضى بينهم ، وكل أمة جاثية ؛ فأول من يدعى به ، رجل جمع القرآن ، ورجل قُتِلَ في سبيل الله ، ورجل كثير المال ؛ فيقول الله للقاري : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال : بلى يا رب ، قال : فإذا عملت فيها علمت ؟ قال : كنت أقوم آناء الليل وآناء النهار ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلان قاري ، فقد قيل ذلك ؛ ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له : ألم أوسع عليك حتى لم أدعك محتاج إلى أحد ؟ قال : بلى يا رب ، قال : فإذا عملت فيها آتيتك ؟ قال : كنت أصل الرحم ، وأتصدق ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلان جواد ، فقد قيل ذلك ؛ ويؤتى بالذي قُتِلَ في سبيل الله ، فيقال له : فيماذا قتلت ؟ فيقول : أمرت بالجهاد في سبيلك ، فقالت حتى قتلت ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلان جرى ، وقد قيل ذلك ، ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي ، فقال : يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر لهم النار يوم القيامة . »

قال الوليد أبو عثمان : فأخبرني عقبة أن شفيا هو الذي دخل على معاوية ، فأخبره بهذا .

قال أبو عثمان : وحدثني العلاء بن أبي حكيم أنه كان سيفا لمعاوية ، قال : فدخل عليه رجل فحدثه بهذا عن أبي هريرة ، فقال أبو هريرة وقد فعل بهؤلاء هذا ، فكيف بمن بقى من الناس ؟ ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى ظننا أنه هلك ، وقلنا : هذا الرجل شرّ ؛ ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه ، فقال : صدق الله ورسوله ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوِفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا ) وقرأ إلى ( وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن مجاهد ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا ) . . . الآية ، قال : ممن لا يتقبل منه ، يصوم ويصلي ، يريد به الدنيا ، ويدفع عنه وهم الآخرة ( وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ) : لا ينقصون .

(١) النشخ : الشبيق ، حتى يكاد يبلغ به الغشي ، إنما يفعل الإنسان ذلك تشوقا إلى شيء فالت ، وأسفا عليه . ذكر أبو هريرة النبي صل الله عليه وسلم فنشخ ، أي شبق وغشى عليه (النهاية) .



القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلٍ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين ذكرت أنا نوفيهم أجور أعمالهم في الدنيا ( لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ) يصلونها ( وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا ) يقول : وذهب ما عملوا في الدنيا ( وَبِطُلٍ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) لأنهم كانوا يعملون لغير الله ، فأبطله الله ، وأحبط عامله أجره .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ آيَاتِنَا مِن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ، أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ، إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٧)

يقول تعالى ذكره ( أفمن كان على آياتنا من ربه ) قد بين له دينه فتبينه ( ويتلوه شاهد منه ) . واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : يعني بقوله ( أفمن كان على آياتنا من ربه ) محمدًا صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خلف ، قال : ثنا حسين بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، عن قتادة ، عن عروة ، عن محمد بن الحنفية ، قال : قلت لأبي : يا أبت أنت التالى في ( ويتلوه شاهد منه ) قال : لا والله يا بني ، وددت أنى كنت أنا هو ، ولكنه لسانه .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ( ويتلوه شاهد منه ) قال : لسانه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن ، في قوله ( ويتلوه شاهد منه ) قال : لسانه .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا الحكم بن عبد الله أبو النعمان العجلي ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله :

حدثني علي بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا المعافى بن عمران ، عن قررة بن خالد ، عن الحسن ، مثله :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أفمن كان على آياتنا من ربه )

وهو محمد كان على آياتنا من ربه :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قوله ( وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ) قال : لسانه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ) قال : لسانه هو الشاهد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن عوف ، عن الحسن ، مثله .

وقال آخرون : يعنى بقوله ( وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ) محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن سليمان العلاف ، عن الحسين بن عليّ في قوله ( وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ) قال : الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن عوف ، قال : ثنا سليمان العلاف ، قال : بلغني أن الحسين بن عليّ قال ( وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن سليمان العلاف ، سمع الحسين بن عليّ ( وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ) يقول : محمد هو الشاهد من الله .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِنَا مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ) قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على بيته من ربه ، والقرآن يتلوه شاهد منه أيضا من الله ، بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ( أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِنَا مِنْ رَبِّهِ ) قال النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن نصر بن عربي ، عن عكرمة ، مثله .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا أبو خالد ، سمعت سفيان يقول ( أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِنَا مِنْ رَبِّهِ ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

قال آخرون : هو عليّ بن أبي طالب :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا رزيق بن مرزوق ، قال : ثنا صباح الفرائي ، عن جابر عن عبد الله بن يحيى ، قال : قال عليّ رضي الله عنه : ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والآيتان ، فقال له رجل : فأنت فأى شيء نزل فيك ، فقال عليّ : أما تقرأ الآية التي نزلت في هود ( وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ) .



وقال آخرون : هو جبرئيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ) إنه كان يقول جبرئيل .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ( وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ) قال : جبرئيل .

وحدثنا به أبو كريب مرة أخرى بإسناده عن إبراهيم ، فقال : قال يقولون على إنما هو جبرئيل .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : هو جبرئيل ، تلا التوراة والإنجيل والقرآن ، وهو الشاهد من الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، وحدثنا محمد بن عبد الله الخرمي ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا سفيان .

وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ( وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ) قال : جبرئيل .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله . قال : ثنا سهل بن يوسف ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : جبرئيل .

قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي صالح ( وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ) قال : جبرئيل .

قال : ثنا أبو معاوية ، عن جوير ، عن الضحاك ( وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ) قال : جبرئيل .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( أَفَنُكَانَ عَلَى بَيْتِنَا مِّن رَّبِّهِ ) يعني محمدا هو على بيته من الله ( وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ) جبرئيل شاهد من الله يتلو على محمد ما بعث به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : هو جبرئيل .

قال : ثنا أبي ، عن نصر بن عربي ، عن عكرمة ، قال : هو جبرئيل .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : جبرئيل .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أَفَنُكَانَ عَلَى بَيْتِنَا مِّن رَّبِّهِ ) يعني محمدا على بيته من ربه ( وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ) فهو

جبرئيل شاهد من الله بالذي يتلو من كتاب الله الذي أنزل على محمد، قال: ويقال (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) يقول: يحفظه الملك الذي معه.

حدثني المثني، قال: ثنا أبو النعمان عارم، قال: ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، قال: كان مجاهد يقول في قوله (أَفَنُ كَانَ عَلَى بَيْتِنَا مِنْ رَبِّهِ) قال: يعني محمدا (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال: جبرئيل. وقال آخرون: هو ملك يحفظه.

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال: معه حافظ من الله ملك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد بن هارون، وسويد بن عمرو، عن حماد بن سلمة، عن أيوب، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال: ملك يحفظه.

قال: ثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج، عن سمع مجاهدا (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال: الملك. حدثني المثني، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) يتبعه حافظ من الله ملك.

حدثني المثني، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد، عن أيوب، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال: الملك يحفظه يتلونه حق تلاوته، قال: يتبعونه حق اتباعه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال: حافظ من الله ملك.

وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بالصواب في تأويل قوله (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ): قول من قال: هو جبرئيل، لدلالة قوله (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً) على صحة ذلك، وذلك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يتل قبل القرآن كتاب موسى، فيكون ذلك دليلا على صحة قول من قال: عني به لسان محمد صلى الله عليه وسلم، أو محمد نفسه، أو علي، على قول من قال: عني به علي، ولا يعلم أن أحدا كان تلا ذلك قبل القرآن، أو جاء به ممن ذكر أهل التأويل أنه عني بقوله (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) غير جبرئيل عليه السلام.

فإن قال قائل: فإن كان ذلك دليلك على أن المعنى به جبرئيل، فقد يجب أن تكون القراءة في قوله (مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى) بالنصب، لأن معنى الكلام على ما تأولت، يجب أن يكون: ويتلو القرآن شاهد من الله، ومن قبل القرآن كتاب موسى؟ قيل: إن القراءة في الأمصار قد أجمعت على قراءة ذلك بالرفع، فلم يكن لأحد خلافها، ولو كانت القراءة جاءت في ذلك بالنصب كانت قراءة صحيحة، ومعنى صحيحا.

فإن قال: فما وجه رفعهم إذا الكتاب، على ما ادّعت من التأويل؟ قيل: وجه رفعهم هذا، أنهم ابتدءوا



الخبر عن مجيء كتاب موسى قبل كتابنا المنزل على محمد، فرفعه بيمين قبله، والقراءة كذلك، والمعنى الذي ذكرت من معنى تلاوة جبرئيل ذلك قبل القرآن، وأن المراد من معناه ذلك، وإن كان الخبر مستأنفا على ما وصفت، اكتفاء بدلالة الكلام على معناه.

وأما قوله (إماما) فإنه نصب على التقطع من كتاب موسى، وقوله (وَرَحْمَةً) عطف على الإمام، كأنه قيل: ومن قبله كتاب موسى إماما لبني إسرائيل يأتمنون به، ورحمة من الله تلاه على موسى. كما حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن منصور، عن إبراهيم، في قوله (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى) قال: من قبله جاء بالكتاب إلى موسى، وفي الكلام محذوف قد تُرِكَ ذكره اكتفاء بدلالة ما ذكر عليه منه، وهو (أَفْتَنَ كَانَّ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ، وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ، وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً) كمن هو في الضلالة متردد، لا يهتدى لرشد، ولا يعرف حقا من باطل، ولا يطلب بعمله إلا الحياة الدنيا وزينتها، وذلك نظير قوله (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا، يَحْذَرُ الْآخِرَةَ، وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) والدليل على حقيقة ما قلنا في ذلك أن ذلك عقيب قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) . . . الآية، ثم قيل: أهذا خير أمَّن كان على بينة من ربه؟ والعرب تفعل ذلك كثيرا إذا كان فيها ذكَّرتُ دلالة على مرادها على ما حدَّثت، وذلك كقول الشاعر:

فَأَقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ سِرَّاكِ، وَلَكِنْ لَمْ تَنْجِدْ لَكَ مَدْفَعًا

وقوله (أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) يقول: هؤلاء الذين ذكرت بصدقون ويقرون به إن كفر به هؤلاء المشركون الذين يقولون: إن محمدا افتراه.

القول في تأويل قوله تعالى

(وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ)

يقول تعالى ذكره: ومن يكفر بهذا القرآن فيجحد أنه من عند الله من الأحزاب وهم المتحزبة على مللهم فالنار موعده، إنه يصير إليها في الآخرة بتكذيبه. يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَلَا تَكُ

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر، وهو من شواهد التحويين (خزانة البغدادى ٤: ٢٢٧) على أن الجواب فيه محذوف، وهو جواب القسم، لا جواب «لو»، عملا بمقتضى الضابط في اجتماع قسم وشرط. قال: وتقدير الجواب كما ذكره الفراء وغيره: لو أنا رسول سواك، لدفعنا، بدليل قوله «مدفعا». والصواب أن الجواب مذكور في البيت الذي بعده، وهو قول امرئ القيس:

إِذَنْ لَرَدِّدْنَاهُ وَكَلَّوْ طَالَ مَكُثُهُ لَدَيْنَا، وَلَكِنَّا بِحُبِّكَ وَلَعْنَا

وإنما تبع الطبرى الفراء في قوله في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٤١): «وربما تركت العرب جواب الشيء المعروف معناه وإن ترك الجواب. قال الشاعر: «فأقسم. . . البيت. وقال تعالى، وهو أصدق من قول الشاعر: «ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض». فلم يؤت له بجواب. والله أعلم. قال البغدادى: «وعل هذا يكون قوله «ولكن لم نجد لك مدفعا» جملة اعتراضية. وعذرهم في تقدير الجواب: أن البيت الثاني ساقط في أكثر الروايات. وقد ذكره الزجاجي في أماليه الصغرى والكبرى، في جملة أبيات ثمانية، رواها المبرد، من قصيدة لامرئ القيس. هـ. والرواية فيها: «وجدك لوشى».

فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ) يقول : فلا تك في شك منه ، من أن موعد من كفر بالقرآن من الأحزاب النار ، وأن هذا القرآن الذي أنزلناه إليك من عند الله . ثم ابتداءً جلّ ثناؤه الخبر عن القرآن ، فقال : إن هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد الحقّ ، من ربك لا شكّ فيه ، ولكن أكثر الناس لا يصدقون بأن ذلك كذلك .

فان قال قائل : أو كان النبيّ صلى الله عليه وسلم في شكّ من أن القرآن من عند الله ، وأنه حقّ ، حتى قبل له : فلا تك في مريّة منه ؟ قيل : هذا نظير قوله ( فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ) وقد بينّا ذلك هنالك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا أيوب ، قال : ثبت أن سعيد بن جبیر قال : ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه ، إلا وجدت مصداقه في كتاب الله تعالى ، حتى قال « لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِّنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِمِثْلِ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلَّا دَخَلَ النَّارَ » قال سعيد : فقلت أين هذا في كتاب الله ، حتى أتيت على هذه الآية ( وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ) قال : من أهل الملل كلها .

حدثنا محمد بن عبد الله المخزومي وابن وكيع ، قالا : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا سفيان ، عن أيوب عن سعيد بن جبیر ، في قوله ( وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ ) قال : من الملل كلها .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علقمة ، قال : ثنا أيوب ، عن سعيد بن جبیر ، قال : كنت لأسمع بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه ، إلا وجدت مصداقه ، أو قال تصديقه في القرآن ، فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِّنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَا يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ، ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِمِثْلِ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلَّا دَخَلَ النَّارَ » فجعلت أقول : أين مصداقها ، حتى أتيت على هذا ( أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ ) . . . إلى قوله ( فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ) قال : فالأحزاب : الملل كلها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : ثنى أيوب ، عن سعيد بن جبیر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْمَعُ بِي مِّنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ فَلَا يُؤْمِنُ بِي إِلَّا دَخَلَ النَّارَ » ؟ فجعلت أقول : أين مصداقها في كتاب الله ، قال : وقلما سمعت حديثاً عن النبيّ صلى الله عليه وسلم إلا وجدت له تصديقاً في القرآن ، حتى وجدت هذه الآيات ( وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ) : الملل كلها .

قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ) قال : الكفار أحزاب كلهم على الكفر .



حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ) أى يكفر ببعضه ، وهم اليهود والنصارى ، قال : بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِّنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ، ثُمَّ يَمُوتُ قَبْلَ أَنْ يُؤْمِنَ بِي ، إِلَّا دَخَلَ النَّارَ » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا يوسف بن عدى النضرى : قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي موسى الأشعري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ سَمِعَ بِي مِّنْ أُمَّتِي ، أَوْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ ، فَلَمْ يُؤْمِنْ بِي ، لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ » .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ، وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨)

يقول تعالى ذكره : وأى الناس أشدّ تعذيباً ممن اختلق على الله كذباً ، فكذب عليه ، أولئك يُعرضون على ربهم ، ويقول الأشهاد : هؤلاء الذين يكذبون على ربهم ، يعرضون يوم القيامة على ربهم ، فيسألهم عما كانوا فى دار الدنيا يعملون .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ) قال : الكافر والمنافق ( أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ) فيسألهم عن أعمالهم ، وقوله ( وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ ) يعنى الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم ، وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون ، وهم جمع شاهد ، مثل الأصحاب الذى هو جمع صاحب ( هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ) يقول : شهد هؤلاء الأشهاد فى الآخرة على هؤلاء المفتريين على الله فى الدنيا ، فيقولون : هؤلاء الذين كذبوا فى الدنيا على ربهم . يقول الله ( أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ) : يقول : ألا غضب الله على المعتدين الذين كفروا بربهم .

وبنحو ما قلنا فى قوله ( وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا نمير ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ ) قال : الملائكة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال الملائكة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ ) والأشهاد : الملائكة ، يشهدون على بنى آدم بأعمالهم .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( الأَشْهَادُ ) قال : الخلائق ، أو قال : الملائكة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة بنحوه .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَيَقُولُ الأَشْهَادُ ) الذين كانوا يحفظون أعمالهم عليهم في الدنيا ( هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ ) : حفظوه وشهدوا به عليهم يوم القيامة .

قال ابن جريج : قال مجاهد : الأَشْهَادُ : الملائكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، قال : سألت الأعمش ، عن قوله ( وَيَقُولُ الأَشْهَادُ ) قال : الملائكة .

حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَيَقُولُ الأَشْهَادُ ) يعنى الأنبياء والرسل ، وهو قوله ( وَيَوْمَ نَبَعَثَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ) قال : وقوله ( وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ ) يقولون : يا ربنا أتيناهم بالحق فكذبوا ، فنحن نشهد عليهم أنهم كذبوا عليك يا ربنا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن عدى ، عن سعيد وهشام ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز المازني ، قال : بينا نحن بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف ، إذ عرض له رجل فقال : يا بن عمر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى ؟ فقال : سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يَدْعُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ ، فَيَقْرَرُهُ بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُ كَذَا ، فَيَقُولُ : رَبِّ اعْرِفْ ، مَرَّتَيْنِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ ، قَالَ : فَلَمَّا قَدَّ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، قَالَ : فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ أَوْ كِتَابَةً بِسَمِيئِهِ ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ ، فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الأَشْهَادِ : أَلَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ » .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، قال : ثنا هشام ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : كنتا نحدث أنه لا يخزي يومئذ أحد فيخفي خزيه على أحد ممن خلق الله أو الخلائق .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون الناس عن الإيمان به ، والإقرار له بالعبادة



وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد من مشركي قريش ، وهم الذين كانوا يفتنون عن الإسلام من دخل فيه . ( وَيَبْغُوتَهَا عِوَجًا ) يقول : ويلتمسون سبيل الله وهو الإسلام الذي دعا الناس إليه محمد ، يقول : زيغا وميلا عن الاستقامة ( وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ) : يقول : وهم بالبعث بعد الممات مع صدقهم عن سبيل الله ، وبغيهم إياها عوجا ، كافرون . يقول : هم جاحدون ذلك منكرون .

القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ، يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ ، مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ، وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠)

يعنى جل ذكره بقوله ( أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ) : هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه أنهم يصدون عن سبيل الله ، يقول جل ثناؤه : إنهم لم يكونوا بالذين يُعْجِزُونَ رَبَّهُمْ ، يهربهم منه في الأرض إذا أراد عقابهم ، والانتقام منهم ، ولكنهم في قبضته ومملكته ، لا يمتنعون منه إذا أرادهم ، ولا يفوتونه هربا إذا طلبهم . ( وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ) يقول : ولم يكن هؤلاء المشركين إذا أراد عقابهم من دون الله أنصار ينصرونهم من الله ، ويجولون بينهم وبينه إذا هو عذبهم ، وقد كانت لهم في الدنيا متعة يمتنعون بها ممن أرادهم من الناس بسوء .

وقوله ( يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ) يقول تعالى ذكره : يزداد في عذابهم ، فيجعل لهم مكان الواحد اثنان . وقوله ( مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ) فإنه اختلف في تأويله ؛ فقال بعضهم : ذلك وصف الله به هؤلاء المشركين أنه قد ختم على سمعهم وأبصارهم ، وأنهم لا يسمعون الحق ، ولا يبصرون حُجَجَ الله سماع متفع ، ولا إبصار مهتد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ) صَمٌّ عن الحق ، فما يسمعون ، بكم ، فما ينطقون به ، عُمى ، فلا يبصرونه ، ولا ينتفعون به .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ) قال : ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا خيرا فينتفعوا به ، ولا يبصروا خيرا فيأخذوا به .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : أخبر الله سبحانه أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة . أما في الدنيا فإنه قال ( مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ) وهي طاعته ( وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ) . وأما في الآخرة فإنه قال ( فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً ) .

وقال آخرون: إنما عَسَى بقوله (وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ) آلهة: الذين يصدون عن سبيل الله، وقالوا: معنى الكلام: أولئك وآلهم لم يكونوا معجزين في الأرض، يضاعف لهم العذاب، (ما كانوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ، وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) يعني الآلهة أنها لم يكن لها سمع ولا بصر، هذا قول رُوي عن ابن عباس من وجه كرهت ذكره، لضعف سنده.

وقال آخرون: معنى ذلك: يضاعف لهم العذاب، بما كانوا يستطيعون السمع ولا يسمعونه، وبما كانوا يبصرون ولا يتأملون حجج الله بأعينهم، فيعتبروا بها. قالوا: والباء كان ينبغي لها أن تدخل، لأنه قد قال (فَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) بما كانوا يكذبون، بكذبهم في غير موضع من التنزيل، أدخلت فيه الباء، وسقوطها جائز في الكلام كقولك في الكلام: لاجن<sup>١</sup> بما فيك ما علمت، وبما علمت، وهذا قول قاله بعض أهل العربية.

والصواب من القول في ذلك عندنا: ما قاله ابن عباس وقتادة، من أن الله وصفهم تعالى ذكره، بأنهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع منتفع، ولا يبصرونه إبصار مهتد، لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين، عن استعمال جوارحهم في طاعة الله، وقد كانت لهم أسماع وأبصار.

القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢١)

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم، هم الذين غبَسُوا أَنفُسَهُمْ حظوظها من رحمة الله (وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانوا يَفْتَرُونَ) وبطل كذبهم وإفكهم وفيريتهم على الله، بإدعائهم له شركاء، فسلك ما كانوا يدعونها لها من دون الله غير مسلكهم، وأخذ طريقا غير طريقهم، فضل عنهم، لأنه سلك بهم إلى جهنم، وصارت آلتهم عدما لا شيء، لأنها كانت في الدنيا حجارة أو خشبا أو نحاسا، أو كان لله وليا، فسلك به إلى الجنة، وذلك أيضا غير مسلكهم، وذلك أيضا ضلال عنهم.

القول في تأويل قوله تعالى

لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره: حقا أن هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم في الدنيا في الآخرة هم الأخسرون، الذين قد باعوا منازلهم من الجنان بمنازل أهل الجنة من النار، وذلك هو الخسران المبين، وقد بينا فيما مضى أن معنى قولهم: جَرَمَتْ: كسبت الذنب وأجرمته، وإن العرب كثر استعمالها إياه في مواضع الأيمان، وفي مواضع «لا بد» كقولهم: لا جرم أنك ذاهب، بمعنى: لا بد، حتى استعملوا ذلك في مواضع التحقيق، فقالوا: لا جرم ليقومن، بمعنى: حقا ليقومن، فعنى الكلام: لا يمنع عن أنهم، ولا صد عن أنهم.

(١) كذا وردت الكلمة في الأصل رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية في هذا الموضع من المجلد الثاني عشر.



القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ، أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* (٢٣)

يقول تعالى ذكره : إن الذين صدقوا الله ورسوله ، وعملوا في الدنيا بطاعة الله ، وأخبتوا إلى ربهم :

واختلف أهل التأويل في معنى الإخبات ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وأناهبوا إلى ربهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ) قال : الإخبات : الإناهة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ) يقول : وأناهبوا إلى ربهم .

وقال آخرون : معنى ذلك : وخافوا :

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ) يقول : خافوا :

وقال آخرون : معناه : اطمأنوا :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ) قال : اطمأنوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :

وقال آخرون : معنى ذلك : خشعوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ )

الإخبات : التخضع والتواضع .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة المعاني ، وإن اختلفت ألفاظها ، لأن الإناهة إلى الله من خوف الله ، ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة ، والطمأنينة إليه من الخشوع له ، غير أن نفس الإخبات عند العرب : الخشوع والتواضع ، وقال ( إلى ربهم ) ومعناه : وأخبتوا لربهم ، وذلك أن العرب تضع اللام

موضع إلى ، وإلى موضع اللام كثيرا ، كما قال تعالى : ( بَأْنَ رَبَّنَا أَوْحَىٰ لَهَا ) بمعنى : أوحى إليها ، وقد يجوز أن يكون قيل ذلك كذلك ، لأنهم وصفوا بأنهم عمدوا بإخبارهم إلى الله .  
وقوله ( أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) يقول : هؤلاء الذين هذه صفتهم ، هم سكان الجنة الذين لا يخرجون عنها ، ولا يموتون فيها ، ولكنهم فيها لا يثنون إلى غير نهاية .

القول في تأويل قوله تعالى

\* مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ، هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : مثل فريق الكفر والإيمان ، كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئا ، والأصم الذي لا يسمع شيئا ؛ فكذلك فريق الكفر لا يبصر الحق في تبعه ، ويعمل به ، لشغله بكفره بالله ، وغلبة خذلان الله عليه ، لا يسمع داعي الله إلى الرشاد ، فيجيبه إلى الهدى ، فيبتدى به ، فهو مقيم في ضلالته ، يتردد في حيرته ، والسميع والبصير ، فكذلك فريق الإيمان أبصر حُجج الله ، وأقر بما دلت عليه من توحيد الله ، والبراءة من الآلهة والأنداد ، ونبوة الأنبياء عليهم السلام ، وسمع داعي الله ، فأجابه وعمل بطاعة الله .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ) قال : الأعمى والأصم : الكافر ، والبصير والسميع : المؤمن .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ) : الفريقان الكافران المؤمنان ، فأما الأعمى والأصم : الكافران ، وأما البصير والسميع فهما المؤمنان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى ، وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ) . . . الآية ، هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن ، فأما الكافر فصم عن الحق ، فلا يسمعه ، وعمى عنه فلا يبصره . وأما المؤمن فسمع الحق ، فانتفع به وأبصره ، فوعاه وحفظه وعمل به . يقول تعالى : ( هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ) يقول : هل يستوي هذان الفريقان ، على اختلاف حالتيهما في أنفسهما عندكم أيها الناس ، فإنهما لا يستويان عندكم ، فكذلك حال الكافر والمؤمن لا يستويان عند الله . ( أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ) يقول جل ثناؤه : أفلا تعتبرون أيها الناس وتفكرون ، فتعلموا حقيقة اختلاف أمريهما ، فتزجروا عما أنتم عليه من الضلال إلى الهدى ، ومن الكفر إلى الإيمان ، فالأعمى والأصم والبصير والسميع في اللفظ أربعة ، وفي المعنى اثنان ، ولذلك قيل ( هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ) وقيل : كالأعمى والأصم ، والمعنى : كالأعمى والأصم ، وكذلك قيل : والبصير والسميع ، والمعنى : البصير والسميع ، كقول القائل : قام الظريف والعافل ، وهو ينعت بذلك شخصا واحدا .



القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ، إِنِّي أَخَافُ  
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْآلِيمِ (٢٦)

يقول تعالى ذكره ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ : إِنِّي لَكُمْ ) أيها القوم ( نَذِيرٌ ) من الله ، أنذرکم بأسه على كفرکم به ، فآمنوا به وأطيعوا أمره . ويعنى بقوله ( مُّبِينٌ ) : يبين لكم عما أرسل به إليکم ، من أمر الله ونبيه .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( إِنِّي ) فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وبعض المدنيين بكسر « إن » على وجه الابتداء ، إذ كان في الإرسال معنى القول ، وقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة بفتح « أَنْ » ، على إعمال الإرسال فيها ، كأن معنى الكلام عندهم : لقد أرسلنا نوحا إلى قومه بأني لكم نذير مبين . والصواب من القول في ذلك عندي : أن يُقال : إنهما قراءتان متفقتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء ، فبأيهما قرأ القارئ كان مصيبا للصواب في ذلك .

وقوله ( أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ) فن كسر الألف في قوله ( إِنِّي ) جعل قوله ( أَرْسَلْنَا ) عاملا في « أَنْ » التي في قوله ( أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ) ويصير المعنى حينئذ : ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ، أن لا تعبداوا إلا الله ، وقل لهم ( إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ) ، ومن فتحها ، ردَّ أَنْ في قوله ( أَنْ لَا تَعْبُدُوا ) عليها ، فيكون المعنى حينئذ : لقد أرسلنا نوحا إلى قومه بأني لكم نذير مبين ، بأن لا تعبده إلا الله . ويعنى بقوله : بأن لا تعبداوا إلا الله أيها الناس عبادة الآلهة والأوثان ، وإشراكها في عبادته ، وأفردوا الله بالتوحيد ، وأخلصوا له العبادة ، فإنه لا شريك له في خلقه . وقوله ( إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْآلِيمِ ) يقول : إني أيها القوم إن لم تحضوا الله بالعبادة ، وتفردوه بالتوحيد ، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والأوثان ، أخاف عليكم من الله عذاب يوم مؤلم عقابه وعذابه لمن عذب فيه ، وجعل الأليم من صفة اليوم ، وهو من صفة العذاب ، إذ كان العذاب فيه كما قيل ( وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ) ، وإنما السکن من صفة ما سكن فيه دون الليل .

القول في تأويل قوله تعالى

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ : مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ، وَمَا نَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْيِ الرَّأْيِ ، وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ، بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : فقال الكبراء من قوم نوح وأشرفهم ، وهم الملأ الذين كفروا بالله ، وجحدوا نبوة

نبيهم نوح عليه السلام ( ما نَرَكَ ) يا نوح ( إِلاَّ بَشَرًا مِثْلَنا ) يعنون بذلك أنه آدمي مثلهم في الخلق والصورة والجنس ، كأنهم كانوا منكبين أن يكون الله يرسل من البشر رسولا إلى خلقه . وقوله ( وما نَرَكَ اتَّبَعْتَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لِنَا بَادِي الرأى ) يقول : وما نراك اتبعك إلا الذين هم سبيلتنا من الناس ، دون الكبراء والأشراف ، فيما يُرَى ويظهر لنا . وقوله ( بَادِي الرأى ) اختلفت القراء في قراءته ، فقراءته عامة قراء المدينة والعراق ( بَادِي الرأى ) بغير همز البادى ، وبهمز الرأى ، بمعنى : ظاهر الرأى من قولهم : بدا الشيء يبدو : إذا ظهر ، كما قال الراجز :

أضحى لخالى شبيهى بادى بدى وصار للفحل لسانى وبدي  
بادى بدى بغير همز . وقال آخر :

وقد علمتني ذرة بادى بدى<sup>٢</sup>

وقرأ ذلك بعض أهل البصرة<sup>٣</sup> ( بَادِي الرأى ) مهموز أيضا ، بمعنى : مبتدأ الرأى ، من قولهم : بدأت بهذا الأمر : إذا ابتدأت به قبل غيره .

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا قراءة من قرأ ( بَادِي ) بغير همز البادى ، وبهمز الرأى ، لأن معنى ذلك الكلام : إلا الذين هم أرادنا في ظاهر الرأى ، وفيما يظهر لنا .

وقوله ( وما نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ) يقول : وما نتبين لكم علينا من فضل نلتموه بمخالفتكم إيانا في عبادة الأوثان إلى عبادة الله ، وإخلاص العبادة له ، فتبعكم طلب ذلك الفضل ، وابتغاء ما أصبتموه بخلافكم إيانا ( بَلْ نَنْظُرُكُمْ كاذِبِينَ ) وهذا خطاب منهم لنوح عليه السلام ، وذلك أنهم إنما كذبوا نوحا دون أتباعه ، لأن أتباعه لم يكونوا رسلا ، وأخرج الخطاب وهو واحد مخرج خطاب الجميع ، كما

(١) البيت في (اللسان : بدا) قال : أراد به : ظاهرى في الشبه لخال . ومعناه : خرجت عن شرح الشباب ، إلى حد الكهولة التي معها الرأى والحجا ، فصرت كالفحولة التي بها يقع الاختيار ، ولها بالفضل تكثر الأوصاف . والشاهد في « بادى » أنه غير مهموز ، كما في قوله تعالى : « بادى الرأى » ، لأن المعنى : فيما يظهر لنا ويبدو . والبيت من شواهد أبي عبيدة تفسيره : مجاز القرآن .

(٢) هذا بيت من مشطور الراجز ، أنشده صاحب اللسان (بدا) مع بيتين آخرين ، وهما :

ورثية تنهض بالشدد وصار للفحل لسانى وبدي

وقال : قال الجوهري : فعل ذلك بادى بد ، وبادى بدى (بتشديد الياء) أى أولا . قال : وأصله الهمز ، وإنما ترك لكثرة الاستعمال . قال : وربما جعلوه اسما للداحية ، كما قال أبو نخيلة السعدي : « وقد علمتني . . . الخ » . قال : وهما إسمان جعلتا إسما واحدا ، مثل معد يكر ، وقال قلا . والبيت من شواهد أبي عبيدة في تفسيره : مجاز القرآن .

وأنشد البيهقي أيضا (اللسان : ذرا) وقال : بادى بدى : أول كل شيء ، من بدأ ، فترك الهمز بكثرة الاستعمال ، وطلب التخفيف . وقد يجوز أن يكون من بدا يبدو إذا ظهر . والذرة من ذرى رأس فلان يذرا إذا أبيض . وعلته ذرة أى شيب . والذرة بالضم : الشمط ، قال أبو نخلة السعدي : ( وقد علمتني . . . الخ البيهقي ) والرثية : انحلال الركب والمفاصل ، وقيل : هو أول بياض الشيب .

(٣) في اللسان : قرأ أبو عمرو وحده بادى الرأى ، بالهمز ، وسائر القراء قرءوا : بادى الرأى بغير همز . وقال الفراء : لا يهمز : بادى الرأى ، لأن المعنى : فيما يظهر لنا ويبدو ، ولو أراد : ابتداء الرأى ، لخال فهمز . كان صوابا ، وأنشد : -  
أضحى لخال . . . الخ أراد به : ظاهرى في الشبه لخال .



قيل (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) وتأويل الكلام: بل نفلتكم يا نوح في دعواك أن الله ابتعثك إلنا، رسولاً كاذباً .

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله (بادي الرأي) قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله (وما تراك أتبعك إلا الذين هم أراد لنا بادي الرأي) قال : فيما ظهر لنا .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ، أَنْزَلْنَا كُتُوبَهَا وَأَتْمَمْنَا لَهَا كَرِيمُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبيل نوح لقومه ، إذ كذبوه وردوا عليه ما جاءهم به من عند الله من النصيحة : (يا قوم أرايتم إن كنتم على بينة من ربي) ، على علم ومعرفة وبيان من الله لي ما يلزمي له ، ويجب علي من إخلاص العبادة له ، وترك إشراك الأوثان معه فيها (وآتاني رحمة من عنده) يقول : ورزقني منه التوفيق والنبوة والحكمة ، فأمنت به ، وأطعته فيما أمرني ونهاني (فعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة (فعُمِّيَتْ) بفتح العين وتخفيف الميم ، بمعنى : فعُميت الرحمة ، عليكم فلم تهتدوا لها ، فتقرّوا بها ، وتصدقوا رسولكم عليها . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (فعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) بضم العين وتشديد الميم ، اعتباراً منهم ذلك بقراءة عبد الله ، وذلك أنهما فيما ذكر في قراءة عبد الله ، فعمماها عليكم .

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب : قراءة من قرأه (فعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) بضم العين وتشديد الميم للذي ذكروا من العلة لمن قرأ به ، ولقربه من قوله (أرايتم إن كنتم على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده) فأضاف الرحمة إلى الله ، فكذلك تعميته على الآخرين بالإضافة إليه أولى . وهذه الكلمة مما حوّلت العرب الفعل عن موضعه ، وذلك أن الإنسان هو الذي يعمي عن إِبصار الحق ، إذ يعمي عن إِبصاره ، والحق لا يوصف بالعمى إلا على الاستعمال الذي قد جرى به الكلام ، وهو في جوازه لاستعمال العرب إياه ، نظير قولهم : دخل الخاتم في يدي ، والخف في رجلي ، ومعلوم أن الرجل هي التي تدخل في الخف ، والأصبع في الخاتم ، ولكنهم استعملوا ذلك كذلك ، لما كان معلوماً المراد فيه .

وقوله (أنزلنا كُتُوبَهَا وَأَتْمَمْنَا لَهَا كَرِيمُونَ) يقول : أناخذكم بالدخول في الإسلام وقد عماء الله عليكم ؟ لها كارهون : يقول : وأنتم لإلزامنا كُتُوبَهَا كارهون . يقول : لانفعل ذلك ، ولكن نكل أمركم إلى الله ، حتى يكون هو الذي يقضى في أمركم ما يري ويشاء .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال نوح . ( يا قَوْمِ إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ) قال : قد عرفتها وعرفت بها أمره ، وأنه لا إله إلا هو ، ( وَاَتَانِي رَحْمَةٌ مِّن عِندِهِ ) : الإسلام والهدى والإيمان والحكم والنبوة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ) . . . الآية ، أما والله لو استطاع نبي الله صلى الله عليه وسلم لألزمها قومه ، ولكن لم يستطع ذلك ، ولم يملكه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان ، عن داود ، عن أبي العالية ، قال في قراءة أبي أنزل مكموها من شطر أنفسنا وأنتم لها كارهون .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : أخبرنا عمرو ابن دينار قال : قرأ ابن عباس : ( أنزل مكموها من شطر أنفسنا ) قال عبد الله : من شطر أنفسنا : من تلقاء أنفسنا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس مثله . حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب : أنزل مكموها من شطر قلوبنا وأنتم لها كارهون .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ، إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ، وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنَّهُمْ مُّثَلَّفُوا رَبِّهِمْ ، وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا يَّجْهَلُونَ (٢٩)

وهذا أيضا خبر من الله عن قيل نوح لقومه أنه قال لهم : ( يا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ ) على نصيحتي لكم ، ودعابتكم إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ( مَالًا ) : أجرا على ذلك ، فتهمونني في نصيحتي ، وتظنون أن فعلی ذلك طلب عرض من أعراض الدنيا ( إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ) يقول : ما ثواب نصيحتي لكم ودعابتكم إلى ما أدعوكم إليه ، إلا على الله ، فإنه هو الذي يجازيني ويثيبني عليه ( وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ) : وما أنا بمقص من آمن بالله ، وأقرّ بوحدانيته ، وخلع الأوثان ، وتبرأ منها بأن لم يكونوا من عيبتكم وأشرافكم ( إِنَّهُمْ مُّثَلَّفُوا رَبِّهِمْ ) يقول : إن هؤلاء الذين تسألوني طردهم صائرون إلى الله ، والله سائلهم عما كانوا في الدنيا يعملون ، لاعن شرفهم وحسبهم .

وكان قيل نوح ذلك لقومه ، لأن قومه قالوا له ، كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُّثَلَّفُوا رَبِّهِمْ ) قال : قالوا له :



يانوح إن أحببت أن تتبعك فاطردهم ، وإلا فلن نرضى أن نكون نحن وهم في الأمر سواء ، فقال ( ما أنا بطارد الذين آمنوا ، إنهم ملاقوا ربهم ) ، فيسألهم عن أعمالهم :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، وحدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح جميعا ، عن مجاهد ، قوله ( إن أجري إلا على الله ) قال : جزائي :

حدثني المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله ( ولكي أراكم قوما تجهلون ) يقول : ولكني أياها القوم أراكم قوما تجهلون الواجب عليكم من حق الله ، واللازم لكم من فرائضه ، ولذلك من جهلكم سأ لتموني أن أطرد الذين آمنوا بالله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقَوْمٍ مِّنْ يَّنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتَهُمْ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ (٣٠)

يقول : رويًا قَوْمٍ مِّنْ يَّنصُرُنِي ( فيمنعني ) ( مِنَّ اللَّهِ ) إن هو عاقبني على طردى المؤمنين الموحدين الله إن طردتهم ( أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ) يقول : أفلا تتفكرون فيما تقولون ، فتعلمون خطاه ، فتنهوا عنه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ، وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ، وَلَا أَقُولُ  
لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ، إِنِّي إِذَا لَمِنَ  
الظَّالِمِينَ (٣١)

يقول : ( وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ) عطف على قوله ( وَيَا قَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا ) ومعنى الكلام : ويا قوم لا أسألكم عليه أجرا ، ولا أقول لكم عندي خزائن الله التي لا يفنيها شيء ، فأدعوكم إلى اتباعي عليها ( وَلَا أَعْلَمُ ) أيضا ( الْغَيْبَ ) يعني ما خفي من سرائر العباد ، فإن ذلك لا يعلمه إلا الله ، فأدعى الربوبية ، وأدعوكم إلى عبادتي ، ( وَلَا أَقُولُ ) أيضا ( إِنِّي مَلَكٌ ) من الملائكة أرسلت إليكم ، فأكون كاذبا في دعواي ذلك ، بل أنا بشر مثلكم كما تقولون ، أمرت بدعائكم إلى الله ، وقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ( وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ) يقول : ولا أقول للذين اتبعوني وآمنوا بالله ووجدوه الذين تستحقهم أعينكم ، وقلم إنهم أراذلكم : لن يؤتيكم الله خيرا ، وذلك الإيمان بالله ( اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ) يقول : الله أعلم بضمائر صدورهم ، واعتقاد قلوبهم ، وهو ولي أمرهم في ذلك ، وإنما لي منهم ما ظهر وبدا ، وقد أظهروا الإيمان بالله واتبعوني ، فلا

أطردهم ، ولا أستحل ذلك ( إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ) يقول : إني إن قلت لهؤلاء الذين أظهروا الإيمان بالله وتصديقي : لن يؤتيتهم الله خيرا ، وقضيت على سرائرهم ، بخلاف ما أبدته ألسنتهم لي ، على غير علم مني بما في نفوسهم ، وطردتهم بفعل ذلك ، لمن الفاعلين ما ليس لهم فعله ، المعتدين ما أمرهم الله به ، وذلك هو الظلم . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ ) التي لا يفنيها شيء ، فأكون إنما أدعوكم لتبعوني عليها ، لأعطيكم منها ( وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ) نزلت من السماء برسالة ، ما أنا إلا بشر مثلكم ( وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ) ولا أقول اتبعوني على علم الغيب .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا: يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَاكْتَرَتْ جِدْلَنَا، فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : قال قوم نوح لنوح عليه السلام : قد خاصمتنا ، فأكثرت خصومتنا ، فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين في عِداتك ودعواك أنك لله رسول ، يعني بذلك أنه لن يقدر على شيء من ذلك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( جادلنا ) قال : ماريتنا .

حدثني المنثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . وحدثني المنثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد قالوا يا نوح قد جادلنا ) قال : ماريتنا ( فَأَكْتَرَتْ جِدْلَنَا ، فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا ) قال ابن جريج : تكذبا بالعذاب ، وأنه باطل .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: إِنَّمَا يَاْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ

أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ، إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : قال نوح لقومه حين استعجلوه العذاب : يا قوم ليس الذي تستعجلون من العذاب لي ، إنما ذلك إلى الله لا إلى غيره ، هو الذي يأتيكم به إن شاء ( وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ) يقول : ولستم إذا



أراد تعذيبكم بمعجزيه : أى بفتاويه هر با منه ، لأنكم حيث كنتم فى ملكه وسلطانه وقدرته ، حكمه عليكم جار . ( وَلَا يَسْتَفْعَلُكُمْ نُصْحِي ) يقول : ولا ينفعكم تحذيرى عقوبته ، ونزول سطوته بكم على كفركم به . ( إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ ) فى تحذيرى إياكم ذلك ، لأن نصحى لا ينفعكم لأنكم لا تقبلونه ، ( إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ) ، يقول : إن كان الله يريد أن يهلككم بعذابه ( هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) يقول : وإليه تردون بعد الهلاك . حكى عن طيها أنها تقول : أصبح فلان غاويا : أى مريضا . وحكى عن غيرهم سماعا منهم : أغويت فلانا ، بمعنى : أهلكته ، وغوى الفصيل : إذا فقد اللبن فوات ، وذكر أن قول الله ( فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) : أى هلاكا .

## القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ : إِنْ افْتَرَيْتَهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَجْرِمُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : أيقول يا محمد هؤلاء المشركون من قومك : افترى محمد هذا القرآن ، وهذا الخبر عن نوح ، قل لهم : إن افتريته فمخترصته واختلقته ( فَعَلَىٰ إِجْرَامِي ) يقول : فعلى إثمى فى افترائى ما افتريت على ربى دونكم ، لا تؤاخذون بذنبى ولا إثمى ، ولا تؤاخذ بذنبكم ( وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَجْرِمُونَ ) يقول : وأنا برىء مما تذبون وتأثمون بربكم من افترائكم عليه ، ويقال منه : أجرمت إجراما وجرمت أجرم جرما ، كما قال الشاعر :

طَرِيدٌ عَشِيرَةٍ وَرَهِينٌ ذَنْبٍ    بِمَا جَرَمْتُ يَدَىٰ وَجْتَىٰ لِسَانِي

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ آمَنَ ، فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا

يَفْعَلُونَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : ( وأوحى ) الله ( إلى نوح ) لما حق على قومه القول ، وأظلم أمر الله ، ( أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ ) : يا نوح بالله فيوحده ويتبعك على ماتدعوه إليه ( مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ آمَنَ ) فصدق بذلك واتبعك . ( فَلَا تَبْتَئِسْ ) يقول : فلا تستيكن ولا تحزن بما كانوا يفعلون ، فإنى مهلكهم ومنقذك منهم ( وَمَنْ اتَّبَعَكَ ) ، وأوحى الله ذلك إليه بعد ما دعا عليهم نوح بالهلاك ، فقال ( رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ) وهو تفتعل من البؤس ، يقال : ابتأس فلان بالأمر يبتأس ابتاسا ، كما قال لبيد بن ربيعة :

(١) البيت للهيردان السعدى ، أحد لصوص بنى سعد (اللسان : جرم) قال : وجرم يجرم (كضرب) واجترم : كسب ، وأنشد أبو عبيدة للهيردان . . . الخ . والرواية فيه : ورهين جرم ، بضم الجيم .

فِي مَا أْتَمَّ كَنَعَاجِ صَا رَةَ يَبْتَسِئْنَ بِمَا لَقِينَا  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَلَا تَبْتَسِئْنَ ) قال : لا تحزن .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( فَلَا تَبْتَسِئْنَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ) يقول : فلا تحزن .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَلَا تَبْتَسِئْنَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ) قال : لا تأس ولا تحزن .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَأَوْحِيَ إِلَى نُوْحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ ) وذلك حين دعا عليهم ( قَالَ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ) . قوله ( فَلَا تَبْتَسِئْنَ ) يقول : فلا تأس ولا تحزن .  
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ ) فحينئذ دعا على قومه لما بين الله له أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن :

القول في تأويل قوله تعالى

وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ، وَلَا تُخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ، إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : وأوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، وأن اصنع الفلوك ، وهو السفينة . كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد :  
الفلك : السفينة .

وقوله ( بِأَعْيُنِنَا ) يقول : بعين الله ووحيه ، كما يأمرك :

(١) البيت أورده صاحب (اللسان : بأس) ونسبه لليد ، وفي روايته « رب رب » في مكان « ماتم » . والماتم : كل مجتمع من رجال أو نساء ، في حزن أو فرح (اللسان) والربرب : القطيع من بقر الوحش . والنجاج : جمع نعجة ، وهي الأنثى من الضأن ، والظباء ، والبقر الوحشي ، والشاة الجبل . والعرب تكني بها عن المرأة . وصارة : قال يعقوب : هي ماء بين فيد وضرية . ولعله خص هذه النعاج لحسنها ، بما توافر لديها من كلاً وماء . وابتأس الرجل : إذا بلفه شيء يكرهه ، والنون في بيتنن : عائدة إلى الماتم ، وهو هنا جماعة النساء ، المشبهات في حسنهن ببقر الوحش .



كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبي ، قال : ثنا ، أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا ) وذلك أنه لم يعلم كيف صنعة الفلك ، فأوحى الله إليه أن يصنعها على مثل جؤجؤ الطائر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَوَحَيْنَا ) قال : كما نأمرك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وحدثني المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا ) : كما نأمرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا ) قال : بعين الله ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : ( وَوَحَيْنَا ) قال : كما نأمرك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا ) قال : بعين الله ووحيه .

وقوله ( وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ) يقول تعالى ذكره : ولا تسألني في العفو عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك ، فأكسبوا تعدياً منهم عليها بكفرهم بالله الهلاك بالغرق ، إنهم مغرقون بالطوفان .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( وَلَا تُخَاطِبُنِي ) قال : يقول : ولا تراجعني ، قال : تقدم ألا يشفع لهم عنده .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَنَّ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ، قَالَ : إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثْقِمٌ (٣٩) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ، قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ، إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ، وَمَنْ ءَامَنَ ، وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : ويصنع نوح السفينة ، وكلما مرَّ عليه جماعة من كبراء قومه سخروا منه ، يقول : هزئوا من نوح ، ويقولون له : أتحوكت نجارا بعد النبوة ، وتعمل السفينة في البر؟ فيقول لهم نوح : ( إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا ) : إن تهزءوا منا اليوم ، فلإنا نهزأ منكم في الآخرة كما تهزءون منا في الدنيا ، ( فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ) إذا عاينتم عذاب الله ، من الذي كان إلى نفسه مسيئاً منا .

وكانت صنعة نوح السفينة كما حدثني المثني وصالح بن مسمار، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا موسى بن يعقوب، قال: ثني فائدة مولى عبيد الله بن علي بن أبي رافع أن إبراهيم: بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة، أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ رَحِمَ اللَّهُ أَحَدًا مِنْ قَوْمِ نُوحٍ لَرَحِمَ أُمَّ الصَّيْبِيِّ»، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوههم إلى الله، حتى كان آخر زمانه غرس شجرة، فعظمت وذهبت كل مذهب، ثم قطعها، ثم جعل يعمل سفينة، ويمرون فيسألونه، فيقول أعملها سفينة، فيسخرُونَ منه ويقولون: تعمل سفينة في البر، فكيف تجرى؟ فيقول: سوف تعلمون. فلما فرغ منها وفار التنور، وكثر الماء في السكك، خشيت أم صبي عليه، وكانت تحبها حباً شديداً، فخرجت إلى الجبل، حتى بلغت ثلثه، فلما بلغها الماء خررت حتى بلغت ثلثي الجبل، فلما بلغت الماء، خررت حتى استوت على الجبل، فلما بلغ الماء رقبتها، رفعت بين يديها حتى ذهب بها الماء، فلكو رحيم الله منهم أحداً لرحيم أم الصبي».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن طول السفينة ثلاث مئة ذراع، وعرضها خمسون ذراعاً، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً، وبابها في عرضها.

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا مبارك، عن الحسن، قال: كان طول سفينة نوح ألف ذراع ومئتي ذراع، وعرضها ست مئة ذراع.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن مفضل بن فضالة، عن علي بن زيد بن جده عن، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، قال: قال الخواريون لعيسى بن مریم: لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة، فحدثنا عنها. قال: فانطلق بهم، حتى انتهى بهم إلى كتيب من تراب، فأخذ كفا من ذلك التراب بكفه، قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا كعب حام بن نوح، قال: فضرب الكتيب بعصاه، قال: قم ياذن الله، فإذا هو قائم ينفخ التراب عن رأسه قد شاب، قال له عيسى: هكذا هلكت؟ قال: لا، ولكن ميت وأنا شاب، ولكني ظننت أنها الساعة، فنم شيت، قال: حدثنا عن سفينة نوح، قال: كان طولها ألف ذراع ومئتي ذراع، وعرضها ست مئة ذراع، وكانت ثلاث طبقات، فطبقة فيها الدواب والوحش، وطبقة فيها الإنس، وطبقة فيها الطير، فلما كثر أرواث الدواب، أوحى الله إلى نوح أن اعجز ذنب الفيل، فغمزه، فوقع منه خنزير وخنزيرة، فأقبلا على الروث، فلما وقع الفأر بجبل السفينة يقرضه، أوحى الله إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد، فخرج من منخره سنور وسنورة، فأقبلا على الفأر، فقال له عيسى: كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت، قال: بعث الغراب يأتيه بالخبر، فوجد جيفة، فوقع عليها، فدعا عليه بالخرف، فلذلك لا يألّف البيوت، قال: ثم بعث الحمامة، فجاءت بورق زيتون بمنقارها، وطين برجلها، فعلم أن البلاد قد غرقت، قال: فطوقها

(١) فائد، بالفاء الموحدة، مولى عبادل. وهو عبيد الله بن علي بن أبي رافع؛ وثقه ابن معين.



الخضرة التي في عنقها ، ودعا لها أن تكون في أنس وأمان ، فمن ثم تألف البيوت ، قال : فقلنا يا رسول الله ، ألا ننطلق به إلى أهلينا ؟ فيجلس معنا ، ويحدثنا ، قال : كيف يتبعكم من لارزق له ؟ قال : فقال له : عد ياذن الله ، قال : فعاد ترابا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن لايتهم ، عن عبيد بن عمير الليثي ، أنه كان يحدث ، أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به ، يعني قوم نوح ، فيختنونه حتى يُغشى عليه ، فإذا أفاق قال : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ، حتى إذا تهادوا في المعصية ، وعظمت في الأرض منهم الخطيئة ، وتطاول عليه وعليهم الشأن ، واشتد عليه منهم البلاء ، وانتظر النجول بعد النجول ، فلا يأتي قرن إلا كان أحب من القرن الذي قبله ، حتى إن كان الأخير منهم ليقول : قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا هكذا مجنوناً ، لا يقبلون منه شيئاً ، حتى شكوا ذلك من أمرهم نوح إلى الله تعالى ، كما قص الله علينا في كتابه ( رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبِلاًّ وَنَهَاراً ، فَلَمَّ يَبْرِدْهُمُ دُعَايَ إِلَّا فِرَاراً ) إلى آخر القصة ، حتى ( قَالَ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ، إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ، وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّاراً ) إلى آخر القصة ، فلما شكوا ذلك منهم نوح إلى الله ، واستنصره عليهم ، أوحى الله إليه ( أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ، وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ) أي بعد اليوم ( لِأَنَّهُمْ مُّصْرَقُونَ ) فأقبل نوح على عمل الفلك ، ولهي عن قومه ، وجعل يقطع الخشب ، ويضرب الحديد ، ويهيئ عُدّة الفلك من القار وغيره ، مما لا يصلح له إلا هو ، وجعل قومه يمرّون به ، وهو في ذلك من عمله ، فيسخرّون منه ، ويستهزئون به ، فيقول ( إِنَّ تَسْخَرُونَ مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَيَحِيلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ) قال : ويقولون له فيما بلغني : يا نوح ، قد صرت نجّاراً بعد النبوة ، قال : وأعقم الله أرحام النساء ، فلا يولد لهم ولد .

قال : ويزعم أهل التوراة أن الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج ، وأن يصنعه أزور ، وأن يطلبه بالقار من داخله وخارجه ، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعاً ، وأن يجعله ثلاثة أطباق : سفلاً ، ووسطاً ، وعلواً ، وأن يجعل فيه كوى ، ففعل نوح كما أمره الله ، حتى إذا فرغ منه ، وقد عهد الله إليه إذا جاء أمرنا وفار التنور ، فأحمل فيها من كل زوجين اثنين ، وأهلك إلا من سبق عليه القول ، ومن آمن ، وما آمن معه إلا قليل ، وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه ، ( ف ) قال ( إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ ، فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ) واركب ، فلما فار التنور ، حمل نوح في الفلك من أمره الله ، وكانوا قليلاً كما قال الله ، وحمل فيها من كل زوجين اثنين ، مما فيه الروح والشجر ذكراً وأنثى ، فحمل فيه بنيه الثلاثة : سام وحام ويافث ونساءهم ، وستة أناس ممن كان آمن به ، فكانوا عشرة نفر ، نوح وبنوه وأزواجهم ، ثم أدخل ما أمره به من الدواب ، وتخلّف عنه ابنه يام ، وكان كافراً .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : سمعته يقول : كان أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب

(١) لمي عن قومه : تشاغل عنهم وانصرف .

الدرّة، وآخر ما حمل الحمار ؛ فلما دخل الحمار وأدخل صدره، مَسَّكَ إبليس بذيبه ، فلم تستقلّ رجلاه ، فجعل نوح يقول : ويحك ادخل ، فينهض فلا يستطيع ، حتى قال نوح : ويحك ! ادخل وإن كان الشيطان معك ؛ قال : كلمة زلّت عن لسانه ، فلما قالها نوح خلّى الشيطان سبيله ، فدخل ودخل الشيطان معه ، فقال له نوح : ما أدخلك عليّ يا عدوّ الله ؟ فقال : ألم تقل : ادخل وإن كان الشيطان معك ؟ قال : اخرج عني يا عدوّ الله ، فقال : مالك بدّ من أن تحملني ، فكان فيما يزعمون في ظهر الفلّك : فلما اطمأنّ نوح في الفلك ، وأدخل فيه من آمن به ، وكان ذلك في الشهر من السنة التي دخل فيها نوح بعد ستّ مئة سنة من عمره ، لسبع عشرة ليلة مضت من الشهر ؛ فلما دخل وحمل معه من حمل ، تحرك ينابيع الغوطة الأكبر ، وفتح أبواب السماء ، كما قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ، وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ، فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ ) فدخل نوح ومن معه الفلك ، وغطاه عليه وعلى من معه بطبقة ، فكان بين أن أرسل الله الماء ، وبين أن احتمل الماء الفلك ، أربعون يوما وأربعون ليلة ، ثم احتمل الماء كما تزعم أهل التوراة ، وكثر الماء واشتدّ وارتفع . يقول الله لمحمد ( وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَّاحِ وَدُسُرٍ ) والدمر : المسامير ، مسامير الحديد ، فجعلت الفلك تجرى به وبمن معه في مروج كالجبال ( وَتَنَادَى نُوحٌ أُمَّتَهُ ) الذي هلك فيمن هلك ، ( وَكَانَ فِي مَعْزَلَ ) حين رأى نوح من صدق موعده به ما رأى ، فقال : ( يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا ، وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ) وكان شقيا قد أضمر كفرا ( قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ) وكان عهيد الجبال وهي حرز من الأمطار إذا كانت ، فظن أن ذلك كما كان يعهد ، قال نوح ( لَاعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ) ، وحال بينهما الموج ، فكان من المغرّقين ) وكثر الماء حتى طغى وارتفع فوق الجبال ، كما تزعم أهل التوراة بخمسة عشر ذراعا ، فباد ما على وجه الأرض من الخلق ، من كل شيء فيه الروح أو شجر ، فلم يبق شيء من الخلائق إلا نوح ومن معه في الفلك ، وإلا عوج بن عتق فيما يزعم أهل الكتاب ، فكان بين أن أرسل الله الطوفان ، وبين أن غاض الماء ، ستة أشهر وعشر ليال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن عليّ بن زيد بن جدعان ، قال ابن حميد ، قال سلمة : وحدثني حسن بن عليّ بن زيد عن يوسف بن مهران ، قال : سمعته يقول : لما آذى نوحا في الفلك عدّة الناس ، أمر أن يمسخ ذنب الفيل ، فسحبه ، فخرج منه خنزيران ، وكفى ذلك عنه ، وإن الفأر توالدت في الفلك ، فلما آذته ، أمر أن يأمر الأسد يعطس ، فعطس ، فخرج من منخريه هران يأكلان عنه الفأر .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ، قال : لما كان نوح في السفينة ، قرص الفأرجبال السفينة ، فشكا نوح ، فأوحى الله إليه ، فمسح ذنب الأسد ، فخرج سينوران ، وكان في السفينة عدّة ، فشكا ذلك إلى ربه ، فأوحى الله إليه ، فمسح ذنب الفيل ، فخرج خنزيران .

(١) الغوط الأكبر : يريد الأراضي المطمئة الواصلة .



حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، قال : ثنا الأسود بن عامر ، قال : أخبرنا سفيان بن سعيد ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثت عن المسيب بن أبي روق ، عن الضحاك ، قال : قال سليمان القتراسي : عمل نوح السفينة في أربع مئة سنة ، وأثبت الساج أربعين سنة ، حتى كان طوله أربع مئة ذراع ، والذراع إلى المنكب .  
القول في تأويل قوله تعالى

( مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ، حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ، قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ، إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ، وَمَنْ آمَنَ ، وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ) .

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه ( فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ) أيها القوم إذا جاء أمر الله ، من هالك ؟ ( مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ) يقول : الذي يأتيه عذاب الله منا ومنكم بينه ويذله ( وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ) يقول : وينزل به في الآخرة مع ذلك عذاب دائم لا انقطاع له ، مقيم عليه أبدا . وقوله ( حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا ) يقول : ويصنع نوح الفلك حتى إذا جاء أمرنا الذي وعدناه أن يجيء قومه ، من الطوفان الذي يغرقهم ، وقوله ( وَفَارَ التَّنُّورُ ) .

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : انبجس الماء من وجه الأرض ، وفار التنور ، وهو وجه الأرض .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن الضحاك ، عن ابن عباس أنه قال في قوله ( وَفَارَ التَّنُّورُ ) قال : التنور : وجه الأرض ، قال : قيل له : إذا رأيت الماء على وجه الأرض ، فاركب أنت ومن معك ، قال : والعرب تسمى وجه الأرض : تننور الأرض .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن العوام ، عن الضحاك ، بنحوه . حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا الشيباني ، عن عكرمة ، في قوله ( وَفَارَ التَّنُّورُ ) قال : وجه الأرض .

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة وسفيان بن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الشيباني ، عن عكرمة ( وَفَارَ التَّنُّورُ ) قال : وجه الأرض .

وقال آخرون : هو تنوير الصبح من قولهم : نور الصبح تنويرا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن عباس مولى أبي جحيفة ، عن أبي جحيفة ، عن علي رضي الله عنه ، قوله ( حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ) قال : هو تنوير الصبح .

حدثنا ابن وكيع وإسحاق بن إسرائيل ، قالوا : ثنا محمد بن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن زياد مولى أبي جحيفة ، عن أبي جحيفة ، عن علي بن قولة (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : تنوير الصبح .  
حدثنا حماد بن يعقوب ، قال : أخبرنا ابن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن مولى أبي جحيفة ، أراه قد سماه عن أبي جحيفة ، عن علي (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : تنوير الصبح .  
حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا هشيم ، عن ابن إسحاق ، عن رجل من قريش ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : طلع الفجر .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن رجل قد سماه ، عن علي بن أبي طالب ، قوله (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : إذا طلع الفجر .  
وقال آخرون : معنى ذلك : وفار على الأرض وأشرف مكان فيها بالماء ، وقال : التنور : أشرف الأرض .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) : كنا نحمدت أنه أعلى الأرض وأشرفها ، وكان عكماً بين نوح وبين ربه .  
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : سمعت قتادة ، قوله (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : أشرف الأرض وأرفعها ، فار الماء منه .  
وقال آخرون : هو التنور الذي يختبئ فيه .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) قال : إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء ، فإنه هلاك قومك .  
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي محمد ، عن الحسن ، قال : كان تنورا من حجارة كان لحواء ، حتى صار إلى نوح ، قال : فقيل له : إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : حين انبجس الماء ، وأمر نوح أن يركب هو ومن معه في الفلك .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : انبجس الماء منه آية أن يركب بأهله ، ومن معه في السفينة .  
حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه ، إلا أنه قال : آية أن يركب أهله ومن معه في السفينة .



حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : آية بأن يركب بأهله ومن معهم في السفينة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : نبع الماء في التنور ، فعلمت به امرأته فأخبرته ، قال : وكان ذلك في ناحية الكوفة .

قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا علي بن ثابت ، عن السري بن إسماعيل ، عن الشعبي أنه كان يخلف بالله ما فار التنور إلا من ناحية الكوفة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الحميد الحمماني ، عن النضر أبي عمر الخزاز ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَفَارَ التَّنُّورُ ) قال : فار التنور بالهند .

حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَفَارَ التَّنُّورُ ) كان آية لنوح إذا خرج منه الماء ، فقد أتى الناس الهلاك والغرق ، وكان ابن عباس يقول في معنى فار : نبع .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَفَارَ التَّنُّورُ ) قال : نبع .

قال أبو جعفر : وفوران الماء سَوْرَةٌ دفعته ، يقال منه : فار الماء يفور فوراً وفوراً ، وذلك إذا سارت دفعته .

وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله ( التَّنُّورُ ) : قول من قال : هو التنور الذي يُخبز فيه ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب ، إلا أن تقوم حجته على شيء منه بخلاف ذلك ، فيسلم لها . وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به ، لإفهامهم معنى ما خاطبهم به . قلنا لنوح حين جاء عذابنا قومه الذي وعدنا نوحاً أن نعذبهم به ، وفار التنور الذي جعلنا فورانه بالماء آية مجيء عذابنا بيننا وبينه هلاك قومه : ( ائْتِمِلْ فِيهَا ) يعني في الفلك ( مِّنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ) يقول : من كل ذكر وأنثى ،

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( مِّنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ) قال : ذكر وأنثى من كل صنف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( مِّنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ) فالواحد زوج ، والزوجين ذكر وأنثى من كل صنف .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( مِّنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ) قال : ذكر وأنثى من كل صنف .

قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ) يقول : من كل صنف اثنين .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ) يعنى بالزوجين اثنين : ذكرا وأنثى .

وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين : الزوجان في كلام العرب : الاثنان ، قال : ويقال عليه زوجا نعال : إذا كانت عليه نعلان ، ولا يقال عليه زوج نعال ، وكذلك عنده زوجا خمم ، وعليه زوجا قيود . وقال : ألا تسمع إلى قوله ( وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ) فلانما هما اثنان .

وقال بعض البصريين من أهل العربية في قوله ( قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ) قال : فجعل الزوجين : الضريين ، الذكور والإناث ، قال : وزعم يونس أن قول الشاعر :

وَأَنْتَ أَمْرٌ تَعْدُو عَلَى كُلِّ غَيْرَةٍ فَتُخَطِّبُ فِيهَا مَرَّةً وَتُصِيبُ ١

يعنى به الذئب ، قال : فهذا أشد من ذلك . وقال آخر منهم : الزوج : اللون ، قال : وكل ضرب يدعى لونا ، واستشهد بيت الأعشى في ذلك :

وَكُلُّ زَوْجٍ مِنَ الدِّيَابِ يَلْبِسُهُ أَبُو قُدَامَةَ مَحْبُوءًا بِذَلِكَ مَعَا ٢

وبقول لبيد :

وَبَدَى بِهَيْجَةٍ كَنَّ الْمُقَانِبَ صَوْبُهُ وَزَيْنَهُ أَزْوَاجُ نَوْرِ مُشْرَبٍ ٣

وذكر أن الحسن قال في قوله ( وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ) السماء زوج ، والأرض زوج ، والشتاء زوج ، والصيف زوج ، والليل زوج ، والنهار زوج ، حتى يصير الأمر إلى الله الفرد ، الذى لا يشبهه شيء .

وقوله ( وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ) يقول : واحل أهلك أيضا فى الفلك . يعنى بالأهل : ولده ونساءه وأزواجه ، إلا من سبق عليه القول ، يقول : إلا من قلت فيهم إني مهلكه مع من أهلك من قومك .

(١) هذا البيت من شواهد يونس النحوى على أن العرب قد تطلق لفظ المرء على الذئب ، وأصله للرجل . أورده صاحب اللسان فى ( مرأ ) شاهدا على ذلك . ونقله المؤلف حاكيا لما يقوله بعض البصريين فى تفسير قوله تعالى : « من كل زوجين اثنين » أن المراد اثنان من ضربين مختلفين : ذكر وأنثى ، وهذا بخلاف قول الكوفيين إن المراد من الزوجين : الاثنان مطلقا ، قال البصريون : وليس إطلاق الزوجين على الذكر والأنثى من أى صنف ، بأبعد من إطلاق الشاعر العربى كلمة ( المرء ) على الذئب ، كما فى البيت الذى استشهد به يونس على ذلك .

(٢) هذا البيت أورده ( اللسان : زوج ) منسوباً للأعشى ، شاهدا على أن معنى الزوج : اللون ، كما فى التهذيب للأزهري . والبيت فى ديوان الأعشى طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ، وهو التاسع والأربعون فى قصيدة له ، يمدح بها هود بن علف الحنفى . صاحب الإمامة ( انظر أخباره ص ١٠٠ وما بعدها من الديوان ) . وقوله : « وكل زوج » : معطوف على قوله قبله « له أكاليل بالياقوت زينها » . . . الخ وهو مما حياه به ملك فارس حين قدم عليه .

(٣) البيت فى ديوان لبيد ( طبعة فينا ص ٣٨ ) وفيه « أطراف نبت » ، ويروى « ألوان نور » . يصف غيثا بأنه ذو هيجة ونبات حسن ذى أزهار ملونة ريانة من الماء ، وقد طال حتى ستر مقانب الحليل .



ثم اختلفوا في الذي استثناه الله من أهله ، فقال بعضهم : هو بعض نساء نوح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ( وأهلك إلا من سبق عليه القول ) قال : العذاب . هي امرأته كانت من الغابرين في العذاب .  
وقال آخرون : بل هو ابنة الذي غرق .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المسيب ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، في قوله ( وأهلك إلا من سبق عليه القول ) قال : ابنه غرق فيمن غرق .

وقوله ( وما آمن معه إلا قليل ) يقول : واحمل معهم من صدقتك واتبعك من قومك ، يقول الله ( وما آمن معه إلا قليل ) يقول : وما أقر بوحداية الله مع نوح من قومه إلا قليل .

واختلفوا في عدد الذين كانوا آمنوا معه ، فحملهم معه في القلک ، فقال بعضهم في ذلك : كانوا ثمانية أنفس :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وأهلك إلا من سبق عليه القول ) قال : ذكر لنا أنه لم يتم في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنيه ، ونساؤهم ، فجميعهم ثمانية .

حدثنا ابن وكيع والحسن بن عرفة ، قالا : ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية ، عن أبيه ، عن الحكم ( وما آمن معه إلا قليل ) قال : نوح ، وثلاثة بنيه ، وأربع كنائه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : حدثت أن نوحا حمل معه بنيه الثلاثة وثلاث نسوة لبنيه ، وامرأة نوح ، فهم ثمانية بأزواجهم وأسماؤهم : يافث ، و سام ، وحام ، وأصاب حام زوجته في السفينة ، فدعا نوح أن يغير نطفته ، فجاء بالسودان .  
وقال آخرون : بل كانوا سبعة أنفس .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ( وما آمن معه إلا قليل ) قال : كانوا سبعة : نوح ، وثلاث كنان له ، وثلاثة بنين .  
وقال آخرون : كانوا عشرة سوى نساءهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما فار التنور ، حمل نوح في الفلك من أمره الله به ، وكانوا قليلا كما قال الله ، فحمل بنيه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ، ونساءهم ، وستة أسماء ممن كان آمن ، فكانوا عشرة نفر ، بنوح وبنيه وأزواجهم .

وقال آخرون : بل كانوا ثمانين نفسا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس : حمل نوح معه في السفينة ثمانين إنسانا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، كان بعضهم يقول : كانوا ثمانين ، يعني القليل الذي قال الله ( وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ) .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : ثنى حسين بن واقد الخراساني ، قال : ثنى أبو تهبك ، قال : سمعت ابن عباس يقول : كان في سفينة نوح ثمانون رجلا ، أحدهم جرهم .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال كما قال الله ( وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ) : يصفهم بأنهم كانوا قليلا ، ولم يحدد عددهم بمقدار ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح ، فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حد الله ، إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله ، أو أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ وَقَالَ أَزْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ، إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤١)

يقول تعالى ذكره : وقال نوح : اركبوا في الفلك بسم الله مجراها ومرساها . وفي الكلام محذوف قد استغنى بدلالة ما ذكر من الخبر عليه عنه ، وهو قوله ( قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ، وَمَنْ آمَنَ ، وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ) ، فحملهم نوح فيها ، وقال لهم : اركبوا فيها ، فاستغنى بدلالة قوله ( وَقَالَ أَزْكَبُوا فِيهَا ) عن حمله إياهم فيها ، فترك ذكره . واختلفت القراء في قراءة قوله ( بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ) فقراءته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ( بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ) بضم الميم في الحرفين كليهما . وإذا قرئ كذلك ، كان من أجرى وآرسي ، وكان فيه وجهان من الإعراب : أحدهما الرفع بمعنى : « بسم الله » إجراؤها وإرساؤها ، فيكون المُجْرَى والمُرْسَى مرفوعين حينئذ بالباء التي في قوله ( بِسْمِ اللَّهِ ) والآخر النصب ، بمعنى : بسم الله عند إجرائها وإرسائها ، أو وقت إجرائها وإرسائها ، فيكون قوله بسم الله : كلاما مكتفيا بنفسه ، كقول القائل عند ابتدائه في عمل يعمله : باسم الله ، ثم يكون المُجْرَى والمُرْسَى منصوبين على ما نصبت العرب قولهم : الحمد لله سرارك وإهلالك ، يعنون الهلال : أوله وآخره ، كأنهم قالوا : الحمد لله أول الهلال وآخره ، ومسموع منهم أيضا : الحمد لله ما إهلالك إلى سرارك . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ( بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ) بفتح الميم من مجراها ، وضمها من مرساها ، فجعلوا مجراها مصدرا ، من جرى يجرى مجرى ،



ومُرساها: من أرسى يُرسي إرساء. وإذا قرئ ذلك كذلك كان في إعرابها من الوجهين، نحو الذي فيها إذا قرئا: مُجرأها ومُرساها، بضم الميم فيهما على ما بينت.

وروى عن أبي رجاء العطاردي، أنه كان يقرأ ذلك (بسم الله مُجربها ومُرسياها) بضم الميم فيهما، وبصيرهما نعتا لله، وإذا قرئا كذلك، كان فيهما أيضا وجهان من الإعراب، غير أن أحدهما الخفض، وهو الأغلب عليهما من وجهي الإعراب.

لأن معنى الكلام على هذه القراءة: بسم الله مُجربى الفلك ومُرسياها، فالجُربى: نعت لاسم الله. وقد يحتمل أن يكون نصبا، وهو الوجه الثاني، لأنه يحسن دخول الألف واللام في المُجربى والمُرسى، كقولك بسم الله المُجربيا والمُرسيا، وإذا حذفنا نصبتا على الحال، إذ كان فيهما معنى النكرة، وإن كانا مضافين إلى المعرفة. وقد ذكر عن بعض الكوفيين أنه قرأ ذلك مُجرأها ومُرساها، بفتح الميم فيهما جميعا، من جرى ورسا: كأنه وجهه إلى أنه في حال جربها، وحال رسوها، وجعل كلتا الصفتين للفعل، كما قال عنزة:

فَصَصَبْتُ نَفْسًا عِنْدَ ذَلِكَ حَرَّةً تَرَسُّو إِذَا نَفَسُ الْجَبَانِ تَطَلَّعُ

والقراءة التي نختارها في ذلك: قراءة من قرأ (بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَأَهَا) بفتح الميم (ومُرساها) بضم الميم، بمعنى: بسم الله حين تجرى وحين تُرسي. وإنما اخترت الفتح في ميم مُجرأها لقرب ذلك من قوله (وهي تجرى بهم في مَرَجٍ كالجبال) ولم يقل: مُجربى بهم، ومن قرأ (بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَأَهَا) كان الصواب على قراءته أن يقرأ: وهي تجرى بهم. وفي إجماعهم على قراءة تجرى بفتح التاء، دليل واضح على أن الوجه في مُجرأها فتح الميم. وإنما اخترنا الضم في مُرساها لإجماع الحجة من القراء على ضمها، ومعنى قوله (مُجرأها): مسيرها. (ومُرساها): وقفها، من وقفها الله وأرساها. وكان مجاهد يقرأ ذلك بضم الميم في الحرفين جميعا.

حدثني المنفى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَأَهَا وَمُرساها) قال: حين يركبون ويُجربون ويُرسون.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَأَهَا وَمُرساها) قال: بسم الله حين يُجربون وحين يُرسون.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: ثنا أبو روق، عن الضحاك، في قوله (ارْكَبُوا

(١) البيت أورده (اللسان: صبر). قال: ولو حبس رجل نفسه على شيء يريده قال: صبرت نفسي، قال عنزة يذكر حربا كان فيها: «فصبرت عارفة لذلك حرة... الخ. قال أبو عبيد: يقول: إنه حبس نفسه. وهذه الرواية جاء البيت في شعر عنزة: (مختار الشعر الجاهل طبعة مطبعة الخليلي ص ٣٩٢) ومعنى صبرت عارفة: حبست نفسي عارفة، أي صابرة، تصبر للشدائد، ولا تنكرها وترسو: تثبت وتستقر، ولا تتطلع إلى الخلق جينا وفزعا، كما تتطلع نفس الجبان. ومحل الشاهد فيه: أن بعض الكوفيين قرأ قوله تعالى (بسم الله مُجرأها ومرساها) بفتح الميم فيهما، من جرى يجرى، ورسا يرسو.

فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) قال: إذا أراد أن ترمى قال: بسم الله، فأرست، وإذا أراد أن تجرى قال بسم الله، فجرت:

وقوله (إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول: إن ربي لسائر ذنوب من تاب وأتاب إليه، رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة.

القول في تأويل قوله تعالى

وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَأَجْبَالٍ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ: يَدْعِي أَرْكَبَ مَعْنًا، وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢)

يعني تعالى ذكره بقوله (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ) والفلك تجرى بنوح ومن معه فيها (فِي مَوْجٍ كَأَجْبَالٍ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) يام (وكان في معزلة) عنه، لم يركب معه الفلك (يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا) الفلك، (وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ).

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: سَتَأُوذَى إِلَى جِبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ، وَحَالَ يَنْهَمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُنْفَرِقِينَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره: قال ابن نوح لما دعاه نوح إلى أن يركب معه السفينة، خوفا عليه من الغرق: (سَأُوذَى إِلَى جِبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) يقول: سأصير إلى جبل أتحصن به من الماء، فيمنعني منه أن يغرقني، ويعني بقوله (يَعْصِمُنِي) يمنعي، مثل عصام القربة الذي يشد به رأسها، فيمنع الماء أن يسيل منها: وقوله (لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ): يقول: لا مانع اليوم من أمر الله الذي قد نزل بالخلق، من الغرق والهلاك، إلا من رحمتنا، فأنقذنا منه، فإنه الذي يمنع من شاء من خلقه ويعصم، فن في موضع رفع، لأن معنى الكلام: لا عاصم يعصم اليوم من أمر الله، إلا الله.

وقد اختلف أهل العربية في موضع «مَنْ» في هذا الموضع، فقال بعض نحوي الكوفة: هو في موضع نصب، لأن المعصوم بخلاف العاصم، والمرحوم معصوم، قال: كأن نصبه بمنزلة قوله (مَا لَكُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ) قال: ومن استجاز اتباع الظن، والرفع في قوله:

وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسٌ إِلَّا الْيَعْفِيرُ وَإِلَّا الْعَيْسُ<sup>١</sup>

(١) البيت بمران العمود الحميري: وهو من شواهد النحويين (غزاة الأدب الكبرى للبندادي ٤: ١٩٧) على أن الاستثناء في البيت منقطع، لأن اليعافير والعيس، ليسا من نوع المستثنى منه وهو الأنيس. ولعرب في مثل هذا مذهبان، فالعجزيون ينصبون المنقطع، على الاستثناء، وبنو تميم يرفعونه على البدلية مما قبله. والبلدة: القلعة من الأرض. والأنيس: المؤنس من الناس. واليعافير: جمع يعفور: هو ولد الظبية، وولد البقرة الوحشية أيضا. وقيل: هو تيس الغنم. والعيس: إبل بيض، يخالط بياضها شقرة، جمع عيس وعيساء.



لم يجز له الرفع في « مَن » ، لأن الذي قال : إلا اليعاقب ، جعل أنيس البر اليعاقب وما أشبهها ، وكذلك قوله : إلا اتباع الظن ، يقول علمهم ظن . قال : وأنت لا يبرز لك في وجه أن تقول : المعصوم هو عاصم في حال ، ولكن لو جعلت العاصم في تأويل معصوم ، لامعصوم اليوم من أمر الله ، لجاز رفع « مَن » . قال : ولا ينكر أن يخرج المفعول على فاعل ، ألا ترى قوله ( مَن ماء دافق ) معناه ، والله أعلم : مدفوق ، وقوله في عيشة راضية ، معناها مرضية : قال الشاعر .

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُغْيَتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي<sup>١</sup>

ومعناه : المكس . وقال بعض نحويي البصرة : ( لا عاصم اليوم مَن أمر الله إلا مَن رحيم ) : على لكن مَن رحم ، ويجوز أن يكون على : لا إذا عصمة : أي معصوم ، ويكون إلا من رحم رفعا ، بدلا من العاصم . ولا وجه لهذه الأقوال التي حكيناها عن هؤلاء ، لأن كلام الله تعالى إنما يوجه إلى الأفضح الأشهر من كلام مَن نزل بلسانه ، ما وجِد إلى ذلك سبيل ، ولم يضطرنا شيء إلى أن نجعل عاصما في معنى معصوم ، ولا أن نجعل « إلا » بمعنى لكن ، إذ كنا نجد لذلك في معناه ، الذي هو معناه في المشهور من كلام العرب ، سخرجا صحيفا ، وهو ما قلنا من أن معنى ذلك : قال نوح : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحنا ، فأنجنا من عذابه ، كما يقال : لا منجى اليوم من عذاب الله إلا الله ، ولا مطعم اليوم من طعام زيد إلا زيد ، فهذا هو الكلام المعروف ، والمعنى المفهوم .

وقوله ( وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ) يقول : وحال بين نوح وابنه موج الماء ، فغرق ، فكان ممن أهلكه الله بالغرق من قوم نوح ، صلى الله عليه وسلم .

انقول في تأويل قوله تعالى

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ، وَيَسْمَأْ أَقْلَعِي، وَغِيضَ الْمَاءِ، وَقُضِيَ الْأَمْرُ، وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ، وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤)

يقول الله تعالى ذكره : وقال الله للأرض بعد ماتناهي أمره في هلاك قوم نوح ، بما أهلكهم به من الغرق : ( يا أرض ابْلَعِي مَاءَكِ ) : أي تشتربي ، من قول القائل : بلع فلان كذا يبْلَعُه ، أو بلعه يبْلَعُه : إذا ازدرده ( وَيَسْمَأْ أَقْلَعِي ) يقول : أقلعي عن المطر أمسكي ( وَغِيضَ الْمَاءِ ) ذهبت به الأرض ونشفت ( وَقُضِيَ الْأَمْرُ ) يقول : قضى أمر الله ، ففضى بهلاك قوم نوح ( وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ) : يعني الفلْك استوت : أرسى على الجودي ، وهو جبل فيما ذكر بناحية الموصل أو الجزيرة . ( وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) يقول : قال الله : أبعد الله القوم الظالمين ، الذين كفروا بالله من قوم نوح .

(١) البيت للحطية (السان : كسا) . واختلف العلماء في قوله : « الطاعم الكاسي » فقال سيبويه هو محمول على التسب ، أي ذو كسوة . وقال ابن سيده : وقد ذكرنا في غير موضع ، أن الشيء إنما يحمل على التسب إذا عدم الفعل . وقول الحطية : « الطاعم الكاسي » أي المكتسى ، لأنه يقال : كسى العريان ، ولا يقال : كسا . وقال الفراء : الكاسي يعنى المكسو ، كقولك ماء دافق ، وعيشة راضية .

(٢) الفعل من باب تعب وفتح ، ومصدر الأول بفتح اللام وإسكانها ، ومصدر الثاني بالإسكان فقط . ( انظر المصباح المنير ) .

حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي ، قال : ثنا المخاربي ، عن عثمان بن مطر ، عن عبد العزيز بن عبد الغفور ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ رَكِبَ نُوحٌ السَّفِينَةَ ، فَصَامَ هُوَ وَجَمِيعٌ مِنْ مَعَهُ ، وَجَرَّتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، فَاِنْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الْمُحَرَّمِ ، فَأَرَسَتْ السَّفِينَةُ عَلَى الْجُودِيِّ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَصَامَ نُوحٌ ، وَأَمَرَ جَمِيعٌ مِنْ مَعَهُ مِنْ الْوَحْشِ وَالِدَوَابِّ ، فَصَامُوا شُكْرًا لِلَّهِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : « كانت السفينة أعلاها للطير ، ووسطها للناس ، وفي أسفلها السباع ، وكان طولها في السماء ثلاثين ذراعا ، دفعت من عين وردة<sup>١</sup> يوم الجمعة لعشر ليال مضين من رجب ، وأرست على الجودي يوم عاشوراء ، ومرت بالبيت ، فطافت به سبعا ، وقد رفعه الله من الغرق ، ثم جاءت اليمن ، ثم رجعت » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن قتادة ، قال : « هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرم ، فقال لمن معه : من كان منكم اليوم صائما فليتم صومه ، ومن كان مفطرا فليصم » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس قال : كان في زمن نوح شبر من الأرض لا إنسان يدعيه<sup>٢</sup> .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنها ، يعني الفلك استقلت بهم في عشر خلون من رجب ، وكانت في الماء خمسين ومئة يوم ، واستقرت على الجودي شهرا ، وأهبط بهم في عشر من المحرم يوم عاشوراء .

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله ( وَغِيضَ الْمَاءِ ) ، وَقَضِيَ الْأَمْرُ ، وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ) قال أهل التأويل : ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ( وَغِيضَ الْمَاءِ ) قال : نقص . ( وَقَضِيَ الْأَمْرُ ) قال : هلاك قوم نوح .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :

قال : قال ابن جريج ( وَغِيضَ الْمَاءِ ) نَشِيفَتِ الْأَرْضُ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( يَا سَاءَ أَقْلِعِي ) يقول : أمسكى . ( وَغِيضَ الْمَاءِ ) يقول : ذهب الماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَغِيضَ الْمَاءِ ) الغيوض : ذهاب الماء ( وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ) .

(١) في معجم البلدان لياقوت (٦ : ٢٥٨) طبع القاهرة : عين الوردة ، وهو رأس عين المشجورة بالجزيرة .

(٢) لعله : ما كان في زمن نوح شبر من الأرض لإنسان يدعيه .



حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن رقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وأستوتت على الجودي ) قال : جبل بالجزيرة ، تشاخصت الجبال من الغرق ، وتواضع هو لله فلم يفرق ، فأرسيته عليه .  
حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وأستوتت على الجودي ) قال : الجودي : جبل بالجزيرة ، تشاخصت الجبال يومئذ من الغرق و تطاولت ، وتواضع هو لله فلم يفرق ، وأرسيته سفينة نوح عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وأستوتت على الجودي ) يقول : على الجبل ، واسمه الجودي .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ( وأستوتت على الجودي ) قال : جبل بالجزيرة ، شمخت الجبال وتواضع حين أرادت أن ترفأ عليه سفينة نوح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وأستوتت على الجودي ) أبقاها الله لنا بوادي أرض الجزيرة عبرة وآية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ( وأستوتت على الجودي ) : هو جبل بالموصل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نوحا بعث الغراب لينظر إلى الماء ، فوجد جيفة ، فوقع عليها ، فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ، فأعطيت الطوق الذي في عنقها ، وخضاب رجلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أراد الله أن يكف ذلك ، يعني الطوفان ، أرسل ريحا على وجه الأرض ، فسكن الماء ، واستدتت بناييع الأرض الغمر الأكبر ، وأبواب السماء ، يقول الله تعالى ( وقيل يا أرض ابلعي ماءك ، ويا سماء اقلعي ) . . . إلى ( بعدد القوم الظالمين ) فجعل ينقص ويغيض ويدبر ، وكان استواء الفلك على الجودي ، فيما يزعم أهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه ، في أول يوم من الشهر العاشر ، رُئي رعوس الجبال ؛ فلما مضى بعد ذلك أربعون يوما فتح نوح كوة الفلك التي صنع فيها ، ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء ، فلم يرجع إليه ، فأرسل الحمامة فرجعت إليه ، ولم يجد لرجلها موضعا ، فبسط يده للحمامة ، فأخذها ، ثم مكث سبعة أيام ، ثم أرسلها لتنظر له ، فرجعت حين أمست وفي فيها ورق زيتونة ، فعلم نوح أن الماء قد قلّ عن وجه الأرض ، ثم مكث سبعة أيام ، ثم أرسلها فلم ترجع ، فعلم نوح أن الأرض قد برزت ، فلما كملت السنة فيما بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن أرسل نوح الحمامة ودخل يوم واحد من الشهر الأول من سنة اثنين ، برزوجه الأرض ، فظهر اليبس ، وكشف نوح غطاء الفلك ، ورأى وجه الأرض : وفي الشهر الثاني من سنة اثنين

في سبع وعشرين ليلة منه، قيل لنوح ( اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُمَتَّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ) .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول : تزعم أناس أن من غرق من الولدان : مع آبائهم ، وليس كذلك ، إنما الولدان بمنزلة الطير ، وسائر من أغرق الله بغير ذنب ، ولكن حضرت آجالهم ، فأتوا لآجالهم ، والمدركون من الرجال والنساء كان الغرق عقوبة من الله لهم في الدنيا ، ثم مصيرهم إلى النار .

القول في تأويل قوله تعالى

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ ، فَقَالَ : رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي ، وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ، وَأَنْتَ أَحْكَمُ  
الْحَكَمِينَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : ونادى نوح ربه ، فقال : رب إنك وعدتني أن تنجيني من الغرق والهلاك وأهلي ، وقد هلك ابني ، وابني من أهلي ( وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ) الذي لا تخلف له ( وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ ) بالحق ، فاحكم لي ، بأن تفي بما وعدتني ، من أن تنجي لي أهلي ، وترجع إلى ابني . كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ ) قال : أحكم الحاكمين بالحق .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تَسْتَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ،  
إِنِّي أَعْظُمُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)

يقول الله تعالى ذكره : قال الله : يا نوح ، إن الذي غرقته فأهلكته ، الذي تذكر أنه من أهلك ، ليس من أهلك . واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( لَيْسَ مِن أَهْلِكَ ) فقال بعضهم : معناه : ليس من ولدك ، هو من غيرك ، وقالوا : كان ذلك من حيث .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن ، في قوله ( إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ ) قال : لم يكن ابنه .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالوا : ثنا يحيى بن يمان ، عن شريك ، عن جابر ، عن أبي جعفر ( وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ ) قال : ابن امرأته .



حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أصحاب ابن أبي عَرَبَةَ فِيهِمُ الْحَسَنُ ، قال : لا والله ما هو بابنه .

قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ( وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ) قال : هذه بلغة طيء ، لم يكن ابنه ، كان ابن امرأته .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ومنصور ، عن الحسن في قوله ( إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي أَهْلِيكَ ) قال : لم يكن ابنه ، وكان يقرؤها ( إِنَّهُ سَمِعِلْ غَيْرَ صَالِحٍ ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : كنت عند الحسن فقال : نادى نوح ابنه : لعمر الله ما هو ابنه . قال : قلت يا أبا سعيد يقول ( وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ) وتقول : ليس بابنه ؟ قال : أفرأيت قوله ( إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي أَهْلِيكَ ) قال : قلت إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك ، ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه ، قال : إن أهل الكتاب يكذبون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : سمعت الحسن يقرأ هذه الآية ( إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي أَهْلِيكَ ، إِنَّهُ سَمِعِلْ غَيْرُ صَالِحٍ ) فقال عند ذلك : والله ما كان ابنه ، ثم قرأ هذه الآية : ( فخاننآهُمَا ) قال سعيد : فذكرت ذلك لقتادة ، قال : ما كان ينبغي له أن يحلف :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ) قال : تبين لنوح أنه ليس بابنه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ) قال : بين الله لنوح أنه ليس بابنه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله : حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال ابن جريج في قوله ( وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ) قال : ناداه وهو يحسبه أنه ابنه ، وكان وليد علي فراشه . حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ثور ، عن أبي جعفر ، ( إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي أَهْلِيكَ ) قال : لو كان من أهله لنجا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، وسمع عبيد بن عمير يقول : نرى أن ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم « الْوَالِدُ لِلْفِرَاشِ » : من أجل ابن نوح .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ابن عون ، عن الحسن ، قال : لا ، والله ما هو بابنه : وقال آخرون : معنى ذلك : ( لَيْسَ مِنِّي أَهْلِيكَ ) الذين وعدتك أن أنجيهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالوا : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبي عامر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ) قال : هو ابنه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، قال : ثنا أبو عامر ، عن الضحاك ، قال : قال ابن عباس : هو ابنه ، ما بَغَتِ امرأة نبيَّ قطُّ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي عامر الهمداني ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن ابن عباس ، قال : ما بَغَتِ امرأة نبيَّ قطُّ ، قال : وقوله ( إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي أَهْلِكَ ) : الذين وعدتكَ أن أنجيهم معك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة وغيره ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : هو ابنه ، غير أنه خالفه في العمل والنية ، قال عكرمة في بعض الحروف : إنه عمل عملاً غير صالح ، والخيانة تكون على غير باب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان عكرمة يقول : كان ابنه ، ولكن كان مخالفاً له في النية والعمل ، فمن ثم قيل له ( إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي أَهْلِكَ ) :

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري وابن عيينة ، عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قتيبة<sup>١</sup> ، قال : سمعت ابن عباس يُسْتَلُّ وهو إلى جنب الكعبة ، عن قول الله تعالى ( فحانئناهما ) قال : أمّا إنه لم يكن بالزنا ، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون ، وكانت هذه تدل على الأضياف ، ثم قرأ ( إِنَّهُ سَمِعَ لُغْيُ صَالِحٍ ) .

قال ابن عيينة وأخبرني عمار الدهني<sup>٢</sup> أنه سأل سعيد بن جبير ، عن ذلك فقال : كان ابن نوح ، إن الله لا يكذب ، قال ( وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ) قال : وقال بعض العلماء : ما فجرت امرأة نبي قط :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمار الدهني ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال الله وهو الصادق ، وهو ابنه ، ( وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سعيد ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس ، قال : ما بَغَتِ امرأة نبيَّ قطُّ .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : سألت أبا بشر ، عن قوله ( إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي أَهْلِكَ ) قال : ليس من أهل دينك ، وليس ممن وعدتكَ أن أنجيهم :

قال يعقوب : قال هشيم : كان عامة ما كان يحدثنا أبو بشر : عن سعيد بن جبير :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن يعقوب بن قيس ، قال : أتى سعيد بن جبير رجلاً فقال : يا أبا عبد الله ، الذي ذكر الله؟ في كتابه ابن نوح ، ابنه هو؟ قال : نعم ، والله إن نبي الله أمره أن يركب معه في السفينة فعصى ، فقال ( سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ) قال يا نوح إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي أَهْلِكَ إِنَّهُ سَمِعَ لُغْيُ صَالِحٍ ( لمعصية نبي الله :

(١) في تاج العروس : قته كصبة : أم سليمان بن حبيب المحاربي التميمي ، المشهور ، يعرف بابن قته . وفي الخلاصة للخزرجي : سليمان بن حبيب المحاربي ، أبو أيوب الداراني قاضي دمشق من سنة إحدى إلى أن مات سنة ٢٦١ وثقه ابن معين والنسائي .

(٢) راو كوفي ، وثقه أحمد وأبو حاتم . مات سنة ١٣٣ هـ .



حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، عن أبي معاوية البجلي ، عن سعيد ابن جبير : أنه جاء إليه رجل فسأله فقال : أرأيتك ابن نوح : أبنه ؟ فسيح طويلا ثم قال : لا إله إلا الله ، يحدث الله محمدا ( نادى نوح أبنته ) وتقول ليس منه ، ولكن خالفه في العمل ، فليس منه من لم يؤمن . حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عسبة ، عن أبي هارون الغنوي ، عن عكرمة ، في قوله ( ونادى نوح أبنته ) قال : أشهد أنه ابنه ، قال الله ( ونادى نوح أبنته ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة قالا : هو ابنه . حدثني فضالة بن الفضل الكوفي ، قال : قال بزيع : سألت رجل الضحاك ، عن ابن نوح ، فقال : ألا تعجبون إلى هذا الأحمق ، يسألني عن ابن نوح ، وهو ابن نوح ، كما قال الله : قال نوح لابنه . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك أنه قرأ ( ونادى نوح أبنته ) . وقوله ( ليس من أهلِكَ ) قال : يقول : ليس هو من أهلِكَ ، قال : يقول : ليس هو من أهل ولايتك ، ولا من وعدتك أن أنجي من أهلِكَ ( إنهُ سَمَلٌ غيرُ صالحٍ ) قال : يقول : كان عمله في شرك . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : هو والله ابنه لصلبه . حدثني المنثي ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله ( ليس من أهلِكَ ) قال : ليس من أهل دينك ، ولا من وعدتك أن أنجيهِ ، وكان ابنه لصلبه . حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( قال يانوح إنهُ ليس من أهلِكَ ) يقول : ليس ممن وعدناه النجاة . حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( إنهُ ليس من أهلِكَ ) يقول : ليس من أهل ولايتك ، ولا من وعدتك أن أنجي من أهلِكَ ( إنهُ سَمَلٌ غيرُ صالحٍ ) يقول : كان عمله في شرك . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا خالد بن حيان ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون ، وثابت بن الحجاج قالا : هو ابنه وكلد على فراشه .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : تأويل ذلك : إنه ليس من أهلِكَ الذين وعدتك أن أنجيهم ، لأنه كان لدينك مخالفا ، وبني كافرا ، وكان ابنه ، لأن الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه ابنه ، فقال ( ونادى نوح أبنته ) وغير جائز أن يخبر أنه ابنه ، فيكون بخلاف ما أخبر ، وليس في قوله ( إنهُ ليس من أهلِكَ ) دلالة على أنه ليس بابنه ، إذ كان قوله ( ليس من أهلِكَ ) محتملا من المعنى ما ذكرنا ، ومحتملا أنه ليس من أهل دينك ، ثم يحذف الدين فيقال : إنه ليس من أهلِكَ كما قيل ( وأسأل القرية التي كُنَّا فيها ) .

وأما قوله ( إنهُ سَمَلٌ غيرُ صالحٍ ) فإن القراء اختلفت في قراءته ، فقراءته عامة قراء الأمصار ( إنهُ سَمَلٌ غيرُ صالحٍ ) بتنوين عمل ، ورفع غير . واختلف الذين قرءوا ذلك في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : إن مسألتك إياي هذه : عمل غير صالح

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ( إِنَّهُ سَمِعَ غَيْرُ صَالِحٍ ) قال : إن مسألتك إياي هذه عمل غير صالح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إِنَّهُ سَمِعَ غَيْرُ صَالِحٍ ) أي سوء ( فَلَا تَسْأَلُنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ) .

حدثني المنفي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّهُ سَمِعَ غَيْرُ صَالِحٍ ) يقول : سؤالك عما ليس لك به علم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن حمزة الزيات ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قوله ( إِنَّهُ سَمِعَ غَيْرُ صَالِحٍ ) قال : سؤالك إياي عمل غير صالح ( فَلَا تَسْأَلُنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ) .

وقال آخرون : بل معناه : إن الذي ذكرت أنه ابنك ، فسألتني أن أنجيته عمل غير صالح : أي أنه لغير رشدة ، وقالوا : الهاء في قوله ( إِنَّهُ ) عائدة على الابن .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ابن أبي عَرُوبَةَ ، عن قتادة ، عن الحسن : أنه قرأ ( سَمِعَ غَيْرُ صَالِحٍ ) قال : ما هو والله بابه .

وروى عن جماعة من السلف أنهم قرءوا ذلك ( إِنَّهُ سَمِعَ غَيْرُ صَالِحٍ ) على وجه الخبر عن الفعل الماضي ، وغير منصوبة . ومن روى عنه أنه قرأ ذلك كذلك ابن عباس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سليمان بن قتتة ، عن ابن عباس : أنه قرأ ( سَمِعَ غَيْرُ صَالِحٍ ) ووجهوا تأويل ذلك إلى ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا غُندَرُ ، عن ابن أبي عَرُوبَةَ ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( إِنَّهُ سَمِعَ غَيْرُ صَالِحٍ ) : قال : كان مخالفا له في النية والعمل ، ولا نعلم هذه القراءة قرأ بها أحد من قرء الأمصار إلا بعض المتأخرين ، واعتل في ذلك بخبر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قرأ ذلك كذلك ، غير صحيح السند ، وذلك حديث روى عن شهر بن حوشب ، فرآه يقول عن أم سلمة ، ومرة يقول عن أسماء بنت يزيد ، ولا نعلم لبنت يزيد ، ولا نعلم لشهر سمعا يصح عن أم سلمة .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ما عليه قرء الأمصار ، وذلك رفع عمل بالتنوين ، ورفع غير ، يعني أن سؤالك إياي ما تسألتني في ابنك ، المخالف دينك ، الموالى أهل الشرك في ، من النجاة من الهلاك ، وقد مضت إجابتي إياك في دعائك ( لَا تَنْذِرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ) ما قد مضى ، من غير استثناء أحد منهم : عمل غير صالح ، لأنه مسألة منك إلى أن لا أفعل ما قد تقدم مني القول بأن أفعله في إجابتي ، مسألتك إياي فعله ، فذلك هو العمل غير الصالح . وقوله ( فَلَا تَسْأَلُنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ) :



نهى من الله تعالى؛ ذكّره نبيه نوحاً أن يسأله عن أسباب أفعاله، التي قد طوى علمها عنه وعن غيره من البشر؛ يقول له تعالى ذكره: إني يا نوح قد أخبرتك عن سؤالك سبب إهلاكى ابنك الذى أهلكته، فلا تسألن بعدها عما قد طوّرت علمه عنك من أسباب أفعالى، وليس لك به علم، إني أعظك أن تكون من الجاهلين فى مسألتك إياى عن ذلك.

وكان ابن زيد يقول فى قوله (إنى أعظك أن تكون من الجاهلين) ما حدثنى به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (إنى أعظك أن تكون من الجاهلين): أن تبلغ الجهالة بك أن لا آفى لك بوعد وعدتك، حتى تسألنى ما ليس لك به علم. (وإلا تغفّر لى وترحمينى أكن من الخاسرين).

واختلفت القراءة فى قراءة قوله (فلا تسألن ما ليس لك به علم): فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار: (فلا تسألن ما ليس لك به علم) بكسر النون وتخفيفها، ونحوها بكسرها إلى الدلالة على الياء التى هى كناية اسم الله (فلا تسألن). وقرأ ذلك بعض المكين، وبعض أهل الشام (فلا تسألن) بتشديد النون وفتحها، بمعنى: فلا تسألن يا نوح ما ليس لك به علم. والصواب من القراءة فى ذلك عندنا: تخفيف النون وكسرها، لأن ذلك هو الفصحى من كلام العرب، المستعمل بينهم.

#### القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ، وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره مخبراً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عن إنابة نوح عليه السلام بالتوبة إليه من زلته، فى مسأله التى سأها ربه فى ابنه، (قال رب إنى أعود بك): أى أستجير بك أن أتكلف مسألتك (ما ليس لى به علم)، مما قد استأثرت بعلمه، وطويت علمه عن خلقك، فاغفر لى زلتى فى مسألتى إياك، وإن أنت لم تغفرها لى وترحمى، فتتخذنى من غضبك (أكن من الخاسرين) يقول: من الذين غبّوا أنفسهم حظوظها وهلكوا.

#### القول فى تأويل قوله تعالى

قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ، وَأُمَّمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨)

يقول تعالى ذكره (يا نوح اهبط) من الفلك إلى الأرض (بسلام منّا) يقول: بأمن منا، أنت ومن

معك من إهلاكنا (وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ) يقول : وبركات عليك <sup>١</sup> (وَعَلَىٰ أُمَّمٍ يَمُنُّ مَعَكَ) يقول : وعلى قرون تجيء من ذرية من معك من ولدك ، فهؤلاء المؤمنون من ذرية نوح ، الذين سبقت لهم من الله السعادة ، وبارك عليهم قبل أن يخلقهم في بطون أمهاتهم ، وأصلاب آبائهم . ثم أخبر تعالى ذكره نوحا عما هو فاعل بأهل الشقاء من ذريته ، فقال له (وَأُمَّمٌ) يقول : وقرون ، وجماعة (سَنُمَتَّعُهُمْ) في الحياة في الدنيا . يقول : نرزقهم فيها ما يمتنعون به ، إلى أن يبلغوا آجالهم (مِمَّنْ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : ثم نذيقهم إذا وردوا علينا عذابا مؤلما موجعا .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّمٍ يَمُنُّ مَعَكَ) . . . إلى آخر الآية ، قال : دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة ، ودخل في ذلك العذاب والمتاع كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود الحفري <sup>٢</sup> ، عن سفیان ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّمٍ يَمُنُّ مَعَكَ) قال : دخل في السلام كل مؤمن ومؤمنة ، وفي الشرك كل كافر وكافرة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك قراءة عن ابن جريج (وَعَلَىٰ أُمَّمٍ يَمُنُّ مَعَكَ) يعني ممن لم يولد ، قد قضى البركات لمن سبق له في علم الله وقضائه السعادة (وَأُمَّمٌ سَنُمَتَّعُهُمْ) : من سبق له في علم الله وقضائه الشقاوة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج بنحوه ، إلا أنه قال : (وَأُمَّمٌ سَنُمَتَّعُهُمْ) متاع الحياة الدنيا ، ممن قد سبق له في علم الله وقضائه الشقاوة . قال : ولم يهلك الولدان يوم غرق قوم نوح بذنب آبائهم كالطير والسباع ، ولكن جاء أجلهم مع الغرق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّمٍ يَمُنُّ مَعَكَ) ، وَأُمَّمٌ سَنُمَتَّعُهُمْ) قال : هبطوا والله عنهم راض ، هبطوا بسلام من الله ، كانوا أهل رحمة من أهل ذلك الدهر ، ثم أخرج منهم نسلا بعد ذلك أمما ، منهم من رحيم ، ومنهم من عذب ، وقرأ (وَعَلَىٰ أُمَّمٍ يَمُنُّ مَعَكَ) ، وَأُمَّمٌ سَنُمَتَّعُهُمْ) وذلك إنما افتقرت الأمم من تلك العصابة التي خرجت من ذلك الماء وسلمت .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّمٍ يَمُنُّ مَعَكَ) . . .

(١) لعله : وبركات عليك .

(٢) هو عمر بن سعد الحفري ، بالتحريك ، كوفي ، وثقه ابن معين (مات سنة ٢٠٣) .



الآية ، يقول : بركات عليك وعلى أمم ممن معك لم يُولدوا ، أوجب الله لهم البركات ، لما سبق لهم في علم الله من السعادة ( وَأُمَمٌ سَنُمَتَّعُهُمْ ) يعني : متاع الحياة الدنيا ( ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ) لما سبق لهم في علم الله من الشقاوة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن ، أنه كان إذا قرأ سورة هود ، فأتى على ( يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ) حتى ختم الآية ، قال الحسن : فأنجى الله نوحا والذين آمنوا ، وهلك المتمتعون ، حتى ذكر الأنبياء ، كل ذلك يقول : أنجاه الله ، وهلك المتمتعون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( سَنُمَتَّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ) قال : بعد الرحمة .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : أخبرنا عبد الله بن شوذب ، قال : سمعت داود ابن أبي هند يحدث عن الحسن : أنه أتى على هذه الآية ( اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ، وَأُمَمٌ سَنُمَتَّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ) قال : فكان ذلك حين بعث الله عادا ، فأرسل إليهم هودا ، فصدقه مصدقون ، وكذبه مكذبون ، حتى جاء أمر الله ، فلما جاء أمر الله تنجى الله هودا والذين آمنوا معه ، وأهلك الله المتمتعين ، ثم بعث الله ثمود ، فبعث إليهم صالحا ، فصدقه مصدقون ، وكذبه مكذبون ، حتى جاء أمر الله ، فلما جاء أمر الله تنجى الله صالحا والذين آمنوا معه ، وأهلك الله المتمتعين ، ثم استقرأ الأنبياء نبيا نبيا على نحو من هذا .

القول في تأويل قوله تعالى

تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ

هَذَا ، فَاصْبِرْ ، إِنَّ الْمُتَّقِينَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : هذه القصة التي أنبأتك بها من قصة نوح وخبره وخبر قومه ( مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ) يقول : هي من أخبار الغيب ، التي لم تشهد لها فتعلمها . ( نُوحِيهَا إِلَيْكَ ) : يقول : نوحيا إليك نحن ، فنعرفكها ( مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ) الوحي الذي نوحيه إليك ، فاصبر على القيام بأمر الله ، وتبليغ رسالته ، وما تلقى من مشركي قومك ، كما صبر نوح . ( إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ) يقول : إن الخير من عواقب الأمور لمن اتقى الله ، فأدى فرائضه ، واجتنب معاصيه ، فهم الفائزون بما يؤملون من النعيم في الآخرة ، والظفر في الدنيا بالطلبية ، كما كانت عاقبة نوح ، إذ صبر لأمر الله ، أن نجّاه من الهلكة مع من آمن به ، وأعطاه في الآخرة ما أعطاه من الكرامة ، وغرّق المكذابين به ، فأهلكهم جميعهم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ) القرآن ، وما كان علم محمد صلى الله عليه وسلم وقومه ما صنع نوح وقومه ، لولا ما بين الله في كتابه ؟

القول في تأويل قوله تعالى

وَالِإِلَٰهِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ، قَالَ : يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنَّ أَنْتُمْ لِمُفْتَرُونَ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هودا ، فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له دون ما تعبدون من دونه من الآلهة والأوثان (مالككم من إله غيرهُ) يقول : ليس لكم معبود يستحق العباداة عليكم غيره ، فأخلصوا له العباداة ، وأفردوه بالآلوهة (إن أنتم إلا مفترون) يقول : ما أنتم في إشراككم معه الآلهة والأوثان إلا أهل فرية مكذبون ، تختلقون الباطل ، لأنه لا إله سواه .

القول في تأويل قوله تعالى

يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ؛ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ؛ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ (٥١)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل هود لقومه : يا قوم لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العباداة لله ، وخلع الأوثان ، والبراءة منها ، جزاء وثوابا . (إن أجرى إلا على الذي فطرني) يقول : إن ثوابي وجزائي على نصيحتي لكم ، ودعائكم إلى الله ، إلا على الذي خلقني (أفلا تعقلون) يقول : أفلا تعقلون أني لو كنت أبتغي بدعايتكم إلى الله غير النصيحة لكم ، وطلب الحظ لكم في الدنيا والآخرة ، لالتفت منكم على ذلك بعض أعراض الدنيا ، وطلبت منكم الأجر والثواب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إن أجرى إلا على الذي فطرني ) : أي خلقني .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ، ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ، وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ، وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل هود لقومه (ويا قوم استغفروا ربكم) يقول : آمنوا به حتى



يغفر لكم ذنوبكم ، والاستغفار : هو الإيمان بالله في هذا الموضع ، لأن هودا صلى الله عليه وسلم إنما دعا قومه إلى توحيد الله ، ليغفر لهم ذنوبهم ، كما قال نوح لقومه ( اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَوْيَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ، وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ) ، وقوله ( ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ ) يقول : ثم توبوا إلى الله من سالف ذنوبكم وعبادتكم غيره بعد الإيمان به . ( يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ) : يقول : فإنكم إن آمنتم بالله وتبتم من كفركم به ، أرسل قطر السماء عليكم يُدِرّ لكم الغيث في وقت حاجتكم إليه ، ونحيا بلادكم من الجذب والقحط .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( مِدْرَارًا ) يقول : يتبع بعضها بعضا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله « يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا » قال : يدِرّ ذلك عليهم قطرا ومطرا .

وأما قوله ( وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ) فإن مجاهدا كان يقول في ذلك ، ما حدثني به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ) قال : شدة إلى شدتكم .

حدثني المنفي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد وإسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، فذكر مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ) : قال : جعل لهم قوة ، فلو أنهم أطاعوه ، زادهم قوة إلى قوتهم ، وذكر لنا أنه إنما قيل لهم ( وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ) قال : إنه قد كان انقطع النسل عنهم سنين ، فقال هود لهم : إن آمنتم بالله أحيا الله بلادكم ، ورزقكم المال والولد ، لأن ذلك من القوة . وقوله ( وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ) يقول : ولا تدبروا عما أذعوكم إليه من توحيد الله ، والبراءة من الأوثان والأصنام . مجرمين ، يعني كافرين بالله .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ، وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ ، وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : قال قوم هود لهود : يا هود ما أتيتنا ببيان ولا برهان على ما تقول ، فنسلم لك ، ونقر بأنك صادق فيما تدعوننا إليه من توحيد الله ، والإقرار بنبوتك . ( وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا ) : يقول :

وما نحن بتاركى آلهتنا يعنى لقولك : أو من أجل قولك ( وَمَا نَحْنُ كَلِكِ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول : قالوا : وما نحن لك بما تدعى من النبوة والرسالة من الله إلينا بمصدقين .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ، قَالَ: إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيٌّ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ ، فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ، ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ (٥٥)

وهذا خبر من الله تعالى ذكره، عن قول قوم هود إنهم قالوا له، إذ نصح لهم، ودعاهم إلى توحيد الله وتصديقه، وخلع الأوثان والبراءة منها: لا نترك عبادة آلهتنا، وما نقول إلا أن الذى حملك على ذمها، والنهى عن عبادتها، أنه أصابك منها خبيل من جنون، فقال هود لهم: إني أشهد الله على نفسى، وأشهدكم أيضا أيها القوم، أنى برىء مما تشركون فى عبادة الله من آلهتكم وأوثانكم، من دونه. ( فكيدونى جميعاً ) يقول : فاحتالوا أنتم جميعاً وآلهتكم فى ضررى ومكروهمى. ( ثم لا تنظرون ) يقول : ثم لا تؤخرون ذلك، فانظروا هل تنالوننى أنتم وهم بما زعمتم أن آلهتكم نالنى به من السوء .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( اعترأك بعض آلهتنا بسوء ) قال : أصابك الأوثان بجنون .  
حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( اعترأك بعض آلهتنا بسوء ) قال : أصابك الأوثان بجنون .  
حدثنى المنثى ، قال : ثنا ابن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن عيسى ، عن مجاهد ( إلا اعترأك بعض آلهتنا بسوء ) قال : سببت آلهتنا وعبتها ، فأجنتك .  
قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( اعترأك بعض آلهتنا بسوء ) أصابك بعض آلهتنا بسوء : يعزرون الأوثان .  
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( إن نقول إلا اعترأك بعض آلهتنا بسوء ) قال : أصابك الأوثان بجنون .  
حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( إن نقول إلا اعترأك بعض آلهتنا بسوء ) قال : تصيبك آلهتنا بالجنون .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( إلا اعترأك بعض آلهتنا بسوء ) قال : ما يملك على ذم آلهتنا ، إلا أنه أصابك منها سوء .



حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( **إِن نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ** ) قال : إنما تصنع هذا بألفتنا أنها أصابتك بسوء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير : أصابتك آلفتنا بشر .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( **إِن نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ** ) يقولون : نخشى أن يصيبك من آلفتنا سوء ، ولا نجب أن تعتريك ، يقولون : يصيبك منها سوء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( **إِن نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ** ) يقولون اختلط عقلك فأصابك هذا مما صنعت بك آلفتنا . وقوله ( **اعْتَرَاكَ** ) افتعل ، من عراني الشيء يعرفون : إذا أصابك ، كما قال الشاعر :

مِنَ الْقَوْمِ يَعْرُوهُ اجْتِرَاءً وَمَأْتَمٌ<sup>١</sup>

القول في تأويل قوله تعالى

**إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِن رَّبِّي عَلَىٰ**

**صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦)**

يقول : إني على الله الذي هو مالكي وما لكم ، والقيم على جميع خلقه توكلت ، من أن تصيبوني أنتم وغيركم من الخلق بسوء ، فإنه ليس من شيء يدب على الأرض إلا والله مالكه وهو في قبضته وسلطانه دليل له خاضع .

فإن قال قائل : وكيف قيل : هو آخذ بناصيتها ، فخص بالأخذ الناصية دون سائر أماكن الجسد ؟ قيل : لأن العرب كانت تستعمل ذلك في وصفها من وصفته بالذلة والخضوع ، فنقول ماناصية فلان إلا بيد فلان ، أي أنه له مطيع يصرفه كيف شاء ، وكانوا إذا أسروا الأسير ، فأرادوا إطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليعتدوا بذلك عليه فخرا عند المفاخرة ، فخطبهم الله بما يعرفون في كلامهم ، والمعنى ما ذكرت . وقوله ( **إِن رَّبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ) يقول : إن ربي على طريق الحق ، يجازي المحسن من خلقه بإحسانه ، والمسيء باسأته لا يظلم أحدا منهم شيئا ، ولا يقبل منهم إلا الإسلام والإيمان به .

(١) هذا شطر بيت لأبي غرashed الهذلي ، وصدره :

**تَذَكَّرَ ذَحَلًا عِنْدَنَا وَهُوَ فَاتِكُ**

(بجاء القرآن لأبي عبيدة الجزء الأول ص ٢٩٠) وفيه اجترأ في موضع اجترام . قال أبو عبيدة : اعتراك : وهو افتعلك من عروته ، أي أصابك . وفي ديوان الهذليين ( ٢ : ١٤٧ ) : يعروه : يعتره ، أي يلم به . وفاتك مقدم على الأمر . ويقال للرجل إذا كان جريئا على الأمر : فاتك .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( إن رَّبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) الحق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ، وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ ،  
وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ، إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٧)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبل هود لقومه ( فَإِنْ تَوَلَّوْا ) يقول : فان أدبروا معرضين عما أدعوهم إليه من توحيد الله ، وترك عبادة الأوثان ( فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ ) أيها القوم ( مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ) وما على الرسول إلا البلاغ . ( وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ ) : يهلككم ربي ، ثم يستبدل ربي منكم قوماً غيركم ، يوحدونه ، ويخلصون له العبادة ( وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ) يقول : ولا تقدرين له على ضرر ، إذا أراد إهلاككم أو أهلككم . وقد قيل : لا يضره هلاككم إذا أهلككم ، لا تنقصونه شيئاً ، لأنه سواء عنده كنتم أو لم تكونوا . ( إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ) يقول : إن ربي على جميع خلقه ذو حفظ وعلم ، يقول : هو الذي يحفظني من أن تنالوني بسوء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا جَاءَ أُمَّرُنَا نَجِينًا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ، وَنَجِّنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : ولما جاء قوم هود عذابنا ( نَجِينًا ) منه ( هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا ) بالله ( مَعَهُ ) بِرَحْمَةٍ مِنَّا ) يعني بفضل منه عليهم ونعمة ( وَنَجِّنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ) يقول : نجيناهم أيضاً من عذاب غليظ يوم القيامة ، كما نجيناهم في الدنيا من السخطة التي أنزلتها بعاد .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِبَيِّنَاتٍ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩)

يقول تعالى ذكره : وهؤلاء الذين أحلنا بهم نعمتنا وعذابنا عاد ، جحدوا بأدلة الله وحججه ، وعصوا رسله الذين أرسلهم إليهم ، للدعاء إلى توحيدهم واتباع أمره ( وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ) : يعني كل مستكبر على الله ، حائد عن الحق ، لا يدعن له ولا يقبله ، يقال منه : عَنَّدَ عن الحق ، فهو يَعْنِدُ عُنُودًا ، والرجل عائد وعنود ، ومن ذلك قيل للعرق الذي ينفجر فلا يرقأ : عرق عائد : أي صار ، ومنه

(١) العائد : العرق الذي يسيل دمه ولا يرقأ . وقوله صار : تفسير بالأبعد ؛ ولعل اللفظ محرف عن صار ، بالصاد ، أي يسمع له صوت ، أو عن دار ، أي غزير الدم .



قول الراجز :

إِنِّي كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْعُنْدَ

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ) : المشرك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأْتِبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ، أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمٍ

هُودٍ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : وأتبع عاد قوم هود في هذه الدنيا غضبا من الله وسخطة يوم القيامة ، مثلها لعنة إلى اللعنة التي سلفت لهم من الله في الدنيا ، ألا إن عادا كفروا ربهم ( أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ ) يقول : أبعدهم الله من الخير ، يقال : كفر فلان ربه ، وكفر بربه ، وشكرت لك وشكرتك . وقيل : إن معنى كفروا ربهم : كفروا نعمة ربهم .

القول في تأويل قوله تعالى

\* وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ، قَالَ : يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنشَأَكُمْ

مِنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَ كُمْ فِيهَا ، فَاسْتَفِرُّوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١)

يقول تعالى ذكره : وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا ، فقال لهم يا قوم : اعبدوا الله وحده لا شريك له ، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الآلهة ، فما لكم من إله غيره ، يستوجب عليكم العبادة ، ولا تجوز الألوهة إلا له ( وَهُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ) يقول : هو ابتداء خلقكم من الأرض ، وإنما قال ذلك لأنه خلق آدم من الأرض ، فخرج الخطاب لهم ، إذ كان ذلك فعله بمن هم منه ( وَأَسْتَعْمَرَ كُمْ فِيهَا ) يقول : وجعلكم عمارة فيها ، فكان المعنى فيه : أسكنكم فيها أيام حياتكم من قوهم : أعمر فلان فلانا داره وهي له عمري ٢ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

(١) البيت في (اللسان : عند) ، ولم يفسه . قال : عند عن الشيء والطريق يعند (كضرب ويقتل) عنودا ، فهو عنود . وعند عندا (من باب فرج) : تباعد وعدل . وناقعة عنود : لا تخالط الإبل ، تباعد عن الإبل ، فترعى ناحية أبدا والجمع عند وعائد وعائدة ، وجمعها جميعا : عوائد وعند . قال :

إِذَا رَحَلْتُ فَاجْعَلُونِي وَسَطًا      إِنِّي كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْعُنْدَ

يعنى من الإبل . وهو مع أشطار أخرى في الانتصاب ص ٤١٥ بدون عزو ، وفي الجمهرة لابن دريد (٢١ : ٢٣٨) وهذان البيتان من مشطور الرجز ، وفيهما من عيوب الثقافية : الإكفاء ، لأنه جمع بين الطاء والذال ، نبه عليه صاحب اللسان .

(٢) عمري بوزن بشري : أى ينتفع بها طول عمره ، ثم ترد بعده إلى ما لكها الأول .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( وَأَسْتَعْمَرَ كُمْ فِيهَا ) قال : أعمركم فيها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَأَسْتَعْمَرَ كُمْ فِيهَا ) يقول : أعمركم .

وقوله ( فَاسْتَغْفِرُوهُ ) يقول : اعملوا عملا يكون سببا لستر الله عليكم ذنوبكم وذلك الإيمان به ، وإخلاص العبادة له دون ماسواه ، واتباع رسوله صالح . ( ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ ) يقول : ثم اتركوا من الأعمال ما يكرهه ربكم إلى ما يرضاه ويحبه ( إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ) يقول : إن ربي قريب من أخلص له العبادة ، وورغ إليه في التوبة ، مجيب له إذا دعاه .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا : أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا

لِنَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : قالت ثمود لصالح نبيهم : ( ياصالح لقد كنت فينا مرجوًّا ) : أي كنا نرجو أن تكون فينا سيِّداً ( قَبْلَ هَذَا ) القول الذي قلته لنا ، من أنه مالنا من إله غير الله . ( أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ) يقول : أنهنانا أن نعبد الآلهة التي كانت آباؤنا تعبد ( وَإِنَّا لِنَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ) يعنون أنهم لا يعلمون صحة ما يدعوهم إليه من توحيد الله ، وأن الألوهة لا تكون إلا له خالصا ، وقوله ( مُرِيبٍ ) أي يوجب التهمة ، من أربته ، فأنا أربيه لإرابة ، إذا فعلت به فعلا يوجب له الريبة ، ومنه قول الهذلي :

كُنْتُ إِذَا أَتَوْتُهُ مِنْ غَيْبٍ يَشْمُ عِطْفِي وَيَبْزُ ثَوْبِي

كَأَنَّمَا أَرَبْتُهُ بِرَيْبٍ

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً ، فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ

اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ، فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : قال صالح لقومه من ثمود ( يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ ) على برهان وبيان من الله قد علمته وأيقنته ( وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً ) يقول : وآتاني منه النبوة والحكمة والإسلام ( فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ

(١) هذه ثلاثة أبيات من مشطور الرجز ، أوردتها (اللسان : أتي) ونسبها إلى خالد بن زهير ، وأورد قبلها بيتا رابعا ، وهو قوله : « يا قوم مالي وأبا ذؤيب » : قال : ويقال : أتوته أتوا : لغة في أتيت . والعطف : المنكب ، وعطفا الرجل والدابة جانباه ، عن يمين وشمال ، وشقاء ، من لدن رأسه إلى وركه ، والجمع : أعطاف ، وعطاف وعطوف . ويز ثوبى : يجذبه إليه .



مِنَ اللَّهِ إِنَّ عَصِيَّتُهُ) يقول: فمن الذي يدفع عني عقابه إذا عاقبني إن أنا عصيته، فيخلصني منه، فما تزيدونني بعذركم الذي تعتقدون به، من أنكم تعبدون ما كان يعبد آباؤكم، غير تحسير لكم بتحسيركم حظوظكم من رحمة الله.

كما حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (قفا تزيدونني غير تحسير) يقول: ما تزدادون أنتم إلا خسارا.

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقَوْمٍ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ، فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ، وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ، فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود: إذ قالوا له: وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب. وسألوه الآية على ما دعاهم إليه (يا قوم هذه ناقة الله لكم آية) يقول: حجة وعلامة، ودلالة على حقيقة ما أدعوكم إليه، (فذرورها تأكل في أرض الله) فليس عليكم رزقها ولا مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) يقول: لا تقتلوها ولا تنالوها بعقر (فياخذكم عذاب قريب) يقول: فإنكم إن تمسوها بسوء يأخذكم عذاب من الله غير بعيد فيهلككم.

القول في تأويل قوله تعالى

فَعَقَرُوهَا، فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥)

يقول تعالى ذكره، فعقرت ثمود ناقة الله. وفي الكلام محذوف قد ترك ذكره، استغناء بدلالة الظاهر عليه، وهو: فكذبوه فعقروها، فقال لهم صالح (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام) يقول: استمتعوا في دار الدنيا بحياتكم ثلاثة أيام (ذلك وعد غير مكذوب) يقول: هذا الأجل الذي أجلتكم: وعد من الله، وعدكم بانقضائه الهلاك، ونزول العذاب بكم. غيره كذوب، يقول: لم يكذبكم فيه من أعلمكم ذلك. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ). وذُكِرَ لنا أن صالحا حين أخبرهم أن العذاب أتاهم، لبسوا الأنطاع والأكسية، وقيل لهم: إن آية ذلك أن تصفروا ألوانكم أول يوم، ثم تحمروا في اليوم الثاني، ثم تسودوا في اليوم الثالث. وذُكِرَ لنا أنهم لما عقروا الناقة ندموا وقالوا: عليكم الفصيل، فصعد الفصيل القارة، والقارة الجبل، حتى إذا كان اليوم الثالث، استقبل القبلة وقال: يارب أي، يارب أي ثلاثا، قال: فأرسلت الصيحة عند ذلك.

وكان ابن عباس يقول: لو صعدتم القارة، لرأيتم عظام الفصيل، وكانت منازل ثمود بجحجر، بين الشام والمدينة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ) قال : بقية آجالهم .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : أن ابن عباس قال : لو صعدتم على القارة لرأيتم عظام الفصيل .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦)

يقول تعالى ذكره : فلما جاء ثمود عذابنا ( نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ) به ( مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ) يقول : بنعمة وفضل من الله ( وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ) يقول : ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذله بذلك العذاب . ( إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ ) في بطشه إذا بطش بشيء أهلكه ، كما أهلك ثمود حين بطش بها العزيز ، فلا يغلبه غالب ، ولا يقهره قاهر ، بل يغلب كل شيء ويقهره .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ) قال : نجاه الله برحمة منا ، ونجاه من خزي يومئذ .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة قال : قلنا له : حدثنا حديث ثمود ، قال : أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمود : « كانت ثمود قوم صالح ، أعمارهم الله في الدنيا ، فأطال أعمارهم ، حتى جعل أحدهم يبني المسكن من المدر ، فينهدم ، والرجل منهم حي ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا قريهين ، فنحتوها وجوفوها ، وكانوا في سعة من معاشهم ، فقالوا : يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا آية ، نعلم أنك رسول الله ، فدعا صالح ربه ، فأخرج لهم الناقة ، فكان شربها يوما ، وشربهم يوما معلوما ، فإذا كان يوم شربها خلدوا عنها وعن الماء وحلبوها لبنا ، ملثوا كل إناء ووعاء وسقاء ، حتى إذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء ، فلم تشرب منه شيئا ، فملثوا كل إناء ووعاء وسقاء ، فأوحى الله إلى صالح : أن قومك سيَعْقِرُونَ نَاقَتَكَ ، فقال لهم ، فقالوا : ما كنا لنفعل ، فقال : إلا تعقروها أنتم يوشك أن يولد فيكم مولود ، قالوا : ما علامة ذلك المولود ، فوالله لانبجده إلا قتلناه ، قال فإنه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر . قال : وكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان ، لأحدهما ابن يرغب به عن المناكح ، وللآخر ابنة لا يجدها كفوًا ، فجمع بينهما مجلس ، فقال أحدهما لصاحبه : ما يمنعك أن تزوج ابنك ؟ قال : لأجد له كفوًا ، قال : فإن ابنتي كفو له ، وأنا أزوجك ، فزوجه ، فولد بينهما ذلك المولود . وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون في الأرض ، ولا



يصلحون ، فلما قال لهم صالح : إنما يعقروها مولود فيكم ، اختاروا ثمانى نسوة قوايل من القرية ، وجعلوا معهن شُرطاً كانوا يطوفون في القرية ، فإذا وجدوا المرأة مُتمخّص ، نظروا ما ولدها : إن كان غلاماً قلبته ، فنظروا ما هو ، وإن كانت جارية أعرضن عنها ، فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة ، وقلن هذا الذى يريد رسول الله صالح ، فأراد الشرط أن يأخذوه ، فحال جدّاه بينهم وبينه ، وقالوا : لو أن صالحاً أراد هذا قتلناه ، فكان شرّ مولود ، وكان يشبّ في اليوم شباب غيره في الجمعة ، ويشبّ في الجمعة شباب غيره في الشهر ، ويشبّ في الشهر شباب غيره في السنة ، فاجتمع الثمانية الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وفيهم الشيخان ، فقالوا نستعمل علينا هذا الغلام ، لمزلته وشرف جدّيه ، فكانوا تسعة . وكان صالح لا ينام معهم في القرية ، كان في مسجد يقال له مسجد صالح ، فيه بيت بالليل ، فإذا أصبح أنهم ، فوعظهم وذكرهم ، وإذا أمسى خرج إلى مسجده فبات فيه . قال حجاج ، وقال ابن جرير : لما قال لهم صالح : إنه سيولد غلام يكون هلاككم على يديه ، قالوا فكيف تأمرنا ؟ قال : أمركم بقتلهم ، فقتلوهم إلا واحداً ، قال : فلما بلغ ذلك المولود قالوا : لو كنا لم نقتل أولادنا ، لكان لكل رجل منا مثل هذا ، هذا عمل صالح ، فأتمروا بينهم بقتله ، وقالوا : نخرج مسافرين والناس يروننا عكلاًنية ، ثم نرجع من ليلة كذا ، من شهر كذا وكذا ، فنرصده عند مصلاه ، فنقتله ، فلا يحسب الناس إلا أنا مسافرون كما نحن . فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه ، فأرسل الله عليهم الصخرة ، فرضختهم ، فأصبحوا رَضَخاً ، فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم ، فإذا هم رَضَخ ، فرجعوا يصيحون في القرية : أى عباد الله ، أما رضى صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم ، حتى قتلهم ، فاجتمع أهل القرية على قتل الناقة أجمعون ، وأحجموا عنها إلا ذلك الابن العاشر ، ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وأرادوا أن يمكروا بصالح ، فمشّوا ، حتى أتوا على سرب على طريق صالح ، فاخْتَبَأَ فيه ثمانية ، وقالوا : إذا خرج علينا قتلناه ، وأتينا أهله فبيّتناهم ، فأمر الله الأرض ، فاستوت عليهم ، قال : فاجتمعوا ومشّوا إلى الناقة وهى على حوضها قائمة ، فقال الشقى لأحدهم : اتبها فاعقرها ، فأناها ، فتعاطمه ذلك ، فأضرب عن ذلك ، فبعث آخر ، فأعظم ذلك ، فجعل لا يبعث رجلاً إلا تعاطمه أمرها ، حتى مشّوا إليها ، وتطاول فضرب عُرْقُوبِئِهَا ، فوقع تركض ، وأتى رجل منهم صالحاً ، فقال أدرك الناقة فقد عقرت ، فأقبل ، وخرجوا يتلقونه ، ويعتذرون إليه : يا نبي الله ، إنما عقرها فلان ، إنه لا ذنب لنا ، قال : فانظروا هل تُدْرِكُون فضيلها ؟ فإن أدركتموه ، فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب ، فخرجوا يطلبونه ، ولما رأى الفضيل أمه تضطرب ، أتى جبلاً يقال له القارة قصيرا ، فصعد وذهبوا ليأخذوه ، فأوحى الله إلى الجبل ، فطال في السماء ، حتى ما يناله الطير . قال : ودخل صالح القرية ، فلما رآه الفضيل بكى ، حتى سالت دموعه ، ثم استقبل صالحاً ، فَرَعَا رَعْوَةً ، ثم رَعَا أُخْرَى ، ثم رَعَا أُخْرَى ، فقال صالح لقمومه : لكل رَعْوَةٌ أَجْلٌ يَوْمَ ( تَمْتَعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ذَلِكَ وَعِنْدُ غَيْرِ مَكْنُودٍ ) ألا إن آية العذاب أن اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرة ، واليوم الثانى محمرة ، واليوم الثالث مسودة ، فلما أصبحوا فإذا وجوههم كأنها طلييت بالخلوق ، صغيروهم وكببرهم ، ذكرهم وأنثاهم ، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم :



ألا قد مضى يوم من الأجل ، وحضركم العذاب ؛ فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة ، كأنها خُصِبت بالدماء ، فصاحوا وضجروا وبكروا وعرفوا آية العذاب ، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم : ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب ؛ فلما أصبحوا اليوم الثالث فإذا وجوههم مسودة ، كأنها طُلِيت بالقار ، فصاحوا جميعا : ألا قد حضركم العذاب ، فتكفنوا وتحنطوا ، وكان حنوطهم الصبر والمغتر ، وكانت أكفانهم الأنطاع ، ثم ألقوا أنفسهم بالأرض ، فجعلوا يقلبون أبصارهم ، فينظرون إلى السماء مرة ، وإلى الأرض مرة ، فلا يدرون من حيث يأتيهم العذاب ، من فوقهم من السماء أو من تحت أرجلهم من الأرض ، خسفاً وغرقاً ؛ فلما أصبحوا اليوم الرابع ، أتتهم صيحة من السماء ، فيها صوت كل صاعقة ، وصوت كل شيء له صوت في الأرض ، فتقطعت قلوبهم في صدورهم ، فأصبحوا في دارهم جاثمين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : حدثت أنه لما أخذتهم الصيحة ، أهلك الله من بين المشارق والمغرب منهم ، إلا رجلاً واحداً كان في حرّم الله ، منعه حرّم الله من عذاب الله ، قيل : ومن هو يا رسول الله ؟ قال أبو رغال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود لأصحابه « لا يدخلن أحد منكم القرية ، ولا تشربوا من ما فيها ، وأراهم مرتقى الفصيل حين ارتقى في القارة » .

قال ابن جريج ، وأخبرني موسى بن عقيب ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود ، قال : « لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ، أن يصيبكم ما أصابهم » .

قال ابن جريج : قال جابر بن عبد الله « أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى على الحجر ، حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فلا تسألوا رسولكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوهم الآية ، فبعث الله لهم الناقة ، فكانت ترد من هدا الفج ، وتصدر من هدا الفج ، فتشرب ماء هم يوم ورودها » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا : أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما مرّ بوادي ثمود ، وهو عامد إلى تبرك ، قال : فأمر أصحابه أن يسرعوا السير ، وأن لا ينزلوا به ، ولا يشربوا من مائه ، وأخبرهم أنه واد ملعون . قال : وذُكر لنا أن الرجل الموسر من قوم صالح كان يعطي المعسر منهم ما يتكفنون به ، وكان الرجل منهم يتلحد لنفسه ولأهل بيته ، لميعاد نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وحدث من رآهم بالطرق والأفنية والبيوت ، فيهم شبان وشيوخ ، أبقاهم الله عبرة وآية .

حدثنا إسماعيل بن المتوكل الأشجعي من أهل حمص ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا عبد الله بن واقد ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، قال : ثنا أبو الطفيل ، قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبرك ، نزل الحجر فقال : « يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوهم نبيهم أن يبعث لهم آية ، فبعث الله لهم الناقة آية ، فكانت تليج عليهم » .



يَوْمَ وُرُودِهِمْ الَّذِي كَانُوا يَتَرَوْنَ مِنْهُ ، ثُمَّ يَحْلُبُوهَا مِثْلَ مَا كَانُوا يَتَرَوْنَ مِنْ مَائِهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ لَبَنًا ، ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ الْفَجَّ ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَعَقَرُوهَا ، فَوَعَدَهُمْ اللهُ الْعَذَابَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَكَانَ وَعْدًا مِنَ اللهِ غَيْرَ مَكْذُوبٍ ، فَأَهْلَكَ اللهُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ، إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللهِ ، فَتَنَعَهُ حَرَمُ اللهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ ، قَالُوا : وَمَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : أَبُو رِغَالٍ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ، فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمِينَ . (٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ، أَلَا إِنَّ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ، أَلَا بُعْدًا لِّتَمُودَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : وأصاب الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله ، من عقر ناقة الله وكفرهم به ، الصيحة ، ( فأصبحوا في ديارهم جاثمين ) قد جثمتهم المنايا ، وتركهم تمودا بأفئدتهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فأصبحوا في ديارهم جاثمين ) يقول : أصبحوا قد هلكوا ( كأن لم يَغْنَوْا فيها ) يقول : كأن لم يعيشوا فيها ، ولم يُعَمَّرُوا بها . كما حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( كأن لم يَغْنَوْا فيها ) كأن لم يعيشوا فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

وقد بينا ذلك فيما مضى بشواهد فإغنى ذلك عن إعادته .

وقوله ( أَلَا إِنَّ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ) يقول : أَلَا إِنَّ تَمُودَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ، فَجَحَدُوا بِهَا ( أَلَا بُعْدًا لِّتَمُودَ ) يقول : أَلَا بُعْدَ اللهُ تَمُودَ ، لِنُزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ، قَالُوا : سَلَامًا ، قَالَ : سَلَامٌ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ

بِعِجْلِ حَنِيذٍ (٦٩)

يقول تعالى ذكره ( وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا ) من الملائكة ، وهم فيها ذُكِرَ كَانُوا جَبْرَائِيلَ وَمَلَائِكِينَ آخَرِينَ . وقيل إن الملكين الآخرين كانا ميكائيل وإسرافيل معه ( إِبْرَاهِيمَ ) يعني إبراهيم خليل الله ( بِالْبُشْرَى ) بالبخارة .

يعني : بالبشارة . واختلفوا في تلك البشارة التي أتوه بها ، فقال بعضهم : هي البشارة بإسحاق ، وقال بعضهم : هي البشارة بهلاك قوم لوط ( قَالُوا سَلَامًا ) يقول : فسلموا عليه سلاما ، ونصب سلاما بإعمال قالوا فيه ، كأنه

قيل: قالوا قولاً، وسلّموا تسليماً (قال سلام) يقول: قال إبراهيم لهم: سلام، فرفع سلام، بمعنى عليكم السلام، أو بمعنى سلام منكم. وقد ذُكِرَ عن العرب أنها تقول: سلّم، بمعنى السلام، كما قالوا: حِلَّ وحلال، وحيرم وحرام. وذكر الفراء أن بعض العرب أنشده:

مَرَّرْنَا فَقَلْنَا لِيهِ سِلْمٌ فَسَلَّمَتْ كَمَا اكْتَلَّ بِالْبَرْقِ الْغَمَامُ الْوَوَائِحُ

بمعنى سلام. وقد روى «كما انكل». وقد زعم بعضهم أن معناه إذا قرئ كذلك: نحن سلّم لكم، من المسألة التي هي خلاف المحاربة، وهذه قراءة عامة قرأها الكوفيين، وقرأ ذلك عامة قرأها الحجاز والبصرة قالوا: سلاماً، قال سلام، على أن الجواب من إبراهيم صلى الله عليه وسلم لهم، بنحو تسليمهم عليكم السلام. والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، لأن السَلْمَ قد يكون بمعنى السلام، على ما وصفت، والسلام بمعنى السلم، لأن التسليم لا يكاد يكون إلا بين أهل السلم، دون الأعداء، فإذا ذُكِرَ تسليم من قوم على قوم، ورد الآخريين عليهم، دل ذلك على مسالة بعضهم بعضاً، وهما مع ذلك قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أهل قِدوة في القراءة، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب.

وقوله (فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) وأصله مخنوذ، صرف من مفعول إلى فَعِيل.

وقد اختلف أهل العربية في معناه، فقال بعض أهل البصرة منهم: معنى المخنوذ: المشوى، قال:

ويقال منه: حَنَذْتُ فرسي، بمعنى سَخَنْتُهُ وعَرَقْتُهُ، واستشهد لقوله ذلك بيت الراجز:

وَرَهَبًا مِّنْ حَنَذِهِ أَنْ يَهْرَجَا

وقال آخر منهم: حَنَذَ فرسه: أى أضمره، وقال: قالوا حَنَذَهُ يَحْنِذُهُ حنذاً: أى عرّقه. وقال بعض أهل الكوفة: كل ما انشوى في الأرض إذا خددت له فيه فدفنته ونعمته فهو الحنيد والمخنوذ، قال: والحيل تحنذ إذا ألقبت عليها الجلال، بعضها على بعض لتعرق، قال: ويقال: إذا سقيت فاحنيد، يعنى اخفص، يريد: أقل الماء وأكثر النبيذ.

وأما التأويل، فإنهم قالوا في معناه ما أنا ذاكره، وذلك ما حدثني به المنبى، قال: ثنا عبد الله بن

صالح، قال: ثنى معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) يقول: نضيج.

حدثني المنبى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (بِعِجْلٍ

حَنِيذٍ) قال: بعجل حسيل البقر، والحنيد: المشوى النضيج.

(١) البيت أورده صاحب (اللسان: سلم) غير منسوب، وهو ما أنشده الفراء عن بعض الأعراب، وفي روايته اختلاف عن رواية المؤلف، قال الجوهري: وسلم بالكسر: السلام، وقال:

وَقَفْنَا فَقَلْنَا لِيهِ سِلْمٌ فَسَلَّمَتْ فَمَا كَانَ إِلَّا وَمَوْهَا بِالْحَوَاجِبِ

قال ابن بري والذي رواه القناني: قلنا السلام فاتقت من أسيرها وما كان إلا ومؤها بالحواجب

على هذه الرواية لا يكون هذا البيت هو الذي استشهد به الطبري، إذ لا شاهد فيه. وأنشده اللسان أيضاً في: (ككل). قال: واكتل: تيسم، عن ابن الأعرابي، وأنشد: عرضنا قلنا إليه سلم... الخ.

(٢) البيت للعجاج يصف حماراً وأناناً (اللسان: حنذ) وقيله: «حتى إذا ما الصيف كان أمجا». والأمج، حر وعطش شديد والأخذ بالنفس. والحنذ: شدة الحر، حنذته الشمس، أحرقتة. وهرج البعير من باب فرج: سدد من شدة الحر، وثقل الحمل.



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَكَفَدُوا )  
جاءت رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى . . . إلى ( بَعِجْلٍ حَنِيدٍ ) قال : نضيج سخن ، أنضج بالحجارة .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ )  
والحنيد : النضيج .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( بَعِجْلٍ حَنِيدٍ ) قال :  
نضيج . قال : وقال الكلبي : والحنيد : الذي يُحْتَدُ فِي الْأَرْضِ ١ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن حفص بن حميد ، عن شمر ، في قوله ( فجاءَ بِعِجْلٍ  
حَنِيدٍ ) قال : الحنيد : الذي يقطر ماء وقد شوي ، وقال حفص : الحنيد : مثل حناذ الخيل .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ذبحه  
ثم شواه في الرضف ٢ ، فهو الحنيد حين شواه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو يزيد ، عن يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ( فجاءَ  
بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ) قال : المشوي الذي يقطر .

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن  
شمر بن عطية ، قال : الحنيد : الذي يقطر ماؤه وقد شوي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ( بَعِجْلٍ حَنِيدٍ ) قال : نضيج .  
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت

الضحاك يقول في قوله ( بَعِجْلٍ حَنِيدٍ ) الذي أنضج بالحجارة .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ( فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ )  
قال : مشوي .

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد ، أنه  
سمع وهب بن منبه يقول : حنيد ، يعني شوي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : الحناذ : الإنضاج .  
قال أبو جعفر : وهذه الأقوال التي ذكرناها عن أهل العربية وأهل التفسير : متقاربات المعاني بعضها  
من بعض ، وموضع « أن » في قوله ( أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ) نصب بقوله : فما لبث أن جاء .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ، وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ، قَالُوا لَا تَخَفْ ، إِنَّا  
أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُّوطِيٍّ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تصل إلى العجل الذي أتاهم به ، والطعام الذي قدم إليهم ،

(١) في اللسان : ما حفرت له في الأرض ، ثم نغمته ، قال : وهو من فعل أهل البادية معروف .

(٢) في اللسان : الرضف : الحجارة التي حوت بالنار أو الشمس . واحدها : رضفة ، يسكون الضاد .

نكرهم ؛ وذلك أنه لما قدم طعامه صلى الله عليه وسلم إليهم فيما ذُكر ، كَفَفُوا عَنْ أَكْلِهِ ، لأنهم لم يكونوا ممن يأكله ، وكان إمساكهم عن أكله عند إبراهيم وهم ضيفانه ، مستنكراً ، ولم تكن بينهم معرفة ، وراعه أمرهم ، وأوجس في نفسه منهم خيفة .

وكان قتادة يقول : كان إنكاره ذلك من أمرهم ، كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَتَّصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ، وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ) وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يقطع من طعامهم ، ظنوا أنه لم يجيء بخير ، وأنه يحدث نفسه بشر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَتَّصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ) قال : كانوا إذا نزل بهم ضيف ، فلم يأكل من طعامهم ، ظنوا أنه لم يأت بخير ، وأنه يحدث نفسه بشر ، ثم حدثوه عند ذلك بما جاءوا .

وقال غيره في ذلك : ما حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن الأسود بن قيس ، عن جندب بن سفيان ، قال : لما دخل ضيف إبراهيم عليه السلام قرب إليهم العجل ، فجعلوا ينكتون بقداح في أيديهم من نبتل ، ولا تصل أيديهم إليه ، نكرهم عند ذلك ، يقال منه : نكرت الشيء أنكروه ، وأنكرته أنكروه : بمعنى واحد ، ومن نكرت وأنكرت قول الأعشى :

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتُ مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلْعَا

فجمع اللغتين جميعاً في البيت ، وقال أبو ذؤيب :

فَنَكِرْتَهُ فَتَنَقَّرْنَ وَأَمْتَرَسَتْ بِهِ هَوَجَاءُ هَادِيَةٌ وَهَادٍ جُرْشُعٌ ٢

وقوله ( وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ) يقول : أحس في نفسه منهم خيفة وأضمرها . ( قَالُوا لَا تَخَفْ ) يقول قالت الملائكة لما رأته ما بابراهيم من الخوف منهم : لا تخف منا وكن آمننا ، فإننا ملائكة ربك ، أرسلنا إلى قوم لوط .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ، وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١)

يقول تعالى ذكره ( وَأَمْرَأَتُهُ ) سارة بنت هاران بن ناحور بن ساروج بن راعو بن فالغ ، وهي ابنة عم إبراهيم . ( قَائِمَةٌ ) قيل : كانت قائمة من وراء الستر ، تستمع كلام الرسل وكلام إبراهيم عليه السلام . وقيل : كانت قائمة تحذم الرسل ، وإبراهيم جالس مع الرسل .

(١) البيت أورده صاحب اللسان : ( نكر ) شاهداً على أن العرب تقول : أنكرت الشيء ، وأنا أنكروه إنكاراً ، ونكرته مثله ، قال الأعشى . . . البيت ، والبيت منسوب للأعشى ، وهو في ديوانه ( طبعة القاهرة ص ١٠١ ) ولكن بعض العلماء صرح بأنه موضوع في شعر الأعشى ولم يقله . قيل وضعه أبو عمرو بن العلاء . وقيل : حاد ، ( انظر الديوان ص ١٠٠ ) . وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ( ١ : ٢٩٣ ) قال أبو عبيدة : قال يونس : قال أبو عمرو : أنا الذي زدت هذا البيت في شعر الأعشى إلى آخره ، فأتوب إلى الله منه .

(٢) البيت في ديوان الهذليين طبعة دار الكتب المصرية ( ١ : ٨ ) وفيه : سلعاء ، في موضع : هوجاء ، وهي رواية أخرى . قال شارح : يعني : الحمبر نكرن الصائد ، فامترست هوجاء ، يعني : الأتان امترست بالفحل : جعلت تكاده وتسير معه . والهوجاء : التي ترفع رأسها لتتقدمه . وهاد : يعني الفحل . وجرشع : منتفخ الجنين ، وأراد : أنه امترس هوبها أيضا .



وقوله ( فَضَحِكْتُمْ ) : اختلف أهل التأويل في معنى قوله ( فَضَحِكْتُمْ ) وفي السبب الذي من أجله ضحكتم ، فقال بعضهم : ضحكتم الضحك المعروف ، تعجبوا من أنها وزوجها إبراهيم يخدمان ضيفانهم بأنفسهما ، تكرمة لهم ، وهم عن طعامهم ممسكون لا يأكلون .  
ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : بعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط ، أقبلت تمشي في صورة رجال شباب ، حتى نزلوا على إبراهيم ، فتضيفوه ، فلما رأهم إبراهيم أجلتهم ، فراغ إلى أهله ، فجاء بعجل سمين ، فذبحه ، ثم شواه في الرصف ، فهو الحنيد حين شواه ، وأنهم فقعده معهم ، وقامت سارة تخدمهم ، فذلك حين يقول ( وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ ) وهو جالس في قراءة ابن مسعود ، فلما قرّبه إليهم قال : ألا تأكلون ؟ قالوا يا إبراهيم إنا لاناكل طعاما إلا بثمن ، قال : فإن لهذا ثمننا ، قالوا : وما ثمنه ؟ قال : تذكرون اسم الله على أوله ، وتحمدونه على آخره ، فنظر جبرائيل إلى ميكائيل فقال : حقّ لهذا أن يتخذه ربه خليلا . ( فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَاتَّصِلُ إِلَيْهِ ) يقول : لا يأكلون ، فزع منهم ، وأوجس منهم خيفة ، فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم ، وقامت هي تخدمهم ، ضحكتم وقالت : عجبا لأضيفنا هؤلاء ، إنا نخدمهم بأنفسنا ، تكرمة لهم ، وهم لا يأكلون طعامنا !  
وقال آخرون : بل ضحكتم من أن قوم لوط في غفلة ، وقد جاءت رسل الله هلاكهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما أوجس إبراهيم خيفة في نفسه ، حدثوه عند ذلك بما جاءوا فيه ، فضحكتم امرأته ، وعجبت من أن قوما أتاهم العذاب وهم في غفلة ، فضحكتم من ذلك وعجبت ، فبشرناها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أنه قال : ضحكتم تعجبا مما فيه قوم لوط من الغفلة ، ومما أتاهم من العذاب .  
وقال آخرون : بل ضحكتم ، ظنا منها بهم أنهم يريدون عمل قوم لوط .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن قيس ، في قوله ( وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ ) قال : لما جاءت الملائكة ظننت أنهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط .  
وقال آخرون : بل ضحكتم لما رأت بزوجها إبراهيم من الرّوع .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبي ( فَضَحِكْتُمْ ) قال : ضحكتم حين راعوا إبراهيم ، مما رأت من الرّوع بإبراهيم .  
وقال آخرون : بل ضحكتم حين بشرت بإسحاق ، تعجبا من أن يكون لها ولد ، على كبر سنّها وسنّ زوجها .

## ذكر من قال ذلك

حدثني المنفي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد: أنه سمع وهب بن منبه يقول: لما أتى الملائكة إبراهيم عليه السلام، فرآهم ، راعه هيئتهم وجماعهم ، فسلموا عليه ، وجلسوا إليه ، فقام فأمر بعجل سمين ، فحذله ، فقرب إليهم الطعام ، فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم ، وأوجس منهم خيفة ، وسارة وراء البيت تسمع ، قالوا : لانحف إنا نبشرك بغلام حلیم ، مبارك ، وبشّر به امرأته سارة ، فضحكت وعجبت : كيف يكون لي ولد وأنا عجوز وهو شيخ كبير ؟ فقالوا : أتعجبين من أمر الله ، فإنه قادر على ما يشاء ، فقد وهب الله لكم ، فأبشروا به . وقد قال بعض من كان يتأول هذا التأويل : إن هذا من المقدم الذي معناه التأخير ، وكان معنى الكلام عنده : وامرأته قائمة ، فبشّرناها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، فضحكت ، وقالت : يا ويلنا ألد وأنا عجوز ؟

وقال آخرون : بل معنى قوله : فضحكت في هذا الموضع : فحاضت .

## ذكر من قال ذلك

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، عن علي بن هارون ، عن عمرو بن الأزهر ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( فَضَحِكَتْ ) قال : حاضت ، وكانت ابنة بضع وتسعين سنة ، قال : وكان إبراهيم ابن مئة سنة .

وقال آخرون : بل ضحكت سرورا بالأمن منهم لما قالوا لإبراهيم : لانحف ، وذلك أنه قد كان خافهم وخافتهم أيضا ، كما خافهم إبراهيم ؛ فلما أمنت ضحكت ، فأتبعوها البشارة بإسحاق . وقد كان بعض أهل العربية من الكوفيين يزعم أنه لم يسمع ضحكت بمعنى حاضت من ثقة . وذكر بعض أهل العربية من البصريين أن بعض أهل الحجاز أخبره عن بعضهم أن العرب تقول ضحكت المرأة : حاضت ، قال :

وقد قال : الضحك : الحيض ، وقد قال بعضهم : الضحك : العجب ، وذكر بيت أبي ذؤيب :

فجاءَ يَمْزُجُ لَمْ يَرَّ النَّاسُ مِثْلَهُ هُوَ الضَّحْكُ إِلَّا أَنَّهُ سَمَلُ النَّحْلِ ١

وذكر أن بعض أصحابه أنشده في الضحك بمعنى الحيض .

وَضَحْكُ الْأَرَانِبِ فَوْقَ الصِّفَا كَيْشَلِ دَمِ الْجَوْفِ يَوْمَ اللَّقَا ٢

قال : وذكر له بعض أصحابه أنه سمع للكُمَيْتِ :

(١) البيت لأبي ذؤيب ، نسه إليه صاحب اللسان (مزج) شاهد على أن المزج هو العسل ، وفي التهذيب : الشهد ، وقال أبو حنيفة سمي مزجا لأن مزاج كل شراب حلو طيب به . والضحك : الثغر الأبيض ، والضحك العسل ، شبه بالثغر ، لشدة بياضه ، قال أبو ذؤيب : فجاء بمزج . . . الخ . وقيل الضحك هنا : الشهد ، وقيل الزبد ، وقيل : الثلج . والضحك : العجب ، وعليه استشهد المؤلف بالبيت .

(٢) البيت في اللسان (ضحك) غير منسوب ، وهو شاهد على قول العرب : ضحكت الأرنب ضحكا : إذا حاضت . قال : وضحك الأرنب . . . الخ . قال : يعني الحيض فيما زعم بعضهم . قال ابن الأعرابي في قول نأبط شرا : « تضحك الضبع لقتل هذيل » أي أن الضبع إذا أكلت لحوم الناس أو شربت دماهم ، طمشت .



فَأَضْحَكَ الصَّبَاغَ سَيْوْفُ سَعْدٍ بِقَتْلِي مَا دُفِنَ وَلَا وُدِينَا

وقال : يريد الحيض . قال : وبلحارث بن كعب يقولون : ضحكت النخلة : إذا أخرجت الطلع أو البسر . وقالوا : الضحك : الطلع ، قال : وسمعنا من يحيى : أضحكت حوضا : أى ملأته حتى فاض ، قال : وكان المعنى قريب بعضه من بعض كله ، لأنه كأنه شئ يمتلئ فيفيض .

وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى قوله : فضحكت : فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله ، وغفلته عنه .

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب : لأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم : لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان لا وجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم : لا تخف ، كان الضحك والتعجب ، إنما هو من أمر قوم لوط .

القول في تأويل قوله تعالى

( فَبَشِّرْ نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ) :

يقول تعالى ذكره : فبشّرنا سارة امرأة إبراهيم ، ثوابا منا لها على تكبيرها وعجبتها من فعل قوم لوط ، بإسحاق ولدا لها ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، يقول : ومن خلف إسحاق يعقوب من ابنها إسحاق ، والوراء في كلام العرب : ولد الولد ، وكذلك تأوله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : ( وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ) قال : الوراء : ولد الولد .

حدثنا عمرو بن عليّ ومحمد بن المثني ، قال : كل واحد منهما : حدثني أبو اليسع إسماعيل بن حماد بن أبي المغيرة مولى الأشعريّ ، قال : كنت إلى جنب جدى أبي المغيرة بن مهران في مسجد عليّ بن زيد ، فمرّ بنا الحسن بن أبي الحسن ، فقال : يا أبا المغيرة ، من هذا القتي ؟ قال : ابني من ورأى ، فقال الحسن : ( فَبَشِّرْ نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ) .

حدثنا عمرو بن عليّ ومحمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن أبي عديّ ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن الشعبيّ ، في قوله ( فَبَشِّرْ نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ) قال : ولد الولد : هو الوراء :

(١) البيت للكيت كما في (اللسان : ضحك) والرواية فيه بالواو في أوله . وهو شاهد على أن الصباغ تحيض ، وقد أنكره ابن دريد وقال : من شاهد الصباغ عند حيضتها ، فيعلم أنها تحيض ؟ وقال القراء : وأما قولهم : فضحكت : حاضت ، فلم أسمعه من ثقة . قال أبو عمرو ( لعله الشيباني ) وسمعت أبا موسى الخامض يسأل أبا العباس ثعلبا أو المبرد ، عن قوله « فضحكت » أى حاضت ، وقال : إنه قد جاء في التفسير . فقال : ليس في كلام العرب ، والتفسير مسلم لأهل التفسير . فقال له : فأنت أنشدتنا ( لتأبط شرا ) :

تَضْحَكُ الصَّبْعُ لِقَتْلِي هُدَيْلٍ وَتَدْرِي الذُّئْبَ بِهَا يَسْتَهْلُ

فقال أبو العباس : تضحك هافنا : تكشر ، وذلك أن الذئب ينازعها على القليل ، فتكشر في وجهه وعيدا ، فيتركها مع لحم القليل ويمر (اللسان) .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، في قوله ( وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ) قال : الورا : ولد الولد .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علي ، عن داود ، عن الشعبي ، مثله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو عمرو الأزدي ، قال : سمعت الشعبي يقول : ولد الولد : هم الولد من الورا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : جاء رجل إلى ابن عباس ومعه ابن ابنة ، فقال : من هذا معك ؟ قال : هذا ابن ابني ، قال : هذا ولدك من الورا ، قال : فكأنه شقّ على ذلك الرجل ، فقال ابن عباس : إن الله يقول ( فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ) فولد الولد : هم من الورا .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما ضحكت سارة وقالت : عجباً لأضيافنا هؤلاء ، إنا نخدمهم بأنفسنا تكريماً لهم ، وهم لا يأكلون طعامنا ! قال لها جبريل : أبشري بولد اسمه إسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، فضربت وجهها عجباً ، فذلك قوله ( فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ) وقالت ( ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ! قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ) قالت سارة : ما آية ذلك ؟ قال : فأخذ بيده عودا يابسا ، فلواه بين أصابعه ، فاهتز أخضر ، فقال إبراهيم : هو لله إذن ذبيحا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فضحكت ، يعني سارة لما عرفت من أمر الله جلّ ثناؤه ، ولما تعلم من قوم لوط ، فبشروها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، بابن ، وبابن ابن ، فقالت وصكّت وجهها ، يقال : ضربت على جبينها ( يَا وَيْلَتَا أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ! ) . . . إلى قوله ( إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ) . واختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قرآء العراق والحجاز ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، برفع يعقوب ، ويعيد ابتداء الكلام بقوله ( وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ) وذلك وإن كان خبراً مبتدأ ، ففيه دلالة على معنى التبشير ، وقرآءه بعض قرآء أهل الكوفة والشأم ( وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ) نصبا ، فأما الشامئ منهما ، فذكر أنه كان ينحو بيعقوب نحو النصب ، بإضمار فعل آخر مشاكل للبشارة ، كأنه قال : ووهبنا له من وراء إسحاق يعقوب ، فلما لم يظهر وهبنا ، عمل فيه التبشير ، وعطف به على موضع إسحاق ، إذ كان إسحاق وإن كان مخفوضاً ، فإنه بمعنى المنصوب بعمل بشرنا فيه ، كما قال الشاعر :

جِئْتَنِي بِمِثْلِ بَنِي بَدْرٍ لِقَوْمِهِمْ      أَوْ مِثْلِ أُسْرَةٍ مَنظُورِ بْنِ سَيَّارِ  
أَوْ عَامِرِ بْنِ طَفَيْلٍ فِي مَرْكَبِهِ      أَوْ حَارِثًا يَوْمَ نَادَى الْقَوْمُ يَا حَارِثًا

(١) البيتان واضحاً المعنى . وقد استشهد بهما المؤلف على أن حارثاً منصوب بالعطف على المجرور قبله ، وهو عامر وما قبله ، لأنه في معنى المنصوب ، كأنه قال : اذكر عامر بن طفيل أو حارثاً ؛ « واذكر » في معنى : « جئني بمثل » وإن لم يكن في لفظه ، ولذلك جاز عطف المنصوب على المجرور على هذا التأويل .



وأما الكوفيّ منهما فإنه قرأه بتأويل الخفض، فيما ذُكِرَ عنه، غير أنه نصبه، لأنه لا يُجَرَى، وقد أنكر ذلك أهل العلم بالعربية، من أجل دخول الصفة<sup>١</sup> بين حرف العطف والاسم، وقالوا: خطأ أن يقال: مررت بعمرو في الدار، وفي الدار زيد، وأنت عاطف بزيد على عمرو، إلا بتكرير الباء وإعادتها، فإن لم تعد كان وجه الكلام عندهم الرفع، وجاز النصب، فإن قدم الاسم على الصفة<sup>١</sup> جاز حينئذ الخفض، وذلك إذا قلت: مررت بعمرو في الدار، وزيد في البيت، وقد أجاز الخفض والصفة<sup>١</sup> معترضة بين حرف العطف والاسم بعض نحويي البصرة.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي: قراءة من قرأه رفعا، لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب، والذي لا يتناكره أهل العلم بالعربية، وما عليه قراءة الأمصار، فأما النصب فيه، فإن له وجهها، غير أني لأحبّ القراءة به، لأن كتاب الله نزل بأفصح ألسن العرب، والذي هو أولى بالعلم بالذي نزل به من الفصاحة.

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَتْ يَوَيْلَ لِيَ وَالِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا؟ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ! (٧٢) قَالُوا: أَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ؟ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٣)

يقول تعالى ذكره: قالت سارة لما بُشِّرَتْ بإسحاق أنها تلد، تعجبا مما قيل لها من ذلك، إذ كانت قد بلغت السن التي لا يلد من كان قد بلغها من الرجال والنساء، وقيل: إنها كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مئة سنة. وقد ذُكِرَت الرواية فيما روى في ذلك عن مجاهد قبل.  
وأما ابن إسحاق، فإنه قال في ذلك ما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كانت سارة يوم بشرت بإسحاق فيما ذُكِرَ لي بعض أهل العلم ابنة تسعين سنة، وإبراهيم ابن عشرين ومئة سنة، (يا وَيَلْتَا) وهي كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشيء، والاستنكار للشيء، فيقولون عند التعجب: ويل أمه رجلا ما أرجله!

وقد اختلف أهل العربية في هذه الألف التي في: يا ويلتا، فقال بعض نحويي البصرة: هذه ألف حقيقة، إذا وقفت قلت: يا ويلتاه، وهي مثل ألف النُدْبَةِ، فلطفت من أن تكون في السكت، وجعلت بعدها الهاء لتكون أبين لها وأبعد في الصوت، وذلك لأن الألف إذا كانت بين حرفين، كان لها صدى كندحو الصوت يكون في جوف الشيء، فيتردد فيه، فتكون أكثر وأبين. وقال غيره: هذه ألف النُدْبَةِ، فإذا وقفت عليها فجائر، وإن وقفت على الهاء فجائر، وقال: ألا ترى أنهم قد وقفوا على قوله (وَيَدْعُوا الْإِنْسَانَ) فحذفوا الواو وأثبتوها، وكذلك (مَا كُنَّا نَبْغِي) بالياء، وغير الياء، قال: وهذا أقوى من ألف النُدْبَةِ وهاتها.

(١) الصفة: يريد الجار والمجرور في قوله: «وفي الدار زيد».

في الصواب من القول في ذلك عندي: أن هذه الألف ألف الندبة، والوقف عليها بالهاء وغير الهاء جائز في الكلام، لاستعمال العرب ذلك في كلامهم:

وقوله (ءَالِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ) تقول: أتى يكون لي ولد وأنا عجوز؟ (وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا) والبعل في هذا الموضع: الزوج، وسمى بذلك لأنه قيم أمرها، كما سموا مالك الشيء بعله، وكما قالوا للنخل التي تستغنى بماء السماء عن سقى ماء الأنهار والعيون البعل، لأن مالك الشيء القيم به، والنخل البعل بماء السماء حياته. وقوله (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) يقول: إن كون الولد من مثلي ومثل بعلي على السن التي بها نحن لشيء عجيب (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) يقول الله تعالى ذكره: قالت الرسل لها: أتعجبين من أمر أمر الله به أن يكون، وقضاء قضاء الله فيك وفي بعلك؟ وقوله (رَحْمَةً اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) يقول: رحمة الله وسعادته لكم أهل بيت إبراهيم، وجعلت الألف واللام خلفا من الإضافة. وقوله (إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ) يقول: إن الله محمود في تفضله عليكم بما تفضل به من النعم عليكم وعلى سائر خلقه، مجيد، يقول: ذو مجد ومدح وثناء كريم، يقال في فعل منه: مجد الرجل بمجد مجادة إذا صار كذلك، وإذا أردت أنك مدحته قلت: تمجده تمجيدا.

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطِ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥)

يقول تعالى ذكره: فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذي أوجسه في نفسه من رسلنا، حين رأى أيديهم لا تصل إلى طعامه، وأمن أن يكون قُصِدَ في نفسه وأهله بسوء، وجاءته البشرى بإسحاق، ظلَّ يجادلنا في قوم لوط.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) يقول: ذهب عنه الخوف (وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى) بإسحاق.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى) بإسحاق، ويعقوب ولد من صلب إسحاق، وأمن مما كان يخاف، قال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) وقد قيل: معنى ذلك: وجاءته البشرى، أنهم ليسوا إياه يريدون.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى) قال: حين أخبروه أنهم أرسلوا إلى قوم لوط، وأنهم ليسوا إياه يريدون.



قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، وقال آخرون : بشر بإسحاق .  
وأما الرَّوْعُ : فهو الخوف ، يقال منه : راعى كذا يرُوْعِي رَوْعًا : إذا خافه ، ومنه قول النبي  
صلى الله عليه وسلم « كيف لك برَوْعة المؤمن » ومنه قول عنترة :  
ما رَاعَيْتَنِي إِلَّا حَمُولَةً أَهْلِهَا وَسَطَ الدِّيَارِ تَسْفُ حَبَّ الحِمْحِمِ ١  
بمعنى : ما أفرغني .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الرَّوْعُ :  
الفرق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة . قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : ثنا  
إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( فَلَمَّا ذَهَبَ عَن  
إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ) قال : الفرق .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( فَلَمَّا ذَهَبَ  
عَن إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ) قال : الفرق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَلَمَّا ذَهَبَ عَن إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ )  
قال : ذهب عنه الخوف .

وقوله ( يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ) يقول : بخاصمتنا .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد  
( يُجَادِلُنَا ) : بخاصمتنا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
وزعم بعض أهل العربية من أهل البصرة : أن معنى قوله ( يُجَادِلُنَا ) : يكلمتنا ، وقال : لأن إبراهيم لا يجادل  
الله ، إنما يسأله ويطلب منه ، وهذا من الكلام جهل ، لأن الله تعالى ذكره ، أخبرنا في كتابه أنه يجادل في قوم  
لوط ، فقول القائل : إبراهيم لا يجادل ، موهمًا بذلك أن قول من قال في تأويل قوله ( يُجَادِلُنَا ) : بخاصمتنا ،  
أن إبراهيم كان يخاصم ربه ، جهل من الكلام ، وإنما كان جداله الرسل على وجه الحاجة لهم . ومعنى ذلك :  
وجاءته البشرية يجادل رسلنا ، ولكنه لما عرف المراد من الكلام حذف الرسل .

(١) البيت لعنترة بن عمرو بن شداد العيسى ، من مملقته المشهورة ( مختار الشعر الجاهل بشرح مصطفى السقا ) طبعة شركة مصطفى  
الباي الخليلي وأولاده بالقاهرة ( الطبعة الثانية ص ٣٧١ ) . وراعى : أفرغني ، من الروع بالفتح ، وهو الفرع . والحمولة ، بفتح  
الحاء : الإبل التي تطيق الحمل عليها . والحميم ، بكسر الحاءين : نبت تعلقه الإبل . يقول : ما أنفرتني بارتجالها ، إلا انقضاء مدة الانتجاع  
والكلاء ، وعلامة ذلك سف الإبل حب الحميم ، لأنها لم تجد الكلاء ، ووقوفها وسط الديار ، ولم تخرج إلى المرعى كعادتها في الربيع -  
جعل ذلك كناية عن قرب العودة إلى الوطن .

وكان جداله إياهم كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القسَمِيُّ ، قال: ثنا جعفر ، عن سعيد: ( يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ) قال: لما جاء جبرئيل ومن معه قالوا لإبراهيم ( إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ) قال لهم إبراهيم: أتهلكون قرية فيها مئة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أتهلكون قرية فيها ثلاث مئة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا؟ قالوا: لا، قال: وكان إبراهيم يعدّهم أربعة عشر بامرأة لوط ، فسكت عنهم واطمأنت نفسه .

حدثنا أبو كريب ، قال: ثنا الحمّاني ، عن الأعمش ، عن المهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال: قال الملك لإبراهيم: إن كان فيها خمسة يصلون ، رُفِعَ عنهم العذاب .

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ) : ذُكِرَ لَنَا أَنْ مَجَادَلْتَهُ إِيَّاهُمْ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهَا خَمْسُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَعَذَّبُوهَا أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : لَا ، حَتَّى صَارَ ذَلِكَ إِلَى عَشْرَةٍ ، قَالَ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهَا عَشْرَةٌ أَمَعَذَّبُوهُمْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : لَا ، وَهِيَ ثَلَاثُ قَرَى ، فِيهَا مَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْكَثْرَةِ وَالْعَدَدِ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال: ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ) قال: بلغنا أنه قال لهم يومئذ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهِمْ خَمْسُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؟ قَالُوا : إِنْ كَانَ فِيهَا خَمْسُونَ لَمْ نَعَذِّبَهُمْ ، قَالَ : أَرْبَعُونَ ، قَالُوا : وَأَرْبَعُونَ ، قَالَ : ثَلَاثُونَ ، قَالُوا : ثَلَاثُونَ ، حَتَّى بَلَغَ عَشْرَةَ ، قَالُوا : وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ عَشْرَةٌ ، قَالَ : مَا قَوْمٌ لَا يَكُونُ فِيهِمْ عَشْرَةٌ فِيهِمْ خَيْرٌ .

قال ابن عبد الأعلى ، قال محمد بن ثور : قال معمر : بلغنا أنه كان في قرية لوط أربعة آلاف ألف إنسان ، أو ما شاء الله من ذلك .

حدثني موسى بن هارون ، قال: ثنا عمرو بن حماد ، قال: ثنا أسباط ، عن السدي ( فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى - قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ) قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، فجادلهم في قوم لوط ، قال: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهَا مِئَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَتَهْلِكُونَهُمْ ؟ قَالُوا : فَلَمْ يَزَلْ يَحِطُّ حَتَّى بَلَغَ عَشْرَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالُوا : لَأَعَذِّبَهُمْ إِنْ كَانَ فِيهِمْ عَشْرَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ قَالُوا : يَا إِبْرَاهِيمَ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ، إِنَّهُ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ لُوطُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ ( يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ) فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ ( يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ، إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق قال ( فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى ) يعني: لإبراهيم جادل عن قوم لوط ، ليردّ عنهم العذاب ، قال: فيزعم أهل التوراة أن مجادلة إبراهيم إياهم ، حين جادلهم في قوم لوط ، ليردّ عنهم العذاب ، إنما قال للرسول فيما يكلمهم به : أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهِمْ مِئَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَهْلِكُونَهُمْ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانُوا ثَمَانِينَ ؟



قالوا : لا ، قال : أفرايم إن كانوا سبعين ؟ قالوا : لا ، قال : أفرايم إن كانوا خمسين ؟ قالوا : لا ، قال : أفرايم إن كان رجلا واحدا مسلما ؟ قالوا : لا ، قال : فلما لم يذكروا لإبراهيم أن فيها مؤمنا واحدا : ( قَالَ : إِنَّ فِيهَا لُوطًا ) يدفع به عنهم العذاب ( قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ، لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَكُنْتُمْ مِنَ الْغَابِرِينَ ) قالوا : يا إبراهيم أعرض عن هذا ، إنه قد جاء أمر ربك ، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال إبراهيم : أنه لكونهم إن وجدتم فيها مئة مؤمن ، ثم تسعين ، حتى هبط إلى خمسة ، قال : وكان في قرية لوط أربعة آلاف ألف .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا أبو المثنى ومسلم أبو الحبيل الأشجعي ، قال ( لَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ) . . . إلى آخر الآية ، قال إبراهيم : أتعدب علما من عالمك كثيرا فيهم مئة رجل ؟ قال : لا ، وعزتي ، ولا خمسين ، قال : فأربعين ، فثلاثين ، حتى انتهى إلى خمسة ؟ قال : لا ، وعزتي ، لا أعذبهم ولو كان فيهم خمسة يعبدوني ، قال الله عز وجل ( فَتَمَّا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيِّنَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) أي لوطا وابنتيه ، قال : فحل بهم من العذاب ، قال الله عز وجل ( وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ) . وقال ( فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ) ، والعرب لا تكاد تتلى « لَمَّا » إذا وليها فعل ماض ، إلا بماض ، يقولون : لما قام قمت ، ولا يكادون يقولون : لما قام أقوم ، وقد يجوز فيما كان من الفعل له تطاول مثل الجدال والخصومة والقتال ، فيقولون في ذلك : لما لقيته أقاتله ، بمعنى : جعلت أقاتله .

وقوله ( إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ) يقول تعالى ذكره : إن إبراهيم لبطيء الغضب متذلل لربه خاشع له ، متقاد لأمره ، منيب رجوع إلى طاعته .  
كما حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ( أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ) قال : القانت : الرجوع ، وقد بينا معنى الأواه فيما مضى ، باختلاف المختلفين ، والشواهد على الصحيح منه عندنا من القول بما أغنى عن إعادته .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَسْأَلُ إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا؛ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ؛ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول رسله لإبراهيم : ( يا إبراهيم أعرض عن هذا ) ، وذلك قيلهم له حين جادلهم في قوم لوط ، فقالوا : دع عنك الجدال في أمرهم ، والخصومة فيه ، ( فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ) بعدابهم ، وحق عليهم كلمة العذاب ، ومضى فيهم بهلاكهم القضاء ، ( وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ) يقول : وإن قوم لوط نازل بهم عذاب من الله غير مدفوع . وقد ذكر الرواية بما ذكرنا فيه ، عن ذلك عنه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيبًا بِهَيْمٍ ، وَصَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا ، وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧)

يقول تعالى ذكره: ولما جاءت ملائكتنا لوطا، ساءه مجيئهم، وهو فعل من السوء. ووصاق بهم: بمجيئهم. ذرعا: يقول: وضاقت نفسه نهما بمجيئهم، وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله في حال ما ساءه مجيئهم، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة، وخاف عليهم، فضاقت من أجل ذلك بمجيئهم ذرعا، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه، ولذلك قال: (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ).  
وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني المنني، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيبًا بِهَيْمٍ وَصَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا) يقول: ساء ظنا بقومه، ووصاق ذرعا بأضيافه. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن حذيفة: أنه قال: لما جاءت الرسل لوطا أتوه وهو في أرض له يعمل فيها، وقد قيل لهم والله أعلم: لا تهلكوهم حتى يشهد لوط، قال: فأتوه فقالوا: إنا متضيفوك الليلة، فانطلق بهم، فلما مضى ساعة التفت، فقال: أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية، والله ما أعلم على ظهر الأرض أناسا أحبب منهم. قال: فضي معهم، ثم قال الثانية مثل ما قال، فانطلق بهم، فلما بصرت بهم عجوز السوء امرأته، انطلقت فأندرتهم.  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال حذيفة، فذكر نحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس الملائي، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، قال: أتت الملائكة لوطا وهو في مزرعة له، وقال الله للملائكة: إن شهد لوط عليهم أربع شهادات، فقد آذنت لكم في هلكتهم، فقالوا: يا لوط إنا نريد أن نصيفك الليلة، فقال: وما بلغكم من أمرهم؟ قالوا: وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملا، يقول ذلك أربع مرات، فشهد عليهم لوط أربع شهادات، فدخلوا معه منزله.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط، فأتوها نصف النهار، فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها، وكانت له ابنتان، اسم الكبرى ريثا، والصغرى زغرثا<sup>١</sup>، فقالوا لها يا جارية، هل من منزل؟ قالت: نعم، فمكانكم، لاندخلوا حتى آتيكم، فبرقت عليهم من قومها، فأتت أباهما، فقالت: يا أبتاه، أراك فتيان على باب المدينة، ما رأيت وجوه قوم أحسن منهم، لا يأخذهم قومك فيفضحهم، وقد كان قومه بهوه أن يضيف رجلا، فقالوا: خلنا عنا فلنضيف الرجال، فجاء بهم، فلم يعلم أحد إلا أهل بيت لوط،

(١) في عرائس المجالس لتعليق (قصص الأنبياء) طبعة الحلبي ص ١٠٤ «غيثا».



فخرجت امرأته ، فأخبرت قومها ، قالت : إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط ، فجاءه قومه يُهْرَعُونَ إليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : خرجت الرسل فيما يزعم أهل النوراة من عند إبراهيم إلى لوط بالمؤتفكة ، فلما جاءت الرسل لوطا ساء بهم ، ( وَصَاقَ بِهِمْ ذَرَعًا ) وذلك من تخوف قومه عليهم ، أن يفضحوه في ضيفه ، فقال ( هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ) .

وأما قوله ( وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ) فإنه يقول : وقال لوط : هذا اليوم يوم شديد شره ، عظيم بلاؤه ، يقال منه : عَصَبَ يَوْمًا هذا يَعْصِبُ عَصْبًا ، ومنه قول عدى بن زيد :

وَكُنْتُ لِرِزَاكَ خَصْمِكَ لَمْ أُعْرِدْ      وَقَدْ سَلَكَوْكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبٍ ١

وقول الراجز :

يَوْمٌ عَصِيبٌ يَعْصِبُ الْأَبْطَالَ      عَصَبَ الْقَوَى السَّلْمَ الطَّوَالَ ٢

وقول الآخر :

وَإِنَّكَ إِلَّا تَرْضَ بِكَرِّ بْنِ وَائِلٍ      يَكُنُّ لَكَ يَوْمٌ بِالْعِرَاقِ عَصِيبٌ ٣

وقال كعب بن جعيل :

وَيُلَبُّونَ بِالْحَضِيصِ فِثَامٌ      عَارِفَاتٌ مِنْهُ بِيَوْمٍ عَصِيبٍ ٤

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : عَصِيبٌ : شديد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال ( هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ) يقول شديد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال ( هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ) أي يوم بلاء وشدة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( يَوْمٌ عَصِيبٌ ) شديد .

(١) في اللسان : يقال : فلان لزاز : غصم ، وجعلت فلانا لزازا لفلان : أي لا يدعه يخالف ولا يعاند . وأصل المزاز :

ما يترس به الياق . وعرد الرجل عن قرنه : إذا أحجم ونكل . والتعريد : الفرار ، وقيل سرعة الذهاب في الهزيمة . ويقال : عرد فلان بحاجتنا : إذ لم يقضها . وسلكوك : أدخلوك . يقال : سلكت الشيء في الشيء فانسلت ، أي أدخلته فيه فدخل . وقال عدى ابن زيد : وكنت لزاز . . . الخ . والعصيب : الشديد ، وهو من عصب كضرب . قال الراغب : يصح أن يكون بمعنى فاعل ، وأن يكون بمعنى مفعول ، أي يوم مجموع الأطراف ، كقولهم يوم ككفة حابل ، وحلقة خاتم .

(٢) العَصِيبُ : الذي اشتد فيه جهد الناس . يقال عصبه الجهد يعصبه : إذا اشتد عليه ، والقوى : الرجل الشديد . والسلم : جمع سلمة : وهي شجرة من الغضاه ذات شوكة وورقها القرظ الذي يدبغ به الأديم ، ويمسح خرط ورقها لكثرة شوكتها ، فتعصب أغصانها بأن تجمع ، ويشد بعضها إلى بعض بجبل ، شدا شديدا ، ثم يصرها الخابط إليه ، ويخطبها بعصاه ، فيتناثر ورقها للماشية ، ولئن أراد جمعه . شبه الشاعر الجهد الذي يصيب الأبطال يوم التزال ، بعصب الرجل القوى السلم الطوال .

(٣) هذا الشاهد كالشاهدين قبله في أن معنى اليوم العَصِيبُ الشديد شره . يقول : إذا لم تفعل ما ترضاه قبيلة بكر بن وائل ، فلا بد أن تلقى منهم يوما شديد الشر ، وكانت بكر بن وائل تسكن العراق أو قريبا منه .

(٤) الفِثَامُ : الجماعات . قال الجوهري : لا واحد له من لفظه ، يقال : عند فلان فِثَامٌ من الناس ، وهي الجماعة الكثيرة . والحَضِيصُ : القرار من الأرض ، عند منقطع الجبل . والشاهد في قوله : عَصِيبٌ : أي شديد شره .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وقال هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ) : أي يوم شديد .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَرَبُّ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ : يَقَوْمٍ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُنُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُنُوا فِي صَنِيئِي ، أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ؟ (٧٨)

يقول تعالى ذكره : وجاء لوطا قومه يستحثون إليه ، يهرعون مع سرعة المشي ، مما بهم من طلب الفاحشة ، يقال : أهرع الرجل من برد أو غضب أو حمى : إذا أرعد وهو مهترع ، إذا كان معجلا حريصا ، كما قال الراجز :

بمعجلات نحوه مهارع<sup>١</sup>  
ومنه قول مهلهل :

فجاءوا يهرعون وهم أسارى نعودهم على رغم الأتوف<sup>٢</sup>  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ) قال : يُهْرَوِلُونَ ، وهو الإسراع في المشي .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد والمحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ( وجاءه قومه يهرعون إليه ) قال : يسعون إليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : فأتوه يهرعون إليه ، يقول : سراعا إليه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( يهرعون إليه ) قال : يسرعون إليه .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وجاءه قومه يهرعون إليه ) يقول : يسرعون المشي إليه .

(١) في اللسان : يقال : أهرع الرجل : خف وأرعد من سرعة أو خوف أو حرص أو غضب أو حمى . وفي التنزيل : « وجاءه قومه يهرعون إليه » أي يستحثون إليه ، كأنه يحث بعضهم بعضا . قال الكسائي : الإهرع : إسراع في رعدة ، يقال : هرعوا وأهرعوا . وقال أبو عبيد : أهرع الرجل إهرعا : إذا أتاك وهو يرعد من البرد . وقد يكون مهرعا من الحمى والغضب وهو حين يرعد . والمهرع أيضا كالهريس . ومهارع : جمع مهرع .

(٢) البيت لمهلهل بن ربيعة ، أنشده صاحب اللسان ( هرع ) قال : قال الليث : يهرعون وهم أسارى : يساقون ويعجلون . يقال هرعوا وأهرعوا .



حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ) قال : يهرولون في المشى .

قال سفيان : ( يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ) : يسرعون إليه .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : قال سفيان بن عيينة في قوله ( يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ) قال : كأنهم يمدفعون . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، قال : ثنا حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : أقبلوا يُسرعون مشيا بين المرولة والجمز .

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ) يقول : مسرعين .

وقوله ( وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْصِمُونَ السَّيِّئَاتِ ) يقول : من قبل مجيئهم إلى لوط ، كانوا يأتون الرجال في أدبارهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْصِمُونَ السَّيِّئَاتِ ) قال : يأتون الرجال .

وقوله ( قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي ) يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه لما جاؤا يراودونه عن ضيفه : هؤلاء يا قوم بناتي ، يعني نساء أمته ، فانكحوهن ( فَهِنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ) .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ) قال : أمرهم لوط بزويج النساء ، وقال : هن أطهر لكم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : وبلغني هذا أيضا ، عن مجاهد ، حدثنا ابن وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ( هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ) قال : لم يكن بناته ، ولكن كن من أمته ، وكل نبي أبو أمته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علقمة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ) قال : أمرهم أن يتزوجوا النساء ، لم يعرض عليهم سفاحا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا أبو بشر ، سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله ( هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ) قال : ماعرض عليهم نكاحا ولا سفاحا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ) قال : أمرهم أن يتزوجوا النساء ، وأراد نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يبي أضيافه بيناته .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر عن الربيع ، في قوله ( هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ) يعني التزويج .

حدثني أبو جعفر ، عن الربيع ، في قوله ( هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ) يعني التزويج . حدثني المثني ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : ثنا محمد بن شبيب الزهراني

(١) المراد بيناته : نساء أمته ، لأنه كالأب لمن ، ولم يرد بناته لصلبه فكأنه قال : أمامكم بنات أمي فتزوجوهن .

عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قول لوط ( هَوَّلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ) ، يعني : نساؤهم هن بناته هو نبيهم ، وقال في بعض القراءة ( النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ) وهو أب لهم .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ) قالوا : أُولَمْ نَهَكَ أَنْ تُضَيِّفَ الْعَالِمِينَ ، قال ( هَوَّلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ) ( إِنَّ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ) ( أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ )

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما جاءت الرسل لوطا أقبل قومه إليهم حين أخبروا بهم يهرعون إليه ، فيزعمون والله أعلم أن امرأة لوط هي التي أخبرتهم بمكانهم ، وقالت : إن عند لوط لضيفانا ما رأيت أحسن ولا أجمل قطُّ منهم ، وكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء ، فاحشة لم يسبقهم بها أحد من العالمين ، فلما جاءوه قالوا ( أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ) أي ألم نقل لك : لا يقربنك أحد ، فإننا لن نجد عندك أحدا إلا فعلنا به الفاحشة ( قَالَ يَا قَوْمِ هَوَّلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ) فإنا أقيدي ضيفي منكم بهن ، ولم يدعهم إلا إلى الحلال من النكاح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( هَوَّلَاءِ بَنَاتِي ) قال : النساء .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ) ؛ فقرأته عامة القراء برفع أطهر ، على أن جعلوا هنَّ اسما ، وأطهر خبره ، كأنه قيل : بناتي أطهر لكم مما تريدون من الفاحشة من الرجال . وذُكر عن عيسى بن عمر البصري أنه كان يقرأ ذلك : هنَّ أطهر لكم بنصب أطهر . وكان بعض نحوي البصرة يقول : هذا لا يكون ، إنما ينصب خبر الفعل الذي لا يستغنى عن الخبر ، إذا كان بين الاسم والخبر هذه الأسماء المضمرة . وكان بعض نحوي الكوفة يقول : من نصبه جعله نكرة خارجة من المعرفة ، ويكون قوله : هنَّ ، عمادا للفعل ، فلا يُعْمَلُ . وقال آخر منهم : مسموع من العرب : هذا زيد إياه بعينه ، قال : فقد جعله خبرا لهذا مثل قولك : كان عبد الله إياه بعينه ، قال : وإنما لم يجز أن يقع الفعل ههنا ، لأن التقريب ردّ كلام ، فلم يجتمعا ، لأنه يتناقض ، لأن ذلك إخبار عن معهود ، وهذا إخبار عن ابتداء ما هو فيه ، ها أنا ذا حاضر ، وزيد هو العالم ، فتناقض أن يدخل المعهود على الحاضر ، فلذلك لم يجز . والقراءة التي لا أستجيز خلافها في ذلك : الرفع ( هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ) ، لإجماع الحجة من قرأه الأمصار عليه ، مع صحته في العربية ، وبُعد النصب فيه من الصحة .

وقوله ( فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ) يقول : فاخشوا الله أيها الناس ، واحذروا عقابه في إتيانكم الفاحشة التي تأتونها وتطلبونها . ( وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ) يقول : ولا تُذِلُّونِي بِأَنْ تَرْكَبُوا مِنِّي فِي ضَيْفِي مَا يَكْرَهُونَ أَنْ تَرْكَبُوهُ مِنْهُمْ ، والضيف في لفظ واحد في هذا الموضع بمعنى جمع ، والعرب تسمى الواحد والجمع ضيفا ، بلفظ واحد ، كما قالوا : رجل عدلٌ ، وقوم عدل .



وقوله ( أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ؟ ) يقول: أليس منكم رجل ذو رشد يَهَيِّ من أراد ركوب الفاحشة من ضيقي ، فيحول بينهم وبين ذلك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْقِي ، أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ) أي رجل يعرف الحق ، وينهى عن المنكر .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَالَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩)

يقول تعالى ذكره : قال قوم لوط لوط ( لَقَدْ عَلِمْتُمْ ) بالوط ( مَالَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ ) ، لأنهن لسن لنا أزواجا .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال قالوا ( لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَالَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ ) : أي من أزواج ، ( وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ) .

وقوله ( وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ) يقول : قالوا : وإنك يا لوط لتعلم أن حاجتنا في غير بناتك ، وأن الذي نريد هو ما تنهانا عنه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ) إنا نريد الرجال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ) : أي إن بُغيتنا لغير ذلك ، فلما لم يتناهوا ، ولم يردّهم قوله ، ولم يقبلوا منه شيئا مما عرض عليهم من أمور بناته ( قَالَ لَوْ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠)

يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه حين أبوا إلا المضي لما قد جاءوا له من طلب الفاحشة ، وأيس من أن يستجيبوا له إلى شيء مما عرض عليهم : ( لَوْ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ ) بأنصار تنصرني عليكم ، وأعوان تعينني ( أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ) يقول : أو أنضم إلى عشيرة مانعة تمنعني منكم ، لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه مني في أضيافي ، وحذف جواب لو لدلالة الكلام عليه ، وأن معناه مفهوم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال لوط ( لَوَّ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ) يقول : إلى جند شديد لقاتلتكم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ) قال : العشيرة .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ( إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ) قال : العشيرة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن ( أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ) قال : إلى ركن من الناس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال قوله ( أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ) قال : بلغنا أنه لم يبعث نبي بعد لوط إلا في ثروة من قومه ، حتى النبي صلى الله عليه وسلم <sup>١</sup> .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال ( لَوَّ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ) أي عشيرة تمنعني ، أو شيعة تنصرتني لحلت بينكم وبين هذا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَوَّ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ) قال : يعني به العشيرة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن أن هذه الآية لما نزلت ( لَوَّ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَجِمَ اللَّهُ لُوطًا ، لَقَدْ كَانَ يَا آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » <sup>٢</sup> .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن مبارك ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَجِمَ اللَّهُ أَخِي لُوطًا ، لَقَدْ كَانَ يَا آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، فَلَأَيُّ شَيْءٍ اسْتَكَانَ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبدة وعبد الرحيم ، عن محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى لُوطٍ إِنْ كَانَ لِيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ لَوَّ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، مَا بَعَثَ اللَّهُ بَعْدَهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ » قال محمد : والثروة : الكثرة والمنعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني سليمان بن بلال ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

(١) يؤيد ذلك ما فعله عماء عبد المطلب وحزرة ، من الهامة عنه ، صل الله عليه وسلم .

(٢) يريد صل الله عليه وسلم أن الله كان ناصره ومؤيده ، فهو ركنه الشديد ، وسنده القوى .



حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري ، قال : ثنا سعيد بن تليد ، قال : ثنا عبد الرحمن بن القاسم ، قال : ثنا بكر بن مضر ، عن عمرو بن الحارث ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب الزهري ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رَحِمَ اللهُ لُوطًا ، لَقَدْ كَانَ بِأَوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ » .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ، فذكر مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن محمد ، بن عمرو عن ، أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله ( أو آوى إلى ركن شديد ) « قَدْ كَانَ بِأَوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ، » يعني الله تبارك وتعالى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَمَا بَعَثَ اللهُ بَعْدَهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ » .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن أبي عمير ، عن أبي يونس ، سمع أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رَحِمَ اللهُ لُوطًا ، فَإِنَّهُ كَانَ بِأَوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ » . قال : ثنا ابن أبي مريم سعيد بن عبد الحكم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية ، أو أتى على هذه الآية قال : « رَحِمَ اللهُ لُوطًا إِنَّ كَانَ لَبِئْسَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ » وذكر لنا أن الله تعالى لم يبعث نبيا بعد لوط عليه السلام إلا في ثروة من قومه ، حتى بعث الله نبيكم في ثروة من قومه . يقال : من آوى إلى ركن شديد : أويت إليك ، فأنا آوى إليك أوبا بمعنى صرت إليك وانضممت ، كما قال الراجز :

يَا أَوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ مِنْ الْأَرْكَانِ فِي عَسَدٍ طَيْسٍ وَتَجْدٍ بَانٍ ١

وقيل : إن لوطا لما قال هذه المقالة وجدت الرسل عليه لذلك .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : قال لوط (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ) فَوَجَدَ عَلَيْهِ الرِّسْلَ ، وقالوا : إن ركنك لشديد .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ، فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلَا يَلْتَفِتْ

(١) البيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٢٩٤) وقال : الطيس : الكثير ، يقال : أتنانا بطن طيس ، وشراب طيس : أي كثير . وفي اللسان : (طيس) الطيس : الكثير من الطعام والشراب والماء ، والمعد الكثير ، وقيل : هو الكثير من كل شيء . والمجد الباني : المجد الضخم العالي .

مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِكَ، إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا مَا أَصَابَهُمْ، إِنْ مَوَّعِدَهُمُ الصُّبْحُ، أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ؟ (٨١)

يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة للوط لما قال لوط لقومه (لَوْ أَن لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ) ورأوا ما لَتَىٰ من الكرب بسببهم منهم (يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ) أَرْسَلْنَا لِأَهْلِكَ مِنْهُمْ لِنَبِّئَهُمْ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ، وَإِلَىٰ ضَيْفِكَ بِمَكْرُوهِ، فَهَوَّنَ عَلَيْكَ الْأَمْرَ (فَأَسْرَىٰ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) يقول: فأخرج من بين أظهرهم أنت وأهلك ببقية من الليل، يقال منه: أسرى وأسرى، وذلك إذا سار بليل. (وَلَا يَلْتَمِسْتُمْ مِنْكُمْ أَحَدًا إِلَّا أَمْرَاتِكَ).

واختلفت القراء في قراءة قوله (فَأَسْرَى) فقرأ ذلك عامة قرآء المكيين والمدنيين (فَأَسْرَى) وصل، بغير همز الألف من سَرَى. وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة والبصرة (فَأَسْرَى) بهمز الألف، من أسرى، والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحد منهما أهل قُدُوءة في القراءة، وهما لغتان مشهورتان في العرب، معناه واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب في ذلك.

وأما قوله (إِلَّا أَمْرَاتِكَ) فإن عامة القراء من الحجاز والكوفة، وبعض أهل البصرة، قرعوا بالنصب (إِلَّا أَمْرَاتِكَ) بتأويل: فأسر بأهلك إلا امرأتك، وعلى أن لوطاً أمير أن يُسْرَى بأهله سوى زوجته، فإنه سُهِى أن يُسْرَى بها، وأمر بتخليفها مع قومها. وقرأ ذلك بعض البصريين (إِلَّا أَمْرَاتُكَ) رفعا، بمعنى: ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك، فإن لوطاً قد أخرجها معه، وإنه سُهِى لوط ومن معه ممن أسرى معه، أن يلتفت سوى زوجته، وإنها التفتت، فهلكت لذلك.

وقوله (إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا مَا أَصَابَهُمْ) يقول: إنه مصيب امرأتك ما أصاب قومك من العذاب. (إِنْ مَوَّعِدَهُمُ الصُّبْحُ) يقول: إن موعد قومك الهلاك الصبح، فاستبطن ذلك منهم لوط، وقال لهم: بل عجلوا لهم الهلاك، فقالوا (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ): أي عند الصبح نزول العذاب بهم.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ): أي إنما ينزل بهم من صبح ليلتك هذه، فامض لما تؤمر. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: فضت الرسل من عند إبراهيم إلى لوط، فلما أتوا لوطاً، وكان من أمرهم ما ذكر الله، قال جبرئيل للوط: (يَا لُوطُ إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) فقال لهم لوط: أهلكوهم الساعة، فقال له جبرئيل عليه السلام: (إِنْ مَوَّعِدَهُمُ الصُّبْحُ، أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ؟) فأنزلت على لوط (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ؟) قال: فأمره أن يُسْرَى بأهله بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ، ولا يلتفت منهم أحد، إلا امرأته، قال: فسار، فلما كانت الساعة التي



أهلكوا فيها أدخل جبرئيل جناحه فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ، فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليها حجارة من سجيل ، قال : وسمعت امرأة لوط الهذبة<sup>١</sup> ، فقالت : واقوماه ، فأدركها حجر فقتلها . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : كان لوط أخذ على امرأته أن لاتذيع شيئا من سر أضيافه ، قال : فلما دخل عليه جبرئيل ومن معه ، رأتهم في صورة لم تر مثلها قط ، فانطلقت تسعى إلى قومها ، فأنت النادی ، فقالت بيدها<sup>٢</sup> هكذا ، وأقبلوا يهرعون مشيا بين الهرولة والجمز<sup>٣</sup> ، فلما انتهوا إلى لوط قال لهم لوط : ما قال الله في كتابه ، قال جبرئيل ( يا لوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ) قال : فقال بيده ، فطمس أعينهم ، فجعلوا يطلبونهم ، يلمسون<sup>٤</sup> الحيطان وهم لا يبصرون . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حذيفة ، قال : لما بصرت بهم : يعني بالرسول : عجوز السوء امرأته انطلقت فأنذرتهم فقالت : إنه تَصَيَّفَ لوطا قوم ما رأيت قوما أحسن وجوها<sup>٥</sup> ، قال : ولا أعلمه إلا قالت : ولا أشدَّ بيضا ، وأطيب ريحا ، قال : فأتوه يهرعون إليه ، كما قال الله ، فأصفق<sup>٦</sup> لوط الباب ، قال : فجعلوا يعالجونه ، قال : فاستأذن جبرئيل ربه في عقوبتهم ، فأذن له ، فصفقهم بجناحه ، فتركهم عميانا يترددون في أحيث ليلة ما أتت عليهم قط ، فأخبروه ( إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ فَتَأْمِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ) قال : ولقد ذُكِرَ لنا أنه كانت مع لوط حين خرج من القرية امرأته ، ثم سمعت الصوت ، فالتفت ، وأرسل الله عليها حجرا فأهلكها . وقوله ( إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ) فأراد نبي الله ما هو أعجل من ذلك ، فقالوا أليس الصبح بقريب ؟

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائي<sup>٧</sup> ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال : انطلقت امرأته ، يعني امرأة لوط حين رأتهم ، يعني حين رأت الرسل إلى قومها ، فقالت : إنه قد ضافه الليلة قوم ما رأيت مثلهم قط أحسن وجوها ، ولا أطيب ريحا ، فجاءوا يهرعون إليه ، فبادرهم لوط إلى أن يزجهم على الباب ، فقال ( هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ) ، فقالوا ( أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ) فدخلوا على الملائكة ، فتناولتهم الملائكة ، وطمست أعينهم ، فقالوا : يا لوط جئتنا بقوم سخرة سخرونا كما أنت حتى تصبح ، قال : واحتمل جبرئيل قريات لوط الأربع ، في كل قرية مئة ألف ، فرفعهم على جناحه بين السماء والأرض ، حتى سمع أهل السماء الدنيا أصوات ديتكهم ، ثم قلبهم ، فجعل الله عاليها سافلها . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال حذيفة : لما دخلوا عليه ، ذهبت عجوزه ، عجوز السوء ، فأنت قومها ، فقالت : لقد تصيَّفَ لوطا الليلة قوم ما رأيت قوما قط أحسن وجوها منهم ، قال : فجاءوا يسرعون ، فعاجلهم لوط ، فقام ملك فلز الباب ، يقول : فسده ، واستأذن جبرئيل في عقوبتهم ، فأذن له ، فضربهم جبرئيل بجناحه ، فتركهم عميانا فباتوا ،

(١) الهذبة : صوت انقضاء أبنيتهم . (٢) قالت بيدها : حركتها وأشارت بها .

(٣) الهرولة : مشى سريع يقرب من الجري ، والجمز : عدو ليس بالشهيد جدا . (٤) لمس : من باي قتل وضرب .

(٥) أي أحسن وجوها منهم . (٦) أصفق الباب : أغلقه أو رده . (٧) الملائي : كذا كتبه الخزرجي في الخلاصة .

بشر ليلة ، ثم ( قالوا إنا رُسُلُ رَبِّكَ ، فَأَسْرُ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِكَ ) قال : فبلغنا أنها سمعت صوتنا ، فالتفتت فأصابها حجر ، وهي شاذة من القوم ، معلوم مكانها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن حذيفة بنحوه ، إلا أنه قال : فعاجلهم لوط .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما قال لوط ( لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ) بسط حينئذ جبريل عليه السلام جناحيه ، ففقا أعينهم ، وخرجوا يدوس بعضهم في أديار بعض عميانا ، يقولون النجاء النجاء ، فإن في بيت لوط أبحر قوم في الأرض ، فذلك قوله ( وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ، فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ) وقالوا للوط : ( إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ، فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِكَ ، إِنَّهُ مُصِيبُهَا ) واتبع أديار أهلك ، يقول : سر بهم ، ( وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ) فأخرجهم الله إلى الشام ، وقال لوط : أهليكوهم الساعة ، فقالوا : إنا لم تؤمر إلا بالصبح ، أليس الصبح بقريب ، فلما أن كان السحر خرج لوط وأهله معه امرأته ، فذلك قوله ( إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، عن عبد الصمد أنه سمع وهب ابن منبه يقول : كان أهل سدوم الذين فيهم لوط قوما قد استغنوا عن النساء بالرجال ، فلما رأى الله ذلك ، بعث الملائكة ليعذبوهم ، فأتوا إبراهيم ، وكان من أمره وأمرهم ما ذكر الله في كتابه ؛ فلما بشروا سارة بالولد ، قاموا وقام معهم إبراهيم يمشى ، قال : أخبروني لم بعثتم وما خطبكم ؟ قالوا : إنا أرسلنا إلى أهل سدوم لتدمرها ، وإنهم قوم سوء ، قد استغنوا بالرجال عن النساء ، قال إبراهيم : إن كان فيهم خمسون رجلا صالحا ، قالوا : إذن لنعذبهم ، فجعل ينقص حتى قال أهل البيت ، قالوا : فإن كان فيها بيت صالح ؟ قال : فلو ط وأهل بيته ، قالوا : إن امرأته هواها معهم ، فلما يئس إبراهيم انصرف ، ومضوا إلى أهل سدوم ، فدخلوا على لوط ؛ فلما رأته امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم ، فأرسلت إلى أهل القرية : إنه قد نزل بنا قوم لم ير قوم قط أحسن منهم ولا أجمل ، فتسامعوا بذلك ، فغشوا دار لوط من كل ناحية ، وتسوروا عليهم الجدران ، فلقبهم لوط ، فقال : يا قوم لا تفضحون في ضيفي ، وأنا أزوجهم بناتي ، فهن أطهر لكم ، فقالوا : لو كنا نريد بناتك لقد عرفنا مكانهن ، فقال ( لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ) فوجد عليه الرسل ، وقالوا : إن ركنتك لشديد ( وَإِنَّهُمْ لَأَتِيهِمْ عَذَابٌ غَشِيٌّ مَرْدُودٍ ) فسح أحدهم أعينهم بجناحيه ، فطمس أبصارهم ، فقالوا : سحرنا ، انصرفوا بنا حتى نرجع إليه ، فكان من أمرهم ما قد قص الله تعالى في كتابه ، فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحه ، حتى بلغ أسفل الأرض ، فقلبا ، ونزلت حجارة من السماء ، فتبعته من لم يكن منهم في القرية حيث كانوا ، فأهلكهم الله ، ونجى لوط وأهله ، إلا امرأته .

(١) عاجلهم : أي تعجل بطلب العذاب لقومه لإهلاكهم ، كما هو واضح من حديث السدي بعده .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، وعن أبي بكر بن عبد الله وأبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، عن حذيفة دخل حديث بعضهم في بعض ، قال : كان إبراهيم عليه السلام يأتيهم فيقول : وَيُحْكَمُ أَنهَا كَمِ عَنْ اللَّهِ أَنْ تَعَرَّضُوا لِعَقُوبَتِهِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ لَحَلَ عَذَابُهُمْ ، وَسَطَوَاتِ الرَّبِّ بِهِمْ ، قَالَ : فَانْتَهتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَى لُوطٍ وَهُوَ يَعْمَلُ فِي أَرْضٍ لَهُ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الضِّيَافَةِ ، فَقَالُوا إِنَّا مُضِيفُونَكَ اللَّيْلَةَ ، وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى عَهْدَ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ لَا تَعْذُبَهُمْ حَتَّى يَشْهَدَ عَلَيْهِمْ لُوطٌ ثَلَاثَ شَهَادَاتٍ ؛ فَلَمَّا تَوَجَّهَ بِهِمْ لُوطٌ إِلَى الضِّيَافَةِ ، ذَكَرَ مَا يَعْمَلُ قَوْمَهُ مِنَ الشَّرِّ وَالذَّوَاهِي الْعِظَامِ ، فَشَى مَعَهُمْ سَاعَةً ، ثُمَّ التَفَّتْ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : أَمَا تَعْلَمُونَ مَا يَعْمَلُ أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ؟ مَا أَعْلَمُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ شَرًّا مِنْهُمْ ، أَيْنَ أَذْهَبَ بِكُمْ إِلَى قَوْمِي ، وَهَمْ شَرٌّ خَلَقَ اللَّهُ ، فَالْتَفَتَتْ جِبْرِيلُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ ، فَقَالَ : احْفَظُوا ، هَذِهِ وَاحِدَةٌ ، ثُمَّ مَشَى سَاعَةً ؛ فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْقَرْيَةَ وَأَشْفَقَ عَلَيْهِمْ ، وَاسْتَحْيَا مِنْهُمْ ، قَالَ : أَمَا تَعْلَمُونَ مَا يَعْمَلُ أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ؟ وَمَا أَعْلَمُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ شَرًّا مِنْهُمْ ، إِنْ قَوْمِي شَرٌّ خَلَقَ اللَّهُ ، فَالْتَفَتَتْ جِبْرِيلُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ ، فَقَالَ : احْفَظُوا ، هَاتَانِ ثَنَانِ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى بَابِ الدَّارِ بِكَيْ حَيَاءٍ مِنْهُمْ ، وَشَفَقَةً عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ : إِنْ قَوْمِي شَرٌّ خَلَقَ اللَّهُ ، أَمَا تَعْلَمُونَ مَا يَعْمَلُ أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، مَا أَعْلَمُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَهْلَ قَرْيَةٍ شَرًّا مِنْهُمْ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ لِلْمَلَائِكَةِ : احْفَظُوا ، هَذِهِ ثَلَاثٌ قَدْ حَقَّ الْعَذَابُ ؛ فَلَمَّا دَخَلُوا ذَهَبَتْ عَجُوزُهُ ، عَجُوزُ السُّوءِ ، فَصَعَدَتْ ، فَلَوَّحَتْ بِثُوبِهَا ، فَأَتَاهَا الْفُسَّاقُ يُهْرَعُونَ سِرَاعًا ، قَالُوا : مَا عِنْدَكَ ؟ قَالَتْ : ضَيَّفَ لُوطٌ اللَّيْلَةَ قَوْمًا مَارَأَيْتَ أَحْسَنَ وَجُوهًا مِنْهُمْ ، وَلَا أَطْيَبَ رِيحًا مِنْهُمْ ، فَهَرَعُوا مَسَارِعِينَ إِلَى الْبَابِ ، فَعَاجَلَهُمْ لُوطٌ عَلَى الْبَابِ ، فَدَافَعُوهُ طَوِيلًا ، هُوَ دَاخِلٌ ، وَهَمْ خَارِجٌ ، يَنَاشِدُهُمُ اللَّهُ وَيَقُولُ ( هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ) فَقامَ الْمَلِكُ فَلَزَّ الْبَابَ ، يَقُولُ : فَسَدَهُ ، وَاسْتَأْذَنَ جِبْرِيلُ فِي عَقُوبَتِهِمْ ، فَأَذَنَ اللَّهُ لَهُ ، فَقامَ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا فِي السَّمَاءِ ، فَنَشَرَ جَنَاحَهُ ، وَجِبْرِيلُ جَنَاحَانِ ، وَعَلَيْهِ وَشَاحٌ مِنْ دَرَمَنْظُومٍ ، وَهُوَ بَرَّاقٌ الثَّنَائِيَا ، أَجْلَى الْجَبِينِ ، وَرَأْسُهُ حَبِيبُكَ حَبِيبُكَ ، مِثْلُ الْمَرْجَانِ ، وَهُوَ اللَّؤْلُؤُ ، كَأَنَّهُ الثَّلَجُ ، وَقَدَمَاهُ إِلَى الْخَضْرَاءِ ، فَقَالَ : ( يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ) امض يا لوط من الباب ، ودعني وإياهم ، فتنحى لوط عن الباب ، فخرج عليهم ، فنشر جناحه ، فضرب به وجوههم ضربة شديخ أعينهم ، فصاروا عميا ، لا يعرفون الطريق ، ولا يبتدون إلى بيوتهم ، ثم أمر لوطا ، فاحتمل بأهله من ليلته ، قال ( فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال لوط لقومه ( لَوْ أَنِّي بِيَكُمُ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ) والرسل تسمع ما يقول وما يقال له ، ويرون ما هو فيه من كرب ذلك ؛ فلما رأوا ما بلغه ( قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ، لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ) أي بشيء تكرهه ( فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ) ، وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ، إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ، إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ، أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ؟ أي إنما ينزل بهم العذاب من صبح ليلتك هذه ، فامض لما تؤمر .

قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي أنه حدث ، أن الرسل عند ذلك

سَمَعُوا فِي وَجْهِ الَّذِينَ جَاءُوا لوطاً من قومه ، يراودونه عن ضيفه ، فرجعوا عياناً ، قال : يقول الله :  
( وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ، فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله  
( بَقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ) قال : بطائفة من الليل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( بَقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ )  
بطائفة من الليل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله  
( بَقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ) قال : جوف الليل .

وقوله ( وَاتَّبِعْ أَذْوَارَهُمْ ) يقول : واتبع أذبار أهلك ، ولا يلتفت منكم أحد .

وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ،  
عن مجاهد ( وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ) قال : لا ينظر وراءه أحد ( إِلَّا امْرَأَتَكَ ) . ورؤي عن عبد الله  
ابن مسعود أنه كان يقرأ ( فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا امْرَأَتَكَ ) .

حدثني بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال  
في حرف ابن مسعود ( فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا امْرَأَتَكَ ) . وهذا يدل على صحة القراءة  
بالنصب .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّنْ سِجِّيلٍ مِّنْ مَّنْصُودٍ (٨٢) مُسَوِّمَةً

عِنْدَ رَبِّكَ ، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)

يقول تعالى ذكره : ولما جاء أمرنا بالعذاب ، وقضاؤنا فيهم بالهلاك ( جَعَلْنَا عَالِيَهَا ) يعني عالي  
قريتهم ( سَافِلَهَا ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا ) يقول : وأرسلنا عليها ( حِجَابًا مِّنْ سِجِّيلٍ ) .  
واختلف أهل التأويل في معنى سجيل ، فقال بعضهم : هو بالفارسية سِنُّكَ وكل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،  
في قوله ( مِّنْ سِجِّيلٍ ) بالفارسية ، أولها حجر ، وآخرها طين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .



حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ( حِجَارَةٌ مِّنْ سِجِّيلٍ )  
قال : فارسية أعربت سنك وكل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : السجيل : الطين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة ( مِّنْ سِجِّيلٍ )  
قالا من طين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد ، عن  
وهب قال : سجيل بالفارسية : سنك وكل .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( حِجَارَةٌ مِّنْ سِجِّيلٍ )  
أما السجيل فقال ابن عباس : هو بالفارسية : سنك وجل ، هو الحجر ، وجل هو الطين ، يقول :  
أرسلنا عليهم حجارة من طين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( حِجَارَةٌ  
مِّنْ سِجِّيلٍ ) قال : طين في حجارة .

وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله  
( حِجَارَةٌ مِّنْ سِجِّيلٍ ) قال : السماء الدنيا . قال : والسماء الدنيا اسمها سجيل ، وهي التي أنزل الله على قوم  
لوط . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول : السجيل ، هو من الحجارة : الصلب الشديد ،  
ومن الضرب ، ويستشهد على ذلك بقول الشاعر :

ضَرَبًا تَوَاصَى بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّيلًا

وقال بعضهم : تحوّل اللام نونا ، وقال آخر منهم : هو فعيل من قول القائل : أصجلته : أرسلته ، فكأنه من  
ذلك : أي مُرسلة عليهم . وقال آخر منهم : بل هو من سَجَلْتُ له سَجَلًا من العطاء ، فكأنه قيل : منحوا ذلك  
البلاء فأعطوه ، وقالوا أصجله : أهمله . وقال بعضهم : هو من السَّجَلِ ، لأنه كان فيها علم كالكتاب . وقال  
آخر منهم : بل هو طين يطبخ كما يطبخ الآجر ، وينشد بيت الفضل بن عباس :

مَنْ يُسَاجِلُنِي بِسَاجِلٍ مُّاجِدًا      يَمْتَلَأُ الدَّلْوُ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ

فهذا من سَجَلْتُ له سَجَلًا : أعطيته .

والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله المفسرون ، وهو أنها من طين ، وبذلك وصفها الله في كتابه  
في موضع ، وذلك قوله ( لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ ، مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ) .  
وقد روى عن سعيد بن جبير أنه كان يقول : هي فارسية ونبطية .

(١) البيت للفضل بن عباس بن عتبة بن أبي سب (السان : سجل) وأشد البيت . قال ابن بري : أصل المساجلة أن يستق سائقان ،  
فيخرج كل واحد منهما في سجله مثل ما يخرج الآخر ، فأيهما نكل فقد غلب ، فخر به العرب مثلاً للمفاخرة ، فإذا قيل فلان يساجل فلانا ،  
فغناه أنه يخرج من الشرف مثل ما يخرج الآخر ، فأيهما نكل فقد غلب ، وتساجلوا : أي تفاخروا ؛ ومنه قولهم : الحرب سجال . اهـ .  
والكرب : هو الحبل الذي يشد على الدلو بعد المئين ، وهو الحبل الأول ، فإذا انقطع المئين بقى الكرب . والجمع : أكرب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : فارسية ونبطية  
سج ايل ، فذهب سعيد بن جبير في ذلك إلى أن اسم الطين بالفارسية جل لا ايل ، وأن ذلك لو كان بالفارسية  
لكان سَجِيلٌ لا سَجِيلٌ ، لأن الحجر بالفارسية يدعى سَجَجٌ والطين جل ، فلا وجه لكون الياء فيها وهي فارسية .  
وقد بينا الصواب من القول عندنا في أول الكتاب ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع . وقد ذكر عن  
الحسن البصري أنه قال : كان أصل الحجارة طينا ، فشددت .

وأما قوله ( مَنْضُودٌ ) فإن قتادة وعكرمة يقولان فيه ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد  
ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة ( مَنْضُودٌ ) يقول : مصفوفة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( مَنْضُودٌ ) يقول : مصفوفة .

وقال الربيع بن أنس فيه ، ما حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ،  
عن الربيع بن أنس ، في قوله ( مَنْضُودٌ ) قال : نُضِدُّ بعضه على بعض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر المذَلِّي بن عبد الله : أما قوله  
( مَنْضُودٌ ) فإنها في السماء منضودة : معدة ، وهي من عُدَّة الله التي أعدت للظلمة .

وقال بعضهم : منضود : يتبع بعضه بعضا عليهم ، قال : فذلك نُضِدُّه .

والصواب من القول في ذلك : ما قاله الربيع بن أنس ، وذلك أن قوله ( مَنْضُودٌ ) من نعت سجيل ،  
لأن نعت الحجارة ، وإنما أمطر القوم حجارة من طين ، صفة ذلك الطين أنه نضد بعضه إلى بعض فصير  
حجارة ، ولم يمحطروا الطين فيكون موصوفا بأنه تتابع على القوم بمجيئه ، وإنما كان جائزا أن يكون على  
ما تأوله هذا المتأول ، لو كان التنزيل بالنصب منضودة ، فيكون من نعت الحجارة حينئذ .

وأما قوله ( مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ ) فإنه يقول : مُعَلِّمَةٌ عند الله ، أعلمها الله ، والمسومة من نعت  
الحجارة ، ولذلك نصبت ونعت بها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،  
( مُسَوِّمَةٌ ) قال : مُعَلِّمَةٌ .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، قال ابن  
جريج : مسومة : لاتشاكل حجارة الأرض .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة ( مُسَوِّمَةٌ )

قالا : مطوَّقة ، بها نضح من حمرة .



حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مُسَوِّمَةٌ) عليها سبيا معلومة ، حدث بعض من رآها أنها حجارة مطوّقة عليها ، أو بها نَضْح من حمرة ، ليست كحجارتكم .  
 حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله (مُسَوِّمَةٌ) قال : عليها سبيا خطوط .  
 حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (مُسَوِّمَةٌ) قال : المسوّمة : المختمة .

وأما قوله (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) فإنه يقول تعالى ذكره مهتداً مشركي قريش : وما هذه الحجارة التي أمطرتها على قوم لوط ، من مشركي قومك يا محمد ببعيد أن يظطروها ، إن لم يتوبوا من شريكهم .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثي ، قال : ثنا أبو عتاب الدلال سهل بن حماد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبان بن تغلب عن مجاهد ، في قوله (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) قال : أن يصيبهم ما أصاب القوم .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) قال : يُرْهِبُ بها من يشاء .  
 حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) يقول : ما أجاز الله منها ظالماً بعد قوم لوط .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) يقول : لم يبرأ منها ظالم بعدهم .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا ضَمْرَةُ بن ربيعة ، عن ابن شوذب ، عن قتادة ، في قوله (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) قال : يعني ظالماً هذه الأمة ، قال : والله ما أجاز منها ظالماً بعد .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) يقول : من ظلمت العرب ، إن لم يتوبوا فبعذّبوا بها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر الهذلي بن عبد الله ، قال يقول (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) من ظلمة أمتك ببعيد ، فلا يأمنها منهم ظالم .

وكان قلبُ الملائكةِ على أرض سدوم سافلها ، كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، قال : أخذ جبرئيل عليه السلام قوم لوط من سرحهم ودورهم ، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم أكفأهم .

حدثنا به أبو كريب مرةً أخرى عن مجاهد ، قال : أدخل جبرئيل جناحه تحت الأرض السفلى من قوم لوط ، ثم أخذهم بالجنح الأيمن ، فأخذهم من سرحهم ومواشيهم ، ثم رفعها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، كان يقول ( فلكمَّ جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ) قال : لما أصبحوا غدا جبرئيل على قريتهم ، ففتقها من أركانها ، ثم أدخل جناحه ، ثم حملها على خوافي جناحه .

قال : ثنا شبل ، قال : فحدثني هذا ابنُ أبي نجيح ، عن إبراهيم بن أبي بكر ، قال : ولم يسمعه ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : فحملها على خوافي جناحه بما فيها ، ثم صعد بها إلى السماء ، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ، ثم قلبها ، فكان أولُ ماسقط منها شرفُها ، فذلك قول الله ( جعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليها حجارةً من سجيلٍ ) قال مجاهد : فلم يصب قوما ما أصابهم ، إن الله طمس على أعينهم ، ثم قلب قريتهم ، وأمطر عليهم حجارةً من سجيلٍ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروة القرية الوسطى ، ثم ألوى بها إلى السماء ، حتى سمع أهل السماء ضواغى كلابهم ، ثم دمر بعضها على بعض ، فجعل عاليها سافلها ، ثم أتبعهم الحجارة ، قال قتادة : وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروتها الوسطى ، ثم ألوى بها إلى جوف السماء ، حتى سمعت الملائكة ضواغى كلابهم ، ثم دمر بعضها على بعض ، ثم أتبع شدان القوم<sup>٢</sup> صحرا ، قال : وهي ثلاث قرى يقال لها سدوم ، وهي بين المدينة والشام . قال : وذكر لنا أنه كان فيها أربعة آلاف ألف . وذكر لنا أن إبراهيم عليه السلام كان يُشرف<sup>٣</sup> يقول : سدوم يوم مآ لك !

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما أصبحوا ، يعنى قوم لوط ، نزل جبرئيل ، فاقتلع الأرض من سبع أرضين ، فحملها حتى بلغ السماء الدنيا ، فذلك حين يقول ( والمؤتفكة أهوى ) المنقلبة حين أهوى بها جبرئيل الأرض ، فاقتلعها بجناحه ، فن لم يمت حين أسقط الأرض ، أمطر الله عليه ، وهو تحت الأرض الحجارة ، ومن كان منهم شاذاً في الأرض ، وهو قول الله ( فجعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليها حجارةً من سجيلٍ ) ثم تبعهم في القرى ، فكان الرجل يأتيه الحجر فيقتله ، وذلك قول الله تعالى ( وأمطرنا عليهم حجارةً من سجيلٍ ) :

(١) ضواغى : جمع ضاغ ، يقال : ضاغ الذئب والنور والتعلب يصفو صفوا وضفا : صوت وضاح .

(٢) شدان القوم : من تفرق منهم .

(٣) يشرف : يرتفع على شيء عال ، وينظر إلى سدوم مرتقبا لها شرا .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر وأبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنا أن جبرئيل عليه السلام لما أصبح نشر جناحه ، فانتسف به أرضهم ، بما فيها من قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها وجميع ما فيها ، فضمها في جناحه ، فحوها وطواها في جوف جناحه ، ثم صعد بها إلى السماء الدنيا ، حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب ، وكانوا أربعة آلاف ألف ، ثم قلبها ، فأرسلها إلى الأرض منكوسة : دمدم بعضها على بعض ، فجعل عاليها سافلها ، ثم أتبعها بحجارة من سجيل . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن كعب القرظي ، قال : حدثت أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : بعث الله جبرئيل عليه السلام إلى المؤتفكة قرية لوط عليه السلام ، التي كان لوط فيها ، فاحتلمها بجناحه ، ثم صعد بها ، حتى إن أهل السماء الدنيا ليسمعون نباح كلابها ، وأصوات دجاجها ، ثم كفأها على وجهها ، ثم أتبعها الله بالحجارة ، يقول الله ( جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَتَهَا ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ ) ، فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات ، وكن خمس قرى : صنعة ، وصعوة ، وعثرة ، ودوما ، وسدوم ؛ وسدوم هي القرية العظمى ، ونجى الله لوطا ومن معه من أهله ، إلا امرأته كانت فيمن هلك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ : يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ، وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ، إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ ، وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ (٨٤)

يقول تعالى ذكره ( وَ ) أرسلنا ( إلى ) ولد ( مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ) ، فلما أتاهم ( قال يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ) يقول : أطيعوه ، وتذللوا له ، بالطاعة لما أمركم به ونهاكم عنه . ما لكم من إله غيره : ما لكم من معبود سواه ، يستحق عليكم العبادة غيره ( وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ) يقول : ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكيالكم وميزانكم ، ( إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ ) . واختلف أهل التأويل في الخير الذي أخبر الله عن شعيب أنه قال لمدين إنه يراهم به ، فقال بعضهم : كان ذلك رخص السعر ، وحذرهم غلاءه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا عبد الله بن داود الواسطي ، قال : ثنا محمد بن موسى ، عن الذيبال بن عمرو ، عن ابن عباس ( إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ ) قال : رخص السعر ( وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ) قال : غلاء سعر . حدثني أحمد بن علي النصرى ، قال : ثنى عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا صالح بن رستم ، عن الحسن ، وذكر قوم شعيب قال ( إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ ) قال : رخص السعر .

(١) كذا في الأصل . ولعله أحمد بن عبد الله بن علي بن سويد بن منجوف السدومي البصري ، وقد ينسب إلى جده . توفي سنة ٢٥٢ ( عن غلامه الخزرجي ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبي عامر الخراز ، عن الحسن ، في قوله ( إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرٍ ) قال : الغنى ورخص السعر .  
وقال آخرون : عنى بذلك : إني أرى لكم مالا وزينة من زين الدنيا .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرٍ ) قال : يعنى خير الدنيا وزينتها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرٍ ) أبصر عليهم قيسرا من قيسر الدنيا وزينتها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرٍ ) قال : في دنياكم ، كما قال الله تعالى ( إِنَّ تَرَكَ خَيْرًا ) سماه خيرا لأن الناس يسمون المال خيرا .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : ما أخبر الله عن شعيب ، أنه قال لقومه ، وذلك قوله ( إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرٍ ) يعنى بخير الدنيا ، وقد يدخل في خير الدنيا المال وزينة الحياة الدنيا ، ورخص السعر ، ولا دلالة على أنه عنى بقبيله ذلك بعض خيرات الدنيا دون بعض ، فذلك على كل معانى خيرات الدنيا ، التي ذكر أهل العلم أنهم كانوا أوتوها ، وإنما قال ذلك شعيب ، لأن قومه كانوا في سعة من عيشهم ، ورخص من أسعارهم ، كثيرة أموالهم ، فقال لهم : لا تنقصوا الناس حقوقهم في مكايلكم وموازينكم ، فقد وسع الله عليكم رزقكم ( وَإِنِّي أَنخَافُ عَلَيْكُمْ ) بمخالفتكم أمر الله وبخسكم الناس أموالهم في مكايلكم وموازينكم ( عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ) يقول : أن ينزل بكم عذاب يوم محيط بكم عذابه ، فجعل المحيط نعنا لليوم ، وهو من نعت العذاب ، إذ كان مفهوما معناه ، وكان العذاب في اليوم ، فصار كقولهم جبتك محترقة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقَوْمٍ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ، وَلَا تَعْتُوا

فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه : أوفوا الناس الكيل والميزان بالقسط ، يقول : بالعدل ، وذلك بأن توفوا أهل الحقوق التي هي مما يكال أو يوزن ، حقوقهم ، على ما وجب لهم من التمام بغير بخس ، ولا نقص .

وقوله ( وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ) يقول : ولا تنقصوا الناس حقوقهم التي يجب عليكم أن توفوهم ، كيلا أو وزنا أو غير ذلك .

(١) القشر : الثياب التي تلبس (اللسان) . .



كما حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا علي بن صالح ، بن حنبل ، قال : بلغني في قوله ( وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ) قال : لاتنقصوهم .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ) يقول : لاتظلموا الناس أشياءهم .  
 وقوله ( وَلَا تَعْتَسُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ ) يقول : ولا تسيروا في الأرض تعملون فيها بمعاصي الله .  
 كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَلَا تَعْتَسُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ ) قال : لاتسيروا في الأرض  
 وحدثت عن المسيب ، عن أبي روق ، عن الضحاك ( وَلَا تَعْتَسُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ ) يقول : لاتسعوا في الأرض مفسدين ، يعنى : نقصان الكيل والميزان .

القول في تأويل قوله تعالى

بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (٨٦)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ) ما أبقاءه الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم .  
 بالمكيال والميزان بالقسط ، فأحله لكم ، خير لكم من الذى يبقى لكم ، ببخسكم الناس من حقوقهم بالمكيال والميزان ( إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) يقول : إن كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده ، وحلاله وحرامه . وهذا قول روى عن ابن عباس بإسناد غير مرتضى عند أهل النقل .  
 وقد اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : معناه : طاعة الله خير لكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن ليث ، عن مجاهد ( بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ) قال : طاعة الله خير لكم .  
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، بن أبي بزة ، عن مجاهد ( بَقِيَّتُ اللَّهِ ) قال : طاعة الله ( خَيْرٌ لَّكُمْ ) .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( بَقِيَّتُ اللَّهِ ) قال : طاعة الله .  
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن ليث ، عن مجاهد ( بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ) قال : طاعة الله خير لكم .  
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ) قال : طاعة الله .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .  
 وقال آخرون : معنى ذلك : حفظكم من ربكم خير لكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( بَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) : حظكم من ربكم خير لكم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( بَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ ) قال : حظكم من الله خير لكم .  
وقال آخرون : معناه : رزق الله خير لكم .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن ذكره ، عن ابن عباس ( بَقِيَّتُ اللَّهُ ) قال : رزق الله .

وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( بَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) قال : الهلاك في العذاب ، والبقية في الرحمة .

وإنما اخترت في تأويل ذلك القول الذي اخترته : لأن الله تعالى ذكره إنما تقدم إليهم بالنهي عن بخش الناس أشياءهم في المكيال والميزان ، وإلى ترك التطفيف في الكيل ، والبخس في الميزان ، دعاهم شعيب ، فتعقيب ذلك بالخبر عما لهم من الحظ في الوفاء في الدنيا والآخرة أولى ، مع أن قوله ( بَقِيَّتُ ) إنما هي مصدر من قول القائل : بَقِيَّتْ بَقِيَّةٌ من كذا ، فلا وجه لتوجيه معنى ذلك إلا إلى بقية الله التي أبقاها لكم ، مما لكم بعد وفائكم الناس حقوقهم ، خير لكم من بقيتكم من الحرام ، الذي يبقي لكم من ظلمكم الناس ، ببخسكم إياهم في الكيل والوزن .

وقوله ( وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمِخْطٍ ) يقول : وما أنا عليكم أيها الناس برقيب ، أرقبكم عند كيلكم ووزنكم : هل توفون الناس حقوقهم أم تظلمونهم ؟ وإنما على أن أبلغكم رسالة ربي ، فقد أبلغتكموها .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا

مَا نَشَاءُ ، إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧)

يقول تعالى ذكره : قال قوم شعيب : ( يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ ) عبادة ( مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ) من الأوثان والأصنام ( أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا ) من كسر الدراهم وقطعها ، وبخس الناس في الكيل والوزن . ( إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ ) وهو الذي لا يحمله الغضب أن يفعل ما لم يكن ليفعله في حال الرضا . ( الرَّشِيدُ ) يعني : رشيد الأمر في أمره إياهم أن يتركوا عبادة الأوثان .

كما حدثنا محمود بن خيदाش ، قال : ثنا حماد بن خالد الحياطي ، قال : ثنا داود بن قيس ، عن زيد ابن أسلم ، في قول الله ( أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا )



ما نَشَاءُ ، إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ ) قال : كان مما نهاهم عنه حذف الدراهم ، أو قال : قطع الدراهم . الشك من حماد .

حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : ثنا ابن أبي فديك ، عن أبي مودود ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : بلغني أن قوم شعيب عذبوا في قطع الدراهم ، وجدت ذلك في القرآن ( أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : عذب قوم شعيب في قطعهم الدراهم ، فقالوا ( يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ) ؟

قال : ثنا حماد بن خالد الحياط ، عن داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم ، في قوله ( أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ) قال : كان مما نهاهم عنه : حذف الدراهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ) ؟ قال : نهاهم عن قطع الدينار والدراهم ، فقالوا : إنما هي أموالنا نفعل فيها ما نشاء ، إن شئنا قطعناها ، وإن شئنا حرقناها ، وإن شئنا طرحناها .

قال : وأخبرنا ابن وهب ، قال : وأخبرني داود بن قيس المرعي أنه سمع زيد بن أسلم يقول في قول الله ( قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ) ؟ قال زيد : كان من ذلك قطع الدراهم .

وقوله ( أَصْلَاتُكَ ) كان الأعمش يقول في تأويلها ما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري عن الأعمش ، في قوله ( أَصْلَاتُكَ ) قال : قراءتك . فإن قال قائل : وكيف قيل : أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا ، أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء ، وإنما كان شعيب نهاهم أن يفعلوا في أموالهم ما قد ذكرت أنه نهاهم عنه فيها ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما توهمت .

وقد اختلف أهل العربية في معنى ذلك ، فقال بعض البصريين : معنى ذلك : أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا ، أو أن تترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء ، وليس معناه : تأمرك أن نفعل في أموالنا ما نشاء ، لأنه ليس بهذا أمرهم .

وقال بعض الكوفيين نحو هذا القول ، قال : وفيها وجه آخر يجعل الأمر كالنهي ، كأنه قال : أصلاتك تأمرك بما ، وتنهان عن ذا ، فهي حينئذ مردودة ، على أن الأولى منصوبة بقوله تأمرك ، وأن الثانية منصوبة عطفاً بها على « ما » التي في قوله ( ما يَعْْبُدُ ) . وإذا كان ذلك كذلك ، كان معنى الكلام : أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا ، أو أن تترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء . وقد ذُكِرَ عن بعض القراء أنه قرأه

(١) حرق الحديد ونحوه بالمبرد يحرقه ( كنصر و ضرب ) حرقاً ، و حرقه ( بالتشديد ) : برده ، و حك بعضه ببعض .

( ما نَشَأُ ) ، فمن قرأ ذلك كذلك فلامؤنة فيه ، وكانت آن الثانية حينئذ معطوفة على آن الأولى .  
وأما قولهم لشعيب : ( إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ ) فإنهم أعداء الله ، قالوا ذلك له استهزاء به ،  
ولأنما سفهوه وجهلوه بهذا الكلام . وبما قلنا من ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك -

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ  
الرَّشِيدُ ) قال : يستهزون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ  
الرَّشِيدُ ) المستهزون يستهزون بأنك لانت الحكيم الرشيد .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : يٰ قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَدَيْهِمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَدَيْهِمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَدَيْهِمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَدَيْهِمْ  
أَنْ أَخَالِفْكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهٰكُمْ عَنْهُ ، إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ،  
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ( ٨٨ )

يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : يا قوم ، أرايتم إن كنت على بيان وبرهان من ربي ، فيما أدعوكم  
إليه من عبادة الله ، والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام ، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال ( وَرَزَقَنِي  
مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ) يعني حلالا طيبا ( وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمُحِلَّكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهٰكُمْ عَنْهُ ) يقول : وما  
أريد أن أنهاكم عن أمر ، ثم أفعل خلافة ، بل لأفعل إلا بما أمركم به ، ولا أنهي إلا عما أنهاكم عنه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمُحِلَّكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهٰكُمْ  
عَنْهُ ) يقول : لم أكن لأنهاكم عن أمر أركبه ، أو آتية ( إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ ) يقول : ما أريد فيما  
أمركم به وأناكم عنه ، إلا إصلاحكم وإصلاح أمركم . ( مَا اسْتَطَعْتُ ) يقول : ما قدرت على إصلاحه ، لئلا  
ينالكم من الله عقوبة منكرة ، بخلافكم أمره ، ومعصيتكم رسوله ( وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ) يقول : وما  
إصابتني الحق في محاولتي لإصلاحكم وإصلاح أمركم إلا بالله ، فإنه هو المعين على ذلك ، إن لا يعينني عليه لم  
أصب الحق فيه .

وقوله ( عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ) يقول : إلى الله أفوض أمري ، فإنه تقى ، وعليه اعتمادى في أموري .  
وقوله ( وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ) وإليه أقبل بالطاعة ، وأرجع بالتوبة .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَإِلَيْهِ  
أُنِيبُ ) قال : أرجع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .





القول في تأويل قوله تعالى

وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ، ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ، إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبيل شعيب لقومه (أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) أيها القوم من ذنوبكم بينكم وبين ربكم، التي أنتم عليها مقيمون، من عبادة الآلهة والأصنام، وبخس الناس حقوقهم في المكاييل والموازين (ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ) يقول: ثم ارجعوا إلى طاعته، والانتهاة إلى أمره ونهيه. (إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ) يقول: هو رحيم بمن تاب وأناب إليه، أن يعذبه بعد التوبة. (وَدُودٌ) يقول: ذو محبة لمن أناب وتاب إليه، يوده ويحبه.

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا: يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ، وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا، وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ، وَمَا أُنْتِ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١)

يقول تعالى ذكره: قال قوم شعيب لشعيب (يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ): أي ما نعلم حقيقة كثير مما تقول، ونخبرنا به (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا): ذكر أنه كان ضريراً، فلذلك قالوا له (إِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا).

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا أسد بن زيد الجصاص، قال: أخبرنا شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبیر، في قوله (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا) قال: كان أعمى.

حدثنا عباس بن أبي طالب، قال: ثنى إبراهيم بن مهدي المصيصي، قال: ثنا خلف بن خليفة، عن سفيان، عن سعيد، مثله.

حدثنا أحمد بن الوليد الرملي، قال: ثنا إبراهيم بن زياد وإسحاق بن المنذر، وعبد الملك بن زيد، قالوا: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد، مثله.

قال: ثنا عمرو بن عون ومحمد بن الصباح، قالوا: سمعنا شريكاً يقول، في قوله (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا) قال: أعمى.

حدثنا سعد بن وهب، قال: ثنا عباد، عن شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبیر، مثله.

حدثني المنثني، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، قوله (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا) قال: كان ضعيف البصر، قال سفيان: وكان يقال له خطيب الأنبياء.

قال: ثنا الحماني، قال: ثنا عباد، عن شريك، عن سالم، عن سعيد (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا) قال: كان ضريراً البصر.



وقوله ( لَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ) يقول : يقولون : ولولا أنت في عشيرتك وقومك لرجمناك ،  
يعنون : لسبناك . وقال بعضهم : معناه لقتلناك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ )  
قال : قالوا : لولا أن نتق قومك ورهطك لرجمناك . ( وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ ) يعنون : ما أنت ممن يكرم  
علينا ، فيعظم علينا إذلاله وهزأته ، بل ذلك علينا هين .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : يَقَوْمِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ ، وَاتَّخَذَ ثَمُودُ وَرَاءَ كُمُ ظَهْرِيًّا ، إِنَّ رَبِّي بِمَا  
تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢)

يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : يا قوم أَعَزَّزْتُمْ قَوْمَكُمْ ، فكانوا أَعَزَّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ ،  
واستخفتم بربكم ، فجعلتموه خلف ظهوركم ، لاتأتمرون لأمره ، ولا تخافون عقابه ، ولا تعظمونه حتى  
عظمته ، يقال للرجل إذا لم يقض حاجة الرجل : نبذ حاجته وراء ظهره : أى تركها لا يلتفت إليها ، وإذا  
قضاها قيل : جعلها أمامه ونُصِبَ عينيه ، ويقال : ظهرت بجأتي ، وجعلتها ظهريية : أى خلف ظهرك ،  
كما قال الشاعر :

وَجَدْنَا بَنِي الْبَرِّصَاءِ مِنْ وُلْدِ الظَّهْرِيِّ

بمعنى : أنهم يظهرون بجوائح الناس ، فلا يلتفتون إليها .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
( قَالَ يَا قَوْمِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذَ ثَمُودُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا ) وذلك أن قوم شعيب  
ورهطه كانوا أَعَزَّ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ ، وصَغُرَ شأن الله عندهم : عزَّ ربنا وجل ثناؤه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس :  
( وَاتَّخَذَ ثَمُودُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا ) قال : قَعَمًا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( يَا قَوْمِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ  
اللَّهِ وَاتَّخَذَ ثَمُودُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا ) يقول : عزَّزْتُمْ قَوْمَكُمْ ، وأظهرتم بربكم .

(١) هذا عجز بيت لأرطاة بن سبية (اللسان : ظهر) . وصدرة :

فَتَنْ مَبْلُغِ أَبْنَاءِ مِرَّةٍ أَنْتَا

وجاء فى مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٢٩٨) قال بعد الشاهد : أى من الذين يظهرون بهم ، ولا يلتفتون إلى أرحامهم . وانظره  
فى (اللسان : ظهر) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَأَتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا ) قال : لم تراقبوه في شيء ، إنما تراقبون قومي ( وَأَتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا ) يقول : عززتم قومكم ، وأظهرتم بربكم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَأَتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا ) قال : لم تراقبوه في شيء ، إنما تراقبون قومي ، واتخذتموه وراءكم ظهرية لانخافونه .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ ) قال : أعزتم قومكم ، واغترتم بربكم ، سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل قال : قال سفيان ( وَأَتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا ) كما يقول الرجل للرجل : خلقت حاجتي خلف ظهرك ، فاتخذتموه وراءكم ظهرية : استخفتم بأمره ، فإذا أراد الرجل قضاء حاجة صاحبه جعلها أمامه بين يديه ، ولم يستخف بها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا ) قال : الظهرى : الفضل ، مثل الجمال : يخرج معه بإبل ظهارية فضل ، لا يحمل عليها شيئاً ، إلا أن يحتاج إليها ، قال : فيقول : إنما ربكم عندكم مثل هذا ، إن احتجتم إليه ، وإن لم تحتجوا إليه فليس بشيء .  
وقال آخرون : معنى ذلك : واتخذتم ما جاء به شعيب وراءكم ظهرية ، فالهاء في قوله ( وَأَتَّخَذَ تَمُوهُ ) على هذا من ذكر ما جاء به شعيب عليه السلام .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَأَتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا ) قال : تركتم ما جاء به شعيب .  
قال : ثنا جعفر بن عون ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : نبذوا أمره .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ( وَأَتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا ) قال : نبذتم أمره .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَأَتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا ) قال : هم رهط شعيب ، تركهم ما جاء به وراء ظهورهم ظهرية .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَأَتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا ) قال : استنناؤهم رهط شعيب ، وتركهم ما جاء به شعيب وراء ظهورهم ظهرية .  
وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك لقرب قوله ( وَأَتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا ) من

(١) لعل كلمة « تركهم » محرفة عن كلمة « تركوا » .



قوله (أَرْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ) فكانت الهاء في قوله (وَأَتَّخَذُ نَمُوهُ) بأن تكون من ذكر الله ،  
لقرب جوارها منه ، أشبه وأولى .

وقوله (إِنَّ رَبِّيْ يَمَّا تَعْمَلُونَ مُّحِيطٌ) يقول : إن ربي محيط علمه بعملكم ، فلا يخفى عليه منه  
شيء ، وهو مجازيكم على جميعه ، عاجلا وآجلا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقَوْمٌ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ  
كَذِبٌ ، وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) يقول : على  
تمكنكم ، يقال منه : الرجل يعمل على مكينته ومكينته : أى على اثاده ، ومكن الرجل يمكن مكننا  
ومكانة ومكانا .

وكان بعض أهل التأويل يقول في معنى قوله (على مكانتكم) : على منازلكم . فعنى الكلام إذن :  
ويا قوم اعملوا على تمكنكم من العمل الذى تعملونه (إتى عاملٌ) على تودة من العمل الذى أعمله (سرف  
تعلمون) أينا الخافى على نفسه واخطى عليها ، والمصيب فى فعله : المحسن إلى نفسه .

القول في تأويل قوله تعالى

(مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ، وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ) :

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه شعيب لقومه : الذى يأتية منا ومنكم أيها القوم (عذابٌ يخزيه)  
يقول : يذله ويهينه (ومَنْ هُوَ كَاذِبٌ) يقول : ويخزى أيضا الذى هو كاذب فى قيله وخبره منا ومنكم .  
(وارتقبوا) : أى انتظروا وتفقدوا من الرقبة ، يقال منه : رقبت فلانا أرقبه رقبة . وقوله (إتى معكم  
رقيبٌ) يقول : إنى أيضا ذو رقبة لذلك العذاب معكم ، وناظر إليه بمن هو نازل منا ومنك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ  
فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ (٩٤)

يقول تعالى ذكره : ولما جاء قضاؤنا فى قوم شعيب بعدابنا ، نجينا شعيبا رسولنا ، والذين آمنوا به ،  
فصدقوه على ما جاءهم به من عند ربهم ، مع شعيب ، من عذابنا الذى بعثنا على قومه ، برحمة منا له ، ولمن  
آمن به ، واتبعه على ما جاءهم به من عند ربهم ، وأخذت الذين ظلموا صيحة من السماء أخذتهم فأهلكتهم ،  
بكفرهم بربهم ، وقيل : إن جبريل عليه السلام ، صاح بهم صيحة أخرجت أرواحهم من أجسامهم ،  
(فأصبحوا فى ديارهم جثمين) على ركبهم ، وصرعى بأفئدتهم .

(١) لم أجد هذا المصدر فى اللسان ولا فى التاج .

## القول في تأويل قوله تعالى

كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ، أَلَا بُعْدًا لِّمَدِينٍ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥)

يقول تعالى ذكره : كأن لم يعيش قوم شعيب الذين أهلكهم الله بعذابه ، حين أصبحوا جائعين في ديارهم قبل ذلك . ولم يَغْنَوْا : من قولهم : غَنَيْتَ بِمَكَانٍ كَذَا : إذا أقمت به ، ومنه قول النابغة :

غَنَيْتَ بِذَلِكَ إِذْ هُمْ لِي جِيرَةٌ مِنْهَا بَعَطْفِ رِسَالَةٍ وَتَوَدُّدِ

وكما حدثني المنفي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( كأن

لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ) قال : يقول : كأن لم يعيشوا فيها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

وقوله ( أَلَا بُعْدًا لِّمَدِينٍ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ) يقول تعالى ذكره : ألا أبعداً لمدین من رحمة

بإحلال نعمته . كما بعدت ثمود : كما بعدت من قبلهم ثمود من رحمة ، بإنزال سخطه بهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ، فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ،

وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧)

يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا على توحيدنا ، وحجة تبين لمن عاينها وتأملها بقلب

صحيح ، أنها تدل على توحيد الله ، وكذب كل من ادعى الربوبية دونه ، وبطول قول من أشرك معه

في الألوهة غيره ، إلى فرعون وملئه ، يعني إلى أشراف جنده وتبأعاه ( فاتبعوا أمر فرعون ) يقول : فكذب

فرعون وملؤه موسى ، وجحدوا وحدانية الله ، وأبوا قبول ما أتاهم به موسى من عند الله ، واتبع ملاً

فرعون دون أمر الله ، وأطاعوه في تكذيب موسى ، ورد ما جاءهم به من عند الله عليه . يقول تعالى ذكره

( وما أمر فرعون برشيد ) يعني : أنه لا يرشيد أمر فرعون ، من قبله في تكذيب موسى ، إلى خير ،

ولا يهديه إلى صلاح ، بل يورده نار جهنم .

## القول في تأويل قوله تعالى

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ، وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨)

(١) البيت للناطقة الذهباني ( مختار الشعرا الجاهل بشرح مصطفي السقا طبعه الخليلي ص ١٧٣ ) وغنيت : أقامت وعاشت . يقول :

أقامت على مودتك وهي جارة لك ، فكانت تتودد إليك ، وتعرض لك ، وتعطف رسالتها عليك . والرواية فيه « لك جيرة » بالخطاب ،

على طريق التجريد ، وهي رواية في البيت . وقد تقدم هذا البيت مشروحا في الجزء ( ١١ ص ١٠٢ ) من هذا التفسير .



يقول تعالى ذكره : يقدمُ فرعون قومه يوم القيامة : يقودهم ، فيمضي بهم إلى النار ، حتى يوردهموها ، ويصليهم سعيها ( وَيَبِئْسَ الْوَرْدُ ) يقول : وبئس الورد الذي يردونه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) قال : فرعون يقدمُ قومه يوم القيامة : يمضي بين أيديهم ، حتى يهجمُ بهم على النار .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) يقول : يقود قومه ، فأوردهم النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس قوله ( يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) يقول : أضلهم ، فأوردهم النار .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس يقول في قوله ( فَأُورِدَهُمُ النَّارَ ) قال : الورد : الدخول .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( فَأُورِدَهُمُ النَّارَ ) كان ابن عباس يقول : الورد في القرآن أربعة أورد : في هود قوله ( وَيَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ) ، وفي مريم ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) ، وورد في الأنبياء ( حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ) ، وورد في مريم أيضا ( وَتَسْوِقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ) ، كان ابن عباس يقول : كل هذا الدخول ، والله ليريدن جهنم كل بر وفاجر ( ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بئس الورد المرفود ( ٩٩ )

يقول الله تعالى ذكره : وأتبعهم الله في هذه ، يعني في هذه الدنيا ، مع العذاب الذي عجله لهم فيها ، من الغرق في البحر ، لعنته ( وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ) يقول : وفي يوم القيامة أيضا يلعنون لعنة أخرى .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ( وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ) قال : لعنة أخرى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ) قال زيدوا بلعنة لعنة أخرى ، فتلك لعنتان .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بئس الورد المرفود ) اللعنة في أثر اللعنة .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : (وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال : زيدوا لعنة أخرى ، فذلك لعنتان .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فِي هَذِهِ )  
 قال : في الدنيا ( وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ) أُرْدِفُوا بلعنة أخرى زيدوها ، فذلك لعنتان .  
 وقوله ( يَبْئَسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ) يقول : بئس العون المُعَان : اللعنة المزيّدة فيها أخرى منها . وأصل  
 الرّفْد : العون ، يقال منه : رَفَدَ فلان فلانا عند الأمير يَرْفِدُهُ رِفْدًا ، بكسر الراء ، وإذا فُتِحَتْ ، فهو السَّقِي  
 في القُدْحِ العَظِيمِ ، والرّفْدُ : القُدْحُ الضَّخْمُ ، ومنه قول الأعشى :  
 رَبِّ رَفْدٍ هَرَفْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعَشَرٍ أَقْتَالَ  
 ويقال : رَفَدَ فلان حائطه ، وذلك إذا أسنده بخشبة لئلا يسقط . والرّفْدُ بفتح الراء المصدر ، يقال منه :  
 رَفَدَهُ يُرَفِدُهُ رَفْدًا . والرّفْدُ : اسم الشيء الذي يُعْطَاهُ الإنسان ، وهو المَرْفُودُ .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( يَبْئَسَ  
 الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ) قال : لعنة الدنيا والآخرة .  
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( يَبْئَسَ الرَّفْدُ  
 الْمَرْفُودُ ) قال : لعنهم الله في الدنيا ، وزيد لهم فيها اللعنة في الآخرة .  
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَيَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ يَبْئَسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ) قال : لعنة في الدنيا ، وزيدوا فيها لعنة في الآخرة .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ ، وَيَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ يَبْئَسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ) يقول : ترادفت عليهم اللعنتان من الله ، لعنة في الدنيا ، ولعنة في الآخرة .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : أصابهم لعنتان في الدنيا ،  
 رَفَدَتْ إحداهما الأخرى ، وهو قوله ( وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْئَسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ عَلَيْكَ ، مِنْهَا قَامٌ وَحَصِيدٌ (١٠٩)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : هذا القصص الذى ذكرناه لك في هذه السورة ، والنبأ  
 (١) البيت للأعشى الأكبر ميمون ( وهو الحادى والسبعون في قصيدته الأولى بديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين  
 من ١٣ ) . والرّفْدُ : القُدْحُ الضَّخْمُ الذى يحتلب فيه ، كئى به عن الموت . وأقْتَالَ : أصاب ترات . جمع قتل بكسر ، القاف : وهو  
 العدو ، والقرن . ورواية المؤلف : أقبال : جمع قبيل ، وهو الملك الصغير دون الملك الأعظم . ولعلها تحريف من الناسخ . والقصيدة  
 في ملح الأسود بن المنذر اللخمي . وفي ( اللسان : رَفَدَ ) : الرّفْدُ بالكسر للإثاء الذى يحتلب فيه . وقال الأصمعي : الرّفْدُ ، بالفتح .  
 وقال شمر : رَفَدَ ( بالفتح الراء وكسرها ) .



الذي أنبأ ناكه فيها من أخبار القرى التي أهلكتنا أهلها بكفرهم بالله، وتكذبهم برسله، نقصه عليك، فنخبرك به، (مِنْهَا قَائِمٌ) يقول: منها بنيانه بائد بأهله هالك، (ومنها قائم بنيانه عامر، ومنها حصيد بنيانه خراب متداع، قد تعنى أثره دارس، من قولهم: زرع حصيد: إذا كان قد استؤصل قطعه، وإنما هو محصود، ولكنه صُرف إلى فعيل، كما قد بيننا في نظائره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (ذلك من أنباء القرى نقصه عليك، منها قائم وحصيد) يعني بالقائم: قرية عامرة، والحصيد: قرية خاملة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (قائم وحصيد) قال: قائم على عروشها، وحصيد: مستأصلة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (مِنْهَا قَائِمٌ) يُرَى مكانه (وَحَصِيدٌ) لا يُرَى له أثر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج (مِنْهَا قَائِمٌ) قال: خاوي على عروشها (وَحَصِيدٌ): ملزق بالأرض.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله، عن سفيان، عن الأعمش (مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) قال: خرب بنيانه.

حدثنا الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش (مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) قال: الحصيد: ما قد خرب بنيانه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) منها قائم يُرَى أثره، وحصيد باد لا يُرَى.

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ، وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبَابٍ (١٠١)

يقول تعالى ذكره: وما عاقبنا أهل هذه القرى التي اقتصصنا نبأها عليك يا محمد بغير استحقاق منهم عقوبتنا، فنكون بذلك قد وضعنا عقوبتنا في غير موضعها، (ولكن ظلموا أنفسهم) يقول:

ولكنهم أوجبوا لأنفسهم بمعصيتهم الله ، وكفرهم به ، عقوبته وعذابه ، فأحلوا بها ما لم يكن لهم أن يحلوه بها ، وأوجبوا لها ما لم يكن لهم أن يوجبوه لها . ( قَمَّا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ) يقول : فما دفعت عنهم آلهتهم التي يدعونها من دون الله ، ويدعونها أربابا ، من عقاب الله وعذابه ، إذا أحله بهم ربهم ، من شيء ، ولا ردت عنهم شيئا منه . ( لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ) يا محمد . يقول : لما جاء قضاء ربك بعذابهم ، فحق عليهم عقابه ، ونزل بهم سخطه ( وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيْبٍ ) يقول : وما زادتهم آلهتهم عند مجيء أمر ربك هؤلاء المشركين بعقاب الله غير تحسير وتدمير وإهلاك ، يقال منه : تَنَبَّهْتُ أُنْبِيَةَ تَنْبِيْبًا ، ومنه قولهم للرجل : تَبَّأَ لَكَ ، قال جرير :

عَرَادَةٌ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمٍ لُوطٍ أَلَا تَبَّأَ لِمَا فَعَلُوا تَبَابًا

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا سعيد بن سلام أبو الحسن البصري ، قال : ثنا سفيان ، عن نُسَيْرِ بْنِ ذُعْلُوقٍ ، عن ابن عمر ، في قوله ( وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيْبٍ ) قال : غير تحسير .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( غير تَتْنِيْبٍ ) قال : تحسير .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( غير تَتْنِيْبٍ ) يقول : غير تحسير .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( غير تَتْنِيْبٍ ) قال : غير تحسير . وهذا الخبر من الله تعالى ذكره ، وإن كان خبرا عن مضي من الأمم قبلنا ، فإنه وعيد من الله جل ثناؤه لنا أيستأها الأمة ، أنا إن سلكتنا سبيل الأمم قبلنا في الخلاف عليه وعلى رسوله ، سلك بنا سبيلهم في العقوبة ، وإعلام منه لنا أنه لا يظلم أحدا من خلقه ، وأن العباد هم الذين يظلمون أنفسهم .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : اعتذر ، يعني ربنا جل ثناؤه إلى خلقه ، فقال ( وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ) مما ذكرنا لك من عذاب من عذبنا من الأمم ( وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ) ، قَمَّا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ ) حتى بلغ ( وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيْبٍ ) قال : ما زادهم الذين كانوا يعبدونهم غير تنبيب .

(١) البيت لجرير بن عطية بن الخطمي (ديوانه طبع القاهرة بشرح الصاوي ، من قصيدته التي يهجو فيها الراعي الطبري : ص ٧٢) وعردة الطبري : رواية الراعي ، وجاء محرفا في رواية المؤلف : « عرابة » . وقوله « لما فعلوا » : في الديوان : « لما عملوا » . والتب : الحسران والإهلاك ، كما في لسان العرب . وأنشده البيت في التاج ، وقال إنه من هجاء جرير في رجل اسمه عردة بفتح العين ، سمى باسم النبات ، وفيه : « صنعوا » في مكان : « فعلوا » .



القول في تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره : وكما أخذت أيها الناس أهل هذه القرى التي اقتصصت عليك نبأ أهلها ، بما أخذتهم به من العذاب ، على خلافهم أمرى ، وتكذيبهم رسلى ، وجحودهم آياتى ، فكذلك أخذى القرى وأهلها ، إذا أخذتهم بعقابي وهم ظالمة لأنفسهم ، بكفرهم بالله ، وإشراكهم به غيره ، وتكذيبهم رسله ( إن أخذته أليم ) يقول : إن أخذ ربكم بالعقاب من أخذته ، أليم ، يقول : موجيع ( شديد ) الإيلاج ، وهذا أمر من الله ، تحذير لهذه الأمة أن يسلكوا فى معصيته طريق من قبلهم من الأمم الفاجرة ، فيحل بهم ما حل بهم من المثالات . كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن يزيد بن أبي بريدة ، عن أبيه ، عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يُمِئِلُ ، ورُبَّمَا أُمِئِلَ ، قال : يُمِئِلُ الظَّالِمَ ، حتى إذا أَخَذَهُ كَمْ يُفْلِتُهُ ، ثم قرأ ( وكذلك أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ) » . حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : إن الله حذّر هذه الأمة سطوته بقوله : ( وكذلك أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، إن أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ) . وكان عاصم الجحدري يقرأ ذلك ( وكذلك أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ) وذلك قراءة لأستجيز القراءة بها ، لخلافها مصاحف المسلمين ، وما عليه قراءة الأمصار .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ، ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ، وَذَلِكَ

يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣)

يقول تعالى ذكره : إن فى أخذنا من أخذنا من أهل القرى التي اقتصصنا خبرها عليكم أيها الناس ، الآية ، يقول : لعبرة وعظة لمن خاف عقاب الله وعذابه فى الآخرة من عباده ، وحُجَّةٌ عليه لربه ، وزاجرا يزرجه عن أن يعصى الله ، ويخالفه فيما أمره ونهاه ، وقيل : بل معنى ذلك : إن فيه عبرة لمن خاف عذاب الآخرة ، بأن الله سيقى له بوعده .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ) إنا سوف نبي لهم بما وعدناهم فى الآخرة ، كما وقينا للأنبياء أنا نصرهم . وقوله ( ذلك يوم مجموع له الناس ) يقول تعالى ذكره : هذا اليوم ، يعنى يوم القيامة ( يوم مجموع له الناس ) ، يقول : يحشر الله له الناس من قبورهم ، فيجمعهم فيه للجزاء والثواب والعقاب ، ( وذلك (١) قراءة الجحدري : أخذ ، بصورة المصدر ، وبصورة الفعل الماضى ، كما فى القرطبي .

يَوْمَ مَشْهُودٌ) يقول : وهو يوم تشهده الخلائق لا يتخلف منهم أحد ، فينتقم حينئذ من عصي الله ،  
وخالف أمره ، وكذب رسله .

وبنحر الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، في قوله ( ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ )  
وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ) قال : يوم القيامة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن علي بن  
زيد ، عن يوسف المكِّي ، عن ابن عباس ، قال : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم القيامة . ثم قرأ ( ذَلِكَ  
يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ، وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن ابن عباس ،  
قال : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم القيامة ، ثم تلا هذه الآية ( ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ،  
وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ) .

حدثت عن المسيب عن جوير ، عن الضحاک ، قوله ( ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ، وَذَلِكَ يَوْمٌ  
مَّشْهُودٌ ) قال : ذلك يوم القيامة ، يجتمع فيه الخلق كلهم ، ويشهده أهل السماء وأهل الأرض .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ (١٠٤)

يقول تعالى ذكره : وما نؤخر يوم القيامة عنكم أن نجيبكم به إلا لأن يقضى له أجلا ، فعدّه  
وأحصاه ، فلا يأتي إلا لأجله ذلك ، لا يتقدم مجيئه قبل ذلك ، ولا يتأخر .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنْفِقُونَ

النَّارَ ، لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ

رَبُّكَ ، إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) • وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا ، فَيَنجُونَ خَلِيدِينَ فِيهَا

مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ، عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ (١٠٨)

يقول تعالى ذكره : يوم يأتي يوم القيامة أيها الناس ، وتقوم الساعة ، لا تكلم نفس إلا بإذن ربها .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( يَوْمٌ يَأْتِي ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة ، بإثبات الياء فيها ( يَوْمٌ



يَأْتِي لَانْتِكَلَمُ نَفْسٌ) . وقرأ ذلك بعض قرآء أهل البصرة وبعض الكوفيين ، بإثبات الياء فيها في الوصل ، وحذفها في الوقف ، وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بحذف الباء في الوصل والوقف (يَوْمَ يَأْتِ لَانْتِكَلَمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ) .

والصواب من القراءة في ذلك عندي : (يَوْمَ يَأْتِ) بحذف الياء في الوصل والوقف ، اتباعا لحظ المصحف ، وأنها لغة معروفة لهذيل ، تقول : ما أدر ما تقول ، ومنه قول الشاعر :

كَفَّكَ كَفُّ مَا تَلِيْقُ دِرْهَمًا جُودًا وَأُخْرَى تُعْطَى بِالسَّيْفِ الدِّمَا

وقيل (لَانْتِكَلَمُ) وإنما هي لانتكلم ، فحذف إحدى التاءين ، اجتزاء بدلالة الباقية منهما عليها ، وقوله (فَيْنَهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) يقول : فمن هذه النفوس التي لانتكلم يوم القيامة إلا بإذن ربها ، شقي وسعيد ، وعاد على النفس ، وهي في اللفظ واحدة ، بذكر الجميع في قوله (فَيْنَهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) يقول : تعالى ذكره (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فَنَارِ لَهْمٍ فِيهَا زَفِيرٌ) لهم وهو أول نهاق الحمار وشبهه ، (وشهيق) وهو آخر نهيقه ، إذا رده في الجوف عند فراغه من نهاقه ، كما قال رؤبة بن العجاج :

حَشْرَجَ فِي الْحَرْفِ سَحِيلًا أَوْ شَهَقَ حَتَّى يَقَالُ نَاهَقٌ وَمَا تَهَقُّ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَهْمٌ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهَقٌ) يقول : صوت شديد ، وصوت ضعيف .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن أبي العالية ، في قوله (لَهْمٌ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهَقٌ) قال : الزفير في الحلق ، والشهيق في الصدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية بنحوه .

(١) البيت أورده صاحب اللسان في «ليق» غير منسوب . وقال : يقال : فلان ما يليق شيئا من سخائه : أي ما يملك . وما يليق بكفه درهم (ثلاثي) : أي ما يحتبس ، وما يليقه هو : أي ما يجبسه ، ولا يعلق به ، وقال : كفك . الخ . والشاهد في البيت حذف الياء من «تعلى» على لغة هذيل .

وقال القراء (معاني القرآن ، مصورة جامعة القاهرة ، ٢ : ١٤٧) كل ياء أو واو تسكنان ، وما قبل الواو مضموم ، وما قبل الياء مكسور ، فإن العرب تحذفها ، وتجتزئ بالضممة من الواو ، وبالكسرة من الياء ، أنشدني بعضهم : «كفك كف . . . البيت . (٢) البيتان من مشطور الرجز ، وهما في (ديوان رؤبة بن العجاج ، طبعة ليبسج سنة ١٩٠٣ وهما ال ٨٥ ، ٨٦ ص ١٠٦) .

وحشرج : من الحشرجة ، وهي تردد صوت النفس ، وهي الفغرغة في الصدر . وسحل البغل والحمار يسحل ، بفتح الحاء وكسرها في المضارع ، سحيلًا وسحالا : نهق . وشهق ، بفتح الحاء وكسرها شهيقًا وشهاقا : ردد البكاء في صدره ، وشهيق الحمار : آخر صوته ، وزفير أوله . ويقال : الشهيق : رد النفس ، والزفير : إخراجها . وقال الزجاج في قوله تعالى : «لهم فيها زفير وشهيق» : الزفير والشهيق : من أصوات المكروبين . قال : والزفير : من شديد الأنين وقبيحه . والشهيق الأنين الشديد المرتفع جدا . قال : وزعم بعض أهل اللغة من البصريين والكوفيين : أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار من النهيق ، والشهيق بمنزلة آخر صوته في الشهيق . وروى عن الربيع : الزفير في الحلق ، والشهيق : في الصدر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : صوت الكافر في النار صوت الحمار ، أوله زفير ، وآخره شهيق .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ومحمد بن معمر البحراني ، ومحمد بن المثنى ، ومحمد بن بشار ، قالوا : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سليمان بن سفيان ، قال : ثنا عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر عنهما ، قال : لما نزلت هذه الآية ( فَمِنْهُمْ شَقِيحٌ وَسَعِيدٌ ) سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا نبي الله ، فعلام عملنا ؟ على شيء قد فرغ منه ؟ أم على شيء لم يفرغ منه ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على شيء قد فرغ منه يا عمر ، وجرت به الأقدام ، ولكن كل ميسر لما خلق له » .  
اللفظ لحديث ابن معمر .

وقوله ( خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ) ، إن ربك فعال لما يريد ( يعني تعالى ذكره بقوله ( خالدين فيها ) لا يبين فيها . ويعنى بقوله ( ما دامت السموات والأرض ) ، أبدا ، وذلك أن العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبدا ، قالت : هذا دائم دوام السموات والأرض ، بمعنى أنه دائم أبدا ، وكذلك يقولون : هو باق ما اختلف الليل والنهار ، وما ستمر لنا ستمر ، وما لألات العفر بأذناها ، يعنون بذلك كله أبدا ، فخاطبهم جل ثناؤه بما يتعارفون به بينهم ، فقال ( خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ) . والمعنى في ذلك : خالدين فيها أبدا .

وكان ابن زيد يقول في ذلك بنحو ما قلنا فيه : حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ) قال : ما دامت الأرض أرضا ، والسماء سماء ، ثم قال : ( إلا ما شاء ربك ) .

واختلف أهل العلم والتأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : هذا استثناء استثناءه الله في أهل التوحيد ، أنه يخرجهم من النار إذا شاء ، بعد أن أدخلهم النار .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فأما الذين شقوا فإني النار لهم فيها زفير وشهيق ) ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ) قال : الله أعلم بشنياه . وذكر لنا أن ناسا يصيبهم سقعة<sup>٢</sup> من النار بذنوب أصابوها ، ثم يدخلهم الجنة حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ) والله أعلم بثنيته : ذكر لنا أن ناسا يصيبهم سقعة من النار ، بذنوب أصابتهم ، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته ، يقال لهم الجهنميون .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا شيبان بن فروخ ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة ، وتلا هذه الآية ( فأما الذين شقوا فإني النار لهم فيها زفير وشهيق ) . . . إلى قوله ( لما يريد ) ، فقال عند

(١) لألات العفر بأذناها : حر كها .

(٢) السقعة بالتحريك : السواد والشحوب . وقيل نوع من السواد ليس بالكثير . (اللسان) .



ذلك: ثنا أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِّنَ النَّارِ»، قال قتادة: ولا نقول مثل ما يقول أهل حروراء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن أبي مالك، يعني ثعلبة، عن أبي سنان، في قوله (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا قِنِي النَّارِ لَهْمٌ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ). خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك قال: استثناء في أهل التوحيد.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الضحاك بن مزاحم (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا قِنِي النَّارِ) . . . إلى قوله (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) قال: يخرج قوم من النار، فيدخلون الجنة، فهم الذين استثنى لهم.

حدثني المنثي، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن عامر بن جشيب<sup>١</sup>، عن خالد بن معدان في قوله (لا يشين فيها أحقابا)، وقوله (خالدين فيها إلا ما شاء ربك) أنهما في أهل التوحيد. وقال آخرون: الاستثناء في هذه الآية في أهل التوحيد، إلا أنهم قالوا: معنى قوله (إلا ما شاء ربك) إلا أن يشاء ربك أن يتجاوز عنهم، فلا يدخلهم النار، ووجهوا الاستثناء إلى أنه من قوله (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا قِنِي النَّارِ - إلا ما شاء ربك) لامن الخلود.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: ثنا ابن التيمي، عن أبيه، عن أبي نضرة، عن جابر أو أبي سعيد، يعني الخدرى، أو عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، في قوله (إلا ما شاء ربك، إن ربك فعّال لما يريد) قال: هذه الآية تأتي على القرآن كله، يقول: حيث كان في القرآن (خالدين فيها) تأتي عليه.

قال: وسمعت أبا مجلز يقول: هو جزاؤه، فإن شاء الله تجاوز عن عذابه.

وقال آخرون: عنى بذلك أهل النار، وكل من دخلها.

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المسيب عن ذكره، عن ابن عباس (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض): لا يموتون، ولا هم منها يخرجون، ما دامت السموات والأرض (إلا ما شاء ربك) قال: استثناء الله، قال: يأمر النار أن تأكلهم، قال: وقال ابن مسعود: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها، ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن بيان، عن الشعبي، قال: جهنم أسرع الدارين عمراناً، وأسرعهما خراباً.

وقال آخرون: أخبرنا الله بمشيئته لأهل الجنة، فعرفنا معنى ثنياه بقوله (عطاء غير مجدٍ): أنها

(١) عامر بن جشيب، بفتح الجيم وكسر المعجمة: أبو خالد الحمصي، عن خالد بن معدان، وعنه معاوية بن صالح. قال الدارقطني: ثقة، لم يسمع من أبي الدرداء (خلاصة الخرجي).

في الزيادة على مقدار مدة السماوات والأرض ، قال : ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار ، وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة ، وجائز أن تكون في النقصان .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ) فقرأ حتى بلغ ( عطاء غير مجدوذ ) قال : وأخبرنا بالذي يشاء لأهل الجنة ، فقال : عطاء غير مجدوذ ، ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار .

وأولى هذه الأقوال في تأويل هذه الآية بالصواب : القول الذي ذكرنا عن قتادة والضحاك ، من أن ذلك استثناء في أهل التوحيد من أهل الكبائر أنه يدخلهم النار ، خالدين فيها أبدا ، إلا ما شاء من تركهم فيها أقل من ذلك ، ثم يخرجهم ، فيدخلهم الجنة ، كذا قد بيننا في غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال بالصحة في ذلك : لأن الله جل ثناؤه أوعد أهل الشرك به الخلود في النار ، وتظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغير جائز أن يكون استثناء في أهل الشرك ، وأن الأخبار قد تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الله يدخل قوما من أهل الإيمان به بذنوب أصابوها النار ، ثم يخرجهم منها فيدخلهم الجنة ، فغير جائز أن يكون ذلك استثناء في أهل التوحيد قبل دخولها ، مع صحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا ، وأنا إن جعلناه استثناء في ذلك ، كنا قد دخلنا في قول من يقول : لا يدخل الجنة فاسق ، ولا النار مؤمن ، وذلك خلاف مذاهب أهل العلم ، وما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فسد هذان الوجهان ، فلا قول قال به القدوة من أهل العلم إلا الثالث ، ولأهل العربية في ذلك مذهب غير ذلك سنذكره بعد ، ونبيته إن شاء الله تعالى . وقوله ( إن ربك فعّال لما يريد ) يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد لا يمنعه مانع من فعل ما أراد فعله بمن عصاه وخالف أمره ، من الانتقام منه ، ولكنه يفعل ما يشاء ، فيمضى فعله فيهم ، وفيمن شاء من خلقه فعله وقضاه .

اختلفت القرآء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء المدينة والحجاز والبصرة وبعض الكوفيين ( وأما الذين سعادوا ) بفتح السين . وقرأ ذلك جماعة من قرآء الكوفة ( وأما الذين سعادوا ) بضم السين ، بمعنى : رزقوا السعادة .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قرآءتان معروفتان ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب . فإن قال قائل : وكيف قيل ( سعادوا ) فيما لم يسم فاعله ، ولم يقل : أسعدوا ، وأنت لاتقول في الخبر فيما سمي فاعله سعادته الله ، بل إنما تقول : أسعدته الله ؟ قيل : ذلك نظير قولهم : هو مجنون ، محبوب فيما لم يسم فاعله ، فإذا سموا فاعله ، قيل : أجنه الله وأحبه ، والعرب تفعل ذلك كثيرا . وقد بيننا بعض ذلك فيما مضى من كتابنا هذا .



وتأويل ذلك : وأما الذين سَعِدُوا بِرَحْمَةِ اللَّهِ ، فهم في الجنة ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ، يقول : أبدا ، إلا ما شاء ربك .

فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : إلا ما شاء ربك من قدر ما مكثوا في النار ، قبل دخولهم الجنة ، قالوا : وذلك فيمن أخرج من النار من المؤمنين ، فأدخل الجنة .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الضحاك ، في قوله ( وأما الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ) قال : هو أيضا في الذين يخرجون من النار ، فيدخلون الجنة ، يقول : خالدين في الجنة ما دامت السموات والأرض ، ( إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ) يقول : إلا ما مكثوا في النار حتى أدخلوا الجنة .

وقال آخرون : معنى ذلك : إلا ما شاء ربك من الزيادة على قدر مدة دوام السموات والأرض ، قالوا : وذلك هو الخلود فيها أبدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن أبي مالك ، يعني ثعلبة ، عن أبي سنان ( وأما الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ) قال : ومشيئته خلودهم فيها ، ثم أتبعها فقال ( عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ) .

واختلف أهل العربية في وجه الاستثناء في هذا الموضع : فقال بعضهم<sup>١</sup> في ذلك معنيان : أحدهما أن يجعله استثناء يستثنى ولا يفعله ، كقولك : والله لأضربنك ، إلا أن أرى غير ذلك ، وعزمتك على ضربه<sup>٢</sup> ، قال : فكذلك قال ( خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ) ولا يشاؤه . قال : والقول الآخر : أن العرب إذا استثنت شيئا كثيرا مع مثله ، ومع ما هو أكثر منه كان معنى إلا ومعنى الواو : « سِوَى » ؛ فمن ذلك قوله ( خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ) ، سوى ما شاء الله من زيادة الخلود ، فيجعل « إلا مكان سِوَى » فيصالح ، وكأنه قال : خالدين فيها ما دامت السموات والأرض سِوَى ما زادهم من الخلود والأبد ؛ ومثله في الكلام أن تقول : لى عليك ألف إلا الألفين اللذين قبله<sup>٣</sup> . قال : وهذا أحب الوجهين إلى ، لأن الله لا يخلف وعده . وقد وصل الاستثناء بقوله ( عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ) ، فدل على أن الاستثناء لهم بقوله في الخلود ، غير منقطع عنهم .

وقال آخر منهم بنحو هذا القول ، وقالوا : جازر فيه وجه ثالث ، وهو أن يكون استثنى من خلودهم في الجنة ، احتسابهم عنها ما بين الموت والبعث ، وهو البرزخ ، إلى أن يصيروا إلى الجنة ، ثم هو خلود الأبد ، يقول : فلم يغيبوا عن الجنة إلا بقدر إقامتهم في البرزخ .

(١) القائل : هو الفراء في كتابه معاني القرآن ، في سورة هود .

(٢) في معاني القرآن : وعزمتك على ضربه .

(٣) في معاني القرآن : مقدار ما كانت .

(٤) في معاني القرآن : اللذين من قبل فلان .

وقال آخر منهم : جائز أن يكون دوام السماوات والأرض بمعنى الأبد على ما تعرف العرب وتستعمل وتستننى المشيئة من دوامها ، لأن أهل الجنة وأهل النار قد كانوا في وقت من أوقات دوام السماوات والأرض في الدنيا ، لاقى الجنة ، فكأنه قال : خالدين في الجنة ، وخالدين في النار ، دوام السماء والأرض (إلا ما شاء ربك) من تعميمهم في الدنيا قبل ذلك .

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب : القول الذي ذكرته عن الضحاك ، وهو ( وأما الذين سعِدُوا قَبْلِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ) من قدر مكثهم في النار ، من لدن دخولها ، إلى أن أدخلوا الجنة ، وتكون الآية معناها الحصر ، لأن الأشهر من كلام العرب في «إلا» توجيهها إلى معنى الاستثناء ، وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها ، إلا أن يكون معها دلالة تدل على خلاف ذلك ، ولا دلالة في الكلام ، أعنى في قوله (إلا ما شاء ربك) تدل على أن معناها غير معنى الاستثناء المفهوم في الكلام ، فيوجه إليه .

وأما قوله (عطاء غير مجذوذ) فإنه يعنى عطاء من الله غير مقطوع عنهم ، من قولهم : جذدت الشيء أجذته جذاً : إذا قطعته ، كما قال النابغة :

تَجْدُ السُّلُوقِ الْمُضَاعَفَ نَسْجَهُ وَيُوقِدُنَ بِالصُّفْحِ نَارَ الْجَبَابِ

يعنى بقوله : تجذ : تقطع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوهر ، عن الضحاك (عطاء غير مجذوذ) قال : غير مقطوع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عطاء غير مجذوذ) يقول : غير منقطع .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس «عطاء غير مجذوذ» يقول : عطاء غير مقطوع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : مجذوذ ، قال : مقطوع .

(١) البيت للناطقة الذبياني (انظر مختار الشعر الجاهل، بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي ص ١٦١). والرواية فيه : «تقد» في موضع «تجد». قال في اللسان : الجذ : كسر الشيء الصلب ، جذذته كسرتة وقطعته . وجذذته جذاً ، فهو مجذوذ وجذيد . وقال في (قد) : التقطع المستأصل ، والشق طولاً ، والانقذاد : الانشقاق . وقال ابن دريد هو القطع المستطيل . ٥١ . والتقد قطع الجلد وشق الثوب ونحو ذلك . وخر به بالسيف ففده بنصفين . والسلوق : درع ينسب إلى سلوق ، وهي مدينة بآيمن وقيل بالشام . والمضاعف : الذي نسج حلقتين حلقتين . والصفاح : حجارة عراض . والمقصود هنا : ما يجعل على الرأس من البيض ، وعلى الساعد من الحديد . والجباب : ذباب له شعاع بالليل ، يقول : إذا اصطدمت السيوف بالدروع ، أخرجت ناراً كضوء الجباب .



حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ) قال : غير مقطوع .  
 قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
 قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، مثله .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، مثله .  
 قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قوله ( عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ) قال : أما هذه فقد أمضاها ، يقول : عطاء غير منقطع .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ) غير منزوع منهم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَبْعُدُ هَؤُلَاءِ ، مَا يَبْعُدُونَ إِلَّا كَمَا يَبْعُدُ ، آبَاءُ وَهُمْ مِنْ قَبْلُ ، وَإِنَّا لَمُوقِفُهُمْ نَصِيْبُهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ (١٠٩)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : فلا تك في شك يا محمد مما يعبد هؤلاء المشركون من قومك من الآلهة والأصنام ، أنه ضلال وباطل ، وأنه بالله شرك ، ما يعبد هؤلاء إلا كما يعبد آباؤهم من قبل ، يقول : إلا كعبادة آباؤهم من قبل عبادتهم لها ، يخبر تعالى ذكره أنهم لم يعبدوا ما عبدوا من الأوثان إلا اتباعاً منهم مناج آباؤهم ، واقتفاء منهم آثارهم في عبادتهمها ، لآعن أمر الله إياهم بذلك ، ولا بحجة تبينها توجب عليهم عبادتها ، ثم أخبر جل ثناؤه نبية ما هو فاعل بهم ، لعبادتهم ذلك ، فقال جل ثناؤه : ( وَإِنَّا لَمُوقِفُهُمْ نَصِيْبُهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ) يعني : حظهم مما وعدتهم أن أوقسيهموه ، من خير أو شر ، غير منقوص ، يقول : لأنقصهم مما وعدتهم ، بل أتم ذلك لهم ، على التمام والكمال .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ( وَإِنَّا لَمُوقِفُهُمْ نَصِيْبُهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ) قال : ما وعدوا فيه من خير أو شر .

حدثنا أبو كريب ومحمد بن بشار ، قالوا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله ، إلا أن أبا كريب قال في حديثه : من خير أو شر .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ( وَإِنَّا لَمُوقِفُهُمْ نَصِيْبُهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ) قال : ما قدر لهم من الخير والشر .  
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَإِنَّا لَمُوقِفُهُمْ نَصِيْبُهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ) قال : ما يصيبهم من خير أو شر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَإِنَّا لَمَوَفُّوهُمْ نَصِيحَتَهُمْ ،  
غَيْرَ مُنْقَوِّصِينَ ) قال : نصيحتهم من العذاب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإِلَهُمُ

لَنِي شَكٌّ مِنْهُ مُرِيبٌ (١١٠)

يقول تعالى ذكره مسلماً نبيه في تكذيب مشركي قومه إياه ، فيما أتاهم به من عند الله بفعل بني إسرائيل  
بموسى ، فيما أتاهم به من عند الله ، يقول له تعالى ذكره : ولا يحزنك يا محمد تكذيب هؤلاء المشركين لك ،  
وامض لما أمرك به ربك ، من تبليغ رسالته ، فإن الذي يفعل بك هؤلاء من رد ما جئتهم به عليك من  
النصيحة ، من فعل ضراباًهم من الأمم قبلهم ، وسنة من سنهم ؛ ثم أخبره جل ثناؤه بما فعل قوم موسى به ،  
فقال ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ) يعني التوراة ، كما آتيناك الفرقان ، فاختلف في ذلك الكتاب  
قوم موسى ، فكذب به بعضهم ، وصدق به بعضهم ، كما قد فعل قومك بالفرقان من تصديق بعض به ،  
وتكذيب بعض ( وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ) يقول تعالى ذكره : ولولا كلمة سبقت يا محمد  
من ربك ، بأنه لا يعجل على خلقه بالعذاب ، ولكن يتأني حتى يبلغ الكتاب أجله ( لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ) يقول :  
لنقض بين المكذب منهم به ، والمصدق بإهلاك الله المكذب به منهم ، وإنجائه المصدق به ( وَإِلَهُمُ لَنِي  
شَكٌّ مِنْهُ مُرِيبٌ ) يقول : وإن المكذبين به منهم لني شك من حقيقته ، أنه من عند الله ؛ مرعب :  
يقول : يربهم ، فلا يدرون أحق هو أم باطل ؟ ولكنهم فيه ممترون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِن كَلَّا لَمَا لِيَؤْفِقِينَ رَبَّكَ أَعْمَالَهُمْ ، إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١)

اختلقت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته جماعة من قراء أهل المدينة والكوفة ( وَإِن ) مشددة ( كَلَّا  
كَلَّا ) مشددة .

واختلف أهل العربية في معنى ذلك ، فقال بعض نحوي الكوفيين : معناه : إذا قرئ كذلك : وإن  
كلا لما ليؤفقيهم ربك أعمالهم ، ولكن لما اجتمعت الميمات حذف واحدة ، فبقيت ثنتان ، فأدغمت واحدة  
في الأخرى ، كما قال الشاعر :

وَإِنِّي لَمَّا أُصْدِرُ الْأَمْرَ وَجْهَهُ إِذَا هُوَ أَعْيَا بِالنَّبِيلِ مَصَادِرُهُ<sup>١</sup>

(١) أورد البيت الفرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (طبعة دار الكتب المصرية ٩ : ١٠٥) وروايته فيه (بالسبيل)  
في موضع (بالنبيل). استشهد به كما استشهد المؤلف على أن «لما» أصلها «لمن ما» فقلبت النون ميماً ، واجتمعت ثلاث ميمات ،  
فحذفت الوسطى ، فصارت «لما» . وما على هذا القول بمعنى (من) تقديره : وإن كلا لمن الذين ، كقولهم : «وإني . . . البيت . =



ثم تخفف كما قرأ بعض القراء (والبغى يعظكم) يخفف الياء مع الياء ، وذكر أن الكسائي أنشده :

وأشمت العداة بنا فأضحوا لدى يتباشرون بما لقينا

وقال : يريد : لدى يتباشرون بما لقينا ، فحذف ياء ، لحركتين واجتماعهن ؛ قال : ومثله :

كان من أخيرها إلقادم تخميرم تجسد فارغ المتخارم<sup>٢</sup>

وقال : إلى القادم ، فحذف اللام عند اللام .

وقال آخرون : معنى ذلك إذا قرئ كذلك (وإن كلاً) شديداً وحقا ، ليوفيهن ربك أعمالهم ، قال :

وإنما يراد إذا قرئ ذلك كذلك (وإن كلاً لماً) بالتشديد والتنوين ، ولكن قارئ ذلك كذلك ، حذف منه

التنوين ، فأخرجه على لفظ «فعلى» : لماً ، كما فعل ذلك في قوله (ثم أرسلنا رسلنا تنزيهاً) فقرأ تنزيهاً بعضهم

بالتنوين ، كما قرأ من قرأ (لماً) بالتنوين ، وقرأ آخرون بغير تنوين ، كما قرأ (لماً) بغير تنوين من قرأه .

وقالوا : أصله من اللهم من قول الله تعالى (وتأكلون الثمرات أكلاً لماً) يعنى : أكلاً شديداً .

وقال آخرون : معنى ذلك إذا قرئ كذلك : وإن كلاً «إلاً» ليوفيهن ، كما يقول القائل : لقد قمت

عنا ، وبالله إلا قمت عنا . ووجدت عامة أهل العلم بالعربية ينكرون هذا القول ، ويأبون أن يكون جائزاً

توجيه «لماً» إلى معنى «إلاً» في اليمين خاصة ؛ وقالوا : لو جاز أن يكون ذلك بمعنى إلا ، جاز أن يقال :

قام القوم لما أخاك ، بمعنى : إلا أخاك ، ودخولها في كل موضع صلح دخول إلا فيه .

وأنا أرى أن ذلك فاسد من وجه هو أبين مما قاله الذين حكينا قولهم من أهل العربية إن في فساده ، وهو

أن إثبات للشيء وتحقيق له ، وإلا أيضاً تحقيق أيضاً ، وإنما تدخل نقضا لجمد قد تقدمها ، فإذا كان ذلك

معناها ، فواجب أن تكون عند متاؤها التأويل الذى ذكرنا عنه ، أن تكون بمعنى الجمد عنده ، حتى تكون

إلاً نقضا لها ، وذلك إن قاله قائل ، قول لا يحنى جهل قائله ، اللهم إلا أن يخفف قارئ «إن» فيجعلها بمعنى «إن»

التي تكون بمعنى الجمد . وإن فعل ذلك ، فسدت قراءته ذلك كذلك أيضاً من وجه آخر ، وهو أنه يصير حينئذ

ناصباً لكل بقوله : ليوفيهن ، وليس في العربية أن ينصب ما بعد «إلاً» من الفعل ، الاسم الذى قبلها ، لا تقول

قال الفرطبي : وزيف الزجاج هذا القول ، وقال : «من» : اسم على حرفين فلا يجوز حذفه . وقال الفراء في معاني القرآن ( مصورة

جامعة القاهرة ص ١٤٨ ج ٢ ) : وأما من شدلما ، فإنه والله أعلم ، أراد : لمن ما ليوفيهن ، فلما اجتمعت ثلاث ميمات ، حذف

واحدة ، فبقيت ثنتان ، فأدغمت في صاحبها ، كما قال الشاعر :

وإني لماً أصدر الأمر وجهه إذا هو أعيا بالنسبيل مصادره

(١) البيت من شواهد الكسائي ، أنشده الفراء في معاني القرآن ( مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٩٥ ج ٢ ص ١٤٨ ) ، وهو

شاهد على التخفيف ، بحذف بعض الحروف المكررة في الكلمة ، قال بعد الكلام على تخفيف لما : وبعد الشاهد السابق مباشرة : « ثم

يخفف ، كما قرأ بعض القراء : « والبنى يظلم بحذف الياء عند الياء . أنشد في الكسائي : « وأشمت العداة بنا فأضحوا . . . » البيت

معناه : لدى يتباشرون ، فحذف لاجتماع الياء .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن ( مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ج ٢ : ١٤٨ ) وهو ( مثل الشاهد قبله )

شاهد على التخفيف بحذف بعض الحروف . قال بعد أن أنشد البيت : أراد : إلى القادم ، فحذف اللام .

العرب: ما زيدا إلاّ ضربت ، فيفسد ذلك إذا قرئ كذلك من هذا الوجه ، إلا أن يرفع رافع الكلّ ، فيخالف بقراءته ذلك كذلك قراءة القرّاء ، وخطّ مصاحف المسلمين ، ولا يخرج بذلك من العيب بخروجه من معروف كلام العرب .

وقد قرأ ذلك بعض قراء الكوفيين (وإنّ كُلاًّ) بتخفيف إن ونصب (كلاًّ لمّا) مشددة ؛ وزعم بعض أهل العربية أن قارئ ذلك كذلك أراد «إنّ» الثقيلة فخففها . وذكر عن أبي زيد البصريّ ، أنه سمع :  
كَانَ تَدْيِيهِ حُقَّانٌ ، فنصب بكأنّ ، والنون مخففة من كأنّ ؛ ومنه قول الشاعر :

وَوَجْهُهُ مُشْرِقٌ النَّحْرِ كَأَنَّ تَدْيِيهِ حُقَّانٌ

وقرأ ذلك بعض المدنيين بتخفيف «إنّ» ونصب «كلاًّ» وتخفيف «لمّا» . وقد يحتمل أن يكون قارئ ذلك كذلك قصد المعنى الذي حكيناه عن قارئ الكوفة ، من تخفيفه نون «إنّ» وهو يريد تشديدها ، ويريد بما التي في «لمّا» التي تدخل في الكلام صلة ، وأن يكون قصد إلى تحميل الكلام معنى : وإنّ كلاًّ ليوفينهم ؛ ويجوز أن يكون معناه : كان في قراءته ذلك كذلك : وإنّ كلاًّ ليوفينهم أيّ ليوفين كلاًّ ، فيكون نيته في نصب كلّ كانت بقوله : ليوفينهم ، فإن كان ذلك أراد ، ففيه من القبح ما ذكرت من خلافه كلام العرب ، وذلك أنها لا تنصب بفعل بعد لام اليمين اسماً قبلها .

وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز والبصرة «وإنّ» مشددة (كلاًّ لمّا) مخففة (ليوفينهم) . ولهذا القراءة وجهان من المعنى : أحدهما: أن يكون قارئها أراد : وإنّ كلاًّ لمنّ ليوفينهم ربك أعمالهم ، فيوجه «ما» التي في «لمّا» إلى معنى «منّ» ، كما قال جلّ ثناؤه (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) وإن كان أكثر استعمال العرب لها في غير بني آدم ، وينوي باللام التي في «لمّا» : اللام التي يتلّقى بها «إنّ» جواباً لها ، وباللام التي في قوله (ليوفينهم) لام اليمين ، دخلت فيما بين ما وصلها ، كما قال جلّ ثناؤه (وإنّ منكم لمنّ ليبطئن) وكما يقال : هذا ما لغيره أفضل منه . والوجه الآخر : أن يجعل «ما» التي في «لمّا» بمعنى «ما» التي تدخل صلة في الكلام ، واللام التي فيها هي اللام التي يجاب بها ، واللام التي في (ليوفينهم) هي أيضا اللام التي يجاب بها «إنّ» ، كرّرت وأعيدت ، إذ كان ذلك موضعها ، وكانت الأولى مما تدخلها العرب في غير موضعها ، ثم تعيدها بعد في موضعها ، كما قال الشاعر :

فَكَوْ أَنْ قَوْمِي لَمْ يَكُونُوا أَعَزَّةً لِيُعَدُّ لَقَدِّ لَاقِيَتْ لَابُدَّ مَصْرَعَا

وقرأ ذلك الزهريّ فيما ذكر عنه : (وإنّ كلاًّ) بتشديد إنّ و (لمّا) بتنوينها ، بمعنى : شديداً وحققاً وجميعاً .

(١) البيت من أبيات الكتاب لسبويه (١ : ٢٨١) قال الأعمى في توجيهه : الشاهد فيه : تخفيف كان ، وحذف اسمها . والتقدير : كأنه ثدياه حقان . قال : ويجوز كأن ثدييه ، على إعمال كأن مخففة . والهاء في ثدييه عائدة على الوجه أو النحر . والمعنى : كأن ثدي صاحبه حقان .

(٢) البيت من شواهد القراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ ج ٢ : ص ١٤٨) قال : وإذا عجلت العرب باللام في غير موضعها ، أعادوها إليه ، كقولك : إن زيدا لإليك لحسن كان موقع اللام في «لحسن» ، فلما أدخلت في إليك ، أعيدت في «لحسن» . ومثله قول الشاعر :

ولو أن قومي لم يكونوا أعزة . . . . . البيت

أدخلها في بعد وليس بموضعها . ومثله قول أبي الجراح : «إني لبحمد الله لصالح» .



﴿ وَأَصْحَ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ مَخْرُجًا عَلَى كَلَامِ الْعَرَبِ الْمُسْتَفْضَى فِيهِمْ ، قِرَاءَةً مِنْ قُرْآنٍ ( وَإِنَّ ) بِتَشْدِيدِ نُونِهَا ، ( كَلَامًا لَمَّا ) بِتَخْفِيفِ مَا ( لَيُؤْفِقِيَنَّهُمْ رَبُّكَ ) بِمَعْنَى : وَإِنْ كَلَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَصَصْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ قِصَصَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ، لَمَنْ كَيُؤْفِقِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ، بِالصَّالِحِ مِنْهَا : بِالْجَزِيلِ مِنَ الثَّوَابِ ، وَبِالطَّالِحِ مِنْهَا : بِالشَّدِيدِ مِنَ الْعِقَابِ ، فَتَكُونُ « مَا » بِمَعْنَى « مَنْ » ، وَاللَّامُ الَّتِي فِيهَا جَوَابًا لِإِنْ ، وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ ( لَيُؤْفِقِيَنَّهُمْ ) لَامُ قَسَمٍ .

وقوله ( إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ) يقول تعالى ذكره : إن ربك بما يعمل هؤلاء المشركون بالله ، من قومك يا محمد ، خبير ، لا يخفى عليه شيء من عملهم ، بل يخبرُ ذلك كله ويعلمه ويحيط به ، حتى يجازيهم على جميع ذلك جزاءهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَاسْتَقِيمْ كَمَا أَمَرْتِ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ، إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ( ١١٢ )

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَاسْتَقِمِ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ عَلَى أَمْرِ رَبِّكَ ، وَالَّذِينَ الَّذِينَ ابْتَعَثْتُكَ بِهِ ، وَالِدْعَاءَ إِلَيْهِ ، كَمَا أَمَرْتُكَ رَبُّكَ . ( وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ) يَقُولُ : وَمَنْ رَجَعَ مَعَكَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَالْعَمَلَ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ مِنْ بَعْدِ كُفْرِهِ . ( وَلَا تَطْغَوْا ) يَقُولُ : وَلَا تَعْتَدُوا أَمْرَهُ إِلَى مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ . ( إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ) يَقُولُ : إِنَّ رَبَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِمَا تَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا ، طَاعَتِهَا وَمَعْصِيَتِهَا ، بِصِيرٌ ذُو عِلْمٍ بِهَا ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَهُوَ بِجَمِيعِهَا مُبْصِرٌ ، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنْ يُطَّلَعَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ وَأَنْتُمْ عَامِلُونَ بِخِلَافِ أَمْرِهِ ، فَإِنَّهُ ذُو عِلْمٍ بِمَا تَعْمَلُونَ ، وَهُوَ لَكُمْ بِالْمُرْصَادِ . وَكَانَ ابْنُ عِينَةَ يَقُولُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ ( فَاسْتَقِيمْ كَمَا أَمَرْتِ ) مَا حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، عَنْ سَفْيَانَ ، فِي قَوْلِهِ ( فَاسْتَقِيمْ كَمَا أَمَرْتِ ) قَالَ : اسْتَقِمِ عَلَى الْقُرْآنِ . حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ ( وَلَا تَطْغَوْا ) قَالَ : الطَّغْيَانُ : خِلَافُ اللَّهِ ، وَرُكُوبُ مَعْصِيَتِهِ ، ذَلِكَ الطَّغْيَانُ .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا سَكَتُ النَّارُ ، وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ، ثُمَّ

لَا تُنصَرُونَ ( ١١٣ )

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَلَا تَمِيلُوا أَيُّهَا النَّاسُ إِلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ ، فَتَقْبَلُوا مِنْهُمْ وَتَرْضَوْا أَعْمَالَهُمْ ، فَتَمْسُكُمُ النَّارُ بِفِعْلِكُمْ ذَلِكَ ، وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ نَاصِرٍ يُنصِرُكُمْ ، وَوَلِيٍّ يُلِيكُمْ ( ثُمَّ ) لَا تُنصَرُونَ ) يَقُولُ : فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لَمْ يُنصِرْكُمْ اللَّهُ ، بَلْ يَخْلِيكُمْ مِنْ نَصْرَتِهِ ، وَيَسْلُطُ عَلَيْكُمْ عَدُوَّكُمْ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

## ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَرَكُّنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ) يعني : الركون إلى الشرك .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ( وَلَا تَرَكُّنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ ) يقول : لا ترضوا أعمالهم .  
 حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، ( وَلَا تَرَكُّنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ ) يقول : لا ترضوا أعمالهم ، يقول : الركون : الرضا .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله ( وَلَا تَرَكُّنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ ) قال : لا ترضوا أعمالهم ، فتمسكم النار .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَلَا تَرَكُّنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ ) قال : قال ابن عباس : ولا تميلوا إلى الذين ظلموا .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تَرَكُّنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ ) فتمسكم النار ) يقول : لا تلحقوا بالشرك ، وهو الذي خرجتم منه .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تَرَكُّنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ) قال : الركون : الإدهان ، وقرأ ( وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ) قال : تركن إليهم ، ولا تنكر عليهم الذي قالوا ، وقد قالوا العظيم من كفرهم بالله وكتابه ورسله .  
 قال : وإنما هذا لأهل الكفر وأهل الشرك وليس لأهل الإسلام ، أما أهل الذنوب من أهل الإسلام ، فإله أعلم بذنوبهم وأعمالهم ، ما ينبغي لأحد أن يصالح على شيء من معاصي الله ، ولا يركن إليه فيها .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، ذَلِكَ ذِكْرِي  
 لِلَّذِينَ كَرِهُوا (١١٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ( وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ) يا محمد ، يعني صل ( طَرَفِي النَّهَارِ ) ، يعني الغداة والعشي .

واختلف أهل التأويل في التي عنيت بهذه الآية من صلوات العشي ، بعد إجماع جميعهم على أن التي عنيت من صلاة الغد : الفجر ، فقال بعضهم : عنيت بذلك صلاة الظهر والعصر ، قالوا : وهما من صلاة العشي .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن منصور ، عن مجاهد ( أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ) قال : الفجر ، وصلاتي العشي ، يعني : الظهر ، والعصر .



حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد مثله .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ،  
في قوله ( أقيم الصلاة طرقي النهار ) قال : صلاة الفجر ، وصلاة العشي .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أفلح بن سعيد ، قال : سمعت محمد  
ابن كعب القرظي يقول ( أقيم الصلاة طرقي النهار ) قال : فطرفا النهار : الفجر والظهر والعصر .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ( أقيم  
الصلاة طرقي النهار ) قال : الفجر ، والظهر ، والعصر .  
وقال آخرون : بل عني بها صلاة المغرب .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( أقيم  
الصلاة طرقي النهار ) يقول : صلاة الغداة ، وصلاة المغرب .  
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن عوف ، عن الحسن ( أقيم الصلاة طرقي النهار ) قال :  
صلاة الغداة ، والمغرب .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أقيم الصلاة طرقي  
النهار ) الصباح ، والمغرب .  
وقال آخرون : عني بها صلاة العصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله ( أقيم الصلاة  
طرقي النهار ) قال : صلاة الفجر ، والعصر .  
قال : ثنا زيد بن حباب ، عن أفلح بن سعيد القُبائي ، عن محمد بن كعب ( أقيم الصلاة طرقي  
النهار ) الفجر ، والعصر .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( أقيم الصلاة  
طرقي النهار ) قال : صلاة الصبح وصلاة العصر .  
حدثني الحسين بن عليّ الصدائي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : قال الله  
لنبيه ( أقيم الصلاة طرقي النهار ) قال : طرفي النهار : الغداة ، والعصر .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أقيم الصلاة طرقي النهار )  
يعني صلاة العصر والصبح .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن  
( أقيم الصلاة طرقي النهار ) الغداة ، والعصر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن أفلح بن سعيد ، عن محمد بن كعب ( أقيم الصلاة طرقي النهار ) الفجر ، والعصر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قررة ، عن الحسن ( أقيم الصلاة طرقي النهار ) قال : الغداة ، والعصر .

وقال بعضهم : بل عن بطرفي النهار : الظهر ، والعصر ؛ ويقولون ( زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ ) : المغرب ، والعشاء ، والصبح .

وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب : قول من قال : هي صلاة المغرب ، كما ذكرنا عن ابن عباس . وإنما قلنا : هو أولى بالصواب ، لإجماع الجميع على أن صلاة أحد الطرفين من ذلك صلاة الفجر ، وهي تُصلى قبل طلوع الشمس ، فالواجب إذ كان ذلك من جميعهم إجماعاً أن تكون صلاة الطرف الآخر المغرب ، لأنها تصلى بعد غروب الشمس ، ولو كان واجباً أن يكون مراداً بصلاة أحد الطرفين قبل غروب الشمس ، وجب أن يكون مراداً بصلاة الطرف الآخر بعد طلوعها ، وذلك ما لا نعلم قائلًا قاله ، إلا من قال : عنى بذلك صلاة الظهر والعصر ، وذلك قول لا تحيل فساداً ، لأنهما إلى أن يكونا جميعاً من صلاة أحد الطرفين ، أقرب منهما إلى أن يكونا من صلاة طرفي النهار ، وذلك أن الظهر لا شك أنها تصلى بعد مضي نصف النهار في النصف الثاني منه ، فحال أن تكون من طرف النهار الأول ، وهي في طرفه الآخر ، فإذا كان لا قائل من أهل العلم يقول : عنى بصلاة طرف النهار الأول ، صلاة بعد طلوع الشمس ، وجب أن يكون غير جائز أن يقال : عنى بصلاة طرف النهار الآخر : صلاة قبل غروبها ، وإذا كان ذلك كذلك ، صح ما قلنا في ذلك من القول ، وفسد ما خالفه .

وأما قوله ( وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ ) فإنه يعنى : ساعات من الليل ، وهي جمع زُلْفَة ، والزلفة : الساعة ، بالمنزلة ، والقربة . وقيل : إنما سميت المزدلفة وجمع : من ذلك ، لأنها منزل بعد عرفة . وقيل : سميت بذلك لازدلاف آدم من عرفة إلى حواء وهي بها ؛ ومنه قول العجاج في صفة بعير :

ناجٍ طَوَاهُ الْأَيْسُنُ مِمَّا وَجَعًا طَيَّ اللَّيَالِي زُلْفًا فزُلْفًا

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة والعراق ( وَزُلْفًا ) بضم الزاي ، وفتح اللام . وقراءه بعض أهل المدينة بضم الزاي واللام ، كأنه وجهه إلى أنه واحد ، وأنه بمنزلة الحُلْم . وقراءه بعض المكين ( وَزُلْفًا ) بضم الزاي ، وتسكين اللام .

وأعجب القراءات في ذلك إلى ، أن أقرأها ( وَزُلْفًا ) بضم الزاي وفتح اللام ، على معنى جمع زُلْفَة ،

(١) البيتان للعجاج من مشطور الرجز ( ديوانه طبع لبيد سنة ١٩٠٣ ص ٨٤ ) . وهما في وصف جمل . والثاني : المرع في السير . وطواه : هزله وأضمره . والأين : الإعياء والتعب . ووجف : سار مسرعاً ، والوجيف : ضرب من السير فيه اضطراب . وزلفاً زلفاً : قال في اللسان : منزلة بعد منزلة ، ودرجة بعد درجة .



كما تجمع غرفة عُرْف ، وحجارة حُجْر . وإنما اخترت قراءة ذلك كذلك ، لأن صلاة العشاء الآخرة إنما تصلى بعد مضي زلف من الليل ، وهي التي عنيت عندي بقوله ( وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ ) .  
وبنحو الذي قلنا في قوله ( وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ ) قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ ) قال : الساعات من الليل صلاة العتمة .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ ) يقول : صلاة العتمة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن عوف ، عن الحسن ( وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ ) قال : العشاء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفیان ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، قال : كان ابن عباس يعجبه التأخير بالعشاء ، ويقرأ ( وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ ) قال : ساعة من الليل : صلاة العتمة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ ) قال : العتمة ، وما سمعت أحدا من فقهاءنا ومشايخنا ، يقول : العشاء ، ما يقولون إلا العتمة .

وقال قوم : الصلاة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإقامتها زلفا من الليل ، صلاة المغرب والعشاء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع ، واللفظ ليعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو رجاء عن الحسن ( وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ ) قال : هما زلفتان من الليل : صلاة المغرب ، وصلاة العشاء .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن ، في قوله ( وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثني الحسن بن علي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ( أقيم الصلاة طرفي النهارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ ) قال : زلفا من الليل : المغرب ، والعشاء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هُمَا زُلْفَتَا اللَّيْلِ : الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن منصور ، عن مجاهد ( وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد مثله .  
حدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .  
قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : قد بين الله  
مواقيت الصلاة في القرآن ، قال ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل ) قال : دلوكها :  
إذا زالت عن بطن السماء ، وكان لها في الأرض فيء ، وقال ( أقيم الصلاة طرقي النهار ) الغداة ، والعصر  
( وزلقتا من الليل ) المغرب ، والعشاء . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هُما زلقتا الليل :  
المغرب والعشاء » .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وزلقتا من الليل ) قال : يعني صلاة  
المغرب ، وصلاة العشاء .  
حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أفلح بن سعيد ، قال : سمعت محمد  
ابن كعب القرظي يقول ( زلقتا من الليل ) المغرب ، والعشاء .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن أفلح بن سعيد ، عن محمد بن كعب ، مثله .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ( وزلقتا  
من الليل ) المغرب ، والعشاء .  
حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن عاصم بن سليمان ، عن الحسن ، قال :  
زلقتا الليل : المغرب ، والعشاء .  
حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جوير ، عن الضحاک ،  
في قوله ( وزلقتا من الليل ) قال : المغرب ، والعشاء .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عاصم ، عن الحسن ( وزلقتا من الليل )  
قال : المغرب ، والعشاء .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن جوير ، عن الضحاک ( وزلقتا من الليل )  
قال : المغرب ، والعشاء .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عاصم ، عن الحسن ( زلقتا من الليل ) : صلاة المغرب والعشاء  
وقوله ( إن الحسنة يذهب السيئات ) يقول تعالى ذكره : إن الإجابة إلى طاعة الله ، والعمل بما  
يرضيه ، يذهب آثام معصية الله ، ويكفر الذنوب .  
ثم اختلف أهل التأويل في الحسنات التي عنى الله في هذا الموضع ، اللاتي يذهب السيئات ، فقال بعضهم :  
هن الصلوات الخمس المكتوبات .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عسبة ، عن الجريدي ، عن أبي الورد بن ثمامة ، عن أبي محمد



ابن الحضرمي ، قال : ثنا كعب في هذا المسجد ، قال : والذي نفس كعب بيده إن الصلوات الخمسَ  
لهنَّ الحسنات التي يذهب السيئات ، كما يغسل الماء الدرَّ .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أفلح ، قال : سمعت محمد بن كعب  
القرظي يقول في قوله ( إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ) قال : هنَّ الصلوات الخمس .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عبد الله بن مسلم ، عن  
سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ) قال : الصلوات الخمس .  
قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ( إِنَّ الْحَسَنَاتِ ) الصلوات .  
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة جميعاً ، عن عوف ،  
عن الحسن ( إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ) قال : الصلوات الخمس .  
حدثني زريق بن الشخب ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن  
جبير ، عن ابن عباس ( إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ) قال : الصلوات الخمس .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله  
تعالى ( إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ) قال : الصلوات الخمس .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، قال :  
الصلوات الخمس .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن  
عبد الله ( إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ) قال : الصلوات الخمس .  
قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سعيد البحريري ، قال : ثنا أبو عثمان ، عن سلمان ، قال :  
والذي نفسى بيده ، إن الحسنات التي يمحو الله بهنَّ السيئات ، كما يغسل الماء الدرَّ : الصلوات الخمس .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن  
عباس ( إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ) قال : الصلوات الخمس .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مزينة بن زيد ، عن مسروق  
( إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ) قال : الصلوات الخمس .  
حدثني محمد بن عمار الأسدي ، وعبد الله بن أبي زياد القطواني ، قالوا : ثنا عبد الله بن يزيد ، قال :  
أخبرنا حيوة ، قال : أخبرنا أبو عقيل زهرة بن معبد القرشي من بني تميم من رهط أبي بكر الصديق رضي  
الله عنه ، أنه سمع الحارث مولى عثمان بن عفان رحمه الله يقول : جلس عثمان يوماً وجلسنا معه ، فجاء المؤذن ،  
فدعا عثمان بماء في إناء أظنه سيكون فيه قدر مد ، فتوضأ ، ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يتوضأ وضوئي هذا ، ثم قال « مَنْ تَوَضَّأَ وَضْرَتِي هَذَا ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى صَلَاةَ الظُّهْرِ ، غُفِرَ لَهُ »

(١) لم أجد زريق بن الشخب فيما بين لدى من كتب الرجال .

ما كانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَلَاةِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَلَاةِ الظُّهْرِ ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ ، ثُمَّ لَعَلَّهُ يُبَيِّتُ لَيْلَةً يَتَمَرَّغُ ، ثُمَّ إِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى الصُّبْحَ ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، وَهُنَّ الْحَسَنَاتُ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبو زرعة ، قال : ثنا حيوة ، قال : ثنا أبو عقيل ، زهرة بن معبد ، أنه سمع الحارث مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قال : جلس عثمان بن عفان يوما على المقاعد ، فذكر نحوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه قال : « وَهُنَّ الْحَسَنَاتُ ، إِنْ الْحَسَنَاتُ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ » .

حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا نافع بن يزيد ، ورشدين بن سعد ، قالا : ثنا زهرة بن معبد ، قال : سمعت الحارث مولى عثمان بن عفان ، يقول : جلس عثمان بن عفان يوما على المقاعد ، ثم ذكر نحوه ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه قال : « وَهُنَّ الْحَسَنَاتُ ، إِنْ الْحَسَنَاتُ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ » .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جُعِلَتِ الصَّلَوَاتُ كَقَفَّارَاتٍ لِمَا بَيْنَهُنَّ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ : ( إِنْ الْحَسَنَاتُ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ) » .

حدثنا ابن سيار القزاز ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن أبي عثمان النهدي ، قال : « كنت مع سلمان تحت شجرة ، فأخذ غصنا من أغصانها يابسا ، فهزه حتى تحات ورقة ، ثم قال : هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كنت معه تحت شجرة ، فأخذ غصنا من أغصانها يابسا فهزه ، حتى تحات ورقة ، ثم قال : « أَلَا تَسْأَلُنِي لِمَ أَفْعَلُ هَذَا يَا سَلْمَانَ ؟ فَقُلْتُ : وَلِمَ تَفْعَلُهُ ؟ فَقَالَ : إِنْ الْمُسْلِمَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الرُّضُوءَ ، ثُمَّ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ كَمَا تَحَاتُّ هَذَا الْوَرَقُ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ) . . . إلى آخر الآية » .

وقال آخرون : هو قول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنبي ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد ( إِنْ الْحَسَنَاتُ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ) قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

وأولى التأويلين بالصواب في ذلك : قول من قال في ذلك : هنَّ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، لصحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتواترها عنه ، أنه قال : « مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ مَثَلُ نَهْرٍ جَارٍ » .



على بابِ أَحَدِكُمْ ، يَنْتَعِمِسُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ تَحْسَ مَرَّاتٍ ، فَإِذَا يُبْقِينَ مِنْ دَرْتِهِ ، وإن ذلك في سياق أمر الله بإقامة الصلوات ، والوعد على إقامتها ، الجزيل من الثواب عقبيها أولى من الوعد ، على ما لم يجر له ذكر من صالحات سائر الأعمال ، إذا خصّ بالقصد بذلك بعض دون بعض .  
وقوله ( ذلك ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ ) يقول تعالى : هذا الذي أوعدت عليه ، من الركون إلى الظلم ، وتهددت فيه ، والذي وعدت فيه من إقامة الصلوات اللواتي يذهبن السيئات ، تذكرة ذكّرت بها قوما يذكرن وعد الله ، فيرجون ثوابه ووعيده ، فيخافون عقابه ، لا مَن قد طبع على قلبه ، فلا يجيب داعياً ، ولا يسمع زاجراً ، وذكر أن هذه الآية نزلت بسبب رجل نال من غير زوجته ولا ملك يمينه ، بعض ما يحرم عليه ، فتاب من ذنبه ذلك .

#### ذكر الرواية بذلك

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود ، قال : قال عبد الله بن مسعود : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إني عابحت امرأة في بعض أقطار المدينة ، فأصبت منها ما دون أن أمسها ، فأنا هذا ، فاقض فيّ ما شئت ، فقال عمر : لقد سترك الله لو سترت على نفسك ، قال : ولم يردّ النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ، فقام الرجل ، فانطلق ، فأتبعه النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً ، فدعاه ، فلما أتاه قرأ عليه ( أقيم الصلاة طرّف في النهار وزلفاً من الليل ، إن الحسّنات يذهبن السيئات ، ذلك ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ ) فقال رجل من القوم : هذا له يا رسول الله خاصة ؟ قال : بَلِّ للنّاسِ كافّةً . »

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك بن حرب ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود ، عن عبد الله ، قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إني لقيت امرأة في البستان ، فضممتها إلىّ ، وباشرتها وقبّلتها ، وفعلت بها كلّ شيء ، غير أنّي لم أجامعها ، فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية ( إن الحسّنات يذهبن السيئات ، ذلك ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ ) ، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقرأها عليه . فقال عمر : يا رسول الله ، أله خاصة ، أم للناس كافة ؟ قال : لا ، بَلِّ للنّاسِ كافّةً . » ولفظ الحديث لابن وكيع .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك بن حرب ، أنه سمع إبراهيم بن زيد ، يحدث عن علقمة والأسود ، عن ابن مسعود ، قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني وجدت امرأة في بستان ، ففعلت بها كلّ شيء ، غير أنّي لم أجامعها ، قبّلتها ولزمتها ، ولم أفعل غير ذلك ، فافعل بي ما شئت ، فلم يقل له رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، فذهب الرجل ، فقال عمر : لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه ، فأتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره ، فقال : رُدُّوه عَنِّي ، فردّوه ، فقرأ عليه : ( أقيم الصلاة طرّف في النهار وزلفاً من الليل ، إن

الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكَّارِينَ ، قال : فقال معاذ بن جبل : أله وحده يا نبي الله ، أم للناس كافة ؟ فقال : بئس للناس كافة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود عن عبد الله ، قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أخذت امرأة في البستان ، فأصبت منها كل شيء ، غير أني لم أنكحها ، فاصنع بي ما شئت ، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ذهب دعاه ، فقرأ عليه هذه الآية ( أقيم الصلاة طهر في النهار وزلفاً من الليل ) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العيجلي ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت إبراهيم يحدث عن خاله الأسود ، عن عبد الله : « أن رجلاً لقي امرأة في بعض طرق المدينة ، فأصاب منها ما دون الجماع ، فأقنى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فنزلت ( أقيم الصلاة طهر في النهار وزلفاً من الليل ) ، إن الحسنات يذفن السيئات ، ذلك ذكري للذكارين » فقال معاذ بن جبل : يا رسول الله ، لهذا خاصة ، أو لنا عامة ؟ قال : بئس لكم عامة .

حدثنا أبو المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، قال : أنبأني سماك ، قال : سمعت إبراهيم يحدث عن خاله ، عن ابن مسعود : « أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : لقيت امرأة في حش بالمدينة ، فأصبت منها ما دون الجماع . . . نحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم البغدادي ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن إبراهيم عن خاله ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : جاء فلان بن معتب : رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله ، دخلت على امرأة ، فملت منها ما ينال الرجل من أهله ، إلا أني لم أواقعها ، فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبجيه ، حتى نزلت هذه الآية ( أقيم الصلاة طهر في النهار ، وزلفاً من الليل ) ، إن الحسنات يذفن السيئات . . . الآية ، فدعاه فقرأها عليه .

حدثني يعقوب وابن وكيع قالوا : ثنا ابن علقمة ، وحدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، وحدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان جميعاً ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن ابن مسعود : « أن رجلاً أصاب من امرأة شيئاً لا أدرى ما يبلغ ، غير أنه مادون الزنا ، فأقنى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فنزلت ( أقيم الصلاة طهر في النهار وزلفاً من الليل ) ، إن الحسنات يذفن السيئات » فقال الرجل : ألي هذه يا رسول الله ؟ قال : لمن أخذ بها من أممي ، أو لمن عمل بها .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالوا : ثنا قبيصة ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، قال : كنت مع سلمان ، فأخذ غصن شجرة يابسة ، فحنته وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من توضع فأحسن الوضوء تحاتت خطايه كما يتحات هذا الورق » ، ثم قال : ( أقيم الصلاة طهر في النهار وزلفاً من الليل ) . . . إلى آخر الآية .



حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة وحسين الجعفي عن زائدة ، قال : ثنا عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ ، قال : « أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ماترى في رجل لى امرأة لا يعرفها ، فليس يأتى الرجل من امرأته شيئا إلا قد أتاه منها ، غير أنه لم يجامعها ؟ فأنزل الله هذه الآية ( أقيم الصلاة طهر في النهار وزلفاً من الليل ، إن الحسنات يذوهن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين ) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : تَوَضَّأُ ثُمَّ صَلَّى ، قال معاذ : قلت يا رسول الله ، أله خاصة ، أم للمؤمنين عامة ؟ قال : بَلَى لِلْمُؤْمِنِينَ عَامَّةً » .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى « أن رجلاً أصاب من امرأة ما دون الجماع ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، يسأله عن ذلك ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أنزلت ( أقيم الصلاة طهر في النهار وزلفاً من الليل ) . . . الآية ، فقال معاذ : يا رسول الله ، ألكه خاصة ، أم للناس عامة ؟ قال : هي للناس عامة » .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : « أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم » ، فذكر نحوه .

حدثني عبد الله بن أحمد بن شيبويه ، قال : ثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : ثنا عمرو بن الحارث ، قال : ثنا عبد الله بن سالم ، عن الزبيدي ، قال : ثنا سليم بن عامر ، أنه سمع أبا أمامة يقول : « إن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : أقم في حد الله ، مرة واثنين ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقيمت الصلاة ؛ فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة ، قال : أَيْنَ هَذَا الْقَائِلُ : أقيم في حد الله ؟ قال : أناذا ، قال : هل أتممت الوضوء ، وصليت معنا أتفاً ؟ قال : نعم ، قال : فإنك من خطيئتك كما ولدت لك أمك ، فلا تعد ، وأنزل الله حينئذ على رسوله ( أقيم الصلاة طهر في النهار وزلفاً من الليل ) . . . الآية » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل « أنه كان جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل فقال : يا رسول الله ، رجل أصاب من امرأة ما لا يحل له ، لم يدع شيئاً يصيبه الرجل من امرأته إلا أتاه ، إلا أنه لم يجامعها ، قال : يتوضأ وضوءاً حسناً ثم يصلّي ، فأنزل الله هذه الآية ( أقيم الصلاة طهر في النهار وزلفاً من الليل ) . . . الآية ، فقال معاذ : هي له يا رسول الله خاصة ، أم للمسلمين عامة ؟ قال : بَلَى لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيى بن جعدة « أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكر امرأة وهو جالس مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنه لحاجة ، فأذن له ، فذهب يطلبها ، فلم يجدها ، فأقبل الرجل يريد أن يبشر النبي صلى الله عليه وسلم بالمطر ، فوجد المرأة جالسة على غدِير ، فدفع في صدرها ، وجلس بين رجلها ، فصار ذكره مثل الهدية ، فقام نادماً ، حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بما صنع ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :

اسْتَغْفِرُ رَبِّيَ ، وَصَلَّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، قَالَ : وَنَلَا عَلَيْهِ ( أَيْمِ الصَّلَاةِ طَرَفِي النَّهَارِ وَزَانِقًا مِنَ اللَّيْلِ ) . . . الآية .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى ابن طلحة ، عن أبي اليسر بن عمرو الأنصاري ، قال : « أتتني امرأة تبتاع مني بدرهم تمرًا ، فقلت : إن في البيت تمرًا أجود من هذا ، فدخلت فأهويت إليها ، فقبلتها ، فأثيت أبا بكر فسألته ، فقال : استر على نفسك وتب ، واستغفر الله ، فأثيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أَخَلَقْتِ رَجُلًا غَازِيَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِيهِ بِمِثْلِ هَذَا ؟ حَتَّى ظَنَنْتِ أَنِّي مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى تَمْنَيْتِ أَنِّي أَسْلَمْتُ سَاعَتُكَ ، قَالَ : فَأَطْرَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاعَةً ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَقَالَ : أَيُّنَ أَبُوالْيُسْرِ ، فَجِئْتُ فَقَرَأَ عَلَيَّ ( أَيْمِ الصَّلَاةِ طَرَفِي النَّهَارِ وَزَانِقًا مِنَ اللَّيْلِ ) . . . إِلَى ( ذِكْرِي لِلذَّكَّارِينَ ) قَالَ إِنْسَانٌ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، خَاصَّةٌ ، أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةٌ ؟ قَالَ : لِلنَّاسِ عَامَّةٌ . »

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي اليسر قال : « لقيت امرأة فالترمتها ، غير أني لم أنكحها ، فأثيت عمر بن الخطاب ، فقال : اتق الله واستر على نفسك ، ولا تخبرن أحدا ، فلم أصبر حتى أثيت أبا بكر رضي الله عنه ، فسألته ، فقال اتق الله واستر على نفسك ، ولا تخبرن أحدا ، قال : فلم أصبر حتى أثيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فقال له : هل جهزت غازيا ؟ قلت : لا ، قال : فهل خلقت غازيا في أهله ؟ قلت : لا ، فقال لي ، حتى تمنيت أني كنت دخلت في الإسلام تلك الساعة ، قال : فلما وليت دعائي ، فقرأ على ( أَيْمِ الصَّلَاةِ طَرَفِي النَّهَارِ وَزَانِقًا مِنَ اللَّيْلِ ) فقال له أصحابه : لهذا خاصة ، أم للناس عامة ؟ فقال : بَلْ لِلنَّاسِ عَامَّةٌ . »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « أن رجلا أصاب من امرأة قبلة ، فأثي النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله هلكت ، فأنزل الله ( إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكَّارِينَ ) . »

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن سليمان التيمي ، قال : « ضرب رجل على كفل امرأة ، ثم أتى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فكلما سأل رجلا منهما عن كفارة ذلك ، قال : أمغزوية هي ؟ قال : نعم ، قال : لا أدري . ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن ذلك ، فقال : أمغزوية هي ؟ قال : نعم ، قال : لا أدري ، حتى أنزل الله ( أَيْمِ الصَّلَاةِ طَرَفِي النَّهَارِ وَزَانِقًا مِنَ اللَّيْلِ ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ) . »

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء ، في قول الله تعالى ( أَيْمِ الصَّلَاةِ طَرَفِي النَّهَارِ وَزَانِقًا مِنَ اللَّيْلِ ) « أن امرأة دخلت على رجل يبيع الدقيق ، فقبلها ، فأسقط في يده ، فأثي عمر ، فذكر ذلك له ، فقال : اتق الله ، ولا تكن امرأة غاز ،



فقال الرجل: هي امرأة غاز، فذهب إلى أبي بكر، فقال مثل ما قال عمر، فذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم جميعاً، فقال له كذلك، ثم سكت النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يجيبهم، فأنزل الله (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ) الصلوات المفروضات (إنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ) .

حدثنا قاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء بن أبي رباح، قال: «أقبلت امرأة حتى جاءت إنساناً يبيع الدقيق، لتبتاع منه، فدخل بها البيت، فلما خلا له قبلها، قال: فسقط في يديه، فانطلق إلى أبي بكر، فذكر ذلك له، فقال: أبصر لا تكونن امرأة رجل غاز، فبينما هم على ذلك، نزل في ذلك (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ) « قيل لعطاء: المكتوبة هي؟ قال: نعم هي المكتوبة، فقال ابن جريج، وقال عبد الله بن كثير: هي المكتوبات .

قال ابن جريج، عن يزيد بن رومان: «أن رجلاً من بني غنم، دخلت عليه امرأة فقبلها، ووضع يده على دبرها، فجاء إلى أبي بكر رضي الله عنه، ثم إلى عمر رضي الله عنه، ثم أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية (أَقِمِ الصَّلَاةَ) . . . إلى قوله (ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ) فلم يزل الرجل الذي قبل المرأة يذكر، فذلك قوله (ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥)

يقول تعالى ذكره: واصبر يا محمد على ما تلقى من مشركي قومك، من الأذى في الله والمكروه، رجاء جزيل ثواب الله على ذلك، فإن الله لا يضيع ثواب عمل من عمل فأطاع الله، واتبع أمره، فيذهب به، بل يوفقه أحوج ما يكون إليه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ، وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا فِيهِ، وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦)

يقول تعالى ذكره: فهلا كان من القرون الذين قصصت عليك نبأهم في هذه السورة الذين أهلكتهم بمعصيتهم إياي، وكفرهم برسلي من قبلكم (أُولُو بَقِيَّةٍ) يقول: ذوو بقية من الفهم والعقل، يعتبرون مواعظ الله، ويتدبرون حججه، فيعرفون ما لهم في الإيمان بالله وعليهم في الكفر به (يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ) يقول: ينهون أهل المعاصي عن معاصيهم، وأهل الكفر بالله عن كفرهم به في أرضه، (إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ) يقول: لم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا يسيراً، فإنهم كانوا ينهون عن الفساد في الأرض، فنجاهم الله من عذابه، حين أخذ من

كان مقبياً على الكفر بالله عذابه ، وهم أتباع الأنبياء والرسل ، ونصب قليلاً ، لأن قوله ( *إِلَّا قَلِيلًا* ) استثناء منقطع مما قبله ، كما قال : ( *إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا* ) ، وقد بيننا ذلك في غير موضع ، بما أغنى عن إعادته .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : اعتذر فقال ( *فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ* ) . . . حتى بلغ ( *إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ* ) فإذا هم الذين نجوا حين نزل عذاب الله ، وقرأ ( *وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ* ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( *فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ* ) . . . إلى قوله ( *إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ* ) قال : يستقلهم الله من كل قوم .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، قال : سألت بلال ، عن قول الحسن في العذر ، قال : فقال : سمعت الحسن يقول ( *قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ، وَأُمَّمٍ سَمَّتَهُمْ ، ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ* ) قال : بعث الله هوداً إلى عاد ، فنجى الله هوداً والذين آمنوا معه ، وهلك المتمتعون ، وبعث الله صالحاً إلى ثمود ، فنجى الله صالحاً وهلك المتمتعون ، فجعلت أستقرية الأمم ، فقال : ما أراه إلا كان حسن القول في العذر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( *فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ* ) . أي لم يكن من قبلكم من ينهى عن الفساد في الأرض ( *إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ* ) . وقوله ( *وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ* ) يقول تعالى ذكره : *واتبع الذين ظلموا أنفسهم ، فكفروا بالله ، ما أتروا فيه .*

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( *وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ* ) قال : ما أنظروا فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( *وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ* ) من دنياهم ، وكان هؤلاء وجهوا تأويل الكلام : *واتبعوا الذين ظلموا الشيء الذي أنظرهم فيه ربهم ، من نعم الدنيا ولذاتها ، إيثارة على عمل الآخرة ، وما ينجيهم من عذاب الله .*

وقال آخرون : معنى ذلك : *واتبع الذين ظلموا ما تجبروا فيه من الملك ، وعتتوا عن أمر الله .*



ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ) قال : في ملكهم وتجبرهم ، وتركوا الحق .  
حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه ، إلا أنه قال : وتركهم الحق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث محمد بن عمرو سواء .

وأولى الأقوال في ذلك بالصراب : أن يقال : إن الله أخبر تعالى ذكره أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت ، فكفروا بالله ، اتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا ، فاستكبروا وكفروا بالله ، واتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا ، فاستكبروا عن أمر الله وتجبروا ، وصدّوا عن سبيله ، وذلك أن المترف في كلام العرب : هو المنعم الذي قد عُذِّي باللذات ، ومنه قول الراجز :

تَهْدِي رُءُوسَ الْمُتَرْفِينَ الصَّدَادَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَمَتَادِ<sup>١</sup>  
وقوله (وكانوا مجرمين) يقول : وكانوا مكتسبي الكفر بالله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)

يقول تعالى ذكره : وما كان ربك يا محمد ليهلك القرى التي أهلكتها ، التي قص عليك نبأها ، ظلما وأهلها مصلحون في أعمالهم ، غير مسيئين ، فيكون إهلاكه إياهم مع إصلاحهم في أعمالهم ، وطاعتهم ربهم ظلما ، ولكنه أهلكتها بكفر أهلها بالله ، وتماديهم في غيهم ، وتكذيبهم رسلهم ، وركوبهم السيئات . وقد قيل : معنى ذلك : لم يكن ليهلكهم بشركهم بالله ، وذلك قوله بظلم ، يعني : بشرك ، وأهلها مصلحون فيما بينهم لا يتظالمون ، ولكنهم يتعاطون الحق بينهم ، وإن كانوا مشركين ، وإنما يهلكهم إذا تظالموا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَمَعَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ،  
وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)

(١) هذان البيتان تقدم الكلام عليهما في التفسير (٧ : ١٣١) وهما لرؤية بن العجاج (ديوانه ص ٤٠) وترتيبهما في الأرجوزة ال ١٠٢ ، ١٠٤ وجاما في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٣٠١) وقال بعدها : المتداد : من ماد يميد . وفي اللسان (ماد) : المتداد : المطلوب منه العطاء ، مفتعل (اسم مفعول) . وأنشد لرؤية : تهدي . الخ . قال : أي المتفضل على الناس ، وهو المستعطي المستول . وماد زيد عمرا : إذا أعطاه .

❦ يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربك يا محمد لجعل الناس كلها جماعة واحدة، على ملة واحدة، ودين واحد كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) يقول: لجعلهم مسلمين كلهم.

وقوله (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) يقول تعالى ذكره: ولا يزال الناس مختلفين (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) ثم اختلف أهل التأويل في الاختلاف الذي وصف الله الناس أنهم لا يزالون به، فقال بعضهم: هو الاختلاف في الأديان، فتأويل ذلك على مذهب هؤلاء، ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتى من بين يهودى ونصرانى ومجوسى، ونحو ذلك. وقال قائلو هذه المقالة: استثنى الله من ذلك من رحمهم، وهم أهل الإيمان.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال: اليهود والنصارى والمجوس، والحنيفية هم الذين رحم ربك.

حدثني المثنى، قال: ثنا قبيصة، قال: ثنا سفيان، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال: اليهود والنصارى والمجوس (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال: هم الحنيفية.

حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع، قالوا: ثنا ابن علقمة، قال: أخبرنا منصور بن عبد الرحمن، قال: قلت للحسن، قوله (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ). قال: الناس مختلفون على أديان شتى، إلا من رحم ربك، فمن رحم غير مختلفين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أنى، عن حسن بن صالح، عن ليث، عن مجاهد (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال: أهل الباطل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال: أهل الحق.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال: أهل الباطل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال: أهل الحق.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، نحوه.

قال: ثنا معلى بن أسد، قال: ثنا عبد العزيز، عن منصور بن عبد الرحمن، قال: سئل الحسن، عن هذه الآية (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال: الناس كلهم مختلفون على أديان شتى (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) فمن رحم غير مختلف، فقلت له: ولذلك خلقهم، فقال: خلق هؤلاء لجنته، وهؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لرحمته، وخلق هؤلاء لعذابه.

قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرحمن بن سعد، قال: ثنا أبو جعفر، عن ليث، عن مجاهد، في قوله (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال: أهل الباطل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال: أهل الحق.

قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن خصيف، عن مجاهد، قوله (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)

قال: أهل الحق وأهل الباطل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال: أهل الحق.

قال: ثنا شريك، عن ليث، عن مجاهد، مثله.



قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ( إِلَّا مَنْ رَحِيمَ رَبُّكَ ) قال : أهل الحق ليس فيهم اختلاف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِكِينَ ) قال : اليهود والنصارى ( إِلَّا مَنْ رَحِيمَ رَبُّكَ ) قال : أهل القبلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِكِينَ ) قال : أهل الباطل ( إِلَّا مَنْ رَحِيمَ رَبُّكَ ) قال : أهل الحق .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِكِينَ إِلَّا مَنْ رَحِيمَ رَبُّكَ ) قال : لا يزالون مختلفين في الهوى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِكِينَ إِلَّا مَنْ رَحِيمَ رَبُّكَ ) فأهل رحمة الله أهل جماعة ، وإن تفرقت دورهم وأبدانهم ، وأهل معصيته أهل فرقة ، وإن اجتمعت دورهم وأبدانهم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِكِينَ إِلَّا مَنْ رَحِيمَ رَبُّكَ ) قال : من جعله على الإسلام .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الحسن بن واصل ، عن الحسن ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِكِينَ ) قال : أهل الباطل ( إِلَّا مَنْ رَحِيمَ رَبُّكَ ) .

قال : ثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِكِينَ ) قال : أهل الباطل ( إِلَّا مَنْ رَحِيمَ رَبُّكَ ) قال : أهل الحق .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جبرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا يزالون مختلفين في الرزق ، فهذا فقير ، وهذا غني .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، أن الحسن قال : مختلفين في الرزق ، يخسر بعضهم لبعض . وقال بعضهم : مختلفين في المغفرة والرحمة ، أو كما قال .

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وميلل وأهواء شتى ( إِلَّا مَنْ رَحِيمَ رَبُّكَ ) فأمن بالله ، وصدق رسله ، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله ، وتصديق رسله ، وما جاءهم من عند الله .

وإنما قلت : ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك ، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله ( وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَنَّ جَهَنَّمَ مِّنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ) في ذلك دليل واضح ، أن الذي قبله من ذكر

خبره عن اختلاف الناس ، إنما هو خبر عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار ، ولو كان خبراً عن اختلافهم في الرزق لم يعقب ذلك بالخبر عن عقابهم وعذابهم .  
وأما قوله ( وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ ) فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وللإختلاف خلقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن ( وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ ) قال : للإختلاف .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا منصور بن عبد الرحمن ، قال : قلت للحسن : ( وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ ) فقال : خلق هؤلاء بختته ، وخلق هؤلاء لناره ، وخلق هؤلاء لرحمته ، وخلق هؤلاء لعذابه .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن منصور ، عن الحسن ، مثله .  
حدثني المثني ، قال : ثنا المعلى بن أسد ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن الحسن ، بنحوه .

قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن خالد الحذاء ، أن الحسن قال في هذه الآية : ( وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ ) قال : خلق هؤلاء لهذه ، وخلق هؤلاء لهذه .  
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هروذة بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، قال ( وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ ) قال : أما أهل رحمة الله فإنهم لا يختلفون اختلافاً يضرهم .  
حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ ) قال : خلقهم فريقين : فريقاً يرحم فلا يختلف ، وفريقاً لا يرحم يختلف ، وذلك قوله ( فَمِنْهُمْ شَقِيحٌ وَسَعِيدٌ ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، في قوله ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِفِينَ ) قال : يهود ونصارى ومجوس ( إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ) قال : من جعله على الإسلام ( وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ ) قال : مؤمن وكافر .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا شبيب ، قال : سئل مالك عن قول الله ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ) قال : خلقهم ليكونوا فريقين : فريق في الجنة ، وفريق في السعير .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وللرحمة خلقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن حسن بن صالح ، عن ليث ، عن مجاهد ( وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ ) قال : للرحمة .



حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالوا : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ( وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ) قال للرحمة ، حدثني المثني ، قال : ثنا الحِمَاني ، قال : ثنا شريك ، عن خَصِيف ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله  
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو حفص ، عن ليث ، عن مجاهد ،  
مثله ، إلا أنه قال : للرحمة خلقهم .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ )  
قال : للرحمة خلقهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن ذكره عن ثابت ، عن الضحاك ( وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ )  
قال : للرحمة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني الحكم بن  
أبان ، عن عكرمة ( وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ) قال : أهل الحق ومن اتبعه لرحمته .

حدثني سعد بن عبد الله ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن  
ابن عباس ، في قوله ( وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ ) قال : للرحمة ( خَلَقَهُمْ )  
ولم يخلقهم للعذاب .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : وللإختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم ، لأن الله جلَّ  
ذكره ، ذكر الصنفين من خلقه : أحدهما أهل إختلاف وباطل . والآخر أهل حق ؛ ثم عقب ذلك بقوله  
( وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ) ، فعمَّ بقوله ( وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ) صفة الصنفين ، فأخبر عن كل فريق منهما أنه  
ميسر لما خلق له .

فإن قال قائل : فإن كان تأويل ذلك كما ذكرت ، فقد ينبغي أن يكون المختلفون غير ملومين على إختلافهم ،  
إذ كان لذلك خلقهم ربهم ، وأن يكون المتمتعون هم الملوومين ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهب ،  
وإنما معنى الكلام : ولا يزال الناس مختلفين بالباطل من أديانهم ومللهم ( إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ )  
فهذه للحق ولعلمه وعلى علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم ، أنه يكون فيهم المؤمن والكافر ، والشقي  
والسعيد ، خلقهم ؛ فعنى اللام في قوله ( وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ) بمعنى « على » كقولك للرجل : أكرمك على  
برك بي ، وأكرمك لبرك بي .

وأما قوله ( وَوَسَّطْنَا كَلِمَةَ رَبِّكَ لِمَن لَّا مَلَائِنَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ) لعلمه السابق  
فيهم أنهم يستوجبون صليها بكفرهم بالله ، وإختلافهم أمره . وقوله ( وَوَسَّطْنَا كَلِمَةَ رَبِّكَ ) قسم كقول  
القائل : حلقي لأزورنك ، وبدالي لآتينك ، ولذلك تليقت بلام اليمين .

وقوله ( مِنَ الْجِنَّةِ ) وهي ما اجتن عن أبصار بني آدم والناس ، يعني : وبني آدم ، وقيل : إنهم  
سموا جنة ، لأنهم كانوا على الجنان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك : وإنما سموا الجنة أنهم كانوا على الجنان ، والملائكة كلهم جنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك ، قال : الجنة الملائكة .

وأما معنى قول أبي مالك هذا : أن إبليس كان من الملائكة ، والجن ذريته ، وأن الملائكة تسمى عنده الجن ، لما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ، مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ، وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ، وَمَوْعِظَةٌ

وَذِكْرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)

يقول تعالى ذكره ( وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ ) يا محمد ( مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ ) الذين كانوا قبلك ( مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ) فلا تجزع من تكذيب من كذبتك من قومك ، ورد عليك ما جنتهم به ، ولا يضق صدرك ، فتترك بعض ما أنزلت إليك من أجل أن قالوا : ( لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ ، أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ) إذا علمت ما لقيت من قبلك من رسل من أممها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ) قال : لتعلم ما لقيت الرسل قبلك من أممهم .

واختلف أهل العربية في وجه نصب كُلًّا ، فقال بعض نحوي البصرة : نُصِبَ عَلَى مَعْنَى : وَنَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ كُلًّا ، كأن الكل منصوب عنده على المصدر من نقص ، بتأويل : ونقص عليك ذلك كُلُّ القصص ، وقد أنكروا ذلك من قوله بعض أهل العربية ، وقال : ذلك غير جائز ، وقال : إنما نصب كُلًّا بنقص ، لأن كُلًّا بنيت على الإضافة ، كان معها إضافة أول لم يكن ، وقال : أراد كله نقص عليك ، وجعل ما ثبت ردًا على كُلًّا ، وقد بينت الصواب من القول في ذلك .

وأما قوله ( وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وجاءك في هذه السورة الحق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن خليل بن جعفر ، عن أبي إياس ، عن أبي موسى ( وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ) قال : في هذه السورة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن خليل بن جعفر ، عن أبي إياس معاوية بن قرّة ، عن أبي موسى ، مثله .



حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سعيد بن عامر ، قال : ثنا عوف ، عن أبي رجاء ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ) قال : في هذه السورة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن عمرو العنبري ، عن ابن عباس ( وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ) قال : في هذه السورة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن رجل من بني العنبر ، قال : خطبنا ابن عباس فقال : ( وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ) قال : في هذه السورة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، قال : سمعت ابن عباس قرأ هذه السورة على الناس ، حتى بلغ ( وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ) قال : في هذه السورة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عوف ، عن مروان الأصغر ، عن ابن عباس : أنه قرأ على المنبر : ( وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ) فقال : في هذه السورة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد ( وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ) قال : في هذه السورة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ( وَجَاءَكَ ) في هذه السورة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : هذه السورة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعيد ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ) قال : في هذه السورة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن أشعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ )  
قال : في هذه السورة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال :  
ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن البصري يقول في قول الله تعالى : ( وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ  
الْحَقُّ ) قال : يعني في هذه السورة .

وقال آخرون : معنى ذلك : وجاءك في هذه الدنيا الحق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة :  
( وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ) قال : في هذه الدنيا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع : وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن قتادة  
( وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ) قال : كان الحسن يقول : في الدنيا .

وأولى التأويلين بالصواب في تأويل ذلك : قول من قال : وجاءك في هذه السورة الحق ، لإجماع  
الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله .

فإن قال قائل : أو لم يحى النبي صلى الله عليه وسلم الحق من سور القرآن إلا في هذه السورة ؟ فيقال :  
وجاءك في هذه السورة الحق ، قيل له : بلى قد جاءه فيها كلها .

فإن قال : فما وجه خصوصه إذن في هذه السورة بقوله : ( وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ) ؟ قيل : إن معنى  
الكلام : وجاءك في هذه السورة الحق ، مع ما جاءك في سائر سور القرآن ، أو إلى ما جاءك من الحق في سائر  
سور القرآن ، لأن معناه : وجاءك في هذه السورة الحق ، دون سائر سور القرآن .

وقوله ( وَمَوْعِظَةٌ ) يقول : وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله ، وتبين لهم عبره ممن كفر به ،  
وكذب رسله ( وَذِكْرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ) يقول : وتذكرة تذكروا المؤمنين بالله ورسله ، كي لا يغفلوا عن  
الواجب لله عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) ، وَانْتَظِرُوا إِنَّا

مُنْتَظِرُونَ (١٢٢)

يقول تعالى ذكره لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد للذين لا يصدقونك ، ولا يقرؤن  
بوحداية الله : اعملوا على مكاتبكم ؛ يقول : على هيبنتكم وتمكنكم ما أنتم عاملوه ، فإننا عاملون ما نحن



عاملوه من الأعمال التي أمرنا الله بها ، وانتظروا ما وعدكم الشيطان ، فإننا منتظرون ما وعدنا الله من حربكم ونصرتنا عليكم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( وَأَنْتَظِرُونَ ) إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ) قال : يقول : انتظروا مواعيد الشيطان إياكم ، على ما يزين لكم ، إنا منتظرون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ، فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ، وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ .

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : والله يا محمد ملك كل ما غاب عنك في السماوات والأرض ، فلم تطلع عليه ، ولم تعلمه ، كل ذلك بيده ويعلمه ، لا يخفى عليه منه شيء ، وهو عالم بما يعمله مشركو قومك ، وما إليه مصير أمرهم ، من إقامة على الشرك ، أو إقلاع عنه وتوبة ( وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ) يقول : وإلى الله معاد كل عامل وعمله ، وهو مجازي جميعهم بأعمالهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ) قال : فيقضى بينهم بحكمه بالعدل . يقول ( فَاعْبُدْهُ ) يقول : فاعبد ربك يا محمد ( وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ) يقول : وفوض أمرك إليه ، وثق به وبكفايته ، فإنه كافي من توكل عليه .

وقوله ( وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ) يقول تعالى ذكره : وما ربك يا محمد بساهٍ عما يعمل هؤلاء المشركون من قومك ، بل هو محيط به ، لا يعزب عنه شيء منه ، وهو لهم بالمرصاد ، فلا يحزنك إعراضهم عنك ، ولا تكذيبهم بما جئتهم به من الحق ، وامض لأمر ربك ، فإنك بأعيننا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب ، قال : خاتمة التوراة ، خاتمة هود .

آخر تفسير سورة هود ، والحمد لله المعبود المقصود .

## تفسير السورة التي يذكر فيها يوسف

صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١)

قال أبو جعفر محمد بن جرير : قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل ، في تأويل قوله ( الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ) ، والقول الذي نختاره في تأويل ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ههنا .  
وأما قوله ( تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : تلك آيات الكتاب المبين ، بين حلاله وحرامه ، ورشده وهداه .  
ذكر من قال ذلك

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا الوليد بن سلمة الفلستيني ، قال : أخبرني عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، في قول الله تعالى ( الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ) قال : بين حلاله وحرامه .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ) أي والله لمبين تركيبه : هداه ورشده .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ) قال بين الله رشده وهداه .

وقال آخرون في ذلك بما حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا الوليد بن سلمة ، قال : ثنا ثور ابن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن معاذ أنه قال في قول الله عز وجل : ( الْكِتَابِ الْمُبِينِ ) قال بين الحروف التي سقطت عن ألسن الأعاجم ، وهي ستة أحرف .  
والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : معناه : هذه آيات الكتاب المبين ، لمن تلاه وتدبر مافيه ، من حلاله وحرامه ونهيه ، وسائر ما حواه من صنوف معانيه ، لأن الله جل : ثناؤه أخبر أنه مبين ، ولم يخص إبانته عن بعض ما فيه دون جميعه ، فذلك على جميعه ، إذ كان جميعه مبينا عما فيه .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢)

يقول تعالى ذكره : إنا أنزلنا هذا الكتاب المبين قرآنًا عربيًا على العرب ، لأن لسانهم وكلامهم عربي ، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ، ليعقلوه ، ويفقهوا منه ، وذلك قوله عز وجل : ( لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ) .



القول في تأويل قوله تعالى

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ

قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣)

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : نحن نقص عليك يا محمد أحسن القصص ، بوحينا إليك هذا القرآن ، فنخبرك فيه عن الأخبار الماضية ، وأنبأ الأمم السالفة ، والكتب التي أنزلناها في العصور الخالية . ( وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ) يقول تعالى ذكره : وإن كنت يا محمد من قبل أن نوحيه إليك لمن الغافلين عن ذلك ، لا تعلمه ، ولا شئنا منه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ) من الكتب الماضية ، وأمور الله السالفة في الأمم ( وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ) . وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسئلة أصحابه إياه أن يقص عليهم .

ذكر الرواية بذلك

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا حكام الرازي ، عن أيوب ، عن عمرو الملائي ، عن ابن عباس ، قال : قالوا : يا رسول الله ، لو قصصت علينا ؟ قال : فنزلت ( نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أيوب بن سيار أبي عبد الرحمن ، عن عمرو بن قيس ، قال : قالوا : يا نبي الله ، فذكر مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن المسعودي ، عن عون بن عبد الله ، قال : مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة ، فقالوا : يا رسول الله حدثنا ، فأنزل الله عز وجل ( اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ) . ثم ملوا ملة أخرى ، فقالوا : يا رسول الله ، حدثنا فوق الحديث ، ودون القرآن ، يعنون القصص ، فأنزل الله ( الرَّبِّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ) ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ) ، فأرادوا الحديث ، فدلهم على أحسن الحديث ، وأرادوا القصص ، فدلهم على أحسن القصص .

حدثنا محمد بن سعيد العطار ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا خلاد الصفار ، عن عمرو بن قيس ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد ، قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ، قال : فتلاه عليهم زمانا ، فقالوا : يا رسول الله ، لو قصصت علينا ؟ فأنزل الله ( الرَّبِّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ) . . . إلى قوله ( لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ) . . . الآية . قال : ثم تلاه عليهم زمانا ، فقالوا : يا رسول الله لو حدثنا ؟ فأنزل الله تعالى ( اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ) قال خلاد : وزادوا فيه رجلا

آخر ، قالوا : يا رسول الله ، أو قال أبو يحيى : ذهبت من كتابي كلمة ، فأنزل الله ( أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)

يقول تعالى ذكره لنييه محمد صلى الله عليه وسلم : وإن كنت يا محمد لمن الغافلين عن نبي يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحاق : يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا ، يقول : إنى رأيت فى منامى أحد عشر كوكبا . وقيل : إن رؤيا الأنبياء كانت وحيا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله ( إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ) قال : كانت رؤيا الأنبياء وحيا .

وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ) قال : كانت الرؤيا فيهم وحيا ، وذكر أن الأحد العشر الكوكب التى رآها فى منامه ساجدة مع الشمس والقمر ، ما حدثنى على بن سعيد الكندى ، قال : ثنا الحكم بن ظهير ، عن السدى ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر ، قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل من يهود يقال له بستانة اليهودى ، فقال له : يا محمد أخبرنى عن الكواكب التى رآها يوسف ساجدة له ، ما أسماؤها ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يجبه بشىء ، ونزل عليه جبرئيل ، وأخبره بأسمائها ، قال : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، فقال : هلم أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها ؟ قال : نعم ، فقال : جريان والطارق ، والذبال ، وذو الكتفين ، وقابس ، ووثاب وعمودان ، والفليق ، والمصباح ، والضروع ، وذو الفرغ ، والضياء ، والنور ، فقال اليهودى : والله إنها لأسماؤها .

وقوله ( وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ) يقول : والشمس والقمر رأيتهم فى منامى سجدوا . وقال ساجدين ، والكواكب والشمس والقمر ، إنما يخبر عنها بفاعلة وفاعلات ، لا بالواو والنون ، إنما هى علامة جمع أسماء ذكور بنى آدم ، أو الجن أو الملائكة . وإنما قيل ذلك كذلك ، لأن السجود من أفعال من يجمع أسماء ذكورهم بالياء والنون ، أو الواو والنون ، فأخرج جمع أسمائها مخرج جمع أسماء من يفعل ذلك ، كما قيل ( يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ) وقال : رأيتهم وقد قيل : إنى رأيت أحد عشر كوكبا ، فكرر الفعل ، وذلك على لغة من قال : كلت أخاك كلتمته ، توكيدا للفعل بالتكرير . وقد قيل : إن الكواكب الأحد عشر كانت إخوته ، والشمس والقمر أبويه .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ) إخوته أحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر ، يعني بذلك : أبويه .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا شريك ، عن السدي ، في قوله ( إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ) . . . الآية ، قال : رأى أبويه وإخوته سجودا له ، فإذا قيل له عن قال إن كان حقا ، فإن ابن عباس فسره .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ) قال : الكواكب : إخوته ، والشمس والقمر : أبواه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ) إخوته ( والشَّمْسَ ) أمه ( والقَمَرَ ) أبوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : قال سفيان : كان أبويه وإخوته .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک ، قوله ( إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ) هم إخوة يوسف ( والشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ) هما أبواه .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ) . . . الآية ، قال : أبواه وإخوته « قال : فعناه إخوته ، وكانوا أنبياء ، فقالوا : ماضى أن يسجد له إخوته ، حتى يسجد له أبواه ، حين يتكلمهم .

وروى عن ابن عباس أنه قال : الكواكب إخوته ، والشمس والقمر : أبوه وخالته ، من وجه غير محمود ، فكرهت ذكره .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ يُدْعَى لَاتَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ، إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ

عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٥)

يقول جل ذكره : ( قال ) يعقوب لابنه يوسف ( يا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ ) هذه ( على إخوتك ) فيحسدوك ( فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ) يقول : فيبغونك الغوائل ، ويناصبوك العداوة ، ويطيعوا فيك الشيطان ( إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ) يقول : إن الشيطان لآدم وبنيه عدو ، قد أبان لهم عداوته وأظهرها . يقول : فاحذر الشيطان أن يغري إخوتك بك ، بالحسد منهم لك ، إن أنت قصصت عليهم رؤياك . وإنما قال يعقوب ذلك ، لأنه قد كان تبين له من إخوته قبل ذلك حسدُه .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقري ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : نزل يعقوب الشام ، فكان همه يوسف وأخاه ، فحسده إخوته لئلا رأوا حب أبيه له ، ورأى يوسف في المنام كأن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رآهم له ساجدين ، فحدث بها أباه فقال ( يا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ ، فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ) . . . الآية .

واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله ( فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ) فقال بعض نحوي البصرة : معناه : فيتخذوا لك كيذا ، وليست مثل ( إن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ) ، تلك أرادوا أن يوصل الفعل إليها باللام ، كما يوصل بالباء ، كما تقول : قدمت له طعاما : تريد قدمت إليه . وقال : ( يَا كَلْبُ مَا قَدَّمْتُمْ لَنَا ) ، ومثله قوله ( قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ) قال : وإن شئت كان فيكيدوا لك كيذا ، في معنى : فيكيدوك ، وتجعل اللام مثل ( لِيُرِيَهُمْ بِرَّهَبُونَ ) وقد قال لربهم يرهبون . إنما هو بمكان : يرهبون . وقال بعضهم : أدخلت اللام في ذلك ، كما تدخل في قولهم : حمدت لك ، وشكرت لك ، وحمدتك ، وشكرتك ، وقال : هذه لام عليها الفعل ، فكذلك قوله ( فيكيدوا لك كَيْدًا ) تقول : فيكيدوك ، ويكيدوا لك ، فيقصدوك ، ويقصدوا لك ، قال : وكيدا : توكيد .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُمَتِّعُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ لِبَرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ، إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل يعقوب لابنه يوسف ، لما قص عليه رؤياه ( وكذلك يجتبيك ربك ) وهكذا يجتبيك ربك . يقول : كما أراك ربك الكواكب والشمس والقمر لك سجدوا ، فكذلك بصطفيك ربك .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو العنقري ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة ( وكذلك يجتبيك ربك ) قال : بصطفيك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وكذلك يجتبيك ربك ) ، ويعلمك من تأويل الأحاديث ( فاجتباها واصطفاه وعلمه من عبر الأحاديث ، وهو تأويل الأحاديث . وقوله ( ويعلمك من تأويل الأحاديث ) يقول : ويعلمك ربك من علم ما يتول إليه أحاديث الناس ، عما يروونه في منامهم ، وذلك تعبير الرؤيا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( ويعلمك من تأويل الأحاديث ) قال : عبارة الرؤيا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ويعلمك من تأويل



(الأحاديث) قال : تأويل الكلام : العلم والحلم ، وكان يوسف أعبى الناس ، وقرأ ( وَاَلَمْ نَكُنْ أَشَدُّهُ )  
آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ) .

وقوله ( وَيُسَمِّي نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ) باجتهائه إياك ، واختياره وتعليمه إياك تأويل الأحاديث ( وَعَلَى  
آلِ يَعْقُوبَ ) يقول : وعلى أهل دين يعقوب وملته ، من ذريته وغيرهم ( كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ  
مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ) باتخاذ هذا خليلا ، وتنجيته من النار ، وفدية هذا بذيبح عظيم .

كالذي حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن عكرمة ،  
في قوله ( وَيُسَمِّي نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ ، كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ  
وَإِسْحَاقَ ) قال : فنعمة على إبراهيم أن نجاه من النار ، وعلى إسحاق أن نجاه من الذبيح .

وقوله ( إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) يقول : إن ربك عليم بمواضع الفضل ، ومن هو أهل للاجتهاد  
والنعمة ، حكيم في تدبيره خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ (٧)

يقول تعالى ذكره ( لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ) الأحاد عشر ( آياتٌ ) يعني عسى وذكري  
( للِسَّائِلِينَ ) يعني السائلين عن أخبارهم وقصصهم . وإنما أراد جل ثناؤه بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه  
وسلم ، وذلك أنه يقال : إن الله تبارك وتعالى إنما أنزل هذه السورة على نبيه ، يعلمه فيها ما لقي يوسف من  
خوته وإذابته من الحسد ، مع تكريمة الله إياه ، تسلية له بذلك ، مما يلقي من إذابته وأقاربه من مشركي  
قريش . كذلك كان ابن إسحاق يقول .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إنما قص الله تبارك وتعالى على محمد خبر  
يوسف ، وبغى إخوته عليه ، وحسد إياه حين ذكر رؤياه ، لمسأراى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بغى  
قومه وحسده ، حين أكرمه الله عز وجل بنبوته ليتأسى به .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( آياتٌ للِسَّائِلِينَ ) فقرأه عامة قراء الأمصار : آيات على الجماع .  
وروى عن مجاهد وابن كثير : أنهما قرأ ذلك على التوحيد .

والذي هو أولى القراءتين بالصواب : قراءة من قرأ ذلك على الجماع ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

إِذْ قَالُوا : لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ ، إِنَّ أَبَانَا آفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨)

يقول تعالى ذكره : لقد كان في يوسف وإخوته آيات لمن سأل عن شأنهم ، حين قالوا إخوة يوسف :  
( لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ ) من أمه ( أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ ) يقولون : ونحن جماعة ذوو عدد

أحد عشر رجلاً، والعصبة من الناس هم عشرة فصاعداً ، قبيل إلى خمسة عشر فصاعداً عشر ، ليس لها واحد من لفظها ، كالتفسير والرهط ( إنَّ أبانا لَسَيِّ ضَلالٍ مُّبِينٍ ) يعنون: إن أبانا يعقوب لني خطأ من فعله ، في إثاره يوسف وأخاه من أمه علينا بالهبة ، ويعنى بالمبين: أنه خطيئين عن نفسه أنه خطأ لمن تأمله ، ونظر إليه . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزي ، عن أسباط ، عن السدي ( إذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحْسَبُ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا ) قال : يعنون بنيامين ، قال : وكانوا عشرة .

قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ( إنَّ أبانا لَسَيِّ ضَلالٍ مُّبِينٍ ) قال : في ضلال من أمرنا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَحْنُ عُصْبَةٌ ) قال : العصبة : الجماعة .

القول في تأويل قوله تعالى

أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ، وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا

صَالِحِينَ (٩)

يقول جل ثناؤه : قال إخوة يوسف بعضهم لبعض : اقتلوا يوسف أو اطرحوه في أرض من الأرض ، يعنون مكاناً من الأرض ( يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ) يعنون : يخل لكم وجه أبيكم من شغله بيوسف ، فإنه قد شغله عنا ، وصرف وجهه عنا إليه ( وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ) يعنون أنهم يتوبون من قتلهم يوسف ، وذنوبهم الذي يركبونه فيه ، فيكونون يتوبتهم من قتله من بعد هلاك يوسف قوما صالحين . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ( اَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ، وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ) قال : تتوبون مما صنعتم ، أو من صنعكم .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ ، وَأَلْقُوهُ فِي غَيِّبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ أَسْيَارَةٍ إِن

كُنْتُمْ فَعِلِينَ (١٠)

يقول تعالى ذكره : قال قائل من إخوة يوسف ( لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ ) ، وقيل : إن قائل ذلك رُوِيل كان ابن خالة يوسف .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (لَاتَقْتُلُوا يُوسُفَ): ذُكِرَ لنا أنه رُوِيَ، كان أكبر القوم، وهو ابن خالة يوسف، فنهاهم عن قتله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (اقتلوا يوسف) . . . إلى قوله (إن كنتم فاعلين) قال: ذُكِرَ لي والله أعلم أن الذي قال ذلك منهم رُوِيَ الأكبر، من بني يعقوب، وكان أقصدهم فيه رأياً.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله (لَاتَقْتُلُوا يُوسُفَ) قال: كان أكبر إخوته، وكان ابن خالة يوسف، فنهاهم عن قتله. وقيل: كان قاتل ذلك منهم شمعون.

## ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن سفيان، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله (قال قاتل منهم): لَاتَقْتُلُوا يُوسُفَ) قال: هو شمعون.

وقوله (وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْحُبِّ) يقول: وألقوه في قعر الحب، حيث يغيب خبره. واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء أهل المدينة (غِيَابَاتِ الْحُبِّ) على الجماع. وقرأ ذلك عامة قراء سائر الأمصار (غِيَابَةِ الْحُبِّ) بتوحيد الغيبة. وقراءة ذلك بالتوحيد أحب إلى، والحب: بئر. وقيل: إنه اسم بئر ببيت المقدس.

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (فِي غِيَابَةِ الْحُبِّ) قال: بئر ببيت المقدس.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (غِيَابَةِ الْحُبِّ) قال: بئر ببيت المقدس. والغيبة: كل شيء غيب شينا فهو غيبة، والحب: البئر غير المطوية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة (فِي غِيَابَةِ الْحُبِّ) في بعض نواحيها: في أسفلها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْحُبِّ) يقول: في بعض نواحيها.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة، مثله.





لوالدهم يعقوب: (يا أبانا مالكَ لا تَأْمَنَّا على يوسفَ) فتركه معنا إذا نحن خرجنا خارج المدينة إلى الصحراء (وَوَحْنَنَ لَهُ نَا صَحُونَنَ) نحوطه ونكلؤه .

القول في تأويل قوله تعالى

أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبُ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَفِيظُونَ (١٢)

❦ واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة (يَرْتَعْ وَيَلْعَبُ) بكسر العين من يرتع ، وبالياء في يرتع ويلعب ، على معنى : يفتعل ، من الرعى : ارتعيت فأنا ارتعيت ، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى : أرسله معنا غدا يرتع الإبل ، ويلعب (وَإِنَّا لَهُ لَحَفِيظُونَ) .

وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبُ) بالياء في الحرفين جميعا ، وتسكين العين ، من قولهم : رتع فلان في ماله : إذا لها فيه ونعم ، وأنفقه في شهوته ، ومن ذلك قولهم في مثل من الأمثال : القيد والرثعة ؛ ومنه قول القطامي :

أَكْفُرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي      وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمِثَّةَ الرَّتَاعَا

وقرأ بعض أهل البصرة (نَرْتَعْ) بالنون (وَنَلْعَبُ) بالنون فيهما جميعا ، وسكون العين من نرتع .

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : كان أبو عمرو يقرأ (نَرْتَعْ وَنَلْعَبُ) بالنون ، قال : فقلت لأبي عمرو : كيف يقولون : نلعب وهم أنبياء ؟ قال : لم يكونوا يؤمنون أنبياء .

❦ وأولى القراءة في ذلك عندي بالصواب : قراءة من قرأه في الحرفين كليهما بالياء ، وبجزم العين في يرتع ، لأن القوم إنما سألوا أباهم لإرسال يوسف معهم ، وخذعوه بالخبر عن مسألتهم إياه ذلك ، عما ليوسف في إرساله معهم من الفرح والسرور والنشاط ، بخروجه إلى الصحراء وفُسْحَتِهَا ، ولعبه هنالك ، لا بالخبر عن أنفسهم . وبذلك أيضا جاء تأويل أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبُ) يقول : يسع وينشط .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (يَرْتَعْ وَيَلْعَبُ) قال : يلهو ، وينشط ، ويسعى .

(١) البيت للقطامي (اللسان : عطا) قال : وقول القطامي : «وبعد عطائك . . . الخ» ليس على حذف الزيادة ، ألا ترى أن في عطاء ألف «فعال» الزائدة ، ولو كان على حذف الزيادة لقال : «وبعد عطوك» . وقال البغدادي في الخزانة (٣ : ٤٤٣) شاهد على أن العطاء هنا بمعنى الإعطاء ، ولهذا عمل عمله . والمفعول الثاني محذوف . أي بعد إعطائك المئة الرتاع إياي . قال : وأورده شراح الألفية على أن العطاء اسم مصدر ، وهو من قصيدة يمدح بها القطامي . زفر ابن الحارث الكلابي ، وحض قيسا وتغلب على الصلح . قال : وقال شارح ديوان الرتاع : الراية . يقول : أخونك بعد هذا وقد مننت على وأطلقني . وفي اللسان : الرتع : الرعى في الخصب . هـ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أُرْسِلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ ) قال : ينشط ، ويلهو .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ ) قال : يسعى ، ويلهو .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، قوله ( يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ ) قال : يتلهى ويلعب .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ( يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ ) قال : يتلهى ويلعب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ ) قال : ينشط ويلعب .

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ( أُرْسِلَهُ مَعَنَا غَدًا ) يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ : يلهو .

قال : ثنا حسين بن علي ، عن شيبان ، عن قتادة ( أُرْسِلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ ) قال : ينشط ، ويلعب .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا نعيم بن صمّصم العامري ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم ، في قوله ( أُرْسِلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ ) قال : يسعى ، وينشط .

وكان الذين يقرءون ذلك ( يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ ) بكسر العين من يرتع ، يتأولونه على الوجه الذي حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أُرْسِلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ ) قال : يرعى غنمه ، وينظر ويعقل ، فيعرف ما يعرف الرجل .

وكان مجاهد يقول في ذلك بما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شباة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، ( قوله ( نَرْتَعُ ) ) : يحفظ بعضنا بعضا ، نتكالا ، نتحارس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( نَرْتَعُ ) قال : يحفظ بعضنا بعضا : نتكالا .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

وحدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، بنحوه .

فتأويل الكلام : أرسله معنا غدا نلهو ونلعب وننعم ، وننشط في الصحراء ، ونحن حافظوه من أن يناله شيء يكرهه أو يؤذيه .



القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : ( قَالَ ) يعقوب لهم : ( إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ ) معكم إلى الصحراء ، مخافةً عليه من الذنب أن يأكله ، ( وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ) : لا تشعرون .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ، إِنَّا إِذَا نَخَّاسِرُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف لوالدهم يعقوب : لئن أكل يوسف الذنب في الصحراء ، ونحن أحد عشر رجلاً معه نحفظه ، وهم العصابة ، ( إِنَّا إِذَا نَخَّاسِرُونَ ) يقول : إنا إذا لعجزة هالكون .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ ، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ

هَذَا ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥)

وفي الكلام متروك حذف ذكره اكتفاء بما ظهر عما ترك ، وهو فأرسله معهم ( فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ ، وَاجْتَمَعُوا ) يقول : وأجمع رأيتهم وعزموا على ( أَنْ يُجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ ) .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قوله ( إِنِّي لَيَحْزُنُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ ) . . . الآية ، قال : قال : لن أرسله معكم ، إني أخاف أن يأكله الذنب وأنتم عنه غافلون . ( قَالُوا : لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ) إِنَّا إِذَا نَخَّاسِرُونَ . فأرسله معهم ، فأخرجوه وبه عليهم كرامة ، فلما برزوا به إلى البرية ، أظهروا له العداوة ، وجعل أخوه يضربه ، فيستغيث بالآخر فيضربه ، فجعل لا يرى منهم رحماً ، فضربوه حتى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح ويقول : يا أبتاه يا يعقوب ، لو تعلم ما صنع بابنك بنو الإماء ، فلما كادوا يقتلونه قال يهوذا : أليس قد أعطيتموني مَوْثِقًا أَنْ لَا تَقْتُلُوهُ ، فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه ، فجعلوا يُدْلُونَهُ فِي الْبُئْرِ ، فيتعلق بشفير البئر ، فربطوا يديه ، ونزعوا قميصه ، فقال : يا إخوتاه ردوا علي قميصي ، أتواري به في الجب ، فقالوا : ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك ، قال : إني لم أر شيئاً ، فدُلُّوهُ فِي الْبُئْرِ ، حتى إذا بلغ نصفها ، ألقوه إرادة أن يموت ، وكان في البئر ماء ، فسقط فيه ، ثم أوى إلى صخرة فيها ، فقام عليها ، قال : فلما ألقوه في البئر جعل يبكي ، فنادوه ، فظن أنها رحمة أدركتهم ، فلبأهم ، فأرادوا أن يَرْضَخُوهُ بِصَخْرَةٍ فَيَقْتُلُوهُ ، فقام يهوذا فسمعهم ، وقال : قد أعطيتموني مَوْثِقًا أَلَّا تَقْتُلُوهُ ، وكان يهوذا يأتيه بالطعام .

وقوله ( فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا ) فأدخلت الواو في الجواب ، كما قال امرؤ القيس :

فَلَمَّا أَجْرَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأَنْتَحَىٰ بنا بطنُ حَبَّتِ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلٍ<sup>١</sup> فأدخل الواو في جواب لَمَّا ، وإنما الكلام : فلما أجزنا ساحة الحي أنتحى بنا ، وكذلك (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا) لأن قوله أجمعوا هو الجواب .

وقوله ( وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ ) يقول : وأوحينا إلى يوسف لتخبرن إخوتك بأمرهم هذا : يقول : بفعلهم هذا الذي فعلوه بك ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) يقول : وهم لا يعلمون ولا يدرون . ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عناه الله عز وجل بقوله : ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) فقال بعضهم : عُنِيَ بذلك : أن الله أوحى إلى يوسف أن يوسف : سيبنى إخوته بفعلهم به ما فعلوه ، من إلقائه في الحب ، ويبيعهم إياه ، وسائر ما صنعوا به من صنيعهم ، وإخوته لا يشعرون بوحي الله إليه بذلك .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ) إلى يوسف .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا ) قال : أوحينا إلى يوسف : لتنبئن إخوتك .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) قال : أوحى إلى يوسف وهو في الحب : أن سيبنبهم بما صنعوا ، وهم لا يشعرون بذلك الوحي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ( وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ) قال : إلى يوسف .

وقال آخرون : معنى ذلك : وأوحينا إلى يوسف بما إخرته صانعون به ، وإخوته لا يشعرون بإعلام الله إياه بذلك .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) بما أطلع الله عليه يوسف من أمرهم ، وهو في البئر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ )

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر ( مختار الشعر الجاهل بشرح مصطلق السقا ، طبعة الخليلي ص ٢٧ ) وأجزنا : قطعنا . والساحة إلقاء . والحي : القبيلة . والجمع : الأحياء . وانتحى : اعترض . والحب : أرض مطمئنة ، والحقف من الرمل : المعوج . ويروي : ركام ، أي بعضه فوق بعض : والعقنقل : المتعقد ، المتداخل . ويروي : ذي حفاف ، جمع قف ، وهو ما غلظ وارتفع من الأرض ، ولم يبلغ أن يكون جيلا بعضه في بعض . قال الزوزني في شرحه للمعلقات السبع : وزعم أبو عبيدة ، وأكثر الكوفيين أن الواو في « وانتحى » مقحمة زائدة ، وهو عندهم جواب لما . قال : وكذلك قولهم في الواو في قوله تعالى : « وناديتاه أن يا إبراهيم » . والواو لا تقم زائدة في جواب لما عند البصريين ، والجواب يكون محذوفا في مثل هذا الموضع ، تقديره في البيت : فلما كان كذا وكذا تمتعت وتمت بها ، والجواب قوله : « هصرت » . وفي الآية : فازا وظفرا بما أحبا . وحذف جواب لما كثير في التنزيل وكلام العرب .



لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) قال : أوحى الله إلى يوسف وهو في الحب أن ينبئهم بما صنعوا به ، وهم لا يشعرون بذلك الوحي .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة بنحوه ، إلا أنه قال : أن سبينهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن يوسف سبينهم بصنيعهم به ، وهم لا يشعرون أنه يوسف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) يقول : وهم لا يشعرون أنه يوسف .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا صدقة بن عبادة الأسدي ، عن أبيه ، قال : سمعت ابن عباس يقول : لما دخل إخوة يوسف ، فعرفهم وهم له منكرون ، قال : جرى بالصواع فوضعه على يده ، ثم نفره ، فظن ، فقال : إنه ليخبرني هذا الجمام أنه كان لكم أخ من أبيكم ، يقال له يوسف ، يديه دونكم ، وأنكم انطلقتم به ، فألقيتموه في غيابة الحب . قال : ثم نفره ، فظن ، ، فأتيتم أباكم فقلتم : إن الذئب أكله ، وجئتم على قميصه بدم كذب ، قال : فقال بعضهم لبعض : إن هذا الجمام ليخبره بخبركم ، قال ابن عباس : فلا نرى هذه الآية نزلت إلا فيهم ( لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا : يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ، وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَمِنًا ، فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ ، وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧)

يقول جل ثناؤه : وجاء إخوة يوسف أباهم بعد ما ألقوا يوسف في غيابة الحب ( عِشَاءَ يَبْكُونَ ) وقيل : إن معنى قوله ( نَسْتَبِقُ ) نتضل من السباق .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أقبلوا على أبيهم عشاء يبكون ، فلما سمع أصواتهم ، فزع ، وقال : مالكم يا بني ، هل أصابكم في غنمكم شيء ؟ قالوا : لا ، قال : فما فعل يوسف ؟ قالوا : يا أبانا إننا ذهبنا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَمِنًا ، فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ ) فبكى الشيخ ، وصاح بأعلى صوته ، وقال : أين القميص ؟ فجاءوه بالقميص عليه دم كذب ، فأخذ القميص ، فطرحه على وجهه ، ثم بكى ، حتى تخضب وجهه من دم القميص .

وقوله ( وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ) يقولون : وما أنت بمصدقنا على قيلنا إن يوسف أكله الذئب ( وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ) .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ( وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا )

قال : بمصدق لنا (وَكَلَّوْا كُنَّا صَادِقِينَ) <sup>١</sup> إما خبر عنهم أنهم غير صادقين ، فذلك تكذيب منهم أنفسهم ، أو خبر منهم عن أبيهم أنه لا يصدقهم لو صدقوه ، فقد علمت أنهم لو صدقوا أباهم الخبر صدقهم ؟ قيل : ليس معنى ذلك بواحد منهما ، وإنما معنى ذلك : وما أنت بمصدق لنا ولو كنا من أهل الصدق الذين لا يهتمون ، لسوء ظنك بنا ، وتهمتك لنا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَاءَ وَعَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ، قَالَ : بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ،  
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١٨)

يقول تعالى ذكره ( وَجَاءَ وَعَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ) وسماه الله كذبا ، لأن الذين جاءوا بالقميص وهو فيه كذبوا ، فقالوا ليعقوب : هو دم يوسف ، ولم يكن دمه ، وإنما كان دم سخلة <sup>٢</sup> فيما قيل .  
ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَجَاءَ وَعَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ) قال : دم سخلة .  
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَجَاءَ وَعَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ) قال : دم سخلة شاة .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( بِدَمٍ كَذِبٍ ) قال : دم سخلة ، يعني : شاة .  
حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( بِدَمٍ كَذِبٍ ) قال : دم سخلة شاة .  
حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( بِدَمٍ كَذِبٍ ) قال : كان ذلك الدم كذبا ، لم يكن دم يوسف .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( بِدَمٍ كَذِبٍ ) قال : دم سخلة شاة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله ( بِدَمٍ كَذِبٍ ) قال : بدم سخلة .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : ذبحوا جديا من الغنم ، ثم لطحوا القميص بدمه ، ثم أقبلوا إلى أبيهم ، فقال يعقوب : إن كان هذا الذئب لرحيما ، كيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه ؟ يا بني يا يوسف ، ما فعل بك بنو الإماء .

(١) لعله : فإن قال قائل : قوله : ولو كنا . . الخ .

(٢) السخلة : ولد الشاة ، من المعز والضأن ، ذكرا كان أرثي .



حدثني الحارث، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفیان الثوري ، عن سماك بن حرب ، عن سعيد ابن جبیر ، عن ابن عباس ( وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ) قال : لو أكله السبع لخرق القميص . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد ، قال : ثنا سفیان بإسناده عن ابن عباس مثله ، إلا أنه قال : لو أكله الذئب لخرق القميص .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفیان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ) قال : لو كان الذئب أكله لخرقه . حدثني عبيد الله بن أبي زياد ، قال : ثنا عثمان بن عمرو ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، قال : جرى بقميص يوسف إلى يعقوب ، فجعل ينظر إليه ، فبرى أثر الدم ، ولا يرى فيه خرقاً ، قال : يا بني ، ما كنت أعهد الذئب حلماً .

حدثنا أحمد بن عبد الصمد الأنصاري ، قال : ثنا أبو عاصم العنقدي ، عن قرة ، قال : سمعت الحسن يقول : لما جاءوا بقميص يوسف ، فلم ير يعقوب شقاً ، قال : يا بني ، والله ما عهدت الذئب حلماً . حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، عن عمران بن مسلم ، عن الحسن ، قال : لما جاء إخوة يوسف بقميصه إلى أبيهم ، قال : جعل يتلمه ، فيقول : ما عهدت الذئب حلماً ، أكل ابني ، وأبني على قميصه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ) قال : لما أتوا نبي الله يعقوب بقميصه ، قال : ما أرى أثر سبع ، ولا طعن ولا خرق . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( بِدَمٍ كَذِبٍ ) الدم كذب ، لم يكن دم يوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مجالد ، عن الشعبي ، قال : ذبحوا جدياً ، ولطخوه من دمه ؛ فلما نظر يعقوب إلى القميص صحيحاً ، عرف أن القوم كذبوه ، فقال لهم : إن كان هذا الذئب حلماً ، حيث رحم القميص ، ولم يرحم ابني ، فعرف أنهم قد كذبوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفیان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ( وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ) قال : لما أتى يعقوب بقميص يوسف ، فلم ير فيه خرقاً ، قال : كذبتم ، لو أكله السبع لخرق قميصه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق الأزرق ، ويعلى ، عن زكريا ، عن سماك عن عامر ، قال : كان في قميص يوسف ثلاث آيات ، حين جاءوا على قميصه بدم كذب . قال : وقال يعقوب : لو أكله الذئب لخرق قميصه . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا زكريا ، عن سماك ، عن عامر ، قال : إنه كان يقول : في قميص يوسف ثلاث آيات ، حين أتى على وجه أبيه فارتد بصيراً ، وحين قد من دبر ، وحين جاءوا على قميصه بدم كذب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سيبك ، عن عامر ، قال : كان في قميص يوسف ثلاث آيات : الشق ، والدم ، وألقاه على وجه أبيه ، فارتد بصيرا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، قال : لما جرى بقميص يوسف إلى يعقوب ، فرأى الدم ، ولم ير الشق ، قال : ما عهدت الذئب حلما .  
قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، بمثله .

فإن قال قائل : كيف قيل ( بِيَدَمٍ كَذِبٍ ) وقد علمت أنه كان دما لاشك فيه ، وإن لم يكن كان دم يوسف ؟ قيل : في ذلك من القول وجهان : أحدهما : أن يكون قيل ( بِيَدَمٍ كَذِبٍ ) لأنه كَذِبٌ فيه ، كما يقال : الليلة الهلال ، وكما قيل : ( فَمَا رَجَحْتَ تِجَارَتَهُمْ ) وذلك قول كان بعض نحوِّي البصرة يقوله .  
والوجه الآخر : وهو أن يقال : هو مصدر بمعنى مفعول ، وتأويله : وجاءوا على قميصه بدم مكذوب ، كما يقال : ماله عقل ولا معقول ، ولا له جلد ، ولا له مجلود ، والعرب تفعل ذلك كثيرا ، تضع مفعولا في موضع المصدر ، والمصدر في موضع مفعول ، كما قال الراعي :

حَتَّى إِذَا كَمْ يَسْتُرُكُوا لِعِظَامِهِ لَحْمًا وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولًا

وذلك كان يقوله بعض نحوِّي الكوفة .

وقوله ( قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ) يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لبنيه الذين أخبروه ، أن الذئب أكل يوسف ، مكذبا لهم في خبرهم ذلك ، ما الأمر كما تقولون ( بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ) يقول : بل زينت لكم أنفسكم أمرا في يوسف ، وحسنته ففعلتموه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ) قال : يقول : بل زينت لكم أنفسكم أمرا .

وقوله ( فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ) يقول : فصبري على ما فعلتم بي في أمر يوسف ، صبر جميل ، أو فهو صبر جميل . وقوله ( وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ) يقول : والله أستعين على كفايتي شر ما تصفون من الكذب . وقيل : إن الصبر الجميل : هو الصبر الذي لا جزع فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ) قال : ليس فيه جزع .

(١) البيت للراعي الصيرى ، من قصيدة له يمدح عبد الملك بن مروان ، ويشكو من السعاة ( حياة الزكاة ) . وقد وردت في جمهرة أشعار العرب لابن أبي الخطاب القرشي ( ص ١٧٢ - ١٧٦ ) يقول : إن السعاة ضربوا عريف القوم وهو رئيسهم ، بالسياط الأصبحية ( في البيت قبله ) حتى لم يتركوا على عظامه لحما ، ولا أبقوا في فؤاده عقلا . والمعقول : مصدر بمعنى العقل .  
وأورده الفراء في معاني القرآن ( مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ج ٢ ص ١٥١ ) قال : وقوله « وجاءوا على قميصه بدم كذب » معناه مكذوب . والعرب تقول : للكذب مكذوب ، وليس له عقد رأى ، ومعقود رأى ، فيجعلون المصدر في كثير من الكلام مفعولا ، ويقولون : هذا أمر ليس له معنى ، يريدون معنى ، قال الشاعر : « إن أخوا المجلود من صبيرا » . وقال آخر « حتى إذا لم يتركوا . . . البيت .



حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد ( فَصَّيْبٌ جَمِيلٌ ) في غير جَزَع .  
 قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
 قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الرحمن بن يحيى ، عن حبان بن أبي جبلة ، قال :  
 « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله ( فَصَّيْبٌ جَمِيلٌ ) قال : صبرٌ لا شكوى فيه » قال : من  
 بَشَّ فلم يصبر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن حبان بن  
 أبي جبلة « أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله ( فَصَّيْبٌ جَمِيلٌ ) قال : صَبْرٌ لا شَكْوَى فِيهِ » .  
 قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَصَّيْبٌ جَمِيلٌ ) : ليس فيه جَزَع .  
 حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد ،  
 في قوله ( فَصَّيْبٌ جَمِيلٌ ) : قال : في غير جَزَع .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن بعض أصحابه ، قال :  
 يقال ثلاث من الصبر : أن لا تحدث بوجعك ولا بمصيبتك ، ولا تترك نفسك .

قال : أخبرنا الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت « أن يعقوب النبي صلى الله عليه وسلم كان قد سقط  
 حاجباه ، فكان يرفعهما بخزقة ، فقيل له ما هذا ؟ قال : طول الزمان ، وكثرة الأحزان ، فأوحى الله تبارك  
 وتعالى إليه : يا يعقوب أتشكوني ؟ قال : يا رب خطيئة أخطأتها ، فاغفرها لي » .  
 وقوله ( وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ) حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة  
 ( وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ) : أي على ما تكذبون .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ، فَأَدْلَى دَلْوَهُ ، قَالَ : يَبْشُرُنِي هَذَا غُلْمٌ ، وَأَسْرُوهُ

بِضْعَةٍ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : وجاءت مارة الطريق من المسافرين ( فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ) وهو الذي يرد المتبل  
 والمنزل ، ووروده إياه : مصيره إليه ودخوله ( فَأَدْلَى دَلْوَهُ ) يقول : أرسل دلوه في البئر ، يقال :  
 أدليت الدلو في البئر : إذا أرسلتها فيه ، فإذا استقيت فيها قلت : دَلَوْتُ أدلوا دَلْوًا . وفي الكلام محذوف

استغنى بدلالة ما ذكر عليه فترك ، وذلك : فأدلى دلوه ، فتعلق به يوسف فخرج ، فقال المدلى : ( يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ ) .

وبالذی قلنا فی ذلك جاءت الأخبار عن أهل التأویل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ( وجاءت سيارة فأرسلوا وأردهم فأدلى دلوه ) فتعلق يوسف بالحبل فخرج ، فلما رآه صاحب الحبل ، نادى رجلا من أصحابه يقال له بشرى ( يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فأرسلوا وأردهم فأدلى دلوه ) فتشبهت الغلام بالدلو ، فلما خرج قال : يا بشرى ، هذا غلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فأرسلوا وأردهم ) يقال : أرسلوا رسولهم ، فلما ( أدلى دلوه ) تشبهت بها الغلام ( قال يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ ) .  
واختلفوا في معنى قوله ( يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ ) فقال بعضهم : ذلك تبشير من المدلى دلوه أصحابه ، في إصابته يوسف بأنه أصاب عبدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قال يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ ) تباشروا به حين أخرجوه ، وهي بئر بأرض بيت المقدس ، معلوم مكانها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ ) قال : بشرهم واردهم حين وجد يوسف .

وقال آخرون : بل ذلك اسم رجل من السيارة بعينه ، ناداه المدلى لما خرج يوسف من البئر ، متعلقا بالحبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ ) قال : نادى رجلا من أصحابه يقال له : بُشْرَى ، فقال ( يا بُشْرَى ، هَذَا غُلامٌ ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا خلف بن هشام ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس بن الربيع ، عن السدي ، في قوله ( يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ ) قال : كان اسم صاحبه بشرى .

حدثني المنفي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي ، في قوله ( يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ ) قال : اسم الغلام بشرى ، قال : يا بشرى ، كما تقول : يا زيد .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأ ذلك عامة القراء أهل المدينة ( يا بُشْرَى ) بإثبات ياء الإضافة ، غير أنه أدغم الألف في الياء طلبا للكسرة التي تلزم ما قبل ياء الإضافة من المتكلم في قولهم : غلامي وجاريتي في كل حال ، وذلك من لغة طي ، كما قال أبو ذؤيب :



سَبَقُوا هَوَىٰ وَأَعْتَقُوا هَوَاهُمْ فَتُخْرَمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَّصْرَعٌ ١

وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفيين ( يا بُشْرَى ) بإرسال الياء وترك الإضافة ؛ وإذا قرئ ذلك كذلك ، احتمل وجهين من التأويل : أحدهما : ما قاله السدي ، وهو أن يكون اسم رجل دعاه المستقي باسمه ، كما يقال : يا زيد ، ويا عمرو ، فيكون بشرى في موضع رفع بالنداء . والآخر : أن يكون أراد إضافة البشرية إلى نفسه ، فحذف الياء وهو يريد بها ، فيكون مفردا ، وفيه نية الإضافة ، كما تفعل العرب في النداء فتقول : يا نفس اصبري ، ويا نفسي اصبري ، ويا بَنِي لا تفعل ، ويا بَنِي لا تفعل ، فتفرد وترفع ، وفيه نية الإضافة ، وتضيف أحيانا فتكسر ، كما تقول : يا غلام أقبل ، ويا غلامي أقبل .

وأعجب القراءة في ذلك إلى قراءة من قرأه بإرسال الياء وتسكينها ، لأنه إن كان اسم رجل بعينه ، كان معروفا فيهم ، كما قال السدي ، فذلك هي القراءة الصحيحة لاشك فيها ، وإن كان من التبشير فإنه يحتمل ذلك إذا قرئ كذلك على ما بينت . وأما التشديد والإضافة في الياء فقراءة شاذة لأرى القراءة بها ، وإن كانت لغة معروفة لإجماع الحجة من القرآء على خلافها .

وأما قوله ( وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : وأسره الوارد المستقي ، وأصحابه من التجار الذين كانوا معهم ، وقالوا لهم : هو بضاعة استبضعناها بعض أهل مصر ، لأنهم خافوا إن علموا أنهم اشتروه بما اشتروه به ، أن يطلبوا منهم فيه الشركة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً ) قال : صاحب الدلو ومن معه قالوا لأصحابهم : إنما استبضعناه خيفة أن يشركوهم فيه إن علموا بثمنه ، وتبعهم إخرته يقولون للمدلى وأصحابه : استوثق منه لا يأتق ، حتى وقفوه بمصر ، فقال : من بيتاعني ويبتشر ، فاشتراه الملك ، والملك مسلم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه ، غير أنه قال : خيفة أن يستشركوهم إن علموا به ، واتبعهم إخرته يقولون للمدلى وأصحابه : استوثقوا منه لا يأتق ، حتى أوقفوه بمصر ، وسائر الحديث مثل حديث محمد بن عمرو .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه ، غير أنه قال : خيفة أن يشاركوهم فيه إن علموا بثمنه .

(١) البيت لأبي ذؤيب يرثي أولاده (ديوان الهذليين طبعة دار الكتب المصرية ١ : ٢) . وهوى : هوى ، وهذه لغة هذيل ، يلقبون ألف المقصور المضاف إلى الياء ياء ، ثم يدغمونها . فيقولون هذه عصي في عصاي . وأعتقوا : أسرعوا . فتخرموا : أي أخذوا واحدا واحدا . وهو من شواهد النحويين . ورواه الفراء في معاني القرآن ، عن القاسم بن معن باختلاف عن رواية الطبري هنا ، قال :

تَرَكَوْا هَوَىٰ وَأَعْتَقُوا هَوَاهُمْ فَفَقَدَ هَوَاهُمْ وَلِكُلِّ حَنْبٍ مَّصْرَعٌ

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : خيفة أن يستشركهم فيه إن علموا ثمنه ، وقال أيضا : حتى أوقفوه بمصر .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وأسرّوه بضاعة ) قال : لما اشتراه الرجلان فترقا من الرفقة أن يقولوا اشتريناه ، فيسألوهم الشركة ، فقالا : إن سألونا ما هذا ؟ قلنا بضاعة استبضعناه أهل الماء ، فذلك قوله ( وأسرّوه بضاعة ) بينهم .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأسرّه التجار بعضهم من بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ( وأسرّوه بضاعة ) قال : أسرّه التجار بعضهم من بعض .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد ( وأسرّوه بضاعة ) قال : أسرّه التجار بعضهم من بعض .  
وقال آخرون : معنى ذلك : وأسرّوا بيعه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وأسرّوه بضاعة ) قال : أسرّوا بيعه .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن مجاهد ( وأسرّوه بضاعة ) قال : قالوا لأهل الماء : إنما هو بضاعة .  
وقال آخرون : إنما عني بقوله ( وأسرّوه بضاعة ) إخوة يوسف ، أنهم أسرّوا شأن يوسف أن يكون أخاهم ، قالوا : هو عبد لنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( وأسرّوه بضاعة ) يعني إخوة يوسف أسرّوا شأنه ، وكنتموا أن يكون أخاهم ، فكتم يوسف شأنه ، مخافة أن تقتله إخوته ، واختار البيع ، فذكره إخوته لوارد القوم ، فنأدى أصحابه ، قال : ( يا بشرى ، هَذَا غُلَامٌ ) يباع ، فباعه إخوته .

وأولى هذه الأقوال بالصواب : قول من قال : وأسرّ وأرد القوم المئدي دلوه ، ومن معه من أصحابه ، من رفقته السيارة ، أمر يوسف ، أنهم اشتروه ، خيفة منهم أن يستشركوهم ، وقالوا لهم : هو بضاعة أبضعها معنا أهل الماء ، وذلك أنه عتق الخبير عنه ، فلأن يكون ما وليه من الخبير خيرا عنه ، أشبه من أن يكون خيرا عن هو بالخبير عنه غير متصل .



وقوله ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ) يقول تعالى ذكره : والله ذو علم بما يعمله باعة يوسف ومشروه في أمره ، لا يخفى عليه من ذلك شيء ، ولكنه ترك تغيير ذلك ، ليضحي فيه وفيهم حكمه السابق في علمه ، وليرى إخوة يوسف ويوسف وأباه قدرته فيه . وهذا وإن كان خبراً من الله تعالى ذكره عن يوسف نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإنه تذكير من الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، وتسليية منه له عما كان يلتقى من أقربائه وأنسابه المشركين من الأذى فيه ، يقول له : فاصبر يا محمد على ما نالك في الله ، فإنني قادر على تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون ، كما كنت قادراً على تغيير ما لقي يوسف من إخوته ، في حال ما كانوا يفعلون به ما فعلوا ، ولم يكن تركي ذلك لخوان يوسف على ، ولكن لما ضي علمي فيه وفي إخوته ، فكذلك تركي تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون لغير هوان بك على ، ولكن لسابق علمي فيك وفيهم ، ثم يصير أمرك وأمهم إلى علوك عليهم ، وإذ عانهم لك ، كما صار أمر إخوة يوسف إلى الإذعان ليوسف بالسؤدد عليهم ، وعلو يوسف عليهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ، وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّالِمِينَ (٢٠)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( وَشَرَوْهُ ) به ، وباع إخوة يوسف يوسف ، فأما إذا أراد الخبر عن أنه ابتاعه ، قال : اشتريته ، ومنه قول ابن مفرغ الحميرى :

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي مِّنْ قَبْلِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَةً ١

يقول : بعث برداً ، وهو عبد كان له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، أنه كره الشراء والبيع للبدوى ، قال : والعرب تقول : اشترى لي كذا وكذا : أى بع لي كذا وكذا ، وتلا هذه الآية ( وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ) يقول : باعوه ، وكان بيعه حراماً .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : إخوة يوسف أحد عشر رجلاً ، باعوه ، حين أخرجه المذلى بدلوه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بمثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وثنا إسحاق ، قال :

ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٠٤ ) على أن شريت بمعنى بعث . وفى (اللسان : شرى) : وشاهد شريت

بمعنى بعث ، قول يزيد بن مفرغ وقد باع غلامه برداً ، فقدم بعد بيعه :

شَرَيْتُ بُرْدًا وَلَوْلَا مَا تَكْتَسِفَنِي مِّنَ الْحَوَادِثِ مَا فَارَقْتُهُ أَبَدًا

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَشَرَّوهُ ) قال : قال ابن عباس : فبيع بينهم .  
 حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله  
 ( وَشَرَّوهُ بِشْمَنِ بَخْسٍ ) قال : باعوه .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثله .  
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس :  
 فباعه إخوته بشمن بخس .  
 وقال آخرون : بل عنى بقوله ( وَشَرَّوهُ بِشْمَنِ بَخْسٍ ) السيارة أنهم باعوا يوسف بشمن بخس .  
 ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَشَرَّوهُ بِشْمَنِ  
 بَخْسٍ ) وهم السيارة الذين باعوه .  
 وأولى القولين في ذلك بالصراب : قول من قال : تأويل ذلك : وشروا إخوة يوسف ، يوسف بشمن  
 بخس ، وذلك أن الله عز وجل قد أخبر عن الذين اشتروه أنهم أسروا شراء يوسف من أصحابهم ، خيفة أن  
 يستشركوهم ، بادعائهم أنه بضاعة ، ولم يقولوا ذلك إلا رغبة فيه أن يخلص لهم دونهم ، واسترخاصا لثمنه الذي  
 ابتاعوه به ، لأنهم ابتاعوه ، كما قال جل ثناؤه ( بِشْمَنِ بَخْسٍ ) ولو كان مبتاعوه من إخوته فيه من  
 الزاهدين ، لم يكن ليقبلهم لرفقائهم هو بضاعة معنى ، ولا كان لشراهم إياه وهم فيه من الزاهدين ، وجه ، إلا  
 أن يكونوا كانوا مغلوبا على عقولهم ، لأنه محال أن يشتري صحيح العقل ما هو فيه زاهد ، من غير إكراه مكره  
 له عليه ، ثم يكذب في أمره الناس بأن يقول : هو بضاعة ، لم أشره مع زهده فيه ، بل هذا القول من  
 قول من هو بسلته ضنين ، لنفاستها عنده ، ولما يرجو من نفيس الثمن لها ، وفضل الربح .  
 وأما قوله ( بَخْسٍ ) فإنه يعنى : نقص ، وهو مصدر من قول القائل : بخت فلانا حقه : إذا  
 ظلمته ، يعنى : ظلمه فنقصه عما يجب له من الوفاء ، أبحسه بخسا ، ومنه قوله ( وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ  
 أَشْيَاءَهُمْ ) ، وإنما أريد بشمن مبخوس منقوص ، فوضع البخس وهو مصدر ، مكان مفعول ، كما  
 قيل ( يَدِّمُ كَذِبٍ ) ، وإنما هو بدم مكذوب فيه .  
 واختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : قيل ( بِشْمَنِ بَخْسٍ ) لأنه كان حراما عليهم .  
 ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جوير ، عن الضحاك ( وَشَرَّوهُ بِشْمَنِ بَخْسٍ ) قال :  
 البخس : الحرام .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا على بن عاصم ، عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ  
 يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : كان ثمنه بخسا حراما ، لم يحل لهم أن يأكلوه .



حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله ( وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ) قال : باعوه بثمن بخص ، قال : كان بيعه حراما ، وشراؤه حراما .  
حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ( بِثَمَنٍ بَخْسٍ ) قال : حرام .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( بِثَمَنٍ بَخْسٍ ) يقول : لم يحل لهم أن يأكلوا ثمنه .  
وقال آخرون : معنى البخص هنا : الظلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ) قال : البخص : هو الظلم ، وكان بيع يوسف وثمنه حراما عليهم .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال قتادة ( وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ) قال : ظلم .  
وقال آخرون : عني بالبخص في هذا الموضع : القليل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن جابر ، عن عامر ، قال : البخص : القليل .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن عكرمة ، مثله . وقد بينا الصحيح من القول في ذلك .

وأما قوله ( دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ) فإنه يعني عز وجل أنهم باعوه بدرهم غير موزونة ، ناقصة غير وافية ، ازهدهم كان فيه . وقيل : إنما قيل : معدودة ، ليعلم بذلك أنها كانت أقل من الأربعين ، لأنهم كانوا في ذلك الزمان ، لا يزنون ما كان وزنه أقل من أربعين درهما ، لأن أقل أوزانهم وأصغرها كان الأوقية ، وكان وزن الأوقية أربعين درهما ، قالوا : وإنما دلّ بقوله ( مَعْدُودَةٍ ) على قلة الدرهم التي باعوه بها ، فقال بعضهم : كان عشرين درهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن زهير ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : إن ما اشترى به يوسف عشرون درهما .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ( وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ) قال : عشرون درهما .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن توف البكالي ، في قوله ( وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ) قال : عشرون درهما .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع : وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق عن نوف البكالي ( بَخْسٍ دَرَاهِمٍ ) قال : كانت عشرين درهما .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحَمَّانِي ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن نوف ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في قوله ( بِشَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ ) قال : عشرون درهما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ( دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ ) قال : كانت عشرين درهما .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ بَاعَ بِعَشْرِينَ دَرَاهِمًا ، وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي إدريس ، عن عطية ، قال : كانت الدراهم عشرين درهما اقتسموها ، درهمين درهمين .

وقال آخرون : بل كان عددها اثنين وعشرين درهما ، أخذ كل واحد من إخوة يوسف ، وهم أحد عشر رجلا ، درهمين درهمين منها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ ) قال : اثنين وعشرين درهما .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ ) قال : اثنان وعشرون درهما ، لإخوة يوسف أحد عشر رجلا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ ) : قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

وقال آخرون : بل كانت أربعين درهما .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن عكرمة ( دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ ) قال : أربعين درهما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : باعوه ، ولم يبلغ ثمنه الذي باعوه به أوقية ، وذلك أن الناس كانوا يتبايعون في ذلك الزمان بالأوقا ، فما قصر عن الأوقية ، فهو عدد ، يقول الله ( وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ ) أي : لم يبلغ الأوقية .



والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنهم باعوه بدرهم معدودة ، غير موزونة ، ولم يحدد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد، ولا وضع عليه دلالة في كتاب ، ولا خبر من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد يحتمل أن يكون كان عشرين ، ويحتمل أن يكون كان اثنين وعشرين ، وأن يكون كان أربعين ، وأقل من ذلك وأكثر ، وأى ذلك كان، فلأنها كانت معدودة غير موزونة ، وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين ، ولا في الجهل به دخول ضرر فيه ، والإيمان بظاهر التنزيل فرض ، وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه .

وقوله ( وكانوا فيه من الزاهدين ) يقول تعالى ذكره : وكان إخوة يوسف في يوسف من الزاهدين لا يعلمون كرامته عند الله، ولا يعرفون منزلته عنده، فهم مع ذلك يحبون أن يحولوا بينه وبين والده ليخلو لهم وجهه منه، ويقطعوه عن القرب منه لتكون المنافع التي كانت مصروفة إلى يوسف دونهم ، مصروفة إليهم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي مرزوق ، عن جوير ، عن الضحاك ( وكانوا فيه من الزاهدين ) قال : لم يعلموا بنبوته ، ومنزلته من الله .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك، في قوله ( وجاءت سيارة ) فنزلت على الحب ( فأرسلوا وأردهم ) ، فاستقى من الماء ، فاستخرج يوسف ، فاستبشروا بأنهم أصابوا غلاما ، لا يعلمون علمه ، ولا منزلته من ربه ، فزهدوا فيه ، فباعوه ، وكان بيعه حراما ، وباعوه بدرهم معدودة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ( وكانوا فيه من الزاهدين ) قال : إخوته زهدوا ، فلم يعلموا منزلته من الله ، ونبوته ، ومكانه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : إخوته زهدوا فيه ، لم يعلموا منزلته من الله عز وجل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ: الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ، عَمِي أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا، وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ، وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١)

يقول جل ثناؤه : وقال الذي اشترى يوسف من بائعه بمصر ، وذكر أن اسمه قطفير .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قال : كان اسم الذي اشتراه قطفير . وقيل : إن اسمه إطفير بن روحيب ، وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر ، وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد ، رجل من العماليق .

كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . وقيل : إن الذي باعه بمصر كان مالك بن ذعر بن ثويب بن عتقاء بن مديان بن إبراهيم .

كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن السائب ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ( وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ ) واسمها فيما ذكر ابن إسحاق : راعيل بنت رعائيل .

حدثنا بذلك بن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . ( أَكْرَمِي مَشْوَاهُ ) يقول : أكرمى موضع مقامه ، وذلك حيث يشوي ويقم فيه ، يقال : ثوى فلان بمكان كذا : إذا أقام فيه . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَكْرَمِي مَشْوَاهُ ) منزلته ، وهي امرأة العزيز .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرَمِي مَشْوَاهُ ) قال : منزلته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد اشتراه الملك ، والملك مسلم .

وقوله ( عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ) ذكر أن مشترى يوسف ، قال هذا القول لامرأته ، حين دفعه إليها ، لأنه لم يكن له ولد ، ولم يأت النساء ، فقال لها : أكرميه عسى أن يكفينا بعض ما نعانى من أمورنا ، إذا فهم الأمور التي نكلفها وعرفها ، أو نتخذه ولدا : يقول : أو نتبناه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان إطفير فيما ذكر لي ، رجلا لا يأتى النساء وكانت امرأته راعيل امرأة حسناء ناعمة ، طاعمة في ملك ودنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : أفرس الناس ثلاثة : العزيز حين تفرس في يوسف ، فقال لامرأته ( أَكْرَمِي مَشْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ) وأبو بكر حين تفرس في عمر ، والتي قالت ( يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ، إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : انطلق بيوسف إلى مصر ، فاشتراه العزيز ملك مصر ، فانطلق به إلى بيته ، فقال لامرأته : ( أَكْرَمِي مَشْوَاهُ ، عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا ، أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ) .



حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : أفرس الناس ثلاثة : العزيز حين قال لامرأته ( أَكْثَرِي مَشْوَاهُ ) والقوم فيه زاهدون ، وأبو بكر حين تفرس في عمر فاستخلفه . والمرأة التي قالت : ( يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ) .

وقوله ( وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ) يقول عز وجل : وكما أنقذنا يوسف من أيدي إخوته ، وقد هموا بقتله ، وأخرجناه من الحب بعد أن ألقى فيه ، فصيرناه إلى الكرامة ، والمنزلة الرفيعة عند عزيز مصر ، كذلك مكنا له في الأرض ، فجعلناه على خزائنها .

وقوله ( وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ) يقول تعالى ذكره : وكى نعلم يوسف من عبارة الرؤيا مكنا له في الأرض .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ) قال : عبارة الرؤيا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ) قال : تعبير الرؤيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ( وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ) قال : عبارة الرؤيا .

وقوله ( وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ) يقول تعالى ذكره : والله مستول على أمر يوسف يسوسه ويدبره ويحوطه ، والهاء في قوله ( على أمره ) عائدة على يوسف .

وروى عن سعيد بن جبيرة في معنى : غالب ، ما حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبيرة ( وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ) قال : فعّال .

وقوله ( وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) يقول : ولكن أكثر الناس الذين زهدوا في يوسف ، فباعوه بثمن خسيس ، والذين صار بين أظهرهم ، من أهل مصر ، حين بيع فيهم ، لا يعلمون ما الله بيوسف صانع ، وإليه يوسف من أمره صائر .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : لما بلغ يوسف أشده : يقول : لما بلغ منتهى شدته وقوته في شبابه ، وحده وذلك فيما بين ثمانى عشرة إلى ستين سنة ، وقيل إلى أربعين سنة ، يقال منه : مضت أشد الرجل : أى شدته ، وهو جمع مثل الأضر والأسر لم يسمع له بواحد من لفظه ، ويجب في القياس أن يكون واحده شد ، كما واحد الأضر ضرّ وواحد الأسر سر ، كما قال الشاعر :

هل غير أن كسرت الأشد وأهلككت حرب الملوكة أكثير الأموال

وقال حميد :

وقد أتى لَوُ تَعْتَبُ العَوَاذِلُ بَعْدَ الأَشْدِّ أَرْبَعُ كَوَامِلُ

وقد اختلف أهل التأويل في الذي عنى الله به في هذا الموضع من مبلغ الأشد ، فقال بعضهم : عنى به ثلاث وثلاثون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع والحسن بن محمد ، قالا : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ) قال : ثلاثا وثلاثين سنة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله :

حدثت عن علي بن الهيثم ، عن بشر بن المفضل ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، قال :

سمعت ابن عباس يقول في قوله : ( وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ) قال : بضعا وثلاثين سنة .

وقال آخرون : بل عنى به : عشرون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن علي بن المسيب ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، في قوله ( وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ) قال :

عشرين سنة .

وروي عن ابن عباس من وجه غير مرضي ، أنه قال : ما بين ثمانى عشرة سنة إلى ثلاثين ، وقد بينت

معنى الأشد .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر أنه آتى يوسف لما بلغ أشده حكما وعلما .

والأشد : هو انتهاء قوته وشبابه ، وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، وجائز أن يكون

آتاه وهو ابن عشرين سنة ، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، ولا دلالة في كتاب الله

(١) في اللسان : الأشد : مبلغ الرجل الحكمة والمعرفة . وذلك ما بين الثمانى عشرة والثلاثين . قال الفراء : الأشد : واحدا :

شد ( بالفتح ) في القياس . قال : ولم أسمع لها بواجب : . وقال سيبويه : واحدا : شدة ، كنعمة وأنعم . وقال ابن جنى : قال

أبو عبيد : هو جمع أشد ، على حذف الزيادة . قال وقال أبو عبيدة : ربما استكرهوا على حذف هذه الزيادة في الواحد ، وأشد

بيت عشرة :

عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّما خُضِبَ البَنَانُ ورأسه بالعِظْمِ

أى أشد النهار ، يعنى أعلاه وأتمه . قال ابن سيده : «وذهب أبو عثمان ، فيما روينا عن أحمد بن يحيى عنه : أنه جمع لا واحد له .

وقال السيرافي : في القياس : شد وأشد ، كما يقال : قد ، وأقد . وقال مرة أخرى : هو جمع لا واحد له . وقد يقال : بلغ أشده

( بفتح الشين ) ، وهي قليلة .

(٢) هذا الشاهد كالذي قبله ، وقد أوضحناه بما يكفى من نصوص الفجويين .



ولا أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا في إجماع الأمة على أى ذلك كان ، وإذا لم يكن ذلك موجودا من الوجه الذى ذكرت ، فالصواب أن يقال فيه ، كما قال عز وجل ، حتى تثبت حجة بصفة ما قيل فى ذلك من الوجه الذى يجب التسليم له ، فيسلم لها حينئذ .

وقوله ( آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ) يقول تعالى ذكره : أعطيناه حينئذ الفهم والعلم .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( حُكْمًا وَعِلْمًا ) قال : العقل والعلم قبل النبوة .

وقوله ( وكذلك نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ) يقول تعالى ذكره : وكما جزيت يوسف ، فأتيته بطاعته إياى الحكم والعلم ، ومكنته فى الأرض ، واستنقذته من أيدي إخوته الذين أرادوا قتله ، كذلك نَجْزِي من أحسن فى عمله ، فأطاعنى فى أمرى ، وانتهى عما نهيت عنه من معاصى ، وهذا وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن ، فإن المراد به محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم ، يقول له عز وجل : كما فعلت هذا بيوسف من بعد ما لقي من إخوته مالتى ، وقاسى من البلاء ما قاسى ، فمكنته فى الأرض ، ووطأت له فى البلاد ، فكذلك أفعل بك ، فأنجيك من مشركى قومك ، الذين يقصدونك بالعداوة ، وأمكنن لك فى الأرض ، وأوتيتك الحكم والعلم ، لأن ذلك جزاى أهل الإحسان فى أمرى ونهى .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( وكذلك نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ) يقول : المهتدين .

#### القول فى تأويل قول تعالى

وَرَأَوْتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ ، وَقَالَتْ : هَيْتَ لَكَ : قَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ ، إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : وراودت امرأة العزيز ، وهى التى كان يوسف فى بيتها ، عن نفسه أن يواقعها . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ولما بلغ أشده ، راودته التى هو فى بيتها عن نفسه : امرأة العزيز .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( وَرَأَوْتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ) قال : أحبته .

قال : ثنى أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : قالت تعال .

وقوله ( وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ ) يقول : وغلقت المرأة أبواب البيوت عليها وعلى يوسف ، لما أرادت منه ، وراودته عليه ، باباً بعد باب .

وقوله ( وَقَالَتْ : هَيْتَ لَكَ ) اختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة :

( هَيْتَ كَكَ ) بفتح الهاء والياء ، بمعنى : هلم لك ، وادن وتقرّب ، كما قال الشاعر لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه :

أبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخَا الْعِرَاقِ إِذَا أَتَيْتَنَا  
إِنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ عُنُقٌ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَا

يعنى : تعال واقرب .

وينحو الذى قلنا فى ذلك تأوله من قرأه كذلك .

حدثني محمد بن عبد الله الخرمي ، قال : ثنا أبو الجواب ، قال : ثنا عمار بن زريق ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( هَيْتَ كَكَ ) قال : هلم لك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( هَيْتَ كَكَ ) قال : هلم لك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال ( هَيْتَ كَكَ ) تقول : هلم لك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زرّ بن حبيش ، أنه كان يقرأ هذا الحرف ( هَيْتَ كَكَ ) نصبا : أى هلم لك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس ، قوله ( هَيْتَ كَكَ ) قال : تقول : هلم لك .

حدثني أحمد بن سهيل الواسطيّ ، قال : ثنا قرة بن عيسى ، قال : ثنا النضر بن عليّ الجزري ، عن عكرمة ، مولى ابن عباس ، فى قوله ( هَيْتَ كَكَ ) قال : هلم لك ، قال : هى بالخورانية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَقَالَتْ : هَيْتَ كَكَ ) قال : كان الحسن يقول : هلم لك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ( هَيْتَ كَكَ ) يقول بعضهم : هلم لك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى ( وَقَالَتْ : هَيْتَ كَكَ ) قال : هلم لك ، وهى بالتبضية .

(١) البيهقي فى مجاز القرآن لأبي عبيدة ( ١ : ٣٠٥ ) قال : يريد على بن أبي طالب رحمه الله ، أى تعال وتقرّب وادنه ، وكذلك لفظ « هيت » للثنين ، والجميع من الذكر والأنثى سواء ، إلا أن العدد فيما بعدها ، تقول : هيت لكما ، وهيت لكن . وعنى إليك : ما تلون إليك . وفى اللسان : وذكر ابن جنى : أن هيت فى البيت بمعنى أسرع . قال : وفيه أربع لغات : « هيت » بفتح الهاء والياء . و « هيت » بكسر الهاء وفتح التاء . و « هيت » بفتح الهاء وضم التاء ، « هيت » بكسر الهاء وضم التاء . قال الأخفش : هيت لك مفتوحة : هلم لك . قال : وكسر بعضهم التاء ، وهى لغة ، فقال : هيت لك . وروى الأزهرى عن أبي زيد قال : هيت لك ، بالعبرية : هيتا ليح ، أى تعال ، أمر به القرآن وعنى إليك : ما تلون إليك ، متعلمون .



حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن عمرو ، عن الحسن ( هَيْتَ كَكَ )  
قال : كلمة بالسريانية : أَيْ عَكَيْتُكَ .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ( هَيْتَ كَكَ )  
قال : هلمَّ لك .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا خلف بن هشام ، قال : ثنا محبوب ، عن قتادة ، عن الحسن ( هَيْتَ  
كَكَ ) قال : هلمَّ لك .

قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم ، عن زرِّ ( هَيْتَ كَكَ ) : أَيْ هلمَّ .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الثوري ، قال : بلغني في قوله ( هَيْتَ كَكَ ) قال  
هلمَّ لك .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا أبو عبيد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن خالد الخدّاء ، عن عكرمة  
عن ابن عباس : أنه قرأ ( هَيْتَ كَكَ ) وقال : تدعوه إلى نفسها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،  
في قول الله تعالى ( هَيْتَ كَكَ ) قال : لغة عربية تدعوه بها .

حدثني المنفي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه  
قال : لغة بالعربية ، تدعوه بها إلى نفسها .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شيبان ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث محمد  
ابن عمرو سواء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن ( هَيْتَ كَكَ )  
بفتح الهاء والتاء ، وقال : تقول : هلمَّ لك .

حدثني الحارث ، قال أبو عبيدة : كان الكسائي يحكيها ، يعني ( هَيْتَ كَكَ ) قال : وقال : وهي لغة  
لأهل حوران وقعت إلى الحجاز ، معناها : « تعال » قال : وقال أبو عبيد : سألت شيخا عالما من أهل  
حوران ، فذكر أنها لغتهم يعرفها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( هَيْتَ كَكَ ) قال : تعال .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَقَالَتْ هَيْتَ كَكَ ) قال  
هلمَّ لك إلى .

وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين ( وَقَالَتْ هَيْتَ كَكَ ) بكسر الهاء وضم التاء والهمز ، بمعنى : تبيأت  
لك ، من قول القائل : هَيْتَ للأمر ، أهيء هَيْتَه . ومن روى ذلك عنه ابن عباس ، وأبو عبد الرحمن السلميّ  
وجماعة غيرهما .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا الحجاج ، عن هارون ، عن أبان العطار ، عن قتادة ، أن ابن عباس قرأها كذلك مكسورة الهاء مضمومة التاء ، قال أحمد ، قال أبو عبيد : لأعلمها إلا مهموزة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن أبان العطار ، عن عاصم ، عن أبي عبد الرحمن السلمى ( هِئْتُ كَلَّ ) أى تَهَيَّأت لك .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان عكرمة يقول : تَهَيَّأت لك .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال ( هِئْتُ كَلَّ )  
قال عكرمة : تَهَيَّأت لك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم بن بهدلة ، قال : كان أبو وائل يقول : ( هِئْتُ كَلَّ ) : أى تَهَيَّأت لك . وكان أبو عمرو بن العلاء والكسائي ينكران هذه القراءة .  
حدثت عن علي بن المغيرة ، قال : قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : شهدت أبا عمرو ، وسأله أبو أحمد ، أو أحمد ، وكان عالما بالقرآن ، عن قول من قال ( هِئْتُ كَلَّ ) بكسر الهاء و همز الياء ، فقال أبو عمرو : ينسى ، أى باطل جعلها فَعِلت<sup>١</sup> من تَهَيَّأت ، فهذا الخندق ، فاستعرض العرب ، حتى تنتهى إلى اليمن ، هل تعرف أحدا يقول : هئت لك ؟

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : لم يكن الكسائي يحكى ( هِئْتُ كَلَّ ) عن العرب .  
وقرأ ذلك عامة قرآء أهل المدينة ( هِئْتُ كَلَّ ) بكسر الهاء ، وتسكين الياء ، وفتح التاء .  
وقرأه بعض المكيين ( هِئْتُ كَلَّ ) بفتح الهاء وتسكين الياء وضم التاء .  
وقرأه بعض البصريين ، وهو عبد الله بن إسحاق ( هِئْتُ كَلَّ ) بفتح الهاء وكسر التاء ، وقد أنشد بعض الرواة بيتا لطرفة بن العبد ، فى هِئْتُ بفتح الهاء وضم التاء ، وذلك :

لَيْسَ قَوْمِي بِالْأَبْعَدِينَ إِذَا مَا قَالَ دَاعٍ مِّنَ الْعَشِيرَةِ هِئْتُ<sup>٢</sup>

وأولى القراءة فى ذلك : قراءة من قرأه ( هِئْتُ كَلَّ ) بفتح الهاء والتاء ، وتسكين الياء ، لأنها اللغة المعروفة فى العرب دون غيرها ، وأنها فيما ذكر قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، قال ابن مسعود : قد سمعت القمراء فسمعتهم متقاربين ، فاقروا كما علمتم ، وإياكم والتنطع والاختلاف ، فإنما هو كقول أحدكم : هلمّ وتعال . ثم قال عبد الله ( هِئْتُ كَلَّ ) فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، إن ناسا يقرءونها ( هِئْتُ كَلَّ ) فقال عبد الله : إني أقرؤها كما علمت ، أحب إلى .

(١) أصله على زعمهم : هئت ، بوزن فعلت ، ثم حذف الياء ، فصار وزنه : قلت .

(٢) لم أجد هذا البيت فى شعر طرفة الذى بين أيدينا . والشاهد فيه أن « هيت » تبنى على الضم عند بعض العرب ، وقد تبنى على

الكسر ، وعلى الفتح ، وهو الأكثر .



حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقرأ هذه الآية ( وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ) قال : فقالوا له : ما كنا نقرأها إلا ( هَيْتَ لَكَ ) فقال عبد الله إني أقرأها كما علمت أحب إلي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن منصور ، عن أبي وائل ، قال : قال عبد الله ( هَيْتَ لَكَ ) فقال له مسروق : إن ناسا يقرءونها ( هَيْتَ لَكَ ) فقال : دعوني ، فإني أقرأ كما أقرئت أحب إلي . حدثني المثني ، قال : ثنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن ابن مسعود قال ( هَيْتَ لَكَ ) بنصب الهاء والتاء وبلا همز .

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثني ، أن العرب لا تثنى ( هَيْتَ لَكَ ) ولا تجمع ولا تؤنث ، وأنها تصوّره في كل حال ، وإنما يتبين العدد بما بعد ، وكذلك التأنيث والتذكير ، وقال : نقول للواحد : هيت لك ، وللثنتين : هيت لكما ، وللجمع : هيت لكم ، وللنساء : هيت لكن .

وقوله ( قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ) يقول جل ثناؤه : قال يوسف إذ دعت المرأة إلى نفسها ، وقالت له : هلمّ إليّ ، أعتصم بالله من الذي تدعوني إليه ، وأستجير به منه .

وقوله ( إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ) يقول : إن صاحبك وزوجك سيدي . كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ( مَعَاذَ اللَّهِ ، إِنَّهُ رَبِّي ) قال : سيدي .

قال : ثنا ابن نمير ، عن رقاء ، عن ابن أبي نجيح ( إِنَّهُ رَبِّي ) قال : سيدي . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شباية ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ، إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ) قال : سيدي ، يعني : زوج المرأة . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، ( قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي ) يعني : إطفير ، يقول : إنه سيدي .

وقوله ( أَحْسَنَ مَثْوَايَ ) يقول : أحسن منزلي ، وأكرم مني وأتمنني فلا أخونه . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال ( أَحْسَنَ مَثْوَايَ ) أمني على بيته وأهله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( أَحْسَنَ مَثْوَايَ ) ، فلا أخونه في أهله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( أَحْسَنَ مَثْوَايَ ) قال : يريد يوسف سيده زوج المرأة .

وقوله ( إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ) يقول : إنه لا يدرك البقاء ، ولا ينجح من ظلم ، ففعل ما ليس له فعله ، وهذا الذي تدعوني إليه من الفجور ، ظلم وخيانة لسيدى الذى اتمنى على منزله .  
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ) قال : هذا الذى تدعوني إليه ظلم ، ولا يفلح من عمل به .

الفرل في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ، كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ  
وَالْفَحْشَاءَ ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)

ذكر أن امرأة العزيز لما همت بيوسف ، وأرادت مراودته ، جعلت تذكر له محاسن نفسه ، وتشوقه إلى نفسها .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ) قال : قالت له : يا يوسف ما أحسن شعرك ! قال : هو أول ما ينتثر من جسدى ، قالت : يا يوسف ما أحسن وجهك ! قال : هو للتراب يأكله ، فلم تزل حتى أطمعته ، فهمت به ، وهم بها ، فدخل البيت ، وغلقت الأبواب ، وذهب ليحل سراويله ، فإذا هو بصورة يعقوب قائما فى البيت ، قد عض على أصبعه ، يقول : يا يوسف توقعها ؟ وإنما مثلك ما لم توقعها مثل الطير فى جوف السماء لا يطاق ، ومثلك إذا واقعتها مثله إذا مات ، ووقع إلى الأرض ، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، ومثلك ما لم توقعها مثل الثور الصعب الذى لا يعمل عليه ، ومثلك إن واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل فى أصل قرنيه ، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، فربط سراويله ، وذهب ليخرج يشدد ، فأدركته ، فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه ، فخرقته حتى أخرجته منه ، وسقط ، وطرحه يوسف ، واشتد نحو الباب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أكتبت عليه ، يعنى المرأة تطمعه مرة ، وتخيفه أخرى ، وتدعوه إلى لذة من حاجة الرجال ، فى جمالها وحسنها وملكها ، وهو شاب مستقبل ، يجد من سبق الرجال ما يجد الرجل ، حتى رقى لها مما يرى من كلفتها به ، ولم يتخوف منها ، حتى هم بها ، وهمت به ، حتى خلكوا فى بعض بيوته . ومعنى الهم بالشئ فى كلام العرب : حديث المرء نفسه بمواقعة ، ما لم يواقع ، فأما ما كان من هم يوسف بالمرأة ، وهمها به ، فإن أهل العلم قالوا فى ذلك ما أنا ذاكره :

وذلك ما حدثنا أبو كريب وسفيان بن وكيع ، وسهل بن موسى الرازى ، قالوا : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، سئل عن هم يوسف ما بلغ ؟ قال : حبل الهميان ، وجلس منها مجلس الخاتن ، لفظ الحديث لأبي كريب .

حدثنا أبو كريب ، وابن وكيع ، قالوا : ثنا ابن عيينة ، قال : سمع عبيد الله بن أبي يزيد ابن عباس فى ( وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ) قال : جلس منها مجلس الخاتن ، وحل الهميان .

حدثنا زياد بن عبد الله الحسافى ، وعمرو بن على ، والحسن بن محمد ، قالوا : ثنا سفيان بن عيينة ،



عن عبد الله بن أبي يزيد ، قال : سمعت ابن عباس سئل : ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : حلّ الهميان ، وجلس منها مجلس الخاتن .

حدثني زياد بن عبد الله ، قال : ثنا محمد بن أبي عدى ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سألت ابن عباس : ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : استلقت له ، وجلس بين رجلها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ( وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ) قال : استلقت له ، وحلّ ثيابه .

حدثني المنثي ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفیان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ( وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ) ما بلغ ؟ قال : استلقت له ، وجلس بين رجلها ، وحلّ ثيابه ، أو ثيابها .

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سألت ابن عباس : ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : استلقت على قفاها ، وقعد بين رجلها لينزع ثيابه . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سئل ابن عباس ، عن قوله ( وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ) ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : حلّ الهميان ، يعنى السراويل .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت الأعمش ، عن مجاهد ، في قوله ( وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ) قال : حلّ السراويل ، حتى التبتان ، واستلقت له .

حدثنا زياد بن عبد الله الحسافي ، قال : ثنا مالك بن سعيد ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، في قوله ( وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ) قال : حلّ سراويله ، حتى وقع على التبتان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ) قال : جلس منها مجلس الرجل من امرأته .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، قال : ثنا القاسم بن أبي بزة ( وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ) قال : أما همها به ، فاستلقت له ، وأما همها بها : فإنه قعد بين رجلها ، ونزع ثيابه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن أبي مليكة ، قال : قلت لابن عباس : ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : استلقت له ، وجلس بين رجلها ينزع ثيابه .

حدثني المنثي ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا يحيى بن اليمان ، عن سفیان ، عن علي بن بنديمة ، عن سعيد بن جبيرة وعكرمة ، قالا : حلّ السراويل ، وجلس منها مجلس الخاتن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقري ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد ( وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ) قال : استلقت ، وحلّ ثيابه حتى بلغ التبان .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبيرة ( وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ) قال : أطلق نكته سراويله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، قال : شهدت ابن عباس سئل عن هم يوسف ما بلغ ؟ قال : حلّ الهميان ، وجلس منها مجلس الخاتن .

فان قال قائل : وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا وهو لله نبي ؟ قيل : إن أهل العلم اختلفوا في ذلك ، فقال بعضهم : كان ممن ابتلى من الأنبياء بخطيئة ، فإنما ابتلاه الله بها ، ليكون من الله عز وجل على وجعل إذا ذكرها ، فيجد في طاعته إشفاقا منها ، ولا يتكل على سعة عفو الله ورحمته . وقال آخرون : بل ابتلاه الله بذلك ، ليعرفهم موضع نعمته عليهم ، بصفحة عنهم ، وتركه عقوبته عليه في الآخرة .

وقال آخرون : بل ابتلاههم بذلك ، ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله ، وترك الإياس من عفوهم إذا تابوا .

وأما آخرون ، ممن خالف أقوال السلف ، وتأولوا القرآن بآرائهم ، فإنهم قالوا في ذلك أقوالا مختلفة ، فقال بعضهم : معناه : ولقد همّت المرأة بيوسف ، وهم بها يوسف أن يضربها ، أو ينالها بمكروه ، لهما به مما أرادت من المكروه ، لولا أن يوسف رأى برهان ربه ، وكفه ذلك عما هم به من أذاها ، لأنها ارتدعت من قبيل نفسها ، قالوا : والشاهد على صحة ذلك قوله ( كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ) قالوا : فالسوء : هو ما كان هم به من أذاها ، وهو غير الفحشاء .

وقال آخرون منهم : معنى الكلام : ولقد همّت به ، فتناهى الخبر عنها ، ثم ابتدئ الخبر عن يوسف ، فقيل : وهم بها يوسف ، لولا أن رأى برهان ربه ، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى أن يوسف لم يهم بها ، وأن الله إنما أخبر أن يوسف لولا رؤيته برهان ربه لم يهم بها ، ولكنه رأى برهان ربه فلم يهم بها ، كما قيل ( وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ) ، ويفسد هذين القولين أن العرب لا تقدم جواب « لولا » قبلها ، لا تقول : لقد قمت لولا زيد ، وهي تريد : لولا زيد لقد قمت ، هذا مع خلافهما جميع أهل العلم بتأويل القرآن ، الذين عنهم يؤخذ تأويله .

وقال آخرون منهم : بل قد همّت المرأة بيوسف ، وهم يوسف بالمرأة ، غير أن ههما كان تمثيلا منهما بين الفعل والترك ، لا عزم ولا إرادة ، قالوا : ولا حرج في حديث النفس ، ولا في ذكر القلب ، إذا لم يكن معهما عزم ولا فعل . وأما البرهان الذي رآه يوسف ، فترك من أجله واقعة الخطيئة ، فإن أهل العلم اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : تؤدى بالنهي عن واقعة الخطيئة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ( لولا أن رأى برهان ربه ) قال : نودي : يا يوسف أتزني ، فتكون كالطير وقع ريشه ؟ فذهب يطير ، فلا ريش له .



قال : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، قال : لم يتعظ على النداء حتى رأى برهان ربه ، قال : تمثال صورة وجه أبيه ، قال سفيان : عاصباً على أصبعه ، فقال : يا يوسف تزني ، فتكون كالطير ذهب ريشه ؟

حدثني زياد بن عبد الله الحسائي ، قال : ثنى محمد بن أبي عدى ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : قال ابن عباس : نودي : يا بن يعقوب لاتكن كالطائر له ريش ، فإذا زني ذهب ريشه ، أو قعد لاريش له ، قال : فلم يتعظ على النداء ، فلم يزد على هذا .

قال ابن جريج : وحدثني غير واحد ، أنه رأى أباه عاصباً على أصبعه .

حدثني أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن ابن أبي مليكة ، قال : قال ابن عباس ( لَوَلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : نودي فلم يسمع ، فقيل له : يا بن يعقوب تريد أن تزني ، فتكون كالطير تُتَيْفُ فلا ريش له ؟

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن طلحة ، عن عمرو الحضرمي ، عن ابن أبي مليكة ، قال : بلغني أن يوسف لما جلس بين رجلي المرأة ، فهو يحلّ هميانه نودي : يا يوسف بن يعقوب لاتزن ، فإن الطير إذا زني تناثر ريشه فأعرض ، ثم نودي فأعرض ، فتمثل له يعقوب عاصباً على إصبعه ، فقام .

حدثني المثني ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، قال : نودي : يا بن يعقوب لاتكن كالطير إذا زني ذهب ريشه ، وبقى لاريش له ، فلم يتعظ على النداء ، ففزع .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن أبي مليكة ، قال : قال ابن عباس : نودي : يا بن يعقوب لاتكونن كالطائر له ريش ، فإذا زني ذهب ريشه : قال : أو قعد لاريش له ، فلم يتعظ على النداء شيئاً ، حتى رأى برهان ربه ، ففترق ففرّ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان عن ابن أبي مليكة ، قال : قال ابن عباس : نودي : يا بن يعقوب أتزني ، فتكون كالطير وقع ريشه ، فذهب يطير ، فلا ريش له ؟ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني نافع بن يزيد ، عن همام بن يحيى ، عن قتادة قال : نودي يوسف فقيل : أنت مكتوب في الأنبياء تعمل عمل السفهاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : نودي يوسف بن يعقوب تزني ، فتكون كالطير نتف فلا ريش له ؟  
وقال آخرون : البرهان الذي رأى يوسف ، فكفّ عن مواجهة الخطيئة من أجله : صورة يعقوب عليهما السلام يتوعدّه .

(١) كذا في الأصل . وفي الدار المنثور ( ٤ : ١٤ ) من رواية للقاسم بن أبي بزة : « فلم يعرض لنداء » .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزي ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( لَوَلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : رأى صورة أو تمثال وجه يعقوب عاضاً على أصبعه ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن العنقزي ، عن إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( لَوَلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : مثل له يعقوب ، فضرب في صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ( لَوَلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : رأى تمثال وجه أبيه قائلاً بكفه هكذا ، وبسط كفه ، فخرجت شهوته من أنامله . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن أبي حصين عن سعيد بن جبير ( لَوَلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : مثل له يعقوب عاضاً على أصابعه ، فضرب صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، في قوله ( لَوَلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : رأى صورة يعقوب واضعاً أُمَّلته على فيه يتوعده ، ففرّ .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : سمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدث ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ) قال : حين رأى يعقوب في سقف البيت ، قال : فنزعت شهوته التي كان يجدها حتى خرج يسعى إلى باب البيت ، فتبعته المرأة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن قرة بن خالد السدوسي ، عن الحسن ، قال : زعموا - والله أعلم - أن سقف البيت انفرج ، فرأى يعقوب عاضاً على أصابعه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن يونس ، عن الحسن ، في قوله ( لَوَلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : رأى تمثال يعقوب عاضاً على أصبعه يقول : يوسف ، يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عليه ، عن يونس ، عن الحسن ، نحوه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو العنقزي ، قال : أخبرنا سفیان الثوري ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ( لَوَلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : رأى تمثال وجه يعقوب ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفیان ، عن علي بن بديمة ، عن سعيد بن جبير ، قال : رأى صورة فيها وجه يعقوب عاضاً على أصابعه ، فدفع في صدره ، فخرجت شهوته من أنامله ، فكلّ ولد يعقوب ولد له اثنا عشر رجلاً إلا يوسف ، فإنه نقص بتلك الشهوة ، ولم يولد له غير أحد عشر .



حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، أن حميد ابن عبد الرحمن أخبره : أن البرهان الذي رأى يوسف يعقوب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عيسى بن المنذر ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، قال : ثنا يونس بن يزيد الإيلي ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ( لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : مثل له يعقوب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : يعقوب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : مثل له يعقوب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أنه قال : جلس منها مجلس الرجل من امرأته حتى رأى صورة يعقوب في الجدار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : مُثَّلُّ لَه يَعْقُوبُ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن القاسم بن أبي بزة ، قال : نودي : يا ابن يعقوب ، لا تكونن كالطير له ريش ، فإذا زنى قعد ليس له ريش ، فلم يعرض للنداء ، وقعد ، فرفع رأسه ، فرأى وجه يعقوب عاصباً على أصبعه ، فقام مرعوباً استحياء من الله تعالى ذكره ، فذلك قول الله سبحانه وتعالى : ( لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) وجه يعقوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة ، قال : مثل له يعقوب عاصباً على أصابعه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن نضر بن عربي ، عن عكرمة ، مثله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : مثل له يعقوب ، فدفع في صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفیان ، عن علي بن بديمة ، قال : كان يولد لكل رجل منهم اثنا عشر ابناً إلا يوسف ، ولد له أحد عشر ، من أجل ماخرج من شهوته .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال أبو شريح : سمعت عبيد الله بن أبي جعفر يقول : بلغ من شهوة يوسف أن خرجت من بنانه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن محمد الحراساني ، قال : سألت محمد بن سيرين ، عن قوله ( لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : مثل له يعقوب عاضاً على أصابعه يقول : يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله ، اسمك في الأنبياء ، وتعمل عمل السفهاء ؟

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن يونس ، عن الحسن ، في قوله ( لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : رأى يعقوب عاضاً على أصابعه يقول : يوسف :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال قتادة : رأى صورة يعقوب ، فقال : يا يوسف تعمل عمل الفجار ، وأنت مكتوب في الأنبياء ؟ فاستحيا منه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) رأى آية من آيات ربه ، حجزه الله بها عن معصيته ؛ ذُكر لنا أنه مثل له يعقوب حتى كلمه ، فعصمه الله ونزع كل شهوة كانت في مفاصله .

قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، أنه مثل له يعقوب وهو عاضاً على أصبع من أصابعه :

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي سالم عن أبي صالح ، قال : رأى صورة يعقوب في سقف البيت عاضاً على أصبعه يقول : يا يوسف ، يا يوسف ، يعني قوله ( لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، ويونس عن الحسن ، في قوله ( لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : رأى صورة يعقوب في سقف البيت عاضاً على أصبعه .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح مثله ، وقال عاضاً على أصبعه يقول : يوسف ، يوسف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُسمي ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : نظر يوسف إلى صورة يعقوب عاضاً على أصبعه يقول : يا يوسف ، فذاك حيث كَفَّ ، وقام فاندفع .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سالم وأبي حصين ، عن سعيد بن جبیر ( لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : رأى صورة فيها وجه يعقوب عاضاً على أصابعه ، فدفع في صدره ، فخرجت شهوته من بين أنامله .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر ( لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : رأى تمثال وجه أبيه ، فخرجت الشهوة من أنامله :

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ( لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : تمثال صورة يعقوب في سقف البيت .



حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، قال : رأى يعقوب عاضا على يده :

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : يعقوب ضرب بيده على صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .  
حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) آية من ربه يزعمون أنه مثل له يعقوب ، فاستحيا . وقال آخرون : بل البرهان الذي رأى يوسف : ما أوعده الله عز وجل على الزنا أهله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي مودود ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي ، قال : رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت ، فإذا كتاب في حائط البيت ( لَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي مودود ، عن محمد بن كعب ، قال : رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت حين هم ، فرأى كتابا في حائط البيت ( لَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ) .

قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب ( لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) قال : لولا ما رأى في القرآن من تعظيم الزنا .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني نافع بن يزيد ، عن أبي صخر ، قال : سمعت القرظي يقول في البرهان الذي رأى يوسف : ثلاث آيات من كتاب الله ( إِنَّ عَلَيْكُمْ تَخَافِظِينَ ) . . . الآية ، وقوله ( وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ) . . . الآية ، وقوله ( أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ) .

قال نافع : سمعت أبا هلال يقول مثل قول القرظي ، وزاد آية رابعة ( وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ( لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) فقال : ما حرم الله عليه من الزنا .

وقال آخرون : بل رأى تمثال الملك هـ

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) يقول : آيات ربه ، أرى تمثال الملك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان بعض أهل العلم فيما بلغني يقول :

البرهان الذي رأى يوسف ، فصرف عنه السوء والفحشاء : يعقوب عاشاً على أصبعه ، فلما رآه انكشف هارباً . ويقول بعضهم : إنما هو خيال إطفير سيده حين دنا من الباب ، وذلك أنه لما هرب منها واتبعته ، ألقياها لدى الباب .

﴿ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله جل ثناؤه أخبر عن هم يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه ، لولا أن رأى يوسف برهان ربه ، وذلك آية من آيات الله ، زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة ، وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب ، وجائز أن تكون صورة الملك ، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا ، ولا حجة للعدر قاطعة بأي ذلك من أي . والصواب أن يقال في ذلك ، ما قاله الله تبارك وتعالى ، والإيمان به ، وترك ما عدا ذلك إلى علمه .

وقوله ( كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ) يقول تعالى ذكره : كما أرينا يوسف برهاننا على الزجر عما هم به من الفاحشة ، كذلك نسب له في كل ما عرض له من هم يهيم به فيما لا يرضاه ، ما يجره ويدفعه عنه ، كي نصرف عنه ركوب ما حرمنا عليه ، وإتيان الزنا ، لنظهره من دنس ذلك .

وقوله ( إِنَّهُ مِّنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ) اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة والكوفة ( إِنَّهُ مِّنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ) بفتح اللام من المخلصين ، وتأويل : إن يوسف من عبادنا الذين أخلصناهم لأنفسنا ، واخترناهم لنبوتنا ورسالتنا . وقرأ ذلك بعض قراء البصرة ( إِنَّهُ مِّنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ) بكسر اللام ، بمعنى : أن يوسف من عبادنا الذين أخلصوا توحيدنا وعبادتنا ، فلم يشركوا بنا شيئاً ، ولم يعبدوا شيئاً غيرنا .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بهما جماعة كثيرة من القراء ، وهما متفقتا المعنى ، وذلك أن من أخلصه الله لنفسه فاختره ، فهو مخلص لله التوحيد والعبادة ، ومن أخلص توحيد الله وعبادته ، فلم يشرك بالله شيئاً ، فهو ممن أخلصه الله ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب مصيب .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ، قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥)

يقول جل ثناؤه : واستبق يوسف وامرأة العزيز باب البيت ، أما يوسف ففراراً من ركوب الفاحشة ، لما رأى برهان ربه ، فزجره عنها . وأما المرأة فطلبها يوسف لتتقضى حاجتها منه التي راودته عليها ، فأدركته ، فتعلقت بقميصه ، فجدبته إليها مانعة له من الخروج من الباب ، فقدته من دبر ، يعني : شقته من خلف ، لأن قدام ، لأن يوسف كان هو الهارب ، وكانت هي الطالبة .



كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ )  
قال : استبق هو والمرأة الباب ( وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما رأى برهان ربه ، انكشف عنها هاربا ،  
واتبعته ، فأخذت قميصه من دبر فشقت عليه .

وقوله ( وَأُلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ) يقول جل ثناؤه : وصادفا سيدها وهو زوج المرأة لدى الباب ،  
يعنى : عند الباب :

كالذى حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد ( وَأُلْفِيَا  
سَيِّدَهَا ) قال : سيدها : زوجها ( لَدَى الْبَابِ ) قال : عند الباب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن أشعث ، عن الحسن ، عن زيد بن  
ثابت ، قال : السيد : الزوج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَأُلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ )  
أى عند الباب :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ( وَأُلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ )  
قال : جالسا عند الباب ، وابن عمها معه فلما رأته ( قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ) : إنه  
راودني عن نفسي ، فدفعته عن نفسي ، فشقت قميصه ، قال يوسف : بل هي راودتني عن نفسي ،  
وفررت منها فأدركتني ، فشقت قميصي ، فقال ابن عمها : تبيان هذا في القميص ، فإن كان القميص قد  
من قبل ، فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ، فأني  
بالقميص ، فوجده قد من دبر ( قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ؛ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ . يُوسُفُ أُعْرِضْ  
عَنْ هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرِي لَذَنبِكِ ، إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَأُلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ) إطفير قائما على  
باب البيت ، فقالت وهابته ( مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) ،  
ولطخته مكانها بالسيئة ، فرقا من أن يتهمها صاحبها على القبيح ، فقال هو ، وصدقه الحديث ( هِيَ رَاوَدَتْنِي  
عَنْ نَفْسِي ) .

وقوله ( قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ) يقول تعالى ذكره : قالت امرأة العزيز لزوجها  
لما ألقىاه عند الباب ، فخافت أن يتهمها بالفجور : ما ثواب رجل أراد بامرأتك الزنا إلا أن يسجن في السجن ،  
أو إلا عذاب أليم ، يقول : موجه . وإنما قال ( إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) لأن قوله ( إِلَّا أَنْ  
يُسْجَنَ ) بمعنى إلا السجن ، فعطف العذاب عليه ، وذلك أن « أن » وما عملت فيه بمنزلة الاسم .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ هِيَ رَاودَتْنِي عَنْ نَفْسِي ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا : إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ .  
(٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ : إِنَّهُ مِنْ كَيْدِ كُنَّ ، إِنْ كَيْدٌ كُنَّ عَظِيمٌ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : قال يوسف لما قذفته امرأة العزيز بما قذفته من إرادته الفاحشة منها ، مكذبا لها فيما قذفته به ، ودفعها لما نُسب إليه : ما أنا راودتها عن نفسها ، بل هي راودتني عن نفسي ، وقد قيل : إن يوسف لم يرد ذكر ذلك ، لو لم تقذفه عند سيدها بما قذفته به .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن نوف الشيباني ، قال : ما كان يوسف يريد أن يذكره حتى ( قالت ماجزأء من أراد بأهلك سوءاً ) . . . الآية ، قال : فغضب ، فقال : هي راودتني عن نفسي .  
وأما قوله ( وشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) فإن أهل العلم اختلفوا في صفة الشاهد ، فقال بعضهم : كان صبيا في المهد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : تكلم أربعة في المهد وهم صغار : ابن ماشطة بنت فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جُريج ، وعيسى بن مريم عليه السلام .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي بكر الهذلي ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة ، قال : عيسى ، وصاحب يوسف ، وصاحب جُريج ، يعني تكلموا في المهد .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا زائدة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ( وشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : صبي .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ( وشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : كان في المهد صبيا .  
حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أيوب بن جابر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( وشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : صبي .  
حدثني يحيى بن طلحة البربوعي ، قال : ثنا أبو بكر بن عيَّاش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، بمثله .



حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، قال : كان صبيا في مهده .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن هلال بن يساف ( شَهِيدٌ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : صبي في المهدي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاک ( وَشَهِيدٌ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : صبي أنطقه الله ، ويقال : ذو رأى برأيه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : أخبرنا عفان ، قال : ثنا حماد ، قال : أخبرني عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تَكَلَّمَتْ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ ، فَذَكَرَ فِيهِمْ شَاهِدٌ يُوسُفَ » .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَشَهِيدٌ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) يزعمون أنه كان صبيا في الدار .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( شَهِيدٌ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : كان صبيا في المهدي . وقال آخرون : كان رجلا ذا لحية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان ذا لحية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ( وَشَهِيدٌ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : كان من خاصة الملك .

وبه قال : حدثنا أبي ، عن عمران بن حدير ، سمع عكرمة يقول ( وَشَهِيدٌ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : ما كان بصبي ، ولكن كان رجلا حكيما .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا عبد الملك بن الصباح ، قال : ثنا عمران بن حدير ، عن عكرمة ، وذكر عنده ( وَشَهِيدٌ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) فقالوا : كان صبيا ، فقال : إنه ليس بصبي ولكنه رجل حكيم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ( وَشَهِيدٌ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : كان رجلا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ( وَشَهِيدٌ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : رجل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( وَشَهِيدٌ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : رجل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ( وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : رجل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : ذولحجة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال ابن عمها كان الشاهد من أهلها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : ذولحجة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو غسان ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان ذالْحِجَّةِ .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن ابن أبي مليكة ( وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : كان من خاصة الملك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : رجل حكيم كان من أهلها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : رجل حكيم من أهلها .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفیان ، عن منصور ، عن مجاهد ( وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : كان رجلا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن بعض أصحابه ، عن الحسن ، في قوله ( وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال رجل له رأى أشار برأيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : يقال : إنما كان الشاهد مشيرا ، رجلا من أهل إطفير ، وكان يستعين برأيه ، إلا أنه قال : أشهد إن كان قميصه قد من قبل لقد صدقت ، وهو من الكاذبين .

وقيل : معنى قوله ( وَشَهِدَ شَاهِدٌ ) : حكم حاكم .

حدثت بذلك عن القراء ، عن معلى بن هلال ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد .

وقال آخرون : إنما عني بالشاهد : القميص المقدود .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،

في قول الله ( وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : قميصه مشقوق من دبر ، فتلك الشهادة .



حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قميصه مشقوق من دُبُرٍ ، فتلك الشهادة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاربي ، عن ليث ، عن مجاهد ( وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) لم يكن من الإنس .

قال : ثنا حفص ، عن ليث ، عن مجاهد ( وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : كان من أمر الله ، ولم يكن إنسيا .

والصواب من القول في ذلك ، قول من قال : كان صبيا في المهد للخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه ذكر من تكلم في المهد ، فذكر أن أحدهم صاحب يوسف . فأما ما قاله مجاهد من أنه القميص المقدود فما لا معنى له ، لأن الله تعالى ذكره أخبر عن الشاهد الذي شهد بذلك أنه من أهل المرأة ، فقال ( وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ) ولا يقال للقميص ، هو من أهل الرجل ولا المرأة .

وقوله ( إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ) لأن المطلوب إذا كان هاربا ، وإنما يؤتى من قبل دبره ، فكان معلوما أن الشق لو كان من قَبْلٍ لم يكن هاربا مطلوبا ، ولكن كان يكون طالبا مدفوعا ، وكان يكون ذلك شهادة على كذبه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال : أشهد إن كان قميصه قُدًّا من قَبْلٍ لقد صدقت وهو من الكاذبين ، وذلك أن الرجل إنما يريد المرأة مقبلا ( وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ) وذلك أن الرجل لا يأتي المرأة من دبر ، وقال : إنه لا ينبغي أن يكون في الحق إلا ذلك ، فلما رأى إطفير قميصه قُدًّا من دبر ، عرف أنه من كيدها ، فقال ( إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِكُنَّ إِنْ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال : يعنى الشاهد من أهلها ، القميص بقضى بينهما ( إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ) ؛ فلكمما رأى قميصه قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ قال إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِكُنَّ ، إِنْ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ) وإنما حذف أن التي تتلقى بها الشهادة ، لأنه ذهب بالشهادة إلى معنى القول ، كأنه قال : وقال قائل من أهلها : إن كان قميصه كما قيل ( يُوَصِّيكُمْ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ ) لأنه ذهب بالوصية إلى القول .

وقوله ( فَلَئِمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ ) خبر عن زوج المرأة ، وهو القائل لها : إن هذا الفعل من كيدكن : أى صنيعكن ، يعنى من صنيع النساء ، إن كيدكن عظيم . وقيل : إنه خبر عن الشاهد أنه القائل ذلك .

## القول في تأويل قوله تعالى

يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ، إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) \*

وهذا فيما ذكر عن ابن عباس ، خبر من الله تعالى ذكره عن قيل الشاهد أنه قال للمرأة وليوسف ،  
يعنى بقوله (يُوسُفُ) يا يوسف (أَعْرِضْ عَنْ هَذَا) يقول : أعرض عن ذكر ما كان منها إليك فيما  
راودتك عليه فلا تذكره لأحد .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا)  
قال : لا تذكره (وَأَسْتَغْفِرِي) أنت زوجك ، يقول : سليه أن لا يعاقبك على ذنبك الذي أذنبت ،  
وأن يصفح عنه ، فيستره عليك (إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) ، يقول : إنك كنت من المذنبين في مراودة  
يوسف عن نفسه ، يقال منه : خطي في الخطيئة يخطئ يخطئاً وخطئاً ، كما قال جل ثناؤه (إِنَّهُ كَانَ  
خَطِئاً كَبِيراً) والخطأ في الأمر ، وحكى في الصواب أيضا الصرّب ١ ، والصوب ، كما قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ إِنَّمَا خَطِئِي وَصَرَّبِي عَلَى وَإِنَّمَا أَهْلَكْتُ مَالُ ٢

وينشد بيت أمية :

عبادك يخطئون وأنت رب بكفيتك المتايا والخطوم ٣

من خطي الرجل . وقيل (إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) لم يقل : من الخطائيات ، لأنه لم يقصد بذلك  
قصد الخبر عن النساء ، وإنما قصد به الخبر عن يفعل ذلك فيخطئ .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ : امْرَأَتُ الرَّزِيِّ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ، إِنَّا نَنزَرُهَا

فِي صُلَلٍ مُبِينٍ (٣٠)

(١) إن لم يكن مكرراً فهو مبتدأ خبره كما قال الخ .

(٢) البيت لأوس بن غلفاء (اللسان : صوب) وقيل بيت آخر :

أَلَا قَالَتْ أُمَامَةُ يَوْمَ غُولٍ تَقَطَّعَ بَابِنَ غَلْفَاءَ الْحِبَالِ

قوله « مال » : بالرفع ، أي : إن الذي أهلكك إنما هو مال . يريد : إن هلك المال فلا ضير ، فعرضى موفور لم يثلم . ورواية  
اللسان : « دعيني في موضع » : « لعمرك » .

(٣) البيت لأمية بن أبي الصلت الثقفي (اللسان : خطي) والشرط الثاني فيه « كريم لاتليق بك الذموم » . وفي اللسان : (حتم) :

حَنَانِي رَبِّيَا وَلَهُ عَنَرْنَا بِكَفَيْتِهِ الْمَتَايَا وَالْحُتُومِ

وقد أورده صاحب الصحاح كرواية المؤلف . والمتايا : جمع متية ، وهي الموت . والختوم : جمع حتم ، بمعنى القضاء .

وفي (اللسان : ذم) لأمية بن أبي الصلت :

سَلَامَكَ رَبِّيَا فِي كُلِّ فَجْرٍ بَرِيثَا مَا تَعَنَّتَكَ الذُّمُومِ

قال : والذموم : العيوب وتعتته : قصده أو لحقته .



يقول تعالى ذكره : وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز في مدينة مصر ، وشاع من أمرهما فيها ما كان ، فلم ينكتم ، وقلن : امرأة العزيز تراود فتاها : عبدها عن نفسه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وشاع الحديث في القرية ، وتحدثت النساء بأمره وأمرها ، وقلن ( امرأة العزيز تُراودُ فتاها عن نفسه ) أي عبدها . وأما العزيز فإنه الملك في كلام العرب ، ومنه قول أبي دؤاد :

درةٌ غاصَ عتبيها تاجيرٌ جليبت عندَ عزيزٍ يومَ طلّ<sup>١</sup>

يعنى بالعزيز : الملك ، وهو من العزة .

وقوله ( قدّ شغفها حباً ) يقول : قد وصل حبّ يوسف إلى شغاف قلبها ، فدخل تحتها حتى غلب

على قلبها ، وشغاف القلب : حجابها وغلافه الذي هو فيه ، وإياه عنى النابغة الذبياني بقوله :

وقدّ حالَ همّ دونَ ذلكَ داخلٌ دُخولَ شغافٍ تبتغيهِ الأصابعُ<sup>٢</sup>

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمرو بن دينار ، أنه سمع عكرمة يقول ، في قوله ( شغفها حباً ) قال : دخل حبه تحت الشغاف .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ( قدّ شغفها حباً ) قال : دخل حبه في شغافها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( قدّ شغفها حباً ) قال : دخل حبه في شغافها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( قدّ شغفها حباً ) قال : كان حبه في شغافها .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث الحسن بن محمد ، عن شبابة .

(١) البيت لأبي دؤاد الإيادي . جعله المؤلف شاهداً على أن العزيز بمعنى الملك ، والعزيز في الأصل : وصف بمعنى القوى ذي المنة ، ثم قيل الملك مجازاً ، ولا مانع من المجاز ما وجدت العلاقة والقرينة . ولم أجد العزيز بمعنى الملك في اللسان ، ولا في الأساس .

(٢) البيت للنابغة الذبياني ( اللسان : شغف ) . والرواية فيه :

وقد حالَ همّ دونَ ذلكَ وألجَّ مكانَ الشغافِ تبتغيهِ الأصابعُ

والشغاف ، بالضم : داء يأخذ تحت الثراسيف من الشق الأيمن ، قال النابغة . . . البيت يعنى أصابع الأطباء . وروى : « ولوج الشغاف » . والشغاف ، بالفتح : غلاف القلب ، وهو جلدة دونه كالحجاب . ورواية البيت في مختار الشعر الجاهل بشرح مصطلح السقا ، طبعة الحابسي صفحة ١٥٦ :

وقد حالَ همّ دونَ ذلكَ شاغِلٌ مكانَ الشغافِ تبتغيهِ الأصابعُ

بفتح الشين من الشغاف .

- حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ) يقول : علقها حبا .
- حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ) قال : غلبها .
- حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه عن أيوب بن عائد الطائى ، عن الشعبي ( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ) قال : المشغوف : المحب ، والمشغوف : المحنون .
- وبه قال : حدثنا أبي ، عن أبي الأشهب ، عن أبي رجاء والحسن ( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ) قال : أحدهما قد بطنها حبا ، وقال الآخر : قد صدقها حبا .
- حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ) قال : قد بطنها حبا . قال يعقوب : قال أبو بشر : أهل المدينة يقولون : قد بطنها حبا .
- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عليه ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، قال : سمعته يقول في قوله ( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ) قال : بطنها حبا وأهل المدينة يقولون ذلك .
- حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن قرّة ، عن الحسن ( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ) قال : قد بطن بها حبا .
- حدثنا الحسن ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن ( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ) قال : بطنها حبه .
- حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ) قال : بطن بها .
- حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر ، عن قتادة ( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ) قال : استبطنا حبا إياه .
- حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ) أى قد علقها .
- حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ) قال : قد علقها حبا .
- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : هو الحبّ اللازق بالقلب . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، في قوله ( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ) يقول : هلكت عليه حبا ، والشغاف : شغاف القلب .
- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ) قال : والشغاف : جلدة على القلب ، يقال لها : لسان القلب ، يقول : دخل الحبّ الجلد حتى أصاب القلب .



وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار بالعين ( قَدْ شَغَفَهَا ) على معنى ما وصفت من التأويل . وقرأ ذلك أبو رجاء ( قَدْ شَعَفَهَا ) بالعين .

حدثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن أبي رجاء ( قَدْ شَغَفَهَا ) . قال : ثنا خلف ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي الأشهب ، أو عوف عن أبي رجاء ( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ) بالعين .

قال : ثنا خلف ، قال : ثنا محبوب ، قال : قرأه عوف ( قد شَعَفَهَا ) .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون ، عن أسيد ، عن الأعرج ( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ) وقال : شغفها إذا كان هو يحبها ، ووجه هؤلاء معنى الكلام إلى أن الحب قد عمها .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول : هو من قول القائل : قد شَعِفَ بها ، كأنه ذهب بها كل مذهب من شغف الجبال ، وهي رموسها .

وروى عن إبراهيم النخعي أنه قال : الشغف : شغف الحب . والشَعَف : شَعَفَ الدابة حين تذعر .

حدثني بذلك الحارث ، عن القاسم ، أنه قال : يروى ذلك عن أبي عوانة ، عن مغيرة عنه .

قال الحارث : قال القاسم : يذهب إبراهيم إلى أن أصل الشعف : هو الذعر . قال : وكذلك هو كما قال إبراهيم في الأصل ، إلا أن العرب ربما استعارت الكلمة فوضعها في غير موضعها ، قال امرؤ القيس :

أَتَقَتْلُنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُوَادَهَا كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي

(١) البيت لامرؤ القيس (مختار الشعر الجاهل بشرح مصطلح السقا طبعه الحلبي ص ٣٩) والرواية فيه : « أيقتلني وقد شغفت بالياء في يقتلني ، وبالعين في « شغفت » ، ومعناه : بلغ حبسي شغاف قلبها وهو حجابها . والمهنة : الناقة التي تهنأ ، أي تطلق بالفطران . يقول : بلغ حبسي لها شغاف قلبها ، كما بلغ الفطران داخل الحروب في الناقة المطلية به ، وهي تستلذه حتى يكاد يفشى عليها . ويروي شغفت بالعين ، والشعف : إحراق الحب القلب ، مع لذة يجدها ، كما أن البعير إذا هني بالفطران يجد له لذة مع حرقة . وقبل البيت أبيات ، قال :

وَصِرْنَا إِلَى الْحُسَيْنِيِّ وَرَقَّ كَلَامُنَا  
فَأَصْبَحْتُ مَعَشُوقًا وَأَصْبَحَ بَعْلُنَا  
يَغْطِي غَضِيبَ الْبَكْرِ شُدَّ خِنَاقُهُ  
أَيْقَتْلُنِي وَالْمَشْرِقِيُّ مُضَاجِعِي  
وَلَيْسَ بِنْدَى رُمُحٍ فَيَطْعُنُنِي بِهِ  
أَيْقَتْلُنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُوَادَهَا  
وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيْ إِذْلالِ  
عَلَيْهِ الْقَتَامُ سَيِّ الظَّنِّ وَالْبَالِ  
لِيَقْتُلُنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَالِ  
وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ  
وَلَيْسَ بِنْدَى سَيْفٍ وَلَيْسَ بِنَبَّالِ  
كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي

(وقى اللسان : شغف) : « لتقتلني » . ونظن أنه تحريف . قال : يقول : أحرقت فوادها بحبسي ، كما أحرقت الطالبي هذه المهنة ، ففوادها طائر من لذة الهناء ، لأن المهنة تجد للهناء لذة مع حرقة . وقوله تعالى : « قد شغفها حبا » : قرئت بالعين وبالعين . فنقرأها بالعين المهملة فعناه : تيمها . ومن قرأها بالعين المعجمة ، فعناه أصاب شغافها . وقال : ومعنى شغف بفلان : إذا ارتفع حبه إلى أعلى المواضع من قلبه قال : وهذا مذهب القراء . وقال غيره : الشعف : الذعر فالمعنى : هو مذعور خائف قلق . والشغف : شغف الدابة حين تذعر ، ثم نقله العرب من الدواب إلى الناس .

قال : وشعف المرأة من الحب ، وشعف المهنوءة من الذعر ، فشبّه لوعة الحب وجواه بذلك .  
وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله  
( قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ) قال : إن الشَّغْفَ والشَّغْفَ مختلفان ، والشَّغْفُ في البغض ، والشَّغْفُ في الحب .  
وهذا الذي قاله ابن زيد لا معنى له ، لأن الشَّغْفَ في كلام العرب ، بمعنى عموم الحب ، أشهر من أن يجهله  
ذو علم بكلامهم .

والصواب في ذلك عندنا من القراءة ( قَدْ شَغَفَهَا ) بالغين ، لإجماع الحجة من القراء عليه :  
وقوله ( إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ) قلن : إنا لنرى امرأة العزيز في مراودتها فتاها عن نفسه ، وغلبة  
حبه عليها ، لني خطأ من الفعل ، وجَوُوزٌ عن قصد السبيل مبين ، لمن تأمله ، وعلمه أنه ضلال وخطأ ، غير  
صواب ، ولا سداد ، وإنما كان قيلهنّ ما قلن من ذلك ، وتحدّثنّ بما تحدّثن به من شأنها وشأن يوسف ،  
مكرا منهنّ فيما ذكرنا لثريهنّ يوسف .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ  
مِنْهُنَّ سِكِّينًا ، وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ، فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ ، وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ، وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ،  
مَا هَذَا بَشَرًا ، إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)

يقول تعالى ذكره : فلما سمعت امرأة العزيز بمكر النسوة اللاتي قلن في المدينة ما ذكره الله عزّ وجلّ  
عنهنّ ، وكان مكربهنّ ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ  
( فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ) يقول : بقولهنّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أظهر النساء ذلك من قولهنّ : تُرَاوِدُ  
عِبْدَهَا ، مكرا بها ، لثريهنّ يوسف ، وكان يوصف لهنّ بحسنه وجماله ، ( فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ  
إِلَيْهِنَّ ) وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ) : أي  
بحدِيثهنّ ، ( أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ ) : يقول : أرسلت إلى النسوة اللاتي تحدّثن بشأنها وشأن يوسف ( وَأَعْتَدَتْ ) :  
أفعلت ، من العتاد ، وهو العدة ، ومعناه : أعدت لهنّ متكئا ، يعني مجلسا للطعام ، وما يتكئن عليه من  
الخارق والوسائد ، وهو مفتعل ، من قول القائل : اتكأت ، يقال ألتى له مُتَّكِنًا ، يعني : ما يتكى عليه .  
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن النيمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ( وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ  
مُتَّكِنًا ) قال : طعاما وشرابا ومتكئا .



قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ( وأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأٌ ) قال : يتكئ عليه .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس :  
( وأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأٌ ) قال : مجلسا .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن أنه كان يقرأ ( مُتَكْتَأٌ )  
ويقول : هو المجلس والطعام .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن يزيد : من قرأ ( مُتَكْتَأٌ ) خفيفة ، يعني طعاما . ومن قرأ  
( مُتَكْتَأٌ ) يعني المتكأ . فهذا الذي ذكرنا عن ذكرنا عنه من تأويل هذه الكلمة ، هو معنى الكلمة ،  
وتأويل المتكأ ، وأنها أعدت للنسوة مجلسا فيه متكأ وطعام وشراب وأترج . ثم فسر بعضهم المتكأ بأنه الطعام  
على وجه الخبر عن الذي أعد من أجله المتكأ ، وبعضهم عن الخبر عن الأترج ، إذ كان في الكلام ،  
وآتت كل واحدة منهن سكيئا ، لأن السكين إنما تعد للأترج ، وما أشبهه مما يقطع به .

وبعضهم على البزماورد ، حدثني هارون بن حاتم المقرئ ، قال : ثنا هشيم بن الزبير ، عن أبي روق  
عن الضحاك ، في قوله ( وأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأٌ ) قال : البزماورد .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : المتكأ : هو التمرق يتكأ عليه ، وقال : زعم قوم أنه الأترج ، قال :  
وهذا أبطل باطل في الأرض ، ولكن عسى أن يكون مع المتكأ أترج يأكلونه . وحكى أبو عبيد القاسم بن  
سلام ، قول أبي عبيدة ، ثم قال : والفقهاء أعلم بالتأويل منه . ثم قال : ولعله بعض ماذهب من كلام  
العرب ، فإن الكسائي كان يقول : قد ذهب من كلام العرب شيء كثير انقرض أهله ، والقول في أن  
الفقهاء أعلم بالتأويل من أبي عبيدة ، كما قال أبو عبيد : لاشك فيه ، غير أن أبا عبيدة لم يبعد من الصواب  
في هذا القول ، بل القول كما قال من أن من قال للمتكأ هو الأترج ، إنما بين المعد في المجلس الذي فيه  
المتكأ ، والذي من أجله أعطيت السكاكين ، لأن السكاكين معلوم أنها لاتعد للمتكأ إلا لتخريفه ، ولم  
يُعْطَيْنِ السكاكين لذلك ، ومما بين صحة ذلك القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ، من أن المتكأ هو المجلس .  
ثم روى عن مجاهد عنه ، ما حدثني به سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا  
أبو كدينة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ( وأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأٌ ، وآتت كل واحدة  
منهن سكيئا ) قال : أعطهن أترجا ، وأعطت كل واحدة منهن سكيئا ، فبين ابن عباس في رواية  
مجاهد هذه ، ما أعطت النسوة ، وأعرض عن ذكر بيان معنى المتكأ ، إذ كان معلوما معناه .

ذكر من قال في تأويل المتكأ ما ذكرنا

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن  
عباس ( وأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأٌ ) قال : الأترج .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، قال : حدثت عن ابن عباس  
أنه كان يقرأها ( مُتَكْتَأٌ ) مخففة ، ويقول : هو الأترج .

(١) البزماورد : هو الرقاق الملقوف . مع اللحم . وقيل : هو الطعام المعروف بلقمة القاضي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية (وَأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأٌ) قال : الطعام .  
حدثني يعقوب والحسن بن محمد ، قالا : ثنا ابن عليّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله  
(وَأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأٌ) قال : طعاما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عليّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا ابن بشار وابن وكيع ، قالا : ثنا غُنْدَرٌ ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ،  
في قوله (وَأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأٌ) قال : طعاما .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير نحوه  
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال :  
من قرأ (مُتَكْتَأٌ) فهو الطعام ، ومن قرأها (مُتَكَأٌ) فخففها ، فهو الأترج .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،  
في قوله (مُتَكْتَأٌ) قال : طعاما .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني المنني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وحدثني المنني  
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد القرشي ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ،  
قال : من قرأ (مُتَكَأٌ) خفيفة ، فهو الأترج .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، قال : سمعت بعضهم يقول : الأترج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأٌ) : أي طعاما .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

قال : ثنا يزيد ، عن أبي رجاء ، عن عكرمة ، في قوله (مُتَكْتَأٌ) قال : طعاما .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس  
(وَأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأٌ) يعني الأترج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأٌ) والمتكأ : الطعام :

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (وَأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأٌ) قال : الطعام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأٌ)  
قال : طعاما .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضمخاك يقول



في قوله (مُتَّكِنًا) فهو كل شيء يحز بالسكين ، قال الله تعالى ذكره مخبرا عن امرأة العزيز ، والنسوة اللاتي تحدثن بشأنها في المدينة (وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا) يعني بذلك جل ثناؤه : وأعطت كل واحدة من النسوة اللاتي حضرنها سكينًا ، لتقطع به من الطعام ما تقطع به ، وذلك ما ذكرت أنها آتتهن ، إما من الأترج ، وإما من البزماورد ، أو غير ذلك مما يقطع بالسكين .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا) وأترجا يأكلنه .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا) قال : أعطتهن أترجا ، وأعطت كل واحدة منهن سكينًا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا) ليحترزن به من طعامهن .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا) وأعطتهن ترونجًا وعسلًا ، فكن يحترزن الترنج بالسكين ، ويأكلن بالعسل ، وفي هذه الكلمة بيان صحة ما قلنا وأخبرنا في قوله (وَأَعْتَدَتْ لهنَّ مُتَّكِنًا) وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن إتياء امرأة العزيز النسوة السكاكين ، وترك ماله آتتهن السكاكين ، إذ كان معلوما أن السكاكين لا تدفع إلى من دعي إلى مجلس إلا لقطع ما يؤكل إذا قطع بها ، فاستغنى بفهم السامع بذكر إتيائها صواحباتها السكاكين ، عن ذكر ماله آتتهن ذلك ، فكذلك استغنى بذكر اعتدادها لهن المتكأ عن ذكر ما يعتد له المتكأ ، مما يحضر المجالس من الأطعمة والأشربة والفواكه ، وصنوف الالتواء ، لفهم السامعين بالمراد من ذلك ، ودلالة قوله (وَأَعْتَدَتْ لهنَّ مُتَّكِنًا) عليه . فأما نفس المتكأ ، فهو ما وصفنا خاصة دون غيره . وقوله (وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّهِنَّ) ، فلَمَّا رأينتهُ أَكْبَرْتَهُ) يقول تعالى ذكره : وقالت امرأة العزيز ليوسف (أَخْرِجْ عَلَيَّهِنَّ) فخرج عليهن يوسف (فَلَمَّا رأينتهُ أَكْبَرْتَهُ) يقول جل ثناؤه : فلما رأين يوسف ، أعظمته وأجللته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَكْبَرْتَهُ) : أعظمته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله : حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح . قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) الترنج : ثمرة حامضة تشبه الليمون ، ولكنها أكبر ، وفيها استطالة ، ورائحتها قوية ، وقرنها أصفر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ ) : أي أعظمته .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ( وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ )  
ليوسف ( فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ ) : عظمته .  
حدثنا إسماعيل بن سيف العجلي ، قال : ثنا علي بن عابس ، قال : سمعت السدي يقول في قوله :  
( فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ ) قال : أعظمته .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله : ( اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ) فخرج  
( فَلَمَّا رَأَيْتَهُ ) أعظمته وبيته .  
حدثنا إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا عبد الصمد بن علي الهاشمي ، عن أبيه ، عن جدّه ، في قوله  
( فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ ) قال : حضن .  
حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله  
( فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ ) يقول : أعظمته .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى بن أبي زائدة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد  
مثله . وهذا القول ، أعنى القول الذي روى عن عبد الصمد ، عن أبيه ، عن جدّه ، في معنى ( أَكْبَرْتَهُ )  
أنه حضن ، إن لم يكن عنى به أنهم حضن من إجلالهن يوسف ، وإعظامهن ، لما كان الله قسم له من البهاء  
والجمال ، ولما يجد من مثل ذلك النساء عند معايتنهن إياه ، فقول لامعنى له ، لأن تأويل ذلك : فلما  
رأين يوسف أكبرته ، فالهاء التي في أكبرته من ذكر يوسف ، ولا شك أن من المحال أن يحضن يوسف .  
ولكن الخبر إن كان صحيحا عن ابن عباس على ما روى ، فخلق أن يكون كان معناه في ذلك أنهم حضن لما  
أكبرن من حُسن يوسف وجماله في أنفسهن ، ووجدن ما يجد النساء من مثل ذلك . وقد زعم بعض الرواة  
أن بعض الناس أنشده في أكبرن ، بمعنى حضن ، بيتا لا أحسب أن له أصلا ، لأنه ليس بالمعروف عند  
الرواة ، وذلك :

نَأَى فِي النَّسَاءِ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلَا نَأَى فِي النَّسَاءِ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارًا

وزعم أن معناه : إذا حضن .

(١) البيت ورد في (اللسان: كبر) قال : وأما قوله تعالى : « فلما رأته أكبرته » فأكثر المفسرين يقول : أعظمته . وروى عن  
مجاهد أنه قال : أكبرته : حضن . وليس ذلك بالمعروف في اللغة . وأنشد بعضهم : « نَأَى النَّسَاءُ . . . البيت » . قال  
أبو منصور الأزهرى : وإن صحت هذه اللفظة في اللغة بمعنى الحيض ، فلها مخرج حسن ، وذلك أن المرأة أول ما تحيض ، فقد خرجت  
من حد الصغر إلى حد الكبر ، فقليل لها : أكبرت : أي حاضت ، فدخلت في حد الكبر ، الموجب عليها الأمر والنهي . وروى  
عن أبي الهيثم أنه قال : سألت رجلا من طيبي ، فقلت : يا أبا طيبي ، ألك زوجة ؟ قال : لا ، والله ما تزوجت ، وقد وعدت  
في ابنة عم لي . قلت : وما سنها ؟ قال : قد أكبرت أو كبرت . قلت : ما أكبرت ؟ قال : حاضت . قال أبو منصور : فلفظة  
النساء أن إكبار المرأة أول حيضها . إلا أن هاء الكناية في قوله تعالى : « أكبرته » تنفي هذا المعنى . فالصحيح أنهم لما رأين يوسف  
راهن جماله ، فأعظمته . وروى الأزهرى بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى : « فلما رأته أكبرته » قال : حضن . قال أبو منصور :  
فإن صحت الرواية سلمنا له ، وجعلنا الهاء في قوله « أكبرته » هاء وقفة ، لا هاء كناية ، والله أعلم بما أراد .



وقوله ( وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أنهن حَزَزْنَ بالسكين في أيديهن ، وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شهابه ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ) حَزَّأ حَزَّأ بالسكين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ) قال : حَزَّأ حَزَّأ بالسكاكين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ) قال : حَزَّأ حَزَّأ بالسكين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ) قال : جعل النسوة يحززن أيديهن ، يحسبن أنهن يقطعن الأترج .

حدثنا إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا علي بن عباس ، قال : سمعت السدي يقول : كانت في أيديهن سكاكين مع الأترج ، فقطعن أيديهن ، وسالت الدماء ، فقلن : نحن نلومك على حب هذا الرجل ، ونحن قد قطعنا أيدينا ، وسالت الدماء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : جعلن يحززن أيديهن بالسكين ، ولا يحسبن إلا أنهن يحززن الأترج ، قد ذهبت عقولهن مما رأين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ) وحززن أيديهن .  
حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا ابن كدينة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : جعلن يقطعن أيديهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ) قال : جعلن يحززن أيديهن ، ولا يشعرن بذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قالت ليوسف : ( اخرج عليهن ) ، فخرج عليهن ، ( فلمأ رأيتهن أكبرته ) وغلبت عقولهن عجباً حين رأينه ، فجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التي معهن ، ما يعقلن شيئاً مما يصنعن ( وَقُلْنَ حَاشَ اللَّهُ ، ما هَذَا بِشَرًّا ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهن قطعن أيديهن ، حتى ابتسها وهن لا يشعرن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قطعن أيديهن حتى ألقينها .

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَقَطَعْنَا أَيْدِيَهُمْ ) قال : قطعن أيديهن ، حتى ألقينها .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أنبر عنهم أنهم قطعن أيديهن وهن لا يشعرن ، لإعظام يوسف ، وجائر أن يكون ذلك كان قطعاً بإبانة ، وجائر أن يكون كان قطع حزّ وخذش ، ولا قول في ذلك أصوب من التسليم لظاهر التنزيل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : أعطى يوسف وأمه ثلث الحسن .

حدثنا محمد بن المنثي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، مثله .

وبه عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : قسم ليوسف وأمه ثلث الحسن .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : أعطى يوسف وأمه ثلث حسن الخلق .

حدثني أحمد بن ثابت ، وعبد الله بن محمد الرازيان ، قالا : ثنا عفان ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا ثابت ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « أُعْطِيَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ شَطْرَ الْحُسْنِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي معاذ ، عن يونس ، عن الحسن ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أُعْطِيَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ ثُلُثَ حُسْنِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَأُعْطِيَ النَّاسُ الثُّلُثَيْنِ » ، أو قال : « أُعْطِيَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ الثُّلُثَيْنِ ، وَأُعْطِيَ النَّاسُ الثُّلُثَ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ربيعة الجرشية ، قال : قسم الحسن نصفين ، فأعطى يوسف وأمه سارة نصف الحسن ، والنصف الآخر بين سائر الخلق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ربيعة الجرشية ، قال : قسم الحسن نصفين : قسم ليوسف وأمه النصف ، والنصف لسائر الناس .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ربيعة الجرشية ، قال : قسم الحسن نصفين ، فجعل ليوسف وسارة النصف ، وجعل لسائر الخلق نصف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عيسى بن يزيد ، عن الحسن : أعطى يوسف وأمه ثلث حسن الدنيا ، وأعطى الناس الثلثين .

وقوله ( وَقُلْنَا حَاشَ لِلَّهِ ) اختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء الكوفيين ( حاشَ لِلَّهِ )



بفتح الشين وحذف الياء . وقرأه بعض البصريين بإثبات الياء حاشي الله ، وفيه لغات لم يقرأ بها (حاشي الله) كما قال الشاعر :

حاشي أبي ثوبانَ إنَّ بهِ ضنناً عن المَلْحَاةِ والشَّتمِ ١

وذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ بهذه اللغة (وحاشي الله) بتسكين الشين والألف يجمع بين الساكنين . وأما القراءة فانما هي باحدى اللغتين الأولىين ، فمن قرأ (حاشي الله) بفتح الشين وإسقاط الياء فإنه أراد لغة من قال : حاشي الله ، بإثبات الياء ، ولكنه حذف الياء لكثرة ما على ألسن العرب ، كما حذف العرب الألف من قولهم : لأب لغيرك ، ولا أب لثانيك ، وهم يعنون : لأبا لغيرك ، ولا أبا لثانيك . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يزعم أن لقولهم : حاشي الله ، موضعين في الكلام : أحدهما : التنزيه ، والآخر : الاستثناء ، وهو في هذا الموضع عندنا بمعنى التنزيه لله ، كأنه قيل : معاذ الله . وأما القول في قراءة ذلك ، فإنه يقال للقارئ الخيار في قراءته بأى القراءتين شاء ، إن شاء بقراءة الكوفيين وإن شاء بقراءة البصريين ، وهو (حاشي الله) و (حاشي الله) لأنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان بمعنى واحد ، وما عدا ذلك فلغات لا تجوز القراءة بها ، لأنها لا تعلم قارئاً قرأ بها . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وقُلْنَ حَاشَ لَهِ) قال : معاذ الله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (حاشي الله) : معاذ الله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وقُلْنَ حَاشَ لَهِ) : معاذ الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حاشي الله) : معاذ الله .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن عمرو ، عن الحسن (حاشي الله) : معاذ الله .

(١) البيت منسوب لسيرة بن عمرو الأسدي (بجاز القرآن لأبي عبيدة) ، ونسبه في المفضليات والأصمعيات إلى الجهم ، وهو منقذ بن الطماح الأسدي .

ويقال : حاشيته أى استثنيتها . وقال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط : (٥ : ٣٠٠) كذا ينشده ابن عطية وأكثر التحويين ، وهو بيت ركبوا فيه صدر بيت على عجز آخر ، وهما من بيتين . قال :

حاشي أبي ثوبانَ إنَّ أبا ثوبانَ ليسَ بيكُمَة قدم

عَمَّرُوْا بِنِ عِبْدُ اللهِ إنَّ بهِ ضنناً عن المَلْحَاةِ والشَّتمِ

وأورده صاحب (اللسان : حشا) كما في رواية المؤلف ، ونسبه لسيرة بن عمرو .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقوله ( ما هَذَا بِشَرًّا ) يقول : قلن ما هذا بشرا ، لأنهن لم يرين في حسن صورته من البشر أحدا ،  
فقلن : لو كان من البشر لكان كبعض ما رأينا من صورة البشر ، ولكنه من الملائكة لامن البشر .  
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ  
مَا هَذَا بِشَرًّا ) : ما هكذا تكون البشر . وبهذه القراءة قرأ عامة قراء الأمصار .  
وقد حدثت عن يحيى بن زياد الفراء ، قال : ثنا دعامة بن رجاء التيمي ، وكان غرا ، عن أبي الحويرث  
الحنفي : أنه قرأ ( ما هَذَا بِشَرِّي ) : أي ما هذا بمشري ، يريد بذلك أنهن أنكرن أن يكون مثله مستعبدا  
بشري ويباع ، وهذه القراءة لأستجيز القراءة بها ، لإجماع قراء الأمصار على خلافها . وقد بينا أن ما أجمعت  
عليه ، فغير جائز خلافها فيه . وأما نصب البشر ، فمن لغة أهل الحجاز إذا أسقطوا الباء من الخبر نصبوه ،  
فقالوا : ما عمرو قائما . وأما أهل نجد ، فإن من لغتهم رفعه ، يقولون : ما عمرو قائم ؛ ومنه قول بعضهم  
حيث يقول :

لَشَتَّانَ مَا أَنْوِي وَيَنْوِي بَنُو أَبِي      جميعا ، فما هَذَا نِ مُسْتَوِيَانِ  
تَمَنُّوا لِي الْمَوْتَ الَّذِي يَشْعَبُ الْقَتَى      وكلُّ قَتَى وَالْمَوْتُ يَلْتَقِيَانِ ١

وأما القرآن ، فجاء بالنصب في كل ذلك ، لأنه نزل بلغة أهل الحجاز .

وقوله ( إن هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ) يقول : قلن ما هذا إلا ملك من الملائكة .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( إن هَذَا إِلَّا  
مَلَكٌ كَرِيمٌ ) قال : قلن : ملك من الملائكة .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ ، وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ، وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ

مَاءَ امْرَأَةٍ لِيُسْجَنَ وَيَكُونَ مِنَ الصَّغِيرِينَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطعن أيديهن ، فهذا الذي أصابكن في رؤيتكن  
إياه ، وفي نظرة منكن نظرتن إليه ما أصابكن من ذهاب العقل ، وغروب الفهم ولها إليه ، حتى قطعتن  
أيديكن ، هو الذي لمتني في حبي لإياه ، وشغف فؤادي به ، فقلتن : قد شغف امرأة العزيز فتاها حبا ،  
لأنها لراها في ضلال مبين . ثم أقرت لمن بأنها قد راودته عن نفسه ، وأن الذي تحدثن به عنها في أمره حق ،  
فقلت ( وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ) مما راودته عليه من ذلك .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قالت ( فَذَلِكُنَّ )

(١) استشهد المؤلف بهذا الشعر على أن أهل نجد ترفع خبر المبتدأ بعد ما التافية ، ولا يعملونها . أما الحجازيون فينصبون بها خبرا  
المبتدأ كما في قوله تعالى : « ما هذا بشرا » . والقرآن نزل بلسانهم . ويشعب القتي : يفرقه ، أي يبعده عن أهله .



الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ ، وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ) : تقول : بعد ما حلّ السراويل استعصى ، لأدري ما بدا له .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَاسْتَعْصَمَ ) : أي فاستعصى .  
حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَاسْتَعْصَمَ ) يقول : فامتنع .  
وقوله ( لَسْتُ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لِيُسْجَنَ وَلِيَكُونَا مِنَ الصَّاعِرِينَ ) تقول : ولئن لم يطاوعني على ما أدعوه إليه من حاجتي إليه ليسجن ، تقول : ليجسن في السجن ، وليكونا من أهل الصغار والذلة ، بالحبس والسجن ، ولأهيننه . والوقف على قوله : ليسجن بالنون لأنها مشددة ، كما قيل : لبيطن .  
وأما قوله ( وَلِيَكُونَا ) فإن الوقف عليه بالألف ، لأنها النون الخفيفة ، وهي شبيهة نون الإعراب في الأسماء في قول القائل : رأيت رجلا عندك ، فإذا وقف على الرجل قيل : رأيت رجلا ، فصارت النون ألفا ، فكذلك ذلك في : وليكونا ، ومثله قوله ( لَتَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ ، نَاصِيَةٍ ) الوقف عليه بالألف ، لما ذكرت ؛ ومنه قول الأعشى :

وَصَلَّ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى  
وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاَعْبُدَا  
وإنما هو : فاعبدن ، ولكن إذا وقف عليه ، كان الوقف بالألف .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ، وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ  
وَأَكُنُّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣)

❦ وهذا الخبر من الله يدل على أن امرأة العزيز قد عاودت يوسف في المراودة عن نفسه ، وتوعدته بالسجن والحبس إن لم يفعل مادعته إليه ، فاخترت السجن على مادعته إليه من ذلك ، لأنها لو لم تكن عاودته وتوعدته بذلك ، كان محالا أن يقول ( رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ) وهو لا يدعني إلى شيء ، ولا يخوف بحبس ، والسجن هو الحبس نفسه ، وهو بيت الحبس ، وبكسر السين قرأه قرأه الأمصار كلها ، والعرب تضع الأماكن المشتقة من الأفعال مواضع الأفعال ، فتقول : طلعت الشمس مطلعا ، وغربت مغربا ، فيجعلونها وهي أسماء ، خلقتنا من المصادر ، فكذلك السجن ، فإذا فتحت السين من السجن ،

(١) البيت للأعشى الأكبر ميمون (ديوان طبع القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ، ص ١٧) ورواية البيت والذي قبله :

وَذَا النَّصْبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَنْسُكَنَّهُ  
وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ وَاللَّهَ فَاَعْبُدَا  
وَصَلَّ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى  
وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاَحْمَدَا

والشاهد فيه عند النحويين : قلب نون التوكيد الخفيفة عند الموقف ألفا ، كحكم التنوين .

كان مصدرا صحيحا ، وقد ذكر عن بعض المتقدمين أنه يقرؤه (السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَى) بفتح السين ، ولا أستجيز القراءة بذلك ، لإجماع الحجة من القرآء على خلافها . وتأويل الكلام : قال يوسف : يا ربّ الحبس في السجن أحبّ إلىّ مما يدعونني إليه من معصيتك ، ويراودني عليه من الفاحشة .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ( قال ربّ السجن أحبّ إلىّ مما يدعونني إليه ) : من الزنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يوسف ، وأضاف إلى ربه واستعانته على ما نزل به ( ربّ السجن أحبّ إلىّ مما يدعونني إليه ) : أي السجن أحبّ إلىّ من أن آتني ما تكره . وقوله ( وإلاّ تصرّف عني كيّد هُنْ أصبّ إليهنّ ) يقول : وإن لم تدفع عني يا ربّ فعلهنّ الذي يفعلن بي ، في مراودتهنّ إياي على أنفسهن ، أصبّ إليهنّ ، يقول : أميل إليهنّ ، وأتابعهنّ على ما يردن مني ، ويهوينّ ، من قول القائل : صبا فلان إلى كذا ، ومنه قول الشاعر :

إلى هيند صبا قلبي وهيند مثلها يضي

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أصبّ إليهنّ ) يقول : أتابعهنّ . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وإلاّ تصرّف عني كيّد هُنْ ) : أي ما أخوف منهنّ ( أصبّ إليهنّ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وإلاّ تصرّف عني كيّد هُنْ أصبّ إليهنّ وأكنّ من الجاهليين ) قال : إلا يكن منك أنت العون والمنعة ، لا يكن مني ، ولا عندي .

وقوله ( وأكنّ من الجاهليين ) يقول : وأكن بصبوني إليهنّ من الذين جهلوا حقتك ، وخالفوا أمرك ونهيك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وأكنّ من الجاهليين ) : أي جاهلا إذا ركبت معصيتك .

القول في تأويل قوله تعالى

فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤)

إن قال قائل : وما وجه قوله ( فاستجاب له ربه ) ولا مسألة تقدمت من يوسف لربه ، ولا دعا بصرف كيدهنّ عنه ، وإنما أخبر ربه أن السجن أحبّ إليه من معصيته ؟ قيل : إن في إخباره بذلك شكاية منه إلى ربه ، مما لقي منهنّ ، وفي قوله ( وإلاّ تصرّف عني كيّد هُنْ أصبّ إليهنّ ) معنى دعاء ومسألة (١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣١١ ) قال : أصب إليهن : أي أهواهن ، وأميل إليهن . قال يزيد بن ضبة :

وال هتد . . . البيت .



منه ربه صرف كيدهن ، ولذلك قال الله تعالى ذكره ( فاستجاب له ربه ) وذلك كقول القائل لآخر :  
إن لاتترني أهتك ، فيجيبه الآخر : إذن أזורك ، لأن في قوله : إن لاتترني أهتك ، معنى الأمر بالزيارة .  
وتأويل الكلام : فاستجاب الله ليوسف دعاه ، فصرف عنه ما أرادت منه امرأة العزيز وصواحبها من  
معصية الله .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( فاستجاب له ربه فصرف عنه  
كيدهن إنه هو السميع العليم ) : أي نجاه من أن يركب المعصية فيهن ، وقد نزل به بعض ما حذر  
منهن .

وقوله ( إنه هو السميع ) دعاء يوسف حين دعاه بصرف كيد النسوة عنه ، ودعاه كل داع من  
خلقه . ( العليم ) بمطلبه وحاجته ، وما يصلحه ، وبخاجة جميع خلقه وما يصلحهم .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُنَّ حَتَّىٰ حِينٍ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : ثم بدأ للعزير زوج المرأة التي راودت يوسف عن نفسه ، وقيل : بدأ لهم ، وهو  
واحد ، لأنه لم يذكر باسمه ، ويقصد بعينه ، وذلك نظير قوله ( الذين قال لهم الناس إن الناس قد  
اجتمعوا لكم فاحشسوه ) وقيل : إن قائل ذلك كان واحدا . وقيل : معنى قوله ( ثم بدأ لهم )  
في الرأي الذي كانوا رأوه ، من ترك يوسف مطلقا ، ورأوا أن يسجنوه ( من بعد ما رأوا الآيات ) ببراءته  
مما قذفته به امرأة العزيز ، وتلك الآيات كانت : قد القميص من دبر ، وخمش في الوجه ، وقطع أيديهن ،  
كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن نصر بن عوف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( ثم  
بدأ لهم من بعد ما رأوا الآيات ) قال : كان من الآيات قد في القميص ، وخمش في الوجه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي وابن عمير ، عن نصر ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شباية ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ثم بدأ  
لهم من بعد ما رأوا الآيات ) قال : قد القميص من دبر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( من  
بعد ما رأوا الآيات ) قال : قد القميص من دبر .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : وثنا  
إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( من بعد ما رأوا  
الآيات ) قال : الآيات : حزنهن أيديهن ، وقد القميص .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قد  
القميص من دبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( **مَّمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتَهُ** ) ببراءته مما آتاه به من شقِّ قميصه من دُبُرٍ ( **لَيْسَ جُنَّتَهُ حَتَّى حِينٍ** ) .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ( **مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ** ) قال :  
الآيات : القميص ، وقطع الأيدي .

وقوله ( **لَيْسَ جُنَّتَهُ حَتَّى حِينٍ** ) يقول : ليسجنه إلى الوقت الذي يرون فيه رأيهم ، وجعل الله ذلك الحبس ليوسف فيما ذكر عقوبة له من همه بالمرأة ، وكفارة لخطيئته .

حدثت عن يحيى بن أبي زائدة ، عن إسرائيل ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( **لَيْسَ جُنَّتَهُ حَتَّى حِينٍ** ) عثر يوسف عليه السلام ثلاث عثرات : حين همَّ بها فسجن ، وحين ( **قَالَ** ) **اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ - فَلَتَبَيْتَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سَنِينَ** ) وأنساه الشيطان ذكر ربه وقال : **لَهُمْ (إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) فَمَقَالُوا إِنَّ بَسْرُقَ فَمَقَدَّ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِّنْ قَبْلُ** ) .

وذكر أن سبب حبسه في السجن : كان شكوى امرأة العزيز إلى زوجها أمره وأمرها .  
كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ( **مَّمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتَهُ حَتَّى حِينٍ** ) قال : قالت المرأة لزوجها : إن هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس : يعتذر إليهم ، ويخبرهم أني راودته عن نفسه ، ولست أطيق أن أعتمر بعذري ، فلما أن تأذن لي فأخرج فأعتمر ، وإما أن تحبسه كما حبسني ، فذلك قول الله تعالى ( **مَّمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتَهُ حَتَّى حِينٍ** ) .

وقد اختلف أهل العربية في وجه دخول هذه اللام في ( **لَيْسَ جُنَّتَهُ** ) ، فقال بعض البصريين : دخلت هاهنا لأنه موضع يقع فيه أي ، فلما كان حرف الاستفهام يدخل فيه دخلته النون ، لأن النون تكون في الاستفهام ، تقول : بدا لهم أيهم يأتأخذون : أي استبان لهم . وأنكر ذلك بعض أهل العربية ، فقال : هذا يمين ، وليس قوله : هل تقومون بيمين ، ولتقومن ، لا يكون إلا يمينا .  
وقال بعض نحويي الكوفة : بدا لهم . بمعنى : القول ، والقول يأتي بكل الكلام بالقسم وبالاستفهام ، فلذلك جاز : بدا لهم قام زيد ، وبدا لهم ليقومن . وقيل : إن الحين في هذا الموضع معنى به سبع سنين .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا الحارثي ، عن داود ، عن عكرمة ( **لَيْسَ جُنَّتَهُ حَتَّى حِينٍ** ) قال : سبع سنين .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ ، قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ، وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ، نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ، إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : ودخل مع يوسف السجن فتيان ، فدلَّ بذلك على متروك قد ترك من الكلام ، وهو



( ثُمَّ بَدَأَ لَكُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ) فسجنوه وأدخلوه السجن ، ودخل معه فتيان ، فاستغنى بدليل قوله ( وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنُ فْتَيَانٍ ) على إدخالهم يوسف السجن من ذكره ، وكان الفتيان فيما ذكر : غلامين من غلمان ملك مصر الأكبر ، أحدهما صاحب شرابه ، والآخر صاحب طعامه . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فطرح في السجن : يعنى يوسف ، ودخل معه السجن فتيان ، غلامان كانا للملك الأكبر : الريان بن الوليد ، كان أحدهما على شرابه ، والآخر على بعض أمره ، في نسخة مخطؤها عليهما ، اسم أحدهما مجلث ، والآخر نبو ، ونبو الذى كان على الشراب . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنُ فْتَيَانٍ ) قال : كان أحدهما خبازا للملك على طعامه ، وكان الآخر ساقية على شرابه .

وكان سبب حبس الملك الفتية فيما ذكر ، ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : إن الملك غضب على خبازه ؛ بلغه أنه يريد أن يسُمَّه ، فحبسه وحبس صاحب شرابه ، ظن أنه مالأه على ذلك ، فحبسهما جميعا ، فذلك قول الله تعالى ( وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنُ فْتَيَانٍ ) . وقوله ( قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ) ذُكِرَ أَنَّ يَوْسُفَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لَمَّا أُدْخِلَ السَّجْنَ ، قَالَ لِمَنْ فِيهِ مِنَ الْمُحْبَسِينَ ، وَسَأَلُوهُ عَنْ عَمَلِهِ : إِنِّي أَعْبُرُ الرَّؤْيَا ، فَقَالَ أَحَدُ الْفَتَيَانِ اللَّذِينَ أُدْخِلَا مَعَهُ السَّجْنَ لِصَاحِبِهِ : تَعَالَىٰ فَلَنَجْرِبَهُ .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : لما دخل يوسف السجن قال : أنا أعبر الأحلام ، فقال أحد الفتية لصاحبه : هلم نجرب هذا العبد العبراني ، نترأى له ، فسألاه من غير أن يكون رأيا شيئا ، فقال الخباز : إني أراى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه . وقال الآخر : إني أراى أعصر خمرا .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن عمارة بن القعقاع ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : ما رأى صاحبا يوسف شيئا ، إنما كانا نحلمًا ، ليجربا علمه . وقال قوم : إنما سأله الفتية عن رؤيا كانا رأياها على صحة وحقيقة ، وعلى تصديق منهما ليوسف لعلمه بتعبيرها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما رأى الفتية يوسف ، قالا : والله يافى لقد أحببناك حين رأيناك .

قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، أن يوسف قال لهم حين قالا له ذلك : أنشد كما الله أن لا تحباني ، فوالله ما أحبني أحد قط ، إلا دخل على من حبه بلاء ، لقد أحببتى عمى فدخل على من حبه بلاء ، ثم لقد أحببتى أبى ، فدخل على بجه بلاء ، ثم لقد أحببتى زوجة صاحبي هذا ، فدخل على بجهب إياى بلاء ، فلا تحباني برك الله فيكما ، قال : فأبيا إلا حبه وإلفه حيث

كان ، وجعلا يعجبهما مايريان من فهمه وعقله ، وقد كانا رأيا حين أدخلنا السجن رؤيا ، فرأى مجلت : أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه ، ورأى « نبو » أنه يعصر خمرا ، فاستفتياه فيها ، وقال له ( نَبَّسْنَا بِنَّا وَيْلِهِ ، إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ) إن فعلت .  
وعنى بقوله ( أَعْصِرُ خَمْرًا ) أى إني أرى فى نومى أنى أعصر عنبا . وكذلك ذلك فى قراءة ابن مسعود ، فيما ذكر عنه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إبي ، عن أبي سلمة انصائع ، عن إبراهيم بن بشير الأنصارى ، عن محمد ابن الحنفية قال فى قراءة ابن مسعود ( إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ عِنْبًا ) وذكر أن ذلك من لغة أهل عُمان ، وأنهم يسمون العنب خمرًا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ) يقول : أعصر عنبا ، وهو بلغة أهل عُمان ، يسمون العنب خمرًا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ( إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ) قال : عنبا ، أرض كذا وكذا يدعون العنب خمرًا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ) قال : عنبا .

حدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبي حمزة ، عن عكرمة ، قال : أتاه فقال : رأيت فيما يرى النائم أنى غرست حبة من عنب ، فنبتت ، فخرج فيه عناقيد فعصرهن ، ثم سقيهن الملك ، فقال : تمكث فى السجن ثلاثة أيام ، ثم تخرج ، فتسقيه خمرًا .

وقوله ( وَقَالَ الْآخِرُ إِنِّي أَرَانِي أَمْلَأُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ، نَبَّسْنَا بِنَّا وَيْلِهِ ) يقول تعالى ذكره : وقال الآخر من الفتية : إني أراى فى منامى أحملى فوق رأسى خبزا : يقول : أحملى على رأسى ، فوضعت « فوق » مكان « على » ( تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ) يعنى من الخبز .

وقوله ( نَبَّسْنَا بِنَّا وَيْلِهِ ) يقول : أخبرنا بما بثول إليه ما أخبرناك أنا رأينا فى منامنا ، ويرجع إليه . كما حدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيع ، عن مجاهد ( نَبَّسْنَا بِنَّا وَيْلِهِ ) قال : به . قال الحارث ، قال أبو عبيد : يعنى مجاهد : أن تأويل الشئ : هو الشئ . قال : ومنه تأويل الرؤيا ، إنما هو الشئ الذى تثول إليه .

وقوله ( إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ) اختلف أهل التأويل فى معنى الإحسان الذى وصف به الفتية يوسف ، فقال بعضهم : هو أنه كان يعود مريضهم ، ويعزى حزينهم ، وإذا احتاج منهم إنسان جمع له .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن سلمة بن نبيط ،



عن الضحاك بن مزاحم ، قال : كنت جالسا معه ببلخ ، فسئل عن قوله ( نَبَّشْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ ) قال : قيل له : ما كان إحسان يوسف ؟ قال : كان إذا مرض إنسان قام عليه ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا ضاق أوسع له .

حدثنا إسحاق ، عن أبي إسرائيل ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ، قال : سألت رجل الضحاك ، عن قوله ( إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ ) ما كان إحسانه ؟ قال : كان إذا مرض إنسان في السجن قام عليه ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا ضاق عليه المكان أوسع له .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن قتادة ، قوله ( إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ ) قال : بلغنا أن إحسانه أنه كان يداوى مريضهم ، ويعزى حزينهم ، ويجهد لربه . وقال : لما انتهى يوسف إلى السجن ، وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم ، واشتد بلاؤهم ، فطال حزنهم ، فجعل يقول : أبشروا واصبروا وتؤجروا ، إن لهذا أجرا ، إن لهذا ثوابا ، فقالوا : يا فتى بارك الله فيك ! ما أحسن وجهك ، وأحسن خلقك ! لقد بورك لنا في جوارك ما نحب أنا كنا في غير هذا منذ حبسنا ، لما تخبرنا من الأجر والكفارة والطهارة ، فن أنت يا فتى ؟ قال : أنا يوسف بن صفي الله يعقوب ، ابن ذبيح الله إسحاق بن إبراهيم خليل الله ، وكانت عليه محبة ، وقال له عامل السجن : يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ، ولكن سأحسن جوارك ، وأحسن إيسارك ، فكن في أي بيوت السجن شئت حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن خلف الأشجعي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك في ( إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ ) قال : كان يوسع للرجل في مجلسه ، ويتعاهد المرضى . وقال آخرون : معناه : ( إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ ) إذ نبأنا بتأويل رؤيانا هذه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : استفتياه في رؤياهما ، وقالوا له : ( نَبَّشْنَا بِتَأْوِيلِهِ ، إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ ) إن فعلت .

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب : القول الذي ذكرناه عن الضحاك وقاتده .

فان قال قائل : وما وجه الكلام إن كان الأمر إذن كما قلت ، وقد علمت أن مسألتها يوسف أن يذنبهما بتأويل رؤياهما ، ليست من الخبر عن صفته بأنه يعود المريض ، ويقوم عليه ، ويحسن إلى من احتاج في شيء ، وإنما يقال للرجل : نبشنا بتأويل هذا ، فإنك عالم ، وهذا من المواضع التي تحسن بالوصف بالعلم لا بغيره ؟

قيل : إن وجه ذلك : أنها قالوا له : نبشنا بتأويل رؤيانا محسنا إلينا في إخبارك إيانا بذلك ، كما نراك تحسن في سائر أفعالك ، إنا نراك من المحسنين .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ لَا يَا تَيْكُمَا طَعَامُ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُ تَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَا تَيْكُمَا، ذَالِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي، إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره ( قال ) يوسف للفتيين اللذين استعبراه الرؤيا ( لا يا تَيْكُمَا ) أيها الفتيان في منامكما ( طعامُ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُ تَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ) في يقظتكما ( قَبْلَ أَنْ يَا تَيْكُمَا ) .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : قال يوسف لهما ( لا يا تَيْكُمَا طعامُ تُرْزَقَانِهِ ) في النوم ( إِلَّا نَبَأُ تَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ) في اليقظة .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يوسف لهما ( لا يا تَيْكُمَا طعامُ تُرْزَقَانِهِ ) يقول : في نومكما ( إِلَّا نَبَأُ تَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ) . ويعني بقوله ( بِتَأْوِيلِهِ ) : ما ينول إليه ويصير ما رأيا في منامهما من الطعام الذي رأيا أنه أتاهما فيه .  
وقوله ( ذَالِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ) يقول : هذا الذي أذكر أني أعلمه من تعبير الرؤيا ، مما علمني ربي فعلمته . ( إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ) وجاء الخبر مبتدأ : أي تركت ملة قوم . والمعنى ما ملت . وإنما ابتدأ بذلك ، لأن في الابتداء الدليل على معناه .  
وقوله ( إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ) يقول : إنني برئت من ملة من لا يصدق بالله ، وبقرت بوحدانيته ( وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ) يقول : وهم مع تركهم الإيمان بوحدانية الله لا يقرؤون بالمعاد والبعث ، ولا ثواب ولا عقاب ، وكررت « هم » مرتين ، فقيل ( وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ) لما دخل بينهما قوله ( بِالْآخِرَةِ ) فصارت « هم » الأولى كالملغاة ، وصار الاعتماد على الثانية ، كما قيل ( وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ) وكما قيل ( أَيَعِدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ ) .

فإن قال قائل : ما وجه هذا الخبر ومعناه من يوسف ، وأين جوابه الفتين عما سألاه من تعبير رؤياهما من هذا الكلام ؟

قيل له : إن يوسف كره أن يجيبهما عن تأويل رؤياهما ، لما علم من مكروه ذلك على أحدهما ، فأعرض عن ذكره ، وأخذ في غيره ، ليعرض عن مسأله الجواب بما سألاه من ذلك .  
وينحو ذلك قال بعض أهل العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( إِنِّي أُرَانِي أَعْصِرُ



تحمراً، وقال الآخر إني أراي أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه، نبئنا بتأويله). قال: فكره العبارة لهما، وأخبرهما بشيء لم يسألاه عنه، ليريهما أن عنده علماً. وكان الملك إذا أراد قتل إنسان، صنع له طعاماً معلوماً، فأرسل به إليه، فقال يوسف (لا يأتيناك طعاماً ترزقانه). . . إلى قوله (تشكرونا) فلم يدعاه، فعدل بهما، وكره العبارة لهما، فلم يدعاه حتى يعبر لهما، فعدل بهما، وقال (يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار). . . إلى قوله (يعلمون) فلم يدعاه حتى عسبر لهما، فقال (يا صاحبي السجن أما أحدكمنا فيسقي ربه حمراً، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه). قال: مارأينا شيئاً، إنما كنا نلعب، قال (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان). وعلى هذا التأويل الذي تأوله ابن جريج. فقوله (لا يأتيناك طعاماً ترزقانه) في اليقظة لافي النوم، وإنما أعلمهما على هذا القول، أن عنده علم ما ينول إليه أمر الطعام، الذي يأتيهما من عند الملك ومن عند غيره، لأنه قد علم النوع الذي إذا أتاهما كان علامة لقتل من أتاه ذلك منهما، والنوع الذي إذا أتاه كان علامة لغير ذلك، فأخبرهما أنه عنده علم ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ، ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)

يعني بقوله (واتبعت ملة آباءي إبراهيم وإسحاق ويعقوب): واتبعت دينهم لادين أهل الشرك. (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) يقول: ما جاز لنا أن نجعل لله شريكاً في عبادته وطاعته، بل الذي علينا إفراده بالألوهة والعبادة (ذلك من فضل الله علينا) يقول: اتبعت ملة آباءي إبراهيم وإسحاق ويعقوب على الإسلام، وتركيتي (ملة قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالآخرة هم كافرون)، من فضل الله الذي تفضل به علينا، فأنعم إذ أكرمنا به، (وعلى الناس): يقول: وذلك أيضاً من فضل الله على الناس، إذ أرسلنا إليهم دُعاة إلى توحيد وطاعته (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يقول: ولكن من يكفر بالله لا يشكر ذلك من فضله عليه، لأنه لا يعلم من أنعم به عليه، ولا يعرف المتفضل به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (ذلك من فضل الله علينا) أن جعلنا أنبياء (وعلى الناس) يقول: أن بعثنا إليهم رسلاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس) (ذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول: يارب شاکر نعمة غير منعم عليه لا يدري، ورب حامل فقه غير فقيه).

القول في تأويل قوله تعالى

يُصْحَبِي السَّجْنِ، أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ؟ (٣٩)

﴿٣٩﴾ ذكر أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه ، قال هذا القول للفتيين اللذين دخلا معه السجن ، لأن أحدهما كان مشركا ، فدعاه بهذا القول إلى الإسلام ، وترك عبادة الآلهة والأوثان ، فقال ( يا صاحبي السجن ) يعني : يا من هو في السجن ، وجعلهما صاحبيه لكونهما فيه ، كما قال الله تعالى لسكان الجنة ( فَأَوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) وكذلك قال لأهل النار ، وسأهم أصحابها ، لكونهم فيها . وقوله ( أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ) يقول : أعبادة أرباب شتى متفرقين ، وآلهة لاتنفع ولاتنصر ، خير ، أم عبادة المعبود الواحد الذي لاثاني له في قدرته وسلطانه ، الذي قهر كل شيء ، فذله وسخره ، فأطاعه طوعا وكرها ؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يا صاحبي السجن أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ ) . . . إلى قوله ( لَا يَعْلَمُونَ ) لما عرف نبي الله يوسف أن أحدهما مقتول ، دعاهما إلى حظهما من ربهما ، وإلى نصيبهما من آخرتهما .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يا صاحبي السجن ) يوسف يقول .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم دعاهما إلى الله ، وإلى الإسلام ، فقال ( يا صاحبي السجن أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ) : أي خير أن تعبدوا إلها واحدا ، أو آلهة متفرقة ، لاتغني عنكم شيئا ؟

القول في تأويل قوله تعالى

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ، أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)

﴿٤٠﴾ يعني بقوله ( مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ ) : ما تعبدون من دون الله ، وقال ( مَا تَعْبُدُونَ ) وقد ابتدأ الخطاب بخطاب اثنين ، فقال ( يا صاحبي السجن ) لأنه قصد المخاطب به ومن هو على الشرك بالله



مقيم من أهل مصر ، فقال للمخاطب بذلك : ما تعبد أنت ، ومن هو على مثل ما أنت عليه من عبادة الأوثان (إلا أسماءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) ، وذلك تسميتهم أوثانهم آلهة أربابا ، شركا منهم ، وتشبيها لها في أسماءها التي سموها بها بالله تعالى ، عن أن يكون له مثل أو شبيه ( ما أنزلَ اللهُ بها من سلطانٍ ) يقول : سموها بأسماء لم يأذن لهم بتسميتها ، ولا وُضِعَ لهم على أن تلك الأسماء أسماءها دلالة ولا حجة ، ولكنها اختلاق منهم لها وافتراء .

وقوله ( إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه ) يقول : وهو الذي أمر ألا تعبدوا أنتم وجميع خلقه ، إلا الله الذي له الألوهة والعبادة خالصة ، دون كل ما سواه من الأشياء .

كما حدثني المنذرى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله ( إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ) قال : أسس الدين على الإخلاص لله وحده لا شريك له .

وقوله ( ذلك الدين القسيم ) يقول : هذا الذي دعوتكما إليه من البراءة ، من عبادة ما سوى الله من الأوثان ، وأن تخلصا العبادة لله الواحد القهار ، هو الدين القويم الذي لا عوجاج فيه ، والحق الذي لا شك فيه . ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) يقول : ولكن أهل الشرك بالله يجهلون ذلك ، فلا يعلمون حقيقته .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يُصْحَبِي السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَابُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ

مِنْ رَأْسِهِ ، قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١)

يقول جل ثناؤه خبرا عن قيل يوسف للذين دخلا معه السجن ( يا صاحبي السجن ) أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ) هو الذي رأى أنه يعصر خمرا ، فيسقى ربه : يعني سيده ، وهو ملكهم ؛ خمرا : يقول : يكون صاحب شرابه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ) قال : سيده .

وأما الآخر ، وهو الذي رأى أن على رأسه خبزا تأكل الطير منه ، فيصلب فتأكل الطير من رأسه ؛ فذكر أنه لما عبّر ما أخبراه به أنهما رأياه في مناهما ، قال له : ما رأينا شيئا ، فقال لهما ( قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ) يقول : فُرِغَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ اسْتَفْتَيْتُمَا ، ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل العلم .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله قال : قال اللذان دخلا السجن على يوسف : ما رأينا شيئا ، فقال ( قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ) . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عمارة بن القعقاع ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ( قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ) قال : لما قالا ما قالا ، أخبرهما ، فقالا : ما رأينا شيئا ، فقال ( قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله في القتيين اللذين أتيا يوسف والرؤيا ، إنما كانا نحالما ليجرّباه ، فلما أول رؤياهما قالا : إنما كنا نلعب ، قال ( قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : ما رأى صاحبنا يوسف شيئا ، إنما كانا نحالما ليجرّبا علمه ، فقال أحدهما : إني أراي أعصر عنبا ؛ وقال الآخر : إني أراي أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه ، نبئنا بتأويله ، إنا نراك من المحسنين . قال : يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا ، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ، فلما عتبر ، قالا : ما رأينا شيئا ، قال ( قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ) على ما عتبر يوسف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال لجلث : أما أنت فتصلب فتأكل الطير من رأسك ، وقال لنبو : أما أنت فتردّ على عملك ، فيرضى عنك صاحبك ( قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ) ، أو كما قال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ( فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ )<sup>١</sup> : حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال ( قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ) عند قولهما : ما رأينا رؤيا ، إنما كنا نلعب ، قال : قد وقعت الرؤيا على ما أولت .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ( الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ) فذكر مثله .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَآ اذْكُرْ نِيَّ عِنْدَ رَبِّكَ ، فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ، فَلَبِثَ

فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : قال يوسف للذي علم أنه ناج من صاحبيه اللذين استعبراه الرؤيا ( اذْكُرْ نِيَّ عِنْدَ رَبِّكَ ) يقول : اذكروني عند سيدك ، وأخبره بمظلمتي ، وأني محبوس بغير جرم .

(١) كذا في أصله المخطوط رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب المصرية ، وهو آخر سطر في (ص ٣٨ و ) . ونسب الكاتب أن يكتب التفسير في أول الصفحة التالية .



كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يعنى لنبو ( اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) : أى اذكر للملك الأعظم مظلمتى وحسبى فى غير شىء ، قال : أفعل .  
 حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله ( اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) قال للذى نجا من صاحبه السجن يوسف يقول : اذكرنى عند الملك :  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه :  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفیان ، عن جابر ، عن أسباط ( وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) قال : عند ملك الأرض .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) يعنى بذلك الملك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ( وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) الذى نجا من صاحبه السجن للملك ، يقول يوسف : اذكرنى :  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمي : أنه لما انتهى به إلى باب السجن ، قال له صاحب له : حاجتكم : أوصنى بحاجتك ، قال : حاجتى أن تذكرنى عند ربك ، ينوى الرب الذى ملك يوسف . وكان قتادة يوجه معنى الظن فى هذا الموضع ، إلى الظن الذى هو خلاف اليقين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) وإنما عبارة الرؤيا بالظن ، فيُحَقِّقُ اللهُ ما يشاء ، ويبطل ما يشاء ، وهذا الذى قاله قتادة ، من أن عبارة الرؤيا ظن ، فإن ذلك كذلك من غير الأنبياء ، فأما الأنبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمر أنه كائن ثم لا يكون ، أو أنه غير كائن ثم يكون ، مع شهادتها على حقيقة ما أخبرت عنه أنه كائن أو غير كائن ، لأن ذلك لو جاز عليها فى أخبارها ، لم يؤمن مثل ذلك فى كل أخبارها ، وإذا لم يؤمن ذلك فى أخبارها سقطت حجتها على من أرسلت إليه . فإذا كان ذلك كذلك ، كان غير جائز عليها أن تخبر بخبر إلا وهو حق وصدق ، فعلوم إذ كان الأمر على ما وصفت ، أن يوسف لم يقطع الشهادة على ما أخبر الفتيين اللذين استعبراه ، أنه كائن ، فيقول لأحدهما : ( أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقَى رَبَّهُُ خَمْرًا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَنًا كُلُّ الطَّيْرِ مِنْ رَأْسِهِ ) ، ثم يؤكد ذلك بقوله ( قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ) عند قولهما : لم نر شيئا ، إلا وهو على يقين أن ما أخبرهما بحدوثه وكونه ، أنه كائن لا محالة ، لاشك فيه ، وليقينه بكون ذلك قال للناجي منهما ( اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) . قَبِيْنُ إِذْنُ بِذَلِكَ ، فساد القول الذى قاله قتادة ، فى معنى قوله ( وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا ) ، وقوله ( فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن غفلة عرضت ليوسف من قبيل الشيطان ، نسي لها ذكر ربه ، الذى لوبه استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه ، ولكنه زل بها ، فأطال من أجلها فى السجن حبسه ، وأوجع لها عقوبته .

كما حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جعفر بن سليمان الضَّبَّيِّ ، عن بسطام بن مسلم ، عن مالك بن دينار ، قال : لما قال يوسف للساقى ( اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) قال : قيل : يا يوسف انخذتُ من دوني وكيلا ، لأطيلنَّ حبسك ، فبكى يوسف وقال : يا ربَّ اَنْسَى قَلْبِي كَثْرَةَ الْبَلْوَى ، فقلتُ كلمةً ، فويلٌ لإخوتي .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْلا أَنَّهُ » يعنى يوسف « قالَ الْكَلِمَةَ الَّتِي قالَ ما لَبِثَ فِي السَّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ » .

حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع ، قالوا : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللهُ يَوْسُفَ لَوْلا كَلِمَتُهُ ما لَبِثَ فِي السَّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ » . يعنى قوله ( اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) قال : ثم يبكى الحسن ، فيقول : نحن إذا نزل بنا أمرٌ فترعنا إلى الناس .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( وَقالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِئْهُما اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) قال : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : « لَوْلا كَلِمَةَ يَوْسُفَ ما لَبِثَ فِي السَّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَوْ كَمْ يَقُولُ يَوْسُفُ ، يعنى الكلمة الَّتِي قالَ ، ما لَبِثَ فِي السَّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ » يعنى حيث يتنغى الفرج من عند غير الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ كَمْ يَسْتَعِينُ يَوْسُفُ عَلى رَبِّهِ ، ما لَبِثَ فِي السَّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ » . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول : « لَوْلا أَنَّ يَوْسُفَ اسْتَشْفَعَ عَلى رَبِّهِ ، ما لَبِثَ فِي السَّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ ، وَلَكِنْ إِتَمَّ عَواقِبَ باسْتِشْفاعِهِ عَلى رَبِّهِ » .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال له ( اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) قال : فلم يذكره حتى رأى الملك الرؤيا ، وذلك أن يوسف أنساه الشيطان ذكر ربه ، وأمره بذكر الملك ، وابتغاء الفرج من عنده ( فَكَلَبَتْ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ) ، بقوله ( اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) .

حدثني المنثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه ، غير أنه قال ( فَكَلَبَتْ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ) عقوبة لقوله ( اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ ) .



قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث محمد ابن عمرو سواء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث المثني ، عن أبي حذيفة .

وكان محمد بن إسحاق يقول : إنما أنسى الشيطان الساقى ذكر أمر يوسف لملكهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما خرج ، يعنى الذى ظن أنه ناج منهما ، ردّ على ما كان عليه ، ورضى عنه صاحبه ، فأنساه الشيطان ذكر ذلك للملك ، الذى أمره يوسف أن يذكره ، فلبث يوسف بعد ذلك فى السجن بضع سنين ، يقول جلّ ثناؤه : فلبث يوسف فى السجن ، لقيله للناجى من صاحبه السجن من القيل : اذكرنى عند سيدك ، بضع سنين ، عقوبة له من الله بذلك .

واختلف أهل التأويل فى قدر البضع الذى لبث يوسف فى السجن ، فقال بعضهم : هو سبع سنين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد أبو عثمة ، قال ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لبث يوسف فى السجن سبع سنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَلَکَبِیْتَ فِی السَّجْنِ بِیضَعِ سِنِینَ ) قال : سبع سنين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عمران أبو المذیل الصنعانی ، قال : سمعت وهباً يقول : أصاب أيوب البلاء سبع سنين ، وترك فى السجن يوسف سبع سنين ، وعذب بختصر الجول فى السباع سبع سنين .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : زعموا أنها ، يعنى البضع : سبع سنين ، كما لبث يوسف .

وقال آخرون : البضع : ما بين الثلاث إلى التسع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : سمعت أبا قتادة يقول : البضع : ما بين الثلاث إلى التسع .

حدثنا وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن منصور ، عن مجاهد ( بِیضَعِ سِنِینَ ) قال : ما بين الثلاث إلى التسع .

وقال آخرون : بل هو ما دون العشر .

(١) أى بالسخ سبعا ، وصار يحول فى السباع ، كما يؤخذ من الكامل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس ( بضع سنين ) دون العشرة .

وزعم الفراء أن البضع لا يذكر إلا مع عشر ، ومع العشرين إلى التسعين ، وهو نيف ما بين الثلاثة إلى التسعة ، وقال : كذلك رأيت العرب تفعل ، ولا يقولون بضع ومئة ، ولا بضع وألف ، وإذا كانت للذكر ان قيل : بضع .

والصواب في البضع : من الثلاث إلى التسع ، إلى العشر ، ولا يكون دون الثلاث ، وكذلك ما زاد على العقد إلى المئة ، وما زاد على المئة فلا يكون فيه بضع .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ، وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ  
وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ ، يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ . (٤٣)

يعنى جل ذكره بقوله : وقال ملك مصر (إني أرى) في المنام (سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) من البقر (عجاف) . وقال : إني أرى ، ولم يذكر أنه رأى في منامه ولا في غيره ، لتعارف العرب بينها في كلامها إذا قال القائل منهم : أرى أني أفعل كذا : وكذا أنه خبر عن رؤيته ذلك في منامه ، وإن لم يذكر النوم ، وأخرج الخبير جل ثناؤه على ما قد جرى به استعمال العرب ذلك بينهم . (وسبع سنبلات خضر) يقول : وأرى سبع سنبلات خضر في منامي (وأخرى) يقول : وسبعاً آخر من السنبل (يابسات) يأتياها الملاء) يقول : يا أيها الأشراف من رجالي وأصحابي (أفتوني في رؤياي) فاعبروها (إن كنتم للرؤيا) عبرة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : إن الله أرى الملك في منامه رؤيا حالته ، فرأى سبع بقرات سمان ، يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر ، وأخر يابسات ، فجمع السحرة والكهنة والخزاة ، والقافة ، فقصصها عليهم ( فقالوا أضغاث أحلام ، وما نحن بتأويل الأحلام ببعالمين ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم إن الملك الربيع بن الوليد ، رأى رؤياه التي رأى ، فهالته ، وعرف أنها رؤيا واقعة ، ولم يدرك ما تأويلها ؟ فقال للملاء حوله من أهل مملكته ( إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ) . . . إلى قوله ( ببعالمين ) .



القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ، وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِمَعْلَمِينَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : قال الملأ الذين سألهم ملك مصر عن تعبير رؤياه : رؤياك هذه أضغاث أحلام ، يعنون أنها أخلط رؤيا كاذبة ، لاحقيقة لها ، وهى جمع ضِغْث ، والضغْث : أصله الخزْمة من الحشيش ، يُشَبَّهُ بها الأحلام المختلطة ، التى لاتأويل لها ، والأحلام جمع حُلْم ، وهو ما لم يصدق من الرؤيا ، ومن الأضغاث قول ابن مقبل :

خَوْدٌ كَأَنَّ فِرَاشَهَا وَضِعَتْ بِهِ أَضْغَاثُ رَيْحَانٍ غَدَاةَ شَمَالٍ<sup>١</sup>

ومنه قول الآخر :

يَحْمِي ذِمَارَ جَنِينٍ قَلَّ مَانِعُهُ طَاوٍ كَضِغْثِ الْخَلَا فِي الْبَطْنِ مُكْتَمِينَ<sup>٢</sup>  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أضغاث أحلام ) يقول : مشتبهة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( أضغاث أحلام ) كاذبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما قصّ الملك رؤياه التى رأى على أصحابه ، قالوا : أضغاث أحلام : أى فعل الأحلام .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( أضغاث أحلام ) قال : أخلط أحلام ( وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : أضغاث أحلام : كاذبة .

قال : ثنا المحاربيّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قالوا : أضغاث ، قال : كذب .

(١) البيت لابن مقبل . وقال فى اللسان : الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ، ما لم تصر نصفاً ( بالتحريك ) . وقيل الجارية الناعمة ، والجمع : خودات وخود ( بضم الخاء فى الأخير ) . و( فى اللسان : ضغث ) : وأضغاث الأحلام : الرؤيا التى لا يصح تأويلها ، لاختلاطها . والضغث : الحلم الذى لا تأويل له ، ولا غير فيه . والضغث الخزمة من الحشيش ، أو كل ما ملأ الكف من النبات ، أو الحشيش المختلط . والشمال : الريح الباردة . يريد أن ريح فراشها بعد النوم ، كأنما وضع فيه صنوف من الريحان ، تذيع ريحها ريح الشمال اللطيفة .

(٢) فى ( اللسان : ذمر ) : الذمار : كل ما يلزم الإنسان حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه وإن ضيعه لزمه اللوم . وطاو : ضامر ، يريد أنه صغير ، والضغث الخزمة من الزرع والبقل ونحوه . والخلا : الرطب من الحشيش يختل فى الربيع ( كما ليرسيم ) فإذا يبس فهو حشيش ، يريد أن لا يزال طريا فى بطن أمه كخزمة الخلا فى لبته ، لم تصلب عظامه . والمكتمن : الخافى المضمهر .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ( أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ) : هي الأحلام الكاذبة .

وقوله ( وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ) يقول : وما نحن بما نتول إليه الأحلام الكاذبة بعالمين . والباء الأولى التي في التأويل : من أصله العالمين ، والتي في العالمين : الباء التي تدخل في الخبر مع « ما » التي بمعنى الجحد . ورفع أضغاث أحلام : لأن معنى الكلام : ليس هذه الرؤيا بشيء ، إنما هي أضغاث أحلام .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمْ مَا وَاذَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ، أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَا كُفُلَهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ ، وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خَضِرٍ ، وَأُخْرَى يَا بَاسِطٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : وقال الذي نجا من القتل من صاحبي السجن ، اللذين استعبرا يوسف الرؤيا واذكر ؛ يقول : وتذكر ما كان نسي من أمر يوسف ، وذكر حاجته للملك ، التي كان سأله عند تعبيره رؤياه ، أن يذكرها له ، بقوله : ( اذْكَرْ فِي عِنْدَ رَبِّكَ ، بَعْدَ أُمَّةٍ ) يعني بعد حين .

كالذي حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزین ، عن ابن عباس ( وَاذَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ) قال : بعد حين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزین ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عاصم ، عن أبي رزین ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ( وَاذَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ) : بعد حين .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزین ، قال ( وَاذَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ) قال : بعد حين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزین ، عن ابن عباس مثله : قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَاذَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ) يقول : بعد حين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَاذَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ) قال : ذكر بعد حين .



حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) بعد حين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، مثله .  
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد بن أبي عروبة ،  
عن قتادة ، عن الحسن ، مثله .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد (وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) : بعد حين .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن كثير (بَعْدَ أُمَّةٍ) :  
بعد حين . قال ابن جريج ، وقال ابن عباس : (بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : بعد سنين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) قال :  
بعد حين .

حدثني المنثي ، قال : ثنا الحِمَافِي ، قال : ثنا شريك ، عن سيّك ، عن عكرمة (وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ)  
أى بعد حِقْبَةٍ من الدهر .

وهذا التأويل على قراءة من قرأ (بَعْدَ أُمَّةٍ) بضم الألف ، وتشديد الميم ، وهي قراءة القرّاء في أمصار  
الإسلام .

وقد روى عن جماعة من المتقدمين : أنهم قرءوا ذلك (بَعْدَ أُمَّةٍ) بفتح الألف ، وتخفيف الميم  
وفتحها ، بمعنى بعد نسيان . وذكر بعضهم أن العرب تقول من ذلك : أَمِيَهُ الرَّجُلُ يَأْمَهُ أُمَّهَاءُ : إذا نسى ،  
وكذلك تأوّلوه من قرأ ذلك كذلك .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،  
أنه كان يقرأ (بَعْدَ أُمَّةٍ) ويفسرها : بعد نسيان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا بهز بن أسد ، عن حمّام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه  
قرأ (بَعْدَ أُمَّةٍ) يقول : بعد نسيان .

حدثني أبو غسان مالك بن الخليل اليمحمدي ، قال : ثنا ابن أبي عدى ، عن أبي هارون الغنوي ، عن  
عكرمة أنه قرأ (بَعْدَ أُمَّةٍ) وَالْأُمَّةُ : النسيان .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا أبو هارون الغنوي ، عن عكرمة ، مثله .  
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : قال هارون ، وثني أبو هارون الغنوي ، عن

عكرمة (بَعْدَ أُمَّةٍ) : بعد نسيان .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة (وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) : بعد نسيان .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس : أي بعد نسيان .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَدَّكَرَّ بَعْدَ أُمَّهِ )  
قال : من بعد نسيانه .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عبد الكريم أبي أمية المعلم ،  
عن مجاهد ، أنه قرأ (وَأَدَّكَرَّ بَعْدَ أُمَّهِ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي مرزوق ، عن جوير ، عن الضحاك (وَأَدَّكَرَّ  
بَعْدَ أُمَّهِ ) قال : بعد نسيان .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت  
الضحاك يقول في قوله (وَأَدَّكَرَّ بَعْدَ أُمَّهِ ) يقول : بعد نسيان .

وقد ذكر فيها قراءة ثالثة ، وهي ما حدثني به المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ،  
سفيان ، عن حميد ، قال : قرأ مجاهد (وَأَدَّكَرَّ بَعْدَ أُمَّهِ ) مجزومة الميم مخففة ، وكأن قارئ ذلك كذلك ،  
أراد به المصدر ، من قولهم : أَمِهَ يَبْأَمُهْ أُمَّهًا ، وتأويل هذه القراءة ، نظير تأويل من فتح الألف والميم .  
وقوله (أَنَا أَنْبَشُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ ) يقول : أنا أخبركم بتأويله (فَأَرْسِلُونِ ) يقول : فأطلقوني أمضي ،  
لأنكم بتأويله من عند العالم به . وفي الكلام محذوف قد ترك ذكره ، استغناء بما ظهر عما ترك ، وذلك : فأرسلوه  
فأتى يوسف ، فقال له : يا يوسف ، يا أيها الصديق .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق قال : ( قَالَ الْمَلِكُ ) للملأ حوله ( إِنِّي أَرَى  
سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِيَانٍ ) . . . الآية ، وقالوا له ما قال ، سمع «نبو» من ذلك ماسم ، ومسالته عن تأويلها  
ذكر يوسف ، وما كان عبر له ولصاحبه ، وما جاء من ذلك على ما قال من قوله ، قال (أَنَا أَنْبَشُكُمْ  
بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ) يقول الله تعالى (وَأَدَّكَرَّ بَعْدَ أُمَّهِ ) : أي حقبة من الدهر ، فأتاه فقال :  
يا يوسف ، إن الملك قدر أي كذا وكذا ، فقص عليه الرؤيا ، فقال فيها يوسف ما ذكر الله تعالى لنا في الكتاب ،  
فجاءهم مثلَ فَلَئِكَ الصبح تأويلها ، فخرج «نبو» من عند يوسف ، بما أفنأهم به من تأويل رؤيا الملك ، وأخبره  
بما قال . وقيل : إن الذي نجا منهما إنما قال : أرسلوني ، لأن السجن لم يكن في المدينة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ( وَقَالَ الْبَدِي نَجَا مِنْهُمَا  
وَأَدَّكَرَّ بَعْدَ أُمَّهِ ، أَنَا أَنْبَشُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ) قال ابن عباس : لم يكن السجن في المدينة ،  
فانطلق الساقى إلى يوسف ، فقال (أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِيَانٍ ) . . . الآيات .

قوله (أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِيَانٍ يَا كَلْبُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ ، وَسَبْعُ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ

(١) لعل صواب عبارة ابن إسحاق هو « عن ابن إسحاق قال : لما قال الملك : إنني أرى سبع . . . الآية ، وقالوا له ما قالوا ، وضع  
«نبو» من ذلك ماسم ، ومسالته عن تأويلها ، ذكر يوسف . . . الخ » .



وَأُخْرَ يَابِسَاتٍ ) فإن معناه : أفنتنا في سبع بقرات سِيَانٍ رُئِينِ فِي الْمَنَامِ ، يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ مِنْهَا عِجَافٌ ، وَفِي سَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خَضِرٍ رُئِينِ أَيْضًا ، وَسَبْعٌ أُخْرٍ مِنْهُنَّ يَابِسَاتٌ ؛ فَأَمَّا السَّمَانُ مِنَ الْبَقْرِ ، فَلِئِنَّهَا السَّنُونَ الْمُخْضَبَةُ .  
كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِيَانٍ ، يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ) قال : أما السمان : فسنون منها مخضبة . وأما السبع العجاف : فسنون مجدبة ، لا تثبت شيئًا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِيَانٍ ) فالسمان الخاصيب ، والبقرات العجاف : هي السنون الخُولُ الجُدُوبُ .  
قوله ( وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خَضِرٍ وَأُخْرَ يَابِسَاتٍ ) أما الخضر : فهن السنون الخاصيب ، وأما اليابسات : فهن الجُدُوبُ الخُولُ . والعجاف : جمع عَجِيفٍ ، وهي المهازيل .  
وقوله ( لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ) يقول : كفى أرجع إلى الناس ، فأخبرهم ، لعلهم يعلمون : يقول : ليعلموا تأويل ما سألتك عنه من الرؤيا .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا، فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ، إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك ( تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ) يقول : تزرعون هذه السبع السنين ، كما كنتم تزرعون سائر السنين قبلها ، على عادتكم فيما مضى ، والدأب<sup>١</sup> : العادة ، ومن ذلك قول امرئ القيس :

كَدَأَبِكَ مِنْ أُمَّ الْخَوَيْرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمَّ الرَّبَابِ بِمَا سَلَّ<sup>٢</sup>

يعنى كعادتك منها .

وقوله ( فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ) وهذا مشورة أشار بها نبي الله صلى الله عليه وسلم على القوم ، ورأى رآه لهم صلاحًا يأمرهم باستبقاء طعامهم .  
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال لهم نبي الله يوسف ( تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ) . . . الآية ، فلإنما أراد نبي الله صلى الله عليه وسلم البقاء .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادًا يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ (٤٨)

(١) الدأب ، بسكون الهززة وفتحها : العادة والشأن .

(٢) البيت لامرئ القيس ، من معلقته المشهورة ( مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ص ٢٤ ) وكدأبك ، يروي . « كديتك » أي عادتك وشأنك ، وأم الخويرث : أخت الحارث بن حصين بن ضمضم من كلب ، وهي امرأة حجر أبي امرئ القيس . ومأسل ، بفتح السين : جبل بعينه . وبكسر السين : ماء بعينه ، والرواية بالفتح .

يقول : ثم يحيىء من بعد السنين السبع التي تزرعون فيها دأبا ، سنون سبع شداد : يقول : جدوب قحطة<sup>١</sup> ( يَا كُئْنَمَا قَدَّمْتُمْ لَهْنًا ) يقول : يؤكل فيهن ما قدمتم في إعداد ما أعدتم لهن في السنين السبعة الخصبه ، من الطعام والأقوات ، وقال جل ثناؤه ( يَا كُئْنَمَا ) فوصف السنين بأنهن يأكلن ، وإنما المعنى : أن أهل تلك الناحية يأكلون فيهن ، كما قيل :

تَهَارُكَ يَا مَغْرُورٌ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمٌ<sup>٢</sup>

فوصف النهار بالسهو والغفلة ، والليل بالنوم ، وإنما يسهَى في هذا ويغفل فيه ، وينام في هذا ، لمعرفة مخاطبين بمعناه ، والمراد منه : إلا قليلا مما تُحْصِنُونَ : يقول : إلا يسيرا مما تُحْرِزُونَهُ . والإحصان : التصيير في الحصن ، وإنما المراد منه : الإحراز .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( يَا كُئْنَمَا قَدَّمْتُمْ لَهْنًا ) يقول : يأكلن ما كنتم اتخذتم فيهن من القوت ( إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( ثُمَّ يَا تِي مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ) وهن الجدوب المحول ( يَا كُئْنَمَا قَدَّمْتُمْ لَهْنًا ، إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( ثُمَّ يَا تِي مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ) وهن الجدوب ( يَا كُئْنَمَا قَدَّمْتُمْ لَهْنًا إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ) : مما تدخرون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ) يقول : تحزنون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( تُحْصِنُونَ ) : تحززون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( يَا كُئْنَمَا قَدَّمْتُمْ لَهْنًا إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ) قال : مما ترفعون .

وهذه الأقوال في قوله ( تُحْصِنُونَ ) وإن اختلفت ألفاظ قائلها فيه ، فإن معانيها متقاربة ، وأصل الكلمة وتأويلها على ما بينت .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ يَا تِي مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ (٤٩)

(١) يقال : عام قحط ، يسكون الحاء ، ويكسرهما ، وقحيط أيضا .

(٢) الشاهد في هذا البيت : إسناد السهو والغفلة إلى اليوم إسنادا مجازيا عقليا ، لأن السهو والغفلة إنما يقعان في النهار ، ولا يقعان منه ، ولكن لما كان النهار هو الزمان الذي يقعان فيه ، فللهذه الملازمة الزمانية ، ساغ الإسناد إلى زمان الحدث . والعلاقة هي الزمانية .



و هذا خبر من يوسف عليه السلام للقوم ، عما لم يكن في رؤيا ملكهم ، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله ، دلالة على نبوته ، وحجة على صدقه :

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : ثم زاده الله علم سنة لم يسألوه عنها ، فقال ( " ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون " ) ويعنى بقوله ( فيه يغاث الناس ) : بالمطر والغيث .  
وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( " ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس " ) قال : فيه يغاثون بالمطر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن جويبر ، عن الضحاك ( فيه يغاث الناس ) قال : بالمطر :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( " ثم يأتي من بعد ذلك عام " ) قال : أخبرهم بشيء لم يسألوه عنه ، وكان الله قد علمه إياه ، عام فيه يغاث الناس بالمطر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ( فيه يغاث الناس ) بالمطر :

وأما قوله ( وفيه يعصرون ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وفيه يعصرون العنب والسَّمسم ، وما أشبه ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( وفيه يعصرون ) قال : الأعناب والدُّهن :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( وفيه يعصرون ) السَّمسم دُهنا ، والعنب خمرا ، والزيتون زيتا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( عام فيه يغاث الناس ، وفيه يعصرون ) يقول : يصيبهم غيث ، فيعصرون فيه العنب ، ويعصرون فيه الزيت ، ويعصرون من كل الثمرات .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ( وفيه يعصرون ) قال : يعصرون أعنابهم :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ( وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ) قال : العنب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن جوير ، عن الضحاك ( وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ) قال : كانوا يعصرون الأعناب والثمار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ) قال : يعصرون الأعناب والزيتون والثمار من الخصب ، هذا علم آناه الله يوسف لم يسئل عنه .

وقال آخرون : معنى قوله ( وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ) وفيه يخلبون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى فضالة ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ) قال : فيه يخلبون .

حدثني المنثي ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا الفرج بن فضالة ، عن علي بن أبي طلحة ، قال : كان ابن عباس يقرأ ( وَفِيهِ تَعْصِرُونَ ) بالتاء ، يعني تحتلبون .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء أهل المدينة والبصرة والكوفة ( وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ) بالياء ، بمعنى ما وصفت من قول من قال : عصر الأعناب والأدهان . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين

( وَفِيهِ تَعْصِرُونَ ) بالتاء ، وقرأه بعضهم ( وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ) بمعنى : يمطرون ، وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها ، لخلافها ما عليه من قراء الأمصار .

والصواب من القراءة في ذلك أن لقارته الخيار في قراءته بأى القراءتين الآخرين شاء إن شاء ، بالياء رداً على الخبر به عن الناس ، على معنى ( فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ، وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ) أعنابهم ، وأدهانهم ، وإن شاء بالتاء رداً على قوله ( إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُخْصِنُونَ ) وخطاباً به لمن خاطبه بقوله ( يَا كَلْبُ مَا قَدْ مَتَمَّ كُنْ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُخْصِنُونَ ) لأنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار باتفاق المعنى ، وإن اختلفت الألفاظ بهما .

وذلك أن المخاطبين بذلك كان لاشك أنهم أغيثوا وعصروا : أغيث الناس الذين كانوا بناحيهم وعصروا ، وكذلك كانوا إذا أغيث الناس بناحيهم وعصروا ، أغيث المخاطبون وعصروا ، فهما متفقتا المعنى .

وإن اختلفت الألفاظ بقراءة ذلك . وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب ، يوجه معنى قوله ( وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ) إلى : وفيه يستجون من الجذب والقحط بالغيث ، ويزعم أنه من العَصْر ، والعَصْر التي بمعنى المنجاة من قول أبي زيد الطائي :

صَادِيَا يَسْتَعِيثُ غَسِيرَ مُغَاثٍ وَلَقَدْ كَانَ عَصْرَةَ الْمَجْنُونِ

أى المقهور ، ومن قول لبيد :

(١) البيت لأبي زيد الطائي : (اللسان : عصر) قال : وقال أبو عبيدة : هو في العصر ، بالتحريك ، وهو المنجاة والعصرة والمعنصر والمعصر ، بفتح العين وتشديد الصاد المفتوحة ، قال لبيد . « وما كان وقافاً يدار معصر » . وقال أبو زيد : صاديا . أي كان ملجأ المكروب .



فَبَاتَ وَأَسْرَى الْقَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ وَمَا كَانَ وَقَافًا بَغْسِيرٍ مُعَصِّرًا  
وذلك تأويل يكفى من الشهادة على خطئه خلافاً قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين . وأما القول الذى  
روى الفرج بن فضالة عن على بن أبي طلحة ، فقوله لامعنى له ، لأنه خلاف المعروف من كلام العرب ،  
وخلاف ما يعرف من قول ابن عباس رضى الله عنهما .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الْمَلِكُ: ائْتُونِي بِهِ ، فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْئَلُهُ : مَا بَالُ النِّسْوَةِ

الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ؟ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : فلما رجع الرسول الذى أرسلوه إلى يوسف ، الذى قال ( أَنَا أَنْتَبَشُكُمْ بِنِئَابِيهِ  
فَارْسِلُونِ ) فأخبرهم بتأويل رؤيا الملك عن يوسف ، علم الملك حقيقة ما أفناه به من تأويل رؤياه ، وصحة  
ذلك ، وقال الملك : اتنوني بالذى عَبرَ رؤياى هذه .

كالذى حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فخرج «نبو» من عند يوسف بما  
أفناه به من تأويل رؤيا الملك ، حتى أتى الملك ، فأخبره بما قال ، فلما أخبره بما فى نفسه بمثل النهار ،  
وعرف أن الذى قال كائن ، كما قال ، قال اتنوني به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : لما أتى الملك رسوله ، قال :  
اتنوني به :

وقوله ( فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ ) يقول : فلما جاءه رسول الملك يدعوه إلى الملك ( قَالَ ارْجِعْ إِلَى  
رَبِّكَ ) يقول : قال يوسف للرسول : ارجع إلى سيدك ( فَاسْأَلَهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّائِي قَطَعْنَ  
أَيْدِيَهُنَّ ) وأبى أن يخرج مع الرسول وإجابة الملك حتى يعرف صحة أمره عندهم مما كانوا قذفوه به من  
شأن النساء ، فقال للرسول : سل الملك ما شأن النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، والمرأة التي سجنت بسببها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ ) قَالَ ارْجِعْ إِلَى  
رَبِّكَ ، فَاسْأَلَهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّائِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ) والمرأة التي سجنت بسبب أمرها عما كان  
من ذلك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : لما أتى الملك رسوله فأخبره  
( قَالَ ائْتُونِي بِهِ ) فلما أتاه الرسول ودعاه إلى الملك ، أبى يوسف الخروج معه ، وقال ( ارْجِعْ إِلَى  
رَبِّكَ فَاسْأَلَهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّائِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ) . . . الآية ، قال ابن عباس :

(١) البيت للبيد . وقد أورد اللسان الشطر الثانى منه كما نقلناه فى الشاهد قبله . والرواية فيه : « بدار معصر » فى مكان :  
« بغير معصر » . ونقل التاج البيت كاملاً ورواية الشطر الثانى كرواية اللسان .

لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملكُ بشأنه ، ما زالت في نفس العزيز منه حاجة ، يقول : هذا الذي راود امرأته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن رجل ، عن أبي الزناد ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَرْحَمُ اللهُ يُوسُفَ إِنْ كَانَ ذَا أُنَاةٍ ، لَوْ كُنْتُ أَنَا الْمُحْتَبُوسَ ، ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَىَّ ، تَخَرَّجْتُ سَرِيحًا ، إِنْ كَانَ لِحَلِيمَا ذَا أُنَاةٍ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ ثُمَّ جَاءَنِي الدَّاعِي لِأَجْبَتُهُ ، إِذْ جَاءَهُ الرَّسُولُ ، فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ ، فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّائِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ » . . . الآية .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني سليمان بن بلال ، عن محمد ابن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنا زكريا بن أبان المقرئ ، قال : ثنا سعيد بن تليد ، قال : ثنا عبد الرحمن بن القاسم ، قال : ثنا بكر بن مضر ، عن عمرو بن الحارث ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن . وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لِأَجْبَتِ الدَّاعِي » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا حماد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرأ هذه الآية ( ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّائِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ، إِنْ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ) . قال النبي صلى الله عليه وسلم لَوْ كُنْتُ أَنَا لِأَسْرَعْتُ الْإِجَابَةَ ، وَمَا ابْتَغَيْتِ الْعُذْرَ » .

حدثني المنفي ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ومحمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه قرأ ( ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّائِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ) . . . الآية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لَوْ بُعِثَ إِلَىَّ لِأَسْرَعْتُ فِي الْإِجَابَةِ ، وَمَا ابْتَغَيْتِ الْعُذْرَ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ وَصَبْرِهِ وَكِرَمِهِ ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ، حِينَ سُئِلَ عَنِ الْبَقَرَاتِ الْعِجَافِ وَالسَّمَانِ ، وَلَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ ، مَا أَخْبَرْتَهُمْ بِشَيْءٍ حَتَّى أَسْتَرِطَّ أَنْ يُخْرِجُونِي ، وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ وَصَبْرِهِ وَكِرَمِهِ ،



وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ حِينَ آتَاهُ الرَّسُولُ ، وَلَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ لَبَادَرْتَهُمُ الْبَابَ ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْعَذْرُ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ ) أراد نبي الله صلى الله عليه وسلم أن لا يخرج حتى يكون له العذر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّائِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ) قال : أراد يوسف العذر قبل أن يخرج من السجن . وقوله ( إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ) يقول : إن الله تعالى ذكره ذو علم بصنيعهن وأفعالهن التي فعلن في ويفعلن بغيري من الناس ، لا يخفى عليه ذلك كله ، وهو من وراء جزأهن على ذلك . وقيل : إن معنى ذلك : أن سيدي إطفير العزيز زوج المرأة التي راودتني عن نفسي ، ذو علم ببراءتي مما قذفتني به من سوء

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ ؟ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ، قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْتُنَّ حَصْحَصَ الْحَقُّ ، أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١)

وفي هذا الكلام متروك ، قد استغنى بدلالة ما ذكر عليه عنه . وهو : فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته ، فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، وامرأة العزيز ، فقال ذن ( ما خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ ) ؟

كالذي حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فلما جاء الرسول الملك من عند يوسف بما أرسله إليه جميع النسوة ( وقال ما خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ ) ويعني بقوله ( ما خَطْبُكُنَّ ) ما كان أمركن ، وما كان شأنكن إذ راودتن يوسف عن نفسه ، فأجبهه ( فقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ، قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ) تقول : الآن تبين الحق ، وانكشف فظهر ( أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ) وإن يوسف لمن الصادقين في قوله ( هِيََ ارَاوَدْتَنِي عَنِ نَفْسِي ) .

وبمثل ما قلنا في معنى ( الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ) قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ) قال : تبين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ) تبين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ،  
عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الآن حَصَّحَصَّ الْحَقُّ) (الآن تبين الحق).  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (الآن حَصَّحَصَّ  
الْحَقُّ) قال : تبين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (الآن حَصَّحَصَّ  
الْحَقُّ) قال : تبين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى ، مثله .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، مثله .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قالت راعيل امرأة إطفير العزيز (الآن  
حَصَّحَصَّ الْحَقُّ) : أرى الآن برز الحق وتبين (أنا راودته عن نفسه ، وإنه لمن الصادقين)  
فيا كان قال يوسف ، مما ادّعت عليه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : قال الملك اثنتونى بين ، فقال :  
( ما حَطَّبُكُنْ إِذْ رَاوَدْتُنْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ؟ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ) ،  
ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه ، ودخل معها البيت ، وحل سراويله ، ثم شدة بعد ذلك ،  
فلا تدري ما بدا له ، فقالت امرأة العزيز : (الآن حَصَّحَصَّ الْحَقُّ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الآن حَصَّحَصَّ الْحَقُّ)  
تبين . وأصل حَصَّحَصَّ : حَصَّ ؛ ولكن قيل : حَصَّحَصَّ ، كما قيل : فكَبُّكِبُوا فِي كِبْوًا . وقيل :  
كفكف في كف ، وذُرْذَرٌ فِي ذَرٍّ . وأصل الحص : استئصال الشيء ، يقال منه : حَصَّ شعره : إذا  
استأصله جزاً ، وإنما أريد في هذا الموضع : حَصَّحَصَّ الْحَقُّ : ذهب الباطل والكذب ، فانقطع ، وتبين  
الحق فظهر .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَىٰ لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) \*

\* يعني بقوله ( ذلك لِيَعْلَمَ أَتَىٰ لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ) هذا الفعل الذي فعلته ، من ردّي رسول الملك



إليه ، وتركى إجابته والخروج إليه ، ومسألتي إياه أن يسأل النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، عن شأنهن إذ قطعن أيديهن ، إنما فعلته ليعلم أني لم أخنه في زوجته بالغيب : يقول : لم أركب منها فاحشة في حال غيبته عني ، وإذا لم يركب ذلك بمغيبه ، فهو في حال مشهده إياه أحرى أن يكون بعيدا من ركوبه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يقول يوسف ( ذلك ليَعْلَمَ ) إطفير سیده ( أتى كم أخنه بالغيب ) : أني لم أكن لأخالفه إلى أهله من حيث لا يعلمه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ذلك ليَعْلَمَ ) أتى كم أخنه بالغيب ) يوسف يقوله .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ذلك ليَعْلَمَ ) أتى كم أخنه بالغيب ) يوسف يقوله : لم أخن سيدي .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ذلك ليَعْلَمَ ) أتى كم أخنه بالغيب ) قال يوسف يقوله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( ذلك ليَعْلَمَ ) أتى كم أخنه بالغيب ) قال : هذا قول يوسف .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ، في قوله ( ذلك ليَعْلَمَ ) أتى كم أخنه بالغيب ) هو يوسف ، يقول : لم أخن الملك بالغيب .

وقوله ( وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ) يقول : فعلت ذلك ليعلم سيدي أني لم أخنه بالغيب ، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين : يقول : وأن الله لا يسدّد صنيع من خان الأمانات ، ولا يرشد فعالمهم في خيانتهموها ،

واتصل قوله ( ذلك ليَعْلَمَ ) أتى كم أخنه بالغيب ) بقول امرأة العزيز ( أنا رأودتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ) المعرفة السامعين لعنا ، كاتصال قول الله تعالى ( وكذلك يَفْعَلُونَ ) بقول المرأة ( وجعلوا أعزة أهلها أذلة ) ، وذلك أن قوله ( وكذلك يَفْعَلُونَ ) خبر مبتدأ ، وكذلك قول فرعون

لأصحابه في سورة الأعراف ( فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ) وهو متصل بقول الملأ ( يريدُ أن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ) .

والله أعلم :

تم الجزء الثاني عشر من تفسير الإمام ابن جرير الطبري

وبليه الجزء الثالث عشر

وأوله : القول في تأويل قوله تعالى ( وَمَا أُبْرَىٰ نَفْسِي )

# جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

## نَافِلَاتِ الْقُرْآنِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .  
قرآن كريم  
« ما أعلم على آدم الأرض أعلم  
من ابن جرير » .  
محمد بن إسحاق بن عزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المنوفى سنة ٣١٠هـ

الجزء الثالث عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصير



كتاب التبريد

٥٥

كتاب التبريد

هذا الكتاب هو من كتب  
الشيخ الفاضل  
الشيخ الفاضل  
الشيخ الفاضل

مستفاد

كتاب التبريد

كتاب التبريد

كتاب التبريد

كتاب التبريد

كتاب التبريد

كتاب التبريد

فهارس الجزء الثالث عشر

من

جامع البيان ، عن تاويل آى القرآن

لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .



## ١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٣	وما أبرئ نفسي . . .	١	٧٦	فبدأ بأوعيتهم . . .	٢٣
٥٤	وقال الملك اتوني به . . .	٣	٧٧	قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له . . .	٢٨
٥٥	قال اجعلني على خزائن الأرض . . .	٤	٧٨	قالوا يا أيها العزيز . . .	٣١
٥٦	وكذلك مكنا ليوسف في الأرض . . .	٦	٧٩	قال معاذ الله أن نأخذ . . .	٣٢
٥٧	ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا . . .	٧	٨٠	فلما استياسوا منه خلصوا نجيا . . .	٣٢
٥٨	وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه . . .	٧	٨١	ارجعوا إلى أبيكم . . .	٣٥
٥٩	ولما جهزهم بجهازهم قال اتوني . . .	٨	٨٢	واسأل القرية التي كنا فيها . . .	٣٧
٦٠	فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي . . .	٨	٨٣	قال بل سوئت لكم أنفسكم أمرا . . .	٣٧
٦١	قالوا ستراد عنه أباه . . .	٨	٨٤	وتولى عنهم وقال . . .	٣٨
٦٢	وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم . . .	٨	٨٥	قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف . . .	٤٠
٦٣	فلما رجعوا إلى أبيهم . . .	٩	٨٦	قال إنما أشكو بثي . . .	٤٥
٦٤	قال هل آمنكم عليه . . .	١٠	٨٧	يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف . . .	٤٨
٦٥	ولما فتحو متاعهم وجدوا بضاعتهم . . .	١١	٨٨	فلما دخلوا عليه . . .	٤٩
٦٦	قال لن أرسله معكم . . .	١٢	٨٩	قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف . . .	٥٤
٦٧	وقال يا بني لا تدخلوا من باب . . .	١٣	٩٠	قالوا أمهلك لأنت يوسف . . .	٥٥
٦٨	ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم . . .	١٤	٩١	قالوا تالله لقد آثرك الله علينا . . .	٥٥
٦٩	ولما دخلوا على يوسف . . .	١٥	٩٢	قال لا تثريب عليكم اليوم . . .	٥٦
٧٠	فلما جهزهم بجهازهم . . .	١٦	٩٣	اذهبوا بقميصي هذا . . .	٥٧
٧١	قالوا وأقبلوا عليهم . . .	١٨	٩٤	ولما فصلت العير قال أبوهم . . .	٥٧
٧٢	قالوا نفيق صواع الملك . . .	١٨	٩٥	قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم . . .	٦١
٧٣	قالوا تالله لقد علمتم . . .	٢١	٩٦	فلما أن جاء البشير . . .	٦٢
٧٤	قالوا فما جزاؤه . . . ؟	٢٢	٩٧	قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا . . .	٦٤
٧٥	قالوا جزاؤه من وجد في رحله . . .	٢٢	٩٨	قال سوف أستغفر لكم . . .	٦٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٩٩	فلما دخلوا على يوسف . . .	٦٥	١٤	له دعوة الحقّ والذين يدعون . . .	١٢٨
١٠٠	ورفع أبويه على العرش . . .	٦٥	١٥	ولله يسجد من فى السموات . . .	١٣١
١٠١	ربّ قد آتيتنى من المُلْك . . .	٧٢	١٦	قل من ربّ السموات والأرض . . .	١٣٢
١٠٢	ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك . . .	٧٥	١٧	أنزل من السماء ماء . . .	١٣٤
١٠٣	وما أكثر الناس ولو حرصت . . .	٧٦	١٨	للذين استجابوا لربهم الحسنى . . .	١٣٨
١٠٤	وما تسئلهم عليه من أجر . . .	٧٦	١٩	أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك . . .	١٣٩
١٠٥	وكأين من آية فى السموات . . .	٧٦	٢٠	الذين يوفون بعهد الله . . .	١٣٩
١٠٦	وما يؤمن أكثرهم بالله . . .	٧٧	٢١	والذين يصلون ما أمر الله به . . .	١٣٩
١٠٧	أفأمنوا أن تأتيهم غاشية . . .	٧٩	٢٢	والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم . . .	١٤٠
١٠٨	قل هذه سبيلى أدعو إلى الله . . .	٧٩	٢٣	جنات عدن يدخلونها . . .	١٤١
١٠٩	وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا . . .	٨٠	٢٤	سلام عليكم بما صبرتم . . .	١٤١
١١٠	حتى إذا استيأس الرسل . . .	٨١	٢٥	والذين ينقضون عهد الله . . .	١٤٣
١١١	لقد كان فى قصصهم عبرة . . .	٨٩	٢٦	الله يسطر الرزق لمن يشاء . . .	١٤٣
<u>سورة الرعد</u>					
١	المَرَّتْلك آيات الكتاب . . .	٩١	٢٧	ويقول الذين كفروا . . .	١٤٤
٢	الله الذى رفع السموات . . .	٩٣	٢٨	الذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم . . .	١٤٥
٣	وهو الذى مدّ الأرض . . .	٩٥	٢٩	الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٤٥
٤	وفى الأرض قطع متجاورات . . .	٩٦	٣٠	كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت . . .	١٥٠
٥	وإن تعجب فعجب قولهم . . .	١٠٣	٣١	ولو أن قرآنا سيرت به الجبال . . .	١٥١
٦	ويستمعلونك بالسيئة قبل الحسنة . . .	١٠٥	٣٢	ولقد استهزئ برسل من قبلك . . .	١٥٨
٧	ويقول الذين كفروا . . .	١٠٦	٣٣	أفمن هو قائم على كلّ نفس . . .	١٥٨
٨	الله يعلم ما تحمل كل أنثى . . .	١٠٩	٣٤	لم عذاب فى الحياة الدنيا . . .	١٦١
٩	عالم الغيب والشهادة . . .	١١٣	٣٥	مثل الجنة التى وعد المتقون . . .	١٦١
١٠	سواء منكم من أسرّ القول . . .	١١٣	٣٦	والذين آتيناهم الكتاب يفرحون . . .	١٦٣
١١	له معقبات من بين يديه . . .	١١٤	٣٧	وكذلك أنزلناه حكما عربيا . . .	١٦٤
١٢	هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا . . .	١٢٣	٣٨	ولقد أرسلنا رسلا من قبلك . . .	١٦٥
١٣	ويسبح الرعد بحمده . . .	١٢٣	٣٩	يمحو الله ما يشاء ويثبت . . .	١٦٥
			٤٠	وإما نرينك بعض الذى نعدهم . . .	١٧٢
			٤١	أولم يروا أنا تأتى الأرض . . .	١٧٢



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٢	وقد مكر الذين من قبلهم . . .	١٧٥	٢٥	تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها . . .	٢٠٣
٤٣	ويقول الذين كفروا لست مرسلًا . . .	١٧٦	٢٦	ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة . . .	٢١٠
تفسير سورة إبراهيم عليه السلام					
١	الرّ كتاب أنزلناه إليك . . .	١٧٩	٢٧	يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت . . .	٢١٣
٢	الله الذي له ما في السموات . . .	١٧٩	٢٨	ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله . . .	٢١٩
٣	الذين يستحبون الحياة الدنيا . . .	١٨٠	٢٩	جهنم يصلونها وبئس القرار . . .	٢١٩
٤	وما أرسلنا من رسول . . .	١٨١	٣٠	وجعلوا لله أندادا . . .	٢٢٣
٥	ولقد أرسلنا موسى بآياتنا . . .	١٨٢	٣١	قل لعبادي الذين آمنوا . . .	٢٢٤
٦	وإذ قال موسى لقومه . . .	١٨٤	٣٢	الله الذي خلق السموات والأرض . . .	٢٢٥
٧	وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم . . .	١٨٥	٣٣	ونخز لكم الشمس والقمر . . .	٢٢٥
٨	وقال موسى : إن تكفروا . . .	١٨٦	٣٤	وآتاكم من كل ما سألتموه . . .	٢٢٥
٩	ألم يأتكم نبيّ الذين من قبلكم . . .	١٨٧	٣٥	وإذ قال إبراهيم رب اجعل . . .	٢٢٧
١٠	قالت رسالهم أفي الله شك . . .	١٩٠	٣٦	رب إنهم أضلّون كثيرا من الناس . . .	٢٢٧
١١	قالت لهم رسالهم إن نحن إلا بشر . . .	١٩٠	٣٧	ربنا إني أسكنت من ذريتي . . .	٢٢٩
١٢	وما لنا ألا نتوكل على الله . . .	١٩١	٣٨	ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن . . .	٢٣٥
١٣	وقال الذين كفروا لرسالهم . . .	١٩١	٣٩	الحمد لله الذي وهب لي على الكبر . . .	٢٣٥
١٤	ولنسكنكنم الأرض من بعدهم . . .	١٩١	٤٠	رب اجعلني مقيم الصلاة . . .	٢٣٥
١٥	واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد . . .	١٩٣	٤١	ربنا اغفر لي ولوالدي . . .	٢٣٦
١٦	من ورائه جهنم . . .	١٩٤	٤٢	ولا تحسبن الله غافلا . . .	٢٣٦
١٧	يتجرّعه ولا يكاد يسيغه . . .	١٩٤	٤٣	مهطعين مقنعي رءوسهم . . .	٢٣٦
١٨	مثل الذين كفروا بربهم . . .	١٩٦	٤٤	وأنذر الناس يوم يأتهم العذاب . . .	٢٤١
١٩	ألم تر أن الله . . .	١٩٨	٤٥	وسكنتم في مساكن الذين ظلموا . . .	٢٤٣
٢٠	وما ذلك على الله بعزيز . . .	١٩٨	٤٦	وقد مكروا مكروهم . . .	٢٤٤
٢١	وبرزوا لله جميعا . . .	١٩٩	٤٧	فلا تحسبن الله مخلف وعده . . .	٢٤٨
٢٢	وقال الشيطان لما قضي الأمر . . .	٢٠٠	٤٨	يوم تبدل الأرض غير الأرض . . .	٢٤٩
٢٣	وأدخل الذين آمنوا . . .	٢٠٣	٤٩	وترى المجرمين يومئذ مقرّنين . . .	٢٥٤
٢٤	ألم تر كيف ضرب الله مثلا . . .	٢٠٣	٥٠	سرايلهم من قطران . . .	٢٥٤
			٥١	ليجزى الله كل نفس ما كسبت . . .	٢٥٤
			٥٢	هذا بلاغ للناس . . .	٢٥٨

## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٨٢	١
تأويل قوله تعالى « حتى إذا استياس الرسل » ... الآية ، وما كان عليه الرسل وأتباعهم .	تأويل قوله تعالى « وما أبرئ نفسي » : الآية ، وسبب قول يوسف لها .
٨٩	٤
العبارة التي في قصص يوسف وإخوته .	منزلة يوسف عند الملك وتسليمه أموره إليه .
٩١	٧
<u>تفسير سورة الرعد</u>	الأسباب التي دعت إخوة يوسف للدخول مصر حتى عرفهم ولم يعرفوه .
٩٣	١١
تأويل قوله تعالى « الذي رفع السموات » ... الآية ، وبيان أن السموات لا محمد لها تري .	ما فعله يوسف بإخوته من الإكرام ليحملهم على العود إليه ثانيا .
٩٧	١٣
تأويل قوله تعالى « وفي الأرض قطع » ... الآية ، وما في ذلك من الدلالة على واجب الوجود .	ما كان يخشاه يعقوب على بنيه ، ولأجله أمرهم بالتفرق في الدخول .
١٠٥	١٥
ما كانت تطلبه قريش من نزول العذاب .	ما أكرم به يوسف أخاه عند مجيئه .
١٠٩	٢٢
تأويل قوله تعالى : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى » ... الآية ، والسبب في زيادة الحمل ونقصه .	جزاء السارق في شريعة يعقوب .
١١٥	٢٨
الملائكة التي تتعاقب على الإنسان .	ما فعله يوسف وسماه إخوته به سارقا .
١٢٤	٣٣
ما ينبغي أن يقال عند سماع الرعد .	ذكر كبير إخوة يوسف ، وبيان أن كبيرهم في العقل ، غير كبيرهم في السن .
١٢٦	٣٩
ماتمّ لعامر بن الطفيل وأريد مع رسول الله :	فضيلة الاسترجاع .
تأويل قوله تعالى « أنزل من السماء ماء » ... الآية ، وما فيها من الأمثال .	٤٦
١٤٣	٤٩
بيان أكبر الكبائر ، وأن منها قطعة الرحم .	ما بلغه حزن يعقوب ، وما له عليه من الأجر .
١٤٥	٤٩
ما ورد في شجرة طوبى .	تأويل قوله تعالى « فلما دخلوا عليه » .. الآية .
١٥٥	٥٠
تأويل قوله تعالى « ولا يزال الذين كفروا » ... الآية ، وأن وعد الله هو فتح مكة .	معنى مُزْجَاة .
	٥٣
	٥٧
	٦٤
	٦٩
	٧٣
	ربه من تعجيل موته .



الصفحة	الصفحة
٢٠٣	١٦٥
تأويل قوله تعالى « وأدخل الذين آمنوا » ... الآية ، وبيان الكلمة الطيبة وضدّها .	تأويل قوله تعالى « يمحو الله ما يشاء » . . . الآية ، والاختلاف في المحو والإثبات .
٢١٣	١٧٦
تثبيت المؤمن في القبر وتزلزل الكافر .	بيان أن بعض اليهود والنصارى كانوا مقرّين برسالته .
٢١٩	١٧٩
من هم الذين بدلوا نعمة الله من قريش ؟	تفسير سورة إبراهيم عليه السلام
٢٢٩	١٨٢
أمّ إسماعيل أوّل من سعى بين الصفا والمروة ، وما تمّ لها هي وابنها حين تركهما إبراهيم عليه السلام بمكة .	بيان أن الأيام يعبر بها عن النعم ، وذكر الشواهد .
٢٣٦	١٨٧
تأويل قوله تعالى « إنما يؤخرهم ليوم » .. الآية .	بيان أنه مضت أم لا يعلمها إلا الله ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : كذب النسابون .
٢٤٠	١٨٤
معنى كون الأفتدة هواء ، والشواهد في ذلك .	تأويل قوله تعالى « من ورائه جهنم » . . . الآية ، وحال أهل النار .
٢٤٤	٢٠٠
قصة الذي حاج إبراهيم في ربه .	بيان أن إبليس وعيسى يقومان خطيبين يوم القيامة ، وشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام .
٢٤٩	
بيان معنى تبدل الأرض يوم القيامة . . .	
٢٥٤	
تأويل قوله تعالى « وترى المجرمين » . . .	
الآية ومعنى الأصفاد . . الخ ، والشواهد على ذلك .	

## ٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	القافية	الصفحة	الصفحة	القافية
٢١٩	بُورُ				ا
٣٠	الصدْرُ		ح		
١٠٤	سائِرُ	٤٢	قَادِحُ	١٨٥	الشَّوَاءُ
٢٤١	مُكَاسِرَةٌ	٢٥٦	والمُسُوْحَا	٢٤١	هَوَاءُ
٩٦	بالفِهْرِ	٢٤٢	فَتَسْرِيحًا	٩٤	وتنكأها
١٦٣	كافِرٍ		د	٢٥٦	بجراها
٦٩	العَمَارَا				ب
١٩٢	بِقَيْصِرَا	١٦٢	مُرْصَدٌ	١٨٩	أَرْغَبُ
١٩٢	فَنُعَدْرَا	٣٣	شُهُودٌ	١٩٨	نَدَبُ
	س	١٢١	لَا تَعُدُّ	٢٣٨	مُشَدَّبُ
١٩٧	تَشْمِسَا	١٢٩	بِالْيَدِ	١٨٠	الذَّيْبِ
١٥٢	أَنْفُسَا	١٢٦ . ١٢٠	التَّجَدُّ	١١٣	قَرِيبِ
	ض	٢٥٥	بِالصَّفَدِ	١٢٢	وَتَعْقِيبِ
٤٣	مَرِيضِ	٩٣	وَالعَمَدِ	٥	عَوَازِبِ
٤٣	مُخْرَضَا	٨٧	المُسَرَّدِ	١٨٣	الكَوَاكِبِ
	ع	٥٩	بِمَرْدُودِ	٥٥	وَحَابَا
٤١	تَرْفَعُ	٢٥٦	قَائِدَا	٢٢٨	الصَّعَابَا
٤١	وَتَقَطُّعُ	٥٩	أَفْنَدَا		ث
٢٣٨	مُمْنَعُ	٦١	التَّفْنِيدَا	١١	تُعْيِيْتُ
٢٤٨	أَجْمَعُ		ر		ج
١٣٧	الْمَتَاعُ	١٢٢	مُرٌ	٣٣	النَّحْبِي
		١٦٢	مُسْتَهْمِرٌ		



الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٢٢٨	مَلْثَمَةٌ	١٦٣	الشَّمَالِ	٢٣٨	الوَقْبِعِ
١٥٣	زَهْدَمِ	١٥٩	أُمِّ عَالِ	١٩٢	صَنَعَا
٥٠	صِرْمَا	١٥٩	تَنْبَالِ	١٥٢	مَدْفَعَا
٢١	زَعِيمَا	١٥٩	السَّرْبَالِ	٢٣٨	أَطْمَعَا
		١٥٩	الليالي	١٩٧	مُضَاعَا
	ن	١٥٩	مالِ		
١٩٤	دُونِي	١٣٢	بالأصائلِ	ف	
١٢٩	دُونِي	٤٢	وأوصالي	١٩٧	كاسِفُ
٨١	هَجِينِ	٢٥٥	سيربالي	ك	
٨١	اليقينِ	٥٠	أرْمَلَا		عليكما
١٥٨	المكّوانِ	١٢٧	والمِحَالَا	١٦٢	
١٥٨	المتباطينِ	٥٠	أطفالها	ل	
١٨٣	نَدِينَا				الكَسَلِ
٢٥٤	مُصَقَّدِينَا	٩٢	المُزْدَحَمِ	٢٤٩	أَنَامِلُهُ
	ي	٤٢	السَّقَمِ	١٢٩	بَعْسِيلِ
٩٤	واللياليَا	١٢٢	المظلومِ	٢٤٨	المِحَالِ
٩٤	آلِيَا	٢١	زَعِيمِ	١٢٧	قَالِي
١٥٣	نَائِيَا	١٥٤	أَعْصَامُهَا	٢٢٤	الهِلَالِ
				١٦٣	

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ، إِنَّ رَبِّي غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ﴾ (٥٣)

يقول يوسف صلوات الله عليه (وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِي) من الخطأ والزلل فأزكيتها (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ) يقول: إن النفوس نفوس العباد تأمرهم بما تهواه، وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله (إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) يقول إلا أن يرحم ربي من شاء من خلقه، فينجيه من اتباع هواها، وطاعته فيها تأمره به من السوء (إِنَّ رَبِّي غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ). و«ما» في قوله (إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) في موضع نصب، وذلك أنه استثناء منقطع عما قبله، كقوله (وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا) بمعنى: إلا أن يرحموا، وأن إذا كانت في معنى المصدر تضارع «ما».

وبعنى بقوله (إِنَّ رَبِّي غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ): إن الله ذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه، بتركة عقوبته عليها، وفضيحتة بها، رحيم به بعد توبته أن يعذبه عليها. وذكر أن يوسف قال هذا القول، من أجل أن يوسف لما قال (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى كَمْ أَخُنْتُهُ بِالْغَيْبِ) قال ملك من الملائكة: ولا يوم هممت بها؟ فقال يوسف حينئذ (وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ). وقد قيل: إن القائل ليوسف: ولا يوم هممت بها، فحللت سراويلك، هو امرأة العزيز، فأجابها يوسف بهذا الجواب. وقيل: إن يوسف قال ذلك ابتداء من قبيل نفسه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما جمع الملك النسوة، فسألن: هل (رَأَوْدْتُنَّ يُوْسُفَ عَن نَّفْسِهِ؟ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ، قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيْزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ). الآية، قال يوسف (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى كَمْ أَخُنْتُهُ بِالْغَيْبِ). قال: فقال له جبرئيل: ولا يوم هممت بما هممت، فقال (وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ).



حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أنى ، عن إسرائيل ، عن سيبك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما جمع الملك النسوة ، قال لمن : أنتن راودتن يوسف عن نفسه ؟ ثم ذكر سائر الحديث ، مثل حديث أبي كريب ، عن وكيع .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا إسرائيل عن سيبك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما جمع الملك النسوة ، قال : أنتن راودتن يوسف عن نفسه ، ثم ذكر نحوه ، غير أنه قال : فغمزه جبرائيل ، فقال : ولا حين هممت بها ؟ فقال يوسف ( وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أنى ، عن مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما قال يوسف ( ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى كَمْ أَخْنُفُهُ بِالْغَيْبِ ) ، قال جبرئيل ، أو ملك : ولا يوم هممت بما هممت به ؟ فقال ( وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ) .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير بنحوه ، إلا أنه قال : قال له الملك : ولا حين هممت بها ؟ ولم يقل : أو جبرئيل ، ثم ذكر سائر الحديث مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر وأحمد بن بشير ، عن مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ( ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى كَمْ أَخْنُفُهُ بِالْغَيْبِ ) ، قال : فقال له الملك ، أو جبرئيل : ولا حين هممت بها ؟ فقال يوسف : ( وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، قال : لما قال يوسف ( ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى كَمْ أَخْنُفُهُ بِالْغَيْبِ ) قال له جبرئيل : ولا يوم هممت بما هممت به ؟ فقال : ( وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أنى ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، بمثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، مثل حديث ابن وكيع ، عن محمد بن بشر وأحمد بن بشير ، سواء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، وزيد بن حباب ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن الحسن ( ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى كَمْ أَخْنُفُهُ بِالْغَيْبِ ) قال له جبرئيل : اذكر همك ، فقال : ( وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت ، عن الحسن ( ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى كَمْ أَخْنُفُهُ بِالْغَيْبِ ) قال جبرئيل : يا يوسف اذكر همك ، قال ( وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ، في قوله ( ذَلِكَ لِيَعْلَمَ

أَتَى كَمْ أَخْنُهُ بِالغَيْبِ ) قال : هذا قول يوسف ، قال : فقال له جبرئيل : ولا حين حللت سراويلك ؟ قال : فقال يوسف ( وَمَا أُبْرِي نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ) . . . الآية .

حدثني المنفي ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ، بنحوه . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى كَمْ أَخْنُهُ بِالغَيْبِ ) ذكر لنا أن الملك الذي كان مع يوسف ، قال له : اذكر ما هممت به ، قال نبي الله : ( وَمَا أُبْرِي نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغني أن الملك قال له حين قال ما قال : أتذكر همك ؟ فقال : ( وَمَا أُبْرِي نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله ( ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى كَمْ أَخْنُهُ بِالغَيْبِ ) قال الملك : وطعن في جنبه ، يا يوسف ، ولا حين هممت ؟ قال : فقال : ( وَمَا أُبْرِي نَفْسِي ) .

#### ذكر من قال قائل ذلك له المرأة

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ( ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى كَمْ أَخْنُهُ بِالغَيْبِ ) قال : قاله يوسف حين جرى به ليُعْلِمَ العزيز أنه لم يخنه بالغيب في أهله ، ( وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ) فقالت امرأة العزيز : يا يوسف ، ولا يوم حلتك سراويلك ؟ فقال يوسف ( وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ) .

ذكر من قال قائل ذلك يوسف لنفسه ، من غير تذكير مذكّر ذكره ،

ولكنه تذكّر ما كان سكت منه في ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى كَمْ أَخْنُهُ بِالغَيْبِ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ) هو قول يوسف للملك حين أراه الله عذره ، فذكره أنه قد همّ بها وهمت به ، فقال يوسف ( وَمَا أُبْرِي نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ) . . . الآية .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الْمَلِكُ : أَتُونِي بِهِ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي ، فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ : إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا

مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤)



يقول تعالى ذكره : وقال الملك : يعنى ملك مصر الأكبر ، وهو فيما ذكر ابن إسحاق : الوليد بن الريان .  
حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عنه : حين تبين عذر يوسف ، وعرف أمانته وعلمه ، قال  
لأصحابه ( ائْتُونِي بِهِ اسْتَخْلِيصُهُ لِنَفْسِي ) يقول : أجعله من خلصائي دون غيري .  
وقوله ( فَلَمَّا كَلَّمَهُ ) يقول : فلما كلم الملك يوسف ، وعرف براءته ، وعظم أمانته ، قال له :  
إنك يا يوسف لدينا مكين أمين : أي متمكن مما أردت ، وعرض لك من حاجة قبيلتنا ، نرفعة مكانك  
ومنزلتك لدينا ، أمين على ما أوتئمت عليه من شيء .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما وجد الملك له عذرا ، قال :  
( ائْتُونِي بِهِ اسْتَخْلِيصُهُ لِنَفْسِي ) .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( اسْتَخْلِيصُهُ لِنَفْسِي ) يقول :  
أأخذته لنفسى .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، ( قالَ الْمَلِكُ  
ائْتُونِي بِهِ اسْتَخْلِيصُهُ لِنَفْسِي ) قال : قال له الملك : إني أريد أن أخلصك لنفسى ، غير أني آتف أن  
تأكل معي ، فقال يوسف : أنا أحق أن آتف ، أنا ابن إسحاق ، أو أنا ابن إسماعيل « أبو جعفر شك » ،  
وفي كتابي : ابن إسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل بنحوه ، غير أنه  
قال : أنا ابن إبراهيم خليل الله ابن إسماعيل ذبيح الله .  
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل  
قال : قال العزيز ليوسف : مامن شيء إلا وأنا أحب أن تشركني فيه ، إلا أني أحب أن لا تشركني في أهلي  
وأن لا يأكل معي عبيدي ، قال : أتأف أن آكل معك ، فأنا أحق أن آتف منك ، أنا ابن إبراهيم خليل  
الله ، وابن إسحاق الذبيح ، وابن يعقوب الذي ابضت عيناه من الحزن .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا سفيان بن عتبة ، عن حمزة الزيات ، عن ابن إسحاق ، عن أبي ميسرة ،  
قال : لما رأى العزيز لبس يوسف وكيسه وطرأه ، دعاه فكان يتغدي ويتعشى معه دون غلمانه ؛ فلما كان  
بينه وبين المرأة ما كان ، قالت له : تدنى هذا ، مره فليتغد مع الغلمان ، قال له : اذهب فتغد مع الغلمان ،  
فقال له يوسف في وجهه : نرغب أن تأكل معي ، أو تنكف ؟ أنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ، ابن  
إسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ، إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥)

يقول جل ثناؤه : قال يوسف للملك : اجعلني على خزائن أرضك ، وهي جمع خزانة ، والألف واللام دخلتا في الأرض خلفا من الإضافة ، كما قال الشاعر :

والأحلامُ غيرُ عَوَازِبِ

وهذا من يوسف صلوات الله عليه مسألة منه للملك أن يوليه أمر طعام بلده وخراجها ، والقيام بأسباب بلده ، ففعل ذلك الملك به فيما بلغني .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( اجعلني على خزائني الأرض ) قال : كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام ، قال : فأسلم سلطانه كله إليه ، وجعل القضاء إليه ، أمره وقضاؤه نافذ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا إبراهيم بن المختار ، عن شيبه الضبي ، في قوله ( اجعلني على خزائني الأرض ) قال : على حفظ الطعام .

وقوله ( إني حفيظٌ عليكم ) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : إني حفيظ لما استودعني ، علم بما وليتني .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( إني حفيظٌ عليكم ) إني حافظ لما استودعني ، علم بما وليتني ، قال : قد فعلت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إني حفيظٌ عليكم ) يقول : حفيظ لما وليت ، علم بأمره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا إبراهيم بن المختار ، عن شيبه الضبي في قوله ( إني حفيظٌ عليكم ) يقول : إني حفيظ لما استودعني ، علم بسني المجاعة .  
وقال آخرون : إني حافظ للحساب ، علم بالألسن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن الأشجعي ( إني حفيظٌ عليكم ) : حافظ للحساب ، علم بالألسن .

وأولى القولين عندنا بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : إني حافظ لما استودعني ، علم بما

(١) هذا جزء من بيت للنايفة النديانية في شعره (عنتار الشعر الجمال ، بشرح مصطلق السقا ، طبعة الخليلي ص ١٦٢) والبيت بتمامه :

كَلِّمْ شَيْمَةَ لَمْ يُعْطِهَا اللهُ غَيْرَهُمْ  
مِنَ الْجُودِ ، وَالْأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ

وهو من قصيدة في مدح بعض آل جفنة غسانة الشام . والأحلام : جمع حلم بالكسر وهو العقل . وعوازب جمع عازب ، وهو الفصال . والشاهد فيه نيابة آل عن المضاف إليه ، أي وأحلامهم .



أوليفتي ، لأن ذلك عَقِيبُ قَوْلِهِ (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ) ومسألته الملك استكفاء خزائن الأرض ، فكان إعلامه بأن عنده خيرة في ذلك ، وكفايته إياه ، أشبه من إعلامه حفظه الحساب ، ومعرفته بالألسن .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ أَهْلَهَا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ؛ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ  
وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره: وهكذا وطأنا ليوسف في الأرض: يعني أرض مصر (يَتَّبِعُونَ أَهْلَهَا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) يقول: يتخذ من أرض مصر منزلاً حيث يشاء . بعد الحبس والضيق (نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ) من خلقنا ، كما أصبنا يوسف بها ، فمكَّنَّا له في الأرض بعد العبودة والإسار ، وبعد الإلقاء في الحب (وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) يقول: ولا نُبطل جزاء عمل من أحسن فأطاع ربه ، وعمل بما أمره وانتهى عما نهاه عنه ، كما لم نُبطل جزاء عمل يوسف ، إذ أحسن فأطاع الله .

وكان تمكين الله ليوسف في الأرض ، كما حدثنا ابن حميد ، ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال: لما قال يوسف للملك (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ، إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ) قال الملك: قد فعلت ، فولاه فيما يذكرون عمل إطفير ، وعزل إطفير عما كان عليه ، يقول الله (وَكذلك مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ، يَتَّبِعُونَ أَهْلَهَا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) ... الآية ، قال: فذكر لي ، والله أعلم ، أن إطفير هلك في تلك الليالي ، وأن الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة إطفير راعيل ، وأنها حين دخلت عليه ، قال: أليس هذا خير مما كنت تريد؟ قال: فيزعمون أنها قالت: أيها الصديق لا تلُمني ، فإنني كنت امرأة كما ترى حسنة وجمالا ، ناعمة في ملك ودنيا ، وكان صاحبي لا يأتي النساء ، وكنت كما جعلك الله في حُسنك وهيبتك ، فغلبتني نفسي على ما رأيت ، فيزعمون أنه وجدها عذراء ، فأصابها ، فولدت له رجلين: أفرائيم بن يوسف ، وميشا بن يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (وَكذلك مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ، يَتَّبِعُونَ أَهْلَهَا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) قال: استعمله الملك على مصر ، وكان صاحب أمرها ، وكان يلى البيع والتجارة ، وأمرها كله ، فذلك قوله (وَكذلك مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ، يَتَّبِعُونَ أَهْلَهَا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) . حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، في قوله (يَتَّبِعُونَ أَهْلَهَا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) قال: ملكناه فيما يكون فيها حيث يشاء من تلك الدنيا ، يصنع فيها ما يشاء ، فوَصَّتْ إليه . قال: ولو شاء أن يجعل فرعون من تحت يديه ، ويجعله فوقه لفعل .

حدثني المثني ، قال: ثنا عمرو ، قال: أخبرنا هشيم ، عن أبي إسحاق الكوفي ، عن مجاهد ، قال: أسلم الملك الذي كان معه يوسف .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا جُرْ إِلَّا خَيْرٌ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧)

يقول تعالى ذكره : ولثواب الله في الآخرة خير للذين آمنوا : يقول : للذين صدقوا الله ورسوله مما أعطى يوسف في الدنيا من تمكينه له في أرض مصر ( وكانوا يَتَّقُونَ ) يقول : وكانوا يتقون الله فيخافون عقابه في خلاف أمره ، واستحلال محارمه ، فيطيعونه في أمره ونهيه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ ، وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : ( وجاء إخوة يوسف ، فدخلوا عليه فعرفهم ) يوسف ، ( وهم له منكرون ) لا يعرفونه .

وكان سبب مجيئهم يوسف فيما ذكر لي ، كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما اطمأن يوسف في ملكه ، وخرج من البلاء الذي كان فيه ، وخلت السنون الخصبية ، التي كان أمرهم بالإعداد فيها للسنين التي أخبرهم بها أنها كائنة ، جهيد الناس في كل وجه ، وضربوا إلى مصر أيلتمسون بها الميرة من كل بلدة ، وكان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد ، قد أسأ بينهم ، وكان لا يحمل للرجل إلا بعيرا واحدا ، ولا يحمل للرجل الواحد بعيرين ، تقسيطا بين الناس ، وتوسيعا عليهم ، فقدم إخوته فيمن قدم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر ، فعرفهم ، وهم له منكرون ، لما أراد الله أن يبلغ ليوسف عليه السلام ما أراد :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : أصاب الناس الجوع ، حتى أصاب بلاد يعقوب التي هوبها ، فبعث بنيه إلى مصر ، وأمسك أخا يوسف بنيامين ، فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون ، فلما نظر إليهم ، قال : أخبروني ما أمركم ؟ فإني أنكبر شأنكم ؟ قالوا : نحن قوم من أرض الشام ، قال : فما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا نمتار طعاما ، قال : كذبتكم ، أنتم عيون ، كم أنتم ؟ قالوا : عشرة ، قال : أنتم عشرة آلاف ، كل رجل منكم أمير ألف ، فأخبروني خبركم ، قالوا : إنا إخوة بنو رجل صديق ، وإنا كنا اثني عشر ، وكان أبونا يحب أختنا ، وإنه ذهب معنا البرية ، فهلك منا فيها ، وكان أحبنا إلى أبينا ، قال : فإلى من سكن أبوكم بعده ؟ قالوا : إلى أخ لنا أصغر منه ، قال : فكيف تخبروني أن أباكم صديق ، وهو يحب الصغير منكم دون الكبير ، ائتوني بأخيك هذا ، حتى أنظر إليه ( فإن لم تأتوني به ، فلا كييل لكم عندى ، ولا تقربون ) ، قالوا سسرأود عنه أباه ، وإنا لتفاعلون ) قال : فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا ، فوضعوا شمعون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وهم له منكرون )

قال : لا يعرفونه .



القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَال: ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ، أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكَيْلِ،  
وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٥٩)

يقول: ولما حمل يوسف لإخوته أباعرهم من الطعام، فأوقر لكل رجل منهم بعيره، قال لهم (ائتوني بأخ لكم من أبيكم) كما أحمل لكم بعيرا آخر، فتردادوا به حمل بعير آخر (ألا ترون أنني أوفي الكيل) فلا أبخسه أحدا (وأنا خير المنزليين)، وأنا خير من أنزل ضيفا على نفسه من الناس بهذه البلدة، فأنا أضيفكم.

كما حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وأنا خير المنزليين) يوسف يقول: أنا خير من يضيف بمصر.

حدثني ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما جهَّز يوسف فيمن جهَّز من الناس، حمل لكل رجل منهم بعيرا بعدهم، ثم قال لهم: (ائتوني بأخ لكم من أبيكم) أجعل لكم بعيرا آخر، أو كما قال (ألا ترون أنني أوفي الكيل): أي لأبخص الناس شيئا (وأنا خير المنزليين): أي خير لكم من غيري، فإنكم إن أتيتهم به، أكرمت منزلتكم، وأحسنتم إليكم، وازددتم به بعيرا مع عيدتكم فإني لا أعطى كل رجل منكم إلا بعيرا (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي، ولا تقربون): لا تقربوا بلدي.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (ائتوني بأخ لكم من أبيكم) يعني بنيامين، وهو أخو يوسف لأبيه وأمه:

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ، فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي، وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل يوسف لإخوته (فإن لم تأتوني به) بأخيكم من أبيكم (فلا كيل لكم عندي) يقول: فليس لكم عندي طعام أكيه لكم (ولا تقربون) يقول: ولا تقربوا بلادي. وقوله (ولا تقربون) في موضع جزم بالنهي، والنون في موضع نصب، وكسرت لما حذفت ياؤها، والكلام: ولا تقربوني.

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا سَنُرَوِّدُ عَنْهُ أَبَاهُ، وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١) وَقَالَ: لِفَتْنِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢)

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : قَالَ إِخْوَةُ يَوْسُفَ لِيَوْسُفَ إِذْ قَالَ لَهُمْ : ( ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ ) ، ( قَالُوا سَنُزَادُكَ عَتَهُ أَبَاهُ ) ونسأله أن يخليه معنا ، حتى نجيبه به إليك ، ( وَإِنَّا لَتَفَاعِلُونَ ) يعنون بذلك : وإنا لفاعلون ما قلنا لك أنا نفعله ، من مرادة أئينا عن أئينا منه ، ولننجهدن .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن سحاق ( وَإِنَّا لَتَفَاعِلُونَ ) لننجهدن .  
وقوله ( وَقَالَ لِغِيثِيَانِهِ اجْعَلُوا بِيضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ) يقول تعالى ذكره : وقال يوسف لغيثيانه : وهم غلماناه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَقَالَ لِغِيثِيَانِهِ ) : أي لغلماناه : ( اجْعَلُوا بِيضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ) يقول : اجعلوا أثمان الطعام الذي أخذتموها منهم في رحالهم : والرحال : جمع رحل ، وذلك جمع الكثير ، فأما القليل من الجمع منه ، فهو أرحل ، وذلك جمع ما بين الثلاثة إلى العشرة .

وبنحو الذي قلنا في معنى البضاعة ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( اجْعَلُوا بِيضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ) : أي أوراقهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم أمر ببضاعتهم التي أعطاهم بها ما أعطاهم من الطعام ، فجعلت في رحالهم وهم لا يعلمون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : وقال لغيثيانه وهو يكيل لهم : اجعلوا ببضاعتهم في رحالهم ، لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم ، لعلهم يرجعون إلى .

فإن قال قائل : ولآية علة أمر يوسف فتيانه أن يجعلوا ببضاعة إخوته في رحالهم ؟ قيل : يحتمل ذلك أوجه : أحدها أن يكون خشي ألا يكون عند أبيه دراهم ، إذ كانت السنة سنة جدب وقحط ، فيضرب أخذ ذلك منهم به ، وأحب أن يرجع إليه ، أو أراد أن يتسع بها أبوه وإخوته ، مع حاجتهم إليه ، فردّه عليهم من حيث لا يعلمون سبب ردّه ، تكرّما وتفضلا . والثالث : وهو أن يكون أراد بذلك ألا يخلّفوه الوعد في الرجوع ، إذا وجدوا في رحالهم ثمن طعام قد قبضوه ، وملكه عليهم غيرهم ، عيوضا من طعامهم ، وينحرجوا من إمساكهم ثمن طعام قد قبضوه ، حتى يؤدّوه على صاحبه ، فيكون ذلك أدعى لهم إلى العود إليه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ ، قَالُوا : يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ ، فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا نَكْتَلْ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣)

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : فَلَمَّا رَجَعِ إِخْوَةُ يَوْسُفَ إِلَىٰ أَبِيهِمْ ، قَالُوا ( يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ ، فَأَرْسِلْ ) جمع ورق بالتحريك ، وهو الفضة . يريد من القمح الذي اشتراه إخوة يوسف ( اللسان ) .



مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلُ ) يقول : منع منا الكيل فوق الكيل الذي كيل لنا ، ولم يُكْتَلْ لكل رجل منا إلا كيل بعير ، فأرسل معنا أخانا بنيامين يكتل لنفسه كيل بعير آخر ، زيادة على كيل أبا عرنا ( وَإِنَّا لَهُ لَخَافِظُونَ ) من أن يناله مكروه في سفره .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي : فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا : يا أبانا ، إن ملك مصر أكرمنا كرامة ما ، لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته ، وإنه ارتهن شمعون وقال : اتنوني بأخيكم هذا الذي عكف عليه أبوكم ، بعد أخيكم الذي هلك ، فإن لم تأتوني به فلا تقرّبوا بلادي . قال يعقوب ( هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ) ، فإله خَيْرٌ حَافِظًا ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ) قال : فقال لهم يعقوب : إذا أتيتم ملك مصر فأقرّبوه مني السلام : وقولوا : إن أبانا يصلّي عليك ، ويدعوك بما أوليتنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : خرجوا حتى قدموا على أبيهم ، وكان منزلهم فيما ذكر لي بعض أهل العلم ، بالعربيات من أرض فلسطين بغور الشام . وبعض يقول : بالأولاج من ناحية الشعب أسفل من حيسمي ، وكان صاحب بادية له شاء وأبل ، فقالوا : يا أبانا ، قدمنا على خير رجل أنزلنا ، فأكرم منزلنا ، وكال لنا فأوفانا ، ولم يبخسنا ، وقد أمرنا أن نأتيه بأخ لنا من أبنائنا ، وقال : إن أنتم لم تفعلوا فلا تقرّبوني ، ولا تدخلن بلدي ، فقال لهم يعقوب ( هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ) ، فإله خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ) .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( نَكْتَلُ ) ، فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة ، وبعض أهل مكة والكوفة : ( نَكْتَلُ ) بالنون ، بمعنى : نكتل نحن وهو . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ( يَكْتَلُ ) بالياء ، بمعنى يكتل هو لنفسه ، كما نكتال لأنفسنا .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، متفقتا المعنى ، فبأبيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب ، وذلك أنهم إنما أخبروا بأبهم ، أنه منعه منهم زيادة الكيل على عدد رؤوسهم ، فقالوا ( يا أبانا مَنِّعَ مِنَّا الْكَيْلُ ) ثم سألوه أن يرسل معهم أخاهم ، ليكتال لنفسه ، فهو إذن اكتال لنفسه ، واكتالوا هم لأنفسهم ، فقد دخل الأخ في عددهم ، فسواء كان الخبر بذلك عن خاصة نفسه ، أو عن جميعهم بلفظ الجميع ، إذ كان مفهوما معنى الكلام ، وما أريد به .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤)

(١) العربيات : جمع عربية ، وهي بلدة في فلسطين نقله صاحب التاج عن صاحب المراد . والأولاج : جمع ولجة ، بالتحريك . قال البكري : موضع بالرميل معروف وهو قريب من أجأ في بلاد طين ، جنوبي الشام .

يقول تعالى ذكره: قال أبوهم يعقوب: هل آمنكم على أخيكم من أبيكم، الذي تسألوني أن أرسله معكم، إلا كما أمنتكم على أخيه يوسف من قبل؟ يقول: من قبله.

واختلفت القراء في قراءة قوله (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا) فقرأ ذلك عامة قراء أهل لمداينة وبعض الكوفيين والبصريين: (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا) بمعنى: والله خيركم حفظا. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض أهل مكة (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا) بالألف، على توجيه الحافظ إلى أنه تفسير للخير، كما يقال: شو خير رجلا، والمعنى: والله خيركم حافظا، ثم حذف الكاف والميم.

والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى: قد قرأ بكل واحد منهما أهل علم بالقرآن، فبأيهما قرأ القارئ فصيب، وذلك أن من وصف الله بأنه خيرهم حفظا، فقد وصفه بأنه خيرهم حافظا، ومن وصفه بأنه خيرهم حافظا فقد وصفه بأنه خيرهم حفظا. (وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) يقول: والله أرحم راحم بخاقه، يرحم ضعيفي على كبر سني، ووحدي بفقد ولدي، فلا يضيعه، ولكنه يحفظه، حتى يردّه على لرحمته.

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَنَّهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ، قَالُوا: يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي، هَذِهِ بِضَاعَتُنَا  
رُدَّتْ إِلَيْنَا، وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ، ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥)

يقول تعالى ذكره: ولما فتح إخوة يوسف متاعهم، الذي حملوه من مصر من عند يوسف، وجدوا بضاعتهم، وذلك ثمن الطعام الذي اكتالوه منه، ردت إليهم (قَالُوا: يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا) يعني أنهم قالوا لأبيهم: ماذا نبغي؟ هذه بضاعتنا ردت إلينا، تطيبها منهم لنفسه، بما صنع بهم في ردت بضاعتهم إليه، وإذا وجّه الكلام إلى هذا المعنى كانت «ما» استفهاما في موضع نصب بقوله: (نَبْغِي)، وإلى هذا التأويل كان يوجه قتادة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (مَا نَبْغِي) يقول: ما نبغي وراء هذا، إن بضاعتنا ردت إلينا، وقد أوفى لنا الكيل. وقوله (وَنَمِيرُ أَهْلَنَا) يقول: ونطلب لأهلنا طعاما، فنشتره لهم، يقال منه: مآر فلان أهله يميرهم مسيرا، ومنه قول الشاعر:

بَعَثْتُكَ مَائِرًا فَكَشِثَ حَوْلًا مَتَى يَأْتِي غِيَاثُكَ مَن تَغِيثُ

(وَنَحْفَظُ أَخَانَا) الذي ترسله معنا (وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ) يقول: ونزداد على أعمالنا الطعام حمل بعير يكال لنا ما حمل بعير آخر من إبلنا (ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) يقول: هذا حمل يسير.

(١) المائر: اسم فاعل من مارة، يقال: مآر عياله وأهله يميرهم ميرا، وامتارهم: جلب لهم الطعام. والميرة بالكسر: الطعام يتارّه الإنسان، وهم يتارون لأنفسهم، ويمرون غيرهم. والميار: جالب الميرة.



كما حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( وَتَزْدَادُ كَيْبِلَ بَعِيرٍ )  
 قال : كان لكل رجل منهم حمل بعير ، فقالوا : أرسل معنا أخانا نزداد حمل بعير .  
 وقال ابن جريج : قال مجاهد ( كَيْبِلَ بَعِيرٍ ) حمل حمار ، قال : وهى لغة ، قال القاسم : يعنى مجاهد :  
 أن الحمار يقال له فى بعض اللغات : بعير .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَتَزْدَادُ كَيْبِلَ بَعِيرٍ ) يقول :  
 حمل بعير .  
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَتَزْدَادُ كَيْبِلَ بَعِيرٍ ) نَعُدُّ بِهِ بَعِيرًا مَعَ إِبِلِنَا  
 ( ذَلِكَ كَيْبِلٌ يَسِيرٌ ) .

### القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لِنَأْتِنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ، فَلَمَّا  
 آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ ، قَالَ : اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦)

يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لبيبة : لن أرسل أخاكم معكم إلى ملك مصر ( حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا  
 مِّنَ اللَّهِ ) يقول : حَتَّى تُعْطُوا مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ ، بمعنى الميثاق ، وهو ما يوثق به من يمين وعهد ( لِنَأْتِنِي بِهِ )  
 يقول لِنَأْتِنِي : بأخيكم ( إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ) يقول : إلا أن يحيط بجميعكم ما لا تقدرن معه على أن  
 تأتونى به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَلَمَّا آتَوْهُ  
 مَوْثِقَهُمْ ) قال : عهدهم .

حدثني المنثى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله  
 حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله  
 ( إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ) : إلا أن تهلكوا جميعا .

حدثني المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

قال : وحدثنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( إِلَّا أَنْ يُحَاطَ  
 بِكُمْ ) قال : إلا أن تغلبوا ، حتى لا تطبقوا ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله (إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ) : إِلَّا أَنْ يَصِيْبَكُمْ  
أمر يذهب بكم جميعا ، فيكون ذلك عذرا لكم عندي .  
وقوله (فَلَمَّا آتَوْهُ مُؤْتَفِقِينَ) يقول : فلما أعطوه عهدهم ، قال يعقوب : (اللهُ على ما نقول )  
أنا وأنتم (وَكَيْلٌ) . يقول : هو شهيد علينا بالوفاء بما نقول جميعا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ : يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ، وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ، وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ  
مَنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ، إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ، وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لبنيه لما أرادوا الخروج من عنده إلى مصر ليمتاروا الطعام : يا بنيَّ  
لا تدخلوا مصر من طريق واحد ، وادخلوا من أبواب متفرقة . وذكر أنه قال ذلك لهم ، لأنهم كانوا  
رجالا لهم جمال وهيبة ، فخاف عليهم العين إذا دخلوا جماعة من طريق واحد ، وهم ولد رجل واحد ،  
فأمرهم أن يفترقوا في الدخول إليها .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد الواسطي ، عن جوير ، عن الضحاك ( لا تَدْخُلُوا مِنْ  
بَابٍ وَاحِدٍ ، وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ) قال : خاف عليهم العين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ  
وَاحِدٍ ) : خشى نبي الله صلى الله عليه وسلم العين على بنيه ، كانوا ذوى صورة وجمال .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَادْخُلُوا مِنْ  
أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ) قال : كانوا قد أوتوا صورة وجمالا ، فخشى عليهم أنفسهم الناس :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَقَالَ : يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ، وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ) قال : رهيب  
يعقوب عليه السلام عليهم العين :

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت  
الضحاك يقول ، في قوله : ( لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ) خشى يعقوب على ولده العين :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب ( لَا تَدْخُلُوا  
مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ) قال : خشى عليهم العين :

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : خاف يعقوب صلى الله عليه وسلم على بنيه العين ،  
فقال : ( يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ) فيقال : هؤلاء لرجل واحد ، ولكن ادخلوا من  
أبواب متفرقة .



حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أجمعوا الخروج ، يعنى ولد يعقوب قال يعقوب : ( يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ) خشى عليهم أعين الناس لحيبتهم ، وأنهم لرجل واحد .

وقوله : ( وما أعينى عنكم من الله من شيء ) يقول : وما أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذى قد قضاه عليكم من شيء صغير ولا كبير ، لأن قضاؤه نافذ فى خلقه ( إن الحكم إلا لله ) يقول : ما القضاء والحكم إلا لله ، دون ما سواه من الأشياء ، فإنه يحكم فى خلقه بما يشاء ، فينفذ فيهم حكمه ، ويقضى فيهم ، ولا يرد قضاؤه ( عليته توكلت ) يقول : على الله توكلت ، فتوكلت به فيكم ، وفى حفظكم على ، حتى يردكم إلى وأنتم سالمون معافون ، لاعلى دخولكم مصر إذا دخلتموها من أبواب متفرقة ( وعليته فليستوكل المتوكلون ) يقول : وإلى الله فليفوض أمورهم المفوضون .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ، وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : ولما دخل ولد يعقوب من حيث أمرهم أبوهم ، وذلك دخولهم مصر من أبواب متفرقة ( ما كان يغني ) دخولهم إياها كذلك ( عنهم من ) قضاء ( الله ) الذى قضاه فيهم فحتمه ( من ) شيء إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها ) إلا أنهم قضاها وطرا ليعقوب بدخولهم ، لامن طريق واحد ، خوفا من العين عليهم : فاطمأنت نفسه أن يكونوا أتوا من قبل ذلك ، أو ناهم من أجله مكروه . كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها ) خيفة العين على بنيه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :

قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها ) قال : خشية العين عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله ( إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها )

قال : ما تخوف على بنيه من أعين الناس ، لحيبتهم وعيدتهم .

وقوله ( وإنه لذو علم لما علمناه ) يقول تعالى ذكره : وإن يعقوب لذو علم لتعليمنا إياه :

وقيل معناه : وإنه لذو حفظ لما استودعنا صدره من العلم .

واختلف عن قتادة فى ذلك ، فحدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله :

( وإنه لذو علم لما علمناه ) : أى مما علمناه :

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن أبي عَرُوبَةَ ، عن قتادة ( وَإِنَّهُ لَلَّذُو عَلِيمٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ ) قال : إنه لعامل بما علم .  
قال المثنى ، قال إسحاق ، قال عبد الله ، قال سفيان : إنه لذو علم مما علمناه ، وقال : من لا يعمل لا يكون عالماً ( وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) يقول جل ثناؤه : ولكن كثيرا من الناس غير يعقوب ، لا يعلمون ما يعلمه ، لأننا حررناه ذلك ، فلم يعلمه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ، قَالَ: إِنِّي أَنَا أَخُوكَ ، فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩)  
يقول تعالى ذكره : ولما دخل ولد يعقوب على يوسف ( آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ) بقول : ضم إليه أخاه لأبيه وأمه ، وكل أخوه لأبيه .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ( وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ) قال : عرف أخاه ، فأنزلهم منزلا ، وأجرى عليهم الطعام والشراب ؛ فلما كان الليل جاءهم بمثل ، فقال : ليتم كل أخوين منكم على مثال ؛ فلما بقى الغلام وحده ، قال يوسف : هذا ينام معي على فراشي ، فبات معه ، فجعل يوسف يشتم ريحه ، ويضمه إليه ، حتى أصبح ، وجعل رؤييل يقول : ما رأينا مثل هذا ، أريحونا منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما دخلوا ، يعني ولد يعقوب على يوسف ، قالوا : هذا أخونا ، الذي أمرتنا أن نأتيك به ، قد جئناك به ، فقد كرتي أنه قال لهم : قد أحسنتم وأصبتم ، وستجدون ذلك عندي ، أو كما قال ، ثم قال : إني أراكم رجالا ، وقد أردت أن أكرمكم ، ودعا ضافته<sup>٢</sup> فقال : أنزل كل رجلين على حدة ، ثم أكرمهما وأحسن ضياقهما ، ثم قال : إني أرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس معه ثاب ، فسأضمه إلى ، فيكون منزله معي ، فأنزلهم رجلين رجلين ، في منازل شتى ، وأنزل أخاه معه ، فسأواه إليه ، فلما خلا به ( قَالَ: إِنِّي أَنَا أَخُوكَ ) أنا يوسف ( فَلَا تَبْتَئِسْ ) بشيء فعلوه بنا فيما مضى ، فإن الله قد أحسن إلينا ، ولا تعلمهم شيئا مما أعلمتك ، يقول الله : ( وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ) ، قال : إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ) ضمه إليه وأنزله ، وهو بنيامين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل قال : سمعت وهب بن منبه ، يقول : وسئل عن قول يوسف ( وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ) ، قال : إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) كيف أجابه حين أخذ بالصواع ؟ وقد كان أخبره أنه أخوه ، وأنتم تزعمون أنه لم يزل متنكرا لهم يكابدهم ، حتى رجعوا ، فقال : إنه لم يعترف له

(١) المثال : الفراش ينام عليه ، جمه مثل .

(٢) ضافته : يظهر أنه جمع ضائف وهم الموكلون بالضيوف من ضافة يضيفه : إذا نزل به ضيفا .



بالنسبة ، ولكنه قال : أنا أخوك مكان أخيك الهالك ( فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَآ كَانُوا يَعْمَلُونَ ) يقول : لا يحزنك مكانه .

وقوله ( فَلَا تَبْتَئِسْ ) يقول : فلا تستكين ولا تحزن ، وهو فلا تفتعل من البؤس ، يقال منه : ابتأس يبتأس ابتاسا .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَلَا تَبْتَئِسْ ) يقول : فلا تحزن ، ولا تيأس .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : ( فَلَا تَبْتَئِسْ ) يقول : لا يحزنك مكانه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ( فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَآ كَانُوا يَعْمَلُونَ ) يقول : لا تحزن على ما كانوا يعملون .

فتأويل الكلام إذن : فلا تحزن ولا تستكين لشيء سلف من إخوانك إليك ، في نفسك وفي أخيك من أمك ، وما كانوا يفعلون قبل اليوم بك .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ، ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعَيْرِ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ (٧٠)

يقول : ولما حمل يوسف إبل إخوته ما حملها من الميرة ، وقضى حاجتهم ، كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ ) يقول : لما قضى لهم حاجتهم ووفاهم كيلهم .

وقوله ( جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ) يقول : جعل الإناء الذي يكيل به الطعام في رحل أخيه ، والسقاية : هي المشربة ، وهي الإناء الذي كان يشرب فيه الملك ، ويكيل به الطعام .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا عبد الواحد ، عن يونس ، عن الحسن أنه كان يقول : الصواع والسقاية سواء : هو الإناء الذي يشرب فيه .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : السقاية والصواع شيء واحد ، كان يشرب فيه يوسف .

قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : السقاية : الصَّوَّاعُ الذي يشرب فيه يوسف .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( جَعَلَ السَّقَايَةَ ) قال : مَشْرَبَةَ الملك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ) وهو إناء الملك ، الذي كان يشرب فيه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( قَالُوا : نَفَقِدُ صُوعَ الْمَلِكِ ، وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ) وهي السقاية التي كان يشرب فيها الملك يعني مَكْوُوكَه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( جَعَلَ السَّقَايَةَ ) وقوله ( صُوعَ الْمَلِكِ ) قال : هما شيء واحد ، السقاية والصَّوَّاعُ شيء واحد يشرب فيه يوسف . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله : ( جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ) : هو الإناء الذي كان يشرب فيه الملك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ) قال : السقاية : هو الصَّوَّاعُ ، وكان كأساً من ذهب فيها يذكرون .

قوله ( فِي رَحْلِ أَخِيهِ ) فإنه يعني : في متاع أخيه ابن أمه وأبيه ، وهو بنيامين ، وكذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فِي رَحْلِ أَخِيهِ ) : أي في متاع أخيه ، وقوله ( ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ ) يقول : ثم نادى مناد ، وقيل : أعلم مُعَلِّمٌ ( أَيَّتُهَا الْعَبِيرُ ) : وهي القافلة فيها الأحمال ( إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ( فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ) والأخ لا يشعر ، فلما ارتحلوا أذن مؤذن قبل أن ترتحل العير : ( إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ) . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال ( ثُمَّ جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ ) وأكرمهم وأعظامهم وأوفاهم ، وحمل لهم بعيراً بعيراً ، وحمل لأخيه بعيراً باسمه ، كما حمل لهم ، ثم أمر بسقاية الملك ، وهو الصَّوَّاعُ ، وزعموا أنها كانت من فضة ، فجعلت في رحل أخيه بنيامين ، ثم أمهلهم ، حتى إذا انطلقوا وأمعنوا من القرية ، أمر بهم فأدركوا ، فاحتبسوا ، ثم نادى مناد ( أَيَّتُهَا الْعَبِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ) ففوا ،



وانتهى إليهم رسوله ، فقال لهم فيما يذكرون : ألم نكرم ضيافتكم ، ونوفكم كيلكم ، ونحسن منزلتكم ، ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم ، وأدخلناكم علينا في بيوتنا ومنازلنا ؟ أو كما قال لهم : قالوا : بلى ، وماذا ؟ قال : سقاية الملك فقدناها ، ولا نهم عليها غيركم ، ( قالوا : تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض ، وما كنا سارقين ) .

وقوله ( أَيْتُهَا الْعَيْرُ ) قد بينا فيما مضى معنى العير ، وهو جمع لا واحد له من لفظه . وحكى عن مجاهد أن عير بني يعقوب كانت حميرا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( أَيْتُهَا الْعَيْرُ ) قال : كانت حميرا .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا رجل ، عن مجاهد ، في قوله ( أَيْتُهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ) قال : كانت العير حميرا .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا : تَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ ، وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ

بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢)

يقول تعالى ذكره : قال بنو يعقوب لما نودوا ( أَيْتُهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ) وأقبلوا على المنادى ومن بحضرتهم يقولون لهم ( ماذا تَفْقِدُونَ ) : ما الذي تفقدون ( قَالُوا تَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ ) يقول : فقال لهم القوم : تفقد مشربة الملك .

واختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فذكر عن أبي هريرة أنه قرأه ( صَوَاعَ الْمَلِكِ ) بغير واو ، كأنه وجهه إلى الصاع الذي يكال به الطعام . ورؤى عن أبي رجاء أنه قرأه ( صَوَاعَ الْمَلِكِ ) ، ورؤى عن يحيى بن يعمر أنه قرأه ( صَوَاعَ الْمَلِكِ ) بالغين ، كأنه وجهه إلى أنه مصدر من قولهم صاعغ يصوغ صوغا . وأما الذي عليه قراءة الأمصار : فصواع الملك ، وهي القراءة التي لأستجيز القراءة بخلافها ، لإجماع الحجة عليها ، والصواع : هو الإناء الذي كان يوسف يكيل به الطعام ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في هذا الحرف ( صَوَاعَ الْمَلِكِ ) قال : كهيئة المكسوك . قال : وكان للعباس مثله في الجاهلية ، يشرب فيه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( صَوَاعَ الْمَلِكِ ) قال : كان من فضة مثل المكسوك . وكان للعباس منها واحد في الجاهلية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع . وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن ممالك ، عن عكرمة ، في قوله ( قَالُوا نَفَقِدُ صُوعًا مَلِكًا ) قال : كان من فضة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، أنه قرأ ( صُوعًا مَلِكًا ) قال وكان إناءه الذي يشرب فيه ، وكان إلى الطول ما هو .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ( صُوعًا مَلِكًا ) قال : المَكْوَلُ الفارسي .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : ( صُوعًا مَلِكًا ) قال : هو المَكْوَلُ الفارسي الذي يلتقي طرفاه ، كانت تشرب فيه الأعاجم .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَعْرُوءَ ، عن جوير ، عن الضحاک ، في قوله ( صُوعًا مَلِكًا ) قال : إناء الملك الذي كان يشرب فيه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى : يعني ابن عباد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ( صُوعًا مَلِكًا ) : مَكْوَلٌ من فضة يشربون فيه . وكان للعباس واحد في الجاهلية :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( صُوعًا مَلِكًا ) : إناء الملك الذي يشرب فيه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد ابن جبير ، في قوله ( صُوعًا مَلِكًا ) قال : هو المَكْوَلُ الفارسي ، الذي يلتقي طرفاه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : الصواع : كان يشرب فيه يوسف .

حدثنا محمد بن معمر البحراني ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا صدقة بن عباد ، عن أبيه عن ابن عباس ( صُوعًا مَلِكًا ) قال : كان من نحاس .

وقوله ( وَوَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ) يقول : ولمن جاء بالصواع حمل بعير من الطعام .  
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَوَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ) يقول : وقمر بعير .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( حِمْلُ بَعِيرٍ ) قال : حمل طعام ، وهي لغة .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ،

(١) أي حمل حمار من طعام . . الخ ، ويقال لما يعمل الميرة من النواب : غير ، إبلا أو حميرا أو بغالا .



قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ( حملٌ بَعِيرٌ ) قال : حمل طعام ، وهي لغة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قوله ( حملٌ بَعِيرٌ ) قال : حمل حمار .  
وقوله ( وأنا به زَعِيمٌ ) يقول : وأنا بأن أوفيه حمل بعير من الطعام إذا جاءني بصواع الملك كفيل .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وأنا به زَعِيمٌ ) يقول : كفيل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وأنا به زَعِيمٌ ) الزعيم : هو المؤذن الذي قال ( أَيْسُّهَا الْعَيْرُ ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر وأبو خالد الأحمر ، عن ابن جريج ، قال : بلغني عن مجاهد ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، عن ورقاء بن إبّاس ، عن سعيد بن جبير ( وأنا به زَعِيمٌ ) قال : كفيل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وأنا به زَعِيمٌ ) : أي وأنا به كفيل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وأنا به زَعِيمٌ ) قال : كفيل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جوير ، عن الضحاك ( وأنا به زَعِيمٌ ) قال : كفيل .  
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، فذكر مثله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ( وأنا به زَعِيمٌ ) قال : كفيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال لهم الرسول : إنه من جاءنا به فله حمل بعير ، وأنا به كفيل بذلك ، حتى أودّيه إليه ، ومن الزعيم الذي بمعنى الكفيل قول الشاعر :

فَلَسْتُ بِأَمِيرٍ فِيهَا بَيْسَلَكُمْ وَلَكِنِّي عَلَى نَفْسِي زَعِيمٌ<sup>١</sup>

وأصل الزعيم في كلام العرب : القائم بأمر القوم ، وكذلك الكفيل والحميل ، ولذلك قيل : رئيس القوم زعيمهم ، ومُدَّبَرُّهم ، يقال منه : قد زعم فلان زعامة وزعاما ، ومنه قول لبيلى الأخيلية :  
حتى إذا برزَّ السَّوَاءُ رأيتَهُ تحت السَّوَاءِ على الحَمِيمِ زَعِيماً<sup>٢</sup>

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : تَأَلَّه لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا كُنَّا سُرِيقِينَ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف ( تالله ) يعنى : والله ، وهذه التاء في تالله إنما هي واو قلبت تاء ، كما فعل ذلك في التورية ، وهي من ورثت ، والثرث ، وهي من ورثت ، والتخمة ، وهي من الوخامة ، قلبت الواو في ذلك كله تاء ، والواو في هذه الحروف كلها من الأسماء ، وليست كذلك في تالله ، لأنها إنما هي واو القسم ، وإنما جعلت تاء لكثرة ما جرى على ألسن العرب في الإيمان في قولهم والله ، فخصت في هذه الكلمة بأن قلبت تاء ، ومن قال ذلك في اسم الله ، فقال : تالله لم يقل تالرحمن وتالرحيم ، ولا مع شيء من أسماء الله ، ولا مع شيء مما يقسم به ، ولا يقال ذلك إلا في تالله وحده .

وقوله ( لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ ) يقول : لقد علمتم ما جئنا لنعصى الله في أرضكم ، كذلك كان يقول جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، في قوله ( قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ ) يقول : ما جئنا لنعصى في الأرض .  
فإن قال قائل : وما كان أعلم من قيل له ( لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ ) بأنهم لم يجيئوا لذلك ، حتى استجاز قائلو ذلك أن يقولوه ؟ قيل : استجازوا أن يقولوا ذلك لأنهم فيما ذكر ردوا البضاعة التي وجدوها في رحاهم ، فقالوا : لو كنا سراقاً لم نرد عليكم البضاعة التي وجدناها في رحالنا . وقيل : إنهم كانوا قد عرفوا في طريقهم ومسيرهم أنهم لا يظلمون أحداً ، ولا يتناولون ما ليس لهم ، فقالوا ذلك حين قيل لهم ( إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ) .

(١) البيت للمؤسسى الأزدي ، قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣١٥ ) واستشهد به على أن « زعيم » بمعنى كفيل . وبعد البيت بيت آخر ، وهو :

بَغَرُوا مِثْلَ وَلَغِ الذَّنْبِ حَتَّى يَنْوُوا بِصَاحِبِي تَأَرُّ مَنِيمٌ

(٢) البيت في « اللسان » زعم « شاعده على أن « الزعيم بمعنى السيد الرئيس » . قال : وزعم القوم رئيسهم وسيدهم . وقيل : رئيسهم المتكلم عنهم ومدبرهم ، والجمع زعماء . والزعامة : السيادة والرياسة ، وقد زعم زعامة ، قال : حتى إذا رفع اللواء ... الخ البيت .



## القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا: فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا: جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ، فَهُوَ جَزَاؤُهُ،  
كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥)

يقول تعالى ذكره: قال أصحاب يوسف لإخوته: فما ثواب السرقة إن كنتم كاذبين في قولكم (ما جئنا لننفسد في الأرض، وما كنا سارقين). قالوا: جزاؤه من وجد في رحله، فهو جزاؤه. يقول جل ثناؤه: وقال إخوة يوسف: ثواب السرقة: من وجد في متاعه السرقة، فهو جزاؤه، يقول: فالذي وجد ذلك في رحله، ثوابه بأن يسلم بسرقة إلى من سرق منه، حتى يسرقه (كذلك نجزي الظالمين) يقول: كذلك نفعل بمن ظلم، ففعل ما ليس له فعله، من أخذه مال غيره سرقاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (فَهُوَ جَزَاؤُهُ): أي سلم به (كذلك نجزي الظالمين): أي كذلك نصنع بمن سرق منا.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، قال: بلغنا، في قوله (قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ) أخبروا يوسف بما يُحكّم في بلادهم: أنه من سرق أخذ عبداً، فقالوا (جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ، فَهُوَ جَزَاؤُهُ).

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي، (قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ؟) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ، فَهُوَ جَزَاؤُهُ): تأخذونه فهو لكم. ومعنى الكلام: قالوا: ثواب السرقة الموجود في رحله، كأنه قيل: ثوابه استرقاق الموجود في رحله، ثم حذف استرقاق، إذ كان معروفاً معناه، ثم ابتدئ الكلام فقيل: هو جزاؤه (كذلك نجزي الظالمين).

وقد يحتمل وجه آخر: أن يكون معناه: قالوا: ثواب السرقة الذي يوجد السرقة في رحله، فالسارق جزاؤه، فيكون جزاؤه الأول مرفوعاً بجملة الخبر بعده، ويكون مرفوعاً بالعائد من ذكره في هو، وهو: رافع جزاؤه الثاني.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: وهو أن تكون «مَنْ» جزائية، وتكون مرفوعة بالعائد من ذكره، في الهاء التي في رحله، والجزء الأول مرفوعاً بالعائد من ذكره في وجد، ويكون جواب الجزاء الفاء في «فَهُوَ»، والجزء الثاني مرفوع بهو، فيكون معنى الكلام حينئذ: قالوا: جزاء السرقة من وجد السرقة في رحله، فهو ثوابه، يسرق ويستعبد.

## القول في تأويل قوله تعالى

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ، كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ،  
مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي  
عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ \*

يقول تعالى ذكره : ففتش يوسف أوعيتهم ورحلهم ، طالبا بذلك صواع الملك ، فبدأ في تفتيشه  
بأوعية إخوته من أبيه ، فجعل يفتشها وعاء وعاء ، قبل وعاء أخيه من أبيه وأمه ، فإنه أحرر تفتيشه ، ثم فتش  
آخرها وعاء أخيه ، فاستخرج الصواع من وعاء أخيه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ  
أَخِيهِ ) : ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ كَانَ لَا يَنْظُرُ فِي وِعَاءِ ، إِلَّا اسْتَغْفَرَ اللَّهَ ، تَأْتِمًا مِمَّا قَدْفَعَهُمْ بِهِ ، حَتَّى يَبْقَى أَخُوهُ ، وَكَانَ أَصْغَرَ  
الْقَوْمِ ، قَالَ : مَا أَرَى هَذَا أَخْذَ شَيْئًا ، قَالُوا : بَلَى فَاسْتَبْرَهْ ، أَلَا وَقَدْ عَلِمُوا حَيْثُ وَضَعُوا سِقَايَتِهِمْ ،  
ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : فاستخرجها من  
وعاء أخيه ، قال : كان كلما فتح متاعا استغفر تائبا مما صنع ، حتى بلغ متاع الغلام ، فقال : ما أظن  
هذا أخذ شيئا ، قالوا : بلى ، فاستبره .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قال ( فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ  
قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ) فلما بقي رحل الغلام ، قال : ما كان هذا الغلام ليأخذه ، قالوا : والله لا يترك حتى  
تنظر في رحله ، لنذهب وقد طابت نفسك ، فأدخل يده ، فاستخرجها من رحله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال الرسول لهم ( وَلَمَّا جَاءَ بِهِ  
جِئْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ) قالوا : ما نعلمه فينا ولا معنا ، قال : لستم ببارحين حتى أفتش أمتعتكم ،  
وَأَعْدِرُ فِي طَلِبِهَا مِنْكُمْ ، فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ وِعَاءَ وِعَاءَ ، يَفْتَشُهَا وَيَنْظُرُ مَا فِيهَا ، حَتَّى مَرَّ عَلَى وِعَاءِ أَخِيهِ فَفَتَشَهُ ،  
فَاسْتَخْرَجَهَا مِنْهُ ، فَأَخْذَ بِرَقَبَتِهِ ، فَانصرف به إلى يوسف ، يقول الله ( كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ كَانَ كَلِمًا  
بَحَثَ مَتَاعَ رَجُلٍ مِنْهُمْ اسْتَغْفَرَ رَبَّهُ تَأْتِمًا ، قَدْ عَلِمَ أَيْنَ مَوْضِعِ الَّذِي يَطْلُبُ ، حَتَّى إِذَا بَقِيَ أَخُوهُ وَعَلِمَ أَنَّ  
بَغِيْتَهُ فِيهِ ، قَالَ : لَا أَرَى هَذَا الْغُلَامَ أَخْذَهُ ، وَلَا أَبَالِي أَنْ لَا أَبْحَثَ مَتَاعَهُ ، قَالَ إِخْوَتُهُ : إِنَّهُ أَطِيبَ لِنَفْسِكَ ،  
وَأَنْفُسِنَا أَنْ تَسْتَبْرِيَّ مَتَاعَهُ أَيْضًا ، فَلَمَّا فَتَحَ مَتَاعَهُ ، اسْتَخْرَجَ بِغِيْتَهُ مِنْهُ ، قَالَ اللَّهُ ( كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ) .

(١) أصله : استبره ، أي اطلب براءته بتفتيشه ، ثم خفف الهمزة ، وحذفها للأمر .



واختلف أهل العربية في الهاء والألف اللتين في قوله ( **مَّمَّ** اسْتَخْرَجَهَا مِنْ **وَعَاءِ** أَخِيهِ ) فقال بعض نحويي البصرة: هي من ذكر الصواع ، قال : وأنث ، وقد قال ( **وَمِنْ جَاءَ بِهِ جِمْلٌ بَعِيرٌ** ) لأنه عنى الصُّوَاعُ ، قال : والصواع مذكر ، ومنهم من يؤنث الصواع ، وعنى هاهنا السقاية ، وهي مؤنثة قال : وهما اسمان لواحد ، مثل الثوب والملحفة ، مذكر ومؤنث لشيء واحد .

وقال بعض نحويي الكوفة في قوله ( **مَّمَّ** اسْتَخْرَجَهَا مِنْ **وَعَاءِ** أَخِيهِ ) ذهب إلى تأنيث السرقة ، قال : وإن لم يكن الصواع في معنى الصاع ، فلعل هذا التأنيث من ذلك ، قال : وإن شئت جعلته لتأنيث السقاية ، قال : والصواع : ذكّر ، والصاع يؤنث ويذكر ، فمن أنه قال : ثلاث **أَصْوَعُ** ، مثل ثلاث **أَدْوُرُ** ، ومن ذكّره قال : **أَصْوَاعُ** مثل أبواب .

وقال آخر منهم : إنما أنث الصواع حين أنث ، لأنه أريدت به السقاية ، وذكّر حين ذكّر ، لأنه أريد به الصواع ، قال : وذلك مثل الحيوان والمائدة ، وسنان الرمح وعاليته ، وما أشبه ذلك من الشيء الذي يجتمع فيه اسمان : أحدهما مذكر ، والآخر مؤنث .

وقوله ( كذلك **كَيْدُنَا لِيُوسُفَ** ) يقول : هكذا صنعنا ليوسف ، حتى يُخَلِّصَ أخاه لأبيه وأمه من إخوته لأبيه ، بإقرار منهم أن له أن يأخذه منهم ، ويحبسه في يديه ، ويحول بينه وبينهم ، وذلك أنهم قالوا إذ قيل لهم : ( **مَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ** ) جزاء من سرق الصواع : أن من وجد ذلك في رحله فهو **مُسْتَرْقٌ** به ، وذلك كان حكمهم في دينهم ، فكاد الله ليوسف كما وصف لنا ، حتى أخذ أخاه منهم ، فصار عنده بحكمهم ، وصنع الله له .

وقوله ( **مَا كَانَ لِيَأْتِيَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ** ) يقول : ما كان يوسف ليأخذ أخاه في حكم ملك مصر وقضائه وطاعته منهم ، لأنه لم يكن من حكم الملك وقضائه أن **يُسْتَرْقَ** أحد بالسرقة ، فلم يكن ليوسف أخذ أخيه في حكم ملك أرضه ، إلا أن يشاء الله بكيد الذي كاده له ، حتى **أَسْلَمَ مَنْ وَجَدَ فِي وَعَائِهِ الصُّوَاعُ** إخوته ورفقاؤه ، بحكمهم عليه ، وطابت أنفسهم بالتسليم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( **مَا كَانَ لِيَأْتِيَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ** ) إلا فعلة كادها الله له ، فاعتل بها يوسف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( **كذلك كَيْدُنَا لِيُوسُفَ** ) كادها الله له ، فكانت عيلةً ليوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( **لِيَأْتِيَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ** ) قال : إلا فعلة كادها الله ، فاعتل بها يوسف .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( كذلك كيدنا ليُوسُفَ ) قال : صنعنا .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ( كذلك كيدنا ليُوسُفَ ) يقول :  
صنعنا ليوسف .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك  
يقول في قوله ( كذلك كيدنا ليُوسُفَ ) يقول : صنعنا ليوسف .  
واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( ما كان ليبيأخذ أخاه في دين الملك ) فقال بعضهم :  
ما كان ليأخذ أخاه في سلطان الملك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
( ما كان ليبيأخذ أخاه في دين الملك ) يقول : في سلطان الملك .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك  
يقول في قوله ( ما كان ليبيأخذ أخاه في دين الملك ) يقول : في سلطان الملك .  
وقال آخرون : معنى ذلك : في حكمه وقضائه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ما كان ليبيأخذ أخاه في دين  
الملك إلا أن يشاء الله ) يقول : ما كان ذلك في قضاء الملك : أن يستعبد رجلا بسرقة .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( في دين الملك )  
قال : لم يكن ذلك في دين الملك ، قال : حكمه .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح محمد بن ليث المروزي ، عن رجل قد سماه ، عن عبد الله بن  
المبارك ، عن أبي مودود المديني ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول ( قالوا جزأوه من وجد  
في رحله فهو جزأوه ) ؛ كذلك كيدنا ليُوسُفَ ما كان ليبيأخذ أخاه في دين الملك ) قال :  
دين الملك لا يؤخذ به من سرق أصلا ، ولكن الله كاد لأخيه ، حتى تكلموا ما تكلموا به ، فأخذهم بقولهم ،  
وليس في قضاء الملك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، قال : بلغه في قوله ( ما كان  
ليبيأخذ أخاه في دين الملك ) قال : كان حكم الملك أن من سرق ضوعف عليه العُرم .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ( ما كان ليبيأخذ أخاه في دين  
الملك ) يقول : في حكم الملك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( ما كان ليبيأخذ أخاه في دين الملك ) : أي  
بظلم ، ولكن الله كاد ليوسف ليضم إليه أخاه .



حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ما كان ليلاً أخذ أخاه في دين الملك ) قال : ليس في دين الملك أن يؤخذ السارق بسرقة ، قال : وكان الحكم عند الأنبياء يعقوب وبنيه : أن يؤخذ السارق بسرقة عبداً يسرق .

وهذه الأقوال وإن اختلفت ألفاظ قائلها في معنى دين الملك ، فتقاربة المعاني ، لأن من أخذه في سلطان الملك عامله بعمله ، فيرناه أخذه إذالم يغيره ، وذلك منه حكم عليه ، وحكمه عليه قضاؤه ، وأصل الدين : الطاعة ، وقد بينت ذلك في غير هذا الموضع بشواهد ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله ( إلا أن يشاء الله ) ، كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ( إلا أن يشاء الله ) ولكن صنعنا له ، بأنهم قالوا : ( فهو جزأؤه ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( إلا أن يشاء الله ) إلا بعة كادها الله ، فاعتل بها يوسف .

وقوله ( نرفع درجات من نشاء ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم ( نرفع درجات من نشاء ) بإضافة الدرجات إلى « من » بمعنى : نرفع منازل من نشاء رفع منازلهم ومراتبهم في الدنيا ، بالعلم ، على غيره ، كما رفعنا مرتبة يوسف في ذلك ، ومنزلته في الدنيا ، على منازل إخوته ومراتبهم . وقرأ ذلك آخرون ( نرفع درجات من نشاء ) بتنوين الدرجات . بمعنى : نرفع من نشاء مراتب ودرجات في العلم على غيره ، كما رفعنا يوسف ، فمن على هذه القراءة نصب ، وعلى القراءة الأولى خفض . وقد بينا ذلك في سورة الأنعام .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله ( نرفع درجات من نشاء ) يوسف وإخوته أوتوا علماً ، فرفعنا يوسف فوقهم في العلم .

وقوله ( وقوف كل ذي علم عليم ) يقول تعالى ذكره : وفوق كل عالم من هو أعلم منه ، حتى ينتهي ذلك إلى الله تعالى ، وإنما عني بذلك أن يوسف أعلم إخوته ، وأن فوق يوسف من هو أعلم من يوسف ، حتى ينتهي ذلك إلى الله تعالى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عامر العقدي ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الأعلى الثعلبي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه حدث بحديث ، فقال رجل عنده ( وقوف كل ذي علم عليم ) فقال ابن عباس : بشما قلت ، إن الله هو عليم ، وهو فوق كل عالم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عبد الأعلى ،

(١) كذا وردت هذه الكلمة في الأصل المخطوط ، وفيها غموض .

عن سعيد بن جبير ، قال : حدث ابن عباس بحديث ، فقال رجل عنده : الحمد لله ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) فقال ابن عباس : العالم الله ، وهو فوق كل عالم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، قال : كنا عند ابن عباس ، فحدث حديثا ، فتعجب رجل فقال : الحمد لله ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) فقال ابن عباس : بل ما قلت : الله العليم ، وهو فوق كل عالم .

حدثنا الحسن بن محمد وابن وكيع ، قالا : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سالم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) قال : يكون هذا أعلم من هذا ، وهذا أعلم من هذا ، والله فوق كل عالم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : أخبرنا أبو الأحوص ، عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) قال : الله الخبير العليم فوق كل عالم . حدثني المنثري ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) قال : الله فوق كل عالم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : سألت رجلا عليا عن مسألة ، فقال فيها ، فقال الرجل : ليس هكذا ، ولكن كذا وكذا ، قال علي : أصبت وأخطأت ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عسبة ، عن خالد ، عن عكرمة ، في قوله ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) قال : علم الله فوق كل أحد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن نصر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) قال : الله عز وجل .

حدثنا ابن وكيع ، ثنا يعلى بن عبيد ، عن سفيان ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) قال : الله أعلم من كل أحد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ابن شبرمة ، عن الحسن ، في قوله ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) قال : ليس عالم إلا فووقه عالم حتى ينتهي العلم إلى الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عاصم ، قال : ثنا جويرية ، عن بشير الهجيمي ، قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية يوما ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) ، ثم وقف فقال : إنه والله ما أمسى على ظهر الأرض عالم إلا فووقه من هو أعلم منه ، حتى يعود العلم إلى الذي علمه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي ، عن جرير ، عن ابن شبرمة ، عن الحسن ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) قال : فوق كل عالم عالم ، حتى ينتهي العلم إلى الله .

(١) لعل هذه الرواية أظهر من التي قبلها ، فإن ابن عباس فهم من كلام الرجل أنه هو العليم ، فرد عليه القول بأن العليم هو الله ، أما من عداه فيوصف بأنه عالم ، لا عليم .



حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَفَوْقَ كَلِّ ذِي عُلْمٍ عَلِيمٍ ) حتى ينتهي العلم إلى الله ، منه بدى ، وتعلمت العلماء ، وإليه يعود . في قراءة عبد الله ( وَفَوْقَ كَلِّ عَالِمٍ عَلِيمٍ ) .

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وكيف جاز ليوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه ، ثم يسرق قوما أبرياء من السرقة ، ويقول ( أَيْتُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ) ؟ قيل : إن قوله ( أَيْتُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ) إنما هو خبر من الله عن مؤذن أذن به ، لا خبر عن يوسف . وجائز أن يكون المؤذن أذن بذلك أن فقصد الصواع ، ولا يعلم بصنيع يوسف . وجائز أن يكون كان أذن المؤذن بذلك عن أمر يوسف ، واستجاز الأمر بالتداء بذلك ، لعلمه بهم أنهم قد كانوا سرقوا سرقة في بعض الأحوال ، فأمر المؤذن أن يناديهم بوصفهم بالسرقة ، ويوسف يعني ذلك السرقة ، لا سرقهم الصواع . وقد قال بعض أهل التأويل : إن ذلك كان خطأ من فعل يوسف ، فعاقبه الله بإجابة القوم إياه ( إِنَّ يَسْرِقُ فَتَقْدُ سَرَقَ أَخٍ لَهُ مِنْ قَبْلُ ) وقد ذكرنا الرواية فيما مضى بذلك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

« قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ، فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ، قَالَ : أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧) »

يقول تعالى ذكره ( قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ) يعنون أخاه لأبيه وأمه ، وهو يوسف .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شهابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( إِنَّ يَسْرِقُ فَتَقْدُ سَرَقَ أَخٍ لَهُ مِنْ قَبْلُ ) ليوسف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( إِنَّ يَسْرِقُ فَتَقْدُ سَرَقَ أَخٍ لَهُ مِنْ قَبْلُ ) قال : يعني يوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَتَقْدُ سَرَقَ أَخٍ لَهُ مِنْ قَبْلُ ) قال : يوسف .

وقد اختلف أهل التأويل في السرقة الذي وصفوا به يوسف ، فقال بعضهم : كان صنما بلده أبي أمه ، كسره وألقاه على الطريق .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن عمرو البصرى ، قال : ثنا العيص بن الفضل ، قال : ثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبيرة ( إِنَّ يَسْرِقُ فَتَقْدُ سَرَقَ أَخٍ لَهُ مِنْ قَبْلُ ) قال : سرق يوسف صنما بلده أبي أمه ، كسره وألقاه على الطريق ، فكان إخوته يعيبونه بذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَقَدْتُ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ) ذكر أنه سرق صنما بلحده أبي أمه ، فعيروه بذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِنَّ يَسْرِقُ فَقَدْتُ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ) : أرادوا بذلك عيب نبي الله يوسف ، وسرقته التي عابوه بها صنم كان بلحده أبي أمه ، فأخذه ، إنما أراد نبي الله بذلك الخير ، فعابوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( إِنَّ يَسْرِقُ فَقَدْتُ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ) قال : كانت أم يوسف أمرت يوسف يسرق صنما لخاله يعبد ، كانت مسلمة وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي ، قال : كان بنو يعقوب على طعام اضطرب يوسف إلى عرق ، فخبأه ، فعيروه بذلك ( إِنَّ يَسْرِقُ ، فَقَدْتُ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ) .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد أبي الحجاج ، قال : كان أول ما دخل على يوسف من البلاء فيما بلغني ، أن عمته ابنة إسحاق ، وكانت أكبر ولد إسحاق ، وكانت إليها مننطقة إسحاق ، وكانوا يتوارثونها بالكثير ، فكان من اختص بها ممن وليها كان له سلما لا يناع فيه ، يصنع فيه ما شاء ، وكان يعقوب حين ولد له يوسف ، كان قد حضنته عمته ، فكان معها وإليها ، فلم يحب أحد شيئا من الأشياء حبها إياه ، حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات ، وقعت نفس يعقوب عليه ، أتاها فقال : يا أخية سلمى إلى يوسف ، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة ، فقالت : والله ما أنا بتاركته ، والله ما أقدر أن يغيب عني ساعة ، قال : فوالله ما أنا بتاركة ، قالت : فدعه عندي أيا ما أنظر إليه ، وأسكن عنه ، لعل ذلك يسلبني عنه ، أو كما قالت : فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ، ثم قالت : لقد فقدت منطقة إسحاق ، فانظروا من أخذها ومن أصابها فالتمتت ثم قالت : اكشفوا أهل البيت ، فكشفوهم ، فوجدوها مع يوسف ، فقالت والله إنه لي لسلم أصنع فيه ما شئت . قال : وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر ، فقال لها : أنت وذاك إن كان فعل ذلك فهو سلم لك . ما أستطيع غير ذلك ، فأمسكته ، فاقدر عليه يعقوب حتى ماتت قال : فهو الذي تقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه ( إِنَّ يَسْرِقُ فَقَدْتُ سَرَقَ لَهُ أَخٌ مِنْ قَبْلُ ) .

قال ابن حميد ، قال ابن إسحاق : لما رأى بنو يعقوب ما صنع إخوة يوسف ، ولم يشكوا أنه سرق ، قالوا أسفا عليهم ، لما دخل عليهم في أنفسهم تأنيبا له ( إِنَّ يَسْرِقُ فَقَدْتُ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ) فلما سمعها يوسف ( قَالَ أَنْتُمْ شَرَّ مَكَانًا ) سراً في نفسه ( وَكَمْ يُبْدِيهَا لَهُمْ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ) . وقوله ( فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَكَمْ يُبْدِيهَا لَهُمْ ) ، قَالَ أَنْتُمْ شَرَّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ) يعني بقوله : فأسرّها : فأضمرها ، وقال : فأسرّها : فأث ، لأنه عنى بها الكلمة ، وهي

(١) العرق ، بفتح العين ، وإسكان الراء : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم ، ويق عليه لحوم رقيقة طيبة فيؤكل لحمه ، ويشمش عظمه ، والعرق أيضا : القدرة من اللحم (اللسان) .



أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ، وَلَوْ كَانَتْ جَاءَتْ بِالتَّذْكِيرِ كَانَ جَائِزًا ، كَمَا قِيلَ ( تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ - وَ - ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ ) ، وَكُنِيَ عَنِ الْكَلِمَةِ ، وَلَمْ يَجْرَ لَهَا ذِكْرٌ مُتَقَدِّمٌ ، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ كَثِيرًا ، إِذَا كَانَ مَفْهُومًا الْمَعْنَى الْمُرَادَ عِنْدَ سَامِعِي الْكَلَامِ ، ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ حَاتِمِ الطَّائِي :

أَمَاوِيٌّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ<sup>(١)</sup>

يريد : وضاق بالنفس الصدر ، فكُنِيَ عَنْهَا ، وَلَمْ يَجْرَ لَهَا ذِكْرٌ ، إِذْ كَانَ فِي قَوْلِهِ : إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا ، دَلَالَةٌ لِسَامِعِ كَلَامِهِ عَلَى مُرَادِهِ بِقَوْلِهِ : وَضَاقَ بِهَا . وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ ( ثُمَّ إِنْ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِهَا فُتِنُوا ، ثُمَّ جَاهِدُوا وَصَبِرُوا ، إِنْ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ) فَقَالَ : مِنْ بَعْدِهَا ، وَلَمْ يَجْرَ قَبْلَ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِاسْمِ مَوْثٍ .

وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ( فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَكَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ) أَمَا الَّذِي أَسْرَ فِي نَفْسِهِ فَقَوْلُهُ ( أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ( فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ ، وَكَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ) ، قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ) قَالَ هَذَا الْقَوْلُ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، قَالَ : ثَنَا عُمَى ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، ( فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَكَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ) يَقُولُ : أَسْرَ فِي نَفْسِهِ قَوْلُهُ ( أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ) .

وَقَوْلُهُ ( وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ) يَقُولُ : وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَكْذِبُونَ فِيمَا تَصِفُونَ بِهِ أَخَاهُ بَنِيَامِينَ .

وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ :

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : ثَنَا شَيْبَانَةُ ، قَالَ : ثَنَا وَرْقَاءُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَوْلُهُ ( أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ) يَقُولُونَ : يُوسُفُ يَقُولُهُ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثَنَا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، عَنْ وَرْقَاءَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ( وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ) : أَيُّ بِمَا تَكْذِبُونَ .

(١) الْبَيْتُ فِي (اللسان : حشرج) قَالَ : الْحَشْرَجَةُ : تَرَدُّدُ صَوْتِ النَّفْسِ ، وَهُوَ الْغُرْفَةُ فِي الصَّدْرِ عِنْدَ الْمَوْتِ . تَمَلَّتْ بِالْبَيْتِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَدَخَلَتْ عَلَى أَبِيهَا عِنْدَ مَوْتِهِ قَائِلَةً :

لِعَمْرِكَ مَا يَغْنِي الثَّرَاءُ وَلَا الْغِنَى إِذَا حَشْرَجْتَ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

وَالْبَيْتُ لِحَاتِمِ يَحْطَابِ زَوْجِهِ مَأْوِيَةَ . وَالشَّاهِدُ فِيهِ : أَنَّ الضَّمِيرَ فِي حَشْرَجْتَ لَيْسَ لَهُ مَرْجِعٌ مَذْكَورٌ فِي الْكَلَامِ .

فمعنى الكلام إذن : فأسرّها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ، قال : أنتم شرّ عند الله منزلاً ممن وصفتموه بأنه سرق ، وأخبث مكاناً بما سلف من أفعالكم ، والله عالم بكذبكم ، وإن جهله كثير ممن حضر من الناس . وذكر أن الصواع لما وُجد في رحل أخى يوسف تلاوم القوم بينهم ، كما حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السديّ ، قال : لما استخرجت السرقة من رحل الغلام انقطعت ظهورهم ، وقالوا : يا بني راحيل ، ما يزال لنا منكم بلاء حتى أخذت هذا الصواع ، فقال بنيامين : بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ، ذهبتم بأخى فأهلكتموه في البرية ، وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم ، فقالوا : لاتذكر الدراهم فتؤخذ بها ، فلما دخلوا على يوسف دعا بالصواع ، فنقر فيه ، ثم أدناه من أذنه ، ثم قال : إن صواعي هذا ليخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلاً ، وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه ؛ فلما سمعها بنيامين ، قام فسجد ليوسف ، ثم قال : أيها الملك سل صواعك هذا عن أخى أحمى هو ؟ فنقره ، ثم قال : هو حمى ، وسوف تراه ، قال : فاصنع بي ما شئت ، فإنه إن علم بي سرف يستغفني ، قال : فدخل يوسف فبكى ، ثم توضأ ، ثم خرج فقال بنيامين : أيها الملك إنى أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق ، فسله من سرقه ، فجعله في رحلي ، فنقره فقال : إن صواعي هذا غضبان ، وهو يقول : كيف تسألني عن صاحبي ، وقد رؤيت مع من كنت ، قال : وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا ، فغضب روبييل ، فقال : أيها الملك ، والله لتركنا ، أو لأصبحن صبيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل إلا ألفت ما في بطنها ، وقامت كل شعرة في جسد روبييل ، فخرجت من ثيابه ، فقال يوسف لابنه : قم إلى جنب روبييل فسه ؛ وكان بنو يعقوب إذا غضب أحدهم فسه الآخر ذهب غضبه ، فمر الغلام إلى جنبه فسه ، فذهب غضبه ، فقال روبييل : من هذا ؟ إن في هذا البلد ليزرا من بزر يعقوب ، فقال يوسف من يعقوب ؟ فغضب روبييل فقال : يا أيها الملك لاتذكر يعقوب ، فإنه سرى الله ، ابن ذبيح الله ، ابن خليل الله ، قال يوسف : أنت إذن كنت صادقاً .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا: يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا، فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ، إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ

الْمُحْسِنِينَ (٧٨)

يقول تعالى ذكره : قالت إخوة يوسف ليوسف ( يا أيُّها العزيز ) يا أيها الملك ( إنَّ له أباً شَيْخاً كبيراً ) كلفنا بحبه ، يعنون يعقوب ( فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ) يعنون فخذ أحداً منا بدلاً من بنيامين ، واخل عنه ( إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ) يقولون : إنا نراك من المحسنين في أفعالك .

وقال محمد بن إسحاق في ذلك ، ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ) إنا نرى ذلك منك إحساناً إن فعلت .



## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَمَعًا عِنْدَهُ، إِنْ أِذَا لَطَلِمُونَ (٧٩)

يقول تعالى ذكره: قال يوسف لإخوته (مَعَاذَ اللَّهِ) أعوذ بالله، وكذلك تفعل العرب في كل مصدر وضعته موضع يَتَمَعُلُ وَيَتَمَعِيلُ، فإنها تنصب كثرتهم: حمدًا لله وشكرًا له، بمعنى: أحمد الله وأشكره؛ والمرتب تقول في ذلك: معاذ الله، ومعاذة الله، فتدخل فيه هاء التأنيث كما يقولون: ما أحسن معناه هذا الكلام، وعوذ الله، وعردة الله، وعياذ الله؛ ويقولون: اللهم عائذا بك، كأنه قيل: أعوذ بك عائذا، أو أدعوك عائذا (أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ) يقول: أستجير بالله من أن نأخذ بريثا بستميم؛

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ، إِنْ أِذَا لَطَلِمُونَ) يقول: إن أخذنا غير الذي وجدنا متاعنا عنده، إنا إذا تفعل ما ليس لنا فعله، ونجور على الناس.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي (قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا، فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ، إِنْ تَرَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ، إِنْ أِذَا لَطَلِمُونَ) قال يوسف: إذا أتيتم أباكم فأقرئوه السلام، وقولوا له: إن ملك مصر يدعوك أن لا تموت حتى ترى ابنك يوسف، حتى يعلم أن في أرض مصر صدق يقين مثله.

## القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا، قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ، فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَنْحَكُمُ اللَّهُ لِي، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠)

يقول تعالى ذكره (فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ) فلما يسوا منه من أن يخلى يوسف عن بنيامين، ويأخذ منهم واحدا مكانه، وأن يجيبهم إلى ما سألوه من ذلك، وقوله (اسْتَيْسَسُوا) استضعفوا، من يس الرجل من كذا يئأس.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ) يسوا منه ورأوا شدته في أمره.

وقوله (خَلَصُوا نَجِيًّا) يقول بعضهم لبعض: يتناجون، لا يختلط بهم غيرهم، والنجى جماعة القوم المنتجين يسمى به الواحد والجماعة، كما يقال: رجل عدل، ورجال عدل، وقوم زور وفطر، وهو

مصدر من قول القائل : نجوت فلانا أنجوه نجيا ، جعل صفة ونعتا . ومن الدليل على أن ذلك كما ذكرنا قول الله تعالى ( وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ) فوصف به الواحد ، وقال في هذا الموضع : خَلَّصُوا نَجِيًّا ، فوصف به الجماعة ويجمع النجى نجية ، كما قال لبيد :

وَشَهِدْتُ أُنْجِيَّةَ الْأَفَاقَةِ عَالِيَا كَعَيْبِي وَأُرْدَافَ الْمُلُوكِ شُهُودًا<sup>١</sup>

وقد يقال للجماعة من الرجال : نجوى ، كما قال جل ثناؤه ( وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ) وقال ( مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ) وهم القوم الذين يتناجون ، وتكون النجوى أيضا مصدرا ، كما قال الله ( إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ ) تقول منه : نجوت أنجو نجوى ، فهي في هذا الموضع : المناجاة نفسها ، ومنه قول الشاعر :

بِسْتِي بَدَا خَيْبٌ نَجْوَى الرَّجَالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَسْبَ النَّجْوَى<sup>٢</sup>

فالنجوى والنجى في هذا البيت بمعنى واحد ، وهو المناجاة ، وقد جمع بين اللغتين .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( خَلَّصُوا نَجِيًّا ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ( فَلَکَمَا اسْتَيْسَأَسُوا مِنْهُ خَلَّصُوا نَجِيًّا ) وأخلص لهم شمعون وقد كان ارتبهه ، خلكوا بينهم نجيا : يتناجون بينهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( خَلَّصُوا نَجِيًّا ) خلصوا وحدهم نجيا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( خَلَّصُوا نَجِيًّا ) : أى خلا بعضهم ببعض ، ثم قالوا : ماذا ترون .

وقوله ( قَالَ كَبِيرُهُمْ ) اختلف أهل العلم في المعنى بذلك ، فقال بعضهم : عنى به كبيرهم في العقل والعلم ، لافى السن ، وهو شمعون ، قالوا : وكان روبييل أكبر منه في الميلاد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،

(١) البيت للبيد ، استشهد به أبو عبيدة في ( مجاز القرآن ١ : ٣١٥ ) قال في معنى قوله تعالى ( خلصوا نجيا ) : أى اعزلوا نجيا يتناجون . والنجى : يقع لفظه على الواحد والجمع أيضا . وقد يجمع ، فيقال : نجى وأنجى ، وقال لبيد : « وشهدت أنجية » . . . البيت . والشاهد فيه أن فاعل حشرجت ضمير تقديره هو راجع إلى النفس المفهومة من السياق . والنفس مؤنثة ، فذلك أنث الفعل بالهاء . وانظره في ( اللسان : أفق ) .

(٢) البيت للصلتان العبدى : قثم بن خبيبة ، أورده صاحب الخزانة مع عدة أبيات له ( ١ : ٣٠٨ ) وأورد المقتطوعة أبو تمام في الحماسة ، وعدتها تسعة أبيات وقال التبريزي في شرح البيت ( ٣ : ١١٢ ) : الخب : المكر بكسر الخاء ، والخب بفتحها : المكر . والنجوى مصدر ، وهو مستعمل . فيما يتحدث فيه اثنان ، على طريق السر والكتمان . فيقول : إذا ناجيت صاحبيا لك . فكان نجيا فيما تودعه من سر فكأن نجوى الرجال إذا بدا عنها عادت وبالا . والنجى : يقع على الواحد والجمع ، وكذلك النجوى ؛ وفي القرآن : وإذ هم نجوى . اهـ .



في قول الله تعالى ( قَالَ كَبِيرُهُمْ ) قال : هو شمعون الذي تخلف ، وأكبر منه ، وأكبر منهم في الميلاد روييل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( قال كَبِيرُهُمْ ) : شمعون الذي تخلف ، وأكبر منه في الميلاد روييل .  
حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( قال كَبِيرُهُمْ ) قال : شمعون : الذي تخلف ، وأكبرهم في الميلاد : روييل .  
وقال آخرون : بل عَسَى به كبيرهم في السن ، وهو روييل .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قال كَبِيرُهُمْ ) وهو روييل أخو يوسف ، وهو ابن خالته ، وهو الذي نهاهم عن قتله .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( قال كَبِيرُهُمْ ) قال : روييل ، وهو الذي أشار عليهم أن لا يقتلوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ( قال كَبِيرُهُمْ ) في العلم ( أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ، ومن قبل ما فترطتم في يوسف ، فلتن أبرح الأرض ) . . . الآية ، فأقام روييل بمصر ، وأقبل التسعة إلى يعقوب فأخبروه الخبر ، فبكى وقال : يا بني ماتذهبون مرة إلا نقصتم واحدا ، ذهبتم مرة فنقصتم يوسف ، وذهبتم الثانية فنقصتم شمعون ، وذهبتم الآن فنقصتم روييل .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( فلم استبأ سوا منه خلصوا نجيا ) قال : ماذا ترون ؟ فقال روييل كما ذكر لي ، وكان كبير القوم ( ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله لتأتني به إلا أن يحاط بكم ) ، ومن قبل ما فترطتم في يوسف . . . الآية . . . وأولى الأقوال في ذلك بالصحة : قول من قال : عن بقوله ( قال كَبِيرُهُمْ ) روييل لإجماع جميعهم على أنه كان أكبرهم سنا ، ولا تفهم العرب في المخاطبة إذا قيل لهم : فلان كبير القوم مطلقا ، بغير وصل ، إلا أحد معنيين ، إما في الرياسة عليهم والسؤدد ، وإما في السن ، فأما في العقل فلمهم إذا أرادوا ذلك وصلوه ، فقالوا : هو كبيرهم في العقل ، فأما إذا أطلق بغير صلته بذلك ، فلا يفهم إلا ما ذكرت . وقد قال أهل التأويل لم يكن لشمعون ، وإن كان قد كان من العلم والعقل بالمكان الذي جعله الله به ، على إخوته رياسة وسؤدد ، فيعلم بذلك أنه عنى بقوله ( قال كَبِيرُهُمْ ) ، فإذا كان ذلك كذلك ، فلم يبق إلا الوجه الآخر ، وهو الكبر في السن ، وقد قال الذين ذكرنا جميعا ، روييل كان أكبر القوم سنا ، فصح بذلك القول الذي اخترناه .  
وقوله ( ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ) يقول : ألم تعلموا أيها

القوم أن أبائكم يعقوب قد أخذ عليكم عهد الله ومواثيقه ، لنأتيه به جميعا ، إلا أن يحاط بكم ، ومن قبل فعلتكم هذه تفريطكم في يوسف : يقول : أو لم تعلموا من قبل هذا تفريطكم في يوسف . وإذا صرف تأويل الكلام إلى هذا الذي قلناه ، كانت « ما » حينئذ في موضع نصب . وقد يجوز أن يكون قوله ( وَمِنْ قَبْلُ مَا قَرَّرْتُمْ فِي يُوسُفَ ) خبرا مبتدأ ، ويكون قوله ( أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَائَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوَثِقًا مِنْ اللَّهِ ) خبرا متناهيا ، فتكون « ما » حينئذ في موضع رفع ، كأنه قيل : ومن قبل هذا تفريطكم في يوسف ، فتكون « ما » مرفوعة بمن قبل هذا ، ويجوز أن تكون « ما » التي تكون صلة في الكلام ، فيكون تأويل الكلام : ومن قبل هذا تفريطكم في يوسف .

وقوله ( فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ ) التي أنا بها ، وهي مصر فأفارقها ( حَتَّى يَأْتِيَ دَنْ لِي أَبِي ) بالخروج منها . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ ) التي أنا بها اليوم ( حَتَّى يَأْتِيَ دَنْ لِي أَبِي ) بالخروج منها .

حدثني المنفي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال شعون ( لَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتِيَ دَنْ لِي أَبِي ، أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ) . وقوله ( أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ) : أو يقضى لي ربي بالخروج منها ، وترك أخي بنيامين ، وإلا فاني غير خارج ( وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ) يقول : والله خير من حكم ، وأعدل من فصل بين الناس . وكان أبو صالح يقول في ذلك بما حدثني الحسين بن يزيد السبيعي ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله ( حَتَّى يَأْتِيَ دَنْ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ) قال : بالسيف ، وكان أبو صالح وجه تأويل قوله ( أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ) إلى : أو يقضى الله لي بحرب من منغى من الانصراف بأخي بنيامين إلى أبيه يعقوب ، فأحاربه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ ، فَقُولُوا : يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ ، وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا ، وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَفِظِينَ (٨١)

يقول تعالى ذكره نخبرا عن قبيل روبيل لإخوته حين أخذ يوسف أخاه بالصواع الذي استخرج من وعائه ( ارجعوا ) إخواني ( إلى آبائكم ) يعقوب ، ( فقولوا ) له ( يا أبانا إن ابنك ) بنيامين ( سرق ) ؛ والقراء على قراءة هذا الحرف بفتح السين والراء والتخفيف ( إن ابنك سرق ) . ورؤى عن ابن عباس ( إن ابنك سرق ) بضم السين وتشديد الراء ، على وجه ما لم يسم فاعله ، بمعنى : أنه سرق ( وما شهدنا إلا بما علمنا ) .

(١) هذا مصدر صريح ، مأخوذ من ما المصدرية والفعل الماضي « ما فرطتم » .



واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وما قلنا : إنه سَرَقَ إلا بظاهر علمنا بأن ذلك كذلك ، لأن صَوَاعَ الملك أصيب في وعائه ، دون أوعية غيره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( ارجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ ) فلاني ما كنت راجعا حتى يأتيني أمره ( فقولوا يا أبانا إن ابنك سَرَقَ ، وما شهيدنا إلا بما عَلِمْنَا ) : أي قد وُجِدَت السرقة في رحله ، ونحن ننظر لاعلم لنا بالغيب ( وما كُنَّا لِلغَيْبِ حَافِظِينَ ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يؤخذ بسرقة إلا بما علمنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قال لهم يعقوب عليه السلام : ما يدري هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقة إلا بقولكم ؟ فقالوا : ( ما شهيدنا إلا بما عَلِمْنَا ) لم نشهد أن السارق يؤخذ بسرقة ، إلا وذلك الذي علمنا . قال : وكان الحكم عند الأنبياء يعقوب وبنيه : أن يؤخذ السارق بسرقة عبدا فيسرق .

وقوله ( وما كُنَّا لِلغَيْبِ حَافِظِينَ ) يقول : وما كنا نرى أن ابنك يسرق ويصير أمرنا إلى هذا ، وإنما قلنا ( وَنَحْفَظُ أَخَانَا ) : مما لنا إلى حفظه منه السبيل .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن الحرث أبو عمار المروزي ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الحسن بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ( وما كُنَّا لِلغَيْبِ حَافِظِينَ ) قال : ما كنا نعلم أن ابنك يسرق .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وما كُنَّا لِلغَيْبِ حَافِظِينَ ) لم نشعر أنه يسرق .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وما كُنَّا لِلغَيْبِ حَافِظِينَ ) قال : لم نشعر أنه يسرق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وما كُنَّا لِلغَيْبِ حَافِظِينَ ) قال : لم نشعر أنه يسرق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد وأبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( وما كُنَّا لِلغَيْبِ حَافِظِينَ ) قال : ما كنا نظن ولا نشعر أنه يسرق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وما كُنَّا لِلغَيْبِ حَافِظِينَ ) قال : ما كنا نرى أنه يسرق .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَمَا كُنْنَا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ) قال : ما كنا نظنّ أن ابنك يسرق .  
 وأولى التأويلين بالصواب عندنا في قوله ( وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا ) : قول من قال : وما شهدنا بأن ابنك سرق ، إلا بما علمنا من رؤيتنا للصواع في وعائه ، لأنه عقيب قوله ( إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ ) ، فهو بأن يكون خبرا عن شهادتهم بذلك ، أولى من أن يكون خبرا عما هو منفصل .  
 وذكر أن الغيب في لغة حمير : هو الليل بعينه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَسئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ، (٨٢)

يقول : وإن كنت متهما لنا لاتصدقنا على ما نقول من أن ابنك سرق ، فاسأل القرية التي كنا فيها ، وهي مصر ، يقول : سل من فيها من أهلها ( والعير التي أقبلنا فيها ) وهي القافلة التي كنا فيها ، التي أقبلنا منها معها ، عن خبر ابنك ، وحقيقة ما أخبرناك عنه من سرقة ، فإنك تحبب مصداق ذلك ( وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ) فيما أخبرناك من خبره .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( واسأل القرية التي كنا فيها ) وهي مصر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ( واسأل القرية التي كنا فيها ) قال : يعنون مصر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قد عرف روبيل في رجوع قوله لإخوته أنهم أهل تهمة عند أبيهم ، لما كانوا صنعوا في يوسف ، وقولهم له ( اسأل القرية التي كنا فيها ، والعير التي أقبلنا فيها ) فقد علموا ما علمنا ، وشهدوا ما شهدنا إن كنت لاتصدقنا ( وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ، إِنَّهُ

هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣)

قال أبو جعفر : في الكلام متروك ، وهو : فرجع إخوة بنيامين إلى أبيهم ، تخلّف روبيل ، فأخبروه خبره ، فلما أخبروه أنه سرق قال ( بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ) يقول : بل زينت لكم أنفسكم أمرا همتم به وأردوه ( فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ) يقول : فصبري على ما نالني من فقد ولدي صبر جميل لاجزع



فيه ولا شكايه ، عسى الله أن يأتيني بأولادى جميعا ، فيردّهم علىّ ( إنّه هوّ العليم ) بوحديثى وبفقدهم وحزنى عليهم ، وصدق مايقولون من كذبه ( الحكيم ) فى تدبيره خلقه .  
وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ بِهِمْ ) يقول : زينت ، وقوله ( عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ) يقول : بيوسف وأخيه وروبييل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما جاءوا بذلك إلى يعقوب ، يعنى بقول روبييل لهم أنهمهم ، وظنّ أن ذلك كنعلتهم بيوسف ، ثم قال ( بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ بِهِمْ ) عسى الله أن يأتينى بهم جميعا ) : أى بيوسف وأخيه وروبييل .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتَوَلَّى عَنْهُمْ ، وَقَالَ : يَا سَأْتِي عَلَى يُونُسَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ ، فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( وَتَوَلَّى عَنْهُمْ ) وأعرض عنهم يعقوب ( وَقَالَ يَا سَأْتِي عَلَى يُونُسَ ) يعنى : يا حزنا عليه ، يقال : إن الأسف هو أشدّ الحزن والتندم ، يقال منه : أسفت على كذا أسف عليه أسفا ، يقول الله جلّ ثناؤه : وأبيضت عينا يعقوب من الحزن ( فَهُوَ كَظِيمٌ ) يقول : فهو مكظوم على الحزن ، يعنى أنه مملوء منه ممسك عليه ، لا يبينه صرف المفعول منه إلى فعل .  
ومنه قوله ( وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ ) وقد بيننا معناه بشواهد فى مضى .  
وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ما قلنا فى تأويل قوله ( وَقَالَ يَا سَأْتِي عَلَى يُونُسَ )

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَتَوَلَّى عَنْهُمْ ) أعرض عنهم ، وتنامّ حزنه ، وبلغ مجهوده حين لحق بيوسف أخوه ، وهيج عليه حزنه على يوسف ، فقال ( يَا سَأْتِي عَلَى يُونُسَ ، وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ ، فَهُوَ كَظِيمٌ ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَتَوَلَّى عَنْهُمْ ) وَقَالَ يَا سَأْتِي عَلَى يُونُسَ ) يقول : يا حزنى على يوسف :

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، قوله ( يَا سَأْتِي عَلَى يُونُسَ ) : يا حزنا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ( يَا سَأْتِي عَلَى يُونُسَ ) : يا جزعاه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يا أَسْمَاَ عَلَى يُوْسُفَ ) يا جزعاه حزنا .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يا أَسْمَاَ عَلَى يُوْسُفَ ) قال : يا جزعا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يا أَسْمَاَ عَلَى يُوْسُفَ ) أي حزناه . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( يا أَسْمَاَ عَلَى يُوْسُفَ ) قال : يا حزناه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن حميد المعمرى ، عن معمر ، عن قتادة نحوه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( وَقَالَ يَا أَسْمَاَ عَلَى يُوْسُفَ )<sup>١</sup> .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي حنيفة ، عن الضحاك ( يا أَسْمَاَ عَلَى يُوْسُفَ ) قال : يا حزنا على يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أبي مرزوق ، عن جوير ، عن الضحاك ( يا أَسْمَاَ ) يا حزناه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : ثني هشيم ، قال : أخبرنا جوير عن الضحاك ( يا أَسْمَاَ ) يا حزنا على يوسف .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا الثوري ، عن سفيان العصفري ، عن سعيد بن جبير ، قال : لم يعط أحد غير هذه الأمة الاسترجاع ، ألا تسمعون إلى قول يعقوب ( يا أَسْمَاَ عَلَى يُوْسُفَ ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن سعيد بن جبير ، نحوه . ذكر من قال ما قلنا في تأويل قوله تعالى ( وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ) . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَهُوَ كَظِيمٌ ) قال : كظيم الحزن .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَهُوَ كَظِيمٌ ) قال : كظيم الحزن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه . حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَهُوَ كَظِيمٌ ) قال : الحزن .

(١) لعله ترك المتن اختصارا أو اكتفاء بما تقدم عنه بسند محمد بن سعد .



حدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل : عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَهَوَ كَظِيمٌ ) مكود .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَهَوَ كَظِيمٌ ) قال : كظيم على الحزن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله ( فَهَوَ كَظِيمٌ ) قال : الكظيم : الكيد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله ( فَهَوَ كَظِيمٌ ) قال كيد .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، في قوله ( كَظِيمٌ ) قال : كيد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهَوَ كَظِيمٌ ) يقول : يردّ حزنه في جوفه ولم يتكلم بسوء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَهَوَ كَظِيمٌ ) قال : كظيم على الحزن فلم يقل بأسا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا الحسين بن الحسن ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهَوَ كَظِيمٌ ) قال : كظيم على الحزن فلم يقل إلا خيرا .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن يزيد بن زريع ، عن عطاء الخراساني ( فَهَوَ كَظِيمٌ ) قال : مكروب

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ( فَهَوَ كَظِيمٌ ) قال : من الغيظ .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهَوَ كَظِيمٌ ) قال : الكظيم : الذي لا يتكلم ، بلغ به الحزن حتى كان لا يكلمهم .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا: تَأَلَّه تَفْتَوًا تَذْكَرُ يَوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَصًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (١٥)

يعنى تعالى ذكره : قال ولد يعقوب الذين انصرفوا إليه من مصر له حين قال ( يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ ) تأله لاتزال تذكر يوسف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ( تَفْتَوٌ ) : تَفَسَّرٌ من حبه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شباية ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( تَفْتَتُوْ ) : ما تَفْتَتَرُ من حبه ، كذا قال الحسن في حديثه ، وهو غلط ، إنما هو : تَفْتَتَرُ من حبه ، تزال تذكر يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( قالوا تالله تفتتو تذكر يوسف ) قال : لا تفتت من حبه .

حدثني المنني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( تَفْتَتُوْ ) : تفتت من حبه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( تالله تفتتو تذكر يوسف ) قال : لا تزال تذكر يوسف .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قالوا ( تالله تفتتو تذكر يوسف ) قال : لا تزال تذكر يوسف ، قال : لا تفتت من حبه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( تَفْتَتُوْ تَذَكْرُ يُوْسُفَ ) قال : لا تزال تذكر يوسف .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( تَفْتَتُوْ تَذَكْرُ يُوْسُفَ ) قال : لا تزال تذكر يوسف <sup>١</sup> .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( تَفْتَتُوْ تَذَكْرُ يُوْسُفَ ) قال : لا تزال تذكر يوسف . يقال منه : ما فتئت أقول ذلك ، وما فتئت لغة ، أفئت وأفتتأ فتتأ وفئتوا . وحكى أيضا ما أفئتت به ؛ ومنه قول أوس بن حجر :

فما فتئت حتى كأن غبارها سرادق يوم ذي رباح ترفع <sup>٢</sup>

وقول الآخر :

فما فتئت خيل تشوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع <sup>٣</sup>

بمعنى : فما زالت ، وحذفت « لا » من قوله ( تَفْتَتُوْ ) وهي مرادة في الكلام ، لأن اليمين إذا كان ما بعدها خبرا لم يصحبها بالحد ، ولم تسقط اللام التي يجاب بها الأيمان ، وذلك كقول القائل : والله لا آتينك ، وإذا كان ما بعدها مجحودا ، تلقيت بما أو بلا ؛ فلما عُرِفَ موقعها حذفت من الكلام ، لمعرفة السامع بمعنى الكلام ، ومنه قول امرئ القيس :

(١) كذا في النسخ وهو مكرر سندا ومتنا باللفظ والمعنى .

(٢) البيت لأوس بن حجر التميمي . من قصيدة له في وصف الخيل ، منها ثلاثة أبيات في كتاب « المعاني الكبير لابن قتيبة

ص ١٠٠٢ . وهو شاهد مثل الذي قبله ، على أن معنى ما فتئت : ما زالت .

(٣) البيت لأوس بن حجر التميمي أيضا ، استشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣١٦ ) على أن معنى « فافتئت » : فما زالت .



فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحَ قَاعِيدًا      ولو قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي<sup>١</sup>  
 فحذفت « لا » من قوله : أبرح قاعدا ، لما ذكرت من العلة ، كما قال الآخر :  
 فَلَ وَأَبِي دَهْمَاءَ زَالَتْ عَزِيْزَةٌ      على قومِها ما فَتَّلَ الزُّنْدَ قَادِحُ<sup>٢</sup>  
 يريد : لازالت .

وقوله ( حتى تكُون حَرَّصًا ) يقول : حتى تكون دَنِيفَ الجسم ، مخبول العقل . وأصل الحَرَّصُ :  
 الفساد في الجسم والعقل ، من الحزن أو العشق ؛ ومنه قول العَرَّجِيِّ :

إِنِّي امْرُؤٌ لَحَجَّ بِي حُبِّ فَأَحْرَصْتِي      حَتَّى بُلِيْتُ وَحَتَّى شَقَسْتِي السَّقَمُ<sup>٣</sup>  
 يعني بقوله : فأحرضني : أذابني فتركني مُحْرَصًا ، يقال منه : رجل حَرَّصَ ، وامرأة حَرَّصَ ، وقوم حَرَّصَ ،  
 ورجلان حَرَّصَ ، على صورة واحدة للمذكر والمؤنث ، وفي التثنية والجمع . ومن العرب من يقول للذكر :  
 حارص ، وللأنثى حارضة ، فإذا وصف بهذا اللفظ ثني وجمع وذكر وأنث ، ووحد حَرَّصَ بكل حال ،  
 ولم يدخله التأنيث ، لأنه مصدر ، فاذا أخرج على فاعل على تقدير الأسماء ، لزمه ما يلزم الأسماء من التثنية  
 والجمع والتذكير والتأنيث . وذكر بعضهم سماعا رجل مُحْرَصَ : إذا كان وجعا ، وأنشد في ذلك بيتا .

(١) البيت لامرئ القيس ، من شعره في ( مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلق السقا ، طبعة مصطلق الباني الحلبي وأولاده بالقاهرة ،  
 ص ٣٨ ) . أبرح : أي لا أبرح بإضمار حرف النون ، لدلالة المعنى عليه ، لأن الفعل بعد القسم غير مؤكد ، ولو كان الكلام إثباتا ،  
 لوجب توكيد الفعل بالنون . ومثله في القرآن « تالله نفثا تذكر يوسف » أي لا نفثا . حذف منه حرف النون ، كما حذف في قول امرئ  
 القيس : « يمين الله أبرح » أي لا أبرح . والأوصال : جمع وصل ، بالكسر ، وهو كل عضو يتفصل من آخر .  
 (٢) أورد البيت البغدادي في خزنة الأدب الكبرى ( ٤ : ٤٥ - ٤٧ ) ولم يعرف قائله ولا تنمة الشعر . وهو شاهد على أنه  
 قد فصل بالجار والمجرور عن الجملة القسمية ، وهو « وأبي دهماء ، بين « لا » النافية ، وبين « زالت » . وهذا الفصل لا يجزئه  
 النعارة ، ويعتبرون ما جاء منه شاذا ، إلا ابن هشام في باب الجملة الاعتراضية فقد قال : ويفصل بين حرف النون ، ومنه ، كقوله  
 فلا وأبي دهماء زالت عزيزة . وقال الفراء في معاني القرآن ( الورقة ١٥٦ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ) : قالوا « تالله نفثا  
 تذكر يوسف » معناها : لا تزال تذكر يوسف . ولا قد يضم مع الأيمان ، لأنها إذا كانت خيرا : لا يضم فيها لا ، لم تكن إلا  
 بلام ؛ ألا ترى أنك تقول والله لا تينك ، لا يجوز أن تقول : والله أتيتك ، إلا أن تكون تريد لا ، فلما تبين موضعها ، وفارقت الخبر  
 أضمرت . قال امرؤ القيس : « فقلت يمين الله أبرح » . . . البيت . وأنشد في بعضهم : « فلا وأبي دهماء . زالت عزيزة . . . »  
 البيت ، يريد لازالت . وقد تبع المؤلف الفراء في قوله . وقال ابن الملا الحلبي ( الخزانة ٤ : ٤٦ ) يجوز أن تكون لا في البيت  
 ردا ، وحرف النون محذوف ولا اعتراض . انتهى . وقد رد شارح كافية ابن الحاجب محمد بن الحسن الإستراباذي هذا الجواز ( ٢ :  
 ٢٩٥ طبع الشركة الصحافية العثمانية بالقسطنطينية سنة ١٣١٠ هـ ) قال : وقوله : « فلا وأبي دهماء زالت عزيزة » شاذ ،  
 وليس مما حذف منه حرف النون ، كما في قوله تعالى : « تالله نفثا تذكر يوسف » بتأويل لا وأبي دهماء لازالت ، لأن حذفها لم  
 يسمع إلا من مضارعاتها ، وإنما جاز حذفها لعدم اللبس ، إذ قد تقرر أنها لا تكون ناقصة إلا معها . قال :

تَسْمَعُكَ تَسْمَعُ مَا حَبِيْبَتٌ بِهَالِكٍ حَتَّى تَكُوْنَهُ

ويحذف منها كثيرا في جواب القسم ، كقوله تعالى : « تالله نفثا تذكر يوسف » لأن حذف حرف النون في جواب القسم ثابت في غير  
 هذه الأفعال أيضا ، نحو والله أقوم : أي لا أقوم ، فكيف بها . اهـ .  
 ودهماء : اسم امرأة ، أقسم الشاعر بوالدها ، وجملة « لازالت عزيزة » جواب القسم . وقيل الزند أو تفتيله عند الاقتراح مفضل  
 في الخزانة ( ٤ : ٤٧ ) فراجع .

(٣) البيت لعرجي عبد الله بن عمر بن عبد الله ( انظره في اللسان : حرض ) . وذكره أبو عبيدة شاهدا على أن معنى أحرضني :  
 أذابني ( مجاز القرآن : ١ : ٣١٧ ) . وقال في اللسان : أحرضه الحب : أي أفسده ، وأنشد لعرجي . . . البيت . أي أذابني .

طَلَبَتْهُ الْخَيْلُ يَوْمًا كَامِلًا وَلَوَّ الْفَتْنَةُ لِأَضْحَى مُحْرَضًا<sup>١</sup>

وذكر أن منه قول امرئ القيس :

أَرَى الْمَرْءَ ذَا الْأَذْوَادِ يُصْبِحُ مُحْرَضًا كإِحْرَاضِ بَكْرِ فِي الدِّيَارِ مَرِيضًا<sup>٢</sup>  
ربنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا ) يعني : الجهد في المرض البالي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا ) قال : دون الموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ( حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا ) قال : الحرص : مادون الموت .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا ) حتى تبلى أو تهرم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا ) :

حتى تكون هرما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أبي بكر الهذلي ، عن الحسن ( حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا )

قال : هرما .

قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : الحرص : الشيء البالي .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله

( حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا ) قال : الحرص : الشيء البالي الغاني .

(١) البيت في تفسير الشوكاني ( طبع شركة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بالقاهرة ٣ : ٤٦ ) ولم ينسبه إلى قائله . وهو شاهد على أن الحرص : الفاسد العقل والجسم . وأحرضه أهم : أسقمه . والحرص : الذائب من أهم .

(٢) البيت لامرئ القيس ( مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطفى السقا . طبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بالقاهرة ص ٦٥ ) . والأذواد : جمع ذود ، وهو الثلاثة إلى العشرة من الإبل . والحرص الذي قارب الهلاك . وقال في اللسان : حرصه المرض وأحرضه : إذا أثنى منه على شرف الموت ، وأحرض هو نفسه كذلك ، وقال الأزهرى : الحرص : الهالك مرضا ، الذي لاحى فيرجى ، ولا ميت فيومس منه ؛ قال امرؤ القيس . . . البيت ، ويروى محرصا ( بكسر الراء ) .



قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أبي معاذ ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاک ( حَتَّى تَكُونَ حَرَّضًا ) الحَرَّضُ : البالي .

حدثنا عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاک يقول في قوله ( حَتَّى تَكُونَ حَرَّضًا ) : هو البالي المنذر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السديّ ( حَتَّى تَكُونَ حَرَّضًا ) باليا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما ذكر يعقوبُ يوسف ، قالوا : يعنى ولده الذين حضروه في ذلك الوقت ، جهلا وظلما : ( تَاللهِ تَفْتَنُوْا تَدْرُكُوْا يُوْسُفَ حَتَّى تَكُوْنَ حَرَّضًا ) أى تكون فاسدا لاعقل لك ( أَوْ تَكُوْنَ مِّنَ الْهَالِكِيْنَ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( حَتَّى تَكُونَ حَرَّضًا أَوْ تَكُونُ مِّنَ الْهَالِكِيْنَ ) قال : الحَرَّضُ الذى قدر دة إلى أرذل العمر ، حتى لا يعقل ، أو تهلك ، فتكون هالكا قبل ذلك .

وقوله ( أَوْ تَكُونُ مِّنَ الْهَالِكِيْنَ ) يقول : أو تكون ممن هلك بالموت .

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ( أَوْ تَكُونُ مِّنَ الْهَالِكِيْنَ ) قال : الموت .

حدثني المنفي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَوْ تَكُونُ مِّنَ الْهَالِكِيْنَ ) : من الميتين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربيّ ، عن جوير ، عن الضحاک ( أَوْ تَكُونُ مِّنَ الْهَالِكِيْنَ ) قال : الميتين .

حدثني المنفي ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاک ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن عون ، عن أبي بكر الهذليّ ، عن الحسن ( أَوْ تَكُونُ مِّنَ الْهَالِكِيْنَ ) قال : الميتين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَوْ تَكُونُ مِّنَ الْهَالِكِيْنَ ) قال أو تموت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( أَوْ تَكُونُ مِّنَ الْهَالِكِيْنَ ) قال : من الميتين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السديّ ( أَوْ تَكُونُ مِّنَ الْهَالِكِيْنَ ) قال :

من الميتين .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦)

يقول تعالى ذكره : قال يعقوب للقائلين له من ولده ( تالله تفتنؤ تدمكر يوسف حتى تكون حراً أو تكون من الهالكين ) لست إليكم أشكو بتي وحزني ، وإنما أشكو ذلك إلى الله .  
وبعني بقوله ( إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي ) ما أشكو همي ( وَحُزْنِي ) إلا ( إلى الله ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي ) قال ابن عباس : بتي : همي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يعقوب : عن علم بالله ( إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ) لما رأى من فظاظهم وغلظهم وسوء لفظهم به : لم أشك ذلك إليكم ( وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن الحسن ( إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ) قال : حاجتي وحزني إلى الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا هروذة بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، مثله . وقيل : إن البث أشد الحزن ، وهو عندي من بث الحديث ، وإنما يراد منه : إنما أشكو خبري الذي أنا فيه من الهم ، وأبث حديثي وحزني إلى الله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن ( إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي ) قال : حزني .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن ( إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي ) قال : حاجتي .

وأما قوله ( وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ) فإن ابن عباس كان يقول في ذلك فيما ذكر عنه ما حدثني به محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ) يقول : أعلم أن رؤيا يوسف صادقة ، وأني سأسجد له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ( قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ) قال : لما أخبروه بدعاء الملك ، أحست نفس يعقوب ، وقال : ما يكون في الأرض صديق إلا نبي ، فطمع ، قال : لعله يوسف :



حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ) الآية ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ يَعْقُوبَ لَمْ يَنْزَلْ بِهِ بَلَاءٌ قَطَّ إِلَّا أَنِّي حَسُنُ ظَنَّهُ بِاللَّهِ مِنْ وِرَائِهِ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عيسى بن يزيد ، عن الحسن ، قال : قيل : ما بلغ وجد يعقوب على ابنه ؟ قال : وَجَدَ سَبْعِينَ ثَكَلِي ، قال : فما كان له من الأجر ، قال : أجز مئة شهيد ، قال : وما ساء ظنه بالله ساعة من ليل ولا نهار .

حدثنا به ابن حميد مرة أخرى ، قال : ثنا حكام ، عن أبي معاذ ، عن يونس ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن المبارك بن مجاهد ، عن رجل من الأزدي ، عن طلحة بن مصرّف الإيامي ، قال : ثلاثة لا تذكرهن ، واجتنب ذكرهن : لا تشك مرضك ، ولا تشك مصيبتك ، ولا ترك نفسك . قال : وأنبت أن يعقوب بن إسحاق دخل عليه جار له ، فقال له : يا يعقوب ، مالي أراك قد انهشمت وفنيت ، ولم تبلغ من السن ما يبلغ أبوك ، قال : هَشَمْتَنِي وَأَفْنَانِي مَا ابْتَلَانِي اللَّهُ بِهِ ، مِنْ هَمِّ يَوْسُفَ وَذِكْرِهِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : يَا يَعْقُوبُ ، أَتَشْكُونِي إِلَى خَلْقِي ؟ فقال : يارب خطيئة أخطأتها ، فاغفرها لي ، قال : فإني قد غفرت لك ، وكان بعد ذلك إذا سئل ، قال ( إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ) .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا مؤمل بن إسماعيل ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : بلغني أن يعقوب كبير حتى سقط حاجباه على وجنتيه ، فكان يرفعهما بخرقه ، فقال له رجل : ما بلغ بك ما أرى ؟ قال : طول الزمان ، وكثرة الأحزان ، فأوحى الله إليه : يا يعقوب تشكوني ؟ قال : خطيئة فاغفرها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا ثور بن يزيد ، قال : دخل يعقوب على فرعون وقد سقط حاجباه على عينيه ، فقال : ما بلغ بك هذا يا إبراهيم ؟ فقالوا : إنه يعقوب ، فقال : ما بلغ بك هذا يا يعقوب ؟ قال : طول الزمان ، وكثرة الأحزان ، فقال الله : يا يعقوب أتشكوني ؟ فقال : يارب خطيئة أخطأتها ، فاغفرها لي .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا هشام ، عن ليث بن أبي سليم ، قال : دخل جبرئيل على يوسف السجن ، فعرفه ، فقال : أيها الملك الحسن وجهه ، الطيبة ريحُه ، الكريم على ربه ، ألا تخبرني عن يعقوب : أحي هو ؟ قال : نعم ، قال : أيها الملك الحسن وجهه ، الطيبة ريحُه ، الكريم على ربه ، فما بلغ من حزنه ؟ قال : حزن سبعين مُشْكَلَةً ، قال : أيها الملك الحسن وجهه ، الطيبة ريحُه ، الكريم على ربه ، فهل في ذلك من أجر ؟ قال : أجر مئة شهيد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، قال : حدثت أن جبرئيل أتى يوسف صلى الله عليهما وسلم وهو بمصر في صورة رجل ؛ فلما رآه يوسف عرفه ،

فقام إليه ، فقال : أيها الملك الطيب ريح ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل لك بيعقوب من علم ؟ قال : نعم ، قال : أيها الملك الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، فكيف هو ؟ قال : ذهب بصره ، قال : أيها الملك الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، وما الذي أذهب بصره ؟ قال : الحزن عليك ؟ قال : أيها الملك الطيب ريح ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، فما أعطى على ذلك ؟ قال : أجر سبعين شهيدا .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال أبو شريح : سمعت من يحدث أن يوسف سأل جبرئيل ، ما بلغ من حزن يعقوب ؟ قال : حزن سبعين ثكلى ، قال : فما بلغ أجره ؟ قال : أجر سبعين شهيدا .

قال أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني نافع بن يزيد ، عن عبيد الله بن أبي جعفر ، قال : دخل جبرئيل على يوسف في البئر أو في السجن ، فقال له يوسف : يا جبرئيل ، ما بلغ حزن أبي ؟ قال حزن سبعين ثكلى ، قال : فما بلغ أجره من الله ، قال : أجر مئة شهيد .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : أتى جبرئيل يوسف بالبشرى وهو في السجن ، فقال : هل تعرفني أيها الصديق ، قال : أرى صيرة طاهرة ، وروحا طيبة ، لاتشبه أرواح الخاطئين ، قال : فإني رسول رب العالمين ، وأنا الروح الأمين ، قال : فما الذي أدخلك على مُدْخَل المذنبين ، وأنت أطيب الطيبين ، ورأس المقرَّبين ، وأمين رب العالمين ؟ قال : ألم تعلم يا يوسف أن الله يطهر البيوت بطهر النبيين ، وأن الأرض التي يدخلونها هي أطهر الأرضين ، وأن الله قد طهر بك السجن وما حوله ياطهر الطاهرين وابن المطهرين ؟ إنما يتطهر بفضل طهرك وطهر آبائك الصالحين المخلصين ، قال : كيف لي باسم الصديقين ، وتعدتني من المخلصين ، وقد أدخلت مدخل المذنبين ، وسميت بالفضائل المفسدين ، قال : لم يفتن قلبك ، ولم تطع سيدتك في معصية ربك ، ولذلك سماك الله في الصديقين ، وعدك من المخلصين ، وألحقك بأبائك الصالحين ، قال : لك علم بيعقوب أيها الروح الأمين ؟ قال : نعم ، وهبه الله الصبر الجميل ، وابتلاه بالحزن عليك ، فهو كظيم ، قال : فما قدر حزنه ؟ قال : حزن سبعين ثكلى ، قال : فماذا له من الأجر يا جبرئيل ؟ قال : قدر مئة شهيد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن ثابت البناني ، قال : دخل جبرئيل على يوسف في السجن ، فعرفه يوسف ، قال : فأتاه فسلم عليه ، فقال : أيها الملك الطيب ريح ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل لك من علم بيعقوب ؟ قال : نعم ، قال : أيها الملك الطيب ريح ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل تدري ما فعل ؟ قال : ابيضت عيناه ، قال : أيها الملك الطيب ريح ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، ممّ ذاك ؟ قال : من الحزن عليك ، قال : أيها الملك الطيب ريح ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، وما بلغ من حزنه ؟ قال : حزن سبعين مُشْكَلَةً ، قال : أيها الملك الطيب ريح ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل له على ذلك من أجر ؟ قال : نعم أجر مئة شهيد .



حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : أتى جبرئيل يوسف وهو في السجن فسلم عليه ، وجاء في صورة رجل حسن الوجه ، طيب الريح ، نقى الثياب ، فقال له يوسف : أيها الملك الحسن وجهه ، الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، حدثني كيف يعقوب ؟ قال : حزن عليك حزنا شديدا ، قال : وما بلغ من حزنه ؟ قال : حزن سبعين مُشكَّلة ، قال : فما بلغ من أجره ؟ قال : أجر سبعين أو مئة شهيد ، قال يوسف : فإلى من أوى بعدى ؟ قال : إلى أخيك بنيامين ، قال : فتراني ألقاه أبدا ؟ قال : نعم ، فبكى يوسف لما لقي أبوه بعده ، ثم قال : ما أبالي ما لقيت إن الله أرانيه .

قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : أتى جبرئيل يوسف وهو في السجن ، فسلم عليه ، فقال له يوسف : أيها الملك الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، هل من علم بيعقوب ؟ قال : نعم ما أشد حزنه ! قال : أيها الملك الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، ماذا له من الأجر ؟ قال : أجر سبعين شهيدا ، قال : أفتراني لاقية ؟ قال : نعم ، قال : فطابت نفس يوسف :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما دخل يعقوب على الملك وحاجباه قد سقطا على عينيه ، قال الملك : ما هذا ؟ قال : السنون والأحزان أو الموم والأحزان ، فقال ربه يا يعقوب لم تشكروني إلى خلقي ، ألم أفعل بك وأفعل ؟

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن مسلم بن يسار يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ بَثَّ لَمْ يَصْبِرْ » ثم قرأ ( إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ) :

حدثني عمرو بن عبد الحميد الأملي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلى يوم رجع ثمانون سنة ، لم يفارق الحزن قلبه ، يبكي حتى ذهب بصره ، قال الحسن : والله ما على الأرض يومئذ خليفة أكرم على الله من يعقوب صلى الله عليه وسلم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يٰۤاَيُّهَا اٰذْهَبُوْا فْتَحَسَّسُوْا مِنْ يُّوسُفَ وَاٰخِيهِ ، وَلَا تَايْتَسُوْا مِنْ رُّوْحِ اللّٰهِ ، اِنَّهٗ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رُّوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكٰفِرُوْنَ (٨٧)

يقول تعالى ذكره ، حين طمع يعقوب في يوسف ، قال لبنيه : يا بني اذهبوا إلى الموضع الذي جنم منه ، واخلقتم أخويكم به ( فْتَحَسَّسُوْا مِنْ يُّوسُفَ ) يقول : اتمسوا يوسف . وتعرفوا من خبره وأصل التحسس : التفتل من الحسن ( وَاٰخِيهِ ) يعني بنيامين ( وَلَا تَايْتَسُوْا مِنْ رُّوْحِ اللّٰهِ ) يقول : ولا تقنطوا من أن يروح الله عنا ما نحن فيه ، من الحزن على يوسف وأخيه ، بفتح من عنده ، فبرئيهما

( إِنَّهُ لَا يَبِيَّاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ ) يقول : لا يقنط من فرجه ورحمته ، ويقطع رجاءه منه ( إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ) يعني : القوم الذين يحدون قدرته على ما شاء تكوينه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ( يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ ) بمصر ( وَلَا تَبَيَّسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ ) قال : من فرج الله أن يرد يوسف .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ( وَلَا تَبَيَّسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ ) أي من رحمة الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم إن يعقوب قال لبنيه ، وهو على حسن ظنه بربه ، مع الذي هو فيه من الحزن : يا بني اذهبوا إلى البلاد التي منها جنم ( فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ ) ، وَلَا تَبَيَّسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ ) : أي من فرجه ( إِنَّهُ لَا يَبِيَّاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ) .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَلَا تَبَيَّسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ ) يقول : من رحمة الله .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تَبَيَّسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ ) قال : من فرج الله ، يفرج عنكم الغم الذي أنتم فيه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ ، قَالُوا : يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ ، وَجِئْنَا بِيضَاعٍ مُزْجَاةٍ ، فَأَوْفِ

لَنَا الْكَيْلَ ، وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ، إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ( ٨٨ )

وفي الكلام متروك قد استغنى بذكر مظهر عما حذف ، وذلك فخرجوا راجعين إلى مصر حتى صاروا إليها ، فدخلوا على يوسف ، ( فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ ) : أي الشدة من الجذب والقحط ( وَجِئْنَا بِيضَاعٍ مُزْجَاةٍ ) .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وخرجوا إلى مصر راجعين إليها بيضاعة مُزْجَاة : أي قليلة ، لا تبلغ ما كانوا يتبايعون به ، إلا أن يتجاوز لهم فيها ، وقد رأوا ما نزل بأبيهم ، وتتابع البلاء عليه في ولده وبصره ، حتى قدموا على يوسف ( فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ ) ، رجاء أن يرحمهم في شأن أخيهم ( مَسَّنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ ) ، وعسى بقوله ( وَجِئْنَا بِيضَاعٍ مُزْجَاةٍ )



بدرهم أو ثمن لا يجوز في ثمن الطعام، إلا لمن يتجاوز فيها ، وأصل الإزجاء : السوق بالدفع ، كما قال  
الناطقة الذبياني :

وَهَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ ذِي أُرْلٍ      تُزْجِي مَعَ اللَّيْلِ مِينَ صُرَادِهَا صِرْمًا  
يعنى تسوق وتدفع ؛ ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :  
الْوَاهِبُ المِثَّةَ الهِجَانَ وَعَبَسَدَهَا      عُوذًا تُزْجِي خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا  
وقول حاتم :

لَيْبِكَ عَلَى مِلْحَانَ ضَيْفٍ مُدْفَعٍ      وَأَرْمَلَةٌ تُزْجِي مَعَ اللَّيْلِ أَرْمَلًا  
يعنى أنها تسوقه بين يديها، على ضعف منه عن المشى وعجز . ولذلك قيل (بِضَاعَةٌ مُزْجَاةٌ) لأنها غير  
نافقة ، وإنما تجوز تجوزا على نفع ؛ من أخذها . وقد اختلف أهل التأويل في البيان عن تأويل ذلك ، وإن  
كانت معانى بيانهم متقاربة .

#### ذكر أقوال أهل التأويل في ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ،  
عن عكرمة ، عن ابن عباس (بِضَاعَةٌ مُزْجَاةٌ) قال : ردية زُيُوف ، لا تنفق حتى يوضع منها .  
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقري ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن  
عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (وَجِثْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : الردية التي لا تنفق حتى يوضع منها .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس  
(وَجِثْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : خَلَقَ الغِرَارَةَ والحبل والشئ .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان  
عن ابن أبي مليكة ، قال : سمعت ابن عباس ، وسئل عن قوله (وَجِثْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : رثة  
المتاع : الحبل والغِرَارَةَ والشئ .

- (١) البيت في شعر الناطقة الذبياني (مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلح السقا ، طبعة الحلبي ص ١٧٠) وهو البيت التاسع  
في القصيدة . وذو أُرْل : جبل بأرض نطفان في مهب الشمال ، وتلقاه : قبالة . وتزجي : تسوق . والصراد : سحاب بارد  
لا ماء فيه . والصرم : جمع صرمة ، وهي قطع السحاب وأصلها : القطعة من الإبل . يقول : إذا هبت الريح من عند ذي أُرْل  
كانت شمالا ، وهي أشد الرياح بردا ، وأقلها خيرا . والبيت شاهد على أن الإزجاء السوق بالدفع .
- (٢) البيت لأعشى بنى ثعلبة ، ميمون ، وهو الأعشى الأكبر ، وهو في ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين  
(ص ٢٩) وهو من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب ، ومطلعها : « رحلت سمية غدوة أجمالها » . والمهجان : جمع هجين ،  
وهو الأبيض الكريم ، يقال إبل هجان . والعوذ : الحديثات التناج ، وزجي الشئ : دفعه برفق . يقول : إن الممدوح يهب المنة  
من الإبل وعيها ، تتبعها أطفالها ، تسعى خلفها .
- (٣) البيت في (اللسان : رمل) أنشده ابن بري شاهدا على أن الأرملة المرأة التي لا زوج لها . واستشهد به المؤلف على أن معنى  
الإزجاء السوق والدفع .
- (٤) لعله على دفع .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَجِئْنَا بِبِضْأَعَةٍ مُزْجَاةٍ ) قال : البضاعة : الدراهم ، والمزجاة : غير طائل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن ابن أبي زياد ، عن حدثه ، عن ابن عباس ، قال : كاسدة غير طائل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : ثنا أبو حصين ، عن سعيد بن جبيرة وعكرمة ( وَجِئْنَا بِبِضْأَعَةٍ مُزْجَاةٍ ) قال : سعيد ناقصة . وقال عكرمة : دراهم فسؤل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبيرة وعكرمة مثله . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي حصين عن سعيد بن جبيرة وعكرمة ( وَجِئْنَا بِبِضْأَعَةٍ مُزْجَاةٍ ) قال أحدهما : ناقصة . وقال الآخر : ردية .

وبه قال : ثنا أبي عن سفیان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : كان سمنا وصوفا . حدثنا الحسن ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن يزيد بن أبي زياد قال : سأل رجل عبد الله بن الحارث وأنا عنده ، عن قوله ( وَجِئْنَا بِبِضْأَعَةٍ مُزْجَاةٍ ) قال : قليلة ، متاع الأعراب : الصوف والسمن .

حدثنا إسحاق بن زياد القطان أبو يعقوب البصري ، قال : ثنا محمد بن إسحاق البلخي ، قال : ثنا مروان ابن معاوية الفزاري ، عن مروان بن عمرو العذري ، عن أبي إسماعيل ، عن أبي صالح ، في قوله ( وَجِئْنَا بِبِضْأَعَةٍ مُزْجَاةٍ ) قال : الصنوبر والحبة الخضراء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن يزيد بن الوليد ، عن إبراهيم ، في قوله ( وَجِئْنَا بِبِضْأَعَةٍ مُزْجَاةٍ ) قال : قليلة ، ألا تسمع قوله : فأوقر ركابنا ، وهم يقرهون كذلك .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، أنه قال : ما أراها إلا القليلة ، لأنها في مصحف عبد الله : وأوقر ركابنا ، يعني قوله : مزجاة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن القعقاع بن يزيد ، عن إبراهيم ، قال : قليلة ، ألم تسمع إلى قوله : وأوقر ركابنا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي بكر الهذلي ، عن سعيد بن جبيرة والحسن ( بِضْأَعَةٍ مُزْجَاةٍ ) قال سعيد : الردية . وقال الحسن : القليلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن يزيد ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : متاع الأعراب ، سمن وصوف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية ، قال : دراهم ليست بطائل .



حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد :  
(مَرْجَاة) قال : قليلة :

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مَرْجَاة) :  
قال : قليلة .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :  
قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث (وَجِشْنَا  
بِبَيْضَاعَةِ مَرْجَاةٍ) قال : شيءٌ من صوف ، وشيءٌ من سم .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، قال : قليلة :  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (مَرْجَاة) :  
قال : قليلة :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :  
قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن عكرمة ، قال : ناقصة :  
وقال سعيد بن جبير : فسول .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر ، عن سعيد بن جبير (وَجِشْنَا بِبَيْضَاعَةِ مَرْجَاةٍ)  
قال : ردية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : كاسدة لاتنفق .  
حدثني المنثي ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال كاسدة :  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : كاسدة غير طائل :  
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول  
في قوله (بِبَيْضَاعَةِ مَرْجَاةٍ) يقول : كاسدة غير نافقة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن  
جبير (وَجِشْنَا بِبَيْضَاعَةِ مَرْجَاةٍ) قال : الناقصة ، وقال عكرمة : فيها تجوز :  
قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الدراهم الردية التي لا تجوز  
إلا بنقصان .

قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الدراهم الرذال ، التي لا تجوز إلا بنقصان :  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : دراهم فيها جواز .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجِشْنَا بِبَيْضَاعَةِ مَرْجَاةٍ) :  
أى يسيرة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ )  
قال : المزجاة : القليلة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ ) : أى قليلة لا تبلغ  
ما كنا نشترى به منك ، إلا أن تتجاوز لنا فيها .

وقوله ( فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ ) بها ، وأعطنا بها ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد ، والدرهم الجائزة ،  
الوافية التى لا ترد .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ ) : أى أعطنا ما كنت  
تعطينا قبل ، فإن بضاعتنا مزجاة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ( فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ ) قال : كما كنت  
تعطينا بالدرهم الجياد .

وقوله ( وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ) يقول تعالى ذكره : قالوا : وتفضل علينا بما بين سعر الجياد والرديه ، فلا  
تنقصنا من سعر طعامك لردى بضاعتنا ( إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ) يقول : إن الله يثيب المتفضلين على  
أهل الحاجة بأموالهم .

وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ( وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ) قال : تفضل بما  
بين الجياد والرديه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن سعيد بن جبیر ( فَأَوْفٍ  
لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ) لانتقصنا من السعر من أجل ردى دراهمنا .

واختلفوا فى الصدقة ، هل كانت حلالا للأنبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أو كانت حراما ؟  
فقال بعضهم : لم تكن حلالا لأحد من الأنبياء عليهم السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن سعيد بن جبیر ، قال :  
ما سألت نبي قط الصدقة ، ولكنهم قالوا ( جِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ ، فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ ، وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ) :  
لانتقصنا من السعر .

وروى عن ابن عيينة ما حدثني به الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : يحكى عن سفيان بن عيينة أنه  
سئل : هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم تسمع قوله :  
( فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ، إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ) .



قال الحارث ، قال القاسم : يذهب ابن عيينة إلى أنهم لم يقولوا ذلك إلا والصدقة لهم حلال ، وهم أنبياء ، فإن الصدقة إنما حرمت على محمد صلى الله عليه وسلم ، لا عليهم .  
وقال آخرون : إنما عني بقوله ( وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ) وتصدق علينا برد أخينا إلينا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ) قال : ردّ إلينا أخانا ، وهذا القول الذي ذكرناه ، عن ابن جريج ، وإن كان قولاً له وجه ، فليس بالقول المختار في تأويل قوله ( وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ) لأن الصدقة في المتعارف : إنما هي إعطاء الرجل ذا الحاجة بعض أملاكه ابتغاء ثواب الله عليه ، وإن كان كل معروف صدقة ، فتوجيه تأويل كلام الله إلى الأغلب من معناه في كلام من نزل القرآن بلسانه أولى وأحرى .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال مجاهد .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن عثمان بن الأسود ، قال : سمعت مجاهدا ، وسئل : هل يكره أن يقول الرجل في دعائه : اللهم تصدق عليّ ؟ فقال : نعم ، إنما الصدقة لمن يبغى الثواب .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ؟ (٨٩)

﴿ ذُكِرَ أَنَّ يَوْسُفَ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، لَمَّا قَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ ( يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ ، فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ، إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ) أَدْرَكَتْهُ الرِّقَّةُ ، وَبَاحَ لَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُهُمْ مِنْ شَأْنِهِ .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكِرَ لِي أَنَّهُمْ لَمَّا كَلَمُوهُ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَيْهِ نَفْسَهُ ، فَارْفَضَ دَمْعَهُ بِأَكْيَا ، ثُمَّ بَاحَ لَهُمْ بِالَّذِي يَكْتُمُ مِنْهُمْ ، فَقَالَ ( هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ) ، وَلَمْ يَعْزِمْ بِذِكْرِ أَخِيهِ ، مَا صَنَعَهُ هُوَ فِيهِ حِينَ أَخَذَهُ ، وَلَكِنْ لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ ، إِذْ صَنَعُوا بِيُوسُفَ مَا صَنَعُوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضَّرَّ ) . . . الآية ، قال : فرحمهم عند ذلك ، فقال لهم : ( هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ) ؟

فتأويل الكلام : هل تذكرون ما فعلتم بيوسف وأخيه ، إذ فرقتم بينهما ، وصنعتن ما صنعتن ، إذ أنتم جاهلون ، يعني في حال جهلكم بعاقبة ما فعلون بيوسف ، وما إليه صائر أمره وأمركم ؟

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا أَوَآهِنَاكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ، قَالَ : أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ، إِنَّهُ مَن يَتَّقِ

وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠)

يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف له حين قال لهم ذلك يوسف : ( إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ) . فقال : نعم ( أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ) بأن جمع بيننا بعد ما فرقتم بيننا ( إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ) يقول : إنه من يتق الله فيراقبه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه . ويصبر : يقول : ويكف نفسه ، فيحبسها عما حرم الله عليه من قول أو عمل ، عند مصيبة نزلت به من الله ( فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ) يقول : فإن الله لا يبطل ثواب إحسانه ، وجزاء طاعته إياه ، فيما أمره ونهاه .

وقد اختلف القراء في قراءة قوله ( إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار ( أَيْنِكَ ) على الاستفهام . وذكر أن ذلك في قراءة أبي بن كعب ( أَوَ أَنْتَ يُوسُفُ ) . ورؤى عن ابن محيصن أنه قرأ ( إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ) على الخبر ، لا على الاستفهام .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ، قراءة من قرأه بالاستفهام ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال لهم ذلك ، يعني قوله ( هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ) ؟ كَشَفَ الْغَطَاءَ فَعَرَفُوهُ ، فَقَالُوا ( أَأَيْنِكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني من سمع عبد الله بن إدريس يذكر ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله ( إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ) يقول : من يتق معصية الله ويصبر على السجن .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : تَأَلَّه لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ، وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ (٩١)

يقول جل ثناؤه : قال إخوة يوسف له : تأله لقد فضلك الله علينا ، وآثرك بالعلم والحلم والفضل ، ( وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ ) يقول : وما كنا في فعلنا الذي فعلنا بك ، في تفريقنا بينك وبين أهلك وأخيك ، وغير ذلك من صنيعنا الذي صنعنا بك ، إلا خطيئين : يعنون خطيئين ، يقال منه : خطيئ فلان بخطئا خطأ وخطئا ، وأخطأ بخطيئ خطأ ، ومن ذلك قول أمية بن الأسكر :

وَإِنْ مُهَاجِرِينَ تَكْتَنَفَاهُ لِعَمْرُ اللَّهِ قَدْ خَطِيئًا وَحَابًا

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) البيت لأمية بن الأسكر الليثي . ويقال فيه : الأشكر : بالشين ، وهو شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام وأسلم والبيت من شعر له في ابنة كلاب الذي لقي طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، فسألها : أي الأعمال أفضل في الإسلام ؟ فقالت : الجهاد ، فسأل عمر ، فأغزاه في جيش ، وكان أبوه كبير وضعف ، فطالت غيبته عنه ، فقال : « وإن مهاجرين » . . . الخ . والبيت =



ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما قال لهم يوسف ( أنا يوسفُ وَهَذَا أَخِي ) اعتذروا إليه ، وقالوا ( نالهُ لَقَدْ أَشْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ) فيما كنا صنعنا بك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( نالهُ لَقَدْ أَشْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ) وذلك بعد ما عرفهم أنفسهم ، يقول : جعلك الله رجلا حليما .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ، يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)

يقول تعالى ذكره : قال يوسف لإخوته ( لا تثريبَ ) يقول : لا نغيب عليكم ولا إفساد لما بيني وبينكم من الحرمة ، وحق الأخوة ، ولكن لكم عندي الصّفاح والعفو .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لا تثريبَ عَلَيْكُمْ ) لم يثرب عليهم أعمالهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، قوله ( لا تثريبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ ) قال : قال سفيان : لا تعبير عليكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( قال لا تثريبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ ) : أي لا تأنيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : اعتذروا إلى يوسف ، فقال ( لا تثريبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ ) يقول : لا أذكر لكم ذنبكم .

وقوله ( يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ) وهو أرحم الراحمين ) وهذا دعاء من يوسف لإخوته ، بأن يغفر الله لهم ذنبهم ، فيما أتوا إليه ، وركبوا منه من الظلم ؛ يقول : عفا الله لكم عن ذنبكم وظلمكم ، فستره عليكم ( وهو أرحم الراحمين ) يقول : والله أرحم الراحمين ممن تاب من ذنبه ، وأنا ب إلى طاعته ، بالتوبة من معصيته .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ) وهو أرحم الراحمين ) حين اعترفوا بذنبهم .

استشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن عند قوله تعالى ( إنه كان حوبا كبيرا ) أي إنما ، لأن الرواية في البيت « وحابا » بالحاء ، لا بالحاء . واستشهد به مرة ثانية عند قوله تعالى : « وإن كنا لخاطئين » قال : مجازه : وإن كنا خاطئين . وتزاد اللام المفتوحة للتوكيد والتثبيت . وخطئت وأخطأت : واحد . قال امرؤ القيس : « يالغف هت إذ خطئن كاهلا » أي أعطان . وقال أمية بن الأسكر : « وإن مهاجرين . . . الخ » .

القول في تأويل قوله تعالى

أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣)

قال أبو جعفر : ذكر أن يوسف صلى الله عليه وسلم لما عرف نفسه إخوته ، سألمهم عن أبيهم ، فقالوا ذهب بصره من الحزن ، فعند ذلك أعطاهم قميصه ، وقال لهم ( اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : قال لهم يوسف : ما فعل أبي بعدى؟ قالوا : لما فاته بنيامين عمي من الحزن قال ( اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا ، فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ، وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ) .

وقوله ( يَأْتِ بَصِيرًا ) يقول : يَبْعُدُ بصيرا . ( وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ) يقول : وجيئوني بجمع أهلكم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ : إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنُ تُفْسَدُونَ (٩٤)

يقول تعالى ذكره : ولما فصلت عير بني يعقوب من عند يوسف ، متوجهة إلى يعقوب ، قال أبوهم يعقوب : ( إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ) ذكر أن الريح استأذنت ربهما في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير ، فأذن لها ، فأنته بها .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى أبو شريح ، عن أبي أيوب الهوزني ، حدثه ، قال : استأذنت الريح أن تأتي يعقوب بريح يوسف ، حين بعث بالقميص إلى أبيه ، قبل أن يأتيه البشير ، فقال يعقوب ( إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنُ تُفْسَدُونَ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ : إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنُ تُفْسَدُونَ ) قال : هاجت ريح ، فجاءت بريح يوسف من مسيرة ثمان ليال ، فقال : ( إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنُ تُفْسَدُونَ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ( وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ ) قال : هاجت ريح ، فجاءت بريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال :

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار ، عن ابن أبي الهذيل ، قال : سمعت ابن عباس يقول : وجد يعقوب ريح يوسف ، وهو منه على مسيرة ثمان ليال .

حدثنا ابن وكيع والحسن بن محمد ، قالا : ثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ،



قال : كنت إلى جنب ابن عباس ، فسئل : من كم وجد يعقوب ريح قميص ؟ قال : من مسيرة سبع ليال أو ثمان ليال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن أبي سنان ، عن أبي الهذيل ، قال : قال لي أصحابي : إنك تأتي ابن عباس ، فسله لنا ، قال : فقلت : ما أسأله عن شيء ، ولكن أجلس خلف السرير ، فيأتيه الكوفيون فيسألون عن حاجتهم وحاجتي ، فسمعتة يقول : وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ، قال ابن أبي الهذيل : فقلت : ذلك كمكان البصرة من الكوفة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن ضرار بن مرة ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، قال : سمعت ابن عباس يقول : وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ، قال : فقلت في نفسي : هذا كمكان البصرة من الكوفة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ، في قوله ( إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ ) قال : وجد ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ، قال : قلت له : ذلك كما بين البصرة إلى الكوفة ، واللفظ لحديث أبي كريب . حدثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا عاصم وعلي ، قال : أخبرنا شعبة ، قال : أخبرني أبو سنان ، قال : سمعت عبد الله بن أبي الهذيل ، عن ابن عباس في هذه الآية ( إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ ) قال : وجد ريحه من مسيرة ما بين البصرة إلى الكوفة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو سنان ، قال : سمعت عبد الله بن أبي الهذيل يحدث عن ابن عباس ، مثله .

قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، قال : كنا عند ابن عباس فقال ( إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ ) قال : وجد ريح قميصه من مسيرة ثمان ليال .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، قال : سمعت ابن عباس يقول ( وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ ) قال : لما خرجت العير هاجت ريح ، فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف ، فقال ( إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنَدُونِ ) قال : فوجد ريحه من مسيرة ثمان ليال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، ذكر لنا أنه كان بينهما يومئذ ثمانون فرسخا ، يوسف بأرض مصر ، ويعقوب بأرض كنعان ، وقد أتى لذلك زمان طويل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ ) قال : بلغنا أنه كان بينهم يومئذ ثمانون فرسخا ، وقال ( إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ ) وكان قد فارقه قبل ذلك سبعا وسبعين سنة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس ، في قوله ( إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ) قال : وجد ريح القميص من مسيرة ثمانية أيام .  
 قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ ) قال : فلما خرجت العير هبت ريح ، فذهبت بريح قميص يوسف إلى يعقوب ، فقال ( إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ) قال : ووجد ريح قميصه من مسيرة ثمانية أيام .  
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق قال : لما فصلت العير من مصر استروح يعقوب ريح يوسف ، فقال لمن عنده من ولده : ( إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَسِّدُونِ ) .  
 وأما قوله ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّدُونِ ) فإنه يعني : لولا أن تُعَتِّقُونِي - وتُعَجِّزُونِي - وتكذِّبُونِي ؛ ومنه قول الشاعر :

يا صاحبي دَعَا لَوْمِي وَتَفْسِيدي فَلَيْسَ مَا قَاتَ مِنْ أَمْرِي بِمَرْدُودٍ

ويقال : أفند فلانا الدهر ، وذلك إذا أفسده ؛ ومنه قول ابن مقبل :

دَعِ الدَّهْرَ يَفْعَلْ مَا أَرَادَ فَإِنَّهُ إِذَا كَلَّفَ الْإِفْنَادَ بِالنَّاسِ أَفْسَدًا

يختلف أهل التأويل في معناه ، فقال بعضهم : معناه : لولا أن تسفهوني .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّدُونِ ) قال : تسفهون .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ، مثله .

وبه قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّدُونِ ) قال : تسفهون .

حدثني المثنى وعلي بن داود ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّدُونِ ) يقول : تجهلون .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّدُونِ ) قال : لولا أن تسفهون .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قالا : جميعا ، ثنا سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّدُونِ ) قال : لولا أن تسفهون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن أبي سنان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس وسالم ، عن سعيد ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّدُونِ ) قال : أحدهما تسفهون ، وقال الآخر : تكذبون .

(١) البيت لطف بن شكيم العدوي ، استشهد به أبو عبيدة في ( مجاز القرآن ١ : ٣١٨ ) على أن معنى تفسدون : تسفهون وتعجزون وتلومون . والبيت في القرطبي ( ٩ : ٢٦٠ ) وفي رواية أبي عبيدة : « ما فات من أمر » .

(٢) الفند ، بالتحريك : الحرف وإنكار العقل من الهرم والمرض . وأفند ، الكبر : إذا أوقعه في الفند .



حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنَدُونَ ) قال : لولا أن تكذبون ، لولا أن تسفهون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، قال : تسفهون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنَدُونَ ) يقول : لولا أن تسفهون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنَدُونَ ) يقول : لولا أن تسفهون .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله ابن أبي الهذيل ، قال : سمعت ابن عباس يقول ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنَدُونَ ) يقول : تسفهون .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنَدُونَ ) قال : ذهب عقله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنَدُونَ ) قال : قد ذهب عقله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وحدثني المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنَدُونَ ) قال : قد ذهب عقله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنَدُونَ ) قال : لولا أن تقولوا : ذهب عقلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنَدُونَ ) يقول : لولا أن تضعفوني .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنَدُونَ ) قال : الذي ليس له عقل ذلك المفند ، يقولون لا يعقل .

وقال آخرون : معناه : لولا أن تكذبون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو الكلبي ، عن شريك ، عن سالم ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنَدُونَ ) قال : تكذبون .

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لولا أن تهرمون وتكذبون .

قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغني عن مجاهد ، قال : تكذبون .

قال : ثنا عبدة وأبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : لولا أن تكذبون .

حدّث عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنْدُونِ ) تكذّبون .  
 حدّثني المثنى ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، في قوله ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنْدُونِ ) قال : تسفهون أو تكذّبون .  
 حدّثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنْدُونِ ) يقول : تكذّبون .  
 وقال آخرون : معناه : تهرمون .

ذكر من قال ذلك

حدّثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنْدُونِ ) قال : لولا أن تهرمون .  
 حدّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : تهرمون .  
 حدّثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو الأشهب ، عن الحسن ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنْدُونِ ) قال : تهرمون .  
 حدّثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي الأشهب وغيره ، عن الحسن ، مثله .

وقد بينّا أن أصل التّفنيد : الإفساد ، وإذا كان ذلك كذلك فالضمف والمهرم والكذب ، وذهاب العقل وكل معاني الإفساد تدخل في التّفنيد ، لأن أصل ذلك كله الفساد ، والفساد في الجسم : الهرم وذهاب العقل والضعف ، وفي الفعل الكذب ، واللوم بالباطل ، ولذلك قال جرير بن عطية :

يا عاذليّ دَعَا المَلَامَ وأَقْصِرَا طَالَ الهَوَى وَأَطْلَسْتُمَا التّفْنِيدَا

بمعنى الملامة ، فقد تبين إذ كان الأمر على ما وصفنا أن الأقوال التي قالها من ذكرنا قوله في قوله ( لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنْدُونِ ) على اختلاف عباراتهم عن تأويله ، متقاربة المعاني ، محتمل جميعها ظاهر التنزيل ، إذ لم يكن في الآية دليل على أنه معنى به بعض ذلك دون بعض .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا: تَأَلَّهَ إِنَّكَ لِنِي صَلَّيْكَ الْقَدِيمِ (٩٥)

يقول تعالى ذكره : قال الذين قال لهم يعقوب من ولده ( إني لأجد ريباً يوسف لولا أن

(١) البيت لجرير بن عطية بن الخطمي . ومعنى أقصرا : قللا الملام ، وكفا عن لومكما . والتفنيد : اللوم بالباطل .



تُفَسِّدُونَ ) تالله أيها الرجل ، إنك من حبّ يوسف وذكره ، لني خطئك وزلك القديم لانسائه ، ولا تتسلى عنه .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّكَ لَسِنِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ) يقول : خطئك القديم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قَالُوا تالله إِنَّكَ لَسِنِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ) أى من حبّ يوسف لا تنسائه ولا تسلاه ، قالوا لوالدهم كلمة غليظة لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم ولا لنبى الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ( قَالُوا تالله إِنَّكَ لَسِنِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ) قال : في شأن يوسف .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : قال سفيان ( تالله إِنَّكَ لَسِنِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ) قال : من حبك ليوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن سفيان ، نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( قَالُوا تالله إِنَّكَ لَسِنِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ) قال : في حبك القديم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( قَالُوا تالله إِنَّكَ لَسِنِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ) أى إنك لمن ذكر يوسف في الباطل الذي أنت عليه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( تالله إِنَّكَ لَسِنِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ) قال : يعنون : حزنه القديم على يوسف ، وفي ضلالك القديم : لني خطئك القديم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ، قَالَ : لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ

مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦)

يقول تعالى ذكره : فلما أن جاء يعقوبَ البشيرُ من عند ابنه يوسف ، وهو المبشر برسالة يوسف ، وذلك بريد فيما ذكر كان يوسف يردّه إليه ، وكان البريد فيما ذكر والبشير يهوذا بن يعقوب أخا يوسف لأبيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ ) يقول : البشير : البريد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جوير عن الضحاك ( فَلَئِمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ) قال : البريد .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن جوير ، عن الضحاك ( فَلَئِمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ) قال : البريد .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَلَئِمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ) قال : يهوذا بن يعقوب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ( الْبَشِيرُ ) قال : يهوذا بن يعقوب .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : يهوذا ابن يعقوب .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هو يهوذا ابن يعقوب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( فَلَئِمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ) قال : يهوذا بن يعقوب كان البشير .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفیان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَلَئِمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ) قال : هو يهوذا بن يعقوب .

قال سفیان : وكان ابن مسعود يقرأ : وجاء البشير من بين يدي العبر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاري ، عن جوير ، عن الضحاك ( فَلَئِمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ) قال : البريد هو يهوذا بن يعقوب .

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : قال يوسف ( اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ، وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ) قال يهوذا : أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم إلى يعقوب ، فأخبرته أن يوسف أكله الذئب ، وأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره أنه حي ، فأفرحه كما أحزنه ، فهو كان البشير .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ( فَلَئِمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ) قال : البريد .

وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول : «أن» في قوله ( فَلَئِمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ) وسقوطها بمعنى واحد ، وكان يقول هذا في لما وحتى خاصة ، ويذكر أن العرب تدخلها فيهما أحيانا ، وتسقطها أحيانا ، كما قال جل ثناؤه ( وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا ) ، وقال في موضع آخر ( وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا )



وقال : هي صلة لاموضع لها في هذين الموضعين ، يقال : حتى كان كذا وكذا ، وحتى أن كان كذا وكذا .

وقوله ( أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ ) يقول : ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) ألقى القميص على وجهه .  
وقوله (فَارْتَدَّ بِصِيرًا) يقول : رجع وعاد مبصراً بعينه بعد ما قد عمى (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) يقول عز وجل : قال يعقوب لمن كان بحضرته حينئذ من ولده : ألم أقل لكم يابني إني أعلم من الله أنه سيرد علي يوسف ، ويجمع بيني وبينه ، وكنتم لاتعلمون أنتم من ذلك ما كنت أعلمه ، لأن رؤيا يوسف كانت صادقة ، وكان الله قد قضى أن آخر أنا وأنتم له سجدوا فكنت موقناً بقضائه .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : يَا بَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا ، إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ : سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ، إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨)

يقول تعالى ذكره : قال ولد يعقوب الذين كانوا فرّقوا بينه وبين يوسف : يا أبانا سل لنا ربك يعف عنا ، ويسر علينا ذنوبنا التي أذنبناها فيك ، وفي يوسف ، فلا يعاقبنا بها في القيامة ( إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ) فيما فعلنا به ، فقد اعترفنا بذنوبنا ، قال ( سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ) يقول جل ثناؤه : قال يعقوب : سوف أسأل ربي أن يعفو عنكم ذنوبكم التي أذنبتموها في وفي يوسف .  
ثم اختلف أهل التأويل في الوقت الذي أخر الدعاء إليه يعقوب لولده بالاستغفار لهم من ذنوبهم ، فقال بعضهم : أخر ذلك إلى السحر .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الرحمن بن إسحاق ، يذكر ، عن محارب ابن دثار ، قال : كان عمّ لي يأتي المسجد ، فسمع إنساناً يقول : اللهم دعوتني فأجبت ، وأمرتني فأطعت وهذا سحر ، فاغفر لي ، قال : فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود ، فسأل عبد الله عن ذلك ، فقال : إن يعقوب أخر بنيه إلى السحر بقوله ( سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن محارب بن دثار ، عن عبد الله ابن مسعود ( سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ) قال : أخرهم إلى السحر .

قال : ثنا أبو سفيان الحميري ، عن العوام ، عن إبراهيم التيمي في قول يعقوب لبنيه ( سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ) قال : أخرهم إلى السحر .

قال : ثنا عمرو ، عن خلاد الصَّفَّار ، عن عمرو بن قيس ( سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ) قال : في صلاة الليل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ) قال : أخر ذلك إلى السَّحَر .  
وقال آخرون : أخر ذلك إلى ليلة الجمعة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني المنني ، قال : ثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقي ، قال : ثنا الوليد ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء وعكرمة ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ( سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ) يقول : حتى تأتي ليلة الجمعة ، وهو قول أخي يعقوب لبيد .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي ، قال : ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء وعكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قَدْ قَالَ أَخِي يَعْقُوبُ : سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ، يَقُولُ حَتَّى تَأْتِيَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ » .

وقوله ( إِنَّهُ هُوَ الْعَفْصُورُ الرَّحِيمُ ) يقول : إن ربي هو السائر على ذنوب التائبين إليه من ذنوبهم ، الرحيم بهم أن يعذبهم بعد توبتهم منها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ، أَوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ ، وَقَالَ : ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ  
مَنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ، وَقَالَ : يَا بَتِ هَذَا تَأْوِيلُ  
رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ، قَدْ جَعَلْنَا رَبِّي حَقًّا ، وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ  
الْبَدْوِ ، مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ، إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ، إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ  
الْحَكِيمُ (١٠٠)

يقول جل ثناؤه : فلما دخل يعقوب وولده وأهلهم على يوسف ( آوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ ) يقول : ضم إليه أبويه ، فقال لهم ( ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ) .

فإن قال قائل : وكيف قال لهم يوسف : ( ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ) بعد ما دخلوها ، وقد أخبر الله عز وجل عنهم أنهم لما دخلوها على يوسف ، وضم إليه أبويه ، قال لهم هذا القول ؟ قيل : قد اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : إن يعقوب إنما دخل على يوسف هو وولده ، وآوى يوسف



أبويه إليه قبل دخول مصر ، قالوا : وذلك أن يوسف تلقى أباه ، تكرمة له ، قبل أن يدخل مصر ، فأواه إليه ، ثم قال له ولمن معه : ( ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ) بها ، قبل الدخول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، فحملوا إليه أهلهم وعبائهم ، فلما بلغوا مصر ، كلم يوسف الملك الذي فوقه ، فخرج هو والملوك يتلقونهم ، فلما بلغوا مصر ( قال : ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن فرقد السبخي ، قال : لما أتى القميص على وجهه ارتد بصيرا ، وقال : اتئوني بأهلكم أجمعين ، فحمل يعقوب وإخوة يوسف ؛ فلما دنا أخبر يوسف أنه قد دنا منه ، فخرج يتلقاه ؛ قال : وركب معه أهل مصر ، وكانوا يعظمونه ؛ فلما دنا أحدهما من صاحبه ، وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على رَجُلٍ من ولده يقال له يهوذا ، قال : فنظر يعقوب إلى الخليل والناس ، فقال : يا يهوذا ، هذا فرعون مصر ؟ قال : لا ، هذا ابنك ؛ قال : فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ، فذهب يوسف يبدؤه بالسلام ، فنزع من ذلك ، وكان يعقوب أحق بذلك منه وأفضل ، فقال : السلام عليك يا ذاهب الأحران عني ؛ هكذا قال : « يا ذاهب الأحران عني » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : قال حجاج : بلغني أن يوسف والملِك خرجا في أربعة آلاف يستقبلون يعقوب وبنيه .

قال : وحدثني من سمع جعفر بن سليمان يحكي ، عن فرقد السبخي ، قال : خرج يوسف يتلقى يعقوب ، وركب أهل مصر مع يوسف ، ثم ذكر بقية الحديث ، نحو حديث الحارث ، عن عبد العزيز .  
وقال آخرون : بل قوله ( إِنْ شَاءَ اللَّهُ ) استثناء من قول يعقوب لبنيه ( أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ) قال : وهو من المؤخر الذي معناه التقديم ، قالوا : وإنما معنى الكلام : قال : أستغفر لكم ربِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، إنه هو الغفور الرحيم ( فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ : ادْخُلُوا مِصْرَ ) ورفع أبويه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ) إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ، وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن ، يعني ابن جريج ، وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن ، أنه قد دخل بين قوله ( سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ) ، وبين قوله ( إِنْ شَاءَ اللَّهُ ) من الكلام ما قد دخل ، وموضعه عنده أن يكون عقيب قوله : ( سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ) .

والصواب من القول في ذلك عندنا : ما قاله السدي ، وهو أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم ، قبل دخولهم مصر حين تلقاهم ، لأن ذلك في ظاهر التنزيل كذلك ، فلا دلالة تدل على صحة ما قال ابن جريج ، ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه ، أو تأخيره عن مكانه ، إلا بحجة واضحة .

وقيل : عُنِي بقوله ( آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ) : أبوه وخالته ، وقال الذين قالوا هذا القول : كانت أم يوسف قد ماتت قبلُ . وإنما كانت عند يعقوب يومئذ خالته أخت أمه ، كان نكحها بعد أمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ( فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ) قال : أبوه وخالته .  
وقال آخرون : بل كان أباه وأمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ) قال : أباه وأمه .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : ما قاله ابن إسحاق ، لأن ذلك هو الأغلب في استعمال الناس ، والمتعارف بينهم في أبوين ، إلا أن يصح ما يقال من أن أم يوسف كانت قد ماتت قبل ذلك ، بحجة يجب التسليم لها ، فيسلم حينئذ لها .

وقوله : ( وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ) مما كنتم فيه في باديتكم من الجذب والقحط .

وقوله : ( وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ) يعني : على السرير .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ( وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ) قال : السرير .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : العرش : السرير .

قال : ثنا شباية ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ) قال : السرير .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني المنثي قال : أخبرنا أبو حذيفة قال : ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وحدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المنثي ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وحدثني

المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ )

قال : سريره .



حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( على العرش ) قال :  
على السرير .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس  
( وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ) يقول : رفع أبويه على السرير .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : قال سفيان ( وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ) قال :  
على السرير .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ )  
قال : مجلسه .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سألت زيد بن أسلم ، عن قول  
الله تعالى ( وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ) فقلت : أبلتغك أنها خالته ؟ قال : قال ذلك بعض أهل العلم ،  
يقولون : إن أمه ماتت قبل ذلك ، وإن هذه خالته .

وقوله ( وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ) يقول : وخرّ يعقوب وولده وأمه ليوسف سجدا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
( وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ) يقول : رفع أبويه على السرير ، وسجدا له ، وسجدا له وإخوته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : تَحَمَّلَ ، يعني يعقوب بأهله حتى قدموا على  
يوسف ؛ فلما اجتمع إلى يعقوب بنوه ، دخلوا على يوسف ؛ فلما رأوه وقعوا له سجودا ، وكانت تلك تحية  
الملوك في ذلك الزمان ، أبوه وأمه وإخوته :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ) وكانت تحية من  
قبلكم ، كان بها يحيى بعضهم بعضا ، فأعطى الله هذه الأمة السلام ، تحية أهل الجنة ، كرامة من الله تبارك  
وتعالى عَجَّلَهَا لَهُمْ ، ونعمة منه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا )  
قال : وكانت تحية الناس يومئذ أن يسجد بعضهم لبعض .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو إسحاق ، قال : قال سفيان ( وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ) قال : كانت  
تحية فيهم :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ) أبواه  
وإخوته ، كانت تلك تحيتهم ، كما تصنع ناس اليوم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ( وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ) قال :  
تحية بينهم :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَخَرَّوْا لَهُ سُجُودًا ) قال : قال ذلك السجود تشرفه ، كما سجدت الملائكة لآدم تشرفه ، ليس بسجود عبادة . وإنما عني من ذكر بقوله : إن السجود كان تحية بينهم ، أن ذلك كان منهم على الخلق ، لاعلى وجه العبادة من بعضهم لبعض ؛ ومما يدل على أن ذلك لم يزل من أخلاق الناس قديما على غير وجه العبادة من بعضهم لبعض ، قول أعشى بنى ثعلبة :

فَلَمَّا أَنَا بُبُعَيْدَ الْكَرَى سَجَدْنَا لَهُ وَرَفَعْنَا الْعَمَارَا

وقوله ( يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ، قَدْ جَعَلْنَا رَّبِّي حَقًّا ) يقول جل ثناؤه : قال يوسف لأبيه : يا أبت ، هذا السجود الذي سجدت أنت وأمي وإخوتي لي ( تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ) يقول : ما آلت إليه رؤياي التي كنت رأيتها ، وهي رؤياه التي كان رآها قبل صنيع إخوته به ما صنعوا ، أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدون ( قَدْ جَعَلْنَا رَّبِّي حَقًّا ) يقول : قد حققها ربي لحجيء تأويلها على الصحة .

وقد اختلف أهل العلم في قدر المدّة التي كانت بين رؤيا يوسف وبين تأويلها ، فقال بعضهم : كانت مدة ذلك أربعين سنة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو عثمان ، عن سلمان الفارسي ، قال : كان بين رؤيا يوسف إلى أن رأى تأويلها أربعون سنة .

حدثني يعقوب بن برهان ويعقوب بن إبراهيم ، قالوا : ثنا ابن علقمة ، قال : ثنا سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي ، قال : قال عثمان : كانت بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويله ، قال : فذكر أربعين سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علقمة ، عن التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : رأى تأويل رؤياه بعد أربعين عاما .

قال : ثنا سفيان ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، مثله .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار ، عن عبد الله بن شدّاد أنه سمع قوما يتنازعون

(١) البيت للأعشى الأكبر ميمون ، وهو أعشى بنى ثعلبة ( ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥١ ) وهو من قصيدته التي مطلعها : « أزمعت من آل ليل ابتكارا » يمدح قيس بن معد يكرب ، وكان قد صحبه في بعض غاراته . يمكن اسمه لعلع ، وتعرض للأمر ، حتى أنفذ بدخول الممدوح عليهم آخر الليل مظفرا ، فسجدوا له شكرا وتعظيما ، ورافعين أيديهم بالعمار ، وهو الريحان ، وذلك من تحية الملوك . على جهة التكريم لا العبادة .



في رؤيا رآها بعضهم وهو يصلي ، فلما انصرف سألهم عنها ، فكتموه ، فقال : أما إنه جاء تأويل رؤيا يوسف بعد أربعين عاما .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن ضرار بن مرة أبي سنان ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل وجريير ، عن أبي سنان ، قال : سمع عبد الله بن شدّاد قوما يتنازعون في رؤيا ، فذكر نحو حديث أبي السائب ، عن ابن فضيل .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : رأى تأويل رؤياه بعد أربعين عاما .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : وقعت رؤيا يوسف بعد أربعين سنة ، وإليها تنهى أيضا الرؤيا .

قال : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : كان بين رؤيا يوسف ، وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة .

قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : كان بين رؤيا يوسف وبين عبارتها أربعون سنة .

قال : حدثنا سعيد بن سليمان ، قال : ثنا هشيم ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : كان بين رؤيا يوسف ، وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة .

قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزي ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : كان بين رؤيا يوسف وبين تعبیرها أربعون سنة .

وقال آخرون : كانت مدة ذلك ثمانين سنة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عبد الوهاب الثقفي ، قال : ثنا هشام ، عن الحسن ، قال : كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ، ثمانون سنة ، لم يفارق الحزن قلبه ، ودموعه تجري على خديّه ، وما على وجه الأرض يومئذ عبد أحبّ إلى الله من يعقوب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن أبي جعفر ، حسن بن فَرْقَد ، قال : كان بين أن فقد يعقوب يوسف إلى يوم رُدّ عليه ، ثمانون سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسن بن علي ، عن فضيل بن عياض ، قال : سمعت أنه كان بين فراق يوسف حجّر يعقوب إلى أن التقيا ، ثمانون سنة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا داود بن مهرا ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، عن يونس ، عن

الحسن ، قال : أُلقي يوسف في الحبّ وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان بين ذلك وبين لقائه يعقوب ثمانون سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة ، ومات وهو ابن عشرين ومئة سنة .

قال : ثنا سعيد بن سليمان ، قال : ثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن ، نحوه ، غير أنه قال : ثلاث وثمانون سنة .

قال : ثنا داود بن مهرا ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : أُلقي يوسف في الحبّ وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان في العبودية وفي السجن وفي الملك ثمانين سنة ، ثم جمع الله عزّ وجلّ شمله ، وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : أُلقي يوسف في الحبّ ، وهو ابن سبع عشرة ، فغاب عن أبيه ثمانين سنة ، ثم عاش بعد ما جمع الله له شمله ، ورأى تأويل رؤياه ثلاثا وعشرين سنة ، فمات وهو ابن عشرين ومئة سنة .

حدثنا مجاهد ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا هشيم ، عن الحسن ، قال : غاب يوسف ، عن أبيه في الحبّ وفي السجن حتى التقيا ثمانين عاما ، فما جفت عينا يعقوب ، وما على الأرض أحد أكرم على الله من يعقوب .

وقال آخرون : كانت مدة ذلك : ثمان عشرة سنة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكر لي - والله أعلم - أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمان عشرة سنة ، قال : وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأن يعقوب بقى مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر ، سبع عشرة سنة ، ثم قبضه الله إليه .

وقوله ( وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ) يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قبيل يوسف : وقد أحسن الله بي في إخراجه إياي من السجن الذي كنت فيه محبوسا ، وفي مجيئه بكم من البدو ، وذلك أن مسكن يعقوب وولده فيما ذكر ، كان ببادية فلسطين كذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان منزل يعقوب وولده فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالتعربات ، من أرض فلسطين تغور الشام ، وبعض يقول بالأولاج من ناحية الشعب ، وكان صاحب بادية ، له إبل وشاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا شيخ لنا أن يعقوب كان ببادية فلسطين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ) وكان يعقوب وبنوه بأرض كنعان ، أهل مواش وبرية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ )



وقال : كانوا أهل بادية وماشية ، والبدو مصدر من قول القائل : بدا فلان : إذا صار بالبادية يبدو بدوا .  
وذكر أن يعقوب دخل مصر هو ومن معه من أولاده وأهاليهم وأبنائهم يوم دخلوها ، وهم أقل من مئة ،  
وخرجوا منها يوم خرجوا منها وهم زيادة على ست مئة ألف .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب وعمرو بن محمد ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن  
كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد ، قال : اجتمع آل يعقوب إلى يوسف بمصر وهم ستة وثمانون  
إنسانا ، صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأثامهم ، وخرجوا من مصر يوم أخرجهم فرعون وهم ست مئة  
ألف ونيّف .

قال : ثنا عمرو ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : خرج أهل  
يوسف من مصر وهم ست مئة ألف وسبعون ألفا ، فقال فرعون : إن هؤلاء لشردمة قليلون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن إسرائيل والمسعودي ، عن أبي إسحاق ،  
عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود ، قال : دخل بنو إسرائيل مصر وهم ثلاثة وستون إنسانا ، وخرجوا منها  
وهم ست مئة ألف ، قال إسرائيل في حديثه : ست مئة ألف وسبعون ألفا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسروق ، قال : دخل أهل  
يوسف مصر وهم ثلاث مئة وتسعون من بين رجل وامرأة .

وقوله ( مِنْ بَعْدِ أَنْ تَنْزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ) يعني : من بعد أن أفسد ما بيني وبينهم ،  
وجهل بعضنا على بعض ، يقال منه : نزغ الشيطان بين فلان وفلان ، ينزغ نزغا ونزوغا .

وقوله ( إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ) يقول : إن ربي ذو لطف وصنع لما يشاء ، ومن لطفه وصنعه  
أنه أخرجني من السجن ، وجاء بأهلي من البدو ، بعد الذي كان بيني وبينهم من بُعد الدار ، وبعد ما كنت  
فيه من العبودة والرق والإسار .

كالذي حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا  
يَشَاءُ ) لطف بيوسف وصنع له ، حتى أخرجته من السجن ، وجاء بأهله من البدو ، ونزع من قلبه نزغ  
الشيطان وتحريشه على إخوته .

وقوله ( إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ ) بمصالح خلقه ، وغير ذلك لا يخفى عليه مبادئ الأمور وعواقبها ( الْحَكِيمُ )  
في تدبيره .

القول في تأويل قوله تعالى

\* رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ،

أَنْتَ وَرَبِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ، وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)

يقول تعالى ذكره : قال يوسف بعد ما جمع الله له أبويه وإخوته ، وبسط عليه من الدنيا ما بسط من الكرامة ، ومكنه في الأرض ، متشوقا إلى لقاء آبائه الصالحين ( رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ) يعني : من ملك مصر ( وَعَلَّمْتَنِي مِمَّا تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ) يعني من عبارة الرؤيا ، تعديدا لنعم الله ، وشكرا له عليها ( فاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يقول : يا فاطر السموات والأرض ، ياخالقها وبارئها . ( أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) : يقول : أنت وليي في دنياي على من عاداني وأرادني بسوء بنصرك ، وتغدوني فيها بنعمتك ، وتكلميني في الآخرة بفضلك ورحمتك ( تَوَفَّيْنِي مُسْلِمًا ) يقول : اقبضني إليك مسلما ، ( وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ) يقول : وألحقني بصالح آبائي إبراهيم وإسحاق ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك . وقيل : إنه لم يتمن أحد من الأنبياء الموت قبل يوسف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِمَّا تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ) . . . الآية ، قال ابن عباس : يقول : أول نبي سأل الله الموت يوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( رب قد آتيتني من الملك ) . . . الآية ، قال : اشتاق إلى لقاء ربه ، وأحب أن يلحق به وبآبائه ، فدعا الله أن يتوفاه ، ويلحقه بهم ، ولم يسأل نبي قط الموت غير يوسف ، فقال ( رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِمَّا تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ) . . . الآية ، قال ابن جريج : في بعض القرآن من الأنبياء من قال : توفني .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( تَوَفَّيْنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ) لما جمع شمله ، وأقر عينه ، وهو يومئذ مغموس في نعيم الدنيا وملكها وغضارتها ، فاشتاق إلى الصالحين قبله . وكان ابن عباس يقول : ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن أبي عمروبة عن قتادة ، قال : لما جمع ليوسف شمله ، وتكاملت عليه النعم ، سأل لقاء ربه فقال ( رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِمَّا تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ) ، فاطر السموات والأرض ، أنت وليي في الدنيا والآخرة ، توفيني مسلما ، وألحقني بالصالحين ) قال قتادة : ولم يتمن الموت أحد قط ، نبي ولا غيره ، إلا يوسف .

حدثني المثني ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثني غير واحد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، أن يوسف النبي صلى الله عليه وسلم لما جمع بينه وبين أبيه وإخوته ، وهو يومئذ ملك مصر ، اشتاق إلى الله وإلى آبائه الصالحين إبراهيم وإسحاق ، قال ( رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي ،



مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، تَتَوَقَّئِنِي مُسْلِمًا ، وَالْحَقِيقَتِي بِالصَّالِحِينَ ) .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ( وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ) قال : العبارة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( تَتَوَقَّئِنِي مُسْلِمًا ، وَالْحَقِيقَتِي بِالصَّالِحِينَ ) يقول : توفني على طاعتك ، واغفر لي إذا توفيتني .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يوسف حين رأى ما رأى من كرامة الله وفضله عليه وعلى أهل بيته حين جمع الله له شمله ، وردّه على والده ، وجمع بينه وبينه فيما هو فيه من الملك والبهجة ( يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ) . . . إلى قوله ( إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ) ثم ارعوى يوسف ، وذكر أن ما هو فيه من الدنيا بائد وذاهب ، فقال ( رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، تَتَوَقَّئِنِي مُسْلِمًا ، وَالْحَقِيقَتِي بِالصَّالِحِينَ ) وذكر أن بني يعقوب الذين فعلوا بيوسف ما فعلوا ، استغفر لهم أبوهم ، فتاب الله عليهم وعفا عنهم ، وغفر لهم ذنبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن صالح المرّى ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ، قال : إن الله تبارك وتعالى بما جمع ليعقوب شمله ، وأقرّ عينه ، خلا ولدّه نجيا ، فقال بعضهم لبعض : ألسنم قد علمتم ما صنعتم ، وما لقي منكم الشيخ ، وما لقي منكم يوسف ؟ قالوا : بلى ، قال : فيغركم عفوهما عنكم ، فكيف لكم بربكم ؟ فاستقام أمرهم على أن أتوا الشيخ ، فجلسوا بين يديه ، ويوسف إلى جنب أبيه قاعد ، قالوا : يا أبانا أتيناك في أمر لم نأتك في أمر مثله قطّ ، ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله ، حتى حركوه ، والأنبيا أرحم البرية ، فقال : مالكم يا بنيّ ؟ قالوا : ألسنم قد علمت ما كان منا إليك ، وما كان منا إلى أخينا يوسف ؟ قال : بلى ، قالوا : أفلسنا قد عفوتما ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فإن عفوكما لا يغني عنا شيئا إن كان الله لم يعف عنا ، قال : فما تريدون يا بنيّ ، قالوا : نريد أن تدعوا الله لنا ، فإذا جاءك الوحي من عند الله بأنه قد عفا عما صنعنا ، قرّت أعيننا ، واطمأنت قلوبنا ، وإلا فلا قرّة عين في الدنيا لنا أبدا . قال : فقام الشيخ ، واستقبل القبلة ، وقام يوسف خلف أبيه ، وقاموا خلفهما أذلة خاشعين ، قال : فدعا وأمن يوسف ، فلم يجب فيهم عشرين سنة ، قال صالح المرّى : يخيفهم . قال : حتى إذا كان رأس العشرين ، نزل جبرئيل صلى الله عليه وسلم على يعقوب عليه السلام ، فقال : إن الله تبارك وتعالى بعثني إليك ، أبشرك بأنه قد أجاب دعوتك في ولدك ، وأنه قد عفا عما صنعوا ، وأنه قد اعتقد موثيقهم من بعدك على النبوة .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني ، قال : والله لو كان قتل يوسف مضى ، لأدخلهم الله النار كلهم ، ولكن الله جل ثناؤه أمسك نفس يوسف ، ليبلي فيه أمره ورحمة لم ، ثم يقول والله ما قص الله نبأهم يعيرهم بذلك ، إنهم لأنبياء من أهل الجنة ، ولكن الله قص علينا نبأهم ، لئلا يتقنط عبده .

وذكر أن يعقوب توفى قبل يوسف ، وأوصى إلى يوسف ، وأمره أن يدفنه عند قبر أبيه إسحاق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما حضر الموت يعقوب ، أوصى إلى يوسف أن يدفنه عند إبراهيم وإسحاق ، فلما مات نفخ فيه المر ، وحمله إلى الشام ، قال : فلما بلغوا إلى ذلك المكان أقبل عيص أخو يعقوب ، فقال : غلبني على الدعوة ، فوالله لا يغلبني على القبر ، فإني أن يتركهم أن يدفنوه ، فلما احتبسوا قال هشام بن دار بن يعقوب وكان هشام أصم لبعض أخوته : ما لجدتي لا يدفن ؟ قالوا : هذا عمك يمنعه ، قال : أرونيه أين هو ؟ فلما رآه رفع هشام يده ، فوجأ بها رأس العيص وجأه ، سقطت عيناه على فخذه يعقوب ، فدفنا في قبر واحد .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ، وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره : هذا الخبر الذي أخبرتك به من خبر يوسف ووالده يعقوب وإخوته وسائر ما في هذه السورة ( من أنباء الغيب ) يقول : من أخبار الغيب الذي لم تشاهده ، ولم تعينه ، ولكننا ( نوحيه إليك ) ونعرفك ، لنثبت به فؤادك ، ونشجع به قلبك ، وتصبر على ما نالك من الأذى من قومك في ذات الله ، وتعلم أن من قبلك من رسل الله إذ صبروا على ما نالهم فيه ، وأخذوا بالعفو ، وأمروا بالعرف ، وأعرضوا عن الجاهلين ، فازوا بالظفر ، وأبدوا بالنصر ، ومكثوا في البلاد ، وغلبوا من قصدوا من أعدائهم وأعداء دين الله ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فبهم يا محمد فتأس ، وآثارهم فقص ( وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يَمْكُرُونَ ) يقول : وما كنت حاضرا عند إخوة يوسف ، إذ أجمعوا ، واتفقت آراؤهم ، وصحت عزائمهم ، على أن يُلْقُوا يوسف في غيابة الحب ، وذلك كان مكرهم الذي قال الله عز وجل وهم يَمْكُرُونَ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وما كنت لديهم ) ، يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يقول : ما كنت لديهم وهم يلقونه في غيابة الحب وهم يَمْكُرُونَ : أي بيوسف . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن



ابن عباس ( وَمَا كُنْتُمْ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ) . . . الآية ، قال : هم بنو يعقوب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣)

يقول جل ثناؤه : وما أكثر مشركي قومك يا محمد ، ولو حرصت على أن يؤمنوا بك فيصد قوك ، ويتبعوا ما جنّتهم به من عند ربك ، بمصدّ قيك ولا متبعيك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٠٤)

يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم : وما تسأل يا محمد هؤلاء الذين ينكرون نبوتك ، ويمتنعون من تصديقتك ، والإقرار بما جنّتهم به من عند ربك على ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لربك ، وهجر عبادة الأوثان ، وطاعة الرحمن ، من أجر ، يعني : من ثواب وجزاء منهم ، بل إنما ثوابك وأجر عملك على الله . يقول : ما تسألهم على ذلك ثوابا ، فيقولوا لك : إنما تريد بدعائك إيانا إلى اتباعك ، لننزل لك عن أموالنا إذا سألنا ذلك ، وإذ كنت لا تسألهم ذلك ، فقد كان حقا عليهم أن يعلموا أنك إنما تدعوهم إلى ما تدعوهم إليه ، اتباعا منك لأمر ربك ، ونصيحة منك لهم ، وأن لا يستغشوك .  
وقوله ( إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ) يقول تعالى ذكره : ما هذا الذي أرسلك به ربك يا محمد من النبوة والرسالة ، إلا ذكر ، يقول : إلا عظة وتذكير للعالمين ، ليتعظوا ويتذكروا به .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥)

يقول جل وعزّ : وكم من آية في السموات والأرض لله ، وعبرة وحجة ، وذلك كالشمس والقمر والنجوم ونحو ذلك من آيات السموات ، وكالبحار والبحار والنبات والأشجار ، وغير ذلك من آيات الأرض . ( يَمُرُّونَ عَلَيْهَا ) يقول : يعاينونها ، فيمرّون بها معرضين عنها ، لا يعتبرون بها ، ولا يفكرون فيها ، وفيما دلت عليه من توحيد ربها ، وأن الألوهة لا تبغى إلا للواحد القهار ، الذي خلقها وخلق كل شيء ، فدبرها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا ) وهي في مصحف عبد الله : يمشون عليها ، السماء والأرض آيتان عظيمتان .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦)

يقول تعالى ذكره : وما يقر أكثر هؤلاء الذين وصف عز وجل صفتهم بقوله ( وكأين من آية في السموات والأرض يمرؤون علىٰها وهم عنها معرضون ) بالله ، أنه خالقه ورازقه ، وخالق كل شيء ، إلا وهم به مشركون في عبادتهم الأوثان والأصنام ، واتخاذهم من دونه أربابا ، وزعمهم أن له ولدا ، تعالى الله عما يقولون .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( وما يؤمن أكثرهم بالله ) . . . الآية ، قال : من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء ، ومن خلق الأرض ، ومن خلق الجبال ؟ قالوا : الله ، وهم مشركون .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله ( وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ) قال : تسألهم من خلقهم ، ومن خلق السموات والأرض ، فيقولون : الله ، فذلك إيمانهم بالله ، وهم يعبدون غيره .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر وعكرمة ( وما يؤمن أكثرهم بالله ) . . . الآية ، قالوا : يعلمون أنه ربهم ، وأنه خلقهم ، وهم مشركون به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر وعكرمة بنحوه : قال : ثنا ابن نمير ، عن نصر ، عن عكرمة ( وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ) : قال : من إيمانهم إذا قيل لهم : من خلق السموات ؟ قالوا : الله ؛ وإذا سئلوا : من خلقهم ؟ قالوا : الله ، وهم يشركون به بعد .

قال : ثنا أبو نعيم ، عن الفضيل بن يزيد الثمالي ، عن عكرمة ، قال : هو قول الله ( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ) فإذا سئلوا عن الله وعن صفته ، وصفوه بغير صفته ، وجعلوا له ولدا ، وأشركوا به .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ) إيمانهم قولهم : الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ) فإيمانهم قولهم : الله خالقنا ، ويرزقنا ويميتنا .

حدثني المنثري ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وما يؤمن



أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) إيمانهم قولهم : الله خالقنا ، ويرزقنا ويميتنا ، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ) قال : إيمانهم قولهم : الله خالقنا ، ويرزقنا ويميتنا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاني بن سعيد وأبو معاوية ، عن حجاج ، عن القاسم ، عن مجاهد ، قال يقولون : الله ربنا ، وهو يرزقنا وهم يشركون به بعد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : إيمانهم قولهم : الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تيميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد وعامر ، أنهم قالوا في هذه الآية ( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ) قال : ليس أحد إلا وهو يعلم أن الله خلقه وخلق السموات والأرض ، فهذا إيمانهم ، ويكفرون بما سوى ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ) في إيمانهم هذا ، إنك لست تلتى أحدا منهم إلا أنبأك أن الله ربه ، وهو الذي خلقه ورزقه ، وهو مشرك في عبادته .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ ) . . . الآية ، قال : لاتسأل أحدا من المشركين من ربك إلا قال : ربي الله ، وهو يشرك في ذلك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ) يعني النصراني ، يقول : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، ليقولنَّ الله ، ولئن سألتهم من خلقهم ؟ ليقولنَّ الله ، ولئن سألتهم من يرزقكم من السماء والأرض ؟ ليقولنَّ الله ، وهم مع ذلك يشركون به ، ويعبدون غيره ، يسجدون للأنداد دونه . حدثني المثنى ، قال : أخبرنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : كانوا يشركون به في تلبيتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن عبد الملك ، عن عطاء ( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ ) . . . الآية ، قال : يعلمون أن الله ربهم ، وهم يشركون به بعد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، في قوله ( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ) قال : يعلمون أن الله خالقهم ورازقهم ، وهم يشركون به .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال سمعت ابن زيد يقول ( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ ) . . . الآية ، قال : ليس أحد يعبد مع الله ، غيره إلا وهو مؤمن بالله ، ويعرف أن الله ربه ، وأن الله

خالقه ورازقه ، وهو يشرك به ، ألا ترى كيف قال إبراهيم ( أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَتَنْتُمْ  
وَأَبَاؤَكُمْ الْأَقْدَمُونَ ، فَأَنْتُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ) قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع  
ما يعبدون ، قال : فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به ، ألا ترى كيف كانت العرب تُلَسِّي ، تقول :  
ليتك اللهم لييك ، لاشريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك . المشركون كانوا يقولون هذا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٧)

يقول جل ثناؤه : أفأمن هؤلاء الذين لا يقرّون بأن الله ربهم إلا وهم مشركون في عبادتهم إياه غيره ،  
( أن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ ) تغشاهم من عقوبة الله وعذابه ، على شركهم بالله ، أو تأتيمهم  
القيامة فجأة وهم مقيمون على شركهم وكفرهم بربهم ، فيخلدهم الله عز وجل في ناره ، وهم لا يدرون بمجيئها  
وقيامها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أن  
تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ ) قال : تغشاهم .  
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله  
( غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ ) قال : تغشاهم .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ  
مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ ) : أي عقوبة من عذاب الله .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ  
اللَّهِ ) قال : غاشية واقعة تغشاهم من عذاب الله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا

مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ( قُلْ ) يا محمد ( هَذِهِ ) الدعوة التي أدعو إليها ،



والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له، دون الآلهة والأوثان، والانتهاه إلى طاعته، وترك معصيته (سبيلي) وطريقي ودعوتي (أدعو إلى الله) وحده لا شريك له (على بصيرة) بذلك، ويقين علم مني به (أنا و) يدعو إليه على بصيرة أيضا (من اتبعني) وصدقني، وآمن بي. (وسبوحان الله) يقول له تعالى ذكره: وقل تنزيها لله وتعظيما له، من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه (وما أنا من المشركين) يقول: وأنا بريء من أهل الشرك به، لست منهم، ولا هم مني.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني المنثي، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، في قوله (قل هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) يقول: هذه دعوتي.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (قل هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) قال: هذه سبيلي، هذا أمرى وسنتى ومنهاجى. (أدعو إلى الله على بصيرة) أنا ومن اتبعني) قال: وحق الله وعلى من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن والموعظة، وينهى عن معاصي الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، قوله (قل هذِهِ سَبِيلِي) : هذه دعوتي.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع (قل هذِهِ سَبِيلِي) قال: هذه دعوتي.

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ، أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ؟ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا، أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟ (١٠٩)

يقول تعالى ذكره (وَمَا أَرْسَلْنَا) يا محمد (مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا) لانساء، ولا ملائكة (نُوْحِي إِلَيْهِمْ) آياتنا، بالدعاء إلى طاعتنا، وإفراد العبادة لنا (مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ) يعنى من أهل الأمصار، دون أهل البوادي.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ) لأنهم كانوا أعلم وأحلم من أهل العمود.

وقوله ( أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ) يقول تعالى ذكره : أفلم يسر هؤلاء المشركون الذين يكذبونك يا محمد ، ويجحدون نبوتك ، ويُنكرون ما جئتهم به من توحيد الله ، وإخلاص الطاعة والعبادة له في الأرض . ( فَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ كَانُوا عَاقِبَةَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ) إذ كذبوا رسلنا ، ألم نُحِلِّبْ بِهِمْ عَقُوبَتَنَا ، فَهَلَكْتُمْ بِهَا ، وَنَجَّيْنَا مِنْهَا رُسُلَنَا وَتَابَعْنَا ، فَيَتَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ وَيَعْتَبِرُوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله ( وَمَا أُرْسِلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ) قال : إنهم قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء . قال : وقوله ( وَمَا أَكْثَرُ النَّاسُ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ - وَمَا تَسَاءَلْتَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ) ، وقوله ( وَكَأَيِّنْ مِن آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا ) ، وقوله ( أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ ) ، وقوله ( أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ) من أهلكنا ؟ قال : فكل ذلك قال لقريش : أفلم يسروا في الأرض ، فينظروا في آثارهم ، فيعتبروا ويتفكروا .

وقوله ( وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ) يقول تعالى ذكره : هذا فيعلنا في الدنيا بأهل ولايتنا وطاعتنا ، إن عقوبتنا إذا نزلت بأهل معاصينا والشرك بنا ، أنجبناهم منها ، وما في الدار الآخرة لهم خير ، وترك ذكر ما ذكرنا اكتفاء بدلالة قوله ( وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ) عليه ، وأضيفت الدار إلى الآخرة ، وهي الآخرة ، لاختلاف لفظهما ، كما قيل : ( إِنَّ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ) وكما قيل : أتيتك عام الأول ، وبارحة الأولى ، وليلة الأولى ، ويوم الخميس ، وكما قال الشاعر :

أَتَمَدَّحٌ فَتَمَدَّحٌ وَتَدْمٌ عَبَسَا      أَلَا لِلَّهِ أُمُكٌ مِّنْ هَجَبِينَ  
وَلَوْ أَقْوَتُ عَلَيْكَ دِيَارُ عَبَسٍ      عَرَفْتِ الدُّلَّ عِرْفَانَ الْيَقِينِ

يعني عرفانا به يقينا .

فتأويل الكلام : وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ .  
وقوله ( أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) يقول : أفلا يعقل هؤلاء المشركون بالله حقيقة ما نقول لهم ، ونخبرهم به من سوء عاقبة الكفر ؟ وغب ما يصير إليه حال أهله ، مع ما قد عاينوا ورأوا وسمعوا ، مما حلَّ بما قبلهم من الأمم الكافرة ، المكذبة رسل ربها .

القول في تأويل قوله تعالى

حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ، فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ، وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠)

(١) البيتان مما رواه الفراء عن بعضهم في معاني القرآن (ص ١٥٧ مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩) قال : أضيف الدار إلى الآخرة ، وهي الآخرة ، وقد تضيف العرب الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه ، كقوله : إن هذا هو حق اليقين . والحق هو اليقين ، وجميع الأيام تصاف إلى أنفسها ، لاختلاف لفظها ، وكذلك شهر ربيع ، والعرب تقول في كلامها ، أنشدني بعضهم : أتمدح .... البيتين . قال : وإنما معناه عرفانا يقينا .



يقول تعالى ذكره : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يُوحى إليهم من أهل القرى ، فدعوا من أرسلنا إليهم ، فكذبوهم ، وردوا ما أتوا به من عند الله ، حتى إذا استيأس الرسل الذين أرسلناهم إليهم ، منهم أن يؤمنوا بالله ، ويصدقوهم فيما أتوهم به من عند الله ، وظن الذين أرسلناهم إليهم من الأمم المكذبة ، أن الرسل الذين أرسلناهم ، قد كذبوهم ، فيما كانوا أخبروهم عن الله ، من وعده إياهم نصرهم عليهم ، جاءهم نصرنا . وذلك قول جماعة من أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو السائب سلم بن جبادة ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس ، في قوله ( حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ) قال : لما أيست الرسل أن يستجيب لهم قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم ، جاءهم النصر على ذلك ، فننحى من نشاء .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو معاوية الضرير ، قال : ثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس بنحوه ، غير أنه قال في حديثه ، قال : أيست الرسل ، ولم يقل : لما أيست .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ( حتى إذا استيأس الرسل ) أن يسلم قومهم ، وظن قوم الرسل أن الرسل قد كذبوا ، جاءهم نصرنا . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ) قال : حتى إذا استيأس الرسل من قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا ( جاءهم نصرنا ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن عمران السلمى ، عن ابن عباس ( حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ) أيس الرسل من قومهم أن يصدقوهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا جرير ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث السلمى ، عن عبد الله بن عباس ، في قوله ( حتى إذا استيأس الرسل ) قال : استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم ( وظنوا أنهم قد كذبوا ) قال : ظن قومهم أنهم جاءوهم بالكذب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت حصينا ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس ( حتى إذا استيأس الرسل ) من أن يستجيب لهم قومهم ، وظن قومهم أن قد كذبوهم ، ( جاءهم نصرنا ) .

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبث ، قال : ثنا حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس ، في هذه الآية ( حتى إذا استيأس الرسل ) قال : استيأس الرسل من

قومهم أن يؤمنوا ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم فيما وعدوا وكذبوا ( جاءهم نصرنا ) .  
حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن  
ابن عباس ، قال : ( حتى إذا استنيس الرسل ) من نصر قومهم ( وظننوا أنهم قد كذبوا )  
ظن قومهم أنهم قد كذبوهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن  
عمران بن الحارث ، عن ابن عباس ، في قوله ( حتى إذا استنيس الرسل ) قال : من قومهم أن يؤمنوا  
بهم ، وأن يستجيبوا لهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم ( جاءهم نصرنا ) يعني الرسل .  
حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث ،  
عن ابن عباس بمثله سواء .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن هارون ، عن عباد القرشي ، عن  
عبد الرحمن بن معاوية ، عن ابن عباس ( وظننوا أنهم قد كذبوا ) خفيفة ، وتأويلها عنده : وظن  
القوم أن الرسل قد كذبوا .

حدثنا أبو بكر ، قال : ثنا طلحة بن غنم ، عن زائدة ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس ،  
قال ( حتى إذا استنيس الرسل ) من قومهم أن يصد قوهم ، وظن قومهم أن قد كذب بهم رسلهم ،  
( جاءهم نصرنا ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله  
( حتى إذا استنيس الرسل وظننوا أنهم قد كذبوا ) يعني : أيس الرسل من أن يتبعهم قومهم ،  
وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا ، فينصر الله الرسل ، ويبعث العذاب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس  
قوله ( حتى إذا استنيس الرسل وظننوا أنهم قد كذبوا ، جاءهم نصرنا ) حتى إذا استنيس  
الرسل من قومهم أن يطيعوهم ويتبعوهم ، وظن قومهم أن رسلهم كذبوهم ( جاءهم نصرنا ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث ،  
عن ابن عباس ( حتى إذا استنيس الرسل ) من قومهم ( وظننوا أنهم قد كذبوا ) قال : فما  
أبطأ عليهم إلا من ظن أنهم قد كذبوا .

قال : ثنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنا حصين بن عبد الرحمن ، عن عمران بن الحارث  
قال : سمعت ابن عباس يقول ( وظننوا أنهم قد كذبوا ) خفيفة . وقال ابن عباس : ظن القوم  
أن الرسل قد كذبوهم ، خفيفة

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( حتى إذا استنيس  
الرسل ) من قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم .



قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن خَصِيف ، قال : سألت سعيد بن جبير ، عن قوله ( حتى إذا استنَّيَّاسَ الرُّسُلُ ) من قومهم ، وظنَّ الكفار أنهم هم كُذِّبُوا .

حدثني يعقوب والحسن بن محمد قالا : ثنا إسما عيل بن عُلَيَّة ، قال : ثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد ابن جبير ، قوله ( حتى إذا استنَّيَّاسَ الرُّسُلُ ) من قومهم أن يؤمنوا ، وظنَّ قومهم أن الرسل قد كذَّبَ بهم . حدثني المثني ، قال : ثنا عارم أبو النعمان ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : ثنا شعيب ، قال : ثنا إبراهيم بن أبي حمزة الجزري ، قال : سألت قتي من قريش سعيد بن جبير ، فقال له : يا أبا عبد الله كيف تقرأ هذا الحرف ؟ فإني إذا أتيت عليه تمنيت أن لا أقرأ هذه السورة ( حتى إذا استنَّيَّاسَ الرُّسُلُ ) وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ) قال : نعم ، حتى إذا استنَّيَّاسَ الرسل من قومهم أن يصدَّ قوهم ، وظنَّ المرسل إليهم أن الرسل كذَّبُوا ، قال : فقال الضحاك بن مزاحم : ما رأيت كالיום قَطُّ رجلاً يُدْعَى إلى علم ، فيتلكأ ، لو رحلت في هذه إلى اليمن كان قليلاً .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : ثنا أبي ، أن مسلم بن يسار ، سأل سعيد بن جبير ، فقال : يا أبا عبد الله ، آية بلغت مني كل مبلغ ( حتى إذا استنَّيَّاسَ الرُّسُلُ ) وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ) فهذا الموت أن تظنَّ الرسل أنهم قد كُذِّبُوا ، أو تظنَّ أنهم قد كُذِّبُوا ، مخففة ، قال : فقال سعيد بن جبير : يا أبا عبد الرحمن ، حتى إذا استنَّيَّاسَ الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم ، وظنَّ قومهم أن الرسل كذَّبَ بهم ( جاءَهُمْ نَصْرُنَا ، فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ ، وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ) قال : فقام مسلم إلى سعيد ، فاعتنقه ، وقال : فرج الله عنك كما فرجت عنى .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا وهيب ، قال : ثنا أبو المعلّى العطار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( حتى إذا استنَّيَّاسَ الرُّسُلُ ) وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ) قال : استنَّيَّاسَ الرسل من إيمان قومهم ، وظنَّ قومهم أن الرسل قد كُذِّبُوا ما كانوا يخبرونهم ويبلغونهم . قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( حتى إذا استنَّيَّاسَ الرُّسُلُ ) أن يصدَّ قوهم قومهم ، وظنَّ قومهم أن الرسل قد كُذِّبُوا ، جاء الرسل نصرنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله : حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، في هذه الآية ( حتى إذا استنَّيَّاسَ الرُّسُلُ ) من قومهم ، وظنَّ قومهم أن الرسل قد كذبت . قال : ثنا حماد ، عن كلثوم بن جبر ، قال : قال لي سعيد بن جبير : سألتني سيد من ساداتكم عن هذه الآية ، فقلت : استنَّيَّاسَ الرسل من قومهم ، وظنَّ قومهم أن الرسل قد كذبت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( حتى إذا استنَّيَّاسَ الرُّسُلُ ) وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ) قال : استنَّيَّاسَ الرسل أن يؤمن قومهم بهم ، وظنَّ قومهم المشركون

أن الرسل قد كذبوا ما وعدهم الله من نصره إياهم عليهم وأخلفوا ، وقرأ (جاءهم نصرنا) قال : جاء الرسل النصر حينئذ ، قال : وكان أبي يقرؤها : كذبوا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن أبي المتوكل ، عن أيوب ابن أبي صفوان ، عن عبد الله بن الحارث ، أنه قال (حتى إذا استنيس الرسل) من إيمان قومهم ، (وظنوا أنهم قد كذبوا) وظن القوم أنهم قد كذبوا فيما جاءوهم به .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : ظن قومهم أن رسلهم قد كذبوا فيما وعدوهم به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن جحش بن زياد الضبي ، عن تميم ابن حذلم ، قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول في هذه الآية : (حتى إذا استنيس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : استنيس الرسل من إيمان قومهم أن يؤمنوا بهم ، وظن قومهم حين أبطأ الأمر ، أنهم قد كذبوا بالتخفيف .

حدثنا أبو المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي المعلث ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (حتى إذا استنيس الرسل) قال : استنيس الرسل من نصر قومهم ، وظن قوم الرسل أن الرسل قد كذبوا .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير (حتى إذا استنيس الرسل) أن يصد قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (حتى إذا استنيس الرسل) أن يصد قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك في قوله (حتى إذا استنيس الرسل) يقول : استنيسوا من قومهم أن يجيئوهم ، ويؤمنوا بهم ، (وظنوا) : يقول : وظن قوم الرسل أن الرسل قد كذبوا الموعد .

والقراءة على هذا التأويل الذي ذكرنا في قوله (كذبوا) بضم الكاف ، وتخفيف الذال ، وذلك أيضا قراءة بعض قرآء أهل المدينة ، وعامة قرآء أهل الكوفة .

وإنما اخترنا هذا التأويل ، وهذه القراءة لأن ذلك عقيب قوله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى) ، أفلم يسيروا في الأرض ، فيتنظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم) فكان ذلك دليلا على أن إياس الرسل ، كان من إيمان قومهم الذين أهلكوا ، وأن المضمرة في قوله (وظنوا أنهم قد كذبوا) إنما هو من ذكر الذين من قبلهم من الأمم الهالكة ، وزاد ذلك وضوحا أيضا إلتباع الله في سياق الخبر عن الرسل وأممهم قوله (فتنجي من نشاء) إذ الذين أهلكوا هم الذين ظنوا أن الرسل قد كذبوا ، فكذبوا بظننا منهم أنهم قد كذبوا .



وقد ذهب قوم ممن قرأ هذه القراءة إلى غير التأويل الذي اخترنا ، ووجهوا معناه إلى : حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم ، وظنت الرسل أنهم قد كذبوا فيما وعِدوا من النصر .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : قرأ ابن عباس (حتى إذا استيأس الرسل وظننوا أنهم قد كذبوا) قال : كانوا بشرا ضعفاً ويشوا قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، قرأ (وظننوا أنهم قد كذبوا) خفيفة . قال ابن جريج : أقول كما يقول : أخلفوا ، قال عبد الله : قال لي ابن عباس : كانوا بشرا ، وتلا ابن عباس (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب) قال ابن جريج : قال ابن أبي مليكة : ذهب بها إلى أنهم ضعفاً ، فظنوا أنهم أخلفوا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق عن عبد الله ، أنه قرأ (حتى إذا استيأس الرسل وظننوا أنهم قد كذبوا) مخففة ، قال عبد الله : هو الذي تكره .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن سليمان ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، أن رجلاً سأل عبد الله بن مسعود (حتى إذا استيأس الرسل وظننوا أنهم قد كذبوا) قال : هو الذي تكره ، مخففة .

قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، أنه قال في هذه الآية (حتى إذا استيأس الرسل وظننوا أنهم قد كذبوا) قلت : كذبوا ، قال : نعم ، ألم يكونوا بشراً؟ حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (حتى إذا استيأس الرسل وظننوا أنهم قد كذبوا) قال : كانوا بشراً قد ظنوا . وهذا تأويل .

وقول غيره من أهل التأويل : أولى عندي بالصواب ، وخلافه من القول أشبه بصفات الأنبياء والرسل ، إن جاز أن يرتابوا بوعد الله إياهم ، ويشكوا في حقيقة خبره ، مع معاينتهم من حجج الله وأدلته ما لا يعاينه المرسل إليهم ، فيعندوا في ذلك إن المرسل إليهم لأولى في ذلك منهم بالعذر ، وذلك قول إن قاله قائل لا يخفى أمره ، وقد ذكر هذا التأويل الذي ذكرناه أخيراً عن ابن عباس لعائشة ، فأنكرته أشد النكرة فيما ذكر لنا .  
ذكر الرواية بذلك عنها رضوان الله عليها

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : قرأ ابن عباس (حتى إذا استيأس الرسل وظننوا أنهم قد كذبوا) فقال : كانوا بشراً ضعفاً ويشوا ، قال ابن أبي مليكة : فذكرت ذلك لعروة ، فقال : قالت عائشة : معاذ الله ، ما حدث الله

رسوله شيئا قط إلا علم أنه سيكون قبل أن يموت ، ولكن لم يزل البلاء بالرسول ، حتى ظن الأنبياء أن من تبعهم قد كذبوهم ، فكانت تقرؤها قد كذبوا ، تثقلها .

قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني ابن أبي مليكة ، أن ابن عباس قرأ ( وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا ) خفيفة ، قال عبد الله : ثم قال لي ابن عباس : كانوا بشرا ، وتلا ابن عباس ( حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ، أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ) قال ابن جريج : قال ابن أبي مليكة ، يذهب بها إلى أنهم ضعفوا ، فظنوا أنهم أُخْلِيفُوا . قال ابن جريج : قال ابن أبي مليكة : وأخبرني عروة عن عائشة ، أنها خالفت ذلك وأبنته ، وقالت : ما وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم من شيء إلا وقد علم أنه سيكون ، حتى مات ، ولكنه لم يزل البلاء بالرسول ، حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم . قال ابن أبي مليكة في حديث عروة : كانت عائشة تقرؤها ( وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا ) مثقلة للكذب .

قال : ثنا سليمان بن داود الهاشمي ، قال : ثنا إبراهيم بن سعد ، قال : ثنا صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة قال : قلت لها قوله ( حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا ) قال : قالت عائشة : لقد استيقنوا أنهم قد كذبوا ، قلت : كذبوا ؟ قالت : معاذ الله ، لم تكن الرسل تظن يوما ، إنما هم أتباع الرسل ، لما استأخر عنهم الوحي ، واشتد عليهم البلاء ، ظننت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم . ( جاءهم نصرنا ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : حتى إذا استيسر الرسل ممن كذبهم من قومهم أن يصدقوهم ، وظنت الرسل أن من قد آمن من قومهم قد كذبوهم ، جاءهم نصر الله عند ذلك . فهذا ما روي في ذلك عن عائشة ، غير أنها كانت تقرأ ( كَذَّبُوا ) بالتشديد ، وضم الكاف ، بمعنى ما ذكرنا عنها ، من أن الرسل ظنت بأتباعها الذين قد آمنوا بهم ، أنهم قد كذبوهم ، فارتدوا عن دينهم ، استبطاء منهم للنصر .

وقد بينا أن الذي نختار من القراءة في ذلك والتأويل غيره في هذا الحرف خاصة .

وقال آخرون ممن قرأ قوله ( كَذَّبُوا ) بضم الكاف وتشديد الذال ، معنى ذلك : حتى إذا استيسر الرسل من قومهم أن يؤمنوا بهم ويصدقوهم ، وظنت الرسل : بمعنى واستيقنت أنهم قد كذبوهم أممهم ، جاءت الرسل نصرتنا ، وقالوا : الظن في هذا بمعنى : العلم ، من قول الشاعر :

فَظَنُّوا بِالْفَتَى فَارِسٍ مُتَلَبِّبٍ سَرَّاهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرِّدِ

(١) البيت لدريد بن الصمة الجهمي (اللسان : ظن) ورواية الشطر الأول فيه : « فقلت لهم ظنوا بألقى مدجج » واستشهد بالبيت على أن الظن قد يوضع موضع العلم . ثم قال بهد البيت : أي استيقنوا ، وإنما يخوف عدوه باليقين لا بالشك . قال : وكذلك قوله عز وجل : « وظنوا أنهم قد كذبوا » أي علموا ، يعني الرسل أن قومهم قد كذبوهم ، فلا يصدقوهم . و « كذبوا » بالتشديد : هي =



## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، وهو قول قتادة ( حتى إذا استتيأ من الرسل ) من إيمان قومهم ( وظننوا أنهم قد كذبوا ) : أي استيقنوا أنه لاخير عند قومهم ، ولا إيمان ، جاءهم نصرنا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( حتى إذا استتيأ من الرسل ) قال : من قومهم ( وظننوا أنهم قد كذبوا ) قال : وعلموا أنهم قد كذبوا ( جاءهم نصرنا ) . وبهذه القراءة كانت تقرأ عامة قرآء المدينة والبصرة والشام ، أعني بتشديد الذال من كذبوا ، وضم كافها .

وهذا التأويل الذي ذهب إليه الحسن وقاتدة في ذلك ، إذا قرئ بتشديد الذال وضم الكاف ، خلاف لما ذكرنا من أقوال جميع من حكينا قوله من الصحابة ، لأنه لم يوجه الظن في هذا الموضع منهم أحد إلى معنى العلم واليقين ، مع أن الظن إنما استعمله العرب في موضع العلم ، فيما كان من علم أدرك من جهة الخبر ، أو من غير وجه المشاهدة والمعينة ، فأما ما كان من علم أدرك من وجه المشاهدة والمعينة ، فإنها لا تستعمل فيه الظن ، لا تكاد تقول : أظنني حياً ، وأظنني إنساناً ، بمعنى : أعلمني إنساناً ، وأعلمني حياً ، والرسل الذين كذبهم أممهم ، لاشك أنها كانت لأممها شاهدة ، ولتكذيبها إياها منها سامعة ، فيقال فيها : ظننت بأممها أنها كذبتها .

وروي عن مجاهد في ذلك قول هو خلاف جميع ما ذكرنا من أقوال الماضين ، الذين سمينا أسماءهم ، وذكرنا أقوالهم ، وتأويل خلاف تأويلهم ، وقراءة غير قراءة جميعهم ، وهو أنه فيما ذكر عنه ، كان يقرأ ( وظننوا أنهم قد كذبوا ) بفتح الكاف والذال وتخفيف الذال .

## ذكر الرواية عنه بذلك

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا أبو عبيد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، أنه قرأها ( كذبوا ) بفتح الكاف بالتخفيف .

وكان يتأوله كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد استيأس الرسل أن تعذب قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا ، جاءهم نصرنا ، قال : جاء الرسل نصرنا ، قال مجاهد : قال في المؤمن ( فلما جاءتهم رسلنا بالبينات ، فآحوا بما عندهم من العلم ) قال : قولهم نحن أعلم منهم ، ولن نعذب ، وقوله ( وحق بهم ما كانوا به يستهزئون ) قال : حق بهم ما جاءت به رسلهم من الحق .

= قراءة أبي عمرو وابن كثير ونافع وابن عامر ، وبه قرأت عائشة ، وفسرته على ما ذكرناه . ورواية الديوان ( شعراء النصرانية : ٧٥٦ ) كرواية السان . والمدجج : التام السلاح . والمتلبج : المتحزم بالسلاح وغيره . وسراهم : خيارهم . والمرد : المتتابع الخلق في النسخ

وهذه القراءة لأستجيز القراءة بها ، لإجماع الحجة من قرآء الأمصار على خلافها ، ولو جازت القراءة بذلك لاحتمل وجها من التأويل ، وهو أحسن مما تأوله مجاهد ، وهو حتى إذا استيأس الرسل من عذاب الله قومها المكذبة بها ، وظنت الرسل أن قومها قد كذبوا وافتروا على الله بكفرهم بها . ويكون الظن موجها حينئذ إلى معنى العلم ، على ما تأوله الحسن وقتادة .

وأما قوله ( فَتَنْجِي مَنْ نَشَاءُ ) فإن القرآء اختلفت في قراءته ، فقرأه عامة قرآء أهل المدينة ومكة والعراق ( فَتَنْجِي مَنْ نَشَاءُ ) بنونين ، بمعنى : فننجي نحن من نشاء من رسلنا ، والمؤمنين بنا ، دون الكافرين الذين كذبوا رسلنا ، إذا جاء الرسل نصرنا . واعتل الذين قرءوا ذلك كذلك ، أنه إنما كتبت في المصحف بنون واحدة ، وحكمه أن يكون بنونين ، لأن إحدى النونين حرف من أصل الكلمة ، من أنجي ينجي ، والأخرى النون التي تأتي لمعنى الدلالة على الاستقبال ، من فعل جماعة مخبرة عن أنفسها ، لأئهما حرفان ، أعنى النونين من جنس واحد ، يخفى الثاني منهما عن الإظهار في الكلام . فحذفت من الخط ، واجتزى بالثبتة من المحذوفة ، كما يفعل ذلك في الحرفين اللذين يدغم أحدهما في صاحبه ، وقرأ ذلك بعض الكوفيين على هذا المعنى ، غير أنه أدغم النون الثانية وشدّد الجيم ، وقرأه آخر منهم بتشديد الجيم ، ونصب الياء ، على معنى فعل ذلك به ، من نجته أنجيه . وقرأ ذلك بعض المكيين ( فَتَنْجَا مَنْ نَشَاءُ ) بفتح النون والتخفيف ، من نجا من عذاب الله من نشاء ينجو .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : قراءة من قرأه ( فَتَنْجِي مَنْ نَشَاءُ ) بنونين ، لأن ذلك هو القراءة التي عليها القيرآة في الأمصار ، وماخالفه ممن قرأ ذلك ببعض الوجوه التي ذكرناها ، فنفرد بقراءته عما عليه الحجة مجمعة من القرآء ، وغير جائز خلاف ما كان مستفيضاً بالقراءة في قيرآة الأمصار .

وتأويل الكلام : فننجي الرسل ، ومن نشاء من عبادنا المؤمنين ، إذا جاء نصرنا .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( فَتَنْجِي مَنْ نَشَاءُ ) فننجي الرسل ومن نشاء ( وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ) وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث الرسل ، فدعوا قومهم ، وأخبروهم أنه من أطاع نجا ، ومن عصاه عذّب وغرّى ، وقوله ( وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ) يقول : ولا تردّ عقوبتنا وبطشنا بمن بطشنا به من أهل الكفر بنا ، عن القوم الذين أجرموا ، فكفروا بالله ، وخالفوا رسله ، وما أتوهم به من عنده .

القول في تأويل قوله تعالى

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ، مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ

الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)

يقول تعالى ذكره : لقد كان في قصص يوسف وإخوته عبرة لأهل الحجج والعقول ، يعتبرون بها ،



وموعظة يتعظون بها، وذلك أن الله جل ثناؤه، بعد أن أتى يوسف في الحب ليبيك، ثم بيع بيع العبيد، بالحسيس من الثمن، وبعد الإسار والحبس الطويل، ملكه مصر، ومكّن له في الأرض، وأعلاه على من بغاه سوءاً من إخوته، وجمع بينه وبين والديه وإخوته بقدرته، بعد المدّة الطويلة، وجاء بهم إليه من الشقّة النائية البعيدة، فقال جل ثناؤه للمشركين من قريش، من قوم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لقد كان لكم أيها القوم في قصصهم عبرة لو اعتبرتم به؛ إن الذي فعل ذلك يوسف وإخوته، لا يتعدّر عليه أن يفعل مثله بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيخرجه من بين أظهركم، ثم يظهره عليكم، ويمكن له في البلاد، ويؤيده بالهند والرجال، من الأتباع والأصحاب، وإن مرت به شدائد، وأتت دونه الأيام والليالي، والدهور والأزمان، وكان مجاهد يقول: معنى ذلك: لقد كان في قصصهم عبرة ليوسف وإخوته.

#### ذكر الرواية بذلك

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِيُؤَسِّفَ إِخْوَتَهُ).  
حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شيبان، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: عبرة ليوسف وإخوته.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.  
حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ) قال: يوسف وإخوته.  
وهذا القول الذي قاله مجاهد، وإن كان له وجه يحتمله التأويل، فإن الذي قلنا في ذلك أولى به، لأن ذلك عقيب الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم، وعن قومه من المشركين، وعقيب تهديدهم ووعيدهم، على الكفر بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ومنقطع عن خبر يوسف وإخوته، ومع ذلك أنه خبر عام عن جميع ذوى الألباب، أن قصصهم لهم عبرة، وغير مخصوص بعض به دون بعض، فإذا كان الأمر على ما وصفت في ذلك، فهو بأن يكون خبراً عن أنه عبرة لغيرهم أشبه. والرواية التي ذكرناها عن مجاهد، رواية ابن جريج أشبه به أن تكون من قوله، لأن ذلك موافق القول الذي قلناه في ذلك.  
وقوله (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) يقول تعالى ذكره: مَا كَانَ هَذَا الْقَوْلَ حَدِيثًا يُخْتَلَقُ وَيُسْكَدُّ وَيَتَخَرَّصُ.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) والفرية: الكذب (وَلَكِنَّ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) يقول: ولكنه تصديق الذى بين يديه، من كتب الله التى أنزلها قبله على أنبيائه، كالنوراة والإنجيل والزبور، ويصدق ذلك كله، ويشهد عليه، أن جميعه حق من عند الله.

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَكِنَّ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ )  
والفرقان تصديق الكتب التي قبله ، ويشهد عليها .

وقوله ( وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ) يقول تعالى ذكره : وهو أيضا تفصيل كل ما بالعباد إليه حاجة ،  
من بيان أمر الله ونهيه ، وحلاله وحرامه ؛ وطاعته ومعصيته .

وقوله ( وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) يقول تعالى ذكره : وهو بيان أمره ، ورشاد من جهل  
سبيل الحق ، فعمى عنه ، إذا تبعه فاهتدى به من ضلالتة ، ورحمة لمن آمن به ، وعمل بما فيه ، ينقذه من سخط الله  
وأليم عذابه ، ويورثه في الآخرة جنته ، والخلود في النعيم المقيم ( لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) يقول : لقوم  
يصدقون بالقرآن ، وبما فيه من وعد الله ووعيده ، وأمره ونهيه ، فيعملون بما فيه من أمره ، ويتنبهون عما  
فيه من نهيه .

آخر تفسير سورة يوسف .

## أول تفسير السورة التي يذكر فيها الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الْمَرَّةَ تِلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ  
النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١)

قال أبو جعفر : قد بينا القول في تأويل قوله ( الرَّاءُ وَالْمَرْ ) ونظائرها من حروف المعجم ، التي افتتح بها  
أوائل بعض سور القرآن فيما مضى ، بما فيه الكفاية من إعادتها ، غير أنا نذكر من الرواية ما جاء خاصا به  
كل سورة افتتح أولها بشيء منها . فما جاء من الرواية في ذلك في هذه السورة عن ابن عباس ، من نقل  
أبي الضحى مسلم بن صبيح وسعيد بن جبيرة عنه ، التفريق بين معنى ما ابتدئ به أولها ، مع زيادة الميم التي فيها ،  
على سائر سور ذوات الراء ، ومعنى ما ابتدئ به أخواتها ، مع نقصان ذلك منها عنها .

ذكر الرواية بذلك عنه

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن هشيم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن  
ابن عباس ( أَلَمْ ) قال : أنا الله أرى .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى ،  
عن ابن عباس ، قوله ( أَلَمْ ) قال : أنا الله أرى .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد ( أَلَمْ ) : فواتح  
يفتح بها كلامه .



وقوله (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ) يقول تعالى ذكره : تلك التي قصصت عليك خبرها ، آياتُ الكتاب الذي أنزلته ، قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك ، إلى من أنزلته إليه من رسلي قبلك . وقيل : عنى بذلك : التوراة والإنجيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( آيَاتُ الْكِتَابِ ) الكتب التي كانوا قبل القرآن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد ( تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ) قال : التوراة والإنجيل .

وقوله ( وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ ) فاعمل بما فيه ، واعتصم به . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد ( وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ ) قال : القرآن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ ) : أي هذا القرآن .

وفي قوله ( وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ ) وجهان من الإعراب : أحدهما الرفع ، على أنه كلام مبتدأ ، فيكون مرفوعا بالحق والحق به . وعلى هذا الوجه تأويل مجاهد و قتادة ، الذي ذكرنا قبل عنهما . والآخر : الخفض على العطف به على الكتاب ، فيكون معنى الكلام حينئذ : تلك آيات التوراة والإنجيل والقرآن ، ثم يبتدئ الحق بمعنى ذلك الحق ، فيكون رفعه بمضمر من الكلام ، قد استغنى بدلالة الظاهر عليه منه . ولو قيل : معنى ذلك : تلك آيات الكتاب الذي أنزل إليك من ربك الحق ، وإنما أدخلت الواو في « والذي » ، وهو نعت للكتاب ، كما أدخلها الشاعر في قوله :

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابنِ الهَمَامِ وَلَيْسَ الكَتِيبَةَ فِي المُرْدَحِمِ<sup>١</sup>

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٥٧) قال : وقوله ( والذي أنزل إليك من ربك الحق ) : فوضع الذي رفع تستأنفه على الحق ، وترفع كل واحد بصاحبه . وإن شئت جعلت ( الذي ) في موضع خفض ، تريد : تلك آيات الكتاب ، وآيات الذي أنزل إليك من ربك ، فيكون خفضا ، ثم ترفع الحق ، أي ذلك هو الحق ، كقوله في البقرة : ( وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ، الحق من ربك ) فتوقع على إضمار ذلك الحق ، أو هو الحق : وإن شئت جعلت ( الذي ) خفضا ، فخفضت الحق ، فجعلته من صفة الذي ، ويكون الذي نعتا للكتاب ، مردودا عليه ، وإن كانت فيه الواو ، كما قال الشاعر : ( إلى الملك ... الخ ) فعطف الواو ، وهو يريد واحدا . ومثله في الكلام : أنا هذا الحديث عن أبي حفص والفاروق ، فأنت تريد عمر بن الخطاب اه . والقرم بفتح القاف : السيد . والهمام : الملك العظيم الهمة ، والسيد الشجاع السخي . والكتيبة : جماعة الخيل إذا أغارت ، من المثة إلى الألف . والمردحم : محل الازدحم . يقال : ازدحم القوم وتراحموا : أي تضايقوا ، وأراد بالمعركة .

فعطف بالواو ، وذلك كله من صفة واحد ، كان مذهبا من التأويل ، ولكن ذلك إذا تؤول كذلك ، فالصواب من القراءة في الحق الخفض ، على أنه نعت للذي .  
وقوله ( وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ) من مشركي قومك لا يصدقون بالحق الذي أنزل إليك من ربك ، ولا يقرون بهذا القرآن ، وما فيه من محكم آية .

#### القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ، يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ، يُفَصِّلُ الْآيَاتِ ، لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)

يقول تعالى ذكره : الله يا محمد هو الذي رفع السموات السبع بغير عمد ترونها ، فجعلها للأرض سقفا مسموكا ، والعمد جمع عمود ، وهي السوارى ، وما يُعمد به البناء ، كما قال النابغة :  
وَحَيْثُ السَّيْرِ الْجَيْنُ أَتَى قَدْ أَذْنَتْ لَهُمْ يَبْتَنُونَ تَدْمُرُ بِالصُّفْحِ وَالْعَمَدِ  
وجمع العمود : عمد ، كما جمع الأديم : آدم ، ولو جمع بالضم ففيل : عمد ، كما يجمع الرسول : رُسُل ، والشكور : شُكُر .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ) فقال بعضهم : تأويل ذلك : الله الذي رفع السموات بعمد لا ترونها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا عمران بن حدير ، عن عكرمة ، قال : قلت لابن عباس : إن فلانا يقول : إنها على عمد ، يعنى السماء ، قال : فقال : اقرأها بغير عمد ترونها : أى لا ترونها .

حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، عن عمران بن حدير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا حميد ، عن الحسن بن مسلم ، عن مجاهد ، في قوله ( بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ) قال : بعمد لا ترونها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن بن مسلم ، عن مجاهد ، في قول الله ( بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ) قال : هي لا ترونها .

(١) البيت للنابغة الذبياني زياد بن معاوية ( مختار الشعر الجاهل ، يشرح مصطلح السقا طبعة الحلبي ص ١٥٢ ) . استشهد به أبو عبيدة في ( مجاز القرآن ١ : ٣٢٠ ) على أن معنى العمدة : السوارى والدعائم ، وما يعمد البناء . ومعنى حيس : ذليل . وتدمر مدينة في البرية بين الشام والعراق . والصفاح : حجارة عراض .



حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بغير عمد <sup>١</sup> يقول : عمد .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحسن وقتادة ، قوله ( اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ) قال قتادة : قال ابن عباس : بعمد ، ولكن لاترونها .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قوله ( رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ) قال : ما يدريك لعلها بعمد لاترونها . ومن تأول ذلك كذلك ، قصد مذهب تقديم العرب الجحد من آخر الكلام إلى أوله ، كقول الشاعر :

ولا أراها لاتزال ظالمةً مُخَدِّثُ لِي نَكْبَةً وَتَشْكُوها<sup>٢</sup>

يريد : أراها لاتزال ظالمة ، فقدم الجحد عن موضعه من تزال ، وكما قال الآخر :

إِذَا أَعْجَبْتِكَ الدَّهْرَ حَالٌ مِنْ أَمْرِي قَدَعْنَاهُ وَوَاكَيْلُ حَالِهِ وَاللَّيَالِيَا  
يَجِيئُنَّ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْ صَالِحٍ بِهِ وَإِنْ كَانَ فِيهَا لَا تَرَى النَّاسُ أَلْيَا<sup>٣</sup>

يعنى : وإن كان فيما يرى الناس لا يألو .

وقال آخرون : بل هي مرفوعة بغير عمد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : أخبرنا آدم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن إياس بن معاوية ، في قوله ( رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ) قال : السماء مقببة على الأرض مثل القبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ) قال : رَفَعَهَا بغير عمد .

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة ، أن يقال كما قال الله تعالى ( اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ) فهي مرفوعة بغير عمد نراها ، كما قال ربنا جل ثناؤه ، ولا خبر بغير ذلك ، ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه .

وأما قوله ( مُّمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ) فإنه يعنى : علا عليه :

وقد بيننا معنى الاستواء ، واختلاف المختلفين فيه ، والصحيح من القول فيما قالوا فيه ، بشواهد في ماضي

(١) لعله : يقول عمد لاترونها .

(٢) البيت من شواهد الفراء (معاني القرآن مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٥٧) قال : وقال الآخر : ولا أراها ... البيت . ومعناها : أراها لاتزال . ويقال : نكأ القرحة ينكؤها نكنا : قشرها قبل أن تبرا ، فنديت . والبيت كالشاهد الذي بعده ، على أن العرب قد تقدم الجحد من آخر الكلمة إلى أولها ، يكون ذلك جائزا . هـ . يريد تقدمه على موضعه المتأخر .

(٣) البيتان من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٥٧) قال : والعرب قد تقدم الجحد من آخر الكلمة إلى أولها ، يكون ذلك جائزا . أنشدني بعضهم : إذا أعجبتك . . . الخ البيتين . معناه : وإن كان فيما يرى الناس لا يألو .

بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله ( وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ) يقول : وأجرى الشمس والقمر في السماء ، فسخرهما فيها لمصالح خلقه ، وذلك لهما لمنافعهم ، ليعلموا بجزئيهما فيها عدد السنين والحساب ، ويفصلوا به بين الليل والنهار .  
وقوله ( كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ) يقول جل ثناؤه : كل ذلك يجري في السماء لأجل مسمى : أى لوقت معلوم ، وذلك إلى فناء الدنيا ، وقيام القيامة التي عندها تكور الشمس ، ويخسف القمر ، وتنكدر النجوم ؛ وحذف ذلك من الكلام لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه ، وأن « كلٌّ » لا بد لها من إضافة إلى ما تحيط به .

وبنحو الذي قلنا في قوله ( لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : الدنيا .  
وقوله ( يُدَبِّرُ الْأُمْرَ ) يقول تعالى ذكره : يقضى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها أمور الدنيا والآخرة كلها ، ويدبر ذلك كله وحده بغير شريك ولا ظهير ولا معين ، سبحانه !  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يُدَبِّرُ الْأُمْرَ ) : يقضيه وحده .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .  
وقوله ( يُفَصِّلُ الْآيَاتِ ) يقول : يفصل لكم ربكم آيات كتابه ، فيبينها لكم احتجاجا بها عليكم أيها الناس ( لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءُ رَبَّكُمْ تَوْقِنُونَ ) يقول : لتوقنوا بقاء الله ، والمعاد إليه ، فتصدقوا بوعدته ووعيده ، وتنزجروا عن عبادة الآلهة والأوثان ، وتخلصوا له العبادة إذا تيقنتم ذلك .  
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءُ رَبَّكُمْ تَوْقِنُونَ ) وأن الله تبارك وتعالى إنما أنزل كتابه ، وأرسل رسوله ، لتؤمن بوعدته ، ونستيقن ببقائه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ، وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ

أُنثَيْنِ ، يُغْشَى اللَّيْلَ الْأَهَارَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣)



يقول تعالى ذكره : والله الذي مدَّ الأرض ، فبسطها طولاً وعرضاً . وقوله ( وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّا ) يقول جل ثناؤه : وجعل في الأرض جبلاً ثابتة ، والرواسي : جمع راسية ، وهي الثابتة ، يقال منه : أرسيت الوتد في الأرض : إذا أثبتته ، كما قال الشاعر :

بِهِ خَالِدَاتٌ مَا يَبْرِمُنَّ وَهَامِدٌ وَأَشْعَثُ أُرْسَتَهُ الْوَلِيدَةُ بِالْفِيهِرِ ١

يعنى : أثبتته .

وقوله ( وَأَنْهَارًا ) يقول : وجعل في الأرض أنهاراً من ماء . وقوله ( وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ) فين في قوله ( وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ) من صلة جعل الثاني ، لا الأول . ومعنى الكلام : وجعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات ، وعنى بزوجين اثنين : من كل ذكرٍ اثنان ، ومن كل أنثى اثنان ، فذلك أربعة ، من الذكور اثنان ، ومن الإناث اثنان ، في قول بعضهم . وقد بيننا فيما مضى أن العرب تسمى الاثنين زوجين ، والواحد من الذكور زوجاً لأنثاه ، وكذلك الأنثى الواحدة زوجاً وزوجة لذكرها ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . ويزيد ذلك إيضاحاً قول الله عز وجل ( وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ) فسمى الاثنين الذكر والأنثى زوجين . وإنما عني بقوله ( مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ) : نوعين وضريرين .

وقوله ( يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ) يقول : يجالئ الليل النهار ، فيلبسه ظلمته ، والنهار الليل بضياؤه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ) : أى يلبس الليل النهار .

وقوله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ) يقول تعالى ذكره : إن فيما وصفت وذكرت ، من عجائب خلق الله وعظيم قدرته ، التي خلق بها هذه الأشياء ، لدلالاتٍ وحججاً وعظماً ، لقوم يتفكرون فيها ، فيستدلون ويعتبرون بها ، فيعلمون أن العبادة لا تصلح ولا تجوز ، إلا لمن خالقها ودبرها ، دون غيره من الآلهة والأصنام ، التي لا تقدر على ضرٍّ ولا نفع ، ولا لشيء غيرها إلا لمن أنشأ ذلك ، فأحدثه من غير شيء تبارك وتعالى ، وأن القدرة التي أبدع بها ذلك ، هي القدرة التي لا يتعدَّر عليه إحياء من هلك من خلقه ، وإعادة ما قسني منه ، وابتداع ما شاء ابتداعه بها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَّجِرَاتٌ وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ ، صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ ،

(١) البيت للأخوص (اللسان : رسا) . والشطر الأول فيه : «سوى خالداً ما يرم من وهامد» بجر خالداً وهامد . ورواية المؤلف كرواية أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٢١) . واستشهد به على أن الرواسي : الجبال الثابتات ، يقال : أرسيت الوتد : أى أثبتته في الأرض .

يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِيدٍ ، وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)

يقول تعالى ذكره : ( وفي الأرض قطع متجاورات ) : وفي الأرض قطع منها متقاربات متدانيات ، يقرب بعضها من بعض بالحوار ، وتختلف بالتفاضل ، مع تجاورها ، وقرب بعضها من بعض ، فمنها قطعة سبيخة ، لانتبت شيئا ، في جوار قطعة طيبة ، تنبت وتنتفع .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ( وفي الأرض قطع متجاورات ) قال : السبيخة والعذبة ، والمالح والطيب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله ( وفي الأرض قطع متجاورات ) قال : سباح وعذوبة .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن سليمان ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي سنان ، عن ابن عباس في قوله ( وفي الأرض قطع متجاورات ) قال : العذبة والسبيخة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ( وفي الأرض قطع متجاورات ) يعني : الأرض السبيخة ، والأرض العذبة ، يكونان جميعا متجاورات ، نفضل بعضها على بعض في الأكل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ( قطع متجاورات ) العذبة والسبيخة ، متجاورات جميعا ، تنبت هذه ، وهذه إلى جنبها لانتبت .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( قطع متجاورات ) طيبها : عذبتها ، وخبيثها : السباح .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وفي الأرض قطع متجاورات ) قرى قربت متجاورات بعضها من بعض .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وفي الأرض قطع متجاورات )

قال : قرى متجاورات .



حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي إسحاق الكوفى ، عن الضحاك ، فى قوله ( قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ ) قال : الأرض السَّبِيحَةُ بينها الأرض العَدْيِيَّةُ .

حدثت عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ ) يعنى الأرض السَّبِيحَةُ والأرض العَدْيِيَّةُ . متجاورات بعضها عند بعض .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، فى قوله ( وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ ) قال : الأرض تنبت حلوا ، والأرض تنبت حامضا ، وهى متجاورة ( تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ) .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ ) قال : يكون هذا حلوا ، وهذا حامضا ، وهو يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ، وهن متجاورات .

حدثني عبد الجبار بن يحيى الرملى ، قال : ثنا ضمّرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب فى قوله ( وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ ) قال : عدّية ومالحة .

وقوله ( وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَّرْعٌ وَنَخِيلٌ ، صِنُونَانٌ وَغَيْرُ صِنُونَانٍ ، يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ، وَنُفُضَلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ) يقول تعالى ذكره . وفى الأرض مع التقطع المختلفات المعانى منها ، بالملوحة والعدوية ، والخبيث والطيب ، مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض ، بساتين من أعناب وزرع ونخيل أيضا ، متقاربة فى الخليقة ، مختلفة فى الطعوم والألوان ، مع اجتماع جميعها على شرب واحد ، فمِنْ طَيِّبٍ طَعْمُهُ مِنْهَا ، حَسَنٌ مَنْظَرُهُ طَيِّبَةٌ رَائِحَتُهُ ، وَمِنْ حَامِضٍ طَعْمُهُ ، وَلَا رَائِحَةَ لَهُ .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله ( وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَّرْعٌ وَنَخِيلٌ ، صِنُونَانٌ وَغَيْرُ صِنُونَانٍ ) قال : مجتمع وغير مجتمع ( يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ، وَنُفُضَلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ) قال : الأرض الواحدة يكون فيها الخوخ والكمثرى والعنب الأبيض والأسود ، وبعضها أكثر حملا من بعض ، وبعضه حلو ، وبعضه حامض ، وبعضه أفضل من بعض .  
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : ( وَجَنَّاتٌ ) قال : وما معها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال المثنى ، وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
واختلفت القرآء فى قراءة قوله ( وَزَّرْعٌ وَنَخِيلٌ ) فقرأ ذلك عامة قرآء أهل المدينة والكوفة ( وَزَّرْعٌ وَنَخِيلٌ ) بالخفض ، عطفًا بذلك على الأعناب ، بمعنى : وفى الأرض قطع متجاورات ، وجنّات من أعناب

ومن زرع ونخيل . وقرأ ذلك بعض قرآء أهل البصرة ( وَزَّرَعٌ وَنَخِيلٌ ) بالرفع ، عطفاً بذلك على الجنات ، بمعنى : وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب ، وفيها أيضاً زرع ونخيل .  
والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان متقاربتا المعنى . وقرأ بكل واحد منهما قرآء مشهورون ، فبأيهما قرأ القارى فمصيب ، وذلك أن الزرع والنخل إذا كانا في البساتين ، فهما في الأرض ، وإذا كانا في الأرض ، فالأرض التي هما فيها جنة ، فسواء وصفا بأيهما في بستان أو في أرض .  
وأما قوله ( وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ ) وغيرُ صِنَوَانٍ ( فإن الصِنَوَان : جمع صِنُو ، وهي النخلات يجمعهن أصل واحد ، لا يفرق فيه بين جميعه واثنيه إلا بالإعراب في النون ، وذلك أن تكون نونه في اثنيه مكسورة بكل حال ، وفي جميعه متصرفه في وجوه الإعراب ، ونظيره القِنَوَان : واحدها قِنُو .  
وينحو الذي قلنا في معنى الصِنَوَان ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ( صِنَوَانٌ ) قال : المجتمع ( وغيرُ صِنَوَانٍ ) : المتفرق .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : ( صِنَوَانٌ ) : هي النخلة التي إلى جنبها نخلات إلى أصلها ( وغيرُ صِنَوَانٍ ) : النخلة وحدها .  
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ( صِنَوَانٌ ) وغيرُ صِنَوَانٍ ( قال : الصنوان : النخلتان أصلهما واحد ( وغيرُ صِنَوَانٍ ) النخلة والنخلتان المتفرقتان .  
حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت البراء يقول في هذه الآية ، قال : النخلة يكون لها النخلات ( وغيرُ صِنَوَانٍ ) النخل المتفرق .  
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن الهيثم أبو قطن ، ويحيى بن عباد وعفان ، واللفظ لفظ أبي قطن ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، في قوله ( صِنَوَانٌ ) وغيرُ صِنَوَانٍ ( قال : الصنوان : النخلة إلى جنبها النخلات ( وغيرُ صِنَوَانٍ ) : المتفرق .  
حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء في قوله ( صِنَوَانٌ ) وغيرُ صِنَوَانٍ ( قال : الصنوان : النخلات الثلاث والأربع ، والثنتان أصلهن واحد ، وغيرُ صنوان : المتفرق .  
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان وشريك ، عن أبي إسحاق ، عن البراء في قوله ( صِنَوَانٌ ) وغيرُ صِنَوَانٍ ( قال : النخلتان يكون أصلهما واحد ، وغيرُ صنوان : المتفرق .  
حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( صِنَوَانٌ ) يقول : مجتمع .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،



قوله ( وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ) يعنى بالصنوان: النخلة يخرج من أصلها النخلات ، فَيَحْمِلُ بعضه ، ولا يحمل بعضه ، فيكون أصله واحدا ، ورعوسه متفرقة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ) النخيل في أصل واحد ، وغير صنوان : النخيل المتفرقة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ( وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ) قال : : مجتمع ، وغير مجتمع .

حدثني المثنى ، قال : ثنا النفيلى ، قال : ثنا زهير ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : الصنوان : ما كان أصله واحدا وهو متفرق ، وغير صنوان : الذى نبت وحده .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( صِنْوَانٌ ) النخلتان وأكثر في أصل واحد ( وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ) وحدها .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( صِنْوَانٌ ) : النخلتان أو أكثر في أصل واحد ( وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ) واحدة .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ( صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ) قال : الصنوان : المجتمع أصله واحد ، وغير صنوان : المتفرق أصله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله ( صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ) قال : الصنوان : المجتمع الذى أصله واحد ، وغير صنوان : المتفرق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ) أما الصنوان : فالنخلتان والثلاث أصولهن واحدة ، وفروعهن شتى ، وغير صنوان : النخلة الواحدة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ) قال : صنوان : النخلة التى يكون في أصلها نخلتان وثلاث أصلهن واحد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله ( وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ) قال : الصنوان : النخلتان أو الثلاث يكن في أصل واحد ، فذلك يعدّه الناس صنوانا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : حدثني رجل ، أنه كان بين عمر

ابن الخطاب وبين العباس قول ، فأسرع إليه العباس ، فجاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ألم تر عباسا فعل بي وفعل ، فأردت أن أجيبه ، فذكرت مكانه منك ، فكففت ، فقال « يَرْتَحِمُكَ اللهُ ، إِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( صِنْوَانٌ ) :

النخلة التي يكون في أصلها نخلتان وثلاث أصلهن واحد ؛ قال : فكان بين عمر بن الخطاب وبين العباس رضي الله عنهما قول ، فأسرع إليه العباس ، فجاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله ، ألم تر عباساً فعل بي وفعل ؟ فأردت أن أجيئه ، فذكرت مكانه منك ، فكففت عند ذلك ، فقال : « يَرْتَمِكُ اللهُ ، إِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ » .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن داود بن شابور ، عن مجاهد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لَا تُؤْذُونِي فِي الْعَبَّاسِ ، فَإِنَّهُ بِقِيَّةِ آبَائِي ، وَإِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ » حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء وابن أبي مليكة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر : يا عمرُ أما عَلِمْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ » ،

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ( صِنُوَانٌ ) قال : في أصل واحد ثلاث نخلات ، كمثل ثلاثة بني أمّ وأب يتفاضلون في العمل ، كما يتفاضل ثمر هذه النخلات الثلاث في أصل واحد . قال ابن جريج : قال مجاهد : كمثل صالح بن آدم وخبيثهم أبوهم واحد .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن الحسن ، قال : هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم كانت الأرض في يد الرحمن طينة واحدة ، فسَطَحَهَا وبَطَحَهَا ، فصارت الأرض قطعاً متجاورات ، فينزل عليها الماء من السماء ، فتخرج هذه زهرتها وثمرها وشجرها ، وتخرج نباتها ، وتحبي مواتها ، وتخرج هذه سببخها وملحها وخبيثها ، وكلتاها تسقى بماء واحد ، فلو كان الماء مالخاً ، قيل : إنما استسبخت هذه من قبل الماء ، كذلك الناس خلقوا من آدم ، فينزل عليهم من السماء تذكرة ، فترقّ قلوب ، فتخشع وتخضع ، وتقسو قلوب ، فتلهو وتسهبو وتجفو ؛ قال الحسن : والله ماجالس القرآن أحدٌ إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان ، قال الله ( وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ) .

وقوله ( تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ) اختلفت القرآء في قوله ( تُسْقَى ) ، فقرأ ذلك عامة قرآء أهل المدينة والعراق ، من أهل الكوفة والبصرة ( تُسْقَى ) بالياء ، بمعنى : تسقى الجنات والزرع والنخيل . وقد كان بعضهم يقول : إنما قيل تسقى بالياء لتأنيث الأعناب . وقرأ ذلك بعض المكيين والكوفيين ( يُسْقَى ) بالياء . وقد اختلف أهل العربية في وجه تذكيره إذا قرئ كذلك ، وإنما ذلك خبر عن الجنات والأعناب والنخيل والزرع ، أنها تسقى بماء واحد ، فقال بعض نحوي البصرة : إذا قرئ ذلك بالياء ، فذلك على الأعناب كما ذكروا الأنعام في قوله ( مَا فِي بُطُونِهِ ) وأنتث بعد فقال ( وَعَلَسِيهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ) فن قال : ( يُسْقَى ) بالياء جعل الأعناب مما تذكّر وتؤنث ، مثل الأنعام . وقال بعض نحوي الكوفة : من



قال (تُسْقَى) ذهب إلى تأنيث الزرع والجنات والنخيل ، ومن ذكّر ذهب إلى أن ذلك كله يسقى بماء واحد ، وأكله مختلف ، حامض وحلو ، ففي هذا آية .

وأعجب القراءتين إلى أن أقرأ بها : قراءة من قرأ ذلك بالياء (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) ، على أن معناه : تسقى الجنات والنخل والزرع بماء واحد ، لمحبي تسقى بعد ما قد جرى ذكرها ، وهي جماع من غير بني آدم ، وليس الوجه الآخر بممتنع ، على معنى يسقى ذلك بماء واحد : أي جميع ذلك يسقى بماء واحد عذب ، دون المالح . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) ماء السماء كمثل صالح بن آدم وخبيثهم ، أبوهم واحد .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : ماء السماء .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني المنثي ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي إسحاق الصوفى ، عن الضحاك (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : ماء المطر .

حدثني المنثي ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قرأه ابن جريج ، عن مجاهد (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : ماء السماء كمثل صالح بن آدم وخبيثهم ، أبوهم واحد .  
قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وحدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .  
حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملى ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : بماء السماء .

وقوله (وَتُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه عامة قراء المكيين والمدنيين والبصريين ، وبعض الكوفيين ، ونفضل بالنون بمعنى ، ونفضل نحن بعضها على بعض في الأكل . وقرأه عامة قراء الكوفيين : ويفضل بالياء ، ردا على قوله (يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ) ويفضل بعضها على بعض ، وهما قراءتان مستفيضتان بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارى فصيب ، غير أن الياء أعجبها إلى في القراءة ، لأنه في سياق كلام ابتدأه (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ) فقرأته بالياء إذ كان كذلك أولى . ومعنى الكلام : أن الجنات من الأعناب والزرع والنخيل ، الصنوان وغير الصنوان ، تسقى بما واحد عذب لاملح ، ويخالف الله بين طعوم ذلك ، فيفضل بعضها على بعض في الطعم ، فهذا حلو ، وهذا حامض . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( وَتُفَضَّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ) قال : الفارسي والدَّقْل والحلو والحامض .  
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ( وَتُفَضَّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ) قال : الأرض الواحدة يكون فيها الخوخ والكمثرى ، والعنب الأبيض والأسود ، وبعضها أكثر حملا من بعض ، وبعضه حلو ، وبعضه حامض ، وبعضه أفضل من بعض .  
 حدثني المنثي ، قال : ثنا عارم أبو النعمان ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ( وَتُفَضَّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ) قال : برّني وكذا وكذا ، وهذا بعضه أفضل من بعض .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( وَتُفَضَّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ) قال : هذا حامض ، وهذا حلو ، وهذا مز .  
 حدثني محمود بن خدّاش ، قال : ثنا سيف بن محمد بن أحمد ، عن سفيان الثوري ، قال : ثنا الأعمش عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ( وَتُفَضَّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ) قال : الدَّقْل والفارسي ، والحلو والحامض .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي ، قال : ثنا سليمان بن عبد الله الرقي ، قال : ثنا عبيد الله بن عمر الرقي ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله ( وَتُفَضَّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ) قال : الدَّقْل والفارسي ، والحلو والحامض .  
 وقوله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) يقول تعالى ذكره : إن في مخالفة الله عز وجل بين هذه القطع الأرض المتجاورات وثمار جناتها وزروعها على ما وصفنا وبيننا ، لدليلا واضحا ، وعبرة لقوم يعقلون اختلاف ذلك ، أن الذي خالف بينه على هذا النحو الذي خالف بينه ، هو المخالف بين خلقه فيما قسم لهم من هداية وضلال ، وتوفيق وخذلان ، فوفق ، هذا وخذل هذا ، وهدى ذا ، وأضلّ ذا ، ولو شاء لسوى بين جميعهم ، كما لو شاء سوى بين جميع أكل ثمار الجنة ، التي تشرب شرابا واحدا ، وتُسقى سقيا ، وهي متفاضلة في الأكل .

## القول في تأويل قوله تعالى

\* وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ: أَهَذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ أَنَا لِمَنِي خَلَقْتِ جَدِيدًا؟ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ، وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥)  
 يقول تعالى ذكره : وإن تعجب يا محمد من هؤلاء المشركين المتخذين ما لا يضر ولا ينفع آلهة يعبدونها من دوني ، فعجب قولهم ( أَيْدَا كُنَّا تُرَابًا ) وبلينا فعدمنا ( أَيْنَا لِمَنِي خَلَقْتِ جَدِيدًا ) : إنا نجد إنشاؤنا



وإعادتنا خلقا جديدا كما كنا قبل وفاتنا؟ تكذيبا منهم بقدرة الله ، وجحودا للثواب والعقاب ، والبعث بعد الممات .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِنْ تَعَجَّبَ فَتَعَجَّبْ ) إن عجبت يا محمد فعجب (قَوْلُهُمْ "أَيْدَا كُنْنَا تُرَابًا أَيْنًا لَسِنِي خَلَقَ جَدِيدٍ" ) عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا إبراهيم ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَإِنْ تَعَجَّبَ فَتَعَجَّبْ قَوْلُهُمْ ) قال : إن تعجب من تكذيبهم . وهم قد رأوا من قدرة الله وأمره ، وما ضرب لهم من الأمثال ، فأراهم من حياة الموتى في الأرض الميتة ، إن تعجب من هذه ، فتعجب من قولهم : ( أَيْدَا كُنْنَا تُرَابًا أَيْنًا لَسِنِي خَلَقَ جَدِيدٍ ) أولا يرون أنا خلقناهم من نطفة ، فالخلق من نطفة أشد أم الخلق من تراب وعظام ؟ واختلّف في وجه تكرير الاستفهام في قوله ( أَيْنًا لَسِنِي خَلَقَ جَدِيدٍ ) بعد الاستفهام الأول في قوله ( أَيْدَا كُنْنَا تُرَابًا ) أهل العربية ، فقال بعض نحويّ البصرة : الأول ظرف ، والآخر هو الذي وقع عليه الاستفهام . كما تقول : أيوم الجمعة زيد منطلق ؟ قال : ومن أوقع استفهاما آخر على قوله : أئذا متنا وكنا ترابا ؟ جعله ظرفا لشيء مذكور قبله ، كأنهم قيل لهم تبعثون ، فقالوا : أئذا كنا ترابا ؟ ثم جعل هذا استفهاما آخر ، قال : وهذا بعيد . قال : وإن شئت لم تجعل في قولك : أئذا استفهاما ، وجعلت الاستفهام في اللفظ على أئنا كأنك قلت : أيوم الجمعة أعبد الله منطلق ، وأضمر نفيه ، فهذا موضع قد ابتدأت فيه أئذا ، وليس بكبير في الكلام لو قلت اليوم : أئن عبد الله منطلق لم يحسن ، وهو جائز ، وقد قالت العرب ما علمت إنه لصالح ، تريد : إنه لصالح ما علمت ، وقال غيره : أئذا جزاء وليست بوقت ، وما بعدها جواب لها إذا لم يكن في الثاني استفهام ، والمعنى له ، لأنه هو المطلوب ، وقال : ألا ترى أنك تقول : إن تقم يقوم زيد ويقم ، من جزم فلأنه وقع موقع جواب الجزاء ، ومن رقع فلأن الاستفهام له ، واستشهد بقول الشاعر :

حَلَقْتُ لَهُ "إِنْ" تَدْلِجَ اللَّيْلِ لَا يَزْكُ أَمَامَكَ بَيْتٌ مِّنْ بَيْسُوقِي سَائِرًا

فجزم جواب اليمين ، لأنه وقع موقع جواب الجزاء ، والوجه الرفع ، قال : فهكذا هذه الآية ، قال : ومن أدخل الاستفهام ثانية ، فلأنه المعتمد عليه ، وترك الجزاء الأول .

وقوله ( أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين أنكروا البعث ، وجحدوا الثواب والعقاب (وَقَالُوا أَيْدَا كُنْنَا تُرَابًا أَيْنًا لَسِنِي خَلَقَ جَدِيدٍ ) هم الذين جحدوا قدرة ربهم ، وكذبوا رسوله ، وهم الذين في أعناقهم الأغلال يوم القيامة في نار جهنم ، فأولئك أصحاب النار : يقول : هم سكان النار يوم القيامة ، هم فيها خالدون : يقول : هم فيها ما كثون أبدا ، لا يموتون فيها ، ولا يخرجون منها .

(١) البيت ينسب للراعي ، وقد تقدم الاستشهاد به في الجزء الرابع ص ١١٤ من هذه الطبعة ، فانظره ثمة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو

مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦)

يقول تعالى ذكره: ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك، بالبلاء والعقوبة، قبل الرخاء والعافية، فيقولون: (اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ ائْتِنَا بَعْدَ آبِ إِلِيمٍ) وهم يعلمون ما حلَّ بمن خلا قبلهم من الأمم التي عصت ربها، وكذبت رسلها، من عقوبات الله، وعظيم بلائه، فمن بين أمة مُسِيخَت قِرْدَةٍ، وأخرى خنازير، ومن بين أمة أهلكت بالرجفة، وأخرى بالخسف. وذلك هو المثلثات التي قال الله جل ثناؤه (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ) والمثلثات: العقوبات المنكّلات، والواحدة منها: مثلة، بفتح الميم، وضمّ التاء، ثم تجمع مثلات، كما واحدة الصدقات صدقة، ثم تجمع صدقات. وذكر أن تميا من بين العرب تضم الميم والتاء جميعا من المثلثات، فالواحدة على لغتهم منها مثلة، ثم تجمع على مثلات، مثل غُرْفَةٍ وغُرُفَاتٍ، والفعل منه: مثَلْتُ به أمثُلُ مثْلا، بفتح الميم، وتسكين التاء، فإذا أردت أنك أفصصته من غيره، قلت: أمثَلته من صاحبه أمثِله إمثالا، وذلك إذا أفصصته منه.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ): وقائع الله في الأمم، فيمن خلا قبلكم.

وقوله (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) وهم مشركو العرب، استعجلوا بالشر قبل الخير، وقالوا: (اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بَعْدَ آبِ إِلِيمٍ).

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) قال: بالعقوبة قبل العافية (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ) قال: العقوبات.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (المَثَلَاتُ) قال: الأمثال.

حدثني المنثي، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. وحدثني المنثي قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ)



(المثَلاتُ) قال : المَثَلاتُ : الذي مَثَّلَ اللهُ في الأُمم ، من العذاب الذي عَذَّبَهم ، تولَّتْ المَثَلاتُ من العذاب ، قد خَسَّتْ من قبلهم ، وعرفوا ذلك ، وانتهى إليهم ما مَثَّلَ اللهُ بهم ، حين عَصَوْه وعَصَوْا رسله . حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سليم ، قال : سمعت الشعبي يقول في قوله ( وَقَدْ خَسَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثَلاتُ ) قال : القردة والخنازير : هي المثلات . وقوله ( وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمُ ) يقول تعالى ذكره : وإن ربك يا محمد لذو ستر على ذنوب من تاب من ذنوبه من الناس ، فتارك فضيحتهم بها في موقف القيامة ، وصافح لهم عن عقابه عليها ، عاجلا وأجلا . على ظلمهم : يقول : على فعلهم ما فعلوا من ذلك بغير إذن لهم بفعله . ( وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العِقَابِ ) لمن هلك مُصِيراً على معاصيه في القيامة ، إن لم يُعَجَّلْ له ذلك في الدنيا ، أو يجمعهما له في الدنيا والآخرة . وهذا الكلام وإن كان ظاهره ظاهر خبر ، فإنه وعيد من الله ، وتهديد للمشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن هم لم ينيبوا ويتوبوا من كفرهم ، قبل حلول نعمة الله بهم . حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ( وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ ) يقول : ولكن ربك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ، إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ

هَادٍ (٧)

يقول تعالى ذكره ( وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا ) يا محمد من قومك ( لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ) : هلا أنزل على محمد آية من ربه ، يعنون : علامة وحجة له على نبوته ، وذلك قولهم ( لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ ، أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ! ) يقول الله له : يا محمد ( إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ) لهم ، تنذرهم بأمر الله أن يحيل بهم على شركهم ( وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) يقول : ولكل قوم إمام يأتون به ، وهادٍ يتقدمهم ، فيهديهم إما إلى خير ، وإما إلى شر ، وأصله من هادى الفرس ، وهو عنقه الذي يهدي سائر جسده . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعنى بالهادي في هذا الموضع ، فقال بعضهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ) هذا قول مشركي العرب . قال الله ( إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) : لكل قوم داعٍ يدعوهم إلى الله . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن السدي ، عن عكرمة ومنصور ، عن أبي الضحى : ( إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) قالوا : محمد هو المنذر ، وهو الهاد .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن عكرمة ، مثله .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، مثله .  
وقال آخرون : عُسِّي بالهادي في هذا الموضع : الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ( إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) قال : محمد المنذر ، والله الهادي .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ( إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) قال : محمد المنذر ، والله الهادي .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ( إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ) قال : أنت يا محمد منذر ، والله الهادي .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد في قوله ( إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) قال : المنذر : النبي صلى الله عليه وسلم ( وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) قال : الله هادي كل قوم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) يقول : أنت يا محمد منذر ، وأنا هادي كل قوم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سايف ، قال : سمعت الضحاک يقول : ( إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) المنذر : محمد صلى الله عليه وسلم ، والهادي : الله عز وجل .  
وقال آخرون : الهادي في هذا الموضع ، معناه : نبي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : المنذر : محمد صلى الله عليه وسلم ، ( وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) قال : نبي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله ( إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) قال : نبي .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، مثله

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أسباط بن محمد ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، في قوله ( إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) قال : لكل قوم نبي ، والمنذر : محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثني عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، في قول الله ( وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) قال : نبي .



قال : ثنا شباية ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ )  
يعنى : لكل قوم نبي .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ )  
قال : نبي .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ )  
قال : نبي يدعوهم إلى الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) قال :  
لكل قوم نبي ، الهادي : النبي صلى الله عليه وسلم ، والمنذر أيضا : النبي صلى الله عليه وسلم ، وقرأ ( وَإِنْ  
مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ) وقال ( نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَى ) قال : نبي من الأنبياء .  
وقال آخرون : بل عيسى به : ولكل قوم قائد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ( إِنَّمَا أَنْتَ  
مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) قال : إنما أنت يا محمد منذر ، ولكل قوم قادة .

قال : ثنا الأشجعي ، قال : ثنا إسماعيل أو سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح :  
( وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) قال : لكل قوم قادة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية  
( إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) قال : الهادي : القائد ، والقائد : الإمام ، والإمام : العمل .

حدثني الحسن ، قال : ثنا محمد ، وهو ابن يزيد ، عن إسماعيل ، عن يحيى بن رافع ، في قوله ( إِنَّمَا  
أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) قال : قائد .

وقال آخرون : هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي ، قال : ثنا الحسن بن الحسين الأنصاري ، قال : ثنا معاذ بن مسلم ، ثنا  
الهروي ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت ( إِنَّمَا أَنْتَ

مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) وضع صلى الله عليه وسلم يده على صدره ، فقال « أنا المنذر ، ولكل قوم  
هادٍ ، وأوماً بيده إلى منكب علي ، فقال : أنت الهادي يا علي ، بك يهتدي المهتدون بعدي » .

وقال آخرون : معناه : لكل قوم داع .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلِكُلِّ  
قَوْمٍ هَادٍ ) قال : داع . وقد بينت معنى الهداية ، وأنه الإمام المتبع الذي يقدم القوم ، فإذا كان ذلك

كذلك ، فجائز أن يكون ذلك هو الله ، الذي يهدي خلقه ، ويتبع خلقه هدايه ، ويأتون بأمره ونهيه ، وجائز أن يكون نبي الله الذي تأتم به أمته ، وجائز أن يكون إماما من الأئمة يؤتم به ، ويتبع منهجته وطريقته أصحابه ، وجائز أن يكون داعيا من الدعاة إلى خير أو شر .

❦ وإذا كان ذلك كذلك ، فلا قول أولى في ذلك بالصواب ، من أن يقال كما قال جل ثناؤه : إن محمدا هو المنذر من أرسل إليه بالإنذار ، وإن لكل قوم هاديا يهديهم ، فيتبعونه ويأتون به .

#### القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ ، وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٨)

❦ يقول تعالى ذكره : وإن تعجب فعجب قولهم : ( أئذا كنا ترابا أئنا لشيء خلقنا جديد ) منكرين قدرة الله على إعادتهم خلقا جديدا بعد فناهم وبلائهم ، ولأن ينكرون قدرته على ابتدائهم وتصويرهم في الأرحام ، وتديبرهم وتصريفهم فيها حالا بعد حال ، فابتدأ الخبر عن ذلك ابتداء ، والمعنى فيه ما وصف ، فقال جل ثناؤه ( الله يعلم ما تحمّل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ) يقول : وما تنقص الأرحام من حملها في الأشهر التسعة ، بإرسالها دم الحيض ، وما تزداد في حملها على الأشهر التسعة ، تمام ما نقص من الحمل في الأشهر التسعة ، بإرسالها دم الحيض ( وكل شيء عند الله بمقدار ) ليجاوز شيء من قدره عن تقديره ، ولا يقصر أمر أراده ، فدبره عن تديبره ، كما لا يزداد حمل أنثى على ما قدر له من الحمل ، ولا يقصر عما حد له من القدر . والمقدار : مفعال من القدر .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن ماهان ، قال : ثنا القاسم بن مالك ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة عن ابن عباس ، في قوله ( يعلم ما تحمّل كل أنثى وما تغيض الأرحام ) قال : ما رأت المرأة من يوم دماً على حملها ، زاد في الحمل يوما .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : ( الله يعلم ما تحمّل كل أنثى وما تغيض الأرحام ) يعني السقط ( وما تزداد ) يقول : ما زادت الرحم في الحمل على ما غاضت ، حتى ولدته تماما ، وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر ، ومنهن من تحمل تسعة أشهر ، ومنهن من تزيد في الحمل ، ومنهن من تنقص ، فذلك الغيظ ، والزيادة التي ذكر الله ، وكل ذلك بعلمه .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : ثنا عبد السلام ، قال : ثنا خصيف ، عن مجاهد ، أو سعيد بن جبير في قول الله ، ( وما تغيض الأرحام ) قال : غيظها : دون التسعة ، والزيادة : فوق التسعة . حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، أنه قال : الغيظ : ما رأت



الحامل من الدم في حملها ، فهو نقصان من الولد ، والزيادة : ما زاد على التسعة أشهر ، فهو تمام للنقصان ، وهو زيادة .

حدثنا محمد بن المنثي ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، في قوله : ( وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ) قال : ما ترى من الدم ، وما تزداد على تسعة أشهر .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، أنه قال : ( يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ) قال : ما زاد على التسعة الأشهر ، وما تغيض الأرحام : قال : الدم تراه المرأة في حملها .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عمرو بن عون والحجاج بن المنهال ، قالوا : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، في قوله : ( وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ) قال : الغييض : الحامل ترى الدم في حملها ، فهو الغييض ، وهو نقصان من الولد ، وما زاد على تسعة أشهر ، فهو تمام لذلك النقصان ، وهي الزيادة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد السلام ، عن خصيف ، عن مجاهد ( وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ) قال : إذا رأت دون التسعة ، زاد على التسعة مثل أيام الحيض .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ ) قال : خروج الدم ( وَمَا تَزْدَادُ ) قال : استمسك الدم .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ ) إراقة المرأة ، حتى يحبس الولد ( وَمَا تَزْدَادُ ) قال : إن لم تُهْرِقِ الْمَرْأَةُ تَمَّ الْوَلَدُ وَعَظُمَ .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا شعبة ، عن جعفر ، عن مجاهد ، في قوله ( وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ) قال : المرأة ترى الدم ، وتحمل أكثر من تسعة أشهر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ ) قال : هي المرأة ترى الدم في حملها .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : ( وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ) إهراق الدم ، حتى يحبس الولد . وتزداد : إن لم تهرق المرأة تم الولد وعظم .

قال : ثنا الحكم بن موسى ، قال : ثنا هقل ، عن عثمان بن الأسود ، قال : قلت لمجاهد : امرأتى رأيت دما ، وأرجو أن تكون حاملا ، قال أبو جعفر : هكذا هو في الكتاب ، فقال مجاهد : ذلك غييض الأرحام ، ( يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ) الولد لا يزال يقع في النقصان ما رأت الدم ، فإذا انقطع الدم وقع في الزيادة ، فلا يزال حتى يتم ، فذلك قوله ( وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ) .

قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، في قوله ( وَمَا

تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ) قال: الغَيْضُ: الحامل ترى الدم في حملها ، وهو الغَيْضُ ، وهو نقصان من الولد ، فما زادت على التسعة الأشهر ، فهي الزيادة ، وهو تمام للولادة .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة في هذه الآية ( الله يعلم ما تحمّل كل أنثى وما تغيض الأرحام ) قال : كلما غاضت بالدم ، زاد ذلك في الحمل .  
قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، نحوه .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن عاصم ، عن عكرمة ( وما تغيض الأرحام ) قال : غيض الرحم: الدم على الحمل، كلما غاض الرحم من الدم يوما، زاد في الحمل يوما ، حتى تستكمل وهي طاهرة .

قال : ثنا عباد ، عن سعيد ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، مثله .  
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا الوليد بن صالح ، قال : ثنا أبو يزيد ، عن عاصم ، عن عكرمة في هذه الآية ( وما تغيض الأرحام ) قال : هو الحيض على الحمل ( وما تزداد ) قال : فلها بكل يوم حاضت على حملها ، يوم تزداده في طهرها ، حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرا .

قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا عمران بن حدير ، عن عكرمة ، في قوله ( وما تغيض الأرحام وما تزداد ) قال : ما رأت الدم في حملها ، زاد في حملها .  
حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله ( وما تغيض الأرحام وما تزداد ) ما تغيض أقل من تسعة ، وما تزداد : أكثر من تسعة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن الحسن بن يحيى ، قال : سمعت الضحاك يقول : قد يولد المولود لسنتين ، قد كان الضحاك وليد لسنتين ، والغَيْضُ : مادون التسعة ، وما تزداد : فوق تسعة أشهر .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن جوير ، عن الضحاك ( وما تغيض الأرحام وما تزداد ) قال : دون التسعة ، وما تزداد : قال : فوق التسعة .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : وليدت لسنتين .  
حدثني المنثي ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن الحسن بن يحيى ، قال : ثنا الضحاك أن أمه حملته سنتين ، قال ( وما تغيض الأرحام ) قال : ماتنقص من التسعة ( وما تزداد ) قال : ما فوق التسعة .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله ( الله يعلم ما تحمّل كل أنثى وما تغيض الأرحام ) قال : كل أنثى من خلق الله .  
قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، ومنصور عن الحسن ، قال : الغَيْضُ ما دون التسعة الأشهر .



قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن داود بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ، عن جميلة بنت سعد ، عن عائشة ، قالت : لا يكون الحمل أكثر من سنتين ، قدر ما يتحوك ظل مِعْزَل .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفى ( وما تَغِيضُ الأَرْحَامُ ) قال : هو الحمل لتسعة أشهر وما دون التسعة ( وما تَزْدَادُ ) قال : على التسعة .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ( وما تَغِيضُ الأَرْحَامُ ) قال : حيض المرأة على ولدها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وما تَغِيضُ الأَرْحَامُ وما تَزْدَادُ ) لى قال : الغيض : السَّقْطُ ، وما تزداد : فوق التسعة الأشهر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن سعيد بن جبير : إذا رأت المرأة الدم على الحمل ، فهو الغيض للولد ، يقول : نقصان في غذاء الولد ، وهو زيادة في الحمل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( اللهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وما تَغِيضُ الأَرْحَامُ وما تَزْدَادُ ) قال : كان الحسن يقول : الغيوضه أن تضع المرأة لسته أشهر أو لسبعة أشهر ، أو لما دون الحد . قال قتادة : وأما الزيادة ، فما زاد على تسعة أشهر .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن سالم الأفظس ، عن سعيد بن جبير ، قال : غيض الرحم : أن ترى الدم على حملها ، فكل شيء رأته فيه الدم على حملها ، ازدادت على حملها مثل ذلك . قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد ، قال : إذا رأت الحامل الدم كان أعظم للولد .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ( وما تَغِيضُ الأَرْحَامُ وما تَزْدَادُ ) الغيض : النقصان من الأجل ، والزيادة : ما زاد على الأجل وذلك أن النساء لا يلدن لعيدة واحدة ، يولد المولود لسته أشهر فيعيش ، ويولد لسنتين فيعيش ، وفيما بين ذلك . قال : وسمعت الضحاك يقول : وُلِدَتْ لسنتين ، وقد نبت ثناياي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وما تَغِيضُ الأَرْحَامُ ) قال : غيض الأرحام : الإهراق التي تأخذ النساء على الحمل ، وإذا جاءت تلك الإهراق ، لم يعتد بها من الحمل ، ونقص ذلك حملها ، حتى يرتفع ذلك ؛ وإذا ارتفع استقبلت عيدة مستقبلة تسعة أشهر ؛ وأما ما دامت ترى الدم ، فإن الأرحام تغيض وتنقص ، والولد يترق ، فإذا ارتفع ذلك الدم ، ربا الولد ، واعتدت حين يرتفع عنها ذلك الدم ، عيدة الحمل تسعة أشهر ، وما كان قبله فلا تعتد به ، هو هِرَاقَةٌ ، يُبْطَلُ ذلك أجمع أكتنع . وقوله ( وكلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ) حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ( وكلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ) إى والله ، لقد حفظ عليهم رزقهم وآجالهم ، وجعل لهم أجلا معلوما .

القول فى تأويل قوله تعالى

عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ (٩)

يقول تعالى ذكره : والله عالم ما غاب عنكم وعن أبصاركم فلم تَرَوْهُ ، وما شاهدتموه فعابتمه بأبصاركم ، لا يخفى عليه شيء ، لأنهم خلقه وتدبيره . الكبير : الذى كل شيء دونه . المتعال : المستعلى على كل شيء بقدرته ، وهو المتفاعل ، من العلو ، مثل المتقارب من القرب ، والمتدانى من الدنو .

القول فى تأويل قوله تعالى

سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ ، وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠)

يقول تعالى ذكره : معتدل عند الله منكم أيها الناس ، الذى أسر القول ، والذى جهر به ، والذى ( هو ) مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ( فى ظلمته بمعصية الله ( وسارِبٌ بِالنَّهَارِ ) يقول : وظاهر النهار فى صوته ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ، سواء عنده سرُّ خلقه وعلانيتهم ، لأنه لا يستسر عنده شيء ولا يخفى ، يقال منه : سَرَبَ يَسْرُبُ سُرُوبًا إِذَا ظَهَرَ ، كما قال قيس بن الخطيم :

أَتَى سَرَبْتِ وَكُنْتُ غَيْرَ سُرُوبٍ وَتَقَرَّبُ الْأَحْلَامِ غَيْرُ قَرِيبٍ

يقول : كيف سربت بالليل بعد هذا الطريق ، ولم تكونى تبرزين وتظهرين . وكان بعضهم يقول : هو السالك فى سيرته : أى فى مذهبه ومكانه .

واختلف أهل العلم بكلام العرب فى السرب ، فقال بعضهم : هو آمن فى سيره ، بفتح السين ، وقال بعضهم : هو آمن فى سيره بكسر السين .  
وينحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ) يقول : هو صاحب ريبة مستخف بالليل ، وإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه برىء من الإثم .

(١) البيت لقيس بن الخطيم (اللسان : سرب) قال : سربت الإبل سروبا : أى مضت فى الأرض ظاهرة حيث شاءت . والسارب : الذهاب على وجهه فى الأرض . قال قيس بن الخطيم : أتى سربت ... الخ . قال ابن برى : رواه : ابن دريد : سربت بياض موحدة ، لقوله : وكنت غير سروب . ومن رواه « سريت ، بالياء بالفتحة ، فمعناه : كيف سريت ليلا ، وأنت لا تسرى بين نهارا ؟ وقال أبو عبيدة ( مجاز القرآن ١ : ٣٢٣ ) فى قوله : وسارب بالنهار : مجاز : سالك فى سيره ، أى فى مذاهبه ، وأينا توجه . ومنه : انسرب فلان . وظاهر أن المؤلف وجه البيت على الرواية الثانية « سريت » بالياء ، ثم استدرج فوجهه على الأولى .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس :  
( وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ) : ظاهر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن أبي رجاء ، في قوله ( سَوَاءٌ مِّنْكُمْ  
مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ) قال : إن الله أعلم  
بهم ، سواء من أسر القول ، ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل ، وسارب بالنهار .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن عوف ، عن أبي رجاء ( سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ  
أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ) قال : من هو مستخف  
في بيته ، وسارب بالنهار : ذاهب على وجهه ، علمه فيهم واحد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( سَوَاءٌ مِّنْكُمْ  
مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ) يقول : السر والجهر عنده سواء ( وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ،  
وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ) أما المستخفي في بيته ، وأما السارب : الخارج بالنهار ، حيثما كان المستخفي غيبه الذي يغيب  
فيه ، والخارج عنده سواء .

قال : ثنا الجماني ، قال : ثنا شريك ، عن خصيف ، في قوله ( مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ) قال : راكب  
رأسه في المعاصي ( وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ) قال : ظاهر بالنهار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلِ  
وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ) كل ذلك عنده تبارك وتعالى سواء ، السر عنده علانية ، قوله ( وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ  
بِاللَّيْلِ ، وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ) : أي في ظلمة الليل ، وسارب : أي ظاهر بالنهار .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد وعكرمة  
( وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ) قال : ظاهر بالنهار ، ومن في قوله ( مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ  
هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ) رفع الأولى منهن بقوله سواء ، والثانية معطوفة على الأولى ، والثالثة على الثانية .

#### القول في تأويل قوله تعالى

لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ  
حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (١١)

✽ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : الله تعالى ذكره مُعَقِّبَاتٌ ، قالوا الهاء في قوله :  
« له » من ذكر اسم الله ، والمعقبات : التي تتعقب على العبد ، وذلك أن ملائكة الليل إذا صعدت بالنهار ،  
أعقبتها ملائكة النهار ، فإذا انقضى النهار ، صعدت ملائكة النهار ، ثم أعقبتها ملائكة الليل ، وقالوا : قيل  
معقبات ، والملائكة : جمع ملك ، مذكر غير مونث ، وواحد الملائكة معقَّبٌ ، وجماعتها مُعَقِّبَةٌ ، ثم جمع

جمعه ، أعني جمع معقب بعد ما جمع معقبة . وقيل : معقبات ، كما قيل : أبناوات سعد ، ورجالات بني فلان ، جمع رجال .

وقوله ( مِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ) يعني بقوله ( مِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ ) من قدام هذا المستخفي بالليل ، والسارب بالنهار ( وَمِنْ خَلْفِهِ ) : من وراء ظهره .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، يعني ابن زاذان ، عن الحسن في هذه الآية ( لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ) قال : الملائكة .  
حدثني المثني ، قال : ثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح الفسيري ، قال : ثنا علي بن جرير ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن كنانة العدوي ، قال : دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا رسول الله ، أخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟ » قال : « ملكك على يمينك ، على حسنتك ، وهو أمير على الندي على الشمال ، فإذا عملت حسنة كتبت عشرًا ، وإذا عملت سيئة ، قال الندي على الشمال للندي على اليمين : اكتب ، قال : لا ، لعلة يستغفر الله ويتوب ، فإذا قال ثلاثا ، قال : نعم اكتب ، أراحنا الله منه ، فبيئس القرين ، ما أقل مراقبته الله ، وأقل استحياءه منّا ، يقول الله ( ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ) وملاكان من بين يديك ومن خلفك ، يقول الله ( لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) ، وملاك قابض على ناصيتك ، فإذا تواضعت لله رفعتك ، وإذا تجسرت على الله قصمك ، وملاكان على شفقتك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد ، وملاك قائم على فيك ، لا بدع الحية تدخل في فيك ، وملاكان على عينيك ، فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي ، ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار ، فهؤلاء عشرون ملكاً على كل آدمي ، وإبليس بالنهار ، وولده بالليل . »

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ) الملائكة ( يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، في قوله ( لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ ) قال : مع كل إنسان حفظة يحفظونه من أمر الله .  
قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) فالمعقبات هن من أمر الله ، وهي الملائكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) قال : ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قدره خلصوا عنه :



حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) فإذا جاء القدر خسأوا عنه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم في هذه الآية ، قال : الحفظة :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : ملائكة .

حدثنا أحمد بن حازم ، قال : ثنا يعلى ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ) قال : ملائكة الليل يتعقبون ملائكة النهار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) هذه ملائكة الليل ، يتعاقبون فيكم بالليل والنهار ، وذكر لنا أنهم يجتمعون عند صلاة العصر وصلاة

الصبح ، وفي قراءة أبي بن كعب : له معقبات من بين يديه ، وورقيب من خلفه ، يحفظونه من أمر الله . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ

مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) قال : ملائكة يتعاقبونه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : الملائكة . قال ابن جريج : معقبات : قال : الملائكة

تتعاقب الليل والنهار ، وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يجتمعون فيكم عند صلاة العصر وصلاة الصبح » وقوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال ابن جريج : مثل قوله (عَنِ الْيَمِينِ

وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) قال : الحسنات من بين يديه ، والسيئات من خلفه ، الذي عن يمينه يكتب الحسنات ، والذي عن شماله يكتب السيئات .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت ليثا يحدث عن مجاهد أنه قال : ما من عبد إلا له ملك موكَّل يحفظه نومه ويقظته ، من الجن والإنس والهوام ، فما منها شيء يأتيه يريد

إلا قال : وراءك ، إلا شيئا يأذن الله فيه ، فيصيبه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : يعني الملائكة .

وقال آخرون : بل عنى بالمعقبات في هذا الموضع : الحرس الذي يتعاقب على الأمير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن

جبير ، عن ابن عباس (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : ذلك ملك من ملوك الدنيا ، له حرس ، من دونه حرس .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله ( لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْتَيْنِ يَدَيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ) يعنى : ولى السلطان يكون عليه الحرس .  
 حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن شريقي : أنه سمع عكرمة يقول  
 في هذه الآية ( لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْتَيْنِ يَدَيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ) قال : هؤلاء الأمراء .  
 حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمرو بن نافع ، قال : سمعت عكرمة يقول ( لَهُ  
 مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْتَيْنِ يَدَيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ) قال : المواكب من بين يديه ومن خلفه .  
 حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت  
 الضحاک يقول ، في قوله ( لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْتَيْنِ يَدَيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ) يحفظونه من أمر الله ،  
 قال : هو السلطان المحروس من أمر الله ، وهم أهل الشرك .  
 وأولى التأويلين في ذلك بالصواب : قول من قال : الهاء في قوله ( لَهُ مُعَقَّبَاتٌ ) من ذكر من التي  
 في قوله ( وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ) وأن المعقبات من بين يديه ، ومن خلفه ، هي حرسه وجنوده  
 كما قال ذلك من ذكرنا قوله .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب : لأن قوله ( لَهُ مُعَقَّبَاتٌ ) أقرب إلى قوله ( وَمَنْ هُوَ  
 مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ) منه إلى عالم الغيب ، فهي لقربها منه أولى بأن تكون من ذكره ، وأن يكون المعنى  
 بذلك هذا ، مع دلالة قول الله ( وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ) على أنهم المعنيون بذلك ،  
 وذلك أنه جل ثناؤه ذكر قوما أهل معصية له وأهل ريبة ، يستخفون بالليل ، ويظهرون بالنهار ،  
 ويمتنعون عند أنفسهم بحرس يحرسهم ، ومسنعة تمنعهم من أهل طاعته ، أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من  
 معصية الله ، ثم أخبر أن الله تعالى ذكره إذا أراد بهم سوءا لم ينفعهم حرسهم ، ولا يدفع عنهم حفيظهم .  
 وقوله ( يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) اختلف أهل التأويل في تأويل هذا الحرف على نحو اختلافهم  
 في تأويل قوله ( لَهُ مُعَقَّبَاتٌ ) فن قال : المعقبات هي الملائكة ، قال : الذين يحفظونه من أمر الله هم  
 أيضا الملائكة ، ومن قال : المعقبات هي الحرس والجلالوزة من بني آدم ، قال : الذين يحفظونه من أمر  
 الله هم أولئك الحرس .

واختلفوا أيضا في معنى قوله ( مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) فقال بعضهم : يحفظهم إياه من أمره . وقال بعضهم :  
 يحفظونه من أمر الله بأمر الله .

ذكر من قال : الذين يحفظونه هم الملائكة ، ووجه قوله : بأمر الله ، إلى

معنى : أن حفظها إياه من أمر الله

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله  
 ( يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) يقول : بإذن الله ، فالمعقبات : هي من أمر الله ، وهي الملائكة .  
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبیر ( يَحْفَظُونَهُ مِنْ  
 أَمْرِ اللَّهِ ) قال : الملائكة : الحفظة ، وحفيظهم إياه : من أمر الله .



حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنى عبد الملك ، عن ابن عبيد الله ، عن مجاهد ، في قوله ( لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) قال : الحَفَظَةُ : هم من أمر الله .

قال : ثنا علي ، يعني ابن عبد الله بن جعفر ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن ابن عباس ( لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ) رُقْبَاءُ ( وَمِنْ خَلْفِهِ ) من أمر الله ( يَحْفَظُونَهُ ) .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الجارود ، عن ابن عباس ( لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ) رَقِيبٌ ( وَمِنْ خَلْفِهِ ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد ( لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) قال : الملائكة من أمر الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) قال : الملائكة من أمر الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ( لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) قال : الحَفَظَةُ .

ذكر من قال : عُسِي بِذَلِكَ : يحفظونه بأمر الله

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) : أى بأمر الله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) . وفي بعض القراءات : بأمر الله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد في قوله ( لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ) قال : مع كل إنسان حفظة يحفظونه من أمر الله .

ذكر من قال : تحفظه الحرس من بني آدم من أمر الله

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) يعني : ولى السلطان يكون عليه الحرس ، يحفظونه من بين يديه ومن

خلفه ، يقول الله عز وجل : يحفظونه من أمرى ، فإني إذا أردت بقوم سوءاً فلا مردّ له ، وما لهم من دونه من وال .

حدثني أبو هريرة الضبعي ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا سعيد ، عن شريقي ، عن عكرمة : ( يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) قال : الجلاوزة .

وقال آخرون : معنى ذلك : يحفظونه من أمر الله ، وأمر الله ، الجنّ ومن يبغى أذاه ومكروهه قبل مجيء قضاء الله ، فإذا جاء قضاؤه خَلَّوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ .

## ذكر من قال ذلك

حدثني أبو هريرة الضبعي ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا ورقاء ، عن منصور ، عن طلحة ، عن إبراهيم ( يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) قال : من الجن .

حدثنا سَرَّار بن عبد الله ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت ليثا يحدث عن مجاهد ، أنه قال : ما من عبد إلا له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والحوام ، فما منهم شيء يأتيه بريدته ، إلا قال : وراءك ، إلا شيئاً يأذن الله فيصيبه .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد الألهاني ، عن يزيد بن شريح ، عن كعب الأحبار ، قال : لو تجلّى لابن آدم كلُّ سهلٍ وحرزٍ ، لرأى على كلِّ شيء من ذلك شياطين ، لولا أن الله وكتل بكم ملائكة يذُبُّونَ عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم ، إذن لتُخَطِّفَم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، قال : ثنا عمارة بن أبي حفصة ، عن أبي مجلز ، قال : جاء رجل من مُرَاد إلى عليّ رضي الله عنه ، وهو يصلي ، فقال : احترس ، فإن ناساً من مُرَاد يريدون قتلك ، فقال : إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر ، فإذا جاء القدر خَلَّيَا بيته وبينه ، وإن الأجل جُنَّةٌ حصينة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن الحسن بن ذكوان ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة قال : ما من آدمي إلا ومعه ملك موكل يذود عنه ، حتى يُسَلِّمَهُ للذي قُدر له . وقال آخرون : معنى ذلك : يحفظون عليه من الله .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) قال : يحفظون عليه ، من الله .

يُؤَيَّبُ قال أبو جعفر : يعنى ابنُ جريج بقوله : يحفظون عليه : الملائكة الموكلة بابن آدم ، يحفظ حسناته وسيئاته ، وهي المعقبات عندنا ، تحفظ على ابن آدم حسناته وسيئاته ، من أمر الله . وعلى هذا القول يجب أن يكون معنى قوله : ( مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) أن الحفظة من أمر الله ، أو تحفظ بأمر الله ، ويجب أن تكون الهاء التي في قوله ( يَحْفَظُونَهُ ) وُحِدَتْ وَذُكِّرَتْ ، وهي مراد بها الحسنات والسيئات ، لأنها كناية عن ذُكْرٍ مَنْ الذي هو مستخف بالليل ، وسارب بالنهار ، وأن يكون المستخفي بالليل ، أقيم ذكره مقام الخبر عن سيئاته وحسناته ، كما قيل ( وَأَسْتَلِ الْقَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ، وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ) . وكان عبد الرحمن بن زيد يقول في ذلك خلاف هذه الأقوال كلها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ، وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ) قال : أتى عامرُ بن الطفيل ، وأربدُ بن ربيعة ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عامر : ما تجعل لي إن أنا اتبعتك ؟ قال : أنتَ فارسٌ أُعْطِيكَ أَعْيُنَةَ الْحَيْلِ ، قال : لا ، قال : فَمَا تَبْغِي ؟ قال : لي الشرقُ ، ولك الغربُ ، قال : لا ، قال : فلي الوَبَرُ ، ولك المدَرُ ، قال : لا ، قال :

(١) أربد بن قيس : أخو لبيد بن ربيعة الشاعر المشهور لأه . هلك قبل أخيه لبيد ، فبكاه بكاء شديداً .



لأملأها عليك إذن خيلاً ورجالا، قال: يَمْتَعُكَ اللهُ ذَاكَ، وَأَبْنَاءُ قَبِيلَةٍ، يريد الأوس والخزرج. قال فخرجا، فقال عامر لأربد: إن كان الرجل لنا لممكنا، لو قتلناه ما انتطحت فيه عتران، ولرضوا بأن نعقله لهم، وأحبوا السلم، وكروهوا الحرب، إذا رأوا أمرا قد وقع. فقال الآخر: إن شئت. فتشاورا، وقال: أرجع وأنا أشغله عنك بالمجادلة، وكن وراءه، فاضربه بالسيف ضربة واحدة، فكانا كذلك، واحد وراء النبي صلى الله عليه وسلم، والآخر قال: اقْصُصْ علينا قصصك، قال: ما يقول قرآنك، فجعل يجادله ويستبطه، حتى قال: مالك أَحْسَمْت؟ قال: وضعت يدي على قائم سيني فيبست، فما قدرت على أن أُحْبِلِي ولا أُمِرَّ ولا أحرَكها، قال: فخرجا، فلما كانا بالحرة سمع بذلك سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، فخرجا إليهما، على كل واحد منهما لأمته ورعته بيده، وهو متقلد سيفه، فقالا: لعامر بن الطفيل: يا أعور يا حبيث، يا أملك، أنت الذي تشترط على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لولا أنك في أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم، مارمت المنزل، حتى ضربت عنقك، ولكن لا تستبقيسين، وكان أشدَّ الرجلين عليه أسيد بن الحضير، فقال: لو كان أبوه حيا لم يفعل بي هذا، ثم قال لأربد: اخرج أنت يا أربد إلى ناحية عديّة، وأخرج أنا إلى نجد، فجمع الرجال، فنلتني عليه، فخرج أربد، حتى إذا كان بالرقم، بعث الله سخابة من الصيف فيها صاعقة فأحرقته. قال: وخرج عامر، حتى إذا كان بواد يقال له الجريز، أرسل الله عليه الطاعون، فجعل يصيح: يا آل عامر، آغدة كغدة البكر تقتلني، يا آل عامر آغدة كغدة البكر تقتلني، وموت أيضا في بيت سكلوية، وهي امرأة من قيس، فذلك قول الله (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) فقرأ حتى بلغ (يحفظونه) تلك المعقبات من أمر الله، هذا مقدم ومؤخر، ليرسل الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، تلك المعقبات من أمر الله، وقال لذين: (إن الله لا يُغَيِّرُ ما بقوم حتى يُغَيِّرُوا ما بأنفسهم) فقرأ حتى بلغ (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) . . . الآية، فقرأ، حتى بلغ (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) قال: وقال لبيد في أخيه أربد، وهو يبيكه:

أحشيتي على أربد الحثوف ولا أرهب نوء السماء والأسد

فجعتني الرعد والصواعق بالسفارس يوم الكريهة التجسد

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في تأويل هذه الآية، قول بعيد من تأويل الآية، مع خلافه أقوال من ذكرنا قوله من أهل التأويل، وذلك أنه جعل الهاء في قوله (له معقبات) من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يجر له في الآية التي قبلها، ولا في التي قبل الأخرى ذكر، إلا أن يكون أراد أن يردّها على قوله (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد، له معقبات) فإن كان أراد ذلك، فذلك

(١) إن (بسكون النون) مخفضة من إن (بتشديدها). وهي هنا غير عاملة يريد: إنه كان ممكنا لو أردنا قتله.

(٢) البيتان لبيد في رثاء أخيه أربد (اللسان: صق). قال: يقال: أصعقت الصاعقة، تصعقه: إذا أصابته، وهي الصواعق والصواعق. ويقال للبرق إذا أحرق إنسانا أصابته صاعقة. وقال لبيد يذكر أخاه أربد: فجعتني . . . الخ. وقال أبو زيد: الصاعقة تسقط من السماء في رعد شديد. وفي سيرة ابن هشام (٤: ٢١٣ - ٢١٦) خبر هلاك أربد وعامر، وما قاله زيد بن أسلم في تأويل الآية، ورواه عنه بنوه.

بعيد لما بينهما من الآيات ، بغير ذكر الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإذا كان كذلك ، فكونها عائدة على « من » التي في قوله ( وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ) أقرب ، لأنه قبلها والخبر بعدها عنه . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : سواء منكم أيها الناس من أمر القول ومن جهه به ، عند ربكم ، ومن هو مستخف بفسقه وربيته في ظلمة الليل ، وسارب : يذهب ويجيء في ضوء النهار ، ممتعا بجنده وحرسه الذين يتعقبونه من أهل طاعة الله ، أن يحولوا بينه وبين ما يأتي من ذلك ، وأن يقيموا حد الله عليه ، وذلك قوله ( يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) وقوله ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ) يقول تعالى ذكره : إن الله لا يغير ما بقوم من عافية ونعمة ، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم من ذلك ، بظلم بعضهم بعضا ، واعتداء بعضهم على بعض ، فتحل بهم حينئذ عقوبته وتغييره . وقوله ( وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ) يقول : وإذا أراد الله بهؤلاء الذين يستخفون بالليل ، ويسربون بالنهار ، لهم جند ومنعة من بين أيديهم ومن خلفهم ، يحفظونهم من أمر الله ، هلاكًا وخزيًا في عاجل الدنيا ، فلا مرد له : يقول : فلا يقدر على رد ذلك عنهم أحد غير الله . يقول تعالى ذكره ( وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ) يقول : وما هؤلاء القوم - والهاء والميم في « لهم » من ذكر القوم الذين في قوله ( وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا ) - من دون الله من وال : يعني : من وال يلبهم ، وبلى أمرهم وعقوبتهم . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : السوء : الهلكة ، ويقول : كل جندام وبرص وعمى وبلاء عظيم فهو سوء ، مضموم الأول ، وإذا فتح أوله فهو مصدر سؤت ، ومنه قولهم : رجل سوء .

واختلف أهل العربية في معنى قوله ( وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ) فقال بعض نحويي أهل البصرة : معنى قوله ( وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ) : ومن هو ظاهر بالليل ، من قولهم : ختمت الشيء : إذا أظهرته ، وكما قال امرؤ القيس :

فإن تكتموا الداء لا تخفيه وإن تبعثوا الحرب لا تقعدوا

وقال : وقد قرئ ( أكاد أخفيها ) بمعنى : أظهرها . وقال في قوله ( وساربٌ بالنهار ) السارب : هو المتوارى ، كأنه وجهه إلى أنه صار في السرب بالنهار مستخفيا . وقال بعض نحويي البصرة والكوفة : إنما معنى ذلك : ومن هو مستخف : أي مستر بالليل ، من الاستخفاء ، وساربٌ بالنهار : وذهب بالنهار ،

(١) البيت لامرؤ القيس في شعره : مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلق السقا ، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ( ص ١٣٢ ) وفيه : فإن تدفنوا الداء . . . الخ يقول : إن تركوا ما بيننا وبينكم من عداوة ، لا تخفه ، أي لا تظهره ، يقال : غفاه : إذا أظهره . وأغفاه إذا ستره . وإن تهيجوا الحرب من مرقدنا ، فإننا لا نقعد عن حربكم ، جينا ولا خوفا . وفي ( اللسان : غفا ) : غفا البرق غفوا : لمع ، وغنى الشيء غفيا وغفيا ( عل فعول ) : أظهره واستخرجه . يقال : غنى المطر الفأر : إذا أخرجهن من أنفاقهن ، قال امرؤ القيس يصف فرسا :

غفاهن من أنفاقهن كأنما غفاهن ودق من سحاب مركب



ومن قولهم : سَرَبَتِ الإِبِلُ إِلَى المَرَامِيِّ ، وذلك ذهابها إلى المرامى ، وخروجها إليها . وقيل : إن السروب بالعشى ، والسروح بالغداة .

واختلفوا أيضا في تأنيث معقبات ، وهي صفة لغير الإناث ، فقال بعض نحوِّي البصرة : إنما أنثت لكثرة ذلك منها ، نحو : نَسَابَةٌ وعلامة ، ثم ذُكِرَ : لأن المعنى مذكر ، فقال : يحفظونه . وقال بعض نحوِّي الكوفة : إنما هي ملائكة مُعَقَّبَةٌ ، ثم جمعت معقبات ، فهو جمع جمع ، ثم قيل : يحفظونه ، لأنه للملائكة ، وقد تقدم قولنا في معنى المستخفي بالليل ، والسارب بالنهار . وأما الذى ذكرناه عن نحوِّي البصريين في ذلك فقول - وإن كان له في كلام العرب وجه - خلافُ لقول أهل التأويل ، وحسبُه من الدلالة على فساده ، وخروجه عن قول جميعهم . وأما المعقبات ، فإن التعقيب في كلام العرب العَوْدُ بعد البدء ، والرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه ، من قول الله تعالى ( وَآلِي مُدْبِرًا وَآلِمٌ يُعَقِّبُ ) : أى لم يرجع ، وكما قال سلامة بن جندل :

وَكَرْنَا الحَيْلَ فِي آثَارِهَا رُجْعًا كُسَّ السَّنَابِكِ مِنْ بَدْءٍ وَتَعْقِيبِ ١

يعنى : في غزو ثانٍ عَقَّبُوا ، وكما قال طرفة :

وَلَقَدْ كُنْتُ عَلَيْكُمْ عَاتِبًا فَعَقَّبْتُمْ بِذُنُوبِ غَسِيرٍ مُرًّا ٢

يعنى بقوله : عَقَّبْتُمْ : رجعت ، وأتاه التأنيث عندنا ، وهى من صفة الحرس الذى يحرسون المستخفي بالليل ، والسارب بالنهار ، لأنه عَسِيَ بها حَرَسَ معقبة ، ثم جمعت المعقبة ، فقيل : معقبات ، فذلك جمع جمع المعقَّب ، والمعقَّب : واحد المعقبة ، كما قال ليلى :

حَتَّى تَهْجَرَ فِي الرِّوَاكِ وَهَاجَهَا طَلَبَ المُعَقَّبِ حَقَّهُ المَظْلُومُ ٣

والمعقبات جمعها ، ثم قال : يحفظونه ، فرد الخبر إلى تذكير الحرس والجند .

وأما قوله ( يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) فإن أهل العربية اختلفوا في معناه ، فقال بعض نحوِّي الكوفة : معناه : له معقبات من أمر الله يحفظونه ، وليس من أمره ؛ وإنما هو تقديم وتأخير ، قال : ويكون

(١) البيت في ديوانه ( طبع بيروت سنة ١٩١٠ ص ٨ ) ورواية الشعر الأول فيه : « وكرنا خيلنا أدراجها رحما . . الخ وقوله أدراجها : أى رجوعها من حيث جاءت في طريقها . وكس السنايك : جمع أكس ، وهو الذى تحاتت سنايكه وذهبت ، فقصرت . والسنايك جمع سنيك ، بضم أوله : مقدم الحافر . والبدء : ابتداء الشيء . والتعقيب : الرجوع والعطف ، والبدء والتعقيب كالغدو والرواح .

(٢) البيت لطرفة بن العبد البكرى ، من رائيته المقيدة ، التى مطلعها : « أصحوت اليوم أم شافتك هر » : ( ديوانه طبع شالون بفرنسا سنة ١٩٠٠ ص ٦٨ ، وطبع روسيا سنة ١٩٠٩ ص ٧٥ ، ومختار الشعر الجاهل طبعة الخليلي بالقاهرة ص ٣٣٤ ) . وقوله : عَاتِبًا : أى واجدا . وعَقَّبْتُمْ : عطفتهم ورجعتهم . والذُنُوبُ بفتح الذال : الدلو ، ضربها مثلا للحظ الذى نال منهم ، وغيره : أى لم يظلموا به ولا منوا ، فيكون مرًا ، أى عَقَّبْتُمْ عَتَبِي عَلَيْكُمْ بَعطاهم حلوا .

(٣) هذا البيت من شواهد انتحاة ( خزنة الأدب الكبرى لليفدادي ١ : ٣٣٤ ) قال : التهجير : السير في الهاجرة ، وهى نصف النهار ، وحتى : بمعنى إلى . والرواح : اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل ، وهو نقيض الغدو . وهاجها : أزعجها . وطلب : مصدر تشبيهي ، أى حاج هذا المسحل أثناء لطلب الماء طلبا حثيثا ، كطلب المعقب ، وهو اسم فاعل من التعقيب ، وهو الذى يطلب حقه مرة بعد مرة ، أو هو الذى يطلب الدين من الغريم ، يقال : عقب في الأمر : إذا تردد في طلبه مجدا .

(٤) أى : وليس يحفظونه من أمره ، بتعليق الجار والمجرور بالفعل .

يُحْفَظُونَهُ ذَلِكَ الْخَفِظَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَيُذَنَّهُ ، كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ : أَجَيْتَكَ مِنْ دَعَائِكَ إِيَّايَ ، وَبَدَعَائِكَ إِيَّايَ .  
وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْبَصْرِيِّينَ : مَعْنَى ذَلِكَ : يُحْفَظُونَهُ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ ، كَمَا قَالُوا : أَطْعَمَنِي مِنْ جُوعٍ وَعَنْ جُوعٍ ،  
وَكَسَانِي عَنْ عُرِّيٍّ وَمِنْ عُرِّيٍّ .

وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَى عَلَى أَنَّ أَوْلَى الْقَوْلِ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ : أَنَّ يَكُونُ قَوْلُهُ ( يُحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ) مِنْ  
صِفَةِ حَرَسٍ هَذَا الْمُسْتَحْفَى بِاللَّيْلِ ، وَهِيَ تَحْرَسُهُ ظَنًّا مِنْهَا أَنَّهُ تَدْفَعُ عَنْهُ أَمْرَ اللَّهِ ، فَأَخْبَرَ تَعَالَى ذِكْرَهُ ، أَنَّ حَرَسَهُ  
ذَلِكَ لَا يَغْنِي عَنْهُ شَيْئًا إِذَا جَاءَ أَمْرُهُ ، فَقَالَ ( وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ  
دُونِهِ مِنْ وَاَلِ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيَسْبِغُ الرِّيحَ  
بِحَمْدِهِ وَالْمَلْسِكَةَ مِنْ خَيْفَتِهِ ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ، وَهُمْ يُجَادِلُونَ  
فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣)

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ ( هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ ) يَعْنِي أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الَّذِي يُرِي عِبَادَهُ الْبَرْقَ . وَقَوْلُهُ  
( هُوَ ) كِتَابَةٌ اسْمُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى الْبَرْقِ فِيمَا مَضَى ، وَذَكَرْنَا اخْتِلَافَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِيهِ ، بِمَا أَغْنَى  
عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . وَقَوْلُهُ ( خَوْفًا ) يَقُولُ : خَوْفًا لِلْمَسَافِرِ مِنْ أَذَاهِ .

وَذَلِكَ أَنَّ الْبَرْقَ : الْمَاءُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، كَمَا حَدَّثَنِي الْمُثَنِّي ، قَالَ : ثَنَا حُجَّاجٌ ، قَالَ : ثَنَا حَمَادٌ ، قَالَ :  
أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ سَالِمٍ أَبُو جَهْضَمٍ ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كَتَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى أَبِي الْجَلْدِ بِسْأَلِهِ عَنِ الْبَرْقِ ،  
فَقَالَ : الْبَرْقُ : الْمَاءُ .

وقوله ( وَطَمَعًا ) يقول : وطمعا للمقيم أن يمطر فينتفع .

كَمَا حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ ( هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ )  
خَوْفًا وَطَمَعًا ) يَقُولُ : خَوْفًا لِلْمَسَافِرِ فِي أَسْفَارِهِ ، يَخَافُ أَذَاهُ وَمَشَقَّتَهُ ، وَطَمَعًا لِلْمَقِيمِ ، يَرْجُو بِرَكَتِهِ وَمَنْفَعَتِهِ ،  
وَيَطْمَعُ فِي رِزْقِ اللَّهِ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ( خَوْفًا وَطَمَعًا ) خَوْفًا  
لِلْمَسَافِرِ ، وَطَمَعًا لِلْمَقِيمِ .

وقوله ( وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ) : وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ بِالْمَطَرِ ، وَيُبْدِئُهُ ، يُقَالُ مِنْهُ : أَنْشَأَ اللَّهُ  
السَّحَابَ : إِذَا أَبْدَأَهُ ، وَنَشَأَ السَّحَابَ : إِذَا بَدَأَ ، يَنْشَأُ نَشْئًا ، وَالسَّحَابُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَإِنْ كَانَ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ ،  
فِيهَا جَمْعٌ ، وَاحِدَتُهَا سَحَابَةٌ ، وَلِذَلِكَ قَالَ : الثِّقَالَ ، فَتَعْنَى بِنَعْتِ الْجَمْعِ ، وَلَوْ كَانَ جَاءَ : السَّحَابَ الثَّقِيلَ  
كَانَ جَائِزًا ، وَكَانَ تَوْحِيدًا لَلْفِظِ السَّحَابِ ، كَمَا قِيلَ ( جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ) .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :



## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ ) قال : الذي فيه الماء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ ) قال : الذي فيه الماء .

وقوله ( وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ) قال أبو جعفر : وقد بينا معنى الرعد فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت الرعد ، قال - كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا جعفر ، قال : بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت الرعد الشديد ، - قال « اللَّهُمَّ لَا تَنْقُتُلْنَا بِغَضَبِكَ ، وَلَا تُهْلِكُنَا بِعَذَابِكَ ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ » .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبيه ، عن رجل ، عن أبي هريرة ، رفع الحديث « أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ قَالَ : سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا مسعدة بن اليسع الباهلي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي رضي الله عنه ، كان إذا سمع صوت الرعد ، قال : سبحان من سبحت له .

قال : ثنا إسماعيل بن علقمة ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان إذا سمع الرعد ، قال : سبحان الذي سبحت له .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا يعلى بن الحارث ، قال : سمعت أبا حفصة يحدث عن الأسود بن يزيد ، أنه كان إذا سمع الرعد ، قال : سبحان من سبحت له ، أو سبحان الذي يسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن علقمة ، عن ابن طاوس ، عن عبد الكريم ، عن طاوس ، أنه كان إذا سمع الرعد ، قال : سبحان من سبحت له .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ميسرة ، عن الأوزاعي ، قال : كان ابن أبي زكريا يقول : من قال حين يسمع الرعد : سبحان الله وبحمده ، لم تصبه صاعقة .

ومعنى قوله ( وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ) ويعظم الله الرعدُ ويمجده ، فيثني عليه بصفاته ، وينزهه مما أضاف إليه أهل الشرك به ، ومما وصفوه به ، من اتخاذ الصاحبة والولد ، تعالى ربنا وتقدس .

وقوله ( مِنْ خَيْفَتِهِ ) يقول : وتسيح الملائكة من خيفة الله ورهبته .

وأما قوله ( وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ) فقد بينا معنى الصاعقة فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ، بما فيه الكفاية من الشواهد ، وذكرنا ما فيها من الرواية .

وقد اختلف فيمن أنزلت هذه الآية؟ فقال بعضهم: نزلت في كافر من الكفار ، ذكّر الله تعالى وتقدس ، بغير ما ينبغي ذكره ، فأرسل عليه صاعقة أهلكته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا أبان بن يزيد ، قال : ثنا أبو عمران الجوني ، عن عبد الرحمن بن صخر العبدى ، أنه بلغه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى جبار يدعو ، فقال : أرايتم ربكم ، أذهب هو ، أم فضة هو ، أم لؤلؤ هو ؟ قال : فبينما هو يجادلهم ، إذ بعث الله سبحانه فرعدت ، فأرسل الله عليه صاعقة ، فذهبت بقحف رأسه ، فأنزل الله هذه الآية ( وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ، وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي بكر بن عياش ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : « جاء يهودى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أخبرني عن ربك ، من أى شىء هو ؟ من لؤلؤ أو من ياقوت ؟ فجاءت صاعقة فأخذته ، فأنزل الله ( وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ، وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله . قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : ثنا سيف ، عن أبي روق ، عن أبي أيوب ، عن علي ، قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد حدثني ، من الذى تدعو إليه ؟ أياقوت هو ، أذهب هو ، أم ماهو ؟ قال : فنزلت على السائل الصاعقة فأحرقته ، فأنزل الله ( وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : ثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، قال : ثنا علي بن أبي سارة الشيباني ، قال : ثنا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، قال : « بعث النبي صلى الله عليه وسلم مرة رجلا إلى رجل من فراعنة العرب : أن ادعه لي ، فقال : يا رسول الله ، إنه أعنى من ذلك ، قال : اذهب إليه فادعه ، قال : فأتاه ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك ، فقال : من رسول الله ؟ وما الله ؟ أمن ذهب هو ، أم من فضة ، أم من نحاس ؟ قال : فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ارجع إليه فادعه ، قال : فأتاه فأعاد عليه ، ورد عليه مثل الجواب الأول ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ارجع إليه فادعه ، قال : فرجع إليه ، فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما ، إذ بعث الله سبحانه بجيال رأسه ، فرعدت ، فوقعت منها صاعقة ، فذهبت بقحف رأسه ، فأنزل الله ( وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ، وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ) .

وقال آخرون : نزلت في رجل من الكفار أنكر القرآن ، وكذب النبي صلى الله عليه وسلم .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا أن رجلاً أنكر القرآن ، وكذب النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته ، فأنزل الله عز وجل فيه ( وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ) .  
وقال آخرون : نزلت في أربد أخى لبيد بن ربيعة ، وكان هم يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعامر بن الطفيل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : نزلت ، يعنى قوله ( وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ) في أربد أخى لبيد بن ربيعة ، لأنه قدّم أربد وعامر ابن الطفيل بن مالك بن جعفر ، على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال عامر : يا محمد أأسلم وأكون الخليفة من بعدك ؟ قال : لا ، قال : فأكون على أهل الوبر وأنت على أهل المدر ؟ قال : لا ، قال : فإذاك ؟ قال : أعطيك أعنة الخيل تقاتل عليها ، فإنك رجل فارس ، قال : أوليست أعنة الخيل بيدي ، أما والله لأملأها عليك خيلاً ورجالا من بني عامر ، وقال لأربد : إما أن تكفينيه وأخر به بالسيف ، وإما أن أكفيكه وتضربه بالسيف ، قال أربد : أكفيكه وأضربه ، فقال الطفيل : يا محمد إن لي إليك حاجة ، قال ادن ، فلم يزل يدنو ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم ، ادن ، حتى وضع يديه على ركبتيه ، وحنى عليه ، واستل أربد السيف ، فاستل منه قليلاً ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم بريقه ، تعودت بآية كان يتعود بها ، فبيست يد أربد على السيف ، فبعث الله عليه صاعقة فأحرقته ، فذلك قول أخيه :

أَحْشَى بلى أُرْبِدَ الحُتُوفَ ولا أُرْهَبُ نَوْءَ السَّامِكِ والأَسَدِ  
فَجَجَعَنِي السَّبْرُ والصَّوَاعِقُ بالُ فَنَارِسِ يَوْمَ الكَرِيهَةِ النَّجْدِ ٢

وقد ذكرت قبلُ خبر عبد الرحمن بن زيد بنحو هذه القصة .

وقوله ( وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ) يقول : وهؤلاء الذين أصابهم الله بالصواعق ، أصابهم في حال خصومتهم في الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم .  
وقوله ( وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ) يقول تعالى ذكره : والله شديدة مباحلته في عقوبة من طغى عليه وعصا ، ونمادى في كفره ، والمحال : مصدر من قول القائل : ماحلت فلانا ، فأنا أماحله ماحلة ومحالا ، وفعلت منه : محلت أو محلت محلا : إذا عرض رجل رجلا لما يهلكه ؛ ومنه قوله : « وماحيل مُصدّق » ٣ ؛ ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

(١) لغاه : أكفنيه ، كما تدل عليه بقية القصة .

(٢) البيتان لبيد ، وقد تقدم الاستشهاد بهما قريبا في هذا الجزء من التفسير .

(٣) هذا جزء من حديث رواه ابن عباس : « إن هذا القرآن شافع مشفع ، وما حل مصدق » . قال أبو عبيدة : جعله يحل بصاحبه إذا لم يتبع ما فيه ، أو إذا هو ضيعه . وقال ابن الأثير : أى خصم مجادل مصدق .

فَرَعُ نَبْعٍ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمَجْسَدِ غَزِيرُ النَّدَى شَدِيدُ الْمِحَالِ  
 هكذا كان يُنشدُه مَعْمَرُ بنِ المُنْثَى ، فَمَا حَدَّثْتُ عَلِيَّ بنَ المَغْبِرَةِ عَنْهُ . وَأَمَّا الرِّوَاةُ بَعْدُ فَلِيَهُمْ يَنْشُدُونَهُ :  
 فَرَعُ فَرَعٍ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمَجْسَدِ كَثِيرُ النَّدَى عَظِيمُ الْمِحَالِ  
 وَفَسَّرَ ذَلِكَ مَعْمَرُ بنِ المُنْثَى ، وَزَعَمَ أَنَّهُ عَنَى بِهِ العُقُوبَةَ وَالمَكْرَ وَالنِّكَالَ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الآخَرِ :  
 وَلَبَسَ بَيْنَ أَقْوَامٍ فُكُلٌ أَعَدَّ لَهُ الشَّغَاذِبَ وَالمِحَالَا ٢  
 وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : ثنا سيف ، عن أبي روق ، عن  
 أبي أيوب ، عن علي بن رضى الله عنه ( وهو شديد الميخال ) قال : شديد الأخذ .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ( وهو  
 شديد الميخال ) قال : شديد القوة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وهو شديد الميخال ) أي القوة والحيلة .  
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ( شديد الميخال )  
 يعني : الهلاك ، قال : إذا محل فهو شديد . وقال قتادة : شديد الحيلة ٣ .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا رجل ، عن عكرمة ( وهم مجادلون في الله  
 وهو شديد الميخال ) قال : الميخال : جدال أربد ، وهو شديد الميخال ، قال : ما أصاب أربد من الصاعقة .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وهو شديد الميخال ) قال :  
 قال ابن عباس : شديد الخول .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وهو شديد الميخال )  
 قال : شديد القوة . الميخال : القوة . والقول الذي ذكرناه عن قتادة في تأويل الميخال أنه الحيلة ، والقول الذي  
 ذكره ابن جريج ، عن ابن عباس يدلان على أنهما كانا يقرآن ( وهو شديد الميخال )  
 بفتح الميم ، لأن الحيلة لا يأتي مصدرها محالا بكسر الميم ، ولكن قد يأتي على تقدير المفعلة منها ، فيكون محالة ،

(١) البيت لأعشى بن ثعلبة ميمون بن قيس ( ديوانه ص ٧ طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ) وهو من لاميته المظولة  
 التي مطلعها : « ما بكاء الكبير بالأطلال » يمدح بها الأسود بن المنذر الخمي . يقول إنه فرع في غصون مجد غزير الندى ، وهو مع  
 ذلك شديد النكال بأعدائه . والنبع : شجر تتخذ منه القسي ، ولعن أغصانه السهام ، ينبت في قلال الجبال . والميخال : العقوبة  
 والمكر ، والنكال . ومعمر بن المنثي : هو أبو عبيدة البصري . وعلي بن المغيرة : هو الأثرم .

(٢) البيت لدى الرمة ( اللسان : محل ) . قال : والميخال : المكر بالحق ، وفلان يماحل عن الإسلام : أي يماكر ويدافع  
 والمماحلة : المماكرة والمكايدة ، ومنه قوله تعالى : « شديد الميخال » . هـ . وفي « اللسان : شغزب » : والشغزية : ضرب من  
 الحيلة في الصراع ، وهي أن تلوي برجله رجلك ، تقول : شغزبته شغزبة ، وأخذته بالشغزية ، قال ذو الرمة : « ولبس بين  
 أقوامي فكل . . . الخ . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٢٦ ) والشغزية : الالتواء . هـ .

(٣) قال ابن قتيبة : وأصل الميخال الحيلة . ورد عليه أبو منصور الأزهرى فقال : قول القتيبي لفظ فاحش ، وكأنه توهم  
 أن ميم الميخال : ميم مفعل ( بالكسر ) ، وأنها زائدة ، وليس كما توهمه . ( اللسان : محل ) .



ومن ذلك قولهم : المرء يعجز لا محالة ، والمحالة في هذا الموضع : المفعلة من الخيلة . فأما بكسر الميم ، فلا تكون إلا مصدرا ، من ما حلت فلانا أما حله محالا ، والمماحلة بعيدة المعنى من الخيلة ، ولا أعلم أحدا قرأه بفتح الميم .  
فإذ كان ذلك كذلك ، فالذي هو أولى بتأويل ذلك : ما قلنا من القول .

القول في تأويل قوله تعالى

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفِيهِ إِلَى  
الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ ، وَمَا هُوَ بِبَلِّغِهِ ، وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤)

يقول تعالى ذكره : الله من خلقه الدعوة الحق ، والدعوة هي الحق ، كما أضيفت الدار إلى الآخرة في قوله ( وَكَذَلِكَ أُرِ الْآخِرَةَ ) وقد بينا ذلك فيما مضى ، وإنما عني بالدعوة الحق : توحيد الله ، وشهادة أن لا إله إلا الله :

وبنحو الذي قلنا ، تأوله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( دَعْوَةُ الْحَقِّ ) قال : لا إله إلا الله .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ) قال : شهادة أن لا إله إلا الله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : ثنا سيف ، عن أبي روق ، عن أبي أيوب ، عن علي رضي الله عنه ( لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ) قال : التوحيد :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ) قال : لا إله إلا الله :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في قوله ( لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ) قال : لا إله إلا الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ) : لا إله إلا الله ، ليست تنبغى لأحد غيره ، لا ينبغي أن يقال : فلان إله بني فلان .

وقوله ( وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ) يقول تعالى ذكره : والآلهة التي يدعونها المشركون أربابا وآلهة . وقوله ( مِنْ دُونِهِ ) يقول : من دون الله ، وإنما عني بقوله ( مِنْ دُونِهِ ) الآلهة ، أنها مقصرة

عنه ، وأنها لا تكون لها ، ولا يجوز أن يكون لها إلا الله الواحد القهار ؛ ومنه قول الشاعر :

أَتَوْعِدُنِي وِرَاءَ بَيْتِي رِيَّاحٍ كَذَّبْتُمْ لَتَقْفُرُنَّ بِدَاكِ دُونِي<sup>١</sup>

يعنى : لتقصرن يداك عنى .

وقوله ( لَا يَسْتَجِيبُونَ نَدْمًا بِشَيْءٍ ) يقول : لا تجيب هذه الآلهة التي يدعوها هؤلاء المشركون آلهة بشيء يريدونه ، من نفع أو دفع ضرر ، إلا كباسط كفيه إلى الماء : يقول : لا ينفع داعى الآلهة دعاؤه إياها إلا كما ينفع باسط كفيه إلى الماء . بسطه إياهما إليه ، من غير أن يرفعه إليه فى إناء ، ولكن ليرتفع إليه بدعائه إياه ، وإشارته إليه ، وقبضه عليه ، والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلا بالقابض على الماء : قال بعضهم :

فَاتِي وَإِيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمْ كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسِقَهُ أَنَامِلُهُ<sup>٢</sup>

يعنى بذلك : أنه ليس فى يده من ذلك ، إلا كما فى يد القابض على الماء ، لأن القابض على الماء لاشيء فى يده . وقال آخر :

فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْتِي وَبَيْتِهَا مِنْ الْوُدِّ مِثْلَ الْقَابِضِ الْمَاءَ بِالْيَدِ<sup>٣</sup>

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا سيف ، عن أبى روق ، عن أبى أيوب ، عن على بن رضى الله عنه ، فى قوله ( إِلَّا كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ ، وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ) قال : كالرجل العطشان يمد يده إلى البئر ، ليرتفع الماء إليه ، وما هو ببالغه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شهابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ ) يدعو الماء بلسانه ، ويشير إليه بيده ، ولا يأتيه أبدا .

قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى الأعرج ، عن مجاهد ( لِيَبْلُغَ فَاهُ ) يدعو له ليأتيه ، وما هو بآتيه ، كذلك لا يستجيب من هو دونه .

(١) البيت لجرير (ديوانه طبعة الصاوى بالقاهرة ص ٥١٧) وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٦) قال فى شرح قوله تعالى : « والذين يدعون من دونه » مجازة : والذين يدعون غيره من دونه ، أى يقصرون عنه . و « يدعون » من الدعاء . ومجاز « دونه » مجاز « عنه » . قال : أتوعدنى وراء . . . الخ البيت ، « دوفى » : أى عنى .

(٢) البيت لضابى بن الحارث البرجمى ، قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٧) عند تفسير قوله تعالى : « إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه » : مجازة : إن الذى يبسط كفه ليقبض على الماء ، حتى يؤديه إلى فيه ، لا يتم له ذلك . ولم تسقه أنامله : أى تجمه . الخ . قال : يقول : ليس من يدى فى ذلك شيء ، كما أنه ليس فى يد القابض على الماء شيء . ومعنى : لم تسقه : لم تحمله (اللسان : وسق) . وفى الخزانة (٤١ : ٨٠) لم تطعه .

(٣) وهذا الشاهد أيضا من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٧) . وهو فى معنى الشاهد الذى قبله . يقول : لم أنظر من حب هذه الحبيبة إلا بمثل ما يظفر به من يقبض على الماء بيده . أى أنه لم يثل من حبها شيئا ، كما أن القابض على الماء ، لا يجمع فى يده منه شيئا .



حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ ) يدعو الماء بلسانه ، ويشير إليه بيده ، فلا يأتيه أبدا .  
 حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا ورّقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث الحسن ، عن حجاج ، قال ابن جريج : وقال الأعرج ، عن مجاهد ( لِيَبْلُغَ فَاهُ ) قال : يدعو له لأن يأتيه ، وما هو بآتيه ، فكذلك لا يستجيب من هو دونه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ) ، إلا كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ) وليس ببالغه حتى يتمزغ عنقه ، ويهلك عطشا . قال الله تعالى ( وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ) : هذا مشكل ضربه الله : أي هذا الذي يدعو من دون الله هذا الوثن وهذا الحجر ، لا يستجيب له بشيء أبدا ، ولا يسوق إليه خيرا ، ولا يدفع عنه سوءا ، حتى يأتيه الموت ، كمثل هذا الذي بسط ذراعيه إلى الماء ليبلغ فاه ، ولا يبلغ فاه ، ولا يصل إليه ذلك ، حتى يموت عطشا .

وقال آخرون : معنى ذلك : والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ، إلا كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ ، لِيَتَنَاوَلَ خِيَالَهُ فِيهِ ، وَمَا هُوَ بِبَالِغٍ ذَلِكَ :

#### ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ ) فقال : هذا مثل المشرك مع الله غيره ، فمثل كمثل الرجل العطشان الذي ينظر إلى خياله في الماء من بعيد ، فهو يريد أن يتناوله ، ولا يقدر عليه .  
 وقال آخرون في ذلك ما حدثني به محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ) ... إلى ( وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ) يقول : مثل الأوثان الذين يُعْبَدُونَ من دون الله ، كمثل رجل قد بلغه العطش ، حتى كثر به الموت ، وكفّاه في الماء قد وضعهما لا يبلغان فاه . يقول الله : لا تستجيب الآلهة ، ولا تنفع الذين يعبدونها ، حتى يبلغ كفّا هذا فاه ، وما هما ببالغتين فاه أبدا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ) إلا كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ) قال : لا ينفعونهم بشيء إلا كما ينفع هذا بكفّيه ، يعني بسطهما إلى ما لا ينال أبدا .

وقال آخرون في ذلك : ما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( إِلَّا كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ ) وليس الماء ببالغ فاه ما قام باسطا كفيه لا يقبضهما ( وَمَا

هُوَ بِبَالِغِهِ ، وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ) قال : هذا مثل ضربه الله لمن اتخذ من دون الله إلهاً أنه غير ناذعة ، ولا يدفع عنه سوءاً ، حتى يموت على ذلك .

وقوله ( وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ) يقول : وما دعاء من كفر بالله ما يدعو من الأوثان والآلهة إلا في ضلال : يقول : إلا في غير استقامة ولا هُدًى ، لأنه يشرك بالله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلْمَلَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (١٥)

يقول تعالى ذكره : فإن امتنع هؤلاء الذين يدعون من دون الله الأوثان والأصنام لله شركاء ، من أفراد الطاعة والإخلاص بالعبادة له ، فله يسجد من في السموات من الملائكة الكرام ، ومن في الأرض من المؤمنين به طوعاً ، فأما الكافرون به ، فإنهم يسجدون له كرهاً حين يكرهون على السجود .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ) فأما المؤمن فيسجد طائعا ، وأما الكافر فيسجد كارها .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، قال : كان ربيع بن خثيم إذا تلا هذه الآية ( وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ) قال : بلى يارباه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ) قال : من دخل طائعا ، هذا طوعاً ، وكرهاً : من لم يدخل إلا بالسيف .

وقوله ( وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ) يقول : ويسجد أيضا ظلال كل من سجد لله طوعاً وكرهاً ، بالغدوات والعشايا ، وذلك أن ظل كل شخص ، فإنه ينيء بالعشى ، كما قال جل ثناؤه ( أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ) .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ) يعني : حين ينيء ظل أحدهم عن يمينه أو شماله .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، قال في تفسير مجاهد ( وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ) قال : ظل المؤمن يسجد طوعاً ، وهو طائع ، وظل الكافر يسجد طوعاً وهو كاره .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ) قال : ذكر أن ظلال الأشياء كلها تسجد له ، وقرأ « سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ » قال : تلك الظلال

(١) كذا في الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير بدارالكتب المصرية . وفي الدر المنثور عن مجاهد : يسجد كرها وهو كاره .



تسجد لله ، والآصال : جمع أُصْل ، والأصلُ : جمع أُصِيل ، والأصيل : هو العشي ، وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس ؛ قال أبو ذؤيب :

لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْبَيْتُ الْأَكْرَمُ أَهْلُهُ وَأَقْعُدُ فِي أَفْيَائِهِ بِالْأَصَائِلِ<sup>١</sup>

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، قُلِ : اللَّهُ ، قُلْ : أَفَأَتَّخِذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ؟ قُلْ : هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ؟ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُهُ خَلْقُهُ عَلَيْهِمْ ؟ قُلْ : اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المشركين بالله : مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ومدبرها ، فإنهم سيقولون الله ، وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول : الله ، فقال له : قل يا محمد : ربُّها الذي خلقها وأنشأها ، هو الذي لاتصلح العبادة إلا له ، وهو الله ، ثم قال : فإذا أجابوك بذلك ، فقل لهم : أفأنتخذتم من دون ربِّ السموات والأرض أولياء ، لاتملك لأنفسها نفعًا تجلبه إلى نفسها ، ولا ضرًا تدفعه عنها ، وهي إذ لم تملك ذلك لأنفسها ، فمن ملكه لغيرها أبعده ، فبعدهم عما تركتم عبادة من يده النفع والضرر ، والحياة والموت ، وتدبير الأشياء كلها ، ثم ضرب لهم جل ثناؤه مثلا ، فقال ( قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ، أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ، فَتَشَبَّهُهُ خَلْقُهُ عَلَيْهِمْ ، قُلْ : اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ .

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين عبدوا من دون الله ، الذي يده نفعهم وضررهم ، ما لا ينفع ولا يضر ، هل يستوى الأعمى الذي لا يبصر شيئا ، ولا يهتدى لمِحْجَةٍ يسلكها ، إلا بأن يهتدى ، والبصير الذي يهتدى لمحجة الطريق الذي لا يبصر ، إنهما لاشك لتغير مستويين ، يقول : فكذلك لا يستوى المؤمن الذي يبصر الحق فينبهه ، ويعرف الهدى فيسلكه ؛ وأنتم أيها المشركون ، الذين لاتعرفون حقا ، ولا تبصرون رشدا .

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي (اللسان: أصل) قال: الأصل: العشي، والجمع: أصل وأصلان، مثل بعير وبعران، وأصائل وأصائل، كأنه جمع أصيلة. وقال الزجاج: أصل: جمع أصل. فهو على هذا جمع الجمع، ويجوز أن يكون أصل واحدا كغلب. واستشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن (١: ٣٢٨) عند قوله تعالى «بالعشي والآصال» قال: واحدها: أصل، وواحد الأصل: أصيل، وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس؛ وقال أبو ذؤيب... البيت.

وقوله ( أم هل تستوي الظلمات والنور ) يقول تعالى ذكره : وهل تستوي الظلمات التي لا تُرى فيها اتّجّته فتُسلك ، ولا يُرى فيها السبيل فيركب ، والنور الذي يبصرُ به الأشياء ، ويجلو ضوءه الظلام ؟ يقول : إن هذين لاشكّ لتغير مستويين ، فكذلك الكفر بالله ، إنما صاحبه منه في حسيرة ، يضرب أبداً في عمرة ، لا يرجع منه إلى حقيقة ، والإيمان بالله صاحبه منه في ضياء ، يعمل على علم بربه ، ومعرفة منه بأن له مثيباً يثيبه على إحسانه ، ومعاقباً يعاقبه على إساءته ، ورازقاً يرزقه ، ونافعاً ينفعه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( قل : هل يستوي الأعمى والبصير ، أم هل تستوي الظلمات والنور ) : أما الأعمى والبصير ، فالكافر والمؤمن ، وأما الظلمات والنور ، فالهتدي والضلالة .

وقوله ( أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه ، فتشابه الخلق عليهم ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المشركين : أخلق أوثانكم التي اتخذتموها أولياء من دون الله ، كخلق الله ، فاشتبه عليكم أمرها فيما خلقت وخلق الله ، فجعلتموها له شركاء من أجل ذلك ، أم إنما بكم الجهل والذهاب عن الصواب ؟ فإنه لا يشكل على ذي عقل أن عبادة ما لا يضر ولا ينفع من الفعل جهل ، وأن العبادة إنما تصلح للذي يُرجى نفعه ، ويخشى ضرره ، كما أن ذلك غير مُشكل خطؤه وجهل فاعله ، كذلك لا يشكل جهل من أشرك في عبادة من يرزقه ويكفله ويؤمنه ، من لا يقدر له على ضرر ولا نفع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه ) حملهم ذلك على أن شكوا في الأوثان .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه ، فتشابه الخلق عليهم ) ، خلقوا كخلقه ، فحملهم ذلك على أن شكوا في الأوثان .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن كثير : سمعت مجاهداً يقول : ( أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه ، فتشابه الخلق عليهم ) ضربت مثلاً .

وقوله ( قل : الله خالق كل شيء ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل هؤلاء



المشركين إذا أقروا لك أن أوثانهم التي أشركوها في عبادة الله لا تخلق شيئا ، فالله خالقكم وخالق أوثانكم ، وخلق كل شيء ، فما وجه إشراككم ما لا تخلق ولا تنصر .  
وقوله ( وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ) يقول : وهو الفرد الذي لا ثاني له ، القهار الذي يستحق الألوهة والعبادة ، لا الأصنام والأوثان ، التي لا تنصر ولا تنفع .

#### القول في تأويل قول تعالى

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ، فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ، وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ ، كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ، كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧)

قال أبو جعفر : وهذا مثل ضرب به الله للحق والباطل ، والإيمان به والكفر . يقول تعالى ذكره : مثل الحق في ثباته ، والباطل في اضمحلاله ، مثل ماء أنزله الله من السماء إلى الأرض ( فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ) يقول : فاحتملته الأودية بملئها ، الكبير بكبره ، والصغير بصغره ( فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ) يقول : فاحتمل السيل الذي حدث عن ذلك الماء ، الذي أنزله الله من السماء ، زبدا عاليا فوق السيل ، فهذا أحد مثلي الحق والباطل ، فالحق هو الماء الباقي الذي أنزله الله من السماء ، والزبد الذي لا ينتفع به هو الباطل . والمثل الآخر ( وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ ) يقول جل ثناؤه : ومثل آخر للحق والباطل ، مثل فضة أو ذهب يُوقد عليها الناس في النار ، طَلَبَ حِلْيَةً يَتَّخِذُونَهَا أَوْ مَتَاعٍ ، وذلك من النحاس والرصاص والحديد . يُوقد عليه ، ليتخذ منه متاع ينتفع به ( زَبَدٌ مِثْلُهٗ ) يقول تعالى ذكره : ومما يوقدون عليه من هذه الأشياء زبد مثله ، بمعنى : مثل زبد السيل ، لا ينتفع به ، ويذهب باطلا ، كما لا ينتفع بزبد السيل ، ويذهب باطلا . ورفع الزبد بقوله ( وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ) ومعنى الكلام : ومما يوقدون عليه في النار زبد مثل زبد السيل في بطول زبده ، وبقاء خالص الذهب والفضة ، يقول الله تعالى ( كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ) يقول : كما مثل الله الإيمان والكفر في بطول الكفر ، وخيبة صاحبه عند مجازاة الله ، بالباقي النافع من ماء السيل ، وخالص الذهب والفضة ، كذلك يمثل الله الحق والباطل ( فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ) يقول : فأما الزبد الذي علا السيل ، والذهب والفضة والنحاس والرصاص ، عند الوقود عليها ، فيذهب بدفع الرياح ، وقذف الماء به ، وتعلقه بالأشجار وجوانب الوادي ، ( وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ ) من الماء والذهب والفضة والرصاص والنحاس ، فالماء يمتكث في الأرض ، فتشربه ، والذهب والفضة تمتكث للناس ، ( كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ) يقول : كما مثل هذا المثل للإيمان والكفر ، كذلك يمثل الأمثال .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أوديةً بِقَدَرِهَا ) فهذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها ، فأما الشك فلا ينفع معه العمل ، وأما اليقين فينفع الله به أهله ، وهو قوله ( فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذَرُ جُفَاءً ) ، وهو الشك ( وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْسِكُهُ فِي الْأَرْضِ ) وهو اليقين ، كما يجعل الخلق في النار ، فيؤخذ خالصه ، ويترك خبثه في النار ، فكذلك يقبل الله اليقين ، ويترك الشك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أوديةً بِقَدَرِهَا ، فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ) يقول : احتمل السيل ما في الوادي من عود ودمية . ( وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ) فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد ، وللنحاس والحديد خبث ، فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء ( فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ ) فالذهب والفضة ، وأما ما ينفع الأرض ، فما شربت من الماء فأثبتت ، فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبقى لأهله ، والعمل السيئ يضمحل عن أهله ، كما يذهب هذا الزبد ، فكذلك أهدى والحق جاء من عند الله ، فمن عمل بالحق كان له ، وبقي كما بقي ما ينفع الناس في الأرض ، وكذلك الحديد لا يستطاع أن يجتمع منه سكين ولا سيف حتى يذبح في النار ، فتأكل خبثه ، فيخرج جيده ، فينتفع به ، فكذلك يضمحل الباطل إذا كان يوم القيامة ، وأقيم الناس ، وعرضت الأعمال ، فيربغ الباطل ويهلك ، وينتفع أهل الحق بالحق ، ثم قال ( وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ ) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أوديةً ) . . . إلى ( أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ ) فقال : ابتغاء حلية : الذهب والفضة ، أو متاع : الصنوبر والحديد ، قال : كما أوقد على الذهب والفضة والصنوبر والحديد ، فخلص خالصه ، قال ( كذلك يضرب الله الحق والباطل ) ، فأما الزبد فببذره جفاء ، وأما ما ينفع الناس فببمسكه في الأرض ، كذلك بقاء الحق لأهله فانفعوا .

حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، قال : قال ابن جريج : أخبرني عبد الله ابن كثير ، أنه سمع مجاهدا يقول ( أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أوديةً بِقَدَرِهَا ) قال : ما أطاقت ملاحها ( فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ) قال : انقضى الكلام ، ثم استقبل فقال ( وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ ) قال : المتاع : الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه . زبد مثله ، قال : خبث ذلك مثل زبد السيل . قال ( وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْسِكُهُ فِي الْأَرْضِ ) ، وأما الزبد فببذره جفاء ) قال : فذلك مثل الحق والباطل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن

(١) قرأ « يوقدون » بالياء : حميد ، وابن عيسى ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائي ، وحفص ، وقرأ الباقون بالتاء المثناة الفوقية .



مجاهد أنه سمعه يقول ، فذكر نحوه . وزاد فيه : قال : قال ابن جريج : قال مجاهد : قوله ( فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذَرُ هَبًّا جُفَاءً ) قال : جودا في الأرض ( وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّهُ فِي الْأَرْضِ ) يعني الماء وهما مثلان : مثل الحق والباطل .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( زَبَدًا رَابِيًا ) السيل مثل خبث الحديد والحلابة ( فَيَذَرُ هَبًّا جُفَاءً ) جودا في الأرض ( وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ) الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه . وقوله ( وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّهُ فِي الْأَرْضِ ) إنما هما مثلان للحق والباطل .

حدثني المنني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، يزيد أحدهما على صاحبه في قوله : ( فَسَأَلَتْ أودِيَّةً بِقَدَرِهَا ) قال : بملها ( فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ) قال : الزبد : السيل ( ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ) قال : خبث الحديد والحلابة ( فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذَرُ هَبًّا جُفَاءً ) قال : جودا في الأرض ( وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّهُ فِي الْأَرْضِ ) قال : الماء . وهما مثلان للحق والباطل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أودِيَّةً بِقَدَرِهَا ) الصغير بصغره ، والكبير بكبره ( فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ) ، أي عاليا . ( وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ) ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذَرُ هَبًّا جُفَاءً ) والجفاء : ما يتعلق بالشجر ( وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّهُ فِي الْأَرْضِ ) : هذه ثلاثة أمثال ، ضربها الله في مثل واحد . يقول : كما اضمحل هذا الزبد ، فصار جفء لا ينتفع به ، ولا تُرجى بركته ، كذلك يضمحل الباطل عن أهله ، كما اضمحل هذا الزبد ، وكما مكث هذا الماء في الأرض ، فأمرعت هذه الأرض ، وأخرجت نباتها ، كذلك يبقى الحق لأهله ، كما بقي هذا الماء في الأرض ، فأخرج الله به ما أخرج من النبات . قوله ( وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ) . . . الآية ، كما يبقى خالص الذهب والفضة ، حين أدخل النار وذهب خبثه ، كذلك يبقى الحق لأهله . قوله ( أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ) يقول : هذا الحديد والصفير الذي ينتفع به ، فيه منافع : يقول : كما يبقى خالص هذا الحديد وهذا الصفير ، حين أدخل النار وذهب خبثه ، كذلك يبقى الحق لأهله ، كما بقي خالصهما .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال ثنا : محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَسَأَلَتْ أودِيَّةً بِقَدَرِهَا ) الكبير بقدره ، والصغير بقدره ( زَبَدًا رَابِيًا ) قال : ربا فوق الماء الزبد ( وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ) قال : هو الذهب إذا أدخل النار ، بقي صفوه ، ونُثِي ما كان من كدره ، وهذا مثل ضربه الله للحق والباطل ( فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذَرُ هَبًّا جُفَاءً ) يتعلق بالشجر ، فلا يكون شيئا ، مثل الباطل . ( وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّهُ فِي الْأَرْضِ ) وهذا يخرج النبات ، وهو مثل الحق ( أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ) قال : المتاع : الصفير والحديد .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا هُوَذَةَ بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، قال : بلغني في قوله ( أنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ) قال : إنما هو مثل ضربه الله للحقِّ والباطل ، ( فسالتْ أودِيَةٌ بِقَدَرِهَا ) الصغير على قدره ، والكبير على قدره ، وما بينهما على قدره ( فاحتتملَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ) يقول : عظيمًا ، وحيث استقرَّ الماء يذهب الزبد جُفَاءً ، فتظير به الريح ، فلا يكون شيئًا ، ويبقى صريح الماء ، الذي ينفع الناس ، منه شرابهم ونباتهم ومنفعتهم ( أو متاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ) ومثل الزبد كل شيء يوقد عليه في النار ، الذهب والفضة والنحاس والحديد ، فيذهب خَبَثُهُ ، ويبقى ما ينفع في أيديهم ، وانجبتْ والزَّبَدُ مثل الباطل ، والذي ينفع الناس مما تحصل في أيديهم مما ينفعهم ، المال الذي في أيديهم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ومِمَّا يُوقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ) قال : هذا مثل ضربه الله للحقِّ والباطل ، فقرأ ( أنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ، فاحتتملَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ) هذا الزبد لا ينفع ( أو متاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ) هذا لا ينفع أيضًا ، قال : وبقي الماء في الأرض ، فنفع الناس ، وبقي الخَلْيُ الذي صلح من هذا ، فانتفع الناس به ( فأمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وأمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ) وقال : هذا مثل ضربه الله للحقِّ والباطل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ( أودِيَةٌ بِقَدَرِهَا ) قال : الصغير بصغره ، والكبير بكبره .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء : ضرب الله مثلا للحقِّ والباطل ، فضرب مثل الحقِّ ، كمثل السيل الذي يمكث في الأرض ، وضرب مثل الباطل ، كمثل الزَّبَدِ الذي لا ينفع الناس ، وعنى بقوله ( رَابِيًا ) : عاليًا منتفخًا ، من قولهم : ربا الشيء يربو رُبُوبًا فهو راب ، ومنه قيل للنشتر من الأرض كهيئة الأكمة رابية ؛ ومنه قول الله تعالى ( اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ) ، وقيل للنحاس والرصاص والحديد في هذا الموضع : المتاع ، لأنه يُسْتَمْتَعُ به ، وكل ما يستمتع به الناس فهو متاع ؛ كما قال الشاعر :

تَمْتَعُ يَا مُشَعَّثُ إِنَّ شَيْئًا سَبَقَتْ بِهِ الْمَمَاتَ هُوَ الْمَتَاعُ

وأما الجُفَاءُ فإني حدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال : قال أبو عمرو بن العلاء ، يقال : قد أجفأت القيدرُ ، وذلك إذا غلَّتْ فانصبَّ زَبَدُهَا ، أو سكنت فلا يبقى منه شيء .<sup>٢</sup> وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة ، أن معنى قوله ( فَيَذْهَبُ جُفَاءً ) تَنْشَقُّهُ الْأَرْضُ ، وقال : يقال : جفا الوادي وأجنى في معنى نَشِيفٍ ، وانجى الوادي : إذا جاء بذلك الغناء ، وغشيت الوادي ، فهو يَغْشِي غَشْيًا وَغَشْيَانًا ، وذَكَرَ عن

(١) البيت للمعتمد العامري ، ذكره المرزباني في معجم الشعراء ، في مقطوعة له يخاطب نفسه . وذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٢٨ ) شاهدًا على معنى المتاع في قوله تعالى « أو متاع زبد مثله » . وأورده صاحب ( اللسان : متع ) شاهدًا على معنى المتاع ؛ قال : والمتاع : كل ما ينفع به من عروض الدنيا قليلها وكثيرها . وكذلك أنشده صاحب تاج العروس : ( متع ) .

(٢) نقله في مجاز القرآن ( ١ : ٣٢٩ ) والقرطبي ( ٩ : ٣٠٥ ) .



العرب أنها تقول: جَفَّاتُ الْقَدَرُ أَجْفَوُهَا: إذا أخرجت جُفَاءَها، وهو الزَّبَدُ الذي يعلوها، وأجْفَأَتْهَا لِجُفَاءِ لُغَةٍ. قال: وقالوا: جَفَّاتُ الرَّجُلُ جَفْنًا: صرَعته.

وقيل: (فَيَبْدُ هَبُ جُفَاءٌ) بمعنى جَفْنًا، لأنه مصدر من قول القائل: جَفْنًا الوادى غُثَاءً، فخرَجَ تخرَجَ الاسم وهو مصدر، كذلك تفعل العرب في مصدر كل ما كان من فعل شيء اجتمع بعضه إلى بعض كالقماش والدقاق والحطام والغُثَاءُ، تخرجه على مذهب الاسم، كما فعلت ذلك في قولهم: أعطيته عطاءً، بمعنى الإعطاء، ولو أريد من القماش المصدر على الصحة لقل: قد قمَشْتُهُ قمَشًا.

#### القول في تأويل قوله تعالى

لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَائِي الْأَرْضِ جَمِيعًا  
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ، أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨)

يقول تعالى ذكره: أما الذين استجابوا لله فآمنوا به حين دعاهم إلى الإيمان به، وأطاعوه، فاتبعوا رسوله وصدقوه فيما جاءهم به من عند الله، فإن لهم الحسنى، وهي الجنة. كذلك حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ) وهي الجنة.

وقوله (وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَائِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ) لافْتَدَوْا بِهِ (يقول تعالى ذكره: وأما الذين لم يستجيبوا له حين دعاهم إلى توحيدهِ والإقرار بربوبيته، ولم يطيعوه فيما أمرهم به، ولم يتبعوا رسوله، فيصدقوه فيما جاءهم به من عند ربهم، فلو أن لهم مائِي الأرض جميعاً من شيء، ومثله معه ملكاً لهم ثم مثل ذلك، وقبيل ذلك منهم بدلاً من العذاب الذي أعدّه الله لهم في نار جهنم وعوضاً، لافْتَدَوْا به أنفسهم منه؛ يقول الله (أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ) يقول: هؤلاء الذين لم يستجيبوا لله لهم سوء الحساب: يقول: لهم عند الله أن يأخذهم بذنوبهم كلها، فلا يغفر لهم منها شيئاً، ولكن يعذبهم على جميعها.

كما حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا يونس بن محمد، قال: ثنا عون، عن فَرْقَدِ السَّبْحِيِّ، قال: قال لنا شهر بن حوشب (سوءُ الحسابِ): أن لا يتجاوز لهم عن شيء. حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، قال: ثنا الحجاج بن أبي عثمان، قال: ثنا فَرْقَدِ السَّبْحِيِّ، قال: قال إبراهيم النخعي: يافرقد، أتدري ما سوء الحساب؟ قلت: لا، قال: هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله، لا يغفر له منه شيء.

وقوله (وَمَا وَآهْمُ جَهَنَّمُ) يقول: ومسكنهم الذي يسكنونه يوم القيامة جهنم. (وَبِئْسَ الْمِهَادُ) يقول: وبئس القيراش والوطاء جهنم، التي هي مأواهم يوم القيامة.

(١) هذا القول لقراء في معاني القرآن (الصفحة ١٥٩). وفي (اللسان: جفاً).

القول في تأويل قوله تعالى

\* أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنْ نَزَّلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى؟ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو

الْأَلْبَابِ (١٩)

يقول تعالى ذكره : أهذا الذي يعلم أن الذي أنزله الله عليك يا محمد حق ، فيؤمن به ويصدق ، ويعمل بما فيه ، كالذي هو أعمى ، فلا يعرف موقوع حجة الله عليه به ، ولا يعلم ما ألزمه الله من فرائضه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة في قوله ( أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنْ نَزَّلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ ) قال : هؤلاء قوم انتفعوا بما سمعوا من كتاب الله ، وعقلوه ووعوه ، قال الله ( كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ) قال : عن الخبير فلا يبصره . وقوله ( إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ) يقول : إنما يتعظ بآيات الله ، ويعتبر بها ذوو العقول ، وهي الأبواب ، واحدها : لُبٌّ .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ، وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ

يُوصَلَ ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١)

يقول تعالى ذكره : إنما يتعظ ويعتبر بآيات الله أولو الأبواب ، الذين يوفون بوصية الله التي أوصاهم ، ( ولا ينقضون الميثاق ) ولا يخالفون العهد الذي عاهدوا الله عليه إلى خلافه ، فيعملوا بغير ما أمرهم به ، ويخالفوا إلى ما نهى عنه .

وقد بيننا معنى العهد والميثاق فيما مضى بشواهد ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، قال ( إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ) ، فبين من هم ، فقال ( الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ) ، فعليكم بوفاء العهد ، ولا تنقضوا هذا الميثاق ، فإن الله تعالى قد نهى وقدّم فيه أشدّ التقدمة ، فذكره في بضع وعشرين موضعا ، نصيحة لكم ، وتقدمة إليكم ، وحجّة عليكم ، وإنما يعظم الأمر بما عظّمه الله به عند أهل الفهم والعقل ، فعظّموا ما عظم الله . قال قتادة : وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » .



وقوله ( وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ) يقول تعالى ذكره : والذين يصلون الرحم التي أمرهم الله بوصولها ، فلا يقطعونها ( وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ) يقول : ويخافون الله في قطعها أن يقطعوها ، فيعاقبهم على قطعها ، وعلى خلافهم أمره فيها . وقوله ( وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ) يقول : ويحذرون مناقشة الله إياهم في الحساب ، ثم لا يصفح لهم عن ذنب ، فهم لربهم ذلك جادون في طاعته ، يحافظون على حدوده .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء <sup>١</sup> ، في قوله ( الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ) قال : المناقشة بالأعمال . قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، عن فرقد ، عن إبراهيم ، قال : سوء الحساب أن يحاسب من لا يغفر له . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ) قال : فقال : وما سوء الحساب ؟ قال : الذي لا جواز فيه . حدثني ابن سنان القرظي ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن الحجاج ، عن فرقد ، قال : قال لي إبراهيم : تدري ما سوء الحساب ؟ قلت : لا أدري ، قال : يحاسب العبد بذنبه كله لا يغفر له منه شيء .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ، وَيَدْرَهُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢)

يقول تعالى ذكره ( وَالَّذِينَ صَبَرُوا ) على الوفاء بعهد الله ، وترك نقض الميثاق ، وصلة الرحم ( ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ) ويعنى بقوله ( ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ) طلب تعظيم الله ، وتنزيها له أن يخالف في أمره ، أو يأتي أمرا كره إتيانه فيعصيه به ( وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ) يقول : وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها ( وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ) يقول : وأدوا من أموالهم زكاتها المفروضة : وأنفقوا منها في السبل التي أمرهم الله بالنفقة فيها ، سرا في خفاء ، وعلانية في الظاهر .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ) يعنى الصلوات الخمس ( وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ) يقول الزكاة . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الصبر الإقامة ، قال : وقال الصبر في هاتين ، فصبر الله على ما أحب وإن ثقل على الأنفس والأبدان ، وصبر عما يكره وإن نازعت إليه الأهواء ، فمن كان هكذا فهو من الصابرين ، وقرأ ( سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ، فَتَنْعَمَ عُقْبَى الدَّارِ ) . وقوله ( وَيَدْرَهُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ) يقول : ويدفعون إساءة من أساء إليهم من الناس ، بالإحسان إليهم .

(١) في الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير ( ج ١٣ ص ١٥٤ ط ) أبي حفصنا ، وهو تحريف من الناسخ ، لأن عمرو بن مالك التكري ، يضم النون أبو يحيى البصرى ، يروى عن أبي الجوزاء ، لأبي حفصنا ، كما في خلاصة الخزرجى .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ) قال : يدفعون الشرَّ بالخير ، لا يكافئون الشرَّ بالشرَّ ، ولكن يدفعونه بالخير .  
وقوله ( أُولَئِكَ لَهُمْ عُقُوبَةُ الدَّارِ ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا صفتهم ، هم الذين لهم عُقُوبَةُ الدَّارِ ، يقول : هم الذين أعقبهم الله دار الجنان ، من دارهم التي لو لم يكونوا مؤمنين كانت لهم في النار ، فأعقبهم الله من تلك هذه . وقد قيل : معنى ذلك : أولئك الذين لهم عُقُوبَةُ طاعتهم ربهم في الدنيا دار الجنان .

#### القول في تأويل قوله تعالى

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَالْمَسْكُونَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِنَّ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)  
يقول : جنات عدن ترجمة عن عُقْبَى الدَّارِ ، كما يقال : نعم الرجل عبد الله ، فعبد الله هو الرجل المقول له : نعم الرجل ؛ وتأويل الكلام : أولئك لهم عُقْبَى طاعتهم ربهم ، الدار التي هي جنات عدن .  
وقد بيَّنا معنى قوله : عدن ، وأنه بمعنى الإقامة التي لا ظعنَ معها .

وقوله ( وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ) يقول تعالى ذكره : جنات عدن يدخلها هؤلاء الذين وصفت صفتهم ، وهم الذين يوفون بعهد الله ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم ، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ، وأقاموا الصلاة ، وفعلوا الأفعال التي ذكرها جل ثناؤه في هذه الآيات الثلاث ( وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ ) وَهِيَ نِسَاؤُهُمْ وَأَهْلُوهُمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ، وصلاحهم بإيمانهم بالله ، واتباعهم أمره ، وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ ) قال : من آمن في الدنيا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وثنا إسحاق قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ ) قال : من آمن من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم .

وقوله ( وَالْمَسْكُونَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِنَّ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ) يقول ، تعالى ذكره : وتدخل الملائكة على هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هذه الآيات الثلاث ، في جنات عَدْنٍ ، من كل باب منها ، يقولون لهم : سلام عليكم بما صبرتم على طاعة ربكم في الدنيا ( فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ) . وذكر أن لجنات عدن خمسة آلاف باب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا علي بن جرير ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن



عطاء ، عن نافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : « إن في الجنة قصراً يقال له عدن ، حوله البروج والمروج ، فيه خمسة آلاف باب ، على كل باب خمسة آلاف حَبْرَة ، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد » .  
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَعْرُوف ، عن جويبر ، عن الضحاک ، في قوله ( جَنَّاتِ عَدْنِ ) قال : مدينة الجنة ، فيها الرسل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعدد الجنات حولها . وحذف من قوله ( وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ) ، يقولون : اكتفاء بدلالة الكلام عليه ، كما حذف ذلك من قوله ( وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ : رَبَّنَا أَبْصَرْنَا ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن بقية بن الوليد ، قال : ثنى أروطة ابن المنذر ، قال : سمعت رجلاً من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج ، يقول : جلست إلى أبي أمامة ، فقال : « إن المؤمن ليكون متكئاً على أريكته إذا دخل الجنة ، وعنده سيطان من خدم ، وعند طرف السَّاطِنِ سور ، فيقبل الملك يستأذن ، فيقول للذي يليه : ملك يستأذن ، ويقول الذي يليه : ملك يستأذن ، ويقول الذي يليه للذي يليه ملك يستأذن ، حتى يبلغ المؤمن ، فيقول : ائذنوا ، فيقول : أقربهم إلى المؤمن ائذنوا ، ويقول الذي يليه للذي يليه ائذنوا ، فكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب ، فيفتح له ، فيدخل فيسلم ثم ينصرف » .  
حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن إبراهيم بن محمد ، عن سهل بن أبي صالح ، عن محمد بن إبراهيم ، قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول ، فيقول : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ، فَيَنْعِمُ عَقْسِي الدَّارِ ، وأبو بكر وعمر وعثمان » .  
وأما قوله ( سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ) فإن أهل التأويل قالوا في ذلك ، نحو قولنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني أنه تلا هذه الآية ( سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ) قال : على دينكم .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ) قال : حين صبروا لله بما يحبه الله فقدموه ، وقرأ ( وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ) حتى بلغ ( وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ) وصبروا عما كره الله ، وحرّم عليهم ، وصبروا على ما نقل عليهم ، وأحبه الله ، فلم عليهم بذلك ، وقرأ ( وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ، فَيَنْعِمُ عَقْسِي الدَّارِ ) .  
وأما قوله ( فَيَنْعِمُ عَقْسِي الدَّارِ ) فإن معناه : إن شاء الله كما حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن جعفر ، عن أبي عمران الجوني في قولهم ( فَيَنْعِمُ عَقْسِي الدَّارِ ) قال : الجنة من النار .

(١) من هنا : للبدل ، أي الجنة بدل النار .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ

فِي الْأَرْضِ ، أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ ، وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥)

يقول تعالى ذكره ( وَ ) أما ( الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ ) ونقضهم ذلك ، خلافهم أمر الله ، وعملهم بمعصيته ( مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ) يقول : من بعد ما وثقوا على أنفسهم لله . أن يعملوا بما عهد إليهم ، ( وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ) يقول : ويقطعون الرحم التي أمرهم الله بوصلها ( وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ) فسادهم فيها : عملهم بمعاصي الله ( أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ ) يقول : فهؤلاء لهم اللعنة ، وهي البعد من رحمته ، والإقصاء من جنانته ( وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ) يقول : وهم ما يسوءهم في الدار الآخرة .  
حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال أكبر الكبائر : الإشرak بالله ، لأن الله يقول ( وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ) ، ونقض العهد ، وقطيعة الرحم ، لأن الله تعالى يقول ( أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ ، وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ) : يعنى : سوء العاقبة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج ، في قوله ( وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ) قال : بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا لَمْ تَمْسُحْ إِلَى ذِي رَحِمِكَ بِرَجْلِكَ ، وَلَمْ تُعْطِهِ مِنْ مَالِكَ ، فَقَدْ قَطَعْتَهُ » .

حدثني محمد بن المنثي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن مصعب ابن سعد ، قال : سألت أبي عن هذه الآية ( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) أهم الخرورية ؟ قال : لا ، ولكن الخرورية ( الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ، أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ ، وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ) فكان سعد يسميهم الفاسقين .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت مصعب بن سعد ، قال : كنت أمسك على سعد المصحف ، فأق على هذه الآية ، ثم ذكر نحو حديث محمد بن جعفر .

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : الله يوسع على من يشاء من خلقه في رزقه ، فيبسط له منه ، لأن منهم من لا يصلحه



إلا ذلك (وَيَقْدِرُ) يقول : ويقتر على من يشاء منهم في رزقه وعيشه ، فيضيعه عليه ، لأنه لا يصلحه إلا الإقتار (وَقَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول تعالى ذكره : وفرح هؤلاء الذين بسط لهم في الدنيا من الرزق على كفرهم بالله ، ومعصيتهم إياه ، بما بسط لهم فيها ، وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته ، والإيمان به في الآخرة ، من الكرامة والنعم ، ثم أخبر جل ثناؤه عن قدر ذلك في الدنيا ، فيما لأهل الإيمان به عنده في الآخرة ، وأعلم عباده قلته ، فقال (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) يقول : وما جميع ما أعطى هؤلاء في الدنيا من السعة ، وبسط لهم فيها من الرزق ورغد العيش ، فيما عند الله لأهل طاعته في الآخرة ، إلا متاع قليل ، وشيء حقير ذاهب .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا مَتَاعٌ) قال : قليل ذاهب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) قال : قليل ذاهب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن بكير بن الأحنس ، عن عبد الرحمن بن سابط في قوله (وَقَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) قال : كزاد الراعي ، يزوده أهله الكف من التمر ، أو الشيء من الدقيق ، أو الشيء يشرب عليه اللبن .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ، قُلْ: إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ،

وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : ويقول لك يا محمد مشركو قومك : هلا أنزل عليك آية من ربك ، إما مَلَكٌ يَكُونُ معك نذيرا ، أو يُسَلِّقُ إِلَيْكَ كَنزًا ، فقل : إن الله يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ مِنْكُمْ مِنْ أَيْهَا الْقَوْمِ ، فيخذله عن تصديقي ، والإيمان بما جئته به من عند ربي ، ويهدي إليه من أناب ، فرجع إلى التوبة من كفره ، والإيمان به ، فيوفقه لاتباعه وتصديقي به ، على ما جئته به من عند ربه ، وليس ضلال من يضل منكم ، بأن لم يُنَزَّلْ عَلَى آيَةٍ مِنْ رَبِّي ، ولا هداية من يهتدي منكم بأنها أنزلت علي ، وإنما ذلك بيد الله ، يوفِّقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْكُمْ لِلْإِيمَانِ ، وَيُخْذِلُ مَنْ يَشَاءُ مِنْكُمْ ، فلا يؤمن . وقد بينت معنى الإنابة في غير موضع من كتابنا هذا بشواهد ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ) : أى من تاب وأقبل .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَثَابٌ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : ويهدى إليه من أناب بالتوبة . الذين آمنوا ؛ والذين آمنوا في موضع نصب ، رد على من ، لأن الذين آمنوا هم من أناب ، ترجم بها عنها .

وقوله ( وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ) يقول : وتسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ) يقول : سكنت إلى ذكر الله ، واستأنست به .

وقوله ( أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ) يقول : ألا بذكر الله تسكن وتستأنس قلوب المؤمنين . وقيل : إنه أعنى بذلك قلوب المؤمنين من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ) محمد وأصحابه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شيبان ، وحدثني المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ) قال : محمد وأصحابه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أحمد بن يونس ، قال : ثنا سفيان بن عيينة في قوله ( وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ) قال : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله ( الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) الصالحات من الأعمال ، وذلك العمل بما أمرهم ربهم ، ( طُوبَى لَهُمْ ) وطُوبَى : في موضع رفع بلههم . وكان بعض أهل البصرة والكوفة يقول ذلك رفع ، كما يقال في الكلام : وَيَبْلُ لِعَمْرُو ، وإنما أوتر الرفع في طُوبَى لحسن الإضافة فيه بغير لام ، وذلك أنه يقال فيه طوباك ، كما يقال : وَيَبْلُكَ وَيَبْلُكَ ، ولولا حسن الإضافة فيه بغير لام ، لكان النصب فيه أحسن وأفصح ، كما النصب في قولهم : تَعَسَا لَزِيد ، وبُعَدَا لَهُ وَحَقًّا ، أحسن إذ كانت الإضافة فيها بغير لام لا تحسن . وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( طُوبَى لَهُمْ ) فقال بعضهم : معناه : نِعْمَ مَا لَهُمْ .

ذكر من قال ذلك

حدثني جعفر بن محمد البروري<sup>١</sup> من أهل الكوفة ، قال : ثنا أبو زكريا الكلبي ، عن عمرو بن نافع ، قال : سئل عكرمة ، عن طُوبَى لَهُمْ ، قال : نِعْمَ مَا لَهُمْ .

(١) لم أعثر على هذا الراوى ولا نسبته في تهذيب التهذيب ولا في الأنساب للسمعاني ، ولعل في لفظ النسبة تحريفا .



حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عمرو بن نافع ، عن عكرمة ، في قوله ( طُوبَى لَهُمْ ) قال : نِعِمَّ مَا لَهُمْ .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمرو بن نافع ، قال : سمعت عكرمة ، في قوله ( طُوبَى لَهُمْ ) قال : نِعِمَّ مَا لَهُمْ .  
وقال آخرون : معناه : غَيْبُطَةٌ لَهُمْ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جوير ، عن الضحاك ( طُوبَى لَهُمْ ) قال : غَيْبُطَةٌ لَهُمْ .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثله .  
قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحاك ، مثله .  
وقال آخرون : معناه : فَرَّحَ وَقَرَّةَ عَيْنٍ .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود والمثنى بن إبراهيم ، قالوا : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( طُوبَى لَهُمْ ) يقول : فَرَّحَ وَقَرَّةَ عَيْنٍ .  
وقال آخرون : معناه : حُسِّنِي لَهُمْ :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( طُوبَى لَهُمْ ) يقول : حُسِّنِي لَهُمْ ، وهي كلمة من كلام العرب .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( طُوبَى لَهُمْ ) هذه كلمة عربية ، يقول الرجل : طُوبَى لَكَ : أى أصبت خيرا .  
وقال آخرون : معناه : خير لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : خير لهم .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في قوله ( طُوبَى لَهُمْ ) قال :  
الخير والكرامة التي أعطاهم الله .  
وقال آخرون ( طُوبَى لَهُمْ ) : اسم من أسماء الجنة ، ومعنى الكلام : الجنة لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( طُوبَى لَهُمْ ) قال : اسم الجنة بالحبشية :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن مشجوع في قوله ( طُوْبِي كُھْمٌ ) قال طوبي : اسم الجنة بالهندية :

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا داود بن مهران ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن مشجوع ، قال : اسم الجنة بالهندية : طُوْبِي .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن عكرمة ( طُوْبِي كُھْمٌ ) قال : الجنة .

قال : ثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( طُوْبِي كُھْمٌ ) قال : الجنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله : حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوْبِي كُھْمٌ وَحَسُنَ مَا يَبِ ) قال : لما خلق الله الجنة وفرغ منها قال ( الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوْبِي كُھْمٌ وَحَسُنَ مَا يَبِ ) وذلك حين أعجبه . حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ( طُوْبِي كُھْمٌ ) قال الجنة . وقال آخرون : ( طُوْبِي كُھْمٌ ) : شجرة في الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا قرّة بن خالد ، عن موسى بن سالم ، قال : قال ابن عباس ( طُوْبِي كُھْمٌ ) : شجرة في الجنة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور . عن معمر ، عن الأشعث بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة ( طُوْبِي كُھْمٌ ) : شجرة في الجنة يقول لها : تفتني لعبدي عما شاء ، فتفتق له عن الخيل بسروجها وبلحمتها ، وعن الإبل بأزممتها ، وعما شاء من الكسوة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن شهر بن حوشب ، قال : طوبي : شجرة في الجنة ، كل شجر الجنة منها ، أغصانها من وراء سور الجنة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الأشعث بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة ، قال : في الجنة شجرة يقال لها طوبي ، يقول الله لها : تفتني ، فذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن ابن ثور .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الجبار ، قال : ثنا مروان ، قال : أخبرنا العلاء ، عن شمر بن عطية ، في قوله ( طُوْبِي كُھْمٌ ) قال : هي شجرة في الجنة يقال لها طوبي .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن منصور ، عن حسان أبي الأشرس ، عن مغيث بن سمي ، قال : طوبي : شجرة في الجنة ، ليس في الجنة دار إلا فيها غصن



منها، فيجىء الطائر فيقع، فيدعوه فيأكل من أحد جنبيه قد يدا، ومن الآخر شيوا، ثم يقول: طير فيطير .  
قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن بعض أهل الشام ، قال : إن ربك أخذ لؤلؤة فوضعها  
على راحتيه ، ثم دملجها بين كفتيه ، ثم غرسها وسط أهل الجنة ، ثم قال لها : امتدّي حتى تبلغى مرضاتي ،  
ففعلت ، فلما استوت تفجّرت من أصولها أنهار الجنة ، وهي طُوبَى .

حدثنا الفضل بن الصَّبَّاح ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم الصنعاني ، قال : ثنى عبد الصمد بن  
مَعْقِل ، أنه سمع وهبا يقول : إن في الجنة شجرة يقال لها : طُوبَى ، يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها ،  
زهراها رباط ، وورقها برود ، وقضبانها عنب ، وبطنهاؤها ياقوت ، وترباها كافور ، ووحلها مسك ،  
يخرج من أصلها أنهار الحمر والابن والعسل ، وهي مجلس لأهل الجنة ، فبينما هم في مجلسهم إذ أتتهم ملائكة  
من ربهم ، يقولون : نُجِبًا مزومة بسلاسل من ذهب ، وجوهها كالمصابيح من حسنها ، ووبرها كخز المير عَزَي  
من لينه ، عليها رحال ألواحها من ياقوت ، ودفوفها من ذهب ، وثيابها من سندس واستبرق ، فينخونها  
ويقولون : إن ربنا أرسلنا إليكم ، لتزوروه وتسلموا عليه ، قال : فيركبونها ، قال : فهى أسرع من الطائر ،  
وأوطأ من الفراش ، نُجِبًا من غير مهنة ، يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه ، لانتصيب أذن  
راحلة منها أذن صاحبها ، ولا يترك راحلة بترك صاحبها ، حتى إن الشجرة لتتنحى عن طرفهم ، لتلا تفرق بين  
الرجل وأخيه . قال : فيأتون إلى الرحمن الرحيم ، فيسفر لهم عن وجهه الكريم ، حتى ينظروا إليه ، فإذا  
رأوه قالوا : اللهم أنت السلام ومنك السلام ، وحق لك الجلال والإكرام ، قال : فيقول تبارك وتعالى  
عند ذلك : أنا السلام ، ومنى السلام ، وعليكم حقَّت رحمتي ومحبتي ، مرحبا بعبادى الذين خَشُونِي بغيب ،  
وأطاعوا أمرى ، قال : فيقولون : ربنا إنا لم نعبدك حقَّ عبادتك ، ولم نقدرك حقَّ قدرك ، فأذن لنا  
بالسجود قد آمك ، قال : فيقول الله : إنها ليست بدار نصب ولا عبادة ، ولكنها دار مُلك ونعيم ، وإنى  
قد رفعت عنكم نصب العبادة ، فسلوني ما شئتم ، فإن لكل رجل منكم أمنيته ، فيسألونه ، حتى إن أقصرهم  
أمنية ليقول : رب تنافس أهل الدنيا في دنياهم ، فتضايقوا فيها ، رب فأتني كل شيء كانوا فيه من يوم  
خلقتها إلى أن انتهت الدنيا ، فيقول الله : لقد قصّرت بك اليوم أمينتك ، ولقد سألت دون منزلتك ، هذا  
لك مني ، وسأتحفك بمنزلتى ، لأنه ليس في عطائي نكند ولا تنصريد ، قال : ثم يقول : اعرضوا على  
عبادى ما لم تبلغ أمانيتهم ، ولم يخطر لهم على بال ، قال : فيعرضون عليهم ، حتى يقضوهم أمانيتهم التي  
في أنفسهم ، فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة ، على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة ، على كل  
سرير منها قبة من ذهب ، مقرعة ، في كل قبة منها فرش من فرش الجنة مظهره ، في كل قبة منها جاريتان  
من الحور العين ، على كل جاريتة منهن ثوبان من ثياب الجنة ، ليس في الجنة لون إلا وهو فيهما ، ولا ريح طيبة  
إلا قد عبقتا به ، يتفند ضوء وجوههما غلظت القبة ، حتى يظن من يراها أنها من دون القبة ، يرى عنهما  
من فوق سؤوقهما كالسلك الأبيض من ياقوتة حمراء ، يريان له من الفضل على صحابته كفضل الشمس على  
الحجارة أو أفضل ، ويرى هو لهما مثل ذلك ، ثم يدخل إليهما فيحييانه ويقبلانه ويعانقانه ، ويقولان له :

والله ماظننا أن الله يخلق مثلك، ثم يأمر الله الملائكة، فيسيرون بهم صفا في الجنة، حتى ينتهي كل رجل منهم إلى منزله التي أعدت له .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا علي بن جرير ، عن حماد ، قال : شجرة في الجنة دار كل مؤمن غصن منها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن حسان بن أبي الأشرس ، عن مغيث بن سمي ، قال : طوبى : شجرة في الجنة ، لو أن رجلا ركب قملوصا جندعا أوجدعة ، ثم دار بها ، لم يبلغ المكان الذي ارتحل منه ، حتى يموت هراما ، وما من أهل الجنة منزل إلا فيه غصن من أغصان تلك الشجرة ، متدل عليهم ، فإذا أرادوا أن يأكلوا من الثمرة ، تدلى إليهم ، فيأكلون منه ما شاءوا ، ويجيء الطير ، فيأكلون منه قديدا وشواء ما شاءوا ، ثم يطير .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بنحو ما قال من قال : هي شجرة .

#### ذكر الرواية بذلك

حدثني سليمان بن داود القومسي ، قال : ثنا أبو توبة الربيع بن نافع ، قال : ثنا معاوية بن سلام ، عن زيد ، أنه سمع أبا سلام ، قال : ثنا عامر بن زيد البيكالي ، أنه سمع عتبة بن عبد السلام يقول : « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إن في الجنة فاكهة ؟ قال : نعم ، فيها شجرة تدعى طوبى ، هي تطابق الفردوس ، قال : أي شجر أرضنا تشبهه ؟ قال : ليست تشبه شيئا من شجر أرضك ، ولكن أتيت الشام ؟ فقال : لا يا رسول الله ، فقال : فلأنا تشبه شجرة تدعى الجوزة ، تنبت على ساق واحدة ، ثم ينتشر أعلاها ، قال : ما عظم أصلها ؟ قال : لو ارتحلت جندعة من إبل أهلِكَ ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتاتها هراما . »

حدثنا الحسن بن شبيب ، قال : ثنا محمد بن زياد الحريري ، عن فترات بن أبي الفرات ، عن معاوية ابن قرة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « (طوبى لهم وحسن مآب) : شجرة غرسها الله بيده ، ونفخ فيها من روحه بالحلي والحليل ، وإن أغصانها كثرى من وراء سور الجنة . »

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، أن دراجا حدثه أن أبا الهيثم حدثه ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن رجلا قال له : يا رسول الله ما طوبى ؟ قال : شجرة في الجنة ، مسيرة مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها »   
 فعلى هذا التأويل الذي ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرواية به ، يجب أن يكون القول في رفع قوله (طوبى لهم) خلاف القول الذي حكيناه عن أهل العربية فيه ، وذلك أن الخبر عن رسول



الله صلى الله عليه وسلم ، أن طوبى اسم شجرة في الجنة ، فإذا كان كذلك فهو اسم لمعرفة ، كزبد وعمرو .  
وإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن في قوله ( وَحُسْنُ مَأْبٍ ) إلا الرفع عطفًا به على طوبى .  
وأما قوله ( وَحُسْنُ مَأْبٍ ) فإنه يقول : وحسن منقلب .  
كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك :  
( وَحُسْنُ مَأْبٍ ) قال : حسن منقلب .

#### القول في تأويل قوله تعالى

كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِنَّ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ  
وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ، قُلْ : هُوَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْهِ مَتَابٍ (٣٣)  
يقول تعالى ذكره : هكذا أرسلناك يا محمد في جماعة من الناس ، يعنى إلى جماعة قد خلت من قبلها  
جماعات على مثل الذى هم عليه ، فضت ( لَتَتْلُوا عَلَيْهِنَّ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ) يقول : لتبلغهم  
ما أرسلناك به إليهم ، من وحي الذى أوحىته إليك ( وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ) يقول : وهم يجحدون  
وحدانية الله ، ويكذبون بها . ( قُلْ هُوَ رَبِّي ) يقول : إن كَفَرَهُ هؤلاء الذين أرسلناك إليهم يا محمد بالرحمن ،  
فقل أنت : الله ربى ( لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ) يقول : وإليه مرجعى وأوتى ،  
وهو مصدر من قول القائل : تبت متابًا وتوبة .  
وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ) :  
ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم زمن أُلْحَدِ يَبْدِيَّةَ ، حين صالح قريشا ، كتب : هذا ما صالح عليه محمد  
رسول الله ، فقال مشركو قريش : لئن كُنْتَ رسول الله ثم قاتلناك ، لقد ظلمناك ، ولكن اكتب : هذا  
ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : دَعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نقاتلهم ،  
فقال : لا ، ولكن اكتبوا كما يريدون ؛ إني محمد بن عبد الله . فلما كتب الكاتب : بسم الله  
الرحمن الرحيم ، قالت قريش : أما الرحمن فلا نعرفه ، وكان أهل الجاهلية يكتبون : باسمك اللهم ، فقال  
أصحابه : يا رسول الله ، دعنا نقاتلهم ، قال : لا ، ولكن اكتبوا كما يريدون .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قوله  
( كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ ) . . . الآية ، قال : هذا لما كاتب رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قريشا في الحديبية ، كتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قالوا : لا نكتب الرحمن ، وما ندرى ما الرحمن ؟  
ولا نكتب إلا : باسمك اللهم ، قال الله : ( وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ، قُلْ هُوَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ )  
. . . الآية .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ، أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ، أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى، بَلِ اللَّهُ الْأَمْرُ  
جَمِيعًا، وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ حَتَّى  
يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ أَلْمِيعًا (٣١)

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وهم يكفرون بالرحمن ( وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا  
سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ) أى يكفرون بالله ، ولو سير لهم الجبال بهذا القرآن ، وقالوا : هو من المؤخر  
الذى معناه التقديم ، وجعلوا جواب لو مقدما قبلها ، وذلك أن الكلام على معنى قبيلهم : ولو أن هذا القرآن  
سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، لكفروا بالرحمن .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى ) قال :  
هم المشركون من قريش ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم « لو وَسَّعَتْ لَنَا أودية مكة ، وَسَّيَّرَتْ  
جبالها ، فاحترثناها ، وأحييت من مات منا ، أَوْ قُطِعَ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى ، فقال الله تعالى ( وَلَوْ  
أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى ، بَلِ اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا ) .  
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله  
( وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى ) قول كفار قريش  
لمحمد : سِيرَ جبالنا ، تنسع لنا أرضنا ، فإنها ضيقة ، أَوْ قَرَّبَ لَنَا الشَّامَ ، فإننا نتجر إليها ، أَوْ أَخْرَجَ لَنَا آبَاءَنَا مِنَ  
الْقُبُورِ نَكَلِمَهُمْ ، فقال الله تعالى ( وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ  
كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

قال ابن جريج : وقال عبد الله بن كثير ، قالوا : لَوْ فَسَّحَتْ عَنَا الْجِبَالُ ، أَوْ أُجْرِيَتْ لَنَا الْأَنْهَارُ ، أَوْ  
كَلِمَتْ بِهِ الْمَوْتَى ، فنزل ذلك . قال ابن جريج ، وقال ابن عباس : قالوا : سَيَّرَ بِالْقُرْءَانِ الْجِبَالُ ، قَطَعَ  
بِالْقُرْءَانِ الْأَرْضَ ، أَخْرَجَ بِهِ مَوْتَانَا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن كثير ، قالوا : لو  
فَسَّحَتْ عَنَا الْجِبَالُ ، أَوْ أُجْرِيَتْ لَنَا الْأَنْهَارُ ، أَوْ كَلِمَتْ بِهِ الْمَوْتَى ، فنزل ( أَفَلَمْ يَبْيَأْسِ الَّذِينَ آمَنُوا ) .  
وقال آخرون : بل معناه ( وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ) كلام مبتدأ ، منقطع عن قوله



( وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ) قال : وجواب لو محذوف ، استغنى بمعرفة السامعين المراد من الكلام ، عن ذكر جوابها ، قالوا : والعرب تفعل ذلك كثيرا ، ومنه قول امرئ القيس :  
 فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَرِيحَةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَقَطَّعُ أَنْفُسًا  
 وهو آخر بيت في القصيدة<sup>٢</sup> ، فترك الجواب ، اكتفاء بمعرفة سامعه مراده ، وكما قال الآخر :  
 فَأَقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ سِوَاكَ ، وَلَكِنْ لَمْ تَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا<sup>٣</sup>

ذكر من قال نحو معنى ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ) : ذكر لنا أن قريشا قالوا : إن سرك يا محمد اتباعك ، أو أن تبعلك ، فسير لنا جبال تهامة ، أو زد لنا في حرمنا ، حتى نتخذ قطائع نخترف فيها ، أو أحصي لنا فلانا وفلانا ، ناسا ماتوا في الجاهلية ، فأنزل الله تعالى ( وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ) يقول : لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم ، لفعل بقرآنكم . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أن كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أذهب عنا جبال تهامة ، حتى نتخذها زرعاً ، فتكون لنا أرضين ، أو أحصي لنا فلانا وفلانا بخبرونا : حتى ما نقول ؟ فقال الله ( وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ) بئس الأمر جميعاً يقول : لو كان فعل ذلك بشيء من الكتب فيما مضى كان ذلك .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ( وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ) الآية . . . قال : قال كفار قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم : سير لنا الجبال ، كما سحرت لداود ، أو قطع لنا الأرض ، كما قطعت لسليمان ، فاغتندي

(١) البيت لامرئ القيس في ديوانه ( مختار الشعر الجاهل بشرح مصطفي السقا ، طبعة الخليلي ص ٨٦ ) وفيه جمعة : في موضع سريحة . والسريحة : السبلة كما ، في اللسان ، والسريحة ، وقال شارحه : جمعة : قال في اللسان إنما أراد جميعا . فبالع بإلحاق الماء . وحذف الجواب للعلم به ، كأنه قال : لغنيت واستراحت . ويجوز أن تكون « لو » هنا لغنى ، فلا تحتاج إلى جواب . ويروى : سوية ، بدل جمعة ، يقول : لو أني أموت بدفعة لاسترحمت ، ولكن نفسي لما بها من المرض تقلع شيئا فشيئا . وفي الديوان أيضا : تساقط ، أي تساقط ، في موضع : تقطع .

(٢) ليس البيت آخر بيت في القصيدة ، ولكن بعده ثلاثة أبيات . ( انظر مختار الشعر ) .

(٣) البيت لامرئ القيس ( خزائن الأدب الكبرى لبغدادى ٤ : ٢٢٧ ) شاهد على أن الجواب فيه محذوف ، وهو جواب انقسم ، لاجواب لو ، عملا بمقتضى الضابط في اجتماع قسم وشرط . وتقدير الجواب كما ذكره القراء وغيره : لو أنا رسول سواك لدفعناه ، بدليل قوله « مدفعا » . وفيه أن الجواب مذكور في البيت الذي بعده ، وهو : « إذن لرددناه ولو طال مكثه » ، وعلى هذا يكون قوله : « ولكن لم نجد لك مدفعا » جملة اعتراضية . وعذرهم في تقدير الجواب ، أن هذا البيت ساقط أكثر الروايات ، وقد ذكره الزجاجي في أماليه الصغرى والكبرى ، في جملة أبيات ثمانية رواها عن المبرد من قصيدة لامرئ القيس ، ورواية البيت الخامس فيها :

وَجَدَّكَ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ تَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا

بها شهرا ، وراح بها شهرا ، أو كلم لنا الموتى ، كما كان عيسى يكلمهم ، يقول : لم أنزل بهذا كتابا ، ولكن كان شيئا أعطيته أنبيائي ورسلي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَكَوْنُ أَنْ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ) . . . الآية ، قال : قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إن كنت صادقاً فسبر عنا هذه الجبال : واجعلها حروثا ، كهيئة أرض الشام ومصر والبلدان ، أو ابعث موتانا فأخبرهم ، فإنهم قد ماتوا على الذي نحن عليه ، فقال الله تعالى ( وَكَوْنُ أَنْ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ) : لم يصنع ذلك بقرآن قط ولا كتاب ، فيصنع ذلك بهذا القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى

( أَفَلَمْ يَبَيِّنْ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ) :

اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى قوله : ( أَفَلَمْ يَبَيِّنْ ) فكان بعض أهل البصرة يزعم أن معناه : ألم يعلم ويقتين ، ويستشهد لقيه ذلك بيت سحيم بن وثيل الرياحي :  
أقول لستم بالشعيب إذ يأسروني  
ألم تبيئسوا أني ابن فارس زهدم<sup>١</sup>  
ويروى : ييسروني ، فن رواه : ييسروني فإنه أراد : يقتسموني ، من الميسر ، كما يقسم الجزور . ومن رواه : يأسروني ، فإنه أراد : الأسر . وقال : غنى بقوله : ألم تياسوا : ألم تعلموا . وأنشدوا أيضا في ذلك :

ألم يبيئس الأقبام أني أنا ابنه<sup>٢</sup> وإن كنت عن أرض العشييرة نائيا<sup>٣</sup>

وفسروا قوله : ألم يياس : ألم يعلم ويقتين . وذكر عن ابن الكلبي أن ذلك لغة لحي من النخع ، يقال لهم :

(١) البيت : لسحيم بن وثيل الرياحي البر بوعي . وقيل إنه لولده جابر بن سحيم ، بدليل قوله فيه : « إن ابن فارس زهدم » ، وزهدم : فرس سحيم . قال : يئس يئس ويئس ( بكسر العين في الماضي ، وبكسرهما أو فتحها في المضارع ) : يقول : ألم تعلموا ، وعلى هذا استشهد به المؤلف هنا . وقوله ييسروني : من ياسر الجزور ، أي يجزوني ويقتسموني . ويروى يأسروني ، كرواية المؤلف ، من الأسر . وأما قوله ييسروني ، فإنما ذكر ذلك ، لأن كان قد وقع عليه سباه ، فصرخوا عليه بالميسر ، يتحاسبون على قسمة فدايته . وزهدم : فرس . ويروى أني ابن قاتل زهدم ، وهو رجل من عيس . فعل هذا يصح أن يكون الشعر لسحيم . قال صاحب اللسان : وقال القاسم بن معن : يئست بمعنى علمت : لغة هوازن . وقال الكلبي : هي لغة وهيل : حى من النخع ، وهم رهط شريك . وفي الصحاح : في لغة النخع ، وفي التنزيل « أفلم يياس الذين آمنوا . . . » أي أفلم يعلم . وقال أهل اللغة : أفلم يعلم الذين آمنوا علما يتسوا معه ، أن يكون غير ماعلموه . وقيل معناه : أفلم يياس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون . قال أبو عبيد : كان ابن عباس يقرأ : أفلم يثبتين الذين آمنوا أن لو يشاء الله هدى الناس جميعا . قال ابن عباس : كتب الكاتب : « أفلم يئس الذين آمنوا » وهوناعس . وقال الفراء في معاني القرآن ( الورقة ١٥٩ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ) : قال المفسرون : يياس : يعلم ، وهو في المعنى على تفسيرهم ، لأن الله قد أوقع إلى المؤمنين ، أنه لو يشاء الله هدى الناس جميعا ، فقال : أفلم يئسوا علما ، يقول : يؤيسم العلم ، فكان فيهم العلم مضمرًا ، كما تقول في الكلام : قد يئست منك ألا تغلج علما ، كأنك قلت علمته علما . وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : يئس في معنى يعلم : لغة للنخع . قال : ولم تجدها في العربية إلا على ما فسرت . هـ . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٣٢ ) : « أفلم يئس الذين آمنوا » مجاز : ألم يعلم ويقتين ؟ (٢) هذا الشاهد في معنى الشاهد قبله ، على أن « ألم يياس » : بمعنى ألم يعلم ويقتين . وفي الإتيقان ( ١ : ١٢٢ ) أن البيت لمالك ابن عوف ، وصدده فيه : « لقد يئس الأقبام أني أنا ابنه » .



وهَيْبِل ، تقول : ألم تياس كذا ، بمعنى : ألم تعلمه . وذكر عن القاسم بن معن أنها لغة هوازن ، وأنهم يقولون : يئسيت كذا : علمت .

وأما بعض الكوفيين فكان ينكر ذلك ، ويزعم أنه لم يسمع أحدا من العرب يقول : يئست بمعنى : علمت ، ويقول : هو في المعنى وإن لم يكن مسموعا يئست بمعنى علمت ، يتوجه إلى ذلك أن الله قد أوقع إلى المؤمنين ، أنه لو شاء لهدى الناس جميعا ، فقال : أفلم يأسوا علما ، يقول : يؤيسهم العلم ، فكان فيه العلم مضمرا ، كما يقال : قد يئست منك ألا تفلح علما ؛ كأنه قيل : علمته علما ، قال : وقول الشاعر :  
حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا غصفا دواجين قافلا أعصامها ١

معناه : حتى إذا يئسوا من كل شيء مما يمكن ، إلا الذي ظهر لهم ، أرسلوا ، فهو في معنى ، حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذي رأوا ، وانتهى علمهم ، فكان ماسواه بأسا .  
وأما أهل التأويل ، فإنهم تأولوا ذلك بمعنى : أفلم يعلم ويتبين .  
ذكر من قال ذلك منهم

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي إسحاق الكوفي ، عن مولى يخبر أن عليا رضي الله عنه كان يقول : أفلم يتبين الذين آمنوا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون ، عن حنظلة ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ( أفلم يئس ) يقول : أفلم يتبين .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن جرير ، بن حازم ، عن الزبير بن الحارث ، أو يعلى بن حكيم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأها ( أفلم يئس الذين آمنوا ) قال : كتب الكاتب الأخرى وهو ناعس .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال في القراءة الأولى : زعم ابن كثير وغيره : أفلم يتبين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( أفلم يئس الذين آمنوا ) يقول : ألم يتبين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : ( أفلم يئس الذين آمنوا ) يقول : يعلم .

(١) البيت لبيد في معلقته ( شرح المعلقات السبع لزوزني ص ١٣٦ ) : قال : الغصف من الكلاب : المسترخية الأذان ، والغصف ( بالتحريك ) : استرخاء الأذن ، يقال : كلب أغصف ، وكلية غصفا ، وهو مستعمل في غير الكلاب استعماله فيها . والدواجن : الملعقات . والقفول : اليبس . وأعصامها : بطنها ، وقيل : بل سواجيرها ، وهي قلائدها من الحديد . يقول : حتى إذا يئس الرماة من البقرة ، وعلما أن سهامهم لا تنالها ، وأرسلوا كلابا مسترخية الأذان معلمة ، سوامر البطون ، أو يابسة السواجير . اهـ . وقال الفراء في معاني القرآن ( الورقة ١٥٩ ) معناه : حتى إذا يئسوا من كل شيء مما يمكن ، إلا الذي ظهر لهم ، أرسلوا ، فهو معنى : حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذي رأوا ، أرسلوا ، كان ما وراءه بأسا . اهـ .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( أفَلَمْ يَبَيَّنْ لَنَا آيَاتِ اللَّهِ ) : أفلم يتبين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله : ( أفَلَمْ يَبَيَّنْ لَنَا آيَاتِ اللَّهِ ) : أفلم يتبين الذين آمنوا ؟

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( أفَلَمْ يَبَيَّنْ لَنَا آيَاتِ اللَّهِ ) : أفلم يعلم الذين آمنوا ؟

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أفَلَمْ يَبَيَّنْ لَنَا آيَاتِ اللَّهِ ) : أفلم يعلم الذين آمنوا ؟

وتبين والصواب من القول في ذلك ، ما قاله أهل التأويل : إن تأويل ذلك : أفلم يتبين ويعلم ؟ لإجماع أهل التأويل على ذلك ، والآيات التي أنشدناها فيه .

فتأويل الكلام إذن : ولو أن قرآنا سوى هذا القرآن ، كان سُبِّرت به الجبال ، لسير بهذا القرآن ، أو قُطِّعت به الأرض ، لقطعت بهذا ، أو كُتِّم به الموتى ، لكُتِّم بهذا ، ولو يفعل بقرآن قبل هذا القرآن لفعل بهذا . ( بَلِّغِ اللَّهُ الْأَمْرَ جَمِيعًا ) يقول : ذلك كله إليه وبيده ، يَهْدِي من يشاء إلى الإيمان ، فيوفقه له ، ويضلل من يشاء ، فيخذله ، أفلم يتبين الذين آمنوا بالله ورسوله ، إذ طمعوا في إجابتي من سأل نبيهم ، من تسيير الجبال عنهم ، وتقريب أرض الشام عليهم ، وإحياء موتاهم ، أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا إلى الإيمان به ، من غير إيجاد آية ، ولا إحداث شيء مما سألوها إحدائه ؟ يقول تعالى ذكره : فما معنى محبتهم ذلك ، مع علمهم بأن الهداية والإهلاك إلى وببدي ، أنزلت آية أو لم أنزلها ، أهدى من أشاء بغير إنزال آية ، وأُضِلَّ من أردت مع إنزالها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ، أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَافُ الْمِعَادَ ) .

يقول تعالى ذكره : ولا يزال يا محمد الذين كفروا من قومك ، تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ ، وَتَكْذِبِهِمْ لِيَاك ، وَإِخْرَاجِهِمْ لَكَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ ، قَارِعَةٌ ، وَهِيَ مَا يَتَّقِرُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْعَذَابِ وَالنَّقَمِ ، بِالْقَتْلِ أحيانًا ، وَبِالْحُرُوبِ أحيانًا ، وَالْقَحْطِ أحيانًا ، أَوْ تَحُلُّ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ ، يَقُولُ : أَوْ تَنْزِلُ أَنْتَ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ ، بِجَيْشِكَ وَأَصْحَابِكَ ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ، الَّذِي وَعَدَكَ فِيهِمْ ، وَذَلِكَ ظُهُورُكَ عَلَيْهِمْ ، وَفَتْحُكَ أَرْضَهُمْ ، وَقَهْرُكَ إِيَّاهُمْ بِالسَّيْفِ . ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَافُ الْمِعَادَ ) يَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ مِنْجَزُكَ يَا مُحَمَّدُ مَا وَعَدَكَ مِنَ الظُّهُورِ عَلَيْهِمْ ، لِأَنَّهُ لَا يَخْلَفُ وَعْدَهُ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو داود ، قال : ثنا المسعودي ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ) قال : سرية ( أَوْ تَحُلُّ قَرْيَبًا مِّنْ دَارِهِمْ ) قال محمد : حتى يأتي وعد الله ، قال : فتح مكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن المسعودي ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بنحوه ، غير أنه لم يذكر سرية .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا المسعودي ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه تلا هذه الآية ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ) : قال : القارعة : السرية ( أَوْ تَحُلُّ قَرْيَبًا مِّنْ دَارِهِمْ ) قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم ( حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ) قال : فتح مكة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو غسان ، قال : ثنا زهير ، أن خصيفا حدثهم ، عن عكرمة ، في قوله ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ) أَوْ تَحُلُّ قَرْيَبًا مِّنْ دَارِهِمْ ) قال : نزلت بالمدينة في سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَوْ تَحُلُّ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ قَرْيَبًا مِّنْ دَارِهِمْ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ) قال : سرية ( أَوْ تَحُلُّ قَرْيَبًا مِّنْ دَارِهِمْ ) قال : أنت يا محمد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ) يقول : عذاب من السماء ، ينزل عليهم ( أَوْ تَحُلُّ قَرْيَبًا مِّنْ دَارِهِمْ ) يعني : نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، وقتاله لإيهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ) : تُصَابُ مِنْهُمْ سَرِيَةٌ ، أَوْ تُصَابُ مِنْهُمْ مُصِيبَةٌ ، أَوْ يَحُلُّ مُحَمَّدٌ قَرْيَبًا مِنْ دَارِهِمْ . وقوله ( حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ) قال : الفتح .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عبد الله بن أبي نجيح ( أَوْ تَحُلُّ قَرْيَبًا مِّنْ دَارِهِمْ ) يعني : النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحو حديث الحسن عن شابة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قارعة ، قال : السرايا .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الغفار ، عن منصور ، عن مجاهد ، ( قَارِعَةٌ ) قال : مصيبة من

محمد ( أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ ) قال : أنت يا محمد ( حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ) قال : الفتح .  
قال : ثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد ( قَارِعَةٌ ) قال : كتيبة .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ( تَصِيْبُهُمْ بِمِمَّا  
صَنَعُوا قَارِعَةً ) قال : سرية ( أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ ) قال : أنت يا محمد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
تَصِيْبُهُمْ بِمِمَّا صَنَعُوا قَارِعَةً ) : أي بأعمالهم أعمال السوء ، وقوله ( أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ )  
أنت يا محمد ( حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ) ووعد الله : فتح مكة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( قَارِعَةٌ ) قال : وقية  
( أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ ) قال : يعني : النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول : أو تحل أنت قريبا من  
دارهم .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا محمد بن طلحة ، عن طلحة ، عن مجاهد  
( تَصِيْبُهُمْ بِمِمَّا صَنَعُوا قَارِعَةً ) قال : سرية .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ( تَصِيْبُهُمْ  
بِمِمَّا صَنَعُوا قَارِعَةً ) قال : السرايا : كان يبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم ( أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ )  
أنت يا محمد ( حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ) قال : فتح مكة .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن بعض أصحابه ، عن مجاهد ( تَصِيْبُهُمْ بِمِمَّا صَنَعُوا  
قَارِعَةً ) قال : كتيبة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
تَصِيْبُهُمْ بِمِمَّا صَنَعُوا قَارِعَةً ) قال : قارعة من العذاب .

وقال آخرون : معنى قوله ( أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ ) تحل القارعة قريبا من دارهم .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن  
( أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ ) قال : أو تحل القارعة قريبا من دارهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال ( أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا  
مِّنْ دَارِهِمْ ) قال : أو تحل القارعة .

وقال آخرون في قوله : ( حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ) هو يوم القيامة .  
ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا معمر بن أسد ، قال : ثنا إسماعيل بن حكيم ، عن رجل قد سماه ، عن الحسن  
في قوله ( حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ) قال : يوم القيامة .



## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكُمْ ، فَأَمَدَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، ثُمَّ أَخَذْتُمُهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ

عِقَابٍ ؟ (٣٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد إن يستهزئ هؤلاء المشركون من قومك ، ويطلبوا منك الآيات ، تكذيباً منهم ما جئتهم به ، فاصبر على أذاهم لك ، وامض لأمر ربك في إعدارهم ، والإعذار إليهم ، فلقد استهزأت أمم من قبلك ، قد خللت فضت برسول ، فأطلت لهم في المهمل ، ومددت لهم في الأجل ، ثم أحللت بهم عذابي ونقمتي ، حين تمادوا في غيبيهم وضلالهم ، فانظر كيف كان عقابي إياهم حين عاقبتهم ، ألم أذقهم ألم العذاب ، وأجعلتهم عبرة لأولي الألباب . والإملاء في كلام العرب : الإطالة ، يقال منه : أمليت لفلان : إذا أطلت له في المهمل ، ومنه المألوة من الدهر ، ومنه قولهم : تملّيت حيناً ، ولذلك قيل لليل والنهار : المملوان ، لطولهما ، كما قال ابن مقبل :

ألا يا ديارَ الحَيِّ بالسَّبْعانِ أَلَحَّ عَتَيْتُهَا بالبَلَى المَلَوَانِ !

وقيل للخرق الواسع من الأرض : مَمَلًا ، كما قال الشاعر :

فأخضَلَّ منها كُلُّ بالٍ وَعَسِينِ وجَفَّ الرَوَايا بالمِلا المُتَباطِنِ ٢

لطول ما بين طرفيه وامتداده .

## القول في تأويل قوله تعالى

أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ، قُلْ : سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِيْظَهْرِ مِّنَ الْقَوْلِ ، بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ، وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : أفالرب الذي هو دائم لا يبيد ولا يهلك ، قائم بحفظ أرزاق جميع الخلق ، متضمن لها ، عالم بهم وبما يكسبونه من الأعمال ، رقيب عليهم ، لا يعزب عنه شيء أينما كانوا ، كمن هو هالك بائد ، لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم شيئاً ، ولا يدفع عن نفسه ، ولا عن يعبده ضرراً ، ولا يجلب إليهما نفعاً ،

(١) البيت تميم بن أبي بن مقبل (اللسان : ملا) استشهد به على أن المملوان طرفا النهار . واحدهما : ملا ، مقصور ، يقال : لا أفعله ما احتطفت المملوان ، واستشهد به المؤلف ، على أن المملوين : الليل والنهار . وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٣٣٣) ويقال ليل والنهار المملوان ، لطولهما ، وقال ابن مقبل . . . البيت . ويقال للخرق الواسع من الأرض : ملا مقصور ، قال : « ملا لا تحطاه العيون رغيب » .

(٢) البيت للفرمانج بن حكيم (اللسان : عين) قال : وسقاء عين ، وعين (بفتح الياء المشددة وكسرهما) والكسر أكثر ، كلاهما إذا سال ماؤه ، عن اللحياني . وقيل : الحديد ، طائفة ، قال الفرمانج : فاحضل . . . البيت . واستشهد به المؤلف على أن الخرق الواسع من الأرض : يقال له ملا .

كلاهما سواء؟ وحذف الجواب في ذلك، فلم يقل. وقد قيل: (أَفَنُّ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) ككذا وكذا؟ اكتفاء بعلم السامع بما ذكر عما تترك ذكره، وذلك أنه لما قال جل ثناؤه: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ) علم أن معنى الكلام كشركايم التي اتخذوها آلهة، كما قال الشاعر:

تَحْتَرِي حُسْرَتِ أُمَّ عَالٍ بَيْنَ قَصِيرٍ شَبْرُهُ تَنْبَالٍ  
أَذَاكَ أُمَّ مُنْخَرِقِ السَّرْبَالِ وَلَا يَزَالُ آخِرَ اللَّيَالِي  
مُتَلْفٍ مَالٍ وَمُفْتِيدٍ مَالٍ ١

ولم يقل وقد قال: «شبره تنبال»، وبين كذا وكذا، اكتفاء منه بقول: أذاك أم منخرق السربال، ودلالة الخبر عن المنخرق السربال، على مراده في ذلك، وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَفَنُّ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) ذلكم ربكم تبارك وتعالى، قائم على بني آدم بأرزاقهم وآجالهم، وحفظ عليهم - والله - أعمالهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (أَفَنُّ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) ٢.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (أَفَنُّ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) يعني بذلك نفسه. يقول: هو معكم أيها كنتم، فلا يعمل عامل إلا وهو حاضر. ويقال: هم الملائكة الذين وكلوا ببني آدم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج (أَفَنُّ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) على رزقهم، وعلى طعامهم، فأنا على ذلك قائم، وهم عبيدي، ثم جعلوا لي شركاء. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (أَفَنُّ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ): فهو الله قائم على كل نفس: برّ وفاجر، يرزقهم ويكلؤهم، ثم يشرك به منهم من أشرك.

وقوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ) أم تُنْبِئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ، أم بظاهري

(١) هذا الرجز: رواه الفراء في معاني القرآن في الوردتين (١٥٩، ١٦٠) شاهدا عند قوله تعالى: «أَفَنُّ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» قال: ترك جوابه، ولم يقل ككذا وكذا، لأن المعنى معلوم، وقد بينه ما بعده، إذ قال: وجعلوا لله شركاء، كأنه في المعنى قال: شركاءهم الذين اتخذوهم، ومثله قول الشاعر: تخيري... الخ (الآيات) كأنه قال: تخيري بين كذا وبين منخرق السربال. فلما أن أتى به في الذكر، كفى من إعادة الإعراب عليه. ومعنى التنبال: القصير. والشبر بالفتح: قياس الشيء بالشبر. والسربال القعيص. ومتلف مال: منتهق. ومفيد مال: كاسبه.

(٢) أي إلى آخر ما رواه عنه بشر بن معاذ، في الحديث الأول.



مِنَ الْقَوْلِ ) يقول تعالى ذكره: أنا القائم بأرزاق هؤلاء المشركين ، والمديبر أمورهم ، والحافظ عليهم أعمالهم ، وجعلوا لي شركاء من خلقي ، يعبدونها دوني ، قل لهم : يا محمد : سمّوا هؤلاء الذين أشركتموهم في عبادة الله ، فإنهم إن قالوا : آلهة ، فقد كذبوا ، لأنه لا إله إلا الواحد القهار ، لا شريك له . ( أمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمِمَّا لَا يَلْعَلُمُ فِي الْأَرْضِ ) يقول : أنخبرونه بأن في الأرض لها ، ولا إله غيره في الأرض ولا في السماء . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ، قُلْ سَمُّوهُمْ ) ولو سمّوهم آلهة لكذبوا ، وقالوا في ذلك غير الحق ، لأن الله واحد ليس له شريك ، قال الله ( أمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمِمَّا لَا يَلْعَلُمُ فِي الْأَرْضِ ، أمْ يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ ) ؟ يقول : لا يعلم الله في الأرض إلها غيره .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ، قُلْ سَمُّوهُمْ ) والله خلقهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ : سَمُّوهُمْ ) ولو سمّوهم كذبوا ، وقالوا في ذلك ما لا يعلم الله من إله غير الله ، فذلك قوله ( أمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمِمَّا لَا يَلْعَلُمُ فِي الْأَرْضِ ، أمْ يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ ) مسموع ، وهو في الحقيقة باطل لاصحة له . وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، غير أنهم قالوا : أم بظاهر ، معناه : أم بباطل ، فأتوا بالمعنى الذي تدلّ عليه الكلمة ، دون البيان عن حقيقة تأويلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ) بظن .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن قتادة ، قوله ( أمْ يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ ) والظاهر من القول : هو الباطل .

حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ( أمْ يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ ) يقول : أم بباطل من القول وكذب ، ولو قالوا ، قالوا الباطل والكذب .

وقوله ( بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ ) : يقول تعالى ذكره : ما لله من شريك في السموات ولا في الأرض ، ولكن زين للمشركين الذين يدعون من دونه إلها مكرهم ، وذلك افتراءهم وكذبهم على الله ، وكان مجاهد يقول : معنى المكر ههنا : القول ، كأنه قال : قولهم بالشرك بالله .

حدثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( بَلِّغْ زَيْنَ اللَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ ) قال : قولهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله : وأما قوله ( وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ) فإن القراء اختلفت في قراءته ، فقراءته عامة قراء الكوفيين : ( وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ) بضم الصاد ، بمعنى : وصدَّهم الله عن سبيله ، لكفرهم به ، ثم جعلت الصاد مضمومة ، إذ لم يسم فاعله . وأما عامة قراء الحجاز والبصرة ، فقرءوه بفتح الصاد ، على معنى أن المشركين هم الذين صدَّوا الناس عن سبيل الله .

والصواب من القول في ذلك عندي : أن يُقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما أمة من القراء ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن المشركين بالله ، كانوا مصدودين عن الإيمان به ، وهم مع ذلك كانوا يصدون غيرهم ، كما وصفهم الله به بقوله : ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ) .

وقوله ( وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ) يقول تعالى ذكره : ومن أضله الله عن إصابة الحق والهدى ، بخذلانه إياه ، فما له أحد يهديه لإصابتهما ، لأن ذلك لا ينال إلا بتوفيق الله ومعونته ، وذلك بيد الله وإليه ، دون كل أحد سواه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ، وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٣٤)

يقول تعالى ذكره هؤلاء الكفار الذين وصف صفتهم في هذه السورة ، عذاب في الحياة الدنيا ، بالقتل والإسار والآفات ، التي يصيبهم الله بها ، ( وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ) يقول : ولتعذيب الله إياهم في الدار الآخرة ، أشد من تعذيبه إياهم في الدنيا وأشق ، إنما هو أفعال من المشقة . وقوله ( وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ) يقول تعالى ذكره : وما هؤلاء الكفار من أحد يقبهم من عذاب الله إذا عذبهم ، لاهم ولا ولي ولا نصير ، لأنه جل جلاله لا يعاديه أحد فيقهره ، فيخلصه من عذابه بالقهر ، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، وليس يأذن لأحد في الشفاعة لمن كفر به ، فمات على كفره قبل التوبة منه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ، تِلْكَ عُقْبَى

الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥)

اختلف أهل العلم بكلام العرب في رافع المثل ، فقال بعض نحويي الكوفيين : الرفع للمثل قوله ( تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) في المعنى ، وقال : هو كما تقول : حيلة فلان : أسمى كذا وكذا ، فليس الأسم بمرفوع

(١) في اللسان : العباد والبلاد : المناهضة .



بالحلية ، إنما هو ابتداء : أى هو أسمى ، هو كذا . قال : ولو دخل أن فى مثل هذا كان صوابا . قال : ومثله فى الكلام : مَسَلْتُكَ أَنْكَ كَذَا ، وَأَنْكَ كَذَا . وقوله (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ : أَنَا) من وجه : مَسَلَّ الْجَنَّةَ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ : فِيهَا . ومن قال : أَنَا صَبِينَا الْمَاءَ ، أَظْهَرَ الْأَسْمَ ، لِأَنَّهُ مُرَدُّودٌ عَلَى الطَّعَامِ بِالْخَفْضِ ، وَمُسْتَأْنَفٌ : أَي طَعَامُهُ أَنَا صَبِينَا ، ثُمَّ فَعَلْنَا . وقال : معنى قوله (مَسَلَّ الْجَنَّةَ) : صفات الجنة . وقال بعض نحوِّي البصريين : معنى ذلك : صفة الجنة ، قال : ومنه قول الله تعالى (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) معناه : والله الصفة العليا . قال : فعنى الكلام فى قوله (مَسَلَّ الْجَنَّةَ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ : تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أو فيها أنهار . كأنه قال : وَصَفَ الْجَنَّةَ : صِفَةَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، أَوْ صِفَةَ فِيهَا أَنْهَارٌ . والله أعلم . قال : ووجه آخر ، كأنه إذا قيل : مثل الجنة ، قيل : الجنة التى وعد المتقون . قال : وكذلك قوله (وَأَنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ، كأنه قال : بالله الرحمن الرحيم ، والله أعلم . قال : وقوله : (عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ) فى ذات الله ، كأنه عندنا قيل : فى الله ، قال وكذلك قوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) إنما المعنى : ليس كشيء ، وليس مثله شيء ، لأنه لا مثل له . قال : وليس هذا كقولك للرجل : ليس كمثلك أحد ، لأنه يجوز أن يكون له مثل ، والله لا يجوز ذلك عليه . قال : ومثله قول لبيد :

إلى الحولِ ثمَّ اسمُ السلامِ عليكما<sup>١</sup>

قال : وفسر لنا : أنه أراد : السلام عليكما ؛ قال أوس بن حجاج :

وقَتَلَى كِرَامِ كَيْشَلِ الْجُدُوعِ تَغَشَّاهُمْ سَبِيلٌ مُسْنَهَمِيرٌ<sup>٢</sup>

قال : والمعنى عندنا : كالجذوع ، لأنه لم يرد أن يجعل للجذوع مثلا ، ثم يشبه القتل به . قال :

ومثله قول أمية :

زُحِلُّ وَثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ وَالنَّسْرُ لِلْأُخْرَى ، وَلَيْتَ مُرْصَدٌ<sup>٣</sup>

(١) هذا شعر بيت لبيد بن ربيعة العامري فى ديوانه ، وفى خزانة الأدب للبغدادى (٢ : ٣١٧) وما بعدها) من كلمة له يخاطب بها ابنته ، حين حضرته الوفاة ، قال :

تمنى ابتشأى أن يعيش أبوهما وما أنا إلا من ربيعة أو مضر

فقوما فقولا بالذى تعلماته ولا تخمشا وجهها ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرء الذى لا صديقه أضاع ولا خان الخليل ولا غدر

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

ويستشهد النحويون بالبيت ، على أن لفظ « اسم » مقوم عند بعض النحاة . قال ابن جني فى الخصائص : هذا قول أبو عبيدة ؛ وكذلك قال فى باسم الله .

وقال السبيل : لم يرد الشاعر إيقاع التسليم عليهما حينه ، وإنما أراد به بعد الحول ، فلو قال : ثم السلام عليكما ، لكان مسلما فى وقته ، الذى نطق به فى البيت ، فلذا ذكر الاسم ، وانظر تفصيل الكلام على البيت فى الخزانة . وقد استشهد به الطبرى على زيادة لفظ « اسم » كما قال أبو عبيدة .

(٢) تغشاهم : غطاهم ، والسيل : المطر . والمنهمر : الغزير . والبيت شاهد على أن لفظ « مثل » زائد . يريد : وقتل كرام كالجذوع . ولم أجد البيت فى شعراء النصرانية .

(٣) البيت لأمية بن أبي الصلت الثقفى (ديوانه طبعه لبيد ص ٢٩) وقد أشار فى هامشه إلى رواية الطبرى هذه ، وفى متنه . « رجل » فى موضع « زحل » .

قال : فقال تحت رجل يمينه ، كأنه قال : تحت رجله ، أو تحت رجله اليميني ؛ قال : وقول لبيد :  
أضَلَّ صَوَارَهُ وَتَضَيَّفْتَهُ نَطُوفُ أَمْرُهَا بِيَدِ الشَّمَالِ  
كأنه قال : أمرها بالشمال ، وإلى الشمال ؛ وقول لبيد أيضا :

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ ٢

فكأنه قال : حتى وقعت في كافر . وقال آخر منهم : هومن المكفوف عن خبره ، قال : والعرب تفعل ذلك . قال : وله معنى آخر : للذين استجابوا لربهم الحسن ، مثل الجنة ، موصول صفة لها على الكلام الأوّل . قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال ذكر المثل ، فقال مثل الجنة ، والمراد الجنة ، ثم وصفت الجنة بصفتها ، وذلك أن مثلها إنما هو صفتها ، وليست صفتها شيئا غيرها . وإذا كان ذلك كذلك ، ثم ذكر المثل ، فقيل : مثل الجنة ، ومثلها صفتها وصفة الجنة ، فكان وصفها كوصف المثل ، وكان كأن الكلام جرى بذكر الجنة ، فقيل : الجنة تجري من تحتها الأنهار ، كما قال الشاعر :

أَرَى مَرَّةً السُّنَيْنَ أَخَذْنَ مِيَّيَ كَمَا أَخَذَ السَّرَارُ مِنَ الْهَيْسَالِ ٣

فذكر المرّة ، ورجع في الخبر إلى السنين .

وقوله ( أكلُّها دائمٌ وظلُّها ) يعني : ما يؤكل فيها . يقول : هو دائم لأهلها ، لا ينقطع عنهم ، ولا يزول ، ولا يبديد ، ولكنه ثابت إلى غير نهاية . وظلها : يقول : وظلها أيضا دائم ، لأنه لا شمس فيها . ( تلكَ عَفْسِي الَّذِينَ اتَّقَوْا ) يقول : هذه الجنة التي وصف جل ثناؤه ، عاقبة الذين اتقوا الله ، فاجتنبوا معاصيه ، وأدّوا فرائضه .

وقوله ( وَعَفْسِي الْكَافِرِينَ النَّارُ ) يقول : وعاقبة الكافرين بالله النار .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ اتَّيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ، وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ  
بَعْضَهُ ، قُلْ : إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ، إِلَيْهِ أَدْعُوا ، وَإِلَيْهِ مَتَابٍ (٣٦)

(١) البيت لبيد في ديوانه (رواية الطوسي طبعه فينا سنة ١٨٨٠) قال في (١ : ١١٢) . أضل هذا الناشط بقرة . وتضيفته : نزلت به . ونطوف : سحابة تنطف بالماء ، أمرها بيد الشمال : أراد البرد والمطر . قال أبو عمرو : نطوف : سحابة تسيل قليلا قليلا . والصوار : قطع بقر الوحش . يقول : أضله فلم يدر كيف أخذ ، وبني فردا . وقوله تضيفته نطوف : هذا مثل ، أي نزلت به منزل الضيف نطوف سائلة ، وهي سحابة تطف ، أمرها بيد الشمال ، بإذن الله .

(٢) هذا صدر بيت لبيد بن ربيعة ، من معلقته المشهورة (بجمرة أشعار العرب ل محمد بن أبي الخطاب القرشي ص ٧٢) وتماهه : « وأجن عورات الثغور ظلامها » . وقال الزوزني في شرحه للمعلقات السبع : الكافر : الليل ، سمى به لكفره الأشياء ، أي لستره ، والكافر : الستر . والإجنان الستر أيضا . والثر : موضع الخافة ، والجمع : الثغور ، وهورته : أشد خافة . يقول : حتى إذا ألتقت الشمس يدها في الليل ، أي ابتدأت في الغروب ، وعبر عن هذا المعنى بالقاء اليد ، لأن من ابتداء بالشيء قيل ألقى يده فيه ، وستر الظلام مواضع الخافة . والضمير الذي بعد ظلامها : للثورات . وتحرير المعنى : حتى إذا غربت الشمس ، وأظلم الليل .

(٣) البيت سبق الاستشهاد به وشرحه ، في الجزء الثاني عشر من هذه الطبعة ، فراجعه ثمة (١٢ : ١٥٧) .



يقول تعالى ذكره : والذين أنزلنا إليهم الكتاب من آمن بك واتبعك يا محمد ( يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ) منه ( وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ) يقول : ومن أهل الملل المنحويين عليك ، وهم أهل أديان شتى ، من ينكر بعض ما أنزل إليك . فقل لهم ( إِنَّمَا أُمِرْتُ ) أيها القوم ( أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ ) وحده ، دون ما سواه ( وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ) : فأجعل له شريكا في عبادتي ، فأعبد معه الآلهة والأصنام ، بل أخلص له الدين حنيفا مسلما ( إِلَيْهِ أَدْعُو ) يقول : إلى طاعته ، وإخلاص العبادة له ، أَدْعُو النَّاسَ ( وَإِلَيْهِ مَأْبٍ ) يقول : وإليه مَصِيرِي ، وهو مَفْعَلٌ ، من قول القائل : آب يثوب أوبا ومآبا .  
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ) أولئك أصحاب محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فرحوا بكتاب الله وبرسوله وصدقوا به . قوله ( وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ) يعني اليهود والنصارى .  
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ) قال : من أهل الكتاب .  
حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .  
حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ) ، وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ) من أهل الكتاب ، والأحزاب : أهل الكتب ، تفريقهم لحزبهم . قوله ( وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابَ ) قال : لتحزبهم على النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن جريج ، وقال عن مجاهد ( يُنْكِرُ بَعْضَهُ ) قال : بعض القرآن .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَإِلَيْهِ مَأْبٍ ) : وإليه مصير كل عبد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ) قال : هذا من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، فيفرحون بذلك ، وقرأ ( وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ) ، وفي قوله ( وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ) قال : الأحزاب : الأمم اليهود والنصارى والمجوس ، منهم من آمن به ، ومنهم من أنكره .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ، مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : وكما أنزلنا عليك الكتاب يا محمد ، فأنكره بعض الأحزاب ، كذلك أيضا أنزلنا الحكم والدين حكما عربيا ، وجعل ذلك عربيا ، ووصفه به ، لأنه أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو عربي ، فنسب الدين إليه ، إذ كان عليه أنزل ، فكذب به الأحزاب ، ثم نهاه جل ثناؤه عن ترك ما أنزل إليه ، واتباع الأحزاب ، وتهديده على ذلك إن فعله ، فقال : ولئن اتبعت يا محمد أهواءهم ، أهواء هؤلاء الأحزاب ، ورضاهم ومحبتهم ، وانتقلت من دينك إلى دينهم ، مالك ممن يقيق عذاب الله إن عذبتك على اتباعك أهواءهم ، ومالك من ناصر ينصرك ، فيستنقذك من الله إن هو عاقبك ، يقول : فاحذر أن تتبع أهواءهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً ، وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨)

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا) يا محمد (رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ) إلى أمم قد خلت من قبل أمتك ، فجعلناهم بشرا مثلك ، لهم أزواج : ينكحون . وذرية : أنسلوهم ، ولم نجعلهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ، ولا يتكبحون ، فنجعل الرسول إلى قومك من الملائكة مثلهم ، ولكن أرسلنا إليهم بشرا مثلهم ، كما أرسلنا إلى من قبلهم من سائر الأمم بشرا مثلهم . (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) : يقول تعالى ذكره : وما يقدر رسول أرسله الله إلى خلقه ، أن يأتي أمة بآية وعلامة ، من تسيير الجبال ، ونقل بلدة من مكان إلى مكان آخر ، وإحياء الموتى ، ونحوها من الآيات ، إلا بإذن الله ، يقول : إلا بأمر الله الجبال بالسير ، والأرض بالانتقال ، والميت بأن يحيى (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) يقول : لكل أجل : أمر قضاة الله . كتاب : قد كتبه ، فهو عنده . وقد قيل : معناه : لكل كتاب أنزله الله من السماء أجل .

أذكر من قال ذلك

حدثني المنفي ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) يقول : لكل كتاب ينزل من السماء أجل ، فيمحو الله من ذلك ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب . قال أبو جعفر : وهذا على هذا القول ، نظير قول الله : (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول : (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ) ؛ وذلك أن سكرة الموت تأتي بالحق ، والحق يأتي بها ، فكذلك الأجل له كتاب ، وللكتاب أجل .

القول في تأويل قوله تعالى

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)

يختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : يمحو الله ما يشاء من أمور عباده ، فيغيره ، إلا الشقاء والسعادة ، فلنهما لا يغيران .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا بحر بن عيسى ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، في قوله ( يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ) قال : يدبر الله أمر العباد ، فيمحو ما يشاء ، إلا الشقاء والسعادة والموت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، في قوله ( يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ) قال : كل شيء غير السعادة والشقاء ، فإنهما قد فرغ منهما .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا يزيد ، وحدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، عن سفيان ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس يقول ( يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ) قال : إلا الشقاء والسعادة ، والموت والحياة .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين وقيصة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، في قوله ( يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ) قال : قال ابن عباس : إلا الحياة والموت ، والشقاء والسعادة .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، في قوله ( يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ) قال : يقدر الله أمر السنة في ليلة القدر ، إلا الشقاء والسعادة ، والموت والحياة .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ) قال : إلا الحياة والموت ، والسعادة والشقاوة ، فإنهما لا يتغيران .

حدثنا عمرو ، قال ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا معاذ بن عقبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، قال : قلت لمجاهد : إن كنت كتبتني سعيداً فأثبتني ، وإن كنت كتبتني شقيماً فامحني ، قال : الشقاء والسعادة قد فرغ منهما .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : ثنا سعيد بن سلمان ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد ( يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ) قال : ينزل الله كل شيء في السنة في ليلة القدر ، فيمحو ما يشاء من الآجال والأرزاق والمقادير ، إلا الشقاء والسعادة ، فإنهما ثابتان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : سألت مجاهداً فقلت : رأيت دعاء أحدنا

يقول : اللهم إن كان اسمي في السعداء فأثبتته فيهم ، وإن كان في الأشقياء فامحُهم منهم ، واجعله في السعداء ، فقال : حسن . ثم أتيت بعد ذلك بحول أو أكثر من ذلك ، فسألته عن ذلك ، فقال ( إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ ، إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ) قال : يُقْضَى في ليلة القدر ، ما يكون في السنة من رزق أو مصيبة ، ثم يقدم ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء . فأما كتاب الشقاء والسعادة ، فهو ثابت لا يُغَيَّر . وقال آخرون : معنى ذلك : أن الله يمحو ما يشاء ويثبت من كتاب سوى أم الكتاب الذي لا يغير منه شيء .

## ذكر من قال ذلك

حدثني المنني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن سليمان التيمي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه قال في هذه الآية : ( يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ) قال : كتابان : كتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، قال : ثنا سليمان التيمي ، عن عكرمة ، في قوله ( يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ) قال : الكتاب كتابان ، كتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن سليمان التيمي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس بمثله . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : الكتاب كتابان ( يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ) . وقال آخرون : بل معنى ذلك أنه يمحو كل ما يشاء ، ويثبت كل ما أراد .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام ، عن الأعمش ، عن شقيق أنه كان يقول : اللهم إن كنت كتبنا أشقياء ، فامحنا وكتبنا سعداء ، وإن كنت كتبنا سعداء فامحنا ، فإني تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبي وائل ، قال : كان مما يكثُر أن يدعو بهؤلاء الكلمات : اللهم إن كنت كتبنا أشقياء فامحنا ، وكتبنا سعداء ، وإن كنت كتبنا سعداء فامحنا ، فإني تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب .

قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبي ، عن أبي حكيمة ، عن أبي عثمان النهدي ، أن عمر بن الخطاب قال : وهو يطوف بالبيت ويبكي : اللهم إن كنت كتبت علي شقوة أو ذنبا فامحه ، فإني تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب ، فاجعله سعادة ومغفرة .

قال : ثنا معتمر ، عن أبيه ، عن أبي حكيمة ، عن أبي عثمان ، قال : وأحسبني قد سمعته من أبي عثمان ، مثله .



قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرّة بن خالد ، عن عريضة بن أبي حكيم ، عن أبي عثمان النهدي ، عن عمر رضي الله عنه ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا أبو حكيم ، قال : سمعت أبا عثمان النهدي ، قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول وهو يطوف بالكعبة : اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة ، فأثبتني فيها ، وإن كنت كتبت عليّ الذنب والشقوة ، فأعني وأثبتني في أهل السعادة ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب .

قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عن ابن مسعود ، أنه كان يقول : اللهم إن كنت كتبتني في أهل الشقاء فأعني ، وأثبتني في أهل السعادة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ) يقول : هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ، ثم يعود لمعصية الله ، فيموت على ضلاله ، فهو الذي يمحو . والذي يثبت : الرجل يعمل بمعصية الله ، وقد كان سبق له خير ، حتى يموت وهو في طاعة الله ، فهو الذي يثبت .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن هلال بن حميد ، عن عبد الله بن حكيم ، عن عبد الله ، أنه كان يقول : اللهم إن كنت كتبتني في السعداء ، فأثبتني في السعداء ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن أبي حمزة ، عن إبراهيم ، أن كعبا قال لعمر رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين ، لولا آية في كتاب الله ، لأنبأتك ما هو كائن إلى يوم القيامة . قال : وما هي ؟ قال : قول الله ( يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ) . . . الآية ، يقول ( يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ ) يقول : أنسخ ما شئت ، وأصنع من الأفعال ما شئت ، إن شئت زدت فيها ، وإن شئت نقصت .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا همام ، قال : ثنا الكلبي ، قال ( يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ) قال : يَمْحَى من الرزق ويزيد فيه ، وَيُثَبِّتُ من الأجل ، ويزيد فيه . قلت : من حدثك قال : أبو صالح ، عن جابر بن عبد الله بن رثاب الأنصاري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقدم الكلبي بعد ، فسئل عن هذه الآية ( يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ) قال : يكتب القول كله ، حتى إذا كان يوم الخميس ، طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ، ولا عليه عقاب ، مثل قولك : أكلت ، شربت ، دخلت ، خرجت ، ونحو ذلك من الكلام ، وهو صادق ، ويثبت ما كان فيه الثواب ، وعليه العقاب .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : سمعت الكلبي ، عن أبي صالح نحوه ، ولم يجاوز أبا صالح . وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن الله ينسخ ما يشاء من أحكام كتابه ، ويثبت ما يشاء منها ، فلا ينسخه .

## ذكر من قال ذلك

حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ ) قال : من القرآن ، يقول بيدل الله ما يشاء ، فينسخه ، ويثبت ما يشاء ، فلا يبدله ( وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ) يقول : وجملة ذلك عنده في أم الكتاب : الناسخ والمنسوخ ، وما يُبدل وما يثبت ، كل ذلك في كتاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ) : هي مثل قوله ( مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ) ، وقوله ( وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ) : أي جملة الكتاب وأصله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ) ما يشاء ، وهو الحكيم ( وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ) وأصله .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ ) بما ينزل على الأنبياء . ( وَيُثَبِّتُ ) ما يشاء : مما ينزل على الأنبياء ، قال ( وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ) لا يغير ولا يبدل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ( يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ ) قال : ينسخ ، قال ( وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ) قال : الذكر .  
وقال آخرون : معنى ذلك ، أنه يمحو من قد حان أجله ، ويثبت من لم يجيء أجله إلى أجله .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن ، في قوله ( يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ) يقول : يمحو من جاء أجله فذهب ، والثبت الذي هو حي يجرى إلى أجله .  
حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا عوف ، قال : سمعت الحسن ( يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ ) قال : من جاء أجله ( وَيُثَبِّتُ ) قال : من لم يجيء أجله إلى أجله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا هروذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، نحو حديث ابن بشار ؛ قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، قال : أخبرنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله ( لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ) قال : آجال بني آدم في كتاب . ( يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ ) من أجله ، ( وَيُثَبِّتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ) .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قول الله ( يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ) قالت قريش حين أنزل ( وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ) ما نراك يا محمد تملك من شيء ، ولقد فرغ من الأمر ، فأنزلت هذه الآية ، تخويفا ووعيدا لهم ، إنا إن شئنا أحدثنا له من



أمرنا ما شئنا ، ونحدث في كل رمضان ، فنمحو ونثبت ما نشاء من أرزاق الناس ومصائبهم ، وما نعطيهم ، وما نقسم لهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .  
وقال آخرون : معنى ذلك : ويغفر ما يشاء من ذنوب عباده ، ويترك ما يشاء فلا يغفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد ، في قوله ( يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ) قال : يُثَبِّتُ فِي الْبَطْنِ الشَّقَاءَ وَالسَّعَادَةَ وَكُلَّ شَيْءٍ ، فيغفر منه ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء .  
يُثَبِّتُ وَأُولَى الْأَقْوَالِ الَّتِي ذَكَرْتَ فِي ذَلِكَ بِنَاوِيلِ الْآيَةِ ، وَأَشْبَهَهَا بِالصَّوَابِ : الْقَوْلَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنِ الْحَسَنِ وَمَجَاهِدٍ . وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ ، تَوَعَّدَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآيَاتِ ، بِالْعُقُوبَةِ ، وَتَهَدَّاهُمْ بِهَا ، وَقَالَ لَهُمْ : ( وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، لِيَكُلَّ أَجَلٌ كِتَابٌ ) يُعَلِّمُهُمْ بِذَلِكَ أَنَّ لِقَضَائِهِ فِيهِمْ أَجْلا مَثْبُتًا فِي كِتَابٍ ، هُمْ مُؤَخَّرُونَ إِلَى وَقْتٍ مَجْبِيِّ ذَلِكَ الْأَجَلِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : فَإِذَا جَاءَ ذَلِكَ الْأَجَلُ ، يَجْبِيهِ اللَّهُ بِمَا شَاءَ ، مِمَّنْ قَدْ دَنَا أَجَلُهُ ، وَانْقَطَعَ رِزْقُهُ ، أَوْ حَانَ هَلَاكُهُ ، أَوْ انْتِصَاعُهُ مِنْ رِفْعَةٍ ، أَوْ هَلَاكُ مَالٍ ، فَيَقْضَى ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ ، فَذَلِكَ مَحْوُهُ ؛ وَيُثَبِّتُ مَا شَاءَ مِنْ بَقِي أَجَلِهِ وَرِزْقِهِ وَأَكْلَهُ ، فَيُتْرَكُهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، فَلَا يَمْحُوهُ ، وَبِهَذَا الْمَعْنَى جَاءَ الْأَثَرُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وذلك ما حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا الليث بن سعد ، عن زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ الذِّكْرَ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ يَبْقَسِينَ مِنَ اللَّيْلِ ، فِي السَّاعَةِ الْأُولَى مِنْهُنَّ ، يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَنْظُرُ فِيهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ ، فَيَمْحُو ما يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ » ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا فِي السَّاعَتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ .

حدثنا موسى بن سهل الرملي ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا الليث ، قال : ثنا زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ يَبْقَسِينَ مِنَ اللَّيْلِ ، يَفْتَحُ الذِّكْرَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ ، يَمْحُو ما يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ما يَشَاءُ » .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : إن لله لوحا محفوظا ، مسيرة خمسمائة عام ، من درة بيضاء ، لها دفتان من ياقوت ، والدفتان : لوحان لله ، كل يوم ثلاث مئة وستون لحظة ، يمحو ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : ثنى رجل ، عن أبيه ، عن قيس بن عباد ، أنه قال : العاشر من رجب ، هو يوم يمحو الله فيه ما يشاء .

## القول في تأويل قوله تعالى

(وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) :

اختلف أهل التأويل ، في تأويل قوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) فقال بعضهم : معناه : وعنده الحلال والحرام .

## ذكر من قال ذلك

حدثني المنفي ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا محمد بن عقبة ، قال : ثنا مالك بن دينار ، قال : سألت الحسن : قلت ( أُمُّ الْكِتَابِ ) قال : الحلال والحرام ، قال : قلت : فما الحمد لله رب العالمين ؟ قال : هذه أم القرآن .  
وقال آخرون : معناه : وعنده حملة الكتاب وأصله .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : جملة الكتاب وأصله .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله : (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : كتاب عند رب العالمين .  
حدثني المنفي ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف ، عن جوير ، عن الضحاک (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : جملة الكتاب وعلمه ، يعني بذلك ما ينسخ منه وما يثبت .  
حدثني المنفي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) يقول : وجملة ذلك عنده في أم الكتاب : النسخ والمنسوخ ، وما يبدل ، وما يثبت ، كل ذلك في كتاب .  
وقال آخرون في ذلك : ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن شيبان ، عن ابن عباس ، أنه سأل كعبا عن أم الكتاب ، قال : علم الله ما هو خالق ، وما خلقه عاملون ، فقال لعلمه : كن كتابا ، فكان كتابا .  
وقال آخرون : هو الذكر .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج . قال أبو جعفر : لأدرى فيه ابن جريج أم لا ، قال : قال ابن عباس (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : الذكر .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : وعنده أصل الكتاب وجملة ، وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه يمحو ما يشاء ، ويثبت ما يشاء ، ثم عقب ذلك بقوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) فكان بيّنا أن معناه : وعنده أصل المثبت منه والممحو ، وجملة في كتاب لديه .



واختلفت القراء في قراءة قوله (وَيُسَبِّتُ) فقرأ ذلك عامة قرآء المدينة والكوفة (وَيُسَبِّتُ) ، بتشديد الباء ، بمعنى : ويتركه ويقرّه على حاله ، فلا يحويه . وقرأه بعض المكيين وبعض البصريين ، وبعض الكوفيين (وَيُسَبِّتُ) بالتخفيف ، بمعنى : يكتب . وقد بينّا قبل أن معنى ذلك عندنا : إقراره مكتوبا ، وترك محوه على ما قد بينّا ، فإذا كان ذلك كذلك ، فالتثنية به أولى ، والتشديد أصوب من التخفيف ، وإن كان التخفيف قد يحتمل توجيهه في المعنى إلى التشديد ، والتشديد إلى التخفيف ، لتقارب معنيهما .  
وأما المحو ، فإن للعرب فيه لغتين : فأما مَضَّرَ فلأنها تقول : محوت الكتاب أمحوه محوا ، وبه التنزيل ، ومحوته أمحاه محوا . وذكر عن بعض قبائل ربيعة : أنها تقول : سَحَّيْتُ أمحي .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِيَنَّكَ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ ، وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين بالله ، من العقاب على كفرهم ، أو نتوفينك قبل أن نريك ذلك ، فإنما عليك أن تنتهي إلى طاعة ربك ، فيما أمرك به من تبليغهم رسالته ، لا طلب صلاحهم ولا فسادهم ، وعلينا محاسبتهم ، فمجازاتهم بأعمالهم ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

القول في تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ، وَاللَّهُ يَخْتَصِمُ لِحُكْمِهِ

وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١)

يختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أو لم ير هؤلاء المشركون من أهل مكة ، الذين يسألون محمدا الآيات ، أنا نأتي الأرض ، فنفتحها له أرضا بعد أرض ، حوآلى أرضهم ، أفلا يخافون أن نفتح له أرضهم ، كما فتحنا له غيرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال : أو لم يروا أنا نفتح لحمد الأرض بعد الأرض .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) يعني بذلك : ما فتح الله على محمد ، يقول : فذلك نقصانها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ، قال : ما تغلبت عليه من أرض العدو .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : كان الحسن يقول في قوله : ( أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ) فهو ظهور المسلمين على المشركين .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ( أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ) يعني أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان ينقص له ماحوله من الأرضين ، ينظرون إلى ذلك ، فلا يعتبرون ، قال الله في سورة الأنبياء : ( نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ، أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ؟ ) بل نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم الغالبون .

وقال آخرون : بل معناه : أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ فَتُخْرِبُهَا ، أَوْ لَا يَخَافُونَ أَنْ نَفْعَلَ بِهِمْ وَبِأَرْضِهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَهَلِكُهُمْ ، وَتُخْرِبُ أَرْضَهُمْ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله ( أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ) قال : أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الْقَرْيَةِ تَخْرُبُ ، حَتَّى يَكُونَ الْعَمْرَانُ فِي نَاحِيَةٍ .

قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، عن الأعرج ، أنه سمع مجاهدا يقول ( نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ) قال : خرابها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن الأعرج ، عن مجاهد ، مثله . قال : وقال ابن جريج : خرابها وهلاك الناس .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي جعفر الفراء ، عن عكرمة ، قوله ( أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ) قال : نخرب من أطرافها .  
وقال آخرون : بل معناه : نقص من بركتها وثمرتها وأهلها ، بالموت .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ) يقول : نقصان أهلها وبركتها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ) قال : في الأنفس وفي الثمرات ، وفي خراب الأرض .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن طلحة القناد ، عن سمع الشعبي ، قال : لو كانت الأرض تنقص ، لضاق عليك حشك ، ولكن تنقص الأنفس والثمرات .



وقال آخرون: معناه: أنا نأتى الأرض نقتصها من أهلها، فتتطرفهم، بأخذهم بالموت.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شيبان، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (ننقصها من أطرافها) قال: موت أهلها.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد (ألم يروا أننا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) قال: الموت.

حدثني المثنى، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا هارون النحوى، قال: ثنا الزبير بن الحارث عن عكرمة، في قوله (ننقصها من أطرافها) قال: هو الموت، ثم قال: لو كانت الأرض تنقص، لم نجد مكانا يجلس فيه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) قال: كان عكرمة يقول: هو قبض الناس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: سئل عكرمة، عن نقص الأرض قال: قبض الناس.

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا جرير بن حازم، عن يعلى بن حكيم، عن عكرمة، في قوله: (ألم يروا أننا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) قال: لو كان كما يقولون، لما وجد أحدكم جباً يخرأ فيه.

حدثنا الفضل بن الصباح، قال: ثنا إسماعيل بن علقمة، عن أبي رجاء، قال: سئل عكرمة وأنا أسمع عن هذه الآية (ألم يروا أننا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) قال: الموت.

وقال آخرون: نقصها من أطرافها: بذهاب فقهاؤها وخيارها.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا طلحة بن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: ذهب علمائها وفقهاؤها وخيار أهلها.

قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا عبد الوهاب، عن مجاهد، قال: موت العلماء.

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب: قول من قال (ألم يروا أننا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها): بظهور المسلمين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عليها، وقهرهم أهلها، أفلا يعتبرون بذلك، فيخافون ظهورهم على أرضهم، وقهرهم إياهم؟ وذلك أن الله توعد الذين سألوا رسوله الآيات من مشركي قومه بقوله (وإما نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِينَ نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ، فَلَا تَمَنَّاهُ عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ)، ثم ونَجَّهم تعالى ذكره، بسوء اعتبارهم، بما يعاينون من فعل الله بضربائهم من الكفار، وهم مع

ذلك يسألون الآيات، فقال: (أولم يروا أننا في الأرض ننشقها من أطرافها) بقهر أهلها، والغلبة عليها، من أطرافها وجوانبها، وهم لا يعتبرون بما يرون من ذلك؛  
وأما قوله (والله يحكمكم لامعقب لحكمه) يقول: والله هو الذي يحكم، فينفذ حكمه، ويقضى، فيمضى قضاؤه، وإذا جاء هؤلاء المشركين بالله من أهل مكة حكم الله وقضاؤه، لم يستطيعوا رده، ويعنى بقوله (لامعقب لحكمه): لاراد لحكمه، والمعقب في كلام العرب: هو الذي يكثر على الشيء، وقوله (وهو سريع الحساب) يقول: والله سريع الحساب، يخصى أعمال هؤلاء المشركين، لا ينجي عليه شيء وهو من وراء جزأهم عليها.

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ، وَسَيَعْلَمُ  
الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ (٤٢)

يقول تعالى ذكره: قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم التي سلفت، بأنبياء الله ورسله، فله المكر جميعا: يقول: فله أسباب المكر جميعا، وبيده وإليه، لا يضر مكر من مكر منهم أحدا، إلا من أراد ضره به، يقول: فلم يضر الماكرون بمكرهم إلا من شاء الله أن يضره ذلك، وإنما ضرّوا به أنفسهم، لأنهم أخطوا ربهم بذلك على أنفسهم، حتى أهلكتهم، ونجى رسله. يقول: فكذلك هؤلاء المشركون من قريش، يمكرون بك يا محمد، والله منجيك من مكرهم، وملحق ضرّ مكرهم بهم دونك. . . وقوله (يعلم ما تكسب كل نفس) يقول: يعلم ربك يا محمد، ما يعمل هؤلاء المشركون من قومك، وما يسعون فيه من المكر بك، ويعلم جميع أعمال الخلق كلهم، لا ينجي عليه شيء منها (وسيعلم الكفار لمن عُقبى الدار) يقول: وسيعلمون إذا قدموا على ربهم يوم القيامة، لمن عاقبة الدار الآخرة، حين يدخلون النار، ويدخل المؤمنون بالله ورسوله الجنة:

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته قرأ المدينة، وبعض أهل البصرة (وسيعلم الكافر) على التوحيد. وأما قرأ الكوفة فإنهم قرءوه (وسيعلم الكفار) على الجمع.  
يقول: والصواب من القراءة في ذلك: القراءة على الجمع: «وسيعلم الكفار»، لأن الخبر جرى قبل ذلك عن جماعتهم، وأتبع بعده الخبر عنهم، وذلك قوله (وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك) وبعده قوله (ويتقول الذين كفروا لست مرسلًا)، وقد ذكر أنها في قراءة ابن مسعود (وسيعلم الكافرون)، وفي قراءة أبي (وسيعلم الذين كفروا)، وذلك كله دليل على صحة ما اخترنا من القراءة في ذلك.



القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا، قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَمَنْ عِنْدَهُ  
عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣)

يقول تعالى ذكره (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله من قومك يا محمد: (لَسْتَ مُرْسَلًا)، تكذبا منهم لك، وجحودا لنبوتك، فقل لهم إذا قالوا ذلك: (كَفَىٰ بِاللَّهِ)، يقول: قل حسبي الله. (شَهِيدًا)، يعني شاهدا بيني وبينكم، علىّ وعليكم، بصدق وكذبكم. (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) فمن إذا قرئ كذلك: في موضع خفض، عطفاً به على اسم الله، وكذلك قرأ به قرآءة الأمصار، بمعنى: والذين عندهم علم الكتاب التي نزلت قبل القرآن كالنوراة والإنجيل. وعلى هذه القراءة، فسّر ذلك المفسرون.

ذكر الرواية بذلك

حدثني علي بن سعيد الكيندي، قال: ثنا أبو عبيدة يحيى بن يعلى، عن عبد الملك بن عمير، عن ابن أخي عبد الله بن سلام، قال: قال عبد الله بن سلام: نزلت في (كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ)،

وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ). حدثنا الحسين بن علي الصدّاق، قال: ثنا أبو داود الطيالسي، قال: ثنا شعيب بن صفوان، قال: ثنا عبد الملك بن عمير، أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال: قال عبد الله بن سلام: أنزل في (قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ).

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) فالذين عندهم علم الكتاب: هم أهل الكتاب، من اليهود والنصارى.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: هو عبد الله بن سلام.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: رجل من الإنس، ولم يسمه.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ): عبد الله بن سلام.

قال: ثنا يحيى بن عباد، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) ١. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَسْتَ مُرْسَلًا) قال: قول مشركي قريش (قُلْ: كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ

(١) كذا في الأصل رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية، ولم يذكر لفظ الحديث.

(الكتاب) أناس من أهل الكتاب، كانوا يشهدون بالحق، ويقرّون به، ويعلمون أن محمدا رسول الله، كما يحدث أن منهم عبد الله بن سلام.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن قتادة (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ): قال كان منهم عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري.

حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال هو عبد الله بن سلام.

وقد ذُكر عن جماعة من المتقدمين، أنهم كانوا يقرءونه (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) بمعنى: من عند الله علم الكتاب.

ذكر من ذُكر ذلك عنه

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن هارون، عن جعفر بن أبي وحشية، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) يقول: من عند الله علم الكتاب: حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: من عند الله.

قال: ثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: من عند الله علم الكتاب.

وقد حدثنا هذا الحديث الحسن بن محمد، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: هو الله، هكذا قرأ الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ). قال: ثنا شعبة، عن منصور بن زاذان، عن الحسن، مثله.

قال: ثنا علي، يعني ابن الجعد، قال: ثنا شعبة، عن منصور بن زاذان، عن الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: الله. قال شعبة: فذكرت ذلك للحكم، فقال: قال مجاهد مثله.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت منصور بن زاذان يحدث عن الحسن، أنه قال في هذه الآية (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: من عند الله. قال: ثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا هروذة، قال: ثنا عوف، عن الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: من عند الله علم الكتاب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: من عند الله علم الكتاب، هكذا قال ابن عبد الأعلى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقرؤها (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيِّنَاتٍ وَبَيْنَاتِكُمْ، وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) يقول: من عند الله علم الكتاب، وجملة



هكذا ، حدثنا به بشر : علم الكتاب ، وأنا أحسبه وهم فيه ، وأنه ( وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ ) لأن قوله وجملته اسم ، لا يعطف باسم على فعل ماض .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون ( وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ ) يقول : من عند الله علم الكتاب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، قال : قلت لسعيد ابن جبیر ( وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ ) أهو عبد الله بن سلام ، قال : هذه السورة مكية ، فكيف يكون عبد الله بن سلام ؟ قال : وكان يقرؤها ( وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ ) يقول : من عند الله .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، قال : سألت سعيد ابن جبیر ، عن قول الله ( وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ ) أهو عبد الله بن سلام ، قال : فكيف وهذه السورة مكية ، وكان سعيد يقرؤها ( وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني عباد ، عن عوف ، عن الحسن وجويبر ، عن الضحاک ابن مزاحم ، قال ( وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ ) قال : من عند الله .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بتصحيح هذه القراءة وهذا التأويل ، غير أن في إسناده نظرا . وذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني عباد بن العوام ، عن هارون الأعمور ، عن الزهري ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قرأ ( وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ ) عند الله علم الكتاب ، وهذا خبر ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهري ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكانت قرآء الأمصار من أهل الحجاز والشام والعراق على القراءة الأخرى ، وهي : ( وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ ) : كان التأويل الذي على المعنى الذي عليه قرآء الأمصار : أولى بالصواب ممن خالفه ، إذ كانت القراءة بما هم عليه مجمعون أحق بالصواب .

آخر تفسير سورة الرعد ، والحمد لله صادق الوعد .

## تفسير سورة إبراهيم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الرَّكَّابِ أُنزِلَتْهُ إِلَيْكَ لِنُجْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١)

قال أبو جعفر الطبري: قد تقدم منا البيان عن معنى قوله (الرَّ) فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وأما قوله (كِتَابٌ أُنزِلْنَا لَهُ إِلَيْكَ) فإن معناه: هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد: يعني القرآن. (لِنُجْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ): يقول: لتهدبهم به من ظلمات الضلالة والكفر، إلى نور الإيمان وضيائه، وتبصر به أهل الجهل والعمى، سبيل الرشاد والهدى. وقوله (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) يعني: بتوفيق ربهم لهم بذلك، ولطفه بهم (إلى صراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) يعني: إلى طريق الله المستقيم، وهو دينه الذي ارتضاه، وشرعه خلقه. والحميد: فعيل، صُرف من مفعول إلى فعيل، ومعناه: المحمود بآلائه، وأضاف تعالى ذكره: إخراج الناس من الظلمات إلى النور، بإذن ربهم لهم بذلك، إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو الهادي خلقه، والموفق من أحبّ منهم للإيمان، إذ كان منه دعاؤهم إليه، وتعريفهم ما لهم فيه وعليهم، فبين بذلك صحة قول أهل الإثبات، الذين أضافوا أفعال العباد إليهم كسبا، وإلى الله جل ثناؤه إنشاء وتدبيراً، وفساد قول أهل القدر، الذين أنكروا أن يكون لله في ذلك صنع. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله (لِنُجْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ): أي من الضلالة إلى الهدى.

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢)

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والشام: (اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ): برفع اسم الله على الابتداء، وتصيير قوله (اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ) خبره، وقراءته عامة قراء أهل العراق والكوفة والبصرة (اللَّهُ الَّذِي): بخفض اسم الله، على إلتباع ذلك (الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)، وهما خفض. وقد اختلف أهل العربية في تأويله إذا قرئ كذلك، فذكر عن أبي عمرو بن العلاء، أنه كان يقرؤه



بالخفض، ويقول: معناه: بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، الذي له ما في السموات، ويقول: هو من المؤخر الذي معناه التقديم، ويمثله بقول القائل: مررت بالظريف عبد الله، والكلام الذي يوضع مكان الاسم النعت، ثم يجعل الاسم مكان النعت، فيتبع إعرابه إعراب النعت الذي وضع موضع الاسم، كما قال بعض الشعراء:

لَوْ كُنْتُ ذَا نَبَلٍ وَذَا شَرِيبٍ مَا خِفْتُ شَدَاتِ الْحَيْثِ الذَّيْبِ

وأما الكسائي فإنه كان يقول فيما ذكر عنه: مَنْ خَفَضَ: أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهُ كَلَامًا وَاحِدًا، وَأَتْبَعَ الْخَفْضَ الْخَفْضَ، وَبِالْخَفْضِ كَانَ يَقْرَأُ.

والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحد منهما أئمة من القراء، معناه واحد، فأبتهما قرأ القاري فصيبي. وقد يجوز أن يكون الذي قرأه بالرفع، أراد معنى مَنْ خَفَضَ فِي إِتْبَاعِ الْكَلَامِ بَعْضَهُ بَعْضًا، وَلَكِنَّ رَفْعَ لَانْفِصَالِهِ مِنَ الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) ... إِلَى آخِرِ الْآيَةِ؛ ثُمَّ قَالَ (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ). وَمَعْنَى قَوْلِهِ (اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) اللَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، يَقُولُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ، لِتَدْعُوا عِبَادِي إِلَى عِبَادَةِ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ، وَتَدْعُوا عِبَادَةَ مَنْ لَا يَمْلِكُ لَهُمْ وَلَا لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ، ثُمَّ تُوَعِّدُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَنْ كَفَرَ بِهِ، وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعَاؤِ رَسُولِهِ إِلَى مَادَعَاهُ إِلَيْهِ، مِنْ إِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ لَهُ، فَقَالَ (وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) يَقُولُ: الْوَادِي الَّذِي يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ جَهَنَّمَ، لِمَنْ جَحَدَ وَحْدَانِيَّتَهُ، وَعَبَدَ مَعَهُ غَيْرَهُ، مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الشَّدِيدِ.

#### القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا،

أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٣)

يعني جَلَّ ثَنَاؤُهُ بقوله (الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ): الَّذِينَ يَخْتَارُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَاعَهَا، وَمَعَاصِيَ اللَّهِ فِيهَا، عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَمَا يَرْجِيهِمْ إِلَى رِضَا، مِنَ الْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ فِي الْآخِرَةِ. (وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) يَقُولُ: وَيَمْنَعُونَ مَنْ أَرَادَ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ، وَاتَّبَاعَ رَسُولِهِ، عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِهِ. (وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا): يَقُولُ: وَيَلْتَمِسُونَ سَبِيلَ اللَّهِ، وَهِيَ دِينُهُ الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ رَسُولُهُ. عِوَجًا: تَحْرِيفًا وَتَبْدِيلًا بِالْكَذْبِ وَالزُّورِ. وَالْعِوَجُ، بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَفَتْحِ الْوَاوِ: فِي الدِّينِ وَالْأَرْضِ

(١) الشريب: القصب من الشجر قبل أن يصلح، وجمعه: شروب، حكاه أبو حنيفة (اللسان: شرب). والبيت شاهد للنعت الذي يتقدم على المنعوت، فيعرب الاسم الذي بعده حيثن بدلًا. وقد مثل النحاة لذلك بهذه الآية: (إلى صراط العزيز الحميد الله) يخفف لفظ الله على البدل. قالوا: والأصل صراط الله العزيز الحميد. والله أعلم.

وكل ما لم يكن قائما ، فأما في كل ما كان قائما كالحائظ والرمح والسن ، فإنه يقال : بفتح العين والواو جميعا : عَوَج . يقول الله عز ذكره (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) يعني : هؤلاء الكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة . يقول : هم في ذهاب عن الحق بعيد ، وأخذ على غير هدى ، وجور عن قصد السبيل .

وقد اختلف أهل العربية في وجه دخول «على» في قوله (على الآخرة) ، فكان بعض نحويي البصرة يقول أوصل الفتعّل بعلى ، كما قيل في ضربوه «في» السيف ، يريد بالسيف ، وذلك أن هذه الحروف يوصل بها كلها ، وتحذف ، نحو قول العرب : نزلت زيدا ، ومررت زيدا ، يريدون : مررت به ، ونزلت عليه . وقال بعضهم : إنما أدخل ذلك ، لأن الفعل يؤدي عن معناه ١ من الأفعال ، ففي قوله (يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ) ولذلك أدخلت على . وقد بينت هذا ونظائره في غير موضع من الكتاب بما أغنى عن الإعادة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ، فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤)

يقول تعالى ذكره : وما أرسلنا إلى أمة من الأمم يا محمد من قبلك ، ومن قبل قومك ، رسولا إلا بلسان الأمة التي أرسلناه إليها ولغتهم ، ليبين لهم : يقول : ليفهمهم ما أرسله الله به إليهم من أمره ونهيه ، ليثبت حجة الله عليهم ، ثم التوفيق والخذلان بيد الله ، فيخذل عن قبول ما أتاه به رسوله من عنده من شاء منهم ، ويوفق لقبوله من شاء ، ولذلك رفع فيضله ، لأنه أريد به الابتداء لا العطف على ما قبله ، كما قيل : لنبيين لكم ، ونقر في الأرحام ما نشاء ، وهو العزيز الذي لا يمتنع مما أراه من ضلال أو هداية من أراد ذلك به ، والحكيم في توفيقه للإيمان من وفقه له ، وهدايته له من هداه إليه ، وفي إضلاله من أضل عنه ، وفي غير ذلك من تدبيره .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ) : أي بلغة قومه ما كانت ، قال الله عز وجل (لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) الذي أرسل إليهم ليتخذ بذلك الحجة ، قال الله عز وجل (فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) ، وهو العزيز الحكيم .

(١) يريد أن الفعل يتضمن معنى فعل آخر بمعناه ، فيكون مثله تمديدا ولزوما ، والفعل «يستحبون» هنا : مضمن معنى «يختارون» كما قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٣٥) أو معنى «يؤثرون» الحياة الدنيا على الآخرة . ولذلك عدى بهل .



القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَذَكَّرْهُمْ  
بِأَيِّمِ اللَّهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥)

يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا وحججنا من قبلك يا محمد ، كما أرسلناك إلى قومك  
بمثلها من الأدلة والحجج .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح « ح » ١ ،  
وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن الأشيب ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد « ح » ؛  
وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول  
الله ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ) قال : بالبينات .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَقَدْ  
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ) قال : التسع الآيات : الطوفان وما معه .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد  
( أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ) قال : التسع البينات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقوله ( أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ) كما أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب ، لتخرج  
الناس من الظلمات إلى النور ( بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ) . ويعنى بقوله ( أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى  
النُّورِ ) : أى ادعهم من الضلالة إلى الهدى ، ومن الكفر إلى الإيمان .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس  
قوله ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا : أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ) يقول : من الضلالة  
إلى الهدى .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، مثله .  
وقوله ( وَذَكَّرْهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ ) يقول عز وجل : وعظهم بما سلف من نعمي عليهم في الأيام التي  
خلت ، فاجتري بذكر الأيام من ذكر النعم التي عناها ، لأنها أيام كانت معلومة عندهم ، أنعم الله عليهم  
فيها نعمًا جليلة ، أنقذهم فيها من آل فرعون ، بعد ما كانوا فيها كانوا من العذاب المهين ، وغرق عدوهم  
فرعون وقومه ، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم . وكان بعض أهل العربية يقول : معناه : خوفهم بما  
نزل بعاد وتمود وأشباههم من العذاب ، وبالغفوة عن الآخرين . قال : وهو في المعنى كقولك : خذهم  
بالشدة واللين . وقال آخرون منهم : قد وجدنا لتسمية النعم بالأيام ، شاهدًا في كلامهم ، ثم استشهد لذلك  
بقول عمرو بن كلثوم .

(١) « ح » : رمز عند المحدثين إلى تعويل الإسناد من راو إلى آخر ، لجمع الروايات المختلفة على أصل واحد .

وَأَيَّامٍ لَنَا غُسْرٌ طَوَالَ عَصَيْنَا الْمَلِكَ فِيهَا أَنْ تَدِينَنَا  
 وقال : فقد يكون إنما جعلها غراً طوالاً لإنتعاهم على الناس فيها . وقال : فهذا شاهد لمن قال ( وَذَكَرَهُمْ  
 بِأَيَّامِ اللَّهِ ) بنعم الله . ثم قال : وقد يكون تسميتها غراً ، لعلوهم على الملك وامتناعهم منه ، فأيامهم غراً  
 لهم ، وطوال على أعدائهم .

حدثني أبو جعفر : وليس للذي قال هذا القول ، من أن في هذا البيت دليلاً على أن الأيام معناها : النعم  
 وجه ، لأن عمرو بن كلثوم إنما وصف ما وصف من الأيام بأنها غراً ، لعزّ عشيرته فيها ، وامتناعهم على  
 الملك ، من الإذعان له بالطاعة ، وذلك كقول الناس : ما كان لفلان قطّ يوم أبيض ، يعنون بذلك : أنه  
 لم يكن له يوم مذکور بخير ، وأما وصفه إياها بالطول ، فإنها لا توصف بالطول إلا في حال شدة ، كما  
 قال النابغة :

كَلَيْبِي تَمَّ يَا أُمَيْمَةَ ناصِبٍ وَلَيْلٍ أَقاسِيهِ بَطِيءٍ الكَوَاكِبِ

فإنما وصفها عمرو بالطول لشدة مكروهاها على أعداء قومه ، ولا وجه لذلك غير ما قلت .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن ليث ، عن مجاهد ( وَذَكَرَهُمْ  
 بِأَيَّامِ اللَّهِ ) قال : بأنعم الله .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفیان ، عن عبيد المكتب  
 عن مجاهد ( وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ) قال : بنعم الله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفیان ، عن عبيد المكتب ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبّ ، عن حصين ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا  
 الحسين ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( بِأَيَّامِ اللَّهِ ) قال : بنعم الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) البيت لعمرو بن كلثوم التغلبي من معلقته (انظر شرح المعلقات السبع لقرظني) قال : يقول : تخبرك بوقائع لنا مشاهير ،  
 كالفر من الخيل ، عصينا الملك فيها ، كراهية أن نطيعه ونتذل له . والأيام : الوقائع هنا ، والفر : بمعنى المشاهير ، كاخيل الفر ،  
 لاشتهارها فيما بين الخيل ، وقوله أن ندين : كراهية أن ندين ، فحذف المضاف . هذا على قول البصريين . وقال الكوفيون :  
 تقديره : أن لاندين ، فحذف لا : والبيت شاهد على أن الأيام المراد بها : النعم لا الشدائد . وقال التبريزي : إنما سمى الأيام غراً طوالاً ،  
 لعلوهم على الملك ، وامتناعهم منه ، لعزهم ، فأيامهم غرهم ، طوال على أعدائهم .

(٢) البيت للناطقة الذبياني في ديوانه (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص ١٥٩) . وكليفي : دعيني ،  
 وأمية بالفتح ، والأحسن بالضم . قال الخليل : من عادة العرب أن تنادي المؤنث بالترخيم ، فلما لم يرغم هنا ( بسبب الوزن )  
 أجراها على لفظها مرخمة ، وأتى بها بالفتح . وناصب : متعب . وبطيء الكواكب : لا تغور كواكبه . وإنما كان الليل ملوياً بطيء .  
 الكواكب ، لأن الشاعر كان في حال كرب وشدة .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثني المنثى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ( وَذَكَرَهُمْ )  
 بآيَامِ اللَّهِ ) قال : بالنعم التي أنعم بها عليهم : أنجاهم من آل فرعون ، وخلق لهم البحر ، وظلل عليهم  
 الغمام ، وأنزل عليهم المن والسلوى .  
 حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا حبيب بن حسان ، عن سعيد بن جبیر ( وَذَكَرَهُمْ )  
 بآيَامِ اللَّهِ ) قال : بنعم الله .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَذَكَرَهُمْ بآيَامِ اللَّهِ ) ، يقول : ذكرهم  
 بنعم الله عليهم .  
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَذَكَرَهُمْ بآيَامِ  
 اللَّهِ ) قال : بنعم الله .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله ( وَذَكَرَهُمْ بآيَامِ اللَّهِ ) :  
 قال : أيامه التي انتقم فيها من أهل معاصيه من الأمم ، خرفهم بها ، وحذرهم إياها ، وذكرهم أن يصيبهم  
 ما أصاب الذين من قبلهم .  
 حدثني المنثى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا محمد بن أبان ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن  
 عباس ، عن أبي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ( وَذَكَرَهُمْ بآيَامِ اللَّهِ ) قال : نعم الله .  
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن عبيد الله أو غيره ، عن مجاهد :  
 ( وَذَكَرَهُمْ بآيَامِ اللَّهِ ) قال : بنعم الله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ) يقول : إن  
 في الأيام التي سلفت بنعمي عليهم ، يعني على قوم موسى لآياتي ، يعني : لعبرا ومواعظ . لكل صبار  
 شكور : يقول : لكل ذي صبر على طاعة الله ، وشكر له على ما أنعم عليه من نعمه .  
 حدثني المنثى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قول الله  
 عز وجل ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ) قال : نعيم العبد عبد إذا ابتلى صبر ، وإذا  
 أعطى شكر .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُوءُونَكُمْ  
 سُوءَ الْعَذَابِ ، وَيَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ، وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ، وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ  
 عَظِيمٌ (٦)

يقول تعالى ذكره لئنبي محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد إذ قال موسى بن عمران لقومه من

بني إسرائيل ( اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ) التي أنعم بها عليكم ( إذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ) يقول : حين أنجاكم من أهل دين فرعون وطاعته . ( يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ) : أي يذيقونكم شديد العذاب . ( وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ) ، وأدخلت الواو في هذا الموضع ، لأنه أريد بقوله ( وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ) الخبر عن آل فرعون ، كانوا يعذبون بني إسرائيل بأنواع من العذاب ، غير التضديح والتضديح . وأما في موضع آخر من القرآن ، فإنه جاء بغير الواو : ( يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ، يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ) في موضع ؛ وفي موضع ( يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ ) ، ولم تدخل الواو في المواضع التي لم تدخل فيها ، لأنه أريد بقوله ( يُذَبِّحُونَ ) وبقوله ( يُقَتِّلُونَ ) تبيينه صفات العذاب الذي كانوا يسومونهم ، وكذلك العمل في كل جملة أريد تفصيلها ، فبغير الواو تفصيلها . وإذا أريد العطف عليها بغيرها وغير تفصيلها فالواو .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، في قوله ( وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ) : أبادى الله عندكم وأيامه .

وقوله ( وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ) : يقول : ويقون نساءكم ، فيتركون قتلهن ، وذلك استحياؤهم كان إياهن . وقد بينا ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، ومعناه : يتركونهم ، والحياة : هي الترك . ومنه الخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « اُقْتُلُوا شَيْوْخَ الْمُشْرِكِينَ ، وَاسْتَحْيُوا شَرَحَهُمْ » بمعنى : استبقوهم فلا تقتلوهم . ( وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ) : يقول تعالى : وفيها يصنع بكم آل فرعون من أنواع العذاب ، بلاء لكم من ربكم عظيم : أي ابتلاء واختبار لكم من ربكم عظيم . وقد يكون البلاء في هذا الموضع نعاء ، وقد يكون معناه : من البلاء الذي قد يصيب الناس في الشدائد وغيرها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ، آتَيْنَ شِكْرَتُمْ لِأَزِيدَ نَكْمَ ، وَآتَيْنَ كَفْرَتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)

يقول جل ثناؤه : واذكروا أيضا حين آذنتكم ربكم . وتأذنت : تفعلل من آذن ، والعرب ربما وضعت تفعلل موضع أفعل ، كما قالوا : أوعدته : وتوعدته بمعنى واحد ، وآذن : أعلم ، كما قال الحارث بن حلزة : آذنتنا ببينيتها أسماءُ ربِّناوِ بملِّ منه الشَّوَاءُ<sup>١</sup> .  
يعنى بقوله : آذنتنا : أعلمتنا .

وذكر عن ابن مسعود رضى الله عنه ، أنه كان يقرأ ( وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ) : وإذ قال ربكم .

(١) البيت مطلع معلقة الحارث بن حلزة اليشكري : انظر شرح الزوزنى للمعلقات السبع ، قال : الإيذان الإعلام ( وهو محل الشاهد في البيت ) والبين : الفراق . والشوَاء والثوى : الإقامة ، والفعل : ثوى يثوى ( كضرب يضرب ) . يقول : أعلمتنا أسماء بمفارقتها إيانا ، أي بعزمها على فراقنا ، ثم قال : رب مقيم على إقامته ، ولم تكن أسماء منهم . يريد أنها وإن طالت إقامتها لم أملها .



حدثني بذلك الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش عنه ؛ حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ) : وإذ قال ربكم ذلك التأذَّن .

وقوله ( لَسَيْنُ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ) يقول : لئن شكرتم ربكم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم ، لأزيدنكم في أياديه عندكم ، ونعمه عليكم . على ما قد أعطاكم من النجاة من آل فرعون ، والخلص من عذابهم .

وقيل في ذلك قول غيره ، وهو ما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا الحسين بن الحسن ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : سمعت علي بن صالح ، يقول في قول الله عز وجل ( لَسَيْنُ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ) : قال : أي من طاعتي .

حدثني المثني ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : سمعت علي بن صالح ، فذكر نحوه . حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ( لئن شكرتم لَأَزِيدَنَّكُمْ ) قال : من طاعتي .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مالك بن مغول ، عن أبان بن أبي عياش ، عن الحسن ، في قوله ( لَسَيْنُ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ) قال : من طاعتي . ولا وجه لهذا القول يفهم ، لأنه لم يجر للطاعة في هذا الموضع ذكر ، فيقال : إن شكرتموني عليها زدتمكم منها ، وإنما جرى ذكر الخير عن إنعام الله على قوم موسى ، بقوله ( وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ) ، ثم أخبرهم أن الله أعلمهم إن شكروه على هذه النعمة زادهم ، فالواجب في المفهوم أن يكون معنى الكلام : زادهم من نعمه ، لا بما لم يجر له ذكر من الطاعة ، إلا أن يكون أريد به : لئن شكرتم فأطعتموني بالشكر ، لأزيدنكم من أسباب الشكر ما يعينكم عليه ، فيكون ذلك وجهها .

وقوله ( وَلَسَيْنُ كَفَرْنَا إِنْ عَدَّآئِي لَشَدِيدٌ ) يقول : ولئن كفرتم أيها القوم نعمة الله ، فجددتموها ، بترك شكره عليها ، وخلافه في أمره ونبيه ، وركوبكم معاصيته ( إِنْ عَدَّآئِي لَشَدِيدٌ ) : أعذبكم كما أعذب من كفر بي من خلقي . وكان بعض البصريين يقول في معنى قوله ( وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ) وتأذَّن ربكم . ويقول : إذ من حروف الزوائد ، وقد دللنا على فساد ذلك فيما مضى قبل .

القول في تأويل قول تعالى

وَقَالَ مُوسَى : إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَنَبِيٍّ حَمِيدٌ (٨)

يقول تعالى ذكره ( وَقَالَ مُوسَى ) لقومه ( إِنْ تَكْفُرُوا ) أيها القوم ، فتجددوا نعمة الله التي أنعمها عليكم أنتم ، ويفعل في ذلك مثل فعلكم ( مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ، فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيْرٌ ) عنكم وعنهم

من جميع خلقه ، لاحاجة به إلى شكركم إياه على نعمه عند جميعكم (حميد) ذو حمد إلى خلقه بما أنعم به عليهم .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : أخبرنا سيف ، عن أبي روق عن أبي أيوب ، عن عليّ (فإن الله لتغيبني) قال : غنى عن خلقه . (حميد) قال : مستحمد إليهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ، وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ، جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ، وَقَالُوا : إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل موسى لقومه : يا قوم (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم) : يقول : خبر الذين من قبلكم من الأمم التي مضت قبلكم . (قوم نوح وعاد وثمود) وقوم عاد ، فبين بهم عن الذين ، وعاد معطوف بها على قوم نوح (والذين من بعدهم) يعني : من بعد قوم نوح وعاد وثمود (لا يعلمهم إلا الله) يقول : لا يحصي عددهم ، ولا يعلم مبلغهم إلا الله .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون (وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) قال : كذب النسابون .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود ، بمثل ذلك .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : ثنا ابن مسعود ، أنه كان يقرؤها (وعادا وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) ثم يقول : كذب النسابون .

حدثني ابن المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عيسى بن جعفر ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، مثله .

وقوله (جاءتهم رسلهم بالبينات) يقول : جاءت هؤلاء الأمم رسلهم الذين أرسلهم الله إليهم ، بدعائهم إلى إخلاص العبادة له ، بالبينات : يعني بالحجج الواضحات ، والدلالات البينات الظاهرات ، على حقيقة ما دعوهم إليه من معجزات .

وقوله (فردوا أيديهم في أفواههم) : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : فعضوا على أصابعهم ، تغیظا عليهم في دعائهم إياهم إلى ما دعوهم إليه .

(١) قوله قوم عاد - لعله زائد من قلم : الناسخ لأن عادا مذكورة في الآية .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثني ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ( فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ) قال : عَضُّوا عَلَيْهَا تَغِيظًا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، في قوله ( فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ) قال : غِيظًا هَكَذَا ( وَعَضُّوا يَدَهُ ) .  
حدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ( فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ) قال : عَضُّوا هَا .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء البصري ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، في قول الله عز وجل ( فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ) قال : عَضُّوا عَلَى أَصَابِعِهِمْ .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ( فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ) قال : عَضُّوا عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِمْ .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة ، عن عبد الله ، أنه قال في هذه الآية ( فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ) قال : أَنْ يَجْعَلَ لِصَبْعِهِ فِي فِيهِ .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة ، عن عبد الله ، في قول الله عز وجل ( فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ) ، ووضع شعبة أطراف أنامله اليسرى على فيه .  
حدثنا الحسن ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن هبيرة ، قال : قال عبد الله ( فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ) ، وأدخل أصابعه في فيه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا شعبة ، قال أبو إسحاق : أنبأنا عن هبيرة ، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية ( فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ) قال أبو علي : وأرانا عفان ، وأدخل أطراف أصابع كفه مبسوطة في فيه ، وذكر أن شعبة أراه كذلك .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ( فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ) قال : عَضُّوا عَلَى أَنْمَالِهِمْ . وقال سفيان : عَضُّوا غِيظًا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ) ، فقرأ ( عَضُّوا عَلَى أَنْمَالِكُمْ الْأَنْمَالِ مِنَ الْغَيْظِ ) قال : ومعنى ( رَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ) قال : أدخلوا أصابعهم في أفواههم ، وقال : إذا اغتاظ الإنسان عض يده .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم لما سمعوا كتاب الله عجبوا منه ، ووضعوا أيديهم على أفواههم .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس .

(فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : لما سمعوا كتاب الله عجبوا ، ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم كذبوهم بأفواههم .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد « ح » .  
وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله  
(فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : ردّوا عليهم قولهم وكذبوهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ  
فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) يقول : قومهم كذبوا رسلهم . وردّوا عليهم ما جاءوا به من البيّنات ،  
وردّوا عليهم بأفواههم ، وقالوا : (إِنَّا لَنَنبئُكَ بِمَا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَرَدُّوا  
أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : ردّوا على الرسل ما جاءتهم به ، وكأنّ مجاهدا وجه قوله (فَرَدُّوا  
أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) إلى معنى : ردّوا أيادي الله التي لو قبلوها كانت أيادي ونعما عندهم ، فلم  
يقبلوها . ووجه قوله (فِي أَفْوَاهِهِمْ) إلى معنى : بأفواههم ، يعني : بالسنتهم التي في أفواههم . وقد  
ذكر عن بعض العرب سمعا : أدخلك الله بالجنة ، يعنون في الجنة ، وينشد هذا البيت :

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيظٍ وَرَهْطِهِ وَلَكَيْتَنِي عَنْ سَيْبِيسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ

يريد : وأرغب فيها : يعني «أرغب بها» عن لقيظ ، ولا أرغب بها عن قبيلتي .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم كانوا يضعون أيديهم على أفواه الرسل ، ردّوا عليهم قولهم ،  
وتكذّبوا لهم . وقال آخرون : هذا مثل ، وإنما أريد أنهم كفّوا عما أمروا بقبوله من الحق ، ولم يؤمنوا به ،  
ولم يسلموا ، وقال : يقال للرجل إذا أمسك عن الجواب ، فلم يجب : ردّ يده في فمه . وذكر بعضهم أن  
العرب تقول : كلمت فلانا في حاجة ، فردّ يده في فيه : إذا سكت عنه ، فلم يجب ، وهذا أيضا قول لاوجه له ،  
لأن الله عزّ وجلّ ذكره ، قد أخبر عنهم أنهم قالوا : إنا كفرنا بما أرسلتم به ، فقد أجابوا بالتكذيب .  
وأشبه هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل هذه الآية : القول الذي ذكرناه عن عبد الله بن مسعود :  
أنهم ردّوا أيديهم في أفواههم ، فعضّوا عليها غيظا على الرسل ، كما وصف الله عزّ وجلّ به إخوانهم من

(١) هذا البيت من شواهد الفراء أنشده إياه بعضهم (معاني القرآن مصورة جامعة القاهرة الورقة ١٦١) قال في قوله تعالى : « فردوا  
أيديهم في أفواههم ، حاكيا قول بعض المفسرين : يقول : ردوا ما لو قبلوه لكان نعما وأيادي من الله . في أفواههم : يقول :  
بأفواههم أي بالسنتهم . وقد وجدنا من العرب من يجعل « في » في موضع « الباء » ، فيقول : أدخلك الله بالجنة ، يريد : في الجنة .  
قال : وأنشدني بعضهم : وأرغب فيها . . . البيت . فقال : أرغب فيها ، يعني بنتا له ، أي إني أرغب بها عن لقيظ .



المنافقين ، فقال ( وَإِذَا خَلَقُوا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ) فهذا هو الكلام المعروف ، والمعنى المفهوم من رد اليد إلى القم .

وقوله ( وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ) : يقول عز وجل : وقالوا لرسولهم : إنا كفرنا بما أرسلكم به من أرسلكم ، من الدعاء إلى ترك عبادة الأوثان والأصنام ، وإنا لنرى شك من حقيقة ماتدعوننا إليه ، من توحيد الله . مريب : يقول : يربينا ذلك الشك : أى يوجب لنا الريبة والتهمة فيه ، يقال منه : أراب الرجل : إذا أتى بريبة ، يريب إرابة .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ : أَلِى اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ، وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، قَالُوا : إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ، تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٠) ﴾

يقول تعالى ذكره : قالت رسل الأمم التى أتتها رسلها : ألى الله شك المستحق عليكم أيها الناس الألوهة والعبادة ، دون جميع خلقه ، شك ؟ وقوله ( فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) : يقول : خالق السموات والأرض . ( يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ) يقول : يدعوكم إلى توحيدى وطاعته ، ( لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ) يقول : فيستر عليكم بعض ذنوبكم بالعمو عنها ، فلا يعاقبكم عليها . ( وَيُؤَخِّرَكُمْ ) يقول : ويؤسسى فى آجالكم ، فلا يعاقبكم فى العاجل فيهلككم ، ولكن يؤخركم إلى الوقت الذى كتب فى أم الكتاب أنه يقبضكم فيه ، وهو الأجل الذى سمى لكم ، فقالت الأمم لهم : ( إِنْ أَنْتُمْ ) أيها القوم ( إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ) فى الصورة والهيئة ، ولستم ملائكة ، وإنما تريدون بقولكم هذا الذى تقولون لنا : ( أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ) يقول : إنما تريدون أن تصرفونا بقولكم ، عن عبادة ما كان يعبد من الأوثان آبائنا . ( فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ) يقول : فأتونا بحجة على ماتقولون ، تبين لنا حقيقته وصحته ، فنعلم أنكم فيما تقولون محقون .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ : إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْتَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) ﴾

يقول تعالى ذكره : قال الأمم التى أتتهم الرسل لرسولهم : ( إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ) : صدقتم فى قولكم ( إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ) ، فإنحن إلا بشر من بنى آدم إنس مثلكم ، ( وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ

(١-١) كذا فى النسخ ، ولعل الأصل : قالت الرسل لأبهم التى أرسلوا إليها : إن نحن ... الخ .

مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ) يقول : ولكن الله يفضل على من يشاء من خلقه ، فيهديه ويوفقه للحق ، ويفضله على كثير من خلقه ( وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ ) يقول : وما كان لنا أن نأتيكم بحجة وبرهان على ما ندعوكم إليه (إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) : يقول : إلا بأمر الله لنا بذلك . (وَعَلَى اللَّهِ فَاسْتَوَكُلِّ الْمُؤْمِنُونَ ) يقول : وباللَّه فليثق به من آمن به وأطاعه ، فإنما به نتق ، وعليه نتوكل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ) قال : السلطان المبين : البرهان والبينة . وقوله ( مَا كُمْ يُنَزَّلُ بِهِ سُلْطَانًا ) قال : بينة وبرهانا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا لَنَا أَلَّا تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ؟ وَأَنْصَبِرْ عَلَىٰ مَا أَدْبَتُنَا ، وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل الرسل لأممها : ( وَمَا لَنَا أَنْ لَا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ) فنتق به ، وبكفايته ودفاعه إياكم عنا . ( وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ) : يقول : وقد بصّرنا طريق النجاة من عذابه ، فبين لنا . ( وَانْتَصَبِرْنَا عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ) في الله ، وعلى ما نلقى منكم من المكروه فيه ، بسبب دعائنا إليكم إلى ما ندعوكم إليه ، من البراءة من الأوثان والأصنام ، وإخلاص العبادة له . ( وَعَلَى اللَّهِ فَاسْتَوَكُلِّ الْمُتَوَكِّلُونَ ) : يقول : وعلى الله فليتوكل من كان به واثقا من خلقه ، فأما من كان به كافرا ، فإن وليه الشيطان .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا ، أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ، فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ : لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ . (١٣) وَلَنُصَبِّحَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤)

يقول عزّ ذكره : وقال الذين كفروا بالله ، لرسولهم الذين أرسلوا إليهم ، حين دعوهم إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، وفراق عبادة الآلهة والأوثان : ( لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا ) يعنون : من بلادنا ، فنطردكم عنها . ( أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ) : يعنون : إلا أن تعودوا في ديننا الذي نحن عليه من عبادة الأصنام . وأدخلت في قوله ( لَتَعُوذُنَّ ) لام ، وهو في معنى شرط ، كأنه جواب لليمين .

وإنما معنى الكلام : : لنخرجنكم من أرضنا ، أو تعودن في ملتنا ، ومعنى « أو » ههنا معنى « إلا » أو معنى « حتى » كما يقال في الكلام : لأضربنك أو تقرّ لي ، فمن العرب من يجعل ما بعد « أو » في مثل هذا الموضع عطفًا على ما قبله : إن كان ما قبله جزما جزموه ، وإن كان نصبا نصبوه ، وإن كان فيه لام ، جعلوا فيه



لأما ، إذ كانت «أو» حرف نَسَقٍ . ومنهم من ينصب ما بعد «أو» بكل حال ، ليعلم بنصبه أنه عن الأول منقطع عما قبله ، كما قال امرؤ القيس :

بِكَيْ صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيْقَنَ أَنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَ

فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَتَّبِكْ عَيْشُكَ إِنَّمَا نَحْوِلُ مُلُكًا أَوْ نَمُوتُ فَتَنْعُدَ رَأَى

فنصب نموت فنعدرا ، وقد رفع نحاول ، لأنه أراد معنى : إلا أن نموت ، أو حتى نموت ، ومنه قول الآخر :

لَا أُسْتَطِيعُ نَزُوعًا عَنِّي مَوَدَّتِيهَا أَوْ يَصْنَعُ الحُبُّ لِي غَيْرَ الَّذِي صَنَعَا

وقوله ( فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبَّهُمْ لَسْهَلِيكَنَّ الظَّالِمِينَ ) الذين ظلموا أنفسهم ، فأوجبوا لها عقاب

الله بكفرهم ، وقد يجوز أن يكون قيل لهم الظالمون ، لعبادتهم من لا يجوز عبادته من الأوثان والآلهة ، فيكون بوضعهم العبادة في غير موضعها ، إذ كان ظلما ، سموا بذلك الظالمين .

وقوله ( وَكَلَسُكِينَتِكُمْ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ) : هذا وعد من الله من وعد من أنبيائه النصر على

الكفرة به من قومه . يقول : لما تبادت أمم الرسل في الكفر ، وتوعدوا رسلهم بالوقوع بهم ، أوحى الله

إليهم بإهلاك من كفر بهم من أممهم ، ووعدهم النصر ، وكل ذلك كان من الله وعيدا وتهديدا لمشركي قوم

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، على كفرهم به ، وجراءتهم على نبيه ، وتثبيتنا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأمرنا

له بالصبر على ما ليقي من المكروه فيه ، من مشركي قومه ، كما صبر من كان قبله من أولى العزم من رسله ،

ومعرفة أن عاقبة أمر من كفر به الهلاك ، وعاقبته النصر عليهم (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكَلَسُكِينَتِكُمْ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ) :

قال : وعدهم النصر في الدنيا ، والجنة في الآخرة .

وقوله ( ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ) يقول جل ثناؤه : هكذا فعل لمن خاف مقامه بين

يدي ، وخاف وعيدي ، فاتقاني بطاعته ، وتجنب نخطي ، أنصره على من أراد به سوءا ، وبغاه مكروها

من أعدائي ، أهلك عدوه ، وأخزيه وأورثه أرضه ودياره ، وقال ( لِمَنْ خَافَ مَقَامِي ) ومعناه :

ماقلت ، من أنه لمن خاف مقامه بين يدي ، بحيث أقيمته هنالك للحساب ، كما قال ( وَتَجْمَعُونَ رِزْقَكُمْ

(١) البيهقان لامرؤ القيس ، يخاطب بهما صاحبه عمرو بن قميصة الشاعر ، وكان رحل معه إلى قيصر ، يستعين به على حرب بني أسد ،

الذين قتلوا أباه . ( انظر مختار الشعر الجاهل بشرح مصطفى السقا طبعة الخليجى ص ٥٨ ) والدرب : المدخل بين جبلين ، والمراد الطريق

بين بلاد العرب وبلاد الروم . يقول : لما رأى صاحبي أننا نسير في الدرب الموصل إلى بلاد الروم ، ( وكان امرؤ القيس طوى

عنه خبر رحلته إلى قيصر ) حن إلى بلاده وبكى ، إشفاقا من طول الرحلة .

والشاهد هنا في البيت الثاني : أن الفعل «نموت» منصوب بأن بعد أو ، لأنها هنا بمعنى إلا . وهو ما قرره النحاة ، واستشهدوا عليه بهذا

البيت وغيره . قال الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٦١-١٦٢) بعد أن أشد البيتين ، ونسبهما إلى امرؤ القيس ، فنصب آخره : نموت ،

ورفع نحاول ؛ على معنى «إلا» . وفي إحدى القراءتين : «تقاتلونهم أو يسلموا» . والمعنى والله أعلم - تقاتلونهم حتى يسلموا .

(٢) وهذا البيت من شواهد الفراء (معاني القرآن للفراء مصورة الجامعة الورقة ١٦٢) قال : وقال الشاعر : لا أستطيع . الخ ثم

قال بعده : وأنت قائل في الكلام : لست لأبي إن لم أقتلك أو تسبقني في الأرض ، فنصب «تسبقني» وتجزمها .

أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ) معناه : وتجعلون رزقي إياكم أنكم تكذبون ، وذلك أن العرب تضيف أفعالها إلى أنفسها ، وإلى ما أوقعت عليه ، فتقول : قد سررت برؤيتك ، وبرؤيتي إياك ، فكذلك ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَسْتَفْتَحُوا، وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥)

يقول تعالى ذكره : واستفتحت الرسل على قومها : أي استنصرت الله عليها . ( وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ) يقول : هلك كل متكبر جائر ، حائد عن الإقرار بتوحيد الله ، وإخلاص العبادة له . والعنيد والعاند والعنود : بمعنى واحد ، ومن الجبار تقول : هو جبار بين الجبرية والجبروتية والجبروتية والجبروت . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَأَسْتَفْتَحُوا ) قال : الرسل كلها ، يقول : استنصروا على أعدائهم ومعانديهم : أي على من عاند عن اتباع الحق وتجنبه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَأَسْتَفْتَحُوا ) قال : الرسل كلها استنصروا ( وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ) قال : معاند للحق مجانبه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال ابن جريج : استفتحوا على قومهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ) قال : كانت الرسل والمؤمنون يستضعفهم قومهم ، ويقهروهم ، ويكذبونهم ، ويدعونهم إلى أن يعودوا في ملتئمتهم ، فأبى الله عز وجل لرسله وللمؤمنين ، أن يعودوا في ملئة الكفر ، وأمرهم أن يتوكلوا على الله ، وأمرهم أن يستفتحوا على الجبابرة ، ووعدهم أن يسكنهم الأرض من بعدهم ، فأنجز الله لهم ما وعدهم ، واستفتحوا كما أمرهم أن يستفتحوا ، ( وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله ( وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ) قال : هو الناكب عن الحق : أي الحائد عن اتباع طريق الحق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا مطرف ، عن بشر ، عن هشيم ، عن مغيرة ، عن سماك ، عن إبراهيم ( وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ) قال : الناكب عن الحق .



حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَاسْتَفْتَحُوا ) يقول : استنصرت الرسل على قومها . قوله ( وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ) والجبار العنيد : الذي أبنى أن يقول : لا إله إلا الله . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَاسْتَفْتَحُوا ) قال : استنصرت الرسل على قومها ( وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ) يقول : بعيد عن الحق معرض عنه . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله ، وزاد فيه : معرض عنه : أبنى أن يقول : لا إله إلا الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ) قال : العنيد عن الحق ، الذي يعنئد عن الطريق ، قال : والعرب تقول : شر الإبل العنيد ، الذي يخرج عن الطريق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ) قال : الجبار : هو المتجبر . وكان ابن زيد يقول في معنى قوله : ( وَاسْتَفْتَحُوا ) خلاف قول هؤلاء ، ويقول : إنما استفتحت الأمم ، فأجبت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَاسْتَفْتَحُوا ) قال : استفتاحهم بالبلاء ، قالوا : اللهم إن كان هذا الذي أتى به محمد هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء ، كما أمطرتنا على قوم لوط ، أو اثنتا بعدد أليم ، قال : كان استفتاحهم بالبلاء ، كما استفتح قوم هود ( ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ) قال : فلاستفتح : العذاب . قال : قيل لهم : إن لهذا أجلا ، حين سألوها الله أن ينزل عليهم ، فقال : بل نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، فقالوا : لا نريد أن نؤخر إلى يوم القيامة ، ربنا عجل لنا قسطنا عذابنا ، قبل يوم الحساب . وقرأ ( وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْ أَعْجَلْ مُسَمِّي بِلَهَاءِ هُمْ الْعَذَابُ ) حتى بلغ ( وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ) ويقول : ذوقوا ما كنتم تعملون .

#### القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ وَّرَاءَهُ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ، (١٦) يَتَجَرَّعُهُ ، وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ، وَمِنْ وَرَاءِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧)

يقول عز ذكره ( مِنْ وَرَاءِهِ ) من أمام كل جبار ( جَهَنَّمُ ) يردونها . ووراء في هذا الموضع : بمعنى أمام ، كما يقال : إن الموت من ورائك : أي قدامك ، وكما قال الشاعر :

أَتُوْعِدُنِي وَرَاءَ بَيْتِي رِيَا حِ كَذَّبْتَ لَتَقْضُرَنَّ يَدَاكَ دُونِي ١

(١) البيت لحرير في ديوانه ، وفي ( مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١ : ٣٣٧ ) وقد استشهد به المؤلف في هذا الجزء ص ١٢٩ عل أن « دوني » بمعنى « عنى » . والشاهد هنا أن قوله « وراء بيتي ريباح » بمعنى أمامهم ، وذلك عند تفسير قوله تعالى : « من ورائه جهنم » قال : مجازه : قدامه وأمامه ؛ يقال : إن الموت من ورائك ، أي قدامك . وقال : أتوعدن . . . البيت .

يعنى : وراء بنى رباح : قدام بنى رباح وأمامهم .  
 وكان بعض نحوّي أهل البصرة يقول : إنما يعنى بقوله ( مِينٌ وَرَائِهِ ) : أى من أمامه ، لأنه وراء ما هو فيه ، كما يقول لك : وكلّ هذا من ورائك : أى سيأتى عليك ، وهو من وراء ما أنت فيه ؛ لأن ما أنت فيه قد كان قبل ذلك ، وهو من ورائه . وقال : ( وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ) : من هذا المعنى : أى كان وراء ما هم فيه : أمامهم . وكان بعض نحوّي أهل الكوفة يقول : أكثر ما يجوز هذا فى الأوقات ، لأن الوقت يمرّ عليك ، فيصير خلفك إذا جزّته ، وكذلك كان وراءهم ملك ، لأنهم يجوزونه ، فيصير وراءهم . وكان بعضهم يقول : هو من حروف الأضداد ، يعنى وراء : يكون قدأما وختلفا . وقوله ( وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ) يقول : ويسقى من ماء ، ثم بين ذلك الماء جلّ ثناؤه ، وما هو ، فقال : هو صديد ، ولذلك ردّ الصديد فى إعرابه على الماء ، لأنه بيان عنه ، والصديد : هو القيح والدم . وكذلك تأوله أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء « ح » ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله ( مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ) قال : قَيْحٌ وَدَمٌ .  
 حدثنا المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ) والصديد : ما يسيل من دمه ولحمه وجلده .  
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله ( وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ) قال : ما يسيل من بين لحمه وجلده .  
 حدثنى المنثى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن ذكره ، عن الضحاك ( وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ) قال : يعنى بالصديد : ما يخرج من جوف الكافر ، قد خالط القيح والدم .  
 وقوله ( يَتَجَرَّعُهُ ) يتحسّاه ( وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ) يقول : ولا يكاد يزدريه من شدّة كراهته ، وهو يسيفه من شدّة العطش . والعرب تجعل « لا يكاد » فيما قد فعل ، وفيما لم يفعل . فأما ما قد فعل ، فنه هذا ، لأن الله جلّ ثناؤه جعل لهم ذلك شرابا ؛ وأما ما لم يفعل ، وقد دخلت فيه « كاد » ، فقوله ( حتى إذا أخرج يده لم يكد يراها ) ، فهو لا يراها .  
 وبنحو ما قلنا من أن معنى قوله ( وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ) وهو يسيفه ، جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

## ذكر الرواية بذلك

حدثنى محمد بن المنثى ، قال : ثنا إبراهيم أبو إسحاق الطالقانى ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن صفوان



ابن عمرو ، عن عبيد الله بن بسر ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله ( وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ ) فإذا شربه قطع أمعاءه ، حتى يخرج من دبره ، يقول الله عز وجل : ( وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا ، فَتَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ) ، ويقول ( وَإِنْ يَسْتَعْيِبُوا يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْرِبُ الْوُجُوهَ ، يَذُوقُ الشَّرَابَ ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا معمر ، عن ابن المبارك ، قال : ثنا صفوان بن عمرو ، عن عبيد الله بن بسر ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله ( وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ) فذكر مثله ، إلا أنه قال : ( سُقُوا مَاءً حَمِيمًا ) .

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا حسيوة بن شريح الحمصي ، قال : ثنا بقية ، عن صفوان بن عمرو ، قال : ثنا عبيد الله بن بسر ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله سواء . وقوله ( وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ) فإنه يقول : ويأتيه الموت من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وشماله ، ومن كل موضع من أعضاء جسده ( وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ) ، لأنه لا يخرج نفسه ، فيموت فيستريح ، ولا يجيا ، لتعلق نفسه بالحناجر ، فلا ترجع إلى مكانها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ) قال : تعلق نفسه عند حنجرتة ، فلا تخرج من فيه فيموت ، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه ، فيجد لذلك راحة ، فتنتفعه الحياة . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : ثنا العوام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمي قوله ( وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ) : قال : من تحت كل شعرة في جسده . وقوله ( وَمِنْ وَّرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ) يقول : ومن وراء ما هو فيه من العذاب ، يعني أمامته وقدامته ، عذاب غليظ .

#### القول في تأويل قوله تعالى

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ، لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ، ذَلِكَ هُوَ الضَّلَلُ الْبَعِيدُ (١٨)

اختلف أهل العربية في رافع مثل ، فقال بعض نحوّي البصرة : إنما هو كأنه قال : ومما نقص عليكم (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا) ، ثم أقبل بفسر كما قال : (مَثَلُ الْجَنَّةِ) ، وهذا كثير . وقال بعض نحوّي الكوفيين : إنما المثل للأعمال ، ولكن العرب تقدّم الأسماء ، لأنها أعرف ، ثم تأتي بالخبر الذي تخبر عنه مع صاحبه . ومعنى الكلام : مثل أعمال الذين كفروا برّبهم كرماد ، كما قيل : ( وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ : وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ) ومعنى الكلام : ويوم القيامة ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة ، قال : ولو خفض الأعمال جاز ، كما قال : ( يَسْتَكُونُكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ

قِتَالٍ فِيهِ) . . . الآية . وقوله (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُشَقُّونَ : تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) قال : فتجري هو في موضع الخبر ، كأنه قال : أن تجري ، وأن يكون كذا وكذا ، فلو أدخل « أن » جاز ، قال : ومنه قول الشاعر :

ذَرِينِي إِنَّ أَمْرَكَ لَسَنُ بَطَاعَا وَمَا أُنْفَيْتَنِي حِلْمِي مُضَاعَا

قال : فالحلم منصوب بألفيت على التكرير ، قال : ولو رفعه كان صوابا ، قال : وهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار ، فقال : مثل أعمال الذين كفروا يوم القيامة ، التي كانوا يعملونها في الدنيا ، يزعمون أنهم يريدون الله بها ، مثل رماد عصفت الريح عليه في يوم ربيع عاصف ، فنسفته ، وذهبت به ، فكذلك أعمال أهل الكفر به يوم القيامة ، لا يجدون منها شيئا ينفعهم عند الله ، فينجيهم من عذابه ، لأنهم لم يكونوا يعملونها لله خالصا ، بل كانوا يشركون فيها الأوثان والأصنام ، يقول الله عز وجل ( ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ ) : يعني أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا ، التي يشركون فيها مع الله شركاء ، هي أعمال عملت على غير هدى واستقامة ، بل على جور عن الهدى بعيد ، وأخذ على غير استقامة شديد . وقيل ( في يومٍ عاصفٍ ) : فوصف بالعصوف ، وهو من صفة الريح ، لأن الريح تكون فيه ، كما يقال : يوم بارد ، ويوم حار ، لأن البرد والحرارة يكونان فيه ؛ وكما قال الشاعر :

يَوْمَيْنِ غَيْمَيْنِ وَيَوْمًا شَمْسًا

فوصف اليومين بالغيمة ، وإنما يكون الغيم فيهما ، وقد يجوز أن يكون أريد به في يوم عاصف الريح ، فحذفت الريح ، لأنها قد ذكرت قبل ذلك ، فيكون ذلك نظير قول الشاعر :

إِذَا جَاءَ يَوْمٌ مُظْلِمٌ الشَّمْسِ كَاسِفٌ

يريد : كاسف الشمس ، وقيل : هو من نعت الريح خاصة ، غير أنه لما جاء بعد اليوم أتبع إعرابه ، وذلك أن العرب تتبع الخفض الخفض في النعوت ، كما قال الشاعر :

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي على الصحيح . كما قاله الفراء والزجاج وصاحب الحماسة البصرية . ونسبه سيبويه لرجل من خثعم أو بجيلة ، وهو شاهد عند النحاة على أن قوله « حلمي » بدل اشتغال من الياء في « ألفتني » . قال ابن جني في إعراب الحماسة : إنما يجوز البدل من ضمير المتكلم وضمير المخاطب : إذا كان بدل البعض ، أو بدل الاشتغال . نحو قولك : عجبت منك عقلك ، وخربتك رأسك . وقال الفراء في معاني القرآن ( الورقة ١٦٣ ) فالحلم منصوب بالإلقاء على التكرير ( البدل ) ولو رفعته كان صوابا . قلت : وإنما يكون ذلك إذا رفع لفظ « مضاع » على أن الجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب مفعول ثانٍ لألفيتني . ولكن قوافي القصيدة مرفوعة ، فلا يجوز إذن غير القول الأول في البيت .

(٢) البيت من الرجز أنشده الفراء في معاني القرآن ( مصورة الجامعة الورقة ١٦٣ ) عند قوله تعالى : « في يوم عاصف » ، قال : فجعل العصف تابعا لليوم في إعرابه ، وإنما العصف للريح ، وذلك جائز على جهتين : أحدهما : أن العصف وإن كان للريح ، فإن اليوم يوصف به ، لأن الريح فيه تكون ، فجاز أن تقول : يوم بارد ويوم حار . وقد أنشدني بعضهم : « يومين غيمين ويوما شمسًا » ، فوصف اليومين بالغيمة ، وإنما يكون الغيم فيهما . والوجه الآخر : أن يريد في يوم عاصف الريح ، فتحذف الريح ، لأنها قد ذكرت في أول الكلمة ، كما قال الشاعر :

وَيُضْحِكُ عِرْفَانَ الدَّرُوعِ جُلُودَنَا إِذَا جَاءَ يَوْمٌ مُظْلِمٌ الشَّمْسِ كَاسِفٌ

يريد : كاسف الشمس .

(٣) هذا عجز بيت ، استشهد به الفراء على أن معناه : كاسف الشمس ، وذكرنا البيت كله في الكلام على الشاهد الذي قبله .



تُرِيكَ سُنَّةً وَجْهٌ غَيْرِ مُقَرَّفَةٍ مَلْسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبٌ<sup>١</sup>  
فخفص «غير» إتباعاً لإعراب الوجه، وإنما هي من نعت السُنَّةِ، والمعنى: سُنَّةٌ وجه غير مقرفة، وكما قالوا:  
هذا جحرُ ضبٍّ خرب<sup>٢</sup>.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، في قوله (كِرْمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ) قال: حملته الريح في يوم عاصف.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس،  
قوله (مِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَاءُ لَهُمْ كِرْمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ):  
يقول: الذين كفروا بربهم، وعبدوا غيره، فأعمالهم يوم القيامة كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف،  
لا يقدرون على شيء من أعمالهم ينفعهم، كما لا يقدر على الرماد إذا أرسل عليه الريح في يوم عاصف.  
وقوله (ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ): أي الخطأ البين، البعيد عن طريق الحق.

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، إِنَّ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ

جَدِيدٍ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠)

يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تر يا محمد بعين قلبك، فتعلم أن الله أنشأ السموات  
والأرض بالحق، منفرداً بإنشائها، بغير ظهير ولا معين. (إِنَّ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ):  
يقول: إن الذي تفرّد بخلق ذلك وإنشائه، من غير معين ولا شريك، إن هوشاء أن يُذْهِبْكُمْ فِيْفَيْكُمْ، أذْهِبْكُمْ  
وأفناكم، ويأت بخلق آخر سواكم مكانكم، فيجدد خلقهم (وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) يقول: وما  
إذْهِبْكُمْ وَإِفْنَاوَكُمْ وإنشاء خلق آخر سواكم مكانكم، على الله بممتنع ولا متعذر، لأنه القادر على ما يشاء.  
واختلفت القراء في قراءة قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ): فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة  
وبعض الكوفيين: خَلَقَ: على فَعَلَّ. وقرأه عامة قراء أهل الكوفة: «خالق» على فاعل، وهما قراءتان  
مستفيضتان، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء متقارباً في المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فصيب.

(١) البيت من شواهد القراء. في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ١٦٣ على) الخفص على المجاورة. قال في الآية «ريح عاصف»: وإن نويت أن تجعل «عاصف» من نعت الريح خاصة، فلما جاء بعد اليوم أتبعته بإعراب اليوم، وذلك من كلام العرب: أن يتبعوا الخفص الخفص إذا أشبهه، قال الشاعر: تريك سنة وجه... البيت اد. وقال بعضهم سمعت القراء قال: قلت لأبي ثروان وقد أشدني هذا البيت بخفص: كيف تقول: تريك سنة وجه غير مقرفة قال: تريك سنة وجه غير مقرفة. (بجر غير) قلت: فأنشء، فخفص غير، فأعدت القول عليه، فقال: الذي تقول أنت أجود مما أقول أنا. وكان إنشاده على الخفص.

(٢) يذهب ابن جني في تحريج هذا المثال. مذهبا لعله استمده من كلام القراء، فيجعل حرب نعنا سبباً لقب المجرور، وقاعله مخلوف، والتقدير: حرب جحره؛ وعليه فلا شلوذ فيه، كما قال في الخصائص (طبعة جديدة بدار الكتب ١: ١٩١ - ١٩٢).

## القول في تأويل قوله تعالى

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ، فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا : إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؟ قَالُوا : لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ، سَوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلَيْنَا أَمْ صَبْرْنَا ، مَا لَنَا مِنْ مَّحِيسٍ (٢١)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ) وظهر هؤلاء الذين كفروا به يوم القيامة من قبورهم ، فصاروا بالبراز من الأرض جميعا ، يعنى كلهم . ( فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ) : يقول : فقال التَّبَاعُ منهم للمتبوعين ، وهم الذين كانوا يستكبرون في الدنيا عن إخلاص العبادة لله ، واتباع الرسل الذين أرسلوا إليهم : ( إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ) في الدنيا ، والتَّبَعُ : جمع تابع ، كما الغَيْبُ جمع غائب ، وإنما عَنَّوْا بقولهم : إنا كنا لكم تبعًا ، أنهم كانوا أتباعهم في الدنيا ، يأتمرون لما يأمرونهم به ، من عبادة الأوثان ، والكفر بالله ، وينتهون عما نهوهم عنه ، من اتباع رسل الله . ( فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ) ؟ يعنون : فهل أنتم دافعون عنا اليوم من عذاب الله من شيء . وكان ابن جريج يقول نحو ذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَقَالَ الضُّعَفَاءُ ) قال : الأتباع . ( لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ) : قال : للقادة .

وقوله ( لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ) : يقول عز ذكره : قالت القادة على الكفر بالله لتباعها ( لَوْ هَدَانَا اللَّهُ ) يعنون : لو بَيَّن لنا شيئا ندفع به عذابه عنا اليوم . ( لَهَدَيْنَاكُمْ ) : لبيئنا ذلك لكم ، حتى تدفعوا العذاب عن أنفسكم ، ولكننا قد جزعنا من العذاب ، فلم ينفعنا جزعنا منه ، وصبرنا عليه . ( سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلَيْنَا أَمْ صَبْرْنَا ، مَا لَنَا مِنْ مَّحِيسٍ ) يعنون : ما لهم من مزراع يزوغون عنه ، يقال منه : حاص عن كذا : إذا زاع عنه ، يَحْيِصُ حَيْصًا وَحَيْوُصًا وَحَيْصَانًا .

حدثني المنثى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن الحكم ، عن عمرو بن أبي ليلى أحد بني عامر ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : بلغني ، أو ذكر لي ، أن أهل النار قال بعضهم لبعض : يا هؤلاء ، إنه قد نزل بكم من العذاب والبلاء ما قد تَرَوْنَ ، فهلم فلنصبر ، فعمل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله ، فنفعهم الصبر إذ صبروا ، قال : فيجمعون رأيهم على الصبر ، قال : فصبروا ، فطال صبرهم ، ثم جزعوا فنادوا : ( سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلَيْنَا أَمْ صَبْرْنَا ، مَا لَنَا مِنْ مَّحِيسٍ ) : أى مَنجى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلَيْنَا أَمْ صَبْرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيسٍ ) : قال : إن أهل النار قال بعضهم لبعض : تعالوا ، فإتما أدرك أهل الجنة الجنة بيكأهم وتضرعهم إلى الله ، فتعالوا نبكى وتضرع إلى الله ، قال : فبكروا ، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم



قالوا: تعالوا، فأدرك أهل الجنة الجنة إلا بالصبر، تعالوا نصبر فصبروا صبراً لم يُر مثله، فلم ينفعهم ذلك، فعند ذلك قالوا: (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلَيْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحِيصٍ).

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ: إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ، وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي، فَلَا تَلُمُونِي وَلَا تَلُمُوا أَنْفُسَكُمْ، مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ، إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)

يقول تعالى ذكره: وقال إبليس لما قُضِيَ الأمر، يعني لما أُدخِل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، واستقر بكل فريق منهم قرارهم: إن الله وعَدكم أيها الأتباع النار، ووعدتكم النُصرة، فأخلفتكم وعدى، ووفى الله لكم بوعده. (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) يقول: وما كان لي عليكم فيما وعدتكم من النُصرة، من حجة تثبت لي عليكم بصدق قولي. (إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ)، وهذا من الاستثناء المنقطع عن الأول، كما تقول: ما ضربته إلا أنه أحمق، ومعناه: ولكن دعوتكم (فاسْتَجَبْتُمْ لِي) يقول: إلا أن دعوتكم إلى طاعتي ومعصية الله، فاستجبت لدعائي (فَلَا تَلُمُونِي) على إجابتي إياي (وَلَا تَلُمُوا أَنْفُسَكُمْ): عليها. (مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ) يقول: ما أنا بمصفيكم (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي) ولا أنتم بمغيبين من عذاب الله، فمنجيتي منه. (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) يقول: إني جحدت أن أكون شريكاً لله فيما أشركتموني فيه من عبادتكم من قبل في الدنيا. (إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول: إن الكافرين بالله لهم عذاب أليم من الله، مَوْجِع، يقال: أصرخت الرجل: إذا أغشته، إصراخاً، وقد صرخ الصارخ يَصْرُخُ، وَيَصْرُخُ قَلِيلَةً، وهو الصريخ والصراخ. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المنثري، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر في هذه الآية (ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) قال: خطيبان يقومان يوم القيامة: إبليس، وعيسى بن مريم، فأما إبليس فيقوم في حزيه، فيقول: هذا القول؛ وأما عيسى عليه السلام فيقول (مَا قُلْتُ كُفُومًا إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ: أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ، وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُمْ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ).

(١) لعله يريد أن الفعل يصرخ بضم الراء، وأن فيه لغة قليلة بفتحها. ولم أجدها في المعجم التي بين أيدينا، ولا في معاني القرآن لفراء، ولا في مجاز القرآن لأبي عبيدة.

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبي ، قال : يقوم خطيبان يوم القيامة : أحدهما عيسى ، والآخر إبليس ؛ فأما إبليس فيقوم في حزبه فيقول : ( إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ ) ، فتلا داود حتى بلغ ( بِمَآ أَشْرَكْتُمْ مِّن قَبْلُ ) فلا أدري أتم الآية أم لا ؛ وأما عيسى عليه السلام فيقال له : ( أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا مِنِّي وَأُمَّيْ إِهْتَبِينَ مِّن دُونِ اللَّهِ ) ؟ فتلا حتى بلغ ( إِنَّكَ أَنْتَ الْعَرِيبُ الْحَكِيمُ ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، قال : يقوم خطيبان يوم القيامة على رهوس الناس ، يقول الله عز وجل : يا عيسى بن مريم ( أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا مِنِّي وَأُمَّيْ إِهْتَبِينَ مِّن دُونِ اللَّهِ ؟ ) . . . إلى قوله ( هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ) قال : ويقوم إبليس فيقول : ( وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ، فَلَا تَلْمُزُونِي وَلَوْ مَوَّأْتُمْ أَنفُسَكُمْ ، مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ) ما أنا بمغيثكم ، وما أنتم بمغيثي .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن الشعبي ، في قوله ( مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ) قال : خطيبان يقومان يوم القيامة ؛ فأما إبليس فيقول هذا ؛ وأما عيسى فيقول : ( مَا قُلْتُ كُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ) .

حدثنا المثني ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن رشدين بن سعد ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن زياد ، عن دُحَيْنِ الْحَجْرِيِّ ، عن عقبة بن عامر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر الحديث ، قال ( يقول عيسى : ذَلِكَ كُفْرُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ، فَيَبْأُتُونَنِي ، فَيَبْأُ ذَنْهُ اللَّهُ لِي أَنْ أَقُومَ ، فَيَشُورُ مِنِّي مَجْلِسِي مِن أَطْيَبِ رِيحٍ تَشْمُهُمَا أَحَدٌ ، حَتَّى آتِيَ رَبِّي ، فَيُشَفِّعَنِي ، وَيَجْعَلُ لِي نُورًا إِلَى نُورٍ ، مِن شَعْرِ رَأْسِي إِلَى ظَنْفَرِ قَدَمِي ، ثُمَّ يَقُولُ الْكَافِرُونَ قَدْ وَجَدَ الْمُؤْمِنُونَ مَن يَشْفَعُ لَهُمْ ، فَتَقَمُّ أَنْتَ فَاشْفَعْ لَنَا ، فَإِنَّكَ أَنْتَ أَضَلُّنَا ، فَيَقُومُ ، فَيَشُورُ مِنِّي مَجْلِسِي أَنْتَ رِيحٌ تَشْمُهُمَا أَحَدٌ ، ثُمَّ يَعْظُمُ تَحِييَهُمْ ، وَيَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ . . . الآية ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن ، في قوله ( وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ ) قال : إذا كان يوم القيامة ، قام إبليس خطيبا على منبر من نار ، فقال ( إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ) . . . إلى قوله ( وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ) قال : بناصري ( إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمْ مِّن قَبْلُ ) قال : بطاعتكم إياي في الدنيا .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك عن ذكره ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي ، قال : في قوله ( وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ : إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ ) قال : قام إبليس بخطيبهم ، فقال : ( إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ ) . . . إلى قوله ( مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ) يقول : بمغن عنكم شيئا ( وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ) ، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمْ مِّن قَبْلُ ) قال :



فلما سمعوا مقالته فقتلوا أنفسهم ، قال : فَنُودُوا : ( لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ) ... الآية  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ما أنا بِمُضْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ  
بِمُضْرِحِي ) : ما أنا بمغيثكم ، وما أنتم بمغيثي .

وقوله ( إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ ) يقول : عصيت الله قبلكم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَمَا أَنَا بِمُضْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُضْرِحِي ، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ ) قال :  
هذا قول إبليس يوم القيامة ، يقول : ما أنتم بنافعي ، وما أنا بنافعكم ، إني كفرت بما أشركتمون من قبل ،  
قال : شَرِكْتُهُ : عبادته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسين  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( بِمُضْرِحِي ) قال : بمغيثي .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ،  
قال : ما أنا بمنجيكم ، وما أنتم بمنجي .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال خطيب السوء إبليس الصادق ،  
أفرايت صادقاً لم ينفعه صدقه : ( إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ، وَمَا كَانَ  
لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ أَهْرَكم بِهِ ( إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ) قال : أطعتموني ( فلا  
تَلُومُوني وَكُومُوا أَنْفُسَكُمْ ) حين أطعتموني ( ما أنا بِمُضْرِحِكُمْ ) ما أنا بناصركم ولا مغيثكم ( وَمَا  
أَنْتُمْ بِمُضْرِحِي ) : وما أنتم بناصري ولا مغيثي لما بي ( إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ ،  
إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن الحكم ، عن عمرو بن أبي ليلى ، أحد  
بنی عامر ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول ( وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ) قال : قام  
إبليس عند ذلك ، يعني : حين قال أهل جهنم : ( سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ) ،  
فخطبهم فقال : ( إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ) . . . إلى قوله ( ما  
أنا بِمُضْرِحِكُمْ ) يقول : بمغن عنكم شيئاً ( وَمَا أَنْتُمْ بِمُضْرِحِي ) : إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ  
مِنْ قَبْلُ ) قال : فلما سمعوا مقالته فقتلوا أنفسهم ، قال : فَنُودُوا : ( لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ )  
... الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَدْخِلْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، تَحْيِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٣) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥)

يقول عزّ ذكره : وأدخل الذين صدقوا الله ورسوله ، فأقرأوا بوحداية الله ، وبرسالة رسله ، وأن ماجأت به من عند الله حقّ (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : وعملوا بطاعة الله ، فأنشئوا إلى أمر الله ونبيه . (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) : بساتين تجري من تحتها الأنهار (خالدين فيها بإذن ربهم) : يقول : ادخلوها بأمر الله لهم بالدخول (تَحْيِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) وذلك إن شاء الله ، كما حدثنا القاسم ، قال ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قوله (تَحْيِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) قال : الملائكة يسلمون عليهم في الجنة .

وقوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يا محمد بعين قلبك ، فتعلم كيف مثل الله مثلاً ، وشبهه شئبها : كلمة طيبة ، ويعنى بالطيبة : الإيمان به جلّ ثناؤه ، كشجرة طيبة الثمرة ، وترك ذكر الثمرة استغناء بمعرفة السامعين عن ذكرها بذكر الشجرة . وقوله (أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) يقول عزّ ذكره : أصل هذه الشجرة ثابت في الأرض ، وفرعها ، وهو أعلاها في السماء : يقول : مرتفع علوا نحو السماء . وقوله (تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) : يقول : تُطْعِم ما يؤكل منها من ثمرها ، كُلَّ حِينٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا (وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ) يقول : ويمثل الله الأمثال للناس ، ويشبه لهم الأشباه (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يقول : ليتذكروا حجة الله عليهم ، فيعتبروا بها ويتعظوا ، فينزعوا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيمان .

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بالكلمة الطيبة ، فقال بعضهم : عني بها : لإيمان المؤمن :

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَلِمَةً طَيِّبَةً) : شهادة أن لا إله إلا الله (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) وهو المؤمن . (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) يقول : لا إله إلا الله ثابت في قلب المؤمن (وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) يقول : يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس



( كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ ) قال: هذا مثل الإيمان ، فالإيمان : الشجرة الطيبة ، وأصله الثابت الذي لا يزول الإخلاص لله ، وفرعه في السماء ، وفرعه : خشية الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ( أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ) قال : كنخلة .  
قال ابن جريج : وقال آخرون : الكلمة الطيبة أصلها ثابت في ذات أصل في القلب ( وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ ) تعرج فلا تحجب ، حتى تنتهي إلى الله .  
وقال آخرون : بل عني بها المؤمن نفسه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِأذنِ رَبِّهَا ) ، يعني بالشجرة الطيبة : المؤمن ، ويعني بالأصل الثابت : في الأرض ، وبالفرع في السماء : يكون المؤمن يعمل في الأرض ، ويتكلم ، فيبلغ عمله وقوله السماء ، وهو في الأرض .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي في قوله ( ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ) قال : ذلك مثل المؤمن ، لا يزال يخرج منه كلام طيب ، وعمل صالح يصعد إليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قال : أصلها ثابت : في الأرض ، وكذلك كان يقرؤها ، قال : ذلك المؤمن ضرب مثله ، قال : الإخلاص لله وحده وعبادته ، لا شريك له ، قال : ( أَصْلُهَا ثَابِتٌ ) قال : أصل عمله ثابت في الأرض ( وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ ) قال : ذكره في السماء .

واختلفوا في هذه الشجرة التي جعلت للكلمة الطيبة مَثَلًا ، فقال بعضهم : هي النخلة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قررة ، قال : سمعت أنس ابن مالك في هذا الحرف ( كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ) قال : هي النخلة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قررة ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول : ( كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ) قال : النخل .

حدثني يعقوب والحسن بن محمد ، قال : ثنا ابن علي ، قال : ثنا شعيب ، قال : قال : خرجت مع أبي العالية ، نريد أنس بن مالك ، قال : فأثيناها ، فدعا لنا بقرينو عليه رُطَب ، فقال : كلوا من هذه الشجرة ،

التي قال الله عز وجل (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ ،  
وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ) وقال الحسن في حديثه : بقناع .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا شعيب  
بن الحبحاب ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقناع بسُر ، فقال : مثل (كَلِمَةً طَيِّبَةً  
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ) قال : هي النخلة .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن شعيب بن الحبحاب ، عن  
أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقناع فيه بسر ، فقال : « مَثَلٌ كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ  
طَيِّبَةٍ » قال : هي النخلة ، قال شعيب ، فأخبرت بذلك أبا العالية ، فقال : كذلك كانوا يقولون .

حدثني المثني ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن شعيب بن الحبحاب ، قال : كنا  
عند أنس ، فأُتينا بطبق أو قِنُوعٍ عليه رطب ، فقال : كل يا أبا العالية ، فإن هذا من الشجرة التي ذكر الله  
عز وجل في كتابه (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ ، عن شعيب بن الحبحاب ،  
قال : كان أبو العالية يأتيني ، فأتاني يوما في منزلي بعد ما صليت الفجر ، فانطلقت معه إلى أنس بن مالك ،  
فدخلنا معه إلى أنس بن مالك ، فجاء بطبق عليه رطب ، فقال أنس لأبي العالية : كل يا أبا العالية ، فإن  
هذه من الشجرة التي قال الله في كتابه : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ  
طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ) قال : هكذا قرأها يومئذ أنس .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق ، قال : ثنا شريك ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله ، مثله .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الغفار بن القاسم ، عن جامع بن أبي راشد ،  
عن مُرَّةِ بْنِ شَرَاهِيلِ الْهَمْدَانِيِّ ، عن مسروق ( كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ) قال : النخلة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال ثنا عيسى « ح » ، وحدثني الحارث قال : ثنا  
الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء « ح » ، وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل  
جميعا ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن مُرَّةِ ، عن عبد الله ، مثله .  
حدثني المثني ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : ثنا خالد ، قال : أخبرنا حُصَيْنٌ ، عن عكرمة ،  
في قوله ( كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ) قال : هي النخلة ، لا تزال فيها منفعة .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَعْرُوءٍ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله  
( كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ) قال : ضرب الله مثل المؤمن كمثل النخلة : تؤتي أكلها كل حين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ  
طَيِّبَةٍ ) : كنا نحدث أنها النخلة .



حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ )  
قال : يزعمون أنها النخلة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ  
حِينٍ ) قال : هي النخلة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا الأعمش ، عن المهال بن عمرو ، عن  
سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَقَرَّعُهَا فِي السَّمَاءِ ) قال : النخلة .

قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا خالد ، عن الشيباني ، عن عكرمة ( تُؤْتِي  
أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ ) قال : هي النخلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال شعيب بن الحبحاب ،  
عن أنس بن مالك : الشجرة الطيبة : النخلة .

وقال آخرون : بل هي شجرة في الجنة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا أبو كدينة ، قال : ثنا قابوس بن أبي ظبيان ، عن  
أبيه ، عن ابن عباس ، في قول الله عز وجل ( ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَيْلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ،  
أَصْلُهَا ثَابِتٌ ، وَقَرَّعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ) قال : هي شجرة في الجنة .  
ﷺ وَأَوَّلَى الْقَوْلِينَ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ : قول من قال : هي النخلة ، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بما حدثنا به الحسن بن محمد ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال :  
صعبت ابن عمر إلى المدينة ، فلم أسمعهم يتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثاً واحداً ، قال :  
كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فأُتِيَ بِجُمُارٍ ، فقال : « مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ مِثْلُهَا مِثْلُ الرَّجُلِ  
المُسْلِمِ » فأردت أن أقول : هي النخلة ، فإذا أنا أصغر القوم ، فسكت .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا سليمان ، عن يوسف بن سريح ، عن رجل ،  
عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هَلْ تَدْرُونَ مَا الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ ؟ » قال ابن  
عمر : فأردت أن أقول : هي النخلة ، فنعني مكان عمر ، فقالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم : هي النَّخْلَةُ .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الله بن دينار ، عن  
ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً لأصحابه : « إِنَّ شَجَرَةَ مَنْ الشَّجَرِ لَا يُطْفَرُحُ  
وَرَقُّهَا مِثْلُ الْمُؤْمِنِ » قال : فوقع الناس في شجر البدو ، ووقع في قلبى أنها النخلة ، فاستحييت ، حتى  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هي النَّخْلَةُ » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عاصم بن علي ، قال : ثنا عبد العزيز بن مسلم القيسيمى<sup>١</sup> ، قال : ثنا عبد الله

(١) بتقديم الميم على اللام ، كما في تاج العروس (قسل : كز برج) ، وفي الخلاصة ، بتقديم اللام على الميم ، ولعله خطأ مطبعي .

ابن دينار ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَهِيَ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ ، فَحَدَّثُونِي مَا هِيَ ؟ » فذكر نحوه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا علي ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : ثنا نافع ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَحْبَبُّونِي بِشَجَرَةٍ كَمَثَلِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ ، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ ، لَا يَبْتَحَاتُ وَرَقُهَا ، قَالَ : فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ ، وَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ ، فَلَمَّا لَمْ يَتَكَلَّمُوا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هِيَ النَّخْلَةُ . »

حدثنا الحسن ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا إسماعيل ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

واختلف أهل التأويل في معنى الحين ، الذي ذكر الله عز وجل في هذا الموضع ، فقال ( تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ) فقال بعضهم : معناه : تؤتي أكلها كل غداة وعشية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : الحين : قد يكون غدوة وعشية .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، في قوله ( تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ) قال : غدوة وعشية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا محمد بن المنذر ، قال : ثنا محمد بن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلحة ، عن زائدة ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا علي بن الجعد ، قال : ثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، في قوله ( تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ) قال : بكرة وعشيا .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس : ( تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ) قال : بكرة وعشية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ) قال : يُذَكِّرُ اللَّهُ كُلَّ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا أبو كدينة ، قال : ثنا قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ) : قال : غدوة وعشية .



حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغفراء ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله :  
( تُوِّفِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ) قال : المؤمن يطبع الله بالليل والنهار ، وفي كل حين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس :  
( تُوِّفِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ) يصعد عمله أول النهار وآخره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ( تُوِّفِي  
أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ) قال : يصعد عمله غدوة وعشية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك  
يقول في قوله : ( تُوِّفِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ) قال : تُخْرَج ثمرتها كل حين ، وهذا مثل المؤمن  
يعمل كل حين كل ساعة من النهار ، وكل ساعة من الليل ، وبالشتاء والصيف ، بطاعة الله .  
وقال آخرون : معنى ذلك : تُوِّفِي أْكُلَهَا كُلَّ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، من بين صيرامها إلى حملها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن  
جبير ، عن ابن عباس ، قال : الحين : ستة أشهر .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علكية ، قال : أخبرنا أيوب ، قال : قال عكرمة : سئلت عن رجل حلف  
أن لا يصنع كذا وكذا إلى حين ، فقلت : إن من الحين حيناً لا يدرك ، ومن الحين حيناً لا يدرك ، فالحين الذي  
لا يدرك قوله ( وَلَمَّا عَلِمْنَا نَبَأَ هُ بَعْدَ حِينٍ ) والحين ، الذي يُدْرِك ( تُوِّفِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ  
رَبِّهَا ) قال : وذلك من حين تُصْرَمُ النخلة إلى حين تطلع ، وذلك ستة أشهر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن الأصبهاني ، عن عكرمة ، قال : الحين :  
ستة أشهر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا خالد ، عن الشيباني ، عن عكرمة ، في قوله  
( تُوِّفِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ) قال : هي النخلة ، والحين : ستة أشهر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا جعفر ، قال : ثنا عكرمة ( تُوِّفِي أْكُلَهَا  
كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ) قال : هو ما بين حمل النخلة إلى أن تُخْرَجَ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، قال : قال عكرمة : الحين : ستة أشهر .  
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جبير ،

عن ابن عباس ، أنه سئل عن رجل حلف أن لا يكلم أخاه حيناً ، قال : الحين : ستة أشهر ، ثم ذكر النخلة  
ما بين حملها إلى صيرامها ستة أشهر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن طارق ، عن سعيد بن جبير ( تُوِّفِي أْكُلَهَا  
كُلَّ حِينٍ ) قال : ستة أشهر .

(١) تحرز ، بتقديم الزاي على الراء : أي يقدر ما عليها من الثمر بالنظر إليها والحدس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال ( تُوِّيْتُ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ) والحين : ما بين السبعة والستة ، وهي تؤكل شتاءً وصيفا .  
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : ما بين الستة الأشهر والسبعة : يعنى الحين .  
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني ، عن عكرمة قال : الحين : ستة أشهر .  
 وقال آخرون : بل الحين ههنا سنة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي مكين ، عن عكرمة ، إن نَدَرَ أن يقطع يد غلامه أو يجبسه حيناً ، قال : فسألني عمر بن عبد العزيز ، فقلت : لانتقطع يده ، ويجبسه سنة ، والحين : سنة ، ثم قرأ ( لَيْسَ جُنُودُهُ حَتَّى حِينٍ ) ، وقرأ ( تُوِّيْتُ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ) .  
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، قال : وزاد أبو بكر الهذلي ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : الحين حينان : حين يعرف ، وحين لا يعرف ، فأما الحين الذي لا يعرف : ( وَاسْتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ) . وأما الحين الذي يُعرف ، فقوله ( تُوِّيْتُ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ) .  
 حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سألت حمادا والحكمم ، عن رجل حلف ألا يكلم رجلاً إلى حِينٍ ، قال : الحين : سنة .  
 حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء « ح » ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء « ح » ؛ وحدثني المنني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( كُلَّ حِينٍ ) قال : كل سنة .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( تُوِّيْتُ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ) قال : كل سنة .  
 حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سلام ، عن عطاء بن السائب ، عن رجل منهم ، أنه سأل ابن عباس ، فقال : حلفت ألا أكلم رجلاً حيناً ، فقرأ ابن عباس : ( تُوِّيْتُ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ) ، فالحين : سنة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن عسيل ، عن عكرمة ، قال : أرسل إلى عمر بن عبد العزيز ، فقال : يا مولاي ابن عباس ، إنى حلفت أن لا أفعل كذا وكذا حيناً ، فما الحين الذي يعرف به ؟ قلت : إن من الحين حيناً لا يدرك ، ومن الحين حين يدرك ، فأما الحين الذي لا يدرك ، فقول الله : ( هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مِّنْ دُونِ كُورٍ ) ، والله ما يدري كم أتى له إلى أن خلق . وأما الذي



يدرك فقوله (تَوَوُّتِي أَكُلَّهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) ، فهو ما بين العام إلى العام المقبل ، فقال : أصبت يا مولى ابن عباس : ما أحسن ما قلت !

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، قال : أتى رجل ابن عباس ، فقال : إني نذرت أن لا أكلم رجلا حيننا ، فقال ابن عباس (تَوَوُّتِي أَكُلَّهَا كُلَّ حِينٍ) ، فالحين : سنة .  
وقال آخرون : بل الحين في هذا الموضع : شهران .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا محمد بن مسلم الطائفي ، عن إبراهيم بن ميسرة ، قال : جاء رجل إلى سعيد بن المسيب ، فقال : إني حلفت أن لا أكلم فلانا حيننا ، فقال : قال الله تعالى : (تَوَوُّتِي أَكُلَّهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : هي النخلة ، لا يكون منها أكلها إلا شهرين : فالحين شهران .  
وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب : قول من قال : عُنِيَ بالحين في هذا الموضع : غُدوة وعَشية ، وكل ساعة ، لأن الله تعالى ذكره ضرب ما تَوَوَّتِي هذه الشجرة كلَّ حِينٍ من الأَكُلِّ ، لعمل المؤمن وكلامه مثلا ، ولا شك أن المؤمن يُرْفَع له إلى الله في كل يوم صالح من العمل والقول ، لا في كل سنة ، أو في كل ستة أشهر ، أو في كل شهرين . فإذا كان ذلك كذلك ، فلا شك أن المثل لا يكون خيلا للمُتَمَسِّل به في المعنى . وإذا كان ذلك كذلك ، كان بيِّنا صحة ما قلنا .

فإن قال قائل : فأى نخلة تَوَوَّتِي في كل وقت أكلا صيفا وشتاء ؟ قيل : أما في الشتاء فإن الطلع من أكلها . وأما في الصيف فالبلح والبُسْر والرطب والتمر ، وذلك كله من أكلها .  
وقوله (تَوَوُّتِي أَكُلَّهَا) : فإنه كما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تَوَوُّتِي أَكُلَّهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : يؤكل ثمرها في الشتاء والصيف .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (تَوَوُّتِي أَكُلَّهَا كُلَّ حِينٍ) قال : هي تؤكل شتاء وصيفا .

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس (تَوَوُّتِي أَكُلَّهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) : يصعد عمله ، يعني عمل المؤمن من أوّل النهار وآخره .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : ومثل الشرك بالله ، وهي الكلمة الخبيثة ، كشجرة خبيثة .

اختلف أهل التأويل فيها أي شجرة هي ؟ فقال أكثرهم : هي الخنظل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، قال :

سمعت أنس بن مالك ، قال في هذا الحرف (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال: الشَّريان ، فقلت : ما الشَّريان ؟ قال رجل عنده : الحنظل ، فأقر به معاوية .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شِبابة ، قال : أخبرنا شعبة ، عن معاوية بن قررة ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول : (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال : الحنظل .  
حدثنا الحسن ، قال : ثنا عمرو بن الهيثم ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قررة ، عن أنس بن مالك ، قال : الشَّريان : يعنى الحنظل .

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن ابن جريج ، عن الأعمش ، عن حبان بن شعبة ، عن أنس بن مالك ، في قوله (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال : الشَّريان ، قلت لأنس : ما الشَّريان ؟ قال : الحنظل .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عمليّة قال : ثنا شعيب ، قال : خرجت مع أبي العالمة ، نريد أنس ابن مالك ، فأتيناه ، فقال (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) : تلکم الحنظل .  
حدثنا الحسن ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن شعيب بن الحبحاب ، عن أنس ، مثله .  
حدثنا المثني قال ثنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو إياس ، عن أنس بن مالك ، قال : الشجرة الخبيثة : الشَّريان ، فقلت : وما الشريان ؟ قال : الحنظل .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن شعيب ، عن أنس ، قال : تلکم الحنظل .  
حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا مهدي بن ميمون ، عن شعيب ، قال : قال أنس : (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) . . . الآية ، قال : تلکم الحنظل ، ألم تروا إلى الرياح كيف تُصَفِّقُهَا يَمِينًا وَشِمَالًا ؟

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ) : الحنظلة .

وقال آخرون : هذه الشجرة لم تُخلق على الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني ، قال : : ثنا عفان ، قال : ثنا أبو كدينة ، قال : ثنا قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُنِبَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ) قال : هذا مثل ضربه الله ، ولم تُخلق هذه الشجرة على وجه الأرض .  
وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح قول من قال : هي الحنظلة ، خبر ، فإن صح فلا قول يجوز أن يقال غيره ، وإلا فإنها شجرة بالصفة التي وصفها الله بها .

ذكر الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن شعيب بن الحبحاب ، عن



أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ) قال : هي الخنظلة » قال شعيب : وأخبرت بذلك أبا العالية ، فقال : كذلك كانوا يقولون . وقوله ( اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ) يقول : استؤصت ، يقال منه : اجتثت الشيء اجتثا : إذا استأصلته .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ) قال : استؤصت من فوق الأرض ( ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ ) يقول : مالهذه الشجرة من قرار ، ولا أصل في الأرض تنبت عليه وتقوم ، وإنما ضربت هذه الشجرة التي وصفها الله بهذه الصفة لكفر الكافر وشركه به مثلا ، يقول : ليس لكفر الكافر وعمله الذي هو معصية الله في الأرض ثبات ، ولا له في السماء مَصْعَدٌ ، لأنه لا يصعد إلى الله منه شيء .  
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) : ضرب الله مثل الشجرة الخبيثة كمثل الكافر ، يقول : إن الشجرة الخبيثة اجتثت من فوق الأرض ، ما لها من قرار : يقول : الكافر لا يقبل عمله ، ولا يصعد إلى الله ، فليس له أصل ثابت في الأرض ، ولا فرع في السماء . يقول : ليس له عمل صالح في الدنيا ولا في الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ، ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ) قال قتادة : إن رجلا لقي رجلا من أهل العلم ، فقال : ما تقول في الكلمة الخبيثة ؟ فقال : ما أعلم لها في الأرض مستقرا ، ولا في السماء مَصْعَداً ، إلا أن تلزم عنق صاحبها ، حتى يوافي بها يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي العالية ، أن رجلا خابحت الريح رداءه ، فلعبها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَلْعَنُهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ ، رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَى صَاحِبِهَا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ) قال : هذا الكافر ليس له عمل في الأرض ، ولا ذكر في السماء . ( اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ ) قال : لا يصعد عمله إلى السماء ، ولا يقوم على الأرض : فقيل : فأين تكون أعمالهم ، قال : يحملون أوزارهم على ظهورهم .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي ( وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ) قال : مثل الكافر : لا يصعد له قول طيب ، ولا عمل صالح .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال ( وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ) وهي الشرك ( كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ) يعني الكافر ، قال ( اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ، مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ) يقول : الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ، ولا برهان ، ولا يقبل الله مع الشرك عملاً .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ( وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ) قال : مثل الشجرة الخبيثة مثل الكافر ، ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع ، ولا قوله ولا عمله يستقرّ على الأرض ، ولا يصعد إلى السماء .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول : ضرب الله مثل الكافر كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار : يقول : ليس لها أصل ولا فرع ، وليست لها ثمرة ، وليست فيها منفعة ، كذلك الكافر ليس بعمل خيرا ولا يقوله ، ولم يجعل الله فيه بركة ولا منفعة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ) يحقق الله أعمالهم وإيمانهم ( بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ) يقول : بالقول الحق ، وهو فيما قيل : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

وأما قوله ( فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) فإن أهل التأويل اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : : عنى بذلك أن الله يثبتهم في قبورهم قبل قيام الساعة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب سلم بن جنادة ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء بن عازب ، في قوله ( يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) قال : التثبيت في الحياة الدنيا إذا أتاه الملكان في القبر ، فقالا له : من ربك ؟ فقال : ربي الله ، فقالا له : ما دينك ؟ قال : ديني الإسلام ، فقالا له : من نبيك ؟ قال : نبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فذلك التثبيت في الحياة الدنيا . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء بن عازب ، بنحو منه في المعنى .



حدثني عبد الله بن إسحاق الناقد الواسطي ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن علقمة ابن مرثد ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء ، قال : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن والكافر ، فقال : « إن المؤمن إذا سُئِلَ في قَبْرِهِ قال : رَبِّي اللهُ ، فذلك قوله ( يَشْبَثُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ) » .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا هشام بن عبد الملك ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني علقمة بن مرثد قال : سمعت سعد بن عبيدة ، عن البراء بن عازب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ » قال : فذلك قوله ( يَشْبَثُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ) .

حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كبشة ، ومحمد بن معتمر البحراني ، واللفظ لحديث بن أبي كبشة ، قال : ثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي نصر ، عن أبي سعيد ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة ، فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تَبْتَلِي فِي قُبُورِهَا ، فَإِذَا الْإِنْسَانُ دُفِنَ وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، جَاءَهُ مَلَكٌ بِيَدِهِ مِطْرَاقٌ ، فَأَقْعَدَهُ ، فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ لَهُ : صَدَقْتَ ، فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ ، فَيَقَالُ : هَذَا مَسْزِلُكَ لَوْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ ، فَأَمَّا إِذَا آمَنْتَ بِهِ ، فَإِنَّ اللهُ أَبْدَلَكَ بِهِ هَذَا ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيُرِيدُ أَنْ يَنْهَضَ لَهُ ، فَيَقَالُ لَهُ : اسْكُنْ ، ثُمَّ يَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ ، فَيَقَالُ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ : مَا أَدْرِي ، فَيَقَالُ لَهُ : لَادْرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَلَا اهْتَدَيْتَ ، ثُمَّ يَفْسَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيَقَالُ لَهُ : هَذَا كَانَ مَسْزِلُكَ لَوْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ ، فَأَمَّا إِذَا كَفَرْتَ ، فَإِنَّ اللهُ أَبْدَلَكَ هَذَا ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ ، ثُمَّ يَقْمَعُهُ الْمَلَائِكَةُ بِالْمِطْرَاقِ قَمْعَةً يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللهِ كُلُّهُمْ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ » قال بعض أصحابه : يا رسول الله ، ما منا أحد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق ، إلا هيل عند ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( يَشْبَثُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ ، وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « وَذَكَرَ قَبْضَ رُوحِ الْمُؤْمِنِ : فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فِي قَبْرِهِ ، فَيَقُولَانِ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللهُ ، فَيَقُولَانِ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ دِينِي الْإِسْلَامُ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللهِ ، فَيَقُولَانِ : مَا يُدْرِيكَ ؟ فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ ، فَأَمَنْتُ بِهِ ،

وَصَدَّقْتُ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ صَدَّقَ عَبْدِي ، قَالَ : فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ( يَشْبَثُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَفِي الآخِرَةِ ) .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، قال : ثنا الأعمش ، قال : ثنا المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن يونس بن خباب ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا مهدي بن ميمون جميعا ، عن يونس بن خباب ، عن المنهال بن عمرو ،

عن زاذان ، عن البراء بن عازب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَذَكَرَ قَبْضَ رُوحِ الْمُؤْمِنِ ، قَالَ : فَيَأْتِيهِ آتٌ فِي قَبْرِهِ ، فَيَقُولُ : مَنْ رَبُّكَ ، وَمَا دِينُكَ ، وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَسْتَهْرِهُ ، فَيَقُولُ : مَنْ رَبُّكَ ، وَمَا دِينُكَ ؟ فَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ( يَشْبَثُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ) ، فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيُقَالُ لَهُ : صَدَّقْتُ » .

واللفظ لحدث ابن عبد الأعلى .

حدثنا محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن

أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ( يَشْبَثُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ) قَالَ : ذَلِكَ إِذَا قِيلَ فِي الْقَبْرِ : مَنْ رَبُّكَ ، وَمَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَأَمَّنْتُ بِهِ رَاصِدَةً . فَيُقَالُ لَهُ : صَدَّقْتُ ، عَلَى هَذَا عِشْتُ ، وَعَلَيْهِ مِيتٌ ، وَعَلَيْهِ تَبَعْتُ » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، والحسن بن محمد ، قالا : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا محمد بن عمرو ، عن

أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : « إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَسْمَعُ حَقْفَى نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ، فَإِذَا كَانَ مُؤْمِنًا ، كَانَتْ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَالزَّكَاةُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ بَسَارِهِ ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّائَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ ،



فَيُؤْتِي مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ : مَا قَبِيلِي مَدْخَلٌ ، فَيُؤْتِي عَنِ يَمِينِهِ ، فَتَقُولُ  
 الرُّكَاةُ : مَا قَبِيلِي مَدْخَلٌ ، فَيُؤْتِي عَنِ يَسَارِهِ ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ مَا قَبِيلِي مَدْخَلٌ ، فَيُؤْتِي  
 مِنْ عِنْدِ رِجْلَيْهِ ، فَيَقُولُ فِعْلُ الْحَسَنَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ وَالْمَعْرُوفِ حَسَانٌ إِلَى  
 النَّاسِ : مَا قَبِيلِي مَدْخَلٌ ، فَيُقَالُ لَهُ : اجْلِسْ ، فَيَجْلِسُ ، قَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ قَدْ  
 دَتَّتْ لِلْغُرُوبِ ، فَيُقَالُ لَهُ : أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسَأَلُكَ ، فَيَقُولُ : دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ ، فَيَقُولُ : إِنَّكَ  
 سَتَفْعَلُ ، فَأَخْبِرْنَا عَمَّا نَسَأَلُكَ عَنْهُ ، فَيَقُولُ : وَعَمَّ تَسْأَلُونَ ؟ فَيُقَالُ : أَرَأَيْتَ هَذَا الرَّجُلَ  
 الَّذِي كَانَ فِيكُمْ ، مَاذَا تَقُولُ فِيهِ ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ ؟ فَيَقُولُ : أَمَحَمَّدٌ ؟ فَيُقَالُ لَهُ :  
 نَعَمْ ، فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَصَدَّقْنَاهُ .  
 فَيُقَالُ لَهُ : عَلَى ذَلِكَ حَيِّبٌ ، وَعَلَى ذَلِكَ مَيْتٌ ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يَفْسَحُ لَهُ  
 فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : انظُرْ إِلَى  
 مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ، فَيَزِدَادُ غَيْظَةً وَسُرُورًا ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ ، فَيُقَالُ لَهُ :  
 انظُرْ مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ لَوْ عَصَيْتَهُ ، فَيَزِدَادُ غَيْظَةً وَسُرُورًا ، ثُمَّ يَجْعَلُ نَسَمَهُ فِي  
 النَّسَمِ الطَّيِّبِ ، وَهِيَ طَيْرٌ خَضِرٌ تَعْلَقُ بِشَجَرِ الْجَنَّةِ ، وَيُعَادُ جَسَدَهُ إِلَى مَا بَدَى مِنْهُ مِنَ  
 الرِّثَابِ ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ( يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
 وَفِي الْآخِرَةِ ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا المسعودي ، عن عبد الله بن محارق ، عن أبيه ،  
 عن عبد الله ، قال : إن المؤمن إذا مات أُجلس في قبره ، فيقال له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟  
 فيثبته الله ، فيقول : ربِّي الله ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد ؛ قال : فقرأ عبد الله ( يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ  
 آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا أبو خالد القرشي ، عن سفيان ، عن أبيه ؛ وحدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ،  
 قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن خيثمة ، عن البراء ، في قوله ( يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ  
 الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) قال : عذاب القبر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا شعبة ، عن علقمة بن مرثد ، عن سعد بن عبيدة ، عن  
 البراء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قول الله تعالى ( يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ  
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ) قال شعبة شيئاً لم أحفظه ، قال : في القبر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
 قوله ( يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ) . . . إلى قوله ( وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ) قال : إن  
 المؤمن إذا حضره الموت شهدته الملائكة ، فسلموا عليه ، وبشروه بالجنة ، فإذا مات مشواً في جنازته ، ثم

صَلُّوا عَلَيْهِ مَعَ النَّاسِ ، فَإِذَا دُفِنَ أَجْلَسَ فِي قَبْرِهِ ، فَيَقَالُ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ ، وَيَقَالُ لَهُ : مَنْ رَسُولُكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ ، فَيَقَالُ لَهُ : مَا شَهَادَتُكَ ؟ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَيُوسَعُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصْرَهُ .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : سمعت ابن طاوس يخبر عن أبيه ، قال : لأعلمه إلا قال : هي في فتنة القبر في قوله ( يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبيه ، أنه كان يقول في هذه الآية : ( يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ) : هي في صاحب القبر .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن العوام ، عن المسيب بن رافع : ( يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ) قال : نزلت في صاحب القبر حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبيه المسيب ابن رافع نحوه .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، في قول الله تعالى ( يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ) قال : بلغنا أن هذه الأمة تُسأل في قبورها ، فيثبت الله المؤمن في قبره حين يُسأل .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو ربيعة فهد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وذكر قبض روح المؤمن ، قال : فترجع روحه في جسده ، ويتبعه الله إليته ملكين شديدي الإنشهار ، فيجلسانيه ويتشهرانيه ، يقولان : مَنْ رَبُّكَ ؟ قال : فَيَقُولُ : اللَّهُ ، وَمَا دِينُكَ ؟ قال : الإسلام ، قال : فَيَقُولانِ لَهُ : ما هذا الرجل أو النبي الذي بعث فيكم ؟ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، قال : فَيَقُولانِ لَهُ : وَمَا يُدْرِيكَ ؟ قال : فَيَقُولُ : قرأت كتاب الله ، فأمنتُ به وصدقته ، فذلك قولُ الله ( يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ) : قال : نزلت في الميت الذي يُسأل في قبره عن النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قول الله ( يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ) قال : بلغنا أن هذه الأمة تُسأل في قبورها ، فيثبت الله المؤمن حيث يُسأل .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ( يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) قال : هذا في القبر مخاطبته ، وفي الآخرة مثل ذلك .



وقال آخرون : معنى ذلك : يثبت الله الذين آمنوا بالإيمان في الحياة الدنيا ، وهو القول الثابت ، وفي الآخرة : المسألة في القبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ( يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) قال : لا إله إلا الله ( وفي الآخرة ) : المسألة في القبر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) أما الحياة الدنيا ، فيثبتهم بالخير والعمل الصالح ، وقوله ( وفي الآخرة ) : أى في القبر .

والصواب من القول في ذلك : ما ثبت به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وهو أن معناه : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ، وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا ، بالإيمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي الآخرة : بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الدنيا ، وذلك في قبورهم حين يسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله ( وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ) فإنه يعنى أن الله لا يوفق المنافق والكافر في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة : عند المسألة في القبر ، لما هدى له من الإيمان المؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : أما الكافر فتنزّل الملائكة إذا حضره الموت ، فيبسطون أيديهم ، والبسط : هو الضرب ، يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت ، فإذا أدخل قبره أقعد ، فقيل له : مَنْ رَبُّكَ ، فلم يرجع إليهم شيئا ، وأنساه الله ذكر ذلك ، وإذا قيل له : مَنْ الرَّسُولُ الَّذِي بَعَثَ إِلَيْكَ ، لم يهتد له ، ولم يرجع إليه شيئا ، يقول : ( وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا فهد بن عوف أبو ربيعة ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن المنهال ابن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وذكر الكافر حين تُقبض روحه ، قال : فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، قال : فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ شَدِيدَا الْإِنْتِهَارِ ، فَيَجْلِسَانِهِ فَيَنْتَهِرَانِهِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : لا أدري . قال : فَيَقُولَانِ لَهُ : ما دينك ؟ فَيَقُولُ : لا أدري ، قال : فَيُقَالُ لَهُ : ما هذا النبي الذي بعث فيكم ؟ قال : فَيَقُولُ : سمعت الناس يقولون ذلك ، لا أدري ، قال : فَيَقُولَانِ : لا دريت ! قال : وذلك قول الله ( وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ ما يَشَاءُ ) . »

وقوله ( وَيَقْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ) يعنى تعالى ذكره بذلك : ويبد الله الهداية والإضلال ، فلا تنكروا أيها الناس قُدْرته ، ولا اهداء من كان منكم ضالا ، ولا ضلال من كان منكم مهتديا ، فإن بيده تصريف خلقه ، وتقليب قلوبهم ، يفعل فيهم ما يشاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا  
وَيُبْسِ الْقَرَارُ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : ألم تنظر يا محمد ( إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا ) يقول : غيروا ما أنعم الله به عليهم من نعمه ، فجعلوها كفرا به ، وكان تبديلهم نعمة الله كفرا فى نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم ، أنعم الله به على قريش ، فأخرجه منهم ، وابتعثه فيهم رسولا ، رحمة لهم ، ونعمة منه عليهم ، فكفروا به ، وكذبوه ، فبدلوا نعمة الله عليهم به كفرا . وقوله ( وأحلوا قومهم دار البوار ) يقول : وأنزلوا قومهم من مشركى قريش دار البوار ، وهى دار الهلاك ، يقال منه : بار الشيء يبور بوارا : إذا هلك وبطل ؛ ومنه قول ابن الزبير ، وقد قيل إنه لأبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

يا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورٌ ١

ثم ترجم عن دار البوار ، وما هى ؟ فقيل ( جهنم يصلونها ويبس القرار ) يقول : وبس المستقر هى جهنم لمن صلاها . وقيل : إن الذين بدلوا نعمة الله كفرا : بنو أمية ، وبنو مخزوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار وأحمد بن إسحاق ، قالا : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن سعد ، عن عمر بن الخطاب ، فى قوله ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ ) قال : هما الأفجران من قريش : بنو المغيرة ، وبنو أمية ، فأما بنو المغيرة فكفبتهم يوم بدر ؛ وأما بنو أمية فتبعوا إلى حين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : أخبرنا حمزة الزيات ، عن عمرو بن مرة ، قال : قال ابن عباس لعمر رضى الله عنهما : يا أمير المؤمنين ! هذه الآية ( الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) قال : هم الأفجران من قريش : أخوال وأعمامك ، فأما أخوالى فاستأصلهم الله يوم بدر ، وأما أعمامك ، فأملى الله لهم إلى حين .

(١) البيت ( فى اللسان : بور ) منسوب إلى عبد الله بن الزبير السهمي . قال : رجل بور ، وكذلك الاثنان والجمع والمؤنث ، وأنشد البيت شاهدا عليه . وفى سيرة ابن هشام : أنشد البيت ونسبه إلى ابن الزبير ، قاله من أبيات حين قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان هاريا منه فى نجران . والراتق : الذى يصلح ما بل أو تمزق من الثوب . وفتقت : يعنى : ما أحدث فى الدين من مقاومة النبي وهجائه بشعره ، وهو إثم يشبه الفتق فى الثوب ، والتوبة رتق له . وبور : هالك ، يقال رجل بور وبائر . وهو محل الشاهد =



حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذي مر ، عن عليّ ( وأحلّكوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) قال : الأفجران من قريش .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذي مر ، عن عليّ ، مثله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان وشريك ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذي مر ، عن عليّ ، قوله ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) قال : بنو المغيرة وبنو أمية ، فأما بنو المغيرة ، فقطع الله دابرهم يوم بدر ، وأما بنو أمية ، فقتلوا إلى حين .

حدثنا محمد بن المنثي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت عمرا ذا مر ، قال : سمعت عليا يقول في هذه الآية ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) قال : الأفجران من بني أسد وبني مخزوم .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن أبي الطفيل ، عن عليّ ، قال : هم كفار قريش ، يعني في قوله ( وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ ) .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن أبي الطفيل ، أنه سمع عليّ بن أبي طالب ، وسأله ابن الكواء عن هذه الآية ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) قال : هم كفار قريش يوم بدر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو النضر هاشم بن القاسم ، عن شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، قال : سمعت أبا الطفيل ، قال : سمعت عليا ، فذكر نحوه .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن مسلم البطين ، عن أبي أرطاة ، عن عليّ في قوله ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ) قال : هم كفار قريش . هكذا قال أبو السائب مسلم البطين ، عن أبي أرطاة .

حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانيّ ، قال : ثنا أبو معاوية الضريير ، قال : ثنا إسماعيل بن سميع ، عن مسلم بن أرطاة ، عن عليّ ، في قوله تعالى ( الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ) قال : كفار قريش .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن أبي الطفيل ، عن عليّ ، قال في قول الله ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) قال : هم كفار قريش .

« عند المؤلف . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن : « دار البوار » : أي الهلاك والنفاء ، ويقال منه : بار بيور ، ومنه قول عبد الله ابن الزبير . . . البيت .

(١) لعله هو عمرو بن مرة ، كما في ابن كثير في هذا الأثر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شباية ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، قال : سمعت أبا الطفيل يحدث ، قال : سمعت عليا يقول في هذه الآية : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) قال : كفار قريش يوم بدر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا بسام الصيرفي ، قال : ثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة ، ذكر أن عليا قام على المنبر ، فقال : سلوني قبل ألاّ تسألوني ، ولن تسألوا بعدي مثلي ، فقام ابن الكواء فقال : من ( الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) قال : منافقو قريش .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا بسام ، عن رجل قد سماه الطنافسي ، قال : جاء رجل إلى علي ، فقال : يا أمير المؤمنين : من ( الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) ؟ قال : في قريش .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا بسام الصيرفي ، عن أبي الطفيل ، عن علي أنه سئل عن هذه الآية ( الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ) قال : منافقو قريش .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا عمرو بن دينار ، أن ابن عباس قال في قوله : ( وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) قال : هم المشركون من أهل بدر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الجبار ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، قال : سمعت عطاء يقول : سمعت ابن عباس يقول : هم والله أهل مكة ( الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا صالح بن عمر ، عن مطرف بن طريف ، عن أبي إسحاق قال : سمعت عمرا إذا مرّ يقول : سمعت عليا يقول على المنبر : وتلا هذه الآية ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) قال : هما الأفجران من قريش ؛ فأما أحدهما : فقطع الله دابرهم يوم بدر ؛ وأما الآخر : فمُتَّعُوا إلى حين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن ، قال : ثنا شباية ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ( بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ) قال : كفار قريش .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن مجاهد ، قال : كفار قريش . حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ) : كفار قريش .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، قال : سمعت ابن عباس يقول : هم والله (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قريش ، أو قال : أهل مكة .

حدثنا ابن وكيع وابن بشار ، قالوا : ثنا عُثْمَرُ ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : قتلى يوم بدر .

حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنى عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم كفار قريش .

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المنثى ، قالوا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك وسعيد بن جبير ، قالوا : هم قتلى بدر من المشركين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس في (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم والله أهل مكة ، قال أبو كريب : قال سفيان : يعنى كفارهم .

حدثني المنثى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، في قوله (وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم المشركون من أهل بدر .

حدثني المنثى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي إسحاق ، عن بعض أصحاب علي ، عن علي ، في قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) قال : هم الأفجران من قريش من بني مخزوم وبني أمية ، أما بنو مخزوم ، فإن الله قطع دابرهم يوم بدر ، وأما بنو أمية فمُتَّعُوا إِلَى حِينِ .

حدثني المنثى ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : أخبرنا خالد ، عن حصين ، عن أبي مالك ، في قول الله : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) قال : هم القادة من المشركين يوم بدر .

حدثني المنثى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك وسعيد ابن جبير ، قالوا : هم كفار قريش ، من قُتِلَ بِبَدْرِ .

حدثني المنثى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاک ، قال : هم كفار قريش ، مَنْ قُتِلَ بِبَدْرِ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک ، يقول : في قوله : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) .. الآية ، قال : هم مشركو أهل مكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : أخبرني محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن

عطاء بن يسار ، قال : نزلت هذه الآية في الذين قُتِلوا من قريش ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) . . . الآية .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) : كنا نُحَدِّثُ أَنَّهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ : أَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ قَتَلَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ ، قَالَ اللَّهُ : ( جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) قال : هم قادة المشركين يوم بدر ، أحلوا قومهم دار البوار ( جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا ) . حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) قال : هؤلاء المشركون من أهل بدر .

وقال آخرون في ذلك ، بما حدثني به محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي عن ابن عباس ، قوله ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ، جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا ) فهو جبلة بن الأيهم ، والذين اتبعوه من العرب ، فلحقوا بالروم . وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ( وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) قال : أحلوا من أطاعهم من قومهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن عباس ( دَارَ الْبَوَارِ ) قال : الهلاك ، قال ابن جريج ، قال مجاهد ( وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ) قال : أصحاب بدر . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( دَارَ الْبَوَارِ ) النار ، قال وقد بين الله ذلك وأخبرك به ، فقال ( جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا ) : هي دارهم في الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ، قُلْ تَمَتَّعُوا ، فَإِنْ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كفرا لربهم أندادا ، وهي جماع زيد ، وقد بينت معنى الندى ، فيما مضى بشواهد ، بما أغنى عن إعادته ، وإنما أراد أنهم جعلوا لله شركاء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ) ، والأنداد : الشركاء . وقوله ( لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ) : اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء



الكوفيين (لِيُضِلُّوْا) بمعنى : كسى يضلوا الناس عن سبيل الله ، بما فعلوا من ذلك . وقرآته عامة قرآء أهل البصرة (لِيُضِلُّوْا) بمعنى : كسى يضلّ جاعلو الأنداد لله عن سبيل الله . وقوله (قُلْ تَمَتَّعُوا) : يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهم : تمتعوا في الحياة الدنيا ، وعيدا من الله لهم ، لا إباحة لهم التمتع بها ، ولا أمرا على وجه العبادة ، ولكن توييخا وتهدادا ووعيدا ، وقد بين ذلك بقوله : (فإنّ مصيركم إلى النار) يقول : استمتعوا في الحياة الدنيا ، فإنها سريعة الزوال عنكم ، وإلى النار تصيرون عن قريب ، فتعلمون هنالك غبّ تمتعكم في الدنيا بمعاصي الله ، وكفركم فيها به .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ، مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (٣١)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد (لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا) بك ، وصدقوا أن ما جئتهم به من عندي (يُقِيمُوا الصَّلَاةَ) يقول : قل لهم : فليقيموا الصلوات الخمس المفروضة عليهم بحدودها ، ولينفقوا مما رزقناهم ، فحوقلناهم من فضلنا . (سِرًّا وَعَلَانِيَةً) : فليؤدوا ما أوجبت عليهم من الحقوق فيها سرًّا وإعلانا . (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ) يقول : لا يقبل فيه فدية وعوض من نفس وجب عليها عقاب الله ، بما كان منها من معصية ربها في الدنيا ، فيقبل منها الفدية ، وترك فلا تعاقب ، فسمى الله جل ثناؤه الفدية عوضا ، إذ كان أخذ عوض من معتاض منه . وقوله (وَلَا خِلَالٌ) : يقول : وليس هناك مخاللة خليل ، فيصفح عن استوجب العقوبة عن العقاب لخالته ، بل هنالك العدل والقسط ، فالخلال مصدر من قول القائل : خاللت فلانا ، فأنا أخاله مخاللة وخلالا ؛ ومنه قول امرئ القيس :  
صرفتُ الهوى عنهنّ من خشيّة الردى ولستُ بمقبلي الخلال ولا قلى  
وجزم قوله (يُقِيمُوا الصَّلَاةَ) بتأويل الجزاء ، ومعناه : الأمر ، يراد قل لهم ليقيموا الصلاة .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ) يعني الصلوات الخمس . (وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) : يقول : زكاة أموالهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قوله (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ) قال قتادة : إن الله تبارك وتعالى قد علم أن في الدنيا

(١) البيت لامرئ القيس (مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلق السقا ، طبعة الخليل ص ٤٠) قال : الرد هنا : الفضيحة ، أي لم أنصرف عن لآني قليتين ، ولا لأنهن قليتي ، ولكن خشية الفضيحة والعار اه . والخلال هنا : مصدر خاله بخاله خللا وخلالة ، بمعنى المصادقة ، وبه استشهد المؤلف على هذا المعنى . وفي (اللسان : خلل) وقوله تعالى : « لا يبيع فيه ولا خللال » قيل : هو مصدر خاللت ، وقيل : هو جمع خلة (بضم الخاء) كجلة وجلال . وفي مجاز القرآن لآني عبيدة : مجازه : مبايعة فدية ، ولا مخاللة خليل . وله موضع آخر أيضا ، تجعله جمع خلة بمنزلة جلة ، والجمع : جلال ؛ وقلة ، والجمع : قلال .

بيوعا وخيلا بتخالئون بها في الدنيا ، فينظر رجل من بخال ، وعلام يصاحب ؟ فإن كان لله فليداوم ، وإن كان لغير الله ، فإنها ستنقطع .

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : الله الذي أنشأ السموات والأرض من غير شيء أئبها الناس ، وأنزل من السماء غيثا أحيا به الشجر والزرع ، فأثمرت رزقا لكم تأكلونه ( وسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ ) : وهي السفن . ( لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ) لكم تركيبها ، وتحملون فيها أمتعتكم من بلد إلى بلد . ( وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ) : ماؤها شراب لكم . يقول تعالى ذكره : الذي يستحق عليكم العباداة ، وإخلاص الطاعة له ، مَنْ هذه صفته ، لا يمكن على ضرر ولا نفع ، لنفسه ولا لغيره ، من أولئكم ، أيها المشركون ، وآلهنكم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، يعني الزعفراني ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المنثي ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ؛ وحدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ) قال : بكل بلدة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ، وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : الله الذي خلق السموات والأرض ، وفعل الأفعال التي وصف . ( وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ) : يتعاقبان عليكم أيها الناس بالليل والنهار ، لصلاح أنفسكم ومعاشكم . ( دَائِبَيْنِ ) في اختلافهما عليكم . وقيل : معناه : أنهما دائبان في طاعة الله .

حدثنا خلف بن واصل ، عن رجل ، عن مقاتل بن حيان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ) قال : داء وبهما : في طاعة الله . وقوله ( وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ) يختلفان عليكم باعتقاب ، إذا ذهب هذا ، جاء هذا بمنافعكم ، وصلاح أسبابكم ، فهذا لكم لتصرفكم فيه لمعاشكم ، وهذا لكم للسكن ، تسكنون فيه ، ورحمة منه بكم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَآسَاءٍ لُتْمُوهُ ، وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)



يقول تعالى ذكره: وأعطاكم مع إنعامه عليكم بما أنعم به عليكم، من تسخير هذه الأشياء التي سخرها لكم، والرزق الذي رزقكم، من نبات الأرض وغروسها، من كل شيء سألتموه، ورغبتم إليه، شيئا، وحذف الشيء الثاني، اكتفاء بما التي أضيفت إليها كل، وإنما جاز حذفه، لأن من تبععض مابعدا، فكفت بدلالتها على التبعض من المفعول، فلذلك جاز حذفه، ومثله قوله تعالى: (وأوتيت من كل شيء) يعني به: وأوتيت من كل شيء في زمانها شيئا؛ وقد قيل: إن ذلك إنما قيل على التكثير، نحو قول القائل: فلان يعلم كل شيء، وأناه كل الناس، وهو يعني بعضهم، وكذلك قوله (فتفتحنا عليهم أبواب كل شيء). وقيل أيضا: إنه ليس شيء إلا وقد سأله بعض الناس، فقيل (وآتاكم من كل ما سألتموه) أي قد آتى بعضكم منه شيئا، وآتى آخر شيئا مما قد سأله. وهذا قول بعض نحويي أهل البصرة. وكان بعض نحويي أهل الكوفة يقول: معناه: وآتاكم من كل ما سألتموه لو سألتموه، كأنه قيل: وآتاكم من كل سؤالكم، وقال: ألا ترى أنك تقول للرجل: لم يسألك شيئا، والله لأعطينك سؤالك ما بلغت مسألتك، وإن لم يسأل.

فأما أهل التأويل، فإنهم اختلفوا في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: وآتاكم من كل ما رغبتم إليه فيه.

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء؛ وحدثني الحسن بن محمد، قال: ثنا شيبان، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (من كل ما سألتموه)، ورغبتم إليه فيه. حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد؛ وحدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد؛ وحدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن: (وآتاكم من كل ما سألتموه) قال: من كل الذي سألتموه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وآتاكم من كل الذي سألتموه، والذي لم تسألوه.

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا حنكف، يعني ابن هشام، قال: ثنا محبوب، عن داود بن أبي هند، عن ركانة بن هاشم (من كل ما سألتموه) قال: ما سألتموه وما لم تسألوه. وقرأ ذلك آخرون (وآتاكم من كل ما سألتموه) بتنوين كل وترك إضافتها إلى «ما» بمعنى: وآتاكم من كل شيء لم تسألوه ولم تطلبوه منه، وذلك أن العباد لم يسألوه الشمس والقمر والليل والنهار، وخلق ذلك لهم من غير أن يسألوه.

## ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حُصَيْن ، عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا بزيع ، عن الضحاك بن مزاحم ، في هذه الآية : ( وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ) قال : ما لم تسألوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك : أنه كان يقرأ ( مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ) ويفسره : أعطاكم أشياء ما سأتموها ولم تلتسوها ، ولكن أعطيتكم برحمتي وسعتي . قال الضحاك : فكم من شيء أعطانا الله ، ما سألناه ولا طلبناه .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ) يقول : أعطاكم أشياء ما طلبتموها ، ولا سأتموها ، صدق الله ، كم من شيء أعطانا الله ما سألناه إياه ، ولا خطر لنا على بال .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ) قال : لم تسألوه من كل الذي آتاكم .

والصواب من القول في ذلك عندنا : القراءة التي عليها قرأه الأمصار ، وذلك إضافة « كل » إلى « ما » ، بمعنى : وآتاكم من سؤلكم شيئاً ، على ما قد بينا قبل ، لإجماع الحجة من القراء عليها ، ورفضهم القراءة الأخرى .

## القول في تأويل قوله تعالى

( وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَفَّارٌ ) :

يقول تعالى ذكره : وإن تعدوا أيها الناس نعمة الله التي أنعمها عليكم ، لا تطيقوا إحصاء عددها ، والقيام بشكرها ، إلا بعون الله لكم عليها . ( إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَفَّارٌ ) يقول : إن الإنسان الذي بدل نعمة الله كفراً لظلمه ، يقول : لشاكر غير من أنعم عليه ، فهو بذلك من فعله ، واضع الشكر في غير موضعه ، وذلك أن الله هو الذي أنعم عليه بما أنعم ، واستحق عليه إخلاص العبادة له ، فبعد غيره ، وجعل له أندادا ، ليضل عن سبيله ، وذلك هو ظلمه . وقوله ( كَفَّارٌ ) يقول : هو جحود نعمة الله التي أنعم بها عليه ، لصرفه العبادة إلى غير من أنعم عليه ، وتركه طاعة من أنعم عليه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : ثنا مسعر ، عن سعد بن إبراهيم ، عن طلحة بن حبيب ، قال : إن حق الله أنقل من أن تقوم به العباد ، وإن نعم الله أكثر من أن تحصيها العباد ، ولكن أصبحوا توابين ، وأمسوا توابين .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ، وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ

إِنَّهُمْ أَصْلَمَنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦)



بِقَوْلِهِ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : وَاذْكُرْ بِأَحْمَدِ ( إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ) : يَعْنِي الْحَرَامَ ،  
بِلَدَا آمِنَا أَهْلَهُ وَسَكَانَهُ ( وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ) يُقَالُ مِنْهُ : جَنَّبْتَهُ الشَّرَّ فَأَنَا أَجْتَنِبُهُ  
جَنَّبًا ، وَجَنَّبْتَهُ الشَّرَّ ، فَأَنَا أَجْتَنِبُهُ مُجَنَّبًا ، وَأَجْنَبْتَهُ ذَلِكَ ، فَأَنَا أَجْتَنِبُهُ إِجْنَابًا . وَمَنْ جَنَّبْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :  
وَتَنْفُضُ مَهْدَهُ شَفَقًا عَلَيْهِ وَتَجْنِبُهُ قَلَائِصَنَا الصَّعَابَا

وَمَعْنَى ذَلِكَ : أَبَدْتُ وَبَنِيَّ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، وَالْأَصْنَامِ : جَمْعُ صَنَمٍ ، وَالصَّنَمُ : هُوَ التَّمثالُ الْمَصُورُ ، كَمَا  
قَالَ رُوَيْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ فِي صِفَةِ امْرَأَةٍ :

وَهَنَانَةٌ كَالزُّوْنِ يُجَلِّي صَنَمُهُ تَضْحَكَ عَنْ أَشْنَبِ عَذَبٍ مَكْتُمُهُ ٢

وَكَذَلِكَ كَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ : حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثَنَا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ  
عَنْ مُجَاهِدٍ ( وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ، وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ) ،  
قَالَ : فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ دَعْوَتَهُ فِي وَلَدِهِ ، قَالَ : فَلَمْ يَعْْبُدْ أَحَدًا مِنْ وَلَدِهِ صَنِيًا بَعْدَ دَعْوَتِهِ . وَالصَّنَمُ :  
التَّمثالُ الْمَصُورُ ، مَا لَمْ يَكُنْ صَنِيًا فَهُوَ وَثَنٌ . قَالَ : وَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ ، وَجَعَلَ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ، وَرَزَقَ أَهْلَهُ مِنَ  
الثَّمَرَاتِ ، وَجَعَلَهُ إِمَامًا ، وَجَعَلَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يَقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتَقْبِلُ دَعَاءَهُ ، فَأَرَاهُ مَنَاسِكَهَ ، وَتَابَ عَلَيْهِ .  
حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مُغْبِرَةَ ، قَالَ : كَانَ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيُّ يَقْصُ وَيَقُولُ فِي قِصَصِهِ :  
مَنْ يَأْمَنُ مِنَ الْبَلَاءِ بَعْدَ خَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ ، حِينَ يَقُولُ : ( رَبِّ اجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ) .  
وَقَوْلُهُ ( رَبِّ إِنِّي أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ ) يَقُولُ : يَا رَبِّ إِنَّ الْأَصْنَامَ أَضَلُّنَّ : يَقُولُ :  
أَزَلَّنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى ، وَسَبِيلِ الْحَقِّ ، حَتَّى عَبْدَوْهُنَّ ، وَكَفَرُوا بِكَ .  
حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ ( إِنِّي أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنَ  
النَّاسِ ) يَعْنِي : الْأَوْثَانَ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثَنَا هِشَامٌ ، عَنْ عَمْرٍو ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ( إِنِّي أَضَلُّنَّ  
أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ) قَالَ : الْأَصْنَامُ .  
وَقَوْلُهُ ( فَسَنُ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مَيِّتٌ ) : يَقُولُ : فَمَنْ تَبِعَنِي عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِكَ ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ  
لَكَ ، وَفِرَاقِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانَ ، فَإِنَّهُ مَيِّتٌ : يَقُولُ : فَإِنَّهُ مَسْتَيِّنٌ بِسُنَّتِي ، وَعَامِلٌ بِمَثَلِ عَمَلِي . ( وَمَنْ عَصَانِي

(١) البيت في (مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٣٤٢) قال : جنبت الرجل الأمر ، وهو يجنب أخاه الشر ، وجنبته (بتشديد النون)  
واحد . وأنشد البيت . وشده ذو الرمة فقال :

وشعر قد أرقت له ليليل أجنبه المساند والمهالا

يريد أن المرأة تشفق على طفلها ، فتنفذ فرشه ، خوفاً عليه مما يؤذيه ، ولا تترك به النوق الفتية ، وهي القلائص ، لأن نشاطها  
في السير يؤذيه . وقال الفراء في معاني القرآن : (الورقة ١٦٤) أهل الحجاز يقولون : جنبني ، خفيفة ، وأهل نجد يقولون : أجنبني  
شراً ، وجنبني شراً .

(٢) البيت لرؤبة من أرجوزة له مطلعها : « قلت لزيد لم تصله مريمه » . وقوله « وهنائة » : صفة لأروى في البيت قبله ، وهو  
« إذ حب أروى همه وسدمه » . والزون : الصنم . وملثمه : مقبله . وقد شبه أروى بالصنم المجلو ، في البهائم والحسن . والوهنائة كما  
في اللسان : الكسل عن العمل تنعماً . قال أبو عبيدة : الوهنائة التي فيها فترة .

فإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول: ومن خالف أمرى، فلم يقبل منى ما دعوته إليه، وأشرك بك، فإنك غفور لذنوب المذنبين الخطّائين بفضلك، رحيم بعبادك، تغفو عن تشاء منهم.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ): اسمعوا إلى قول خليل الله إبراهيم، لا والله ما كانوا طعّانين ولا لعّانين، وكان يقال: إن من أشرك عباد الله كل طعّان لعّان، قال نبي الله ابن مريم عليه السلام: (إِنْ تَعَدَّ بِهِمْ فَلِإِنَّهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

حدثني المثنى، قال: ثنا أصبغ بن الفرج، قال: أخبرني ابن وهب، قال: ثنا عمرو بن الحارث، أن بكر بن سوادة، حدثه عن عبد الرحمن بن جبير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم: (رَبِّ إِنِّي لَأَمْلَأُ أَرْضِي أَكْثَرًا مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). وقال عيسى (إِنْ تَعَدَّ بِهِمْ فَلِإِنَّهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، فرفع يديه، ثم قال: اللَّهُمَّ أُمَّتِي، اللَّهُمَّ أُمَّتِي، وبكى، فقال الله تعالى: يا جبرئيل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فأسأله ما يبكيه؟ فأتاه جبرئيل، فسأله، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال، قال: فقال الله: يا جبرئيل، اذهب إلى محمد وقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك.

#### القول في تأويل قوله تعالى

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧)

وقال إبراهيم خليل الرحمن هذا القول، حين أسكن إسماعيل وأمه هاجر - فيما ذكر - مكة.

كما حدثني يعقوب بن إبراهيم، والحسن بن محمد، قالا: ثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، قال: نبئت عن سعيد بن جبير، أنه حدث عن ابن عباس، قال: إن أول من سعى بين الصفا والمروة لأم إسماعيل؛ وإن أول ما أحدث نساء العرب جر الذبول، لمن أم إسماعيل، قال: لما فررت من سارة، أرخت من ذيلها، لتعني أثرها، فجاء بها إبراهيم، ومعها إسماعيل، حتى انتهى بهما إلى موضع البيت، فوضعهما ثم رجع، فاتبعته، فقالت: إلى أي شيء تكلنا؟ إلى طعام تكلنا؟ إلى شراب تكلنا؟ فجعل لا يرد عليهما شيئاً، فقالت: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا. قال: فرجعت ومضى، حتى إذا استوى على ثاية كداء، أقبل على الوادي فدعا، فقال: (رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ). قال: ومع الإنسانية شمة فيها ماء، فنغيد الماء، فغطشت



وانقطع لبنها ، فعضش الصبي ، فنظرت أى الجبال أدنى من الأرض ، فصعدت بالصفاء ، فسمعت هل تسمع صوتا ، أو ترى أنيسا ؟ فلم تسمع ، فأنحدرت ، فلما أتت على الوادى سعت ، وما تريد السعى ، كالإنسان المجهود الذى يسعى وما يريد السعى ، فنظرت أى الجبال أدنى من الأرض ، فصعدت المروة ، فسمعت هل تسمع صوتا ، أو ترى أنيسا ؟ فسمعت صرنا ، فقالت : كالإنسان الذى يكذب سمعه : صه ، حتى استيقنت ، فقالت : قد أسمعتنى صوتك فأغثنى ، فقد هلكت وهلك من معى ، فجاء الملك ، فجاء بها ، حتى انتهى بها إلى موضع زمزم ، فضرب بقدمه ، ففارت عينها ، فعجبت الإنسانة ، فجعلت فى شنبها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رَحِيمَ اللَّهِ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ ، لَوْلَا أَنَّهَا عَجَلَتْ ، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا» ١ . وقال لها الملك : لا تخافى الظمأ على أهل هذا البلد ، فإنما هى عين لشرب ضيفان الله ، وقال : إن أبا هذا الغلام سيجىء ، فيبينان لله بيتا هذا موضعه ، قال : ومررت رفقة من جرهم تريد الشام ، فرأوا الطير على الجبل ، فقالوا : إن هذا الطير لعائف على ماء ، فهل علمتم بهذا الوادى من ماء ؟ فقالوا : لا ، فأشرفوا ، فإذا هم بالإنسانة ، فأتوها ، فطلبوا إليها أن ينزلوا معها ، فأذنت لهم ، قال : وأتى عليها ما يأتى على هؤلاء الناس من الموت ، فماتت ، وتزوج إسماعيل امرأة منهم ، فجاء إبراهيم ، فسأل عن منزل إسماعيل ، حتى دُلَّ عليه ، فلم يجده ، ووجد امرأة له ، فظة غليظة ، فقال لها : إذا جاء زوجك ، فقولى له : جاء هاهنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وإنه يقول لك : إني لا أرضى لك عتبة بابك ، فحوطها ، وانطلق ، فلما جاء إسماعيل أخبرته ، فقال : ذاك أبى ، وأنت عتبة بابى ، فطلقها وتزوج امرأة أخرى منهم ، وجاء إبراهيم حتى انتهى إلى منزل إسماعيل ، فلم يجده ، ووجد امرأة له ، سهلة طليقة ، فقال لها : أين انطلق زوجك ؟ فقالت : انطلق إلى الصيد ، قال : فما طعامكم ؟ قالت : اللحم والماء . قال : اللهم بارك لهم فى لحمهم ومأثمهم ، اللهم بارك لهم فى لحمهم ومأثمهم ، ثلاثا ، وقال لها : إذا جاء زوجك فأخبريه ، قولى : جاء ههنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وإنه يقول لك : قد رضيت لك عتبة بابك ، فأثبتتها ، فلما جاء إسماعيل أخبرته . قال : ثم جاء الثالثة ، فرفعا القواعد من البيت .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنى يحيى بن عباد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : جاء نبي الله إبراهيم بإسماعيل وهاجر ، فوضعهما بمكة فى موضع زمزم ، فلما مضى نادته هاجر : يا إبراهيم ، إنما أسألك ثلاث مرات : من أمرك أن تضعنى بأرض ليس فيها ضرع ولا زرع ، ولا أنيس ، ولا زاد ، ولا ماء ؟ قال : ربي أمرنى ، قالت : فإنه لن يضيعنا . قال : فلما قفا إبراهيم قال : ( رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا نُحْفَى وَمَا نُعَلِّنُ ) يعنى من الحزن ( وَمَا يُحْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ) ، فلما ظمئ إسماعيل ، جعل يَدُ حَضِّ الْأَرْضِ بِعَقْبِهِ ، فذهبت هاجر . حتى علت الصفا ، والوادى يومئذ لآخ ، يعنى : عميق ، فصعدت الصفا ، فأشرفت لتتظر هل ترى شيئا ؟ فلم ترى شيئا ؟ فأنحدرت ، فبلغت الوادى ، فسعت فيه ، حتى خرجت منه ، فأنت المروة ، فصعدت ، فاستشرفت هل ترى شيئا ؟ فلم ترى شيئا ، ففعلت ذلك سبع مرآت ، ثم جاءت من المروة إلى إسماعيل ، وهو يَدُ حَضِّ

(١) معينا : جارية سائحة على وجه الأرض .

الأرض بعقبه، وقد نبعت العين، وهي زمزم، فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء، فكلما اجتمع ماء أخذته بقدحها، وأفرغته في سيقانها، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَرْتَمُّهَا اللَّهُ لَوْ تَرَكَتْهَا لَكَانَتْ عَيْنًا سَائِحَةً تَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». قال: وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة؛ قال: ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء؛ فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادي، قالوا: ما لزمته إلا وفيه ماء، فجاءوا إلى هاجر، فقالوا: إن شئت كنا معك وآسنك، والماء ماؤك، قالت: نعم. فكانوا معها، حتى شب إسماعيل، وماتت هاجر، فزوج إسماعيل امرأة منهم؛ قال: فاستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر، فأذنت له، وشرطت عليه ألا ينزل، فقدم إبراهيم وقد ماتت هاجر، فذهب إلى بيت إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ليس هاهنا، ذهب يتصيد، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيتصيد، ثم يرجع، فقال إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ هل عندك طعام أو شراب؟ قالت: ليس عندي، وما عندي أحد. فقال إبراهيم: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولي له: فليغسب عتبة بابه. وذهب إبراهيم، وجاء إسماعيل، فوجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ فقالت: جاءني شيخ كذا وكذا، كالمستخفة بشأنه، قال: فما قال لك؟ قالت: قال لي: أقرئي زوجك السلام، وقولي له: فليغير عتبة بابه، فطلقها وتزوج أخرى، فليث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل، فأذنت له، وشرطت عليه ألا ينزل، فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب يصيد، وهو يحيى الآن إن شاء الله، فانزل برحمك الله، قال لها: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، قال: هل عندك خبز أو بر أو تمر أو شعير، قالت: لا، فجاءت بالخبز واللحم، فدعا لهما بالبركة، فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر، لكانت أكثر أرض الله برًا وشعيرًا وتمرًا، فقالت له: انزل حتى أغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءته بالمقام، فوضعت عن شقه الأيمن، فوضع قدمه عليه، فبقي أثر قدمه عليه، فغسلت شق رأسه الأيمن، ثم حوتل المقام إلى شقه الأيسر، فغسلت شقه الأيسر، فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولي له: قد استقامت عتبة بابك؛ فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ فقالت: نعم، شيخ أحسن الناس وجهًا، وأطيبه ريحًا، فقال لي: كذا وكذا، وقلت له: كذا وكذا، وغسلت رأسه، وهذا موضع قدمه على المقام؛ قال: وما قال لك؟ قالت: قال لي: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولي له: قد استقامت عتبة بابك، قال: ذلك إبراهيم. فلبث ما شاء الله أن يلبث، وأمره الله ببناء البيت، فبناه هو وإسماعيل؛ فلما بنياه قيل: أذن في الناس بالحج، فجعل لا يمر بقوم إلا قال: أيها الناس إنه قد بُني لكم بيت فحجوه، فجعل لا يسمعه أحد، صحرة ولا شجرة ولا شيء، إلا قال: لبيك اللهم لبيك. قال: وكان بين قوله: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) وبين قوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) كذا وكذا عامًا، لم يحفظ عطاء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي



بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) ، وإنه بيت طهره الله من السوء ، وجعله قبلة ، وجعله  
حرمه ، اختاره نبي الله إبراهيم لولده .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( غَيْرِ ذِي زَرْعٍ )  
قال : مكة لم يكن بها زرع يومئذ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني ابن كثير ،  
قال القاسم في حديثه : قال أخبرني عمرو بن كثير « قال أبو جعفر » : فغيرته أنا فجعلته : قال أخبرني ابن  
كثير ، وأسقطت عمرا ، لأنني لأعرف إنسانا يقال له عمرو بن كثير حدث عنه ابن جريج ، وقد حدث به  
معمر عن كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة ، وأخشى أن يكون حديث ابن جريج أيضا عن كثير بن  
كثير ، قال : كنت أنا وعثمان بن أبي سليمان في أناس ، مع سعيد بن جبيرة ليلا ، فقال سعيد بن جبيرة  
للقوم : سلوني قبل ألا تسألوني ، فسأله القوم فأكثروا ، وكان فيما سئل عنه أن قيل له : أحيى ماسمعا  
في المقام ، فقال سعيد : ماذا سمعتم ؟ قالوا : سمعنا أن إبراهيم رسول الله حين جاء من الشام ، كان حلف  
لامراته ألا ينزل مكة حتى يرجع ، فقرب له المقام ، فنزل عليه ، فقال سعيد : ليس كذلك حدثنا ابن  
عباس ، ولكنه حدثنا حين كان بين أم إسماعيل وسارة ما كان ، أقبل إسماعيل ، ثم ذكر مثل حديث أيوب ،  
غير أنه زاد في حديثه ، قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « وكذلك طاف الناس بين الصفا  
والمروة » . ثم حدث وقال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « طَلَبُوا السُّزُولَ مَعَهَا وَقَدْ أَحَبَّتْ  
أُمَّ إِسْمَاعِيلَ الْأَنْسَ ، فَتَزَلُّوا وَبَعَثُوا إِلَى أَهْلِهِمْ فَقَدِمُوا ، وَطَعَامُهُمُ الصَّيْدُ ، يَخْرُجُونَ  
مِنَ الْحَرَمِ وَيَخْرُجُ إِسْمَاعِيلُ مَعَهُمْ بِتَصِيدٍ ، فَلَمَّا بَلَغَ أَنْكَحُوهُ ، وَقَدْ تَوَفَّيَتْ أُمُّهُ  
قَبْلَ ذَلِكَ » . قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا دَعَا لَهَا أَنْ يُبَارَكَ لَهَا فِي اللَّحْمِ  
وَالْمَاءِ ، قَالَ : لَهَا هَلْ مِنْ حَبِّ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الطَّعَامِ ؟ قَالَتْ : لَا ، وَكَوَتْ وَجَدَ يَوْمَئِذٍ لَهَا حَبًّا  
لَدَعَا لَهَا بِالْبَرَكَاتِ فِيهِ » . قال ابن عباس : ثم لبث ما شاء الله أن يلبث ، ثم جاء فوجد إسماعيل قاعدا  
تحت دوحة ، إلى ناحية البئر ، يبرئ نبتلا له ، فسلم عليه ، ونزل إليه ، فقعده معه وقال : يا إسماعيل ، إن الله قد  
أمرني بأمر ، قال إسماعيل : فأطع ، بك فيما أمرك ، قال إبراهيم : أمرني أن أبنى له بيتا ، قال إسماعيل ابن .  
قال ابن عباس : فأشار له إبراهيم إلى أكمة بين يديه ، مرتفعة على ماحولها ، يأتيها السيل من نواحيها ولا يركبها ،  
قال : فقاما يخفزان عن القواعد ، يرفعانها ويقولان : ( رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) : ربنا  
تقبل منا إنك سميع الدعاء ، وإسماعيل يحمل الحجارة على رقبته ، والشيخ إبراهيم يبني ، فلما ارتفع البنيان  
وشق على الشيخ تناوله ، قرب إليه إسماعيل هذا الحجر ، فجعل يقوم عليه ويبني ، ويحوله في نواحي  
البيت ، حتى انتهى . يقول ابن عباس : فذلك مقام إبراهيم وقيامه عليه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن  
عباس : ( رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ) قال : أسكن إسماعيل وأمه مكة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير : ( إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ) قال : حين وضع إسماعيل .  
قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذن : ربنا إني أسكنت بعض ولدي بوادٍ غير ذي زرع ، وفي قوله صلى الله عليه وسلم دليل على أنه لم يكن هنالك يومئذ ماء ، لأنه لو كان هنالك ماء ، لم يصفه بأنه غير ذي زرع ، عند بيتك الذي حرمته على جميع خلقك أن يستحلوه ،

وكان تحريمه إياه فيما ذكر ، كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قال في خطبته : إن هذا البيت أول من وليه أناس من طسّم ، فعصوا ربهم ، واستحلوا حرمتهم ، واستخفوا بحقه ، فأهلكهم الله ، ثم وليهم أناس من جرهم ، فعصوا ربهم ، واستحلوا حرمتهم ، واستخفوا بحقه ، فأهلكهم الله ، ثم وليتموه معاشر قريش ، فلا تعصوا ربه ، ولا تستحلوا حرمتهم ، ولا تستخفوا بحقه ، فوالله لصلاة فيه أحب إلى من مئة صلاة بغيره ، واعلموا أن المعاصي فيه على نحو من ذلك .  
وقال ( إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ) ولم يأت بما وقع عليه الفعل ، وذلك أن حظّ الكلام أن يقال : إني أسكنت من ذريتي جماعة ، أو رجلا ، أو قوما ، وذلك غير جائز مع « مِنْ » ، لدلالته على المراد من الكلام ، والعرب تفعل ذلك معها كثيرا ، فتقول : قتلنا من بني فلان ، وطعمنا من الكأ ، وشربنا من الماء ، ومنه قول الله تعالى ( أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ، أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ) .  
فإن قال قائل : وكيف قال إبراهيم حين أسكن ابنه مكة : ( إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ) وقد رويت في الأخبار التي ذكرتها : أن إبراهيم بنى البيت بعد ذلك بمدة ؟ قيل : قد قيل في ذلك أقوال ، قد ذكرتها في سورة البقرة ، منها أن معناه : عند بيتك المحرم ، الذي كان قبل أن ترفعه من الأرض ، حين رفعته أيام الطوفان ؛ ومنها عند بيتك المحرم الذي قد مضى في سابق علمك أنه يحدث في هذا البلد . وقوله ( الْمُحَرَّمِ ) على ما قاله قتادة : معناه : المحرم : من استحلال حرمة الله فيه ، والاستخفاف بحقه . وقوله ( رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ) يقول : فعلت ذلك ياربنا ، كي تؤدّي فرائضك ، من الصلاة التي أوجبها عليهم في بيتك المحرم . وقوله ( فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ) يخبر بذلك تعالى ذكره عن خليله إبراهيم ، أنه سأله في دعائه أن يجعل قلوب بعض خلقه تنزع إلى مساكن ذريته ، الذين أسكنهم بوادٍ غير ذي زرع ، عند بيته المحرم ، وذلك منه دعاء لهم بأن يرزقهم حجّ بيته الحرام .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير : ( أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ) ولو قال : أفئدة الناس تهوى إليهم ، لحجت اليهود والنصارى والمجوس ، ولكنه قال : أفئدة من الناس تهوى إليهم ، فهم المسلمون .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ( فَاجْعَلْ

(١) يريد أن من إذا كان معناها التبعض ، كما في الآية ، لم يجوز ذكر المفعول بعدها ، لأنها حينئذ بمعنى المفعول ، أي أسكنت بعض ذريتي بوادٍ غير ذي زرع .



أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قال : لو كانت أفئدة الناس ، لازدحمت عليه فارس والروم ، ولكنه أفئدة من الناس .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالوا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ( فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ) قال : لو قال أفئدة الناس تهوى إليهم ، لازدحمت عليهم فارس والروم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي ، يعني ابن الجعد ، قال : أخبرنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سألت عكرمة عن هذه الآية : ( فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ) فقال : قلوبهم تهوى إلى البيت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن عكرمة وعطاء وطاوس ( فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ) البيت ، تهوى إليه قلوبهم : يأتيونه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا سعيد ، عن الحكم ، قال : سألت عطاء وطاوسا وعكرمة ، عن قوله ( فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ) قالوا : الحج .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة وعلي بن الجعد ، قالوا : أخبرنا سعيد ، عن الحكم ، عن عطاء وطاوس وعكرمة ، في قوله ( فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ) قال : هواهم إلى مكة : أن يحجوا .

حدثني المثني ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سألت طاوسا وعكرمة وعطاء ابن أبي رباح ، عن قوله ( فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ) فقالوا : اجعل هواهم الحج .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لو كان إبراهيم قال : فاجعل أفئدة الناس تهوى إليهم لحججه اليهود

والنصارى والناس كلهم ، ولكنه قال : ( أفئدة مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ) قال : تنزع إليهم .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : إنما دعاهم أن يهؤوا السكني بمكة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله ( فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ) قال : إن إبراهيم خليل الرحمن ، سأل الله أن يجعل أناسا من الناس يهؤون سكني أو ساكني مكة .

وقوله ( وَارزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ ) يقول تعالى ذكره : وارزقهم من ثمرات النبات والأشجار

ما رزقت سكان الأرياف والقرى، التي هي ذوات المياه والأنهار، وإن كنت أسكنتهم وادبا غير ذي زرع ولا ماء، فَرَزَقَهُمْ جَلَّ تَنَاوُهُ ذَلِكَ .

كما حدثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : قرأت على محمد بن مسلم الطائفي أن إبراهيم لما دعا للحرم ( وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ ) نقل الله الطائف من فلسطين .  
وقوله ( لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ) يقول : ليشكروك على ما رزقتهم ، وتنعم به عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى

رَبَّنَا إِنَّا أَعْتَدْنَا لَكَ شَيْئًا فَاذْكُرْنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٨)

وهذا خبر من الله تعالى ذكره، عن استشهاد خليله إبراهيم إياه على مانوى وقصد، بدعائه وقيله: ( رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا، وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ) . . . الآية، وأنه إنما قصد بذلك رضا الله عنه، في محبته أن يكون ولده من أهل الطاعة لله، وإخلاص العبادة له، على مثل الذى هو له، فقال: ربنا إنك تعلم ما تخفى قلوبنا عند مسألتنا ما نسألك، وفي غير ذلك من أحوالنا، وما نعلن من دعائنا، فنجهر به، وغير ذلك من أعمالنا، وما يخفى عليك يا ربنا من شيء، يكون في الأرض ولا في السماء، لأن ذلك كله ظاهر لك، متجلّ باد، لأنك مدبره وخالقه، فكيف يخفى عليك .

القول في تأويل قوله تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩)  
يقول: الحمد لله الذى رزقنى على كبر من السن ولدا: إسماعيل وإسحاق . ( إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ) :  
يقول: إن ربى لسميع دعائى الذى أدعوه به، وقولى ( اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا، وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ) وغير ذلك من دعائى ودعاء غيرى، وجميع ما نطق به ناطق، لا يخفى عليه منه شيء .  
حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن فضيل، عن ضرار بن مرة، قال: سمعت شيخا يحدث سعيد بن جبير، قال: بُشِّرَ إبراهيم بعد سبع عشرة ومئة سنة .

القول في تأويل قوله تعالى

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠)

يقول: رب اجعلنى مؤديا ما أزمته من فريضتك التى فرضتها علىّ، من الصلاة . ( وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ) :  
يقول: واجعل أيضا من ذريتي مقيمي الصلاة لك ( رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ) يقول: ربنا وتقبل عملى الذى أعمله لك، وعبادتى إياك، وهذا نظير الخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إنَّ



الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ ، ثُمَّ قَرَأَ ( وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١)

وهذا دعاء من إبراهيم صلوات الله عليه لوالديه بالمغفرة، واستغفار منه لهما، وقد أخبر الله عزّ ذكره، أنه لم يكن ( استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إياه، فلما تبسّين له أنه عدو لله تبرأ منه، إن إبراهيم لأواه حليم ) . وقد بينّا وقت تبرّئه منه فيما مضى، بما أغنى عن إعادته .

وقوله ( وللمؤمنين ) يقول : وللمؤمنين بك، ممن تبعني على الدين الذي أنا عليه، فأطاعتك في أمرك ونهيك . وقوله ( يومَ يقومُ الحسابُ ) يعني : يقوم الناس للحساب، فاكتفى بذكر الحساب من ذكر الناس، إذ كان مفهوما معناه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ، إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢)

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ، لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ، وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تحسبن الله يا محمد غافلا، ساهيا عما يعمل هؤلاء المشركون من قومك، بل هو عالم بهم وبأعمالهم، محصيا عليهم، ليجزّاهم جزاءهم في الحين الذي قد سبق في علمه أنه يجزيهم فيه .

حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثنا علي بن ثابت، عن جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران في قوله ( ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ) قال : هي وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم

القول في تأويل قوله تعالى

( إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ، لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ( ) :

يقول تعالى ذكره : إنما يؤخر ربك يا محمد هؤلاء الظالمين الذين يكذبونك، ويحسدون نبوتك، ليوم تشخص فيه الأبصار . يقول : إنما يؤخر عقابهم، وإنزال العذاب بهم، إلى يوم تشخص فيه أبصار الخلق، وذلك يوم القيامة .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ( لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ) شَخِصَتْ فِيهِ وَاللَّهُ أَبْصَارَهُمْ ، فَلَا تَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ .

وأما قوله ( مُهْطِعِينَ ) فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه، فقال بعضهم : معناه : مسرعين .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي سعيد المؤدّب ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : ( مُهْطِعِينَ ) قال : النَّسْلَان ، وهو الحَبَب ، أو ما دون الخبب ، شكّ أبو سعيد ، يَحْبُون وهم ينظرون . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مُهْطِعِينَ ) قال : مسرعين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( مُهْطِعِينَ ) يقول : منطلقين عامدين إلى الداعي .

وقال آخرون : معنى ذلك : مديهي النظر .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( مُهْطِعِينَ ) يعني بالإهطاع : النظر من غير أن يتطّرف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن سعيد بن مسروق ، عن أبي الضحى ( مُهْطِعِينَ ) قال : الإهطاع : التحميج الدائم الذي لا يتطّرف .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن أبي الخير بن تميم بن حذلم ، عن أبيه ، في قوله ( مُهْطِعِينَ ) قال : الإهطاع : التحميج .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ( مُهْطِعِينَ ) قال : شدة النظر الذي لا يطرف .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا عمرو ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله : ( مُهْطِعِينَ ) قال : شدة النظر في غير طرّف .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( مُهْطِعِينَ ) الإهطاع : شدة النظر في غير طرّف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ( مُهْطِعِينَ ) قال : مديهي النظر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : لا يرفع رأسه .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( مُهْطِعِينَ ) قال : المهطع الذي لا يرفع رأسه . والإهطاع في كلام العرب بمعنى الإسراع : أشهر منه بمعنى إدامة النظر ، ومن الإهطاع بمعنى الإسراع ، قول الشاعر :



وَبِمُهْطِيعٍ سُرْحٍ كَأَنَّ زِمَامَهُ فِي رَأْسِ جِيدِ عٍ مِّنْ أَوَالٍ مُّشْدَبٍ ١  
وقول الآخر :

بِمُسْتَهْطِيعٍ رَسَلٍ كَأَنَّ جَدِيلَهُ بِقَيْدُومٍ رَعْنٍ مِّنْ صَوَامٍ مُّثَمَّعٍ ٢

وقوله (مُقْتَنِعِي رُءُوسِهِمْ) يعني رافعي : رُءُوسِهِمْ . وإقناع الرأس : رفعه ؛ ومنه قول الشماخ :

يُبَاكِرُنَ الْعِضَاهَ بِمُقْتَنَعَاتٍ نُّوَاجِدُهُنَّ كَالْحَدَايِ الْوَقِيعِ ٣

يعنى : أنهنَّ يباكرن العضاه برؤوسهن مرفوعات إليها لتتناول منها ، ومنه أيضا قول الراجز :

أَنْغَضَ نَحْوِي رَأْسَهُ وَأَقْنَعَا كَأَنَّمَا أَبْصَرَ شَيْئًا أَطْمَعَا

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (مُقْتَنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : الإقناع : رفع رؤوسهم .

(١) البيت أشده ابن بري في (اللسان : أول) ونسبه لأنيف بن جبلة . وروايته فيه :

أَمَّا إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ فَكَأَنَّهُ لِلْعَيْنِ جِيدٌ مِّنْ أَوَالٍ مُّشْدَبٍ

وفي معجم ما استعجم للبكري : أول قرية بالبحرين ، وقيل جزيرة ، فإن كانت قرية فهي من قرى السيف (بكر السنين) ؛ يشبه لذلك قول ابن مقبل . وكأنها سفن بسيف أوال . والمهطع : ( كما في اللسان ) ، الذي يديم النظر مع فتح العينين . وقيل : الذي يقبل على الشيء ببصره ، فلا يرفعه عنه ؛ والمهطع أيضا : المسرع الخائف ، لا يكون إلا مع خوف . وقد فسر بالوجهين جميعا قوله تعالى : مهطعين إلى الداع . اهـ . وقال في سرح : خيل سرح ، وفاقة سرح في سيرها ، أي سريعة . وأورده المؤلف وأبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ ) : ( ٣٤٢ ) شاهدا على أن المهطع : المسرع .

(٢) أورده صاحب أساس البلاغة (هطع) قال : وهو في صفة ثور . ومنع : بالناء ، أي طويل ، من المناع . وفيه « رضام » في محل : صوام . وفي (اللسان : قدم) قال : وقيدوم الجبل : أنف يتقدم منه ، وأشد البيت وقال : صوام (كسحاب) اسم جبل . وقيدوم كل شيء : مقدمه وصدوره . والمهطع : كالمهطع ، وهو المسرع . ورسل : سهل فيه لين . والجديل : جبل مفتول من آدم أو شعر ، يكون في عنق البعير أو الناقة ، والجمع : جدل . والجديل أيضا : الزمام المجدول من آدم . والرعن : أنف الجبل . وصوام (كسحاب) : جبل قاله البكري وصاحب اللسان . والمنع بالنون : المرتفع الذي لا يرتق . وفي مجاز القرآن : الرسل : الذي لا يكلفك شيئا . بقيدوم : قدام . ورعن الجبل : أنفه ، وصوام (بضم الصاد و همز الواو) لم أجده كذلك ، وإنما هو صوام ، بفتح الصاد وبالواو ، بوزن سحاب .

(٣) البيت للشماخ بن ضرار (ديوانه ص ٥٦) والرواية فيه : يبادرن في موضع يباكرن ، وهما بمعنى . قال شارحه : يبادرن من المبادرة ، والعضاه : جمع عضاهة . وهي أعظم الشجر . والمقنعات : جمع مقنع : يريد أفواه الإبل . والتواجد : أتقى الأضراس . والحدا : جمع حداة ، وهي فأس ذات رأسين . والوقيع : الحدد بالميقعة ، وهي المطرقة التي يحدد بها . شبه أسنانها بفثوس قد حددت . والبيت في وصف إبل حداد الأسنان . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٤٣) في تفسير « مقنع رؤوسهم » مجازة : رافعي رؤوسهم . وأشد بيت الشماخ ، ثم قال : أي برؤوس مرفوعة إلى العضاه ، ليتناولن منه . والعضاه : كل شجرة ذات شوك . ونواجذهن : أضراسهن . والحدا : الفأس ، وأراه الذي ليس له خلف ، وجمعها : حدا . والوقيع : المرققة المحددة ، يقال : وقع حديدتك . والمطرقة يقال لها ميقعة . وفي (اللسان : حدا) الحدأ : شبه فأس تنقر به الحجارة ، وهو محدد الطرف . والحداة : الفأس ذات الرأسين ، والجمع حدا ، كقصة وقصب . وقال : شبه أسنانها بفثوس قد حددت .

(٤) أنفض رأسه : حركه كالمتعب . وأقنعه : رفعه . يقول : هز رأسه نحوى ، ورفع يتأملني ، كما يتأمل شيئا فيه مطمع له . وهو كالأذى قبله شاهد على أن الإقناع : هو الرفع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحسن بن محمد ، قال : ثنا شاذان ، قال : ثنا ورقاء ، وقال الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافعيها . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن أبي سعد ، قال : قال الحسن : وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء ، لا ينظر أحد إلى أحد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن عثمان بن الأسود ، لأنه سمع مجاهدا يقول في قوله (مُهَيِّطِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافع رأسه هكذا ، لا يرتد إليهم طرفهم . حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافعي رؤوسهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : الإقناع : رفع رؤوسهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : المقنع : الذي يرفع رأسه ، شاخصا بصره ، لا يطرف .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافعيها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : المقنع الذي يرفع رأسه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافعي رؤوسهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي سعيد ، عن سالم ، عن سعيد (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافعي رؤوسهم .

وقوله (لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) يقول : لا ترجع إليهم ، لشدة النظر ، أبصارهم :

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) ، وأفشِدَتْهُمْ هَوَاءً) قال : شاخصه أبصارهم .

وقوله (وأفشِدَتْهُمْ هَوَاءً) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : متخرقة ، لاتعي من الخير شيئا .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، في قوله ( وَأَفْسِدَتْهُمْ هَوَاءٌ ) قال : متخرقة لانعى شيئا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا مالك بن مِغْوَل ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، بمثل ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، مثله .

حدثنا محمد بن عمار ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا مالك وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ( وَأَفْسِدَتْهُمْ هَوَاءٌ ) قال : متخرقة ، لانعى شيئا من الخير .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا مالك ، يعني ابن مِغْوَل ، قال : سمعت أبا إسحاق ، عن مرة ، إلا أنه قال : لانعى شيئا ، ولم يقل من الخير .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، مثله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا مالك بن مِغْوَل ، وإسرائيل عن أبي إسحاق ، عن مرة ( وَأَفْسِدَتْهُمْ هَوَاءٌ ) قال أحدهما : خيرية ، وقال الآخر : متخرقة ، لانعى شيئا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( وَأَفْسِدَتْهُمْ هَوَاءٌ ) قال : ليس فيها شيء من الخير ، فهي كالخيرية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : ليس من الخير شيء في أفئدتهم ، كقولك للبيت الذي ليس فيه شيء : إنما هو هواء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد في قوله ( وَأَفْسِدَتْهُمْ هَوَاءٌ ) قال : الأفئدة : القلوب . هواء ، كما قال الله ، ليس فيها عقل ولا منفعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي بكرة ، عن أبي صالح ( وَأَفْسِدَتْهُمْ هَوَاءٌ ) قال : ليس فيها شيء من الخير .

وقال آخرون : إنها لا تستقر في مكان ، تردد في أجوافهم .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وأحمد بن إسحاق ، قالا : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد

( وَأَفْسِدَتْهُمْ هَوَاءٌ ) قال : تمور في أجوافهم ، ليس لها مكان تستقر فيه

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي سعيد ، عن سالم ، عن سعيد بنحوه :

وقال آخرون : معنى ذلك : أنها خرجت من أماكنها ، فنشبت بالحلوق .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وأحمد بن إسحاق ، قالا : ثنا أبو أحمد الزُّبَيْرِيُّ ، عن إسرائيل ، عن سعيد ، عن مسروق ، عن أبي الضحى : ( وَأَفْشِدَ تَهُمْ هَوَاءً ) قال : قد بلغت حناجرهم .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَأَفْشِدَ تَهُمْ هَوَاءً ) قال : هواء : ليس فيها شيء ، خرجت من صدورهم ، فنشيت في حلوقهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَأَفْشِدَ تَهُمْ هَوَاءً ) انزعرت ، حتى صارت في حناجرهم ، لا تخرج من أفواههم ، ولا تعود إلى أمكنتها .

وَأَوْلَىٰ هَذِهِ الْأَقْوَالُ عِنْدِي بِالصَّوَابِ ، فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ : قَوْلُ مَنْ قَالَ : مَعْنَاهُ : أَنَّهَا خَالِيَةٌ ، لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ ، وَلَا تَعْقِلُ شَيْئًا ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تَسْمِي كُلَّ أَجْوَفٍ خَاوٍ : هَوَاءً ، وَمِنْهُ قَوْلُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ :

أَلَا أَبْلِيغُ أَبَا سَفْيَانَ عَنِّي فَانْتَ جَوْفٌ نَجِبٌ هَوَاءً<sup>١</sup>

ومنه قول الآخر :

وَلَا تَنْكُ مِنْ أَعْدَانِ كُلِّ بَرَاعَةٍ هَوَاءً كَسَقَبِ الْبَانِ جَوْفٍ مَكَايِرُهُ<sup>٢</sup>

## القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ، فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ،

نَجِيبٌ دَعْوَتِكَ ، وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ ، أُولَئِكَ تَكُونُوا آفْسَاسًا مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : وأنذر يا محمد الناس الذين أرسلتك إليهم داعياً إلى الإسلام ، ما هو نازل بهم ، يوم يأتيهم عذاب الله في القيامة . ( فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ) يقول : فيقول الذين كفروا بربهم ، فظلموا بذلك أنفسهم : ( رَبَّنَا أَخْرْنَا ) : أي أخرنا عذابك ، وأمهلنا ( إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ، نَجِيبٌ دَعْوَتِكَ ) الحق ، فنؤمن بك ، ولا نشرك بك شيئاً ( وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ ) يقولون : ونصدق رسلك ، فنتابعهم على ما دعوتنا إليه من طاعتك ، واتباع أمرك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) البيت لحسان ، كما في ( الديوان ص ٧ ) . وأبوسفيان : هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يهجو النبي قبل أن يسلم . والجوف : الخال الجوف ، يريد به الجبان ، وكذلك النخب والهواء . وقال في اللسان : النخب : الجبان ، كأنه منتزع الفؤاد ، أي لافؤاده . وقال في ( هوى ) : والهواء والهواء : واحد . وأورد البيت كرواية المؤلف .  
(٢) البيت في ( اللسان : يرع ) كرواية المؤلف . ونسبه ابن بري لكعب الأمثال ( ؟ ) وقال قبله : البراعة والبراع : الجبان الذي لا عقل له ولا رأى ، مشتق من القصب . اهـ . أي على التشبيه بالقصب الأجوف . والهواء : الجبان المنتزع الفؤاد . والبان : شجر يسمو ويطول في استواء ، وليس خشبه صلابة ، والسقب : عمود الخباء ، وإذا اتخذ من شجر البان ، فإنه لا يمتثل ، لقلة صلابته . وجوف : جمع أجوف ، والمكاسر : مواضع الكسر ، أي إذا كسر بان أنه أجوف ضعيف الاحتمال .



ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وأُنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ) قال : يوم القيامة ( فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا : رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ) قال : مدة يعملون فيها من الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وأُنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ) : يقول : أنذرهم في الدنيا ، قبل أن يأتيهم العذاب .

وقوله ( فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ) رفع عطفًا على قوله ( يَأْتِيهِمْ ) في قوله ( يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ) وليس بجواب للأمر ، ولو كان جوابًا لقوله ( وَأُنذِرِ النَّاسَ ) جاز فيه الرفع والنصب ، أما النصب فكما قال الشاعر :

يا ناقَ سِيرِي عَنقًا فسيبِحنا إلى سُلَيْمانَ فَنَسْتَرِيحنا

والرفع على الاستئناف . وذكر عن العلاء بن سَيَّابة ، أنه كان ينكر النصب في جواب الأمر بالفاء ، قال الفراء وكان العلاء هو الذي علم معاذًا وأصحابه .

القول في تأويل قوله تعالى

( أُولَئِكَ تَكَوَّنُوا أُقْسَمْتُمْ مِمَّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ) :

وهذا تقرير من الله تعالى ذكره للمشركين من قريش ، بعد أن دخلوا النار بإنكارهم في الدنيا البعث بعد الموت ، يقول لهم : إذ سألوهم رفع العذاب عنهم ، وتأخيرهم ، لينبؤوا ويتوبوا . ( أُولَئِكَ تَكَوَّنُوا ) في الدنيا ( أُقْسَمْتُمْ مِمَّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ) يقول : مالكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة ، وإنكم إنما تموتون ، ثم لا تُبعثون .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال ( أُولَئِكَ تَكَوَّنُوا أُقْسَمْتُمْ مِمَّنْ قَبْلُ ) كقوله ( وَأُقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى ) ثم قال ( مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ) قال : الانتقال من الدنيا إلى الآخرة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا

(١) هذا البيت من شواهد النحويين ، وهو لأبي النجم العجل ، يخاطب ناقته في سيره إلى سليمان بن عبد الملك . وناق : منادى مرغم ، أي يا ناق ، وعنتا : منصوب على أنه نائب عن المصدر ، أي صفة مصدر محذوف ، أي سيرا عنتا ، وهو ضرب من سير الدابة والإبل ، وهو سير مسطر . قال أبو النجم . . . وأُنشد البيت . والفسيح : الواسع . نعت . والشاهد في « فَنَسْتَرِيحنا » حيث نصب ، لأنه جواب الأمر بالفاء ، وهذا بلا خلاف ، إلا ما نقل عن العلاء بن سَيَّابة ، أنه كان لا يميز ذلك ، وهو عجوج به . ( انظر فرائد القلائد للعيني : باب إعراب الفعل ) . وقال الفراء في معاني القرآن : ( الورقة ١٦٤ ) ، وقوله « يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ » : رفع ، تابع ليأتيهم ، وليس بجواب الأمر ، ولو كان جوابًا بلجاز فصبه ورفع ، كما قال الشاعر : « يا ناق . . . البيت » والرفع على الاستئناف ، والانتفاء بالفاء في جواب الأمر حسن . وكان شيخ لنا يقال له العلاء بن سَيَّابة ، وهو الذي علم معاذًا الهراء وأصحابه ، يقول : لا أنصب بالأمر .

أبو حذيفة ، قال : ثنا سلمة ، وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( ما لكم من زوال ) قال : لاثموتون ، لقريش .  
 حدثني القاسم ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن الحكم ، عن عمرو بن أبي ليلى ، أحد بني عامر ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : بلغني ، أو ذكر لي ، أن أهل النار ينادون : ( رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ، نُحِبُّ دَعْوَتَكَ ، وَتَتَّبِعُ الرَّسُولَ ) فردّ عليهم ( أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِمَّن قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ ، وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ) . . . إلى قول ( لِيَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ ) .

القول في نازل نزل على

وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ، وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : وسكنتم في الدنيا في مساكن الذين كفروا بالله ، فظلموا بذلك أنفسهم ، من الأمم التي كانت قبلكم ، وتبين لكم كيف فعلنا بهم : يقول : وعلمتم كيف أهلكناهم حين عتوا على ربهم ، وتمادوا في طغيانهم وكفرهم . ( وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ) يقول : ومثلنا لكم فيما كنتم عليه من الشرك بالله مقيمين : الأشباه ، فلم تنيبوا ولم تتوبوا من كفركم ، فالآن تسألون التأخير للتوبة ، حين نزل بكم ما قد نزل بكم من العذاب ، إن ذلك لغير كائن .

وينحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ) يقول : سكن الناس في مساكن قوم نوح وعاد وثمود ، وقرون بين ذلك كثيرة ، ممن هلك من الأمم . ( وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ، وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ) قد والله بعث رسله ، وأنزل كتبه ، ضرب لكم الأمثال ، فلا يصم فيها إلا أصم ، ولا ينجب فيها إلا الخائب ، فاعقلوا عن الله أمره :  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ) قال : سكنوا في قراهم مدين والحجر والقرى التي عذب الله أهلها ، وتبين لكم كيف فعل الله بهم ، وضرب لهم الأمثال .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( الْأَمْثَالَ ) قال : الأشباه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .



القول في تأويل قوله تعالى

وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ، وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَتَزُولَ مِنْهُ

الْجِبَالُ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : قد مكر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم ، فسكنتم من بعدهم في مساكنهم ، مكرهم . وكان مكرهم الذي مكرؤا : ما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفیان ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبان<sup>١</sup> ، قال : سمعت عليا يقرأ (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) قال : كان ملك فتره<sup>٢</sup> أخذ فروخ النسور ، فعلفها اللحم ، حتى شبت واستعلجت واستغلظت ، فقعد هو وصاحبه في التابوت ، وربطوا التابوت بأرجل النسور ، وعلقوا اللحم فوق التابوت ، فكانت كلما نظرت إلى اللحم ، صعدت وصعدت ، فقال لصاحبه ما ترى ؟ قال : أرى الجبال مثل الدخان ، قال : ماترى ؟ قال : ما أرى شيئا ، قال : ويحك صوب صوب ، قال : فذلك قوله (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) . حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن ابن واصل<sup>١</sup> ، عن علي بن أبي طالب ، مثل حديث يحيى بن سعيد ، وزاد فيه : وكان عبد الله بن مسعود يقرأها (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن أبي عدي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن واصل<sup>١</sup> : أن عليا قال في هذه الآية : (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) قال : أخذ ذلك الذي حاج إبراهيم في ربه تسرين صغيرين ، فرباهما ، ثم استغلظا واستعلجا وشببا ، قال : فأوثق رجل كل واحد منهما بوند إلى تابوت ، وجوعهما ، وقعد هو ورجل آخر في التابوت ، قال : ورفع في التابوت عصا على رأسه اللحم ، قال : فطارا ، وجعل يقول لصاحبه : انظر ماذا ترى ؟ قال : أرى كذا وكذا ، حتى قال : أرى الدنيا كأنها ذباب ، فقال : صوب العصا ، فصوبها فهبطا ، قال : فهو قول الله تعالى : (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) قال أبو إسحاق : وكذلك في قراءة عبد الله : (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) : مكر فارس . وزعم أن يختصر خرج بنسور ، وجعل له تابوتا يدخله ، وجعل رماحا في أطرافها ، واللحم فوقها ، أراه قال : فعلمت تذهب نحو اللحم ، حتى انقطع بصره من الأرض وأهلها ، فتودى : أيها الطاغية أين تريد ؟ ففرق ، ثم سمع الصوت فوقه ، فصوب الرماح ، فتصوبت النسور ، ففزعت الجبال من هبتها ، وكادت الجبال أن تزول منه من حسن ذلك ، فذلك قوله (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) .

(١) سيأتي (ص ٢٤٥) أن اسمه عبد الرحمن بن دانييل ، وقد نقل هذا الاسم القرطبي في تفسيره (٩ : ٣٨٠) ولم أجده في أسماء الرواة ولعل لفظي « أبان » ، وواصل « هنا تحريف عن « دانييل » .

(٢) القره : البطر الأشتر المتأدي في غيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد ( وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ ، وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ ، وَإِنْ كَادَ مَكَرُهُمْ ) كَذَا قَرَأَهَا مجاهد ( كَادَ مَكَرُهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ) وقال : إن بعض من مضى جوع نسورا ، ثم جعل عليها تابوتا فدخله ، ثم جعل رماحا في أطرافها لحم ، فجعلت تترى اللحم ، فتذهب ، حتى انتهى بصره ، فنودي : أيها الطاغية : أين تريد ، فصوب الرماح ، فتصوبت النسور ، ففرغت الجبال ، وظننت أن الساعة قد قامت ، فكادت أن تزول ، فذلك قوله تعالى ( وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ) .

قال ابن جريج ، أخبرني عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن عمر بن الخطاب ، أنه كان يقرأ ( وَإِنْ كَادَ مَكَرُهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ) .

حدثني هذا الحديث أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، أنه كان يقرأ على نحو ( لِيَتَزُولَ ) بفتح اللام الأولى ، ورفع الثانية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن دانيال قال : سمعت عليا يقول ( ( وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ) ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن دانيال ، قال : سمعت عليا يقول : ( وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ) قال : ثم أنشأ على يحدث فقال : نزلت في جبّار من الجبابرة ، قال : لا أنتهي حتى أعلم ما في السماء ، ثم اتخذ نسورا ، فجعل يطعمها اللحم ، حتى غلظت واستعجلت واشتدت ، وذكر مثل حديث شعبة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود الخضرى ، عن يعقوب ، عن حفص بن حميد أو جعفر ، عن سعيد بن جبير ( ( وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ) ) قال : ثم ردد صاحب النسور ، أمر بتابوت فجعل ، وجعل معه رجلا ، ثم أمر بالنسور فاحتُمِلَ ، فلما صعد قال لصاحبه : أي شيء ترى ؟ قال : أرى الماء وجزيرة ، يعنى الدنيا ، ثم صعد فقال لصاحبه : أي شيء ترى ؟ قال : ما زداد من السماء إلا بعدا ، قال : اهبط ، وقال غيره : نودي : أيها الطاغية أين تريد ؟ قال : فسمعت الجبال حفيف النسور ، فكانت ترى أنها أمر من السماء ، فكادت تزول ، فهو قوله ( ( وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ) ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، أن أنسا كان يقرأ ( ( وَإِنْ كَادَ مَكَرُهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ) ) .

وقال آخرون : كان مكرهم : شركهم بالله ، وافترأهم عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( ( وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ) ) يقول : شركهم ، كقوله ( تَكَادَ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ) .



حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك : ( وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِيَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ ) قال : هو كقوله ( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ، تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله ( وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ ) ثم ذكر مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن الحسن كان يقول : كان أهون على الله ، وأصغر من أن تزول منه الجبال ، يصفهم بذلك . قال قتادة : وفي مصحف عبد الله بن مسعود ( وَإِنْ كَادَ مَكْرَهُمْ لَيَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ ) ، وكان قتادة يقول عند ذلك : ( تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ) : أي لكلامهم ذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَيَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ ) قال ذلك حين دعوا لله ولدا . وقال في آية أخرى ( تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَيَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ ) في حرف ابن مسعود ( وَإِنْ كَادَ مَكْرَهُمْ لَيَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ ) هو مثل قوله ( تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ) .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( لَيَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة والعراق ما خلا الكسائي ( وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَيَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ ) بكسر اللام الأولى ، وفتح الثانية ، بمعنى : وما كان مكرهم لَيَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ . وقرأه الكسائي : ( وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَيَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ ) بفتح اللام الأولى ، ورفع الثانية ، على تأويل قراءة من قرأ ذلك ( وَإِنْ كَادَ مَكْرَهُمْ لَيَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ ) من المتقدمين الذين ذكرت أقوالهم ، بمعنى : اشتد مكرهم حتى زالت منه الجبال ، أو كادت تزول منه . وكان الكسائي يحدث عن حمزة ، عن شبل عن مجاهد ، أنه كان يقرأ ذلك على مثل قراءته ( وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَيَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ ) : برفع تزول .

حدثني بذلك الحارث ، عن القاسم ، عنه .

والصواب من القراءة عندنا : قراءة من قرأه ( وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَيَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ ) بكسر اللام الأولى ، وفتح الثانية ، بمعنى : وما كان مكرهم لَيَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ .

وإنما قلنا : ذلك هو الصواب ، لأن اللام الأولى إذا فُتحت ، فعنى الكلام : وقد كان مكرهم تزول منه الجبال ، ولو كانت زالت لم تكن ثابتة ، وفي ثبوتها على حالتها ما يبين عن أنها لم تزول . وأخرى : إجماع الحجة من القراء على ذلك ، وفي ذلك كفاية عن الاستشهاد على صحتها ، وفساد غيرها بغيره .

فإن ظنَّ ظانٌ أن ذلك ليس بإجماع من الحجة، إذ كان من الصحابة والتابعين من قرأ ذلك كذلك، فإن الأمر بخلاف ما ظنَّ في ذلك، وذلك أن الذين قرءوا ذلك بفتح اللام الأولى ورفع الثانية، قرءوا: «وإنَّ كادَ مَكْرُهُمْ» بالبدال، وهي إذا قرئت كذلك، فالصحيح من القراءة مع (وإنَّ كادَ) فتح اللام الأولى، ورفع الثانية، على ما قرءوا، وغير جائز عندنا القراءة كذلك، لأن مصاحفنا بخلاف ذلك، وإنما خطأ مصاحفنا: «وإن كان»، بالنون لا بالبدال، وإذا كانت كذلك، فغير جائز لأحد تغيير رسم مصاحف المسلمين، وإذا لم يجر ذلك، لم يكن الصَّحاح من القراءة، إلا ما عليه قرء الأُمصار، دون من شدَّ بقراءته عنهم.

وبنحو ما قلنا معنى (وإنَّ كانَ مَكْرُهُمْ) قال: جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَقَدْ مَكَّرُوا مَكْرَهُمْ، وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ، وَإِنَّ كَانَ مَكْرُهُمْ لَيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) يقول: ما كان مكرهم لنزول منه الجبال.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال الحسن، في قوله (وإنَّ كانَ مَكْرُهُمْ لَيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) ما كان مكرهم لنزول منه الجبال.

حدثني المثني، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن عوف، عن الحسن، قال: ما كان مكرهم لنزول منه الجبال.

حدثني الحرث، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، عن يونس وعمرو، عن الحسن (وإنَّ كانَ مَكْرُهُمْ لَيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) قالوا: وكان الحسن يقول: وإن كان مكرهم لأوهن وأضعف من أن نزول منه الجبال.

قال: قال هارون: وأخبرني يونس، عن الحسن قال: أربيع في القرآن (وإنَّ كانَ مَكْرُهُمْ لَيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) : ما كان مكرهم لنزول منه الجبال، وقوله (لَا تَخْتَدُّنَّاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَاعِلِينَ) : ما كنا فاعلين وقوله، (إِنَّ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَكَدًّا قَانًا أَوْلُ الْعَابِدِينَ) : ما كان للرحمن ولد، وقوله (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ) : ما مكناكم فيه.

قال هارون: وحدثني بهن عمرو بن أسباط، عن الحسن، وزاد فيهن واحدة (فإن كُنْتِ فِي شَكٍّ) : ما كنت في شك (مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ).

فالأولى من القول بالصواب في تأويل الآية، إذ كانت القراءة التي ذُكِرَتْ هي الصواب، لما بيننا من الدلالة في قوله (وَقَدْ مَكَّرُوا مَكْرَهُمْ، وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ، وَإِنَّ كَانَ مَكْرُهُمْ لَيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)، وقد أشرك الذين ظلموا أنفسهم بربهم، وافترؤا عليه فبريتهم عليه، وعند الله علم شركهم به، وافترأهم عليه، وهو معاقبهم على ذلك عقوبتهم التي هم أهلها، وما كان شركهم وفيريتهم على الله، لنزول منه الجبال، بل ماضروا بذلك إلا أنفسهم، ولا عادت بغية مكروهه إلا عليهم.



حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا وكيع بن الجراح ، قال : ثنا الأعمش ، عن شخير ، عن عليّ ، قال : الغدر : مكر ، والمكر : كفر .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رُسُلَهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (فلا تحسبن الله مخالفاً وعده) الذي وعدهم من كذبهم ، ووجد ما أتوهم به من عنده . وإنما قاله تعالى ذكره لنبيه ، تثبيتاً وتشديداً لعزيمته ، ومعرفة أنه منزل من سُخطيه بمن كذبه ، ووجد نبوته ، وردّ عليه ما أتاه به من عند الله ، مثال ما أنزل بمن سلكوا سبيلهم من الأمم الذين كانوا قبلهم على مثل مينا جهم ، من تكذيب رسلهم ، وجحود نبوتهم ، ورد ما جاء وهم به من عند الله عليهم .

وقوله (إن الله عزيرٌ ذو انتقامٍ) يعني بقوله (إن الله عزيرٌ) : لا يمتنع منه شيء أراد عقوبته ، قادر على كل من طلبه ، لا يفوته بالترتب منه . (ذو انتقامٍ) ممن كفر برسله وكذبهم ، وجحد نبوتهم ، وأشرك به ، واتخذ معه لها غيره ، وأضيف قوله (مُخْلِفاً) إلى الوعد ، وهو مصدر ، لأنه وقع موقع الاسم ، ونصب قوله (رُسُلَهُ) بالمعنى ، وذلك أن المعنى : فلا تحسبن الله مخالفاً رسله وعده ، فالوعد وإن كان مخفوضاً بإضافة مُخْلِفاً إليه ، ففي معنى النصب ، وذلك أن الإخلاف يقع على منصوبين مختلفين ، كقول القائل : كسوت عبد الله ثوباً ، وأدخلته داراً ؛ وإذا كان الفعل كذلك يقع على منصوبين مختلفين ، جاز تقديم أيهما قدّم ، وخفض ما ولى الفعل الذي هو في صورة الأسماء ، ونصب الثاني ، فيقال : أنا مدخِلُ عبد الله الدار ، وأنا مدخِلُ الدار عبد الله ، إن قدّمت الدار إلى المدخِل ، وأخرت عبد الله ، خفضت الدار ، إذ أضيف مدخِلُ إليها ، ونُصِبَ عبد الله ، وإن قدّمت عبد الله إليه ، وأخرت الدار ، خفض عبد الله بإضافة مدخِلُ إليه ، ونصب الدار ؛ وإنما فعل ذلك كذلك ، لأن الفعل ، أعنى مدخِلُ ، يعمل في كل واحد منهما نصبا ، نحو عمله في الآخر ؛ ومنه قول الشاعر :

تَرَى الثَّوْرَ فِيهَا مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ وَسَائِرُهُ بِأَدَى الشَّمْسِ أَجْمَعُ ١

أضاف مدخِلُ إلى الظلِّ ، ونصب الرأس ؛ وإنما معنى الكلام : مدخِلُ رأسه الظلِّ . ومنه قول الآخر :

فَرَشَيْتَنِي بِحَشِيرٍ لَا أَكُونُ وَمِدْحَتِي كَنَاحِيَةِ يَوْمٍ حَصْرَةَ بَعْسِيلٍ ٢

(١) هذا البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٦٥) كما استشهد به المؤلف ، ولم ينسبه . قال : وقوله « فلا تحسبن الله مخالفاً وعده رسله » أضفت مُخْلِفاً إلى الوعد ، ونصبت الرسل على التأويل . وإذا كان الفعل يقع على شيئين مختلفين مثل : كسوتك الثوب ، وأدخلتك الدار ، فابداً بإضافة الفعل إلى الرجل ، فتقول : هو كاسى عبد الله ثوباً ، ومدخله الدار ؛ ويجوز هو كاسى الثوب عبد الله ، ومدخل الدار زيدا . . . ومثله قول الشاعر : « ترى الثور . . . البيت » ، فأضاف مدخِلُ إلى الظلِّ ، وكان الوجه أن يضيف مدخِلُ إلى الرأس .

(٢) وهذا البيت أيضاً من شواهد الفراء (الورقة ١٦٥) عطفه على آخر قبله ، وعطفها على الأول . ومحل الشاهد فيه : بأن الشاعر أضاف ناخيت ، وهو وصف شبه للفعل ، إلى يوم ، ونصب الصخرة ، والأولى إضافة الوصف إلى الصخرة ، ونصب يوماً ، على ما قاله الفراء .

والعسيل : الريشةُ جمعُ بها الطيب . وإنما معنى الكلام : كناحيه صخرة يومًا بعسيل . وكذلك قول الآخر :  
رُبَّ ابْنِ عَمٍّ لَيْسَ لِيَمِيٍّ مُشْتَمَعِيلٌ<sup>١</sup>      طَبَاخِ سَاعَاتِ الْكِرَى زَادَ الْكَسِيلُ<sup>١</sup>  
وإنما معنى الكلام : طباخ زاد الكسل ساعات الكرى .

فأما من قرأ ذلك ( فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفًا وَعَدَّهُ رُسُلُهُ ) فقد بينا وجه بُعْدِهِ من الصحة في كلام العرب ، في سورة الأنعام ، عند قوله ( وَكَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤَهُمْ ) ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : إن الله ذو انتقام ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ) من مشركي قومك يا محمد من قريش ، وسائر من كفر بالله ، وجحد نبوتك ونبوة رسله من قبلك ، فيوم : من صلة الانتقام . واختلف في معنى قوله ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ) فقال بعضهم : معنى ذلك : يوم تبدل الأرض التي عليها الناس اليوم في دار الدنيا ، غير هذه الأرض ، فتصير أرضا بيضاء كالفضة . ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت عمرو بن ميمون يحدث ، عن عبد الله ، أنه قال في هذه الآية ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ) قال : أرض كالفضة نقية ، لم يسيل فيها دم ، ولم يعتمل فيها خطيئة ، يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، حفاة عراة قياما ، أحسب قال : كما خلِقُوا ، حتى يلجمهم العرق قياما وحده . قال شعبة : ثم سمعته يقول : سمعت عمرو بن ميمون ، ولم يذكر عبد الله ، ثم عاودته فيه ، قال : حدثني هبيرة ، عن عبد الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : أخبرنا شعبة ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، قال : سمعت عمرو بن ميمون وربما قال : قال عبد الله : وربما لم يقل ، فقلت له : عن عبد الله ، قال : سمعت عمرو بن ميمون يقول : ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ) قال : أرض كالفضة بيضاء نقية ، لم يسيل فيها دم ، ولم يعمل فيها خطيئة ، فينفذهم البصر ، ويسمعهم الداعي ، حفاة عراة كما خلِقُوا ، قال : أراه قال : قياما حتى يلجمهم العرق .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ١٦٥) على أن طباخ كان حقه أن يضاف إلى « زاد الكسل » ، فأضافه الشاعر إلى الساعات . والمشعل : الخفيف الماضي في الأمر : المسرع . والكرى : النوم .



مسعود ، في قوله ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ) قال : تبدل أرضا بيضاء نقية كأنها فضة ، لم يسفك فيها دم حرام ، ولم يُعمل فيها خطيئة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : أخبرنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، في قوله ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ) قال : أرض الجنة بيضاء نقية ، لم يُعمل فيها خطيئة ، يسمعون الداعي ، وينفذهم البصر ، حفاة عرأة قياما ، يلجمهم العرق .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ) قال : أرض بيضاء كالفضة ، لم يُسفك فيها دم حرام ، ولم يُعمل فيها خطيئة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : أخبرنا عاصم بن بهدلة ، عن زرارة بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود : أنه تلا هذه الآية ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ) قال : يجاء بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة ، لم يُسفك فيها دم ، ولم يُعمل عليها خطيئة ، قال : فأول ما يحكم بين الناس فيه في الدماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن سنان ، عن جابر الجعفي ، عن أبي جيرة ، عن زيد ، قال : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود ، فقال : « هَلْ تَدْرُونَ لِمَ أُرْسِلْتُ إِلَيْهِمْ ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فلاني أرسلت إليهم أسألهم عن قول الله ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ) لئلا تكون يومئذ بيضاء مثل الفضة ، فلما جاءوا سألتهم فقالوا : تكون بيضاء مثل النسيء<sup>١</sup> .

حدثنا أبو إسماعيل الترمذي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى ابن كهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك ، أنه تلا هذه الآية ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ) قال : يبدؤها الله يوم القيامة بأرض من فضة ، لم يُعمل عليها الخطايا ، ينزلها الجبار تبارك وتعالى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ) قال : أرض كأنها الفضة ، زاد الحسن في حديثه عن شبابة ، والسموات كذلك أيضا ، كأنها الفضة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ) قال : أرض كأنها الفضة ، والسموات كذلك أيضا .

حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا محمد بن جعفر ، قال : ثنى أبو حازم ، قال : سمعت سهل بن سعد يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١) فِي اللِّسَانِ : وفي الحديث : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء ، كقرصة النقي » قال أبو عبيد : النقي الخبز الحواري .

على أرض بيضاء عَفْرَاءَ كَعْفُرَصَةَ النَّقِيِّ ، قال سهل أو غيره : ليس فيها معلّمٌ لغيره .  
وقال آخرون : تبدّل نارا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن السكن ، قال : قال عبد الله : الأرض كلها نار يوم القيامة ، والجنة من ورائها ترى ، أكوابها وكواعبها ، والذي نفس عبد الله بيده ، إن الرجل ليفيض عرقا ، حتى يرشّح في الأرض قدمه ، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه ، وما مسه الحساب ، فقالوا : مم ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : مما يرى الناس ويَلْتَقِنُونَ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، قال : قال عبد الله : الأرض كلها يوم القيامة نار ، والجنة من ورائها ، تُرى كواعبها وأكوابها ، ويُلْجِمُ الناس العرق ، أو يبلغ منهم العرق ، ولم يبلغوا الحساب .

وقال آخرون : بل تُبدّل الأرض أرضا من فضة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت المغيرة بن مالك يحدث عن الجاشع أو الجاشعي ، شك أبو موسى ، عن سمع عليا يقول في هذه الآية : (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : الأرض من فضة ، والجنة من ذهب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن شعبة ، عن المغيرة بن مالك ، قال : ثنا رجل من بني مجاشع ، يقال له عبد الكريم ، أو ابن عبد الكريم ، قال : ثنا هذا الرجل أراه بسمرقند ، أنه سمع علي بن أبي طالب قرأ هذه الآية (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : الأرض من فضة ، والجنة من ذهب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن مغيرة بن مالك ، عن رجل من بني مجاشع ، يقال له عبد الكريم ، أو يكنى أبا عبد الكريم ، قال : أقامني على رجل بخراسان ، فقال : حدثني هذا ، أنه سمع علي بن أبي طالب ، فذكر نحوه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) . . . الآية ، فزعم أنها تكون فضة .

حدثنا محمد بن إسماعيل ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك قال : بيدّها الله يوم القيامة بأرض من فضة .  
وقال آخرون : بيدّها حُبْرَةٌ .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنني ، قال : ثنا أبو سعد سعيد بن دلّ من صغانيان ، قال : ثنا الجارود بن معاذ الترميذي ،



قال : ثنا وكيع بن الجراح ، عن عمر بن بشر الهمداني ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ) قال : تَبْدَلُ خُبْزَةٌ بِيضَاءٍ ، يأكل المؤمن من تحت قدميه .  
 حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، أو عن محمد بن قيس ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ) قال : خُبْزَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ تَحْتِ أقدامِهِمْ .  
 وقال آخرون : تبدل الأرض غير الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن كعب في قوله ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ) قال : تصير السموات جينانا ، ويصير مكان البحر النار ، قال : وتبدل الأرض غيرها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد البخاري ، عن إسماعيل بن رافع المدني ، عن يزيد ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُبَدَّلُ اللَّهُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ، فَيُبْسِطُهَا وَيَسْطِطُحُهَا وَيَمْدُدُهَا مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ ، لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ، ثُمَّ يَنْزِجُ اللَّهُ الْخَلْقَ زَجْرَةً ، فَإِذَا هُمْ فِي هَذِهِ الْمُبَدَّلَةِ فِي مِثْلِ مَوَاضِعِهِمْ مِنَ الْأُولَى : مَا كَانَ فِي بَطْنِهَا فَبَطْنِهَا ، وَمَا كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا ، وَذَلِكَ حِينَ يَطْوِي السَّمَوَاتِ كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ ، ثُمَّ يَنْدَحُو بِهِمَا ، ثُمَّ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون الأودي ، قال : يجمع الناس يوم القيامة في أرض بيضاء ، لم يعمل فيها خطيئة ، مقدار أربعين سنة ، يلجمهم العرق .

وقالت عائشة في ذلك : ما حدثنا ابن أبي الشوارب وحيد بن مسعدة وابن بزيع ، قانوا : ثنا يزيد بن زريع ، عن داود ، عن عامر ، عن عائشة ، قالت : قلت : يا رسول الله ، إذا بدلت الأرض غير الأرض ، وبرزوا لله الواحد القهار ، أين الناس يومئذ ؟ قال : « عَلَى الصِّرَاطِ » .

حدثنا حميد بن مسعدة وابن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم : نحوه .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، عن مسروق ، قال : قلت لعائشة : يا أم المؤمنين أرأيت قول الله : ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ) : أين الناس يومئذ ؟ فقالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال : « عَلَى الصِّرَاطِ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا الحسن بن عنبسة الوراق ، قال : ثنا عبد الرحيم ، يعني ابن سليمان الرازي ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قول الله ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ) قلت : يا رسول الله ، إذا بُدِّلَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ، أين يكون الناس ؟ قال : « عَلَى الصَّرَاطِ » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عاصم بن علي ، قال : ثنا إسماعيل بن زكريا ، عن داود ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، بنحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن عائشة أم المؤمنين ، قالت : أنا أول الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا ربيعة بن إبراهيم الأسدي ، أخو إسماعيل بن إبراهيم ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، قال : قالت عائشة : يا رسول الله ، أرايت إذا بُدِّلَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ، أين الناس يومئذ ؟ قال : « عَلَى الصَّرَاطِ » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا علي بن الجعد ، قال : أخبرني القاسم ، قال : سمعت الحسن ، قال : قالت عائشة : يا رسول الله ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ) ، فأين الناس يومئذ ؟ قال : « إِنَّ هَذَا الشَّيْءُ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ أَحَدٌ ، قَالَ : عَلَى الصَّرَاطِ يَا عَائِشَةَ » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، قال : ثنا الوليد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن حسان بن بلال المزني ، عن عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قول الله ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ) قال : قالت : يا رسول الله ، فأين الناس يومئذ ؟ قال : « لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي ، ذَلِكَ إِذَا النَّاسُ عَلَى جَسْرٍ جَهَنَّمَ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ) ذكر لنا أن عائشة قالت : « يا رسول الله ، فأين الناس يومئذ ؟ فقال : لَقَدْ سَأَلْتِ عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي قَبْلَكَ ، قَالَ : هُمْ يَوْمئِذٍ عَلَى جَسْرٍ جَهَنَّمَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال : « عَلَى الصَّرَاطِ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أسماء ، عن ثوبان ، قال : سألت حبراً من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض ؟ قال : « هُمْ فِي الظُّلُمَةِ دُونَ الجَسْرِ » .

حدثني محمد بن عون ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا ابن أبي مرجم ، قال : ثنا سعيد بن ثوبان الكلابي ، عن أبي أيوب الأنصاري ، قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم حبراً من اليهود ، وقال : أرايت

(١) في ناس العروس : الجسر ، بالفتح ، الذي يعبر عليه كالعنبرة ونحوها ، ويكسر ، لذيان .



إذ يقول الله في كتابه (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) فأين الخلق عند ذلك؟ قال: «أضيافُ الله، فَلَئِنْ بَعُجِزَهُمْ مَا لَدَيْهِ».

﴿٥٠﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: معناه: يوم تبدل الأرض التي نحن عليها اليوم يوم القيامة غيرها، وكذلك السموات اليوم تبدل غيرها، كما قال جل ثناؤه: وجائر أن تكون المبدلة أرضا أخرى من فضة، وجائر أن تكون نارا، وجائر أن تكون حُبزا، وجائر أن تكون غير ذلك، ولا خبر في ذلك عندنا، من الوجه الذي يجب التسليم له، أي ذلك يكون، فلا قول في ذلك بصح، إلا ما دل عليه ظاهر التنزيل.

ومنحو ما قلنا في معنى قوله (وَالسَّمَوَاتُ) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال: أرضا كأنها الفضة (وَالسَّمَوَاتُ) كذلك أيضا. وقوله (وَيَبْرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) يقول: وظهروا لله المنفرد بالربوبية، الذي يقهر كل شيء فيغلبه، ويصرفه لما يشاء، كيف يشاء، فيحیی خلقه إذا شاء، ويميتهم إذا شاء، لا يغلبه شيء ولا يقهره، من قبورهم أحياء، لموقف القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَّابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ، وَتَعْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١)

﴿٤٩﴾ يقول تعالى ذكره: وتعاين الذين كفروا بالله، فاجتمعوا في الدنيا الشرك يومئذ، يعني: يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات (مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) يقول: مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد، وهي الوثاق من غُلِّ وسلسلة، واحدها: صَفْدٌ، يقال منه: صَفَدْتُهُ فِي الصَّفْدِ صَفْدًا وَصِفَادًا، وَالصَّفَادُ: القيد، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

فَأَبُوا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَ

ومن جعل الواحد من ذلك صِفَادًا، جمعه: صَفْدًا لا أصفادا. وأما من العطاء، فإنه يقال منه: أصفدته إصفادا، كما قال الأعشى:

(١) البيت لعمر بن كلثوم في معلقته: وآبوا: رجعوا. والنهَاب: جمع نهب. والمصفدون: المفللون بالأصفاد، الواحد: صَفْدٌ، وهو الغل. يقول: نظفنا بهم، فلم نلقت إلى أسلابهم، ولا أموالهم، وعمدنا إلى ملوكهم، فصفدناهم في الحديد. وفي (اللسان: صَفْدٌ): الصَفَادُ: حبل يوثق به أو غل. وهو الصَفْدُ، والصَفْدُ (بتسكين الفاء وتحريرها). والجمع: الأصفاد. قال ابن سيده: لانطمه كسر على غير ذلك. وفي التنزيل «مقرنين في الأصفاد». قيل: هي الأغلال. وقيل: القيود. واحدها صَفْدٌ. وانظر شرح المعلقات السبع للزوزني، وشرح القصائد العشر للبرزقي.

تَضَيَّقَتْهُ يَوْمًا فَأَكْرَمَ مَجْلِسِي وَأَصْفَدَنِي عِنْدَ الزَّمَانَةِ قَائِدًا ١  
 وقد قيل في العطاء أيضا : صَفَدَنِي صَفْدًا ، كما قال النابغة الذبياني :  
 هَذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَسْمَعُ لِقَائِيهِ فَمَا عَرَّضْتَ أَيْدِيَّ اللَّعْنِ بِالصَّفْدِ ٢  
 وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( مُقَرَّرَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ ) ، قال أهل التأويل .  
 ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله  
 ( مُقَرَّرَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ ) يقول : في وثاق .

حدثني محمد بن عيسى الدامغاني ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن جوير ، عن الضحاک ، قال :  
 الأصفاد : السلاسل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مُقَرَّرَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ )  
 قال : مقررين في القيود والأغلال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا علي بن هاشم بن البريد ، قال : سمعت الأعمش ، يقول :  
 الصَّفْدُ : القيد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( مُقَرَّرَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ )  
 قال : صَفِدَتْ فِيهَا أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ وَرَقَابَهُمْ ، وَالْأَصْفَادُ : الْأَغْلَالُ .

وقوله ( سَرَّابِيْلُهُمْ مِّنْ قَطِيرَانَ ) يقول : قُمُّصَهُمُ الَّتِي يَلْبَسُونَهَا ، وَاحِدُهَا : سِرْبَالٌ ، كَمَا قَالَ  
 امرؤ القيس :  
 لَعُوبٌ تُنَسِّيْنِي إِذَا قُمْتُ سِرْبَالِي ٣

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( سَرَّابِيْلُهُمْ مِّنْ قَطِيرَانَ )  
 قال : السرابيل : القمُصُ . وقوله ( مِّنْ قَطِيرَانَ ) : يقول : من القطران الذي يُهْنَأُ بِهِ الْإِبِلُ ، وَفِيهِ لُغَاتٌ

(١) البيت للأعشى (اللسان : صغد ، وديوان الأعشى طبع القاهرة ص ٦٥) من قصيدة يمدح بها هوزة بن غل الحنفي ، ويذم  
 الحارث بن وعلة بن مجالد الرقاشي . وتضيفته نزلت عنده ضيفا ، وأصفدي : أعطاني ، من الصغد بمعنى العطية هنا . يقول : لما زرت هوزة في  
 «جو» أكرم وفادق عليه ، وقرين من مجلسه ، وأعطاني قائدا يقودني ، لما رأي من آثار الضعف والكلال وسوء البصر . ورواية الديوان :  
 «عل» في موضع «عند» .

(٢) هذا البيت للنابغة الذبياني (مختار الشعر الجاهل بشرح مصطلح السقا طبعة الحلبي ص ١٥٥) . والصغد هنا : بمعنى العطاء ، كالذي  
 قبله . وفي الشعر الثاني منه : فلم أعرض ، في مكان : فما عرضت .

(٣) هذا عجز بيت لامرئ القيس بن حجر ، من لاميته المطولة ( ٥٤ بيتا ) ، وصدرة «ومثلك يفضاء العوارض طرفة» . (انظر  
 مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلح السقا طبعة الحلبي ص ٣٧) . وهذا البيت ساقط من نسخة الديوان بشرح الوزير أبي بكر عاصم  
 ابن أيوب البعلبوسي ، وثابت في نسخة الأعلام الشنتمري ، وفيما نقله البغدادي في خزنة الأدب الكبرى من أبيات القصيدة (ج ١ :  
 ١٩٧) أوردته بعد قول امرئ القيس : «وأمنع عرسي أن يزن بها الخالي» . والواو في البيت : واو رب . والخطاب لبسامة .  
 والعارض والعارضة : صفحة الخد ، وصفحة العنق ، وجانب الوجه ، وما يستقبلك من الشيء ، ومن الوجه ما يبدو عند الضحك . والعقلة  
 (بالفتح) : الناعمة البدن . والعبوب : الحسنة الدل . والسربال : القميص . يريد : تذهب بقوادى ، حتى أنسى قميصي . والشاهد فيه  
 عند الطبري : أن السربال : هو القميص عند العرب .



ثلاث : يقال : قَطِيرَانٌ ، وقَطْرَانٌ ، بفتح القاف ، وتسكين الطاء منه . وقيل : إن عيسى بن عمر كان يقرأ ( مِنْ قَطِيرَانٍ ) بكسر القاف ، وتسكين الطاء ؛ ومنه قول أبي النجم :

جَوْنٌ كَأَنَّ العَرَقَ المَنْشُوحَا لَبَّسَهُ القِطْرَانُ والمُسُوحَا

بكسر القاف ، وقال أيضا :

كَأَنَّ قِطْرَانَا إِذَا تَلَاهَا تَرْمِي بِهِ الرِّيحُ إِلَى مَجْرَاهَا

بالكسر .

وينحو ما قلناه في ذلك يقول من قرأ ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ( مِنْ قَطِيرَانٍ )

يعني : الخَضَخَضُ ، هيناء الإبل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ( مِنْ قَطِيرَانٍ ) قال :

قطران الإبل .

وقال بعضهم : القَطِيرَانُ : النُّحَاسُ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قَطِيرَانٌ :

نحاس ، قال ابن جريج : قال ابن عباس ( مِنْ قَطِيرَانٍ ) : نحاس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( مِنْ قَطِيرَانٍ ) قال :

هي نحاس ، وبهذه القراءة : أعني بفتح القاف وكسر الطاء ، وتصيير ذلك كله كلمة واحدة ، قرأ ذلك جميع قرآء الأمصار ، وبها نقرأ ، لإجماع الحجة من القرآء عليه .

وقد روي عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ ذلك ( مِنْ قَطِيرَانٍ ) بفتح القاف ، وتسكين الطاء ، وتنوين

الراء ، وتصيير « آن » من نعته ، وتوجيه معنى القَطِيرُ ، إلى أنه النحاس ، ومعنى « الآن » ، إلى أنه الذي قد انتهى حره في الشدة .

ومن كان يقرأ ذلك كذلك ، فيما ذكر لنا ، عكرمة مولى ابن عباس ، حدثني بذلك أحمد بن يوسف ،

قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حُصَيْنٌ عنه .

(١) البيت في (لسان العرب : نتح) قال : النتح : خروج العرق من الجلد ، والدم من النحي ، والنتى من الثرى . نتح ينتح نتحا ومنتوحا . وقال الجوهري : النتح : الرشح . ومنتاح العرق : مغارجه من الجلد . وأنشد : جون . . . الخ . والقطران ( بالفتح وبالكسر وكطربان ) : عصارة الأرز ، وهو الصنوبر ، يطبخ ، ثم تهنأ به الإبل ، وإنما جعلت سرايبهم منه ، لأنه يبالغ في اشتعال النار في الجلود ( عن تاج العروس ) . والمسوح : جمع مسح ، بكسر الميم ، وهو الكساء من الشعر ، جمعه : أمساح ، ومسوح . (٢) هذا الشاهد كالذي قبله ، على أن القطران ، بكسر القاف .

ذكر من تأول ذلك على هذه القراءة ، التأويل الذي ذكرت فيه  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرِ آنٍ)   
قال : قَطْرٌ ، والآن : الذي قد انتهى حرّه .  
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا داود بن مهران ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير نحوه .  
حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا يعقوب القُمسي ، عن جعفر ، عن   
سعيد ، بنحوه .  
حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا يعقوب القُمسي ، عن   
جعفر ، عن سعيد بن جبير : أنه كان يقرأ (سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرِ آنٍ) .  
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا المبارك بن فضالة ، قال : سمعت الحسن يقول :  
كانت العرب تقول للشيء إذا انتهى حرّه : قد أُنِيَ حرّه هذا : قد أوقدت عليه جهنم منذ خلقت ، فأُنِيَ حرّها .  
حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعيد ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع   
ابن أنس في قوله (سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرِ آنٍ) قال : القَطْرُ : النُّحَاسُ ، والآن : يقول : قد أُنِيَ حرّه ،  
وذلك أنه يقول : حمم آن .  
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا ثابت بن يزيد ، قال : ثنا هلال بن   
خباب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في هذه الآية (سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرِ آنٍ) قال : من نحاس ،  
قال : آن : أي لهم أن يعدّوا به .  
حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن عكرمة ، في قوله   
(مِّنْ قَطْرِ آنٍ) قال : الآني : الذي قد انتهى حرّه .  
حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله   
(مِّنْ قَطْرِ آنٍ) قال : هو النحاس المذاب .  
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن قتادة (مِّنْ قَطْرِ آنٍ)   
يعني : الصُّفْرُ المذاب .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن قتادة (سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرِ آنٍ) قال :  
من نحاس .  
حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا أبو حفص ، عن هارون ، عن قتادة أنه   
كان يقرأ (مِّنْ قَطْرِ آنٍ) قال : من صُفْرٍ قد انتهى حرّه .  
وكان الحسن يقرأها : (مِّنْ قَطْرِ آنٍ) .  
وقوله (وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ) يقول : وتلفحُ وجوههم النار ، فتحرقها (لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ   
نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ) يقول : فعل الله ذلك بهم ، جزاء لهم بما كسبوا من الآثام في الدنيا ، كما يثيب



كلّ نفس بما كسبت، من خير وشرّ، فيجنّزى المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته . ( إن الله سريع الحساب ) يقول : إن الله عالم بعمل كلّ عامل ، فلا يحتاج في إحصاء أعمالهم إلى عقْد كفّ ولا معاناة ، وهو سريع حسابه لأعمالهم ، قد أحاط بها علماً . لا يعزّب عنه منها شيء ، وهو مجازيهم على جميع ذلك : صغيره وكبيره .

القول في تأويل قوله تعالى

هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ، وَلِيُنذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ، وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٣).

يقول تعالى ذكره : هذا القرآن بلاغ للناس ، أبلغ الله به إليهم ، في الحجّة عليهم ، وأعذر إليهم ، بما أنزل فيه من مواظبه وعبره ( وليُنذَرُوا بِهِ ) : يقول : وليُنذَرُوا عقاب الله ، ويحذَرُوا به نَقِمَاتِهِ ، أنزله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم . ( وليَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ) يقول : وليعلموا بما احتجّ به عليهم من الحجج فيه ، أنما هو إله واحد ، لا آلهة شتى ، كما يقوله المشركون بالله ، وأن لا إله إلا هو ، الذي له ما في السموات وما في الأرض ، الذي سخّر لهم الشمس والقمر ، والليل والنهار ، وأنزل من السماء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقا لهم ، وسخّر لهم الفلك لتجرى في البحر بأمره ، وسخّر لهم الأنهار . ( وليَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ) يقول : وليتذكّر فيتعظ بما احتجّ الله به عليه ، من حججه التي في هذا القرآن ، فينجزر عن أن يجعل معه إلهاً غيره ، ويُسْهِرِك في عبادته شيئاً سواه أهلُ الحجى والعقول ، فإنهم أهلُ الإعتبار والادّكار ، دون الذين لا عقول لهم ولا أفهام ، فإنهم كالأنعام ، بل هم أضلّ سبيلاً .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ ) : قال : القرآن . ( وليُنذَرُوا بِهِ ) : قال : بالقرآن . ( وليَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ) ، ( وليَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ) .

آخر تفسير سورة إبراهيم ، صلى الله عليه وآله وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

تمّ الجزء الثالث عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

ويليه الجزء الرابع عشر

وأوله : القول في تأويل قوله تعالى ( الر . تلك آيات الكتاب وقرآن مبين )

# جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

## نَافِلَاتِ آيِ الْقُرْآنِ

« كتاب أزلناه إليك لتفخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
رهم إلى صراط العزيز الحميد » .  
قرآن كريم  
« ما أعلم على آدم الأرض أعلم  
من ابن جرير » .  
محمد بن إسحاق بن عزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري  
المتوفى ٣١٠ سنة

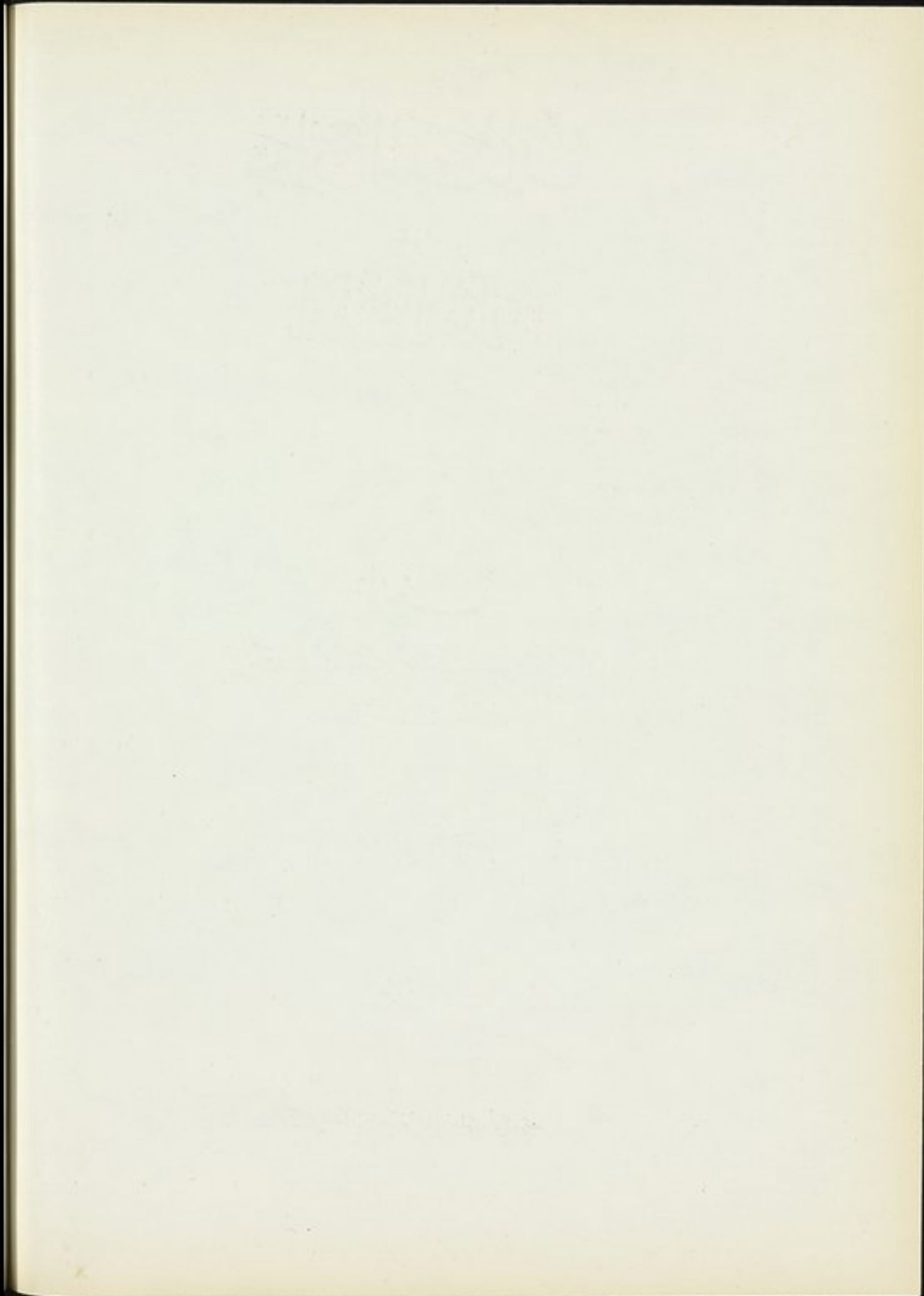
الجزء الرابع عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر





فهارس الجزء الرابع عشر

من

جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى

---

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .



## ١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
				<u>سورة الحجر</u>	
١	الرَّ . تلك آيات الكتاب . . .	١	٢٣	وإنا لنحن نحيي ونميت . . .	٢٣
٢	رُبَّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا . . .	١	٢٤	ولقد عَلَّمْنَا المستقدمين منكم . . .	٢٣
٣	ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا . . .	٥	٢٥	وإن ربك هو يَحْشُرُهُمْ . . .	٢٣
٤	وما أَهْلَكْنَا من قرية . . .	٥	٢٦	ولقد خلقنا الإنسان . . .	٢٧
٥	ما تَسْبِقُ من أمة أَجْلُهَا . . .	٦	٢٧	والجانَّ خلقناه من قبل . . .	٣٠
٦	وقالوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ . . .	٦	٢٨	وإذ قال ربك للملائكة . . .	٣١
٧	لوما تَأْتِينَا بالملائكة . . .	٦	٢٩	فإذا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ . . .	٣١
٨	ما نَزَّلَ الملائكة إلا بِالْحَقِّ . . .	٦	٣٠	فسجد الملائكة كلهم أجمعون . . .	٣١
٩	إنا نحن نزلنا الذِّكْرَ . . .	٧	٣١	إلا إبليس أبى . . .	٣١
١٠	ولقد أرسلنا من قبلك . . .	٨	٣٢	قال يا إبليس مالك . . .	٣١
١١	وما يَأْتِيهِمْ من رسول . . .	٨	٣٣	قال لم أَكُنْ أَتَّبِعُ لبشر . . .	٣٢
١٢	كذلك نَسَلُكَ في قلوب الخبَرِمين . . .	٩	٣٤	قال فاخرجْ منها فإنك رجيم . . .	٣٢
١٣	لا يُؤْمِنُونَ به وقد خلت سنة الأولين . . .	٩	٣٥	وإنَّ عَلَيْكَ الِاعْتِنَةَ إلى يوم الدين . . .	٣٢
١٤	ولو فتحنا عليهم بابا من السماء . . .	١٠	٣٦	قال ربَّ فَأَنْظِرْنِي إلى يوم يبعثون . . .	٣٢
١٥	لقالوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا . . .	١٠	٣٧	قال فإنك من المنظرين . . .	٣٢
١٦	ولقد جعلنا في السماء بروجا . . .	١٣	٣٨	إلى يوم الوقت المعلوم . . .	٣٢
١٧	وحفظناها من كل شيطان رجيم . . .	١٤	٣٩	قال رب بما أغويتني . . .	٣٢
١٨	إلا من استرق السمع . . .	١٤	٤٠	إلا عبادك منهم المخلصين . . .	٣٢
١٩	والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي . . .	١٥	٤١	قال هذا صراط على مستقيم . . .	٣٣
٢٠	وجعلنا لكم فيها معايش . . .	١٧	٤٢	إن عبادي ليس لك عليهم سلطان . . .	٣٣
٢١	وإن من شيء إلا عندنا خزائنه . . .	١٨	٤٣	وإن جهنم لموعدهم أجمعين . . .	٣٥
٢٢	وأرسلنا الرياح لواقح . . .	١٩	٤٤	ها سبعة أبواب . . .	٣٥
			٤٥	إنَّ الْمُتَّقِينَ في جنَّاتٍ وَعِيُونَ . . .	٣٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٦	أدخلوها بسلام آمنين . . .	٣٦	٧٣	فأخذتهم الصيحة مُشْرِقِينَ . . .	٤٣
٤٧	ونزعنا ما في صدورهم من غِلٍّ . . .	٣٦	٧٤	فجعلنا عاليها سافلها . . .	٤٥
٤٨	لا يمسمهم فيها نصَبٌ . . .	٣٨	٧٥	إن في ذلك لآياتٍ للمتوسِّمين . . .	٤٥
٤٩	نبيُّ عبادي أنى أنا العفور الرحيم . . .	٣٨	٧٦	وإنها لبسبيل مُقِيمٌ . . .	٤٧
٥٠	وأنَّ عذابي هو العذاب الأليم . . .	٣٨	٧٧	إن في ذلك لآيةٌ للمؤمنين . . .	٤٧
٥١	ونبئهم عن ضيف إبراهيم . . .	٣٩	٧٨	وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين . . .	٤٨
٥٢	إذ دخلوا عليه فقالوا . . .	٣٩	٧٩	فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مُبِينٌ . . .	٤٨
٥٣	قالوا لا تَتَوَجَّلْ إنا نبشرك بغلام . . .	٣٩	٨٠	ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين . . .	٤٩
٥٤	قال أبشروني على أن مسئ . . .	٣٩	٨١	وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين . . .	٤٩
٥٥	قالوا بشرناك بالحق . . .	٤٠	٨٢	وكانوا يَسْتَحْسِبُونَ من الجبال بيوتنا . . .	٥٠
٥٦	قال ومن يقنط من رحمة ربه . . .	٤٠	٨٣	فأخذتهم الصيحة مُصْبِحِينَ . . .	٥٠
٥٧	قال فما خطبكم أيها المرسلون . . .	٤١	٨٤	فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون . . .	٥٠
٥٨	قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين . . .	٤١	٨٥	وما خلقنا السموات والأرض . . .	٥٠
٥٩	إلا آل لوط إنا لمنجؤهم أجمعين . . .	٤١	٨٦	إن ربك هو الخلاقُ العليم . . .	٥٠
٦٠	إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين . . .	٤١	٨٧	ولقد آتيناك سبعا من المثاني . . .	٥١
٦١	فلما جاء آل لوط المرسلون . . .	٤١	٨٨	لا تمدنَّ عينيك إلى ما متَّعنا به . . .	٦٠
٦٢	قال إنكم قوم منكرون . . .	٤١	٨٩	وقل إني أنا النذير المبين . . .	٦١
٦٣	قالوا بل جنناك بما كانوا . . .	٤١	٩٠	كما أنزلنا على المقتسمين . . .	٦١
٦٤	وآتيناك بالحق وإنا لصادقون . . .	٤١	٩١	الذين جعلوا القرآن عضين . . .	٦١
٦٥	فأسر بأهلك بقطع من الليل . . .	٤١	٩٢	فوربك لنسئلنهم أجمعين . . .	٦٦
٦٦	وقضينا إليه ذلك الأمر . . .	٤٢	٩٣	عما كانوا يعملون . . .	٦٦
٦٧	وجاء أهل المدينة يستبشرون . . .	٤٢	٩٤	فاصدع بما تؤمر . . .	٦٦
٦٨	قال إن هؤلاء ضيبي فلا تفضحون . . .	٤٣	٩٥	إنا كفيناك المستهزئين . . .	٦٩
٦٩	واتقوا الله ولا تُخزون . . .	٤٣	٩٦	الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر . . .	٦٩
٧٠	قالوا أو لم تنهك عن العالمين . . .	٤٣	٩٧	ولقد نعلم أنك يضيق صدرك . . .	٧٣
٧١	قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين . . .	٤٣	٩٨	فسبِّحْ بحمد ربك . . .	٧٣
٧٢	لمن ربك إنهم لن يسمعون . . .	٤٣	٩٩	واعبد ربك حتى يأتيك اليقين . . .	٧٣



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
				سورة النحل	
١	أنى أمر الله فلا تستعجلوه . . .	٧٥	٢٧	ثم يوم القيامة يُخزئهم . . .	٩٨
٢	ينزل الملائكة بالروح من أمره . . .	٧٦	٢٨	الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى . . .	٩٩
٣	خلق السموات والأرض بالحق . . .	٧٨	٢٩	فادخلوا أبواب جهنم خالدين . . .	٩٩
٤	خلق الإنسان من نُطْفَةٍ . . .	٧٨	٣٠	وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم . . .	٩٩
٥	والأنعام خلقها لكم . . .	٧٨	٣١	جنّات عدن يدخلونها . . .	١٠٠
٦	ولكم فيها جمال حين تريحون . . .	٧٩	٣٢	الذين تتوفاهم الملائكة طيبين . . .	١٠١
٧	وتحمل أُنْقَالِكُمْ إلى بَلَدٍ . . .	٧٩	٣٣	هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة . . .	١٠٢
٨	والخيل والبغال والحمير لتركبوها . . .	٨١	٣٤	فأصابهم سيئات ما عملوا . . .	١٠٢
٩	وعلى الله قَصْدُ السَّبِيلِ . . .	٨٣	٣٥	وقال الذين أشركوا لو شاء الله . . .	١٠٢
١٠	هو الذى أنزل من السماء ماء . . .	٨٥	٣٦	ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا . . .	١٠٣
١١	ينبت لكم به الزرع والزيتون . . .	٨٥	٣٧	إن تحرص على هُدَاهُمْ . . .	١٠٣
١٢	وتحتر لكم الليل والنهار . . .	٨٧	٣٨	وأقسموا بالله جهنْدَ أيمانهم . . .	١٠٤
١٣	وما ذرأ لكم فى الأرض . . .	٨٧	٣٩	ليبين لهم الذى يختلفون فيه . . .	١٠٥
١٤	وهو الذى تحتر البحر . . .	٨٧	٤٠	إنما قولنا لشيء إذا أردناه . . .	١٠٦
١٥	وألقى فى الأرض رواسى . . .	٨٨	٤١	والذين هاجروا فى الله . . .	١٠٦
١٦	وعلامات وبالنجم هم يهتدون . . .	٨٩	٤٢	الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون . . .	١٠٨
١٧	أفمن يخلق كمن لا يخلق . . .	٩١	٤٣	وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا . . .	١٠٨
١٨	وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . . .	٩٢	٤٤	بالبينات والزُّبُرِ . . .	١٠٩
١٩	والله يعلم ما تُسرّون وما تعلنون . . .	٩٢	٤٥	أفأمن الذين مكروا السيئات . . .	١١١
٢٠	والذين تدعون من دُونِ الله . . .	٩٣	٤٦	أو يأخذهم فى تقلبهم . . .	١١٢
٢١	أمواتٌ غير أحياء . . .	٩٣	٤٧	أو يأخذهم على تخوّفٍ . . .	١١٢
٢٢	والهكم إله واحد . . .	٩٣	٤٨	أو لم يروا إلى ما خلق الله . . .	١١٤
٢٣	لا جبرمَ أن الله يعلم . . .	٩٤	٤٩	والله يسجد ما فى السموات . . .	١١٧
٢٤	وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم . . .	٩٤	٥٠	يخافون ربهم من فوقهم . . .	١١٧
٢٥	ليحملوا أوزارهم كاملة . . .	٩٤	٥١	وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين . . .	١١٨
٢٦	قد مكر الذين من قبلهم . . .	٩٥	٥٢	وله ما فى السموات والأرض . . .	١١٨
			٥٣	وما بكم من نعمة فمن الله . . .	١٢٠
			٥٤	ثم إذا كشف الضّر عنكم . . .	١٢١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٥	ليكفروا بما آتيناهم . . .	١٢١	٨٣	يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها . . .	١٥٧
٥٦	ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا . . .	١٢٢	٨٤	ويوم نبعث من كل أمة شهيدا . . .	١٥٨
٥٧	ويجعلون لله البنات سبحانه . . .	١٢٣	٨٥	وإذا رأى الذين ظلموا العذاب . . .	١٥٩
٥٨	وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى . . .	١٢٣	٨٦	وإذا رأى الذين أشركوا . . .	١٥٩
٥٩	يتوارى من القوم من سوء . . .	١٢٤	٨٧	وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمئِذٍ السَّلَامَ . . .	١٥٩
٦٠	للذين لا يؤمنون بالآخرة . . .	١٢٥	٨٨	الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله . . .	١٦٠
٦١	ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم . . .	١٢٥	٨٩	ويوم نبعث في كل أمة شهيدا . . .	١٦١
٦٢	ويجعلون لله ما يكرهون . . .	١٢٦	٩٠	إن الله يأمر بالعدل والإحسان . . .	١٦٢
٦٣	تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك . . .	١٢٩	٩١	وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم . . .	١٦٣
٦٤	وما أنزلنا عليك الكتاب . . .	١٣٠	٩٢	ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها . . .	١٦٥
٦٥	والله أنزل من السماء ماء . . .	١٣٠	٩٣	ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة . . .	١٦٨
٦٦	وإن لكم في الأنعام لعبرة . . .	١٣٠	٩٤	ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم . . .	١٦٨
٦٧	ومن ثمرات النخيل والأعناب . . .	١٣٣	٩٥	ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا . . .	١٦٩
٦٨	وأوحى ربك إلى النحل . . .	١٣٩	٩٦	ما عندكم ينفقند وما عند الله باق . . .	١٦٩
٦٩	ثم كُتِبَ لِي من كل الثمرات . . .	١٣٩	٩٧	من عمل صالحا من ذكر أو أنثى . . .	١٧٠
٧٠	والله خلقكم ثم يتوفاكم . . .	١٤١	٩٨	فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله . . .	١٧٣
٧١	والله فضل بعضكم على بعض . . .	١٤٢	٩٩	إنه ليس له سلطان . . .	١٧٣
٧٢	والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا . . .	١٤٣	١٠٠	إنما سلطانه على الذين يتولونه . . .	١٧٣
٧٣	ويعبدون من دون الله . . .	١٤٧	١٠١	وإذا بدلنا آية مكان آية . . .	١٧٦
٧٤	فلا تضربوا الله الأمثال . . .	١٤٧	١٠٢	قل نزله روح القدس من ربك . . .	١٧٦
٧٥	ضرب الله مثلا عبدا مملوكا . . .	١٤٨	١٠٣	ولقد نعلم أنهم يقولون . . .	١٧٧
٧٦	وضرب الله مثلا رجلين . . .	١٤٩	١٠٤	إن الذين لا يؤمنون بآيات الله . . .	١٨٠
٧٧	ولله غيب السموات والأرض . . .	١٥١	١٠٥	إنما يفتري الكذب . . .	١٨٠
٧٨	والله أخرجكم من بطون أمهاتكم . . .	١٥٢	١٠٦	من كفر بالله من بعد إيمانه . . .	١٨٠
٧٩	ألم يروا إلى الطير مسخرات . . .	١٥٢	١٠٧	ذلك بأنهم استحسبوا الحياة الدنيا . . .	١٨٢
٨٠	والله جعل لكم من بيوتكم سكنا . . .	١٥٣	١٠٨	أولئك الذين طبع الله على قلوبهم . . .	١٨٢
٨١	والله جعل لكم مما خلق ظلالا . . .	١٥٥	١٠٩	لاجرم أنهم في الآخرة . . .	١٨٢
٨٢	فإن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ . . .	١٥٧	١١٠	ثم إن ربك للذنين هاجروا . . .	١٨٣





## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٧٥	١
تفسير سورة النحل	تفسير سورة الحجر
٧٧ بيان أن الملك لا ينزل إلا ومعه روح .	٢ تعبير الكفار لمن يدخل النار من المسلمين .
٧٩ فوائد الأنعام .	٧ تأويل قوله « إنا نحن نزلنا الذكر » . . . الآية
٨٢ الدليل على تحريم لحم الخيل والبغال والحمير .	وبيان المحفوظ أهو النبي أم القرآن .
٨٨ الدليل على أن الخلى لا صدقة فيه .	١٠ الآيات مهما بلغت في الظهور لا تنفع عند
٩٦ قصة نمرود .	إفقال الله القلوب .
١٠٤ تأويل قوله « وأقسموا بالله جهد أيمانهم »	١٤ تأويل قوله « ولقد جعلنا في السماء بروجا » .
. . . الآية ، وبيان من أقسم .	١٤ انقطاع الشياطين عن استراق السمع .
١١٨ تأويل قوله « وله ما في السموات والأرض »	١٩ بيان أنه ليس عام أمطر من عام .
. . . الآية ، ومعنى الواصب .	٢٣ تأويل قوله « ولقد علمنا المستقدمين » . . . الآية
١٢٣ ما كان يعتقد المشركون من أن الملائكة	٢٧ كيفية خلق آدم .
بنات الله مع كراهتهم للبنات .	٣٠ كيفية خلق الجن .
١٢٦ تأويل قوله « ويجعلون لله ما يكرهون » .	٣٦ تأويل قوله « إن المتقين في جنات وعيون »
١٢٨ الشواهد على معنى الإفراط .	. . . الآية .
١٣١ تأويل قوله « وإن لكم في الأنعام » ، والشواهد	٣٩ دخول الملائكة على إبراهيم وبشارتهم له .
على ما فيها من المباحث اللغوية .	٤٧ مدينة سدوم كانت باقية يراها المجتاز بها .
١٣٣ تأويل قوله « ومن ثمرات النخيل » . . .	٤٨ أصحاب الأيكة وما تم لهم .
وبيان أنها نزلت قبل تحريم الخمر .	٤٩ أصحاب الحجر هم ثمود .
١٣٩ ما في العسل والنحل من الآيات والعبر .	٥٠ تأويل قوله « وما خلقنا السموات والأرض »
١٤٢ تأويل قوله « والله فضل بعضكم » . . . الآية	. . . الآية .
وبيان ما رده على النصارى .	٥١ الخلاف في معنى السبع المتشاني .
١٤٣ معنى البنين والحفدة .	٦٠ ما نهى عنه النبي من التطلع لزينة الدنيا .
١٥٢ تأويل قوله « ألم يروا إلى الطير » ، والشواهد	٦٣ الصواب في المراد بالمقتسمين .
على معنى الجن .	٦٩ المستهزئون بالنبي ، وكيف فعل بهم .



الصفحة	الصفحة
١٧٧ من كان يتردد على النبي صلى الله عليه وسلم من العجم، وادعى المشركون أنه يعلم النبي.	١٥٣ يخاطب الله العرب بحسب ما تعرف .
١٨١ ما فعله المشركون بعمار بن ياسر، وفعله معهم.	١٦٤ تأويل قوله « وأوفوا بعهد الله » .
١٨٣ ما حصل بين المشركين، وبين من أراد الهجرة من المؤمنين .	١٦٥ الصواب في المراد منه .
١٨٥ تأويل قوله « وضرب الله مثلا قرية . . . » .	١٦٥ خبر الحمقاء التي كانت بمكة، وضرب الله بفعلها المثل .
وبيان أن القرية مكة أو المدينة .	١٧٠ تأويل قوله « من عمل صالحا » . . . الآية ،
١٩١ ما ورد في فضل معاذ بن جبل .	وبيان الحياة الطيبة الموعود بها :
١٩٣ خلاف اليهود والنصارى في أفضل الأيام .	١٧٤ من استعاذ من الشيطان سئل من شره .

## ٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
١٦٧	العَشْرُ				ا
١١٠	بِالنَّارِ		د		
٦	عَوْرِي	١٣١	وَالكَتْدُ	٦٥	بِالْمُعَضِّي
٦٥	فَغَيْرًا	١٣١	وَبِرْدُ		ب
١٣٨	سُكْرًا	١١٠	عَضْدُ		
٩٠	صَوْرًا	١٤٧	حَفْدُ وَا	١١٨	وَاصِبُ
٩٠	بَوْرًا	٨٣	الْقَاصِدِ	٢٢	وَإَخَاطِبُهُ
١٢١	وَصَارًا	١٧٩	المُلْحَدِ	٢٢	وَمَلَاعِبُهُ
١٢١	جَوَارًا	١٢٨	لِيُورَادِ	٢١	الْكُتُوكِبِ
		١٣٢	سَوَادِي	٩	عَصِيبِ
	س	٩	الشَّرْدَا	١٥٢	مَطْلُوبِ
١١٧	الجَوَامِيسِ			٨١	وَدُهُ وِبِ
			ر	١١٨	وَاصِبًا
	ع			١١٠	الْمُتَعَيَّبَا
٦٧	وَيَصْدَعُ	١٣	بِسُكْرٍ		ث
		١٣	الْقَسِيرِ		
	ف	١٣	تَظْهَرُ	١٥٤	الْأَنَاثِ
		١٣	تَسْكُرُ		ح
١٣٣	مُسَاعِفُ	١٣٨	تَسْكُرُ		
	ق	١١٩	الصَّفَرُ	١٩٨	وَفَسَحُ
		١٢٤	حَافِرُهُ	٤٨	الجَوَانِحُ
١٩	التَّوَاقُ	٢	المِهَارُ	٨٠	سَارِحُ
٨٥	المَسَاقُ	١١٦	جَحْرُ	٢١	الطَّوَانِحُ
١٨	المُخْرَقِ	١٢٠	لِلصَّبْرِ	١٣٢	الوَاضِحِ



الجزء الرابع عشر

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ن		م	٨١	شِقَا
				ل	
١١٣	السَّقَنُ	١٠٦	قَبِيْعُجِيْمَةٌ		
١٥٧	يَلْبِيْنِي	١١٧	الضَّرَاعِيْمِ	١١٣	صَلِيْلٌ
١٣٣	الْمُتَوَانِي	١٨٦	بِأَنْعَمِ	١٣٢	حَوَاصِلُهُ
١٦٩	النَّعْلَانِ	١١	سَلْمِ	١٣١	هَلَالِ
١٨٠	تَحْيِينَا	٦٩	نَادِمَا	٨٧	الْأَجْمَالِ
١٣٢	وَتَنْتَجُونَهُ	٦٥	زَمْرَمَةٌ	١٤٦ . ١٤٤	الْأَجْمَالِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ (١)

أما قوله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه (الر) ، فقد تقدم بيانها فيما مضى قبل . وأما قوله ( تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ) فإنه يعني : هذه الآيات ، آيات الكتاب التي كانت قبل القرآن ، كالتوراة والإنجيل . ( وَقُرْآنٍ ) يقول : وآيات قرآن ( مُبِينٍ ) يقول : يُبِينُ من تأمله وتدبره رشده وهداه . كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ) قال : تُبِينُ والله هداه ورشده وخيره .

حدثنا المنثي ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (الر) فواتح يفتح بها كلامه ( تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ) قال : التوراة والإنجيل . حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قوله (الر) تلك آيات الكتاب ) قال : الكتاب التي كانت قبل القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى

رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢)

اختلفت القراء في قراءة قوله ( رُبَّمَا ) فقرأت ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين ( رُبَّمَا ) بتخفيف الباء ، وقراءته عامة قراء الكوفة والبصرة بتشديد الباء . والصواب من القول في ذلك عندنا : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان ، بمعنى واحد ، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب .



واختلف أهل العربية في معنى « ما » التي مع « رب » ، فقال بعض نحويي البصرة : أدخل مع رب « ما » ليتكلم بالفعل بعدها ، وإن شئت جعلت « ما » بمنزلة شيء ، فكأنك قلت : رب شيء يود : أي رب يودّ يودّه الذين كفروا . وقد أنكّر ذلك من قوله بعض نحويي الكوفة . وقال : المصدر لا يحتاج إلى عائد ، والودّ قد وقع على « لو » ، ربما يودون لو كانوا : أن يكونوا ، قال : وإذا أضمر الهاء في « لو » فليس بمفعول ، وهو موضع المفعول ، ولا ينبغي أن يترجم المصدر بشيء ، وقد ترجمه بشيء ، ثم جعله وداً ، ثم أعاد عليه عائداً . فكان الكسائي والفرّاء بقولان : لاتكاد العرب توقع « رب » على مستقبل ، وإنما وقعونها على الماضي من الفعل ، كقولهم : ربما فعلت كذا ، وربما جاءني أخوك ، قالوا : وجاء في القرآن مع المستقبل : ربما يودّ ، وإنما جاز ذلك ، لأن ما كان في القرآن من وعد ووعد وما فيه فهو حق ، كأنه عيان ، فجرى الكلام فيما لم يكن بعد منه ، مجراه فيما كان ، كما قيل : ( وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ) ، وقوله ( وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ ) كأنه ماضٍ وهو منتظر لصدقه في المعنى ، وأنه لا مكذب له ، وإن القائل ليقول إذا تمّ أو أمر فعصاه المأمور يقول : أما والله لربّ ندامة لك تذكر قولي فيها ، لعلمه بأنه سيندم ، والله ووعدّه أصدق من قول المخلوقين . وقد يجوز أن يصحب ربّما الدائم ، وإن كان في لفظ يفعل ، يقال : ربما يموت الرجل فلا يوجد له كفن ، وإن أوليت الأسماء ، كان معها ضمير كان ، كما قال أبو دؤاد :

رُبَّمَا الْجَامِلُ الْمُؤَبَّلُ فِيهِمْ وَعَتَا جِيحُ بَيْتِنَهُنَّ الْمِهَارُ

فتأويل الكلام : ربما يودّ الذين كفروا بالله ، فجحداً وحدانيته ، لو كانوا في دار الدنيا مسلمين .

كما حدثنا عليّ بن سعيد بن مسروق الكندي ، قال : ثنا خالد بن نافع الأشعري ، عن سعيد بن أبي بردة ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى ، قال : بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة ، واجتمع أهل النار في النار ، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة ، قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة : ألسم مسلمين ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فما أغنى عنكم إسلامكم ، وقد صرتم معنا في النار ؟ قالوا : كانت لنا ذنوب ، فأخذنا بها ، فسمع الله ما قالوا ، فأمر بكلّ من كان من أهل القبلة في النار فأخرجوا ، فقال من في النار من الكفار : يا ليتنا كنا مسلمين ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ( الرَّبِّ تَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ، رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) .

(١) البيت لأبي دؤاد الإيادي ( خزائن الأدب ٤ : ١٨٨ ) وهو شاهد على أن رب المكفوفة بما لاتدخل إلا على الفعل عند سيبويه ، وهذا البيت شاذ عنده ، لدخول رب المكفوفة فيه على الجملة الاسمية ، فإن الجامل مبتدأ ، والمؤبل صفة ، وفيهم هو الخبر . وتكون رب كما قال أبو حيان من حروف الابتداء ، تدخل على الجمل فعلية أو اسمية ، لقصدها إلى تقليل النسبة المفهومة من الجملة ، فإذا قلت : ربما قام زيد فكأنك قلت النسبة المفهومة من قيام زيد . وكذلك إذا قلت ربما زيد شاعر ، قلت نسبة شعر زيد . وعن بعضهم أن رب المكفوفة نقلت من معنى التقليل إلى معنى التحقيق ، كما نقلت قد الداخلة على المضارع في نحو قوله تعالى « قد يعلم ما أنتم عليه » من معنى التقليل إلى معنى التحقيق . ودخولها على الجملة الاسمية مذهب المبرد والزمخشري وابن مالك . والجامل : الجماعة من الإبل ، لا واحد لها من لفظها . ويقال إبل مؤبلة : إذا كانت لثنية . والعناجيج : الحبل الطوال الأعناق . واحدها : عنجوج ، والمهارة : جمع مهر ، وهو ولد الفرس ، والأثني مهرة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن الهيثم أبو قطن القُطَيْمِيّ ، ورواح القَيْسِيّ ، وعفان بن مسلم واللفظ لأبي قطن ، قالوا : ثنا القاسم بن الفضل بن عبد الله بن أبي جرّوة ، قال : كان ابن عباس وأنس ابن مالك يتأولان هذه الآية ( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) قالوا : ذلك يوم يجمع الله أهل الخطايا من المسلمين والمشركين في النار . وقال عفان : حين يحبس أهل الخطايا من المسلمين والمشركين ، فيقول المشركون : ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون ، زاد أبو قطن : قد جمعنا وإياكم ، وقال أبو قطن وعفان : فيغضب الله لهم بفضل رحمته ، ولم يقله رَوَّاحُ بن عبادة ، وقالوا جميعا : فيخرجهم الله ، وذلك حين يقول الله ( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا أبو عوانة ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله ( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) قال : يُدْخِلُ الجنة ويرحمهم حتى يقول في آخر ذلك من كان مسلما فليدخل الجنة ، قال : فذلك قوله ( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) ذلك يوم القيامة ، يتمنى الذين كفروا لو كانوا موحدين . حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الزعراء ، عن عبد الله ، في قوله ( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) قال : هذا في الجهنميين إذ رأوهم يخرجون من النار .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا ابن أبي قزوة العبدى ، أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأولان هذه الآية ( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) ، يتأولانها : يوم يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين في النار ، قال : فيقول لهم المشركون : ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون في الدنيا ، قال : فيغضب الله لهم بفضل رحمته ، فيخرجهم ، فذلك حين يقول ( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : ما يزال الله يدخل الجنة ، ويرحمهم ويشقّ ، حتى يقول : من كان من المسلمين ، فليدخل الجنة ، فذلك قوله ( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا بن عُلَيَّة ، عن هشام الدستوائى ، قال : ثنا حماد ، قال : سألت إبراهيم عن هذه الآية ( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) قال : حدثت أن المشركين قالوا لمن دخل النار من المسلمين : ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون . قال : فيغضب الله لهم ، فيقول للملائكة والنبيين اشفعوا ، فيشفعون ، فيخرجون من النار ، حتى إن إبليس ليتطاول ، رجاء أن يخرج معهم ، قال : فعند ذلك يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين .



حدثني المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن إبراهيم ، أنه قال في قول الله عز وجل :  
( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) قال : يقول من في النار من المشركين للمسلمين :  
ما أغنت عنكم لإله إلا الله . قال : فيغضب الله لهم ، فيقول : من كان مسلماً فليخرج من النار ؛ قال :  
فعند ذلك ( يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن حماد ، عن إبراهيم في قوله  
( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) قال : إن أهل النار يقولون : كنا أهل شرك وكفر ،  
فما شأن هؤلاء الموحدين ؟ ما أغنى عنهم عبادتهم إياه . قال : فيخرج من النار من كان فيها من المسلمين ،  
قال : فعند ذلك ( يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن حماد ، عن إبراهيم ،  
عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : يقول أهل النار للموحدين : ما أغنى عنكم إيمانكم . قال : فإذا قالوا  
ذلك ، قال : أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة ، فعند ذلك ( يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا هشام ، عن حماد ، قال : سألت إبراهيم ، عن قول الله عز  
وجل ( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) قال : الكفار يُعَسِّرُونَ أهل التوحيد : ما أغنى  
عنكم لإله إلا الله ، فيغضب الله لهم ، فيأمر النبيين والملائكة فيشفعون ، فيخرج أهل التوحيد ، حتى إن  
إبليس ليتناول ، رجاء أن يخرج ، فذلك قوله ( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد السلام ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : هذا  
في الجهنميين إذا رأوهم يخرجون من النار : ( يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ،  
قال : إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه ، قال : من كان مسلماً فليدخل الجنة ، فعند ذلك ( يَوَدُّ الَّذِينَ  
كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن  
قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني الحسن ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا  
أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ  
كَانُوا مُسْلِمِينَ ) قال : يوم القيامة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله ( رُبَّمَا  
يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) قال : فيها وجهان اثنان ، يقولون : إذا حضر الكافر الموت  
ود لو كان مسلماً . ويقول آخرون : بل يعذب الله ناساً من أهل التوحيد في النار بذنوبهم ، فيعرفهم

المشركون ، فيقولون : ما أغنت عنكم عبادة ربكم ، وقد ألقاكم في النار . فيغضب لهم ، فيخرجهم ، فيقول :  
( رَبُّمَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله ( رَبُّمَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) قال : نزلت في الذين يخرجون من النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( رَبُّمَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) وذلك والله يوم القيامة ، ودوا لو كانوا في الدنيا مسلمين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( رَبُّمَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : ما يزال الله يدخل الجنة ويشفع ، حتى يقول : من كان من المسلمين فليدخل الجنة ، فذلك حين يقول ( رَبُّمَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) .

#### القول في تأويل قوله تعالى

ذَرَهُمْ يَا كُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ذر يا محمد هؤلاء المشركين يأكلوا في هذه الدنيا ما هم آكلوه ، ويتمتعوا من لذاتها وشهواتهم فيها ، إلى أجلهم الذي أجلت لهم ، ويلهيمهم الأمل عن الأخذ بحظهم من طاعة الله فيها ، وتزودهم لمعادهم منها ، بما يقربهم من ربهم ، فسوف يعلمون غدا إذا وردوا عليه وقد هلكوا على كفرهم بالله وشركهم ، حين يُعابنون عذاب الله ، أنهم كانوا من تمتعهم بما كانوا يتمتعون فيها من اللذات والشهوات ، كانوا في خسار وتباب .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤)

يقول تعالى ذكره ( وَمَا أَهْلَكْنَا ) يا محمد ( مِنْ ) أهل ( قَرْيَةٍ ) من أهل القرى التي أهلكتنا أهلها فيما مضى ( إِلَّا ) وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ) يقول : إلا وذا أجل مؤقت ، ومدة معروفة ، لأنهلكهم حتى يبلغوها ، فإذا بلغوها أهلكتناهم عند ذلك ، فيقول لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ، فكذلك أهل قريتك التي أنت منها وهي مكة ، لأنهلك مشركي أهلها ، إلا بعد بلوغ كتابهم أجله ، لأن من قضاني ألا أهلك أهل قريته ، إلا بعد بلوغ كتابهم أجله .

(١) أي بمثل حديث بشر قبله ، لأن كلا الإسنادين ينتهي إلى قتادة .



القول في تأويل قوله تعالى

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ، وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : ما يتقدم هلاك أمة قبل أجلها الذي جعله الله أجلا لها ، ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذي جعل لها أجلا .

كما حدثني المنثي ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، في قوله ( ما تسبق من أمة أجلها ، وما يستأخرون ) قال : نرى أنه إذا حضر أجله ، فإنه لا يؤخر ساعة ولا يقدم . وأما ما لم يحضر أجله ، فإن الله يؤخر ما شاء ، ويقدم ما شاء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَأِيكَةِ

إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء : المشركون لك من قومك يا محمد : ( يا أيُّها الذي نزلَ عليه الذكرُ ) وهو القرآن الذي ذكر الله فيه مواعظ خلقه ( إنك لَمَجْنُونٌ ) في دعائك إيانا إلى أن نتبعك ، ونذر آهتنا . ( لو ما تأتينا بالملائكة ) قالوا : هلا تأتينا بالملائكة شاهدة لك على صدق ما تقول ؟ ( إن كنت من الصادقين ) يعني : إن كنت صادقا في أن الله تعالى بعثك إلينا رسولا ، وأنزل عليك كتابا ، فإن الرب الذي فعل ما تقول بك ، لا يتعذر عليه إرسال ملك من ملائكته معك ، حجة لك علينا ، وآية لك على نبوتك ، وصدق مقاتلك ، والعرب تضع موضع لوما : لولا ، وموضع لولا : لوما ، من ذلك قول ابن مقبل :  
لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينُ عَيْبُكُمْ  
بِئْسَ عَيْبُهَا عَوْرِي  
يريد : لولا الحياء .

وينحو الذي قلنا في معنى الذكر ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ( نزلَ عليه الذكرُ ) قال : القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى

مَا نُنزِّلُ الْمَلَأِيكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ (٨)

(١) البيت لابن مقبل من كلمة له ، من أولها أبيات في الحماسة ( ١١٣ : ٤ ) وهو شاهد على أن ( لوما ) تستعمل بمعنى لولا : في امتناع الشيء لوجود غيره ، وهي في الآية : بمعنى التحفيض . قال أبو عبيدة في معاني القرآن : « لوما » مجازها ومجاز « لولا » واحد . واستشهد بيت ابن مقبل . وعنه أخذ المؤلف .

اختلفت القراء في قراءة قوله ( ما نُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ ) ، فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة ( ما تَسَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ ) بالناء من تنزل ، وفتحها ، ورفع الملائكة ، بمعنى : ما تَسَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ ، على أن الفعل للملائكة . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ( ما تُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ ) بالنون في نزل ، وتشديد الزاي ، ونصب الملائكة ، بمعنى : ما نزلها نحن ، والملائكة حينئذ : منصوب بوقوع نزل عليها . وقرأه بعض قراء أهل الكوفة : ( ما تُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ ) برفع الملائكة ، والناء في تَسَنَزَّلُ ، وضمها ، على وجه ما لم يسم فاعله .

قال أبو جعفر : وكل هذه القراءات الثلاث متقاربات المعاني ، وذلك أن الملائكة إذا نَزَّلَهَا اللهُ عَلَى رَسُولٍ مِنْ رُسُلِهِ ، تَسَنَزَّلَتْ إِلَيْهِ ، وَإِذَا تَنَزَّلَتْ إِلَيْهِ ، فَإِنَّمَا تَسَنَزَّلُ بِإِذْنِ اللهِ إِبَاهَا إِلَيْهِ ، فَبَأَيِّ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ الثَّلَاثِ قَرَأَ ذَلِكَ الْقَارِئُ ، فَصِيبَ الصَّوَابُ فِي ذَلِكَ ، وَإِنْ كُنْتَ أَحَبَّ لِقَارِنِهِ أَنْ لَا يَعدُوَ فِي قِرَاءَتِهِ ، إِحْدَى الْقِرَاءَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرْتَ مِنْ قِرَاءَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَالْأُخْرَى الَّتِي عَلَيْهَا جَمْهُورُ قِرَاءَةِ الْكُوفِيِّينَ ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْقِرَاءَةُ الْمَعْرُوفَةُ فِي الْعَامَّةِ ، وَالْأُخْرَى : أَعْنَى قِرَاءَةَ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ ( مَا تُنَزَّلُ ) بِضَمِّ النَّاءِ مِنْ تَنَزَّلَ وَرَفَعَ الْمَلَائِكَةَ ، شَاذَةً قَلِيلٍ مِنْ قَرَأَ بِهَا .

فتأويل الكلام : ما تُنَزَّلُ مَلَائِكَتُنَا إِلَّا بِالْحَقِّ ، يَعْنِي بِالرِّسَالَةِ إِلَى رُسُلِنَا ، أَوْ بِالْعَذَابِ لِمَنْ أَرَدْنَا تَعْدِيهِ ، وَلَوْ أَرْسَلْنَا إِلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى مَا يَسْأَلُونَ لِرِسَالِهِمْ مَعَكَ آيَةٌ ، فَكَفَرُوا ، لَمْ يَنْتَظِرُوا فَيُؤَخِّرُوا بِالْعَذَابِ ، بَلْ عَوجُوا بِهِ ، كَمَا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ ، حِينَ سَأَلُوا الْآيَاتِ ، فَكَفَرُوا حِينَ أَتَتْهُمُ الْآيَاتُ ، فَعَاجَلْنَاهُمْ بِالْعُقُوبَةِ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قَلْنَا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ ( مَا تُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ ) قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المنثري ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( ما تُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ ) قال : بالرسالة والعذاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)

يقول تعالى ذكره ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ) وهو القرآن ( وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) قال : وإنا للقرآن لحافظون ، من أن يزداد فيه باطل مما ليس منه ، أو ينقص منه ما هو منه ، من أحكامه وحدوده وفرائضه ، والهاء في قوله ( لَهُ ) من ذكر الذكر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .



## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني الحسن ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المنثري ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَإِنَّا لَهُ لَخَافِطُونَ ) قال : عندنا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج . عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَخَافِطُونَ ) قال في آية أخرى ( لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ ) والباطل : إبليس ( مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِثْنُ خَلْفِهِ ) ، فأنزله الله ثم حفظه ، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلا ، ولا ينتقص منه حقا ، حفظه الله من ذلك .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَإِنَّا لَهُ لَخَافِطُونَ ) : قال : حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلا ، أو ينقص منه حقا ، وقيل : الهاء في قوله ( وَإِنَّا لَهُ لَخَافِطُونَ ) من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، بمعنى : وإنا لخمدا حافظون ممن أراد به سوء من أعدائه .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعْرِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِءُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك في الأمم الأولين رسلا ، وترك ذكر الرسل اكتفاء بدلالة قوله ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ) عليه ، وعنى بشيع الأولين : أمم الأولين : واحدا شيعته ، ويقال أيضا لأولياء الرجل : شيعته .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني المنثري ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعْرِ الْأَوَّلِينَ ) يقول : أمم الأولين .  
حدثني المنثري ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعْرِ الْأَوَّلِينَ ) قال : في الأمم .  
وقوله ( وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ) يقول : وما يأتي شيع الأولين من رسول من الله ، يرسله إليهم بالدعاء إلى توحيدهم ، والإذعان بطاعته ، ( إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ) : يقول : إلا كانوا يستخفرون بالرسول الذي يرسله الله إليهم ، عتوا منهم ، وتمردوا على ربهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

كَذَلِكَ نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (١٣)

يقول تعالى ذكره: كما سلطنا الكفر في قلوب شيع الأولين، بالاستهزاء بالرسول، كذلك نفعل ذلك في قلوب مشركي قومك، الذين أجرموا بالكفر بالله، (لا يؤمنون به)، يقول: لا يصدقون بالذکر الذي أنزل إليك، والهاء في قوله (نَسْأَلُكَ) من ذكر الاستهزاء بالرسول والتكذيب بهم. كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج (كذلك نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) قال: التكذيب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (كذلك نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ، لا يُؤْمِنُونَ بِهِ)، قال: إذا كذبوا سلك الله في قلوبهم ألا يؤمنوا به. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن حميد، عن الحسن، في قوله (كذلك نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) قال: الشرك.

حدثني المنثى، قال: ثنا الحجاج بن المهال، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن حميد، قال: قرأت القرآن كله على الحسن في بيت أبي خليفة، ففسره أجمع على الإثبات، فسألته عن قوله (كذلك نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) قال: أعمال سيعملونها لم يعملوها.

حدثني المنثى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك عن حماد بن سلمة، عن حميد الطويل، قال: قرأت القرآن كله على الحسن، فما كان يفسره إلا على الإثبات، قال: وقفته على (نسلكه)، قال: الشرك. قال ابن المبارك: سمعت سفيان يقول في قوله (نَسْأَلُكَ) قال: نجعله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (كذلك نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ) قال: هم كما قال الله، هو أصلهم ومنعهم الإيمان، يقال منه: سَلَكَهُ يَسْلُكُهُ سَلَكًا وَسَلُوكًا، وَأَسْلَكَهُ يَسْلِكُهُ إِسْلَاكًا، ومن السلوك قول عدى بن زيد: وَكُنْتُ لِرِزَاذِ خَصْمِكَ كَمُ أَعْرَدُ وَقَدْ سَلَكُوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبٍ  
ومن الإسلاك قول الآخر:

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قَتَائِدَةٍ سَلًا كَمَا تَنْطَرِدُ الْجَمَالَةُ الشَّرْدَا

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي، وقد تقدم استشهاد المؤلف به عند قوله تعالى في سورة هود «وقال هذا يوم عصيب» فراجعه في الجزء الثاني عشر صفحة ٨٢. والشاهد فيه هنا: أنه اشتق سلوكك من المصدر الثلاثي (السلك).

(٢) البيت لعبد مناف بن ربيع الهذلي (اللسان: جمل). استشهد به المؤلف على أن «أسلكوهم» بالهمزة في أوله لغة مثل سلوكم التي وردت في البيت السابق من شعر عدي بن زيد. والبيت أيضا في (خزانة الأدب للبغدادى ٣: ١٧٠) شاهد على أن جواب إذا عند الرضى شارح كافية ابن الحاجب محذوف، لتفخيم الأمر، والتقدير: بلغوا أمهم، أو أدركوا ما أحبوا، ونحو ذلك. وقيل فيه وجهان آخران. قال البغدادى: وأسلك: لغة في سلك، يقال أسلكت الشيء في الشيء. مثل سلكته فيه، بمعنى أدخلته فيه. وقنائة: ثنية، وقال البكري: جبل بين المنصرف والروحاء. والثل: الطرد. والجمالة: فاعل تطرد، وهم أصحاب الجمال، كما يقال الجمارة لأصحاب الحمير. والشرد: جمع شرد، أى من الجمال.



وقوله ( وَقَدْ خَلَقْتُ سُنتَةَ الْأُولِينَ ) يقول تعالى ذكره : لا يؤمن بهذا القرآن قومك الذين سلكت في قلوبهم التكذيب (حتى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) أخذنا منهم سنة أسلافهم، من المشركين قبلهم، من قوم عاد وثمود وضرباً بهم من الأمم التي كذبت رسلها، فلم تؤمن بما جاءها من عند الله، حتى حلَّ بها سخط الله فهلكت .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( كَذَلِكَ نَسَلُكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَقَدْ خَلَقْتُ سُنتَةَ الْأُولِينَ ) : وقائع الله فيمن خلا قبلكم من الأمم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (١٥)

اختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله ( فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ) فقال بعضهم : معنى الكلام : ولو فتحنا على هؤلاء القائلين لك يا محمد (لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ) باباً من السماء، فظلت الملائكة تعرج فيه ، وهم يرونهم عياناً ، لقالوا : (إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا ، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ) يقول : لو فتحنا عليهم باباً من السماء ، فظلت الملائكة تعرج فيه ، لقال أهل الشرك : إنما أخذت أبصارنا ، وشبَّه علينا ، وإنما سخرننا ، فذلك قولهم : ( لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس ( فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ) فظلت الملائكة يعرجون فيه يراهم بنو آدم عياناً (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا ، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ نَزَّلَ عَلَيْهِمُ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ) . لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ) . قال : ما بين ذلك إلى قوله ( وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ) قال : رجع إلى قوله ( لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ ) ما بين ذلك ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : فظلت الملائكة تعرج ، فنظروا إليهم ، ( لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا ) قال : قريش تقول .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ

بابا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلَّلُوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) قال : قال ابن عباس : لو فتح الله عليهم من السماء بابا ، فظلت الملائكة تعرج فيه ، يقول : يختلفون فيه جائين وذاهبين ( لِقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَكَوُفَتْحُنَا عَلَيْهِمْ ) بابا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلَّلُوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ) يعني : الملائكة : يقول : لو فتحت على المشركين بابا من السماء ، فنظروا إلى الملائكة تعرج بين السماء والأرض ، فقال المشركون ( تَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ) : سُحْرِنَا ، وليس هذا بالحق ، ألا ترى أنهم قالوا قبل هذه الآية : ( لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمر ، عن نصر ، عن الضحاك ، في قوله ( وَكَوُفَتْحُنَا عَلَيْهِمْ ) بابا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلَّلُوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ) قال : لو أتى فتحت بابا من السماء تعرج فيه الملائكة بين السماء والأرض ، فقال المشركون ( بَلْ تَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ) ، ألا ترى أنهم قالوا ( لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ) .  
وقال آخرون : إنما عَسِي بئلك : بنو آدم .

ومعنى الكلام عندهم : ولو فتحنا على هؤلاء المشركين من قومك يا محمد بابا من السماء ، فظفوا هم فيه يعرجون ( لِقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَكَوُفَتْحُنَا عَلَيْهِمْ ) بابا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلَّلُوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ) قال قتادة ، كان الحسن يقول : لو فُعِّلَ هذا بني آدم ، فظفوا فيه يعرجون ، أى يختلفون ، ( لِقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا ، بَلْ تَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ) .

وأما قوله ( يَعْرُجُونَ ) فإن معناه : يرقون فيه ويصعدون ، يقال منه : عرج يعرج عرجا : إذا رقى وصعد . وواحدة المعارج : معرج ومعراج ، ومنه قول كثير :

إلى حسب عود بنا المرء قبيله أبوه له فيه معارج سلم

وقد حكى عرج يعرج ، بكسر الراء في الاستقبال . وقوله ( لِقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا ) يقول : فقال هؤلاء المشركون الذين وصف جبل ثناؤه صفتهم : ما هذا بحق ، إنما سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( سَكَّرَتْ ) فقرأ أهل المدينة والعراق ( سَكَّرَتْ ) بتشديد الكاف ، بمعنى : غَشِيَتْ وغطيت . هكذا كان يقول أبو عمرو بن العلاء ، فيما ذكر لي عنه . وذكر عن مجاهد أنه كان يقرأ ( لِقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ ) .

حدثني بذلك الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : سمعت الكسائي يحدث عن حمزة ، عن شبل ، عن

(١) لم أجد البيت في ديوان كثير طبع الجزائر . والحسب : الشرف الثابت في الآباء . والعود : القديم . وينا ( بالالف ) يينو ، لأنه من بناء الشرف والمجد . والمعارج : جمع معرج ( بكسر الميم وفتحها ) وهو ما يعرج فيه ، أى يصعد .



مجاهد أنه قرأها (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) خفيفة ، وذهب مجاهد في قراءته ذلك كذلك إلى : حُبِسَتْ أَبْصَارُنَا عن الرؤية والنظر ، من سكور الريح ، وذلك سُكُونُهَا وركودها ، يقال منه : سَكَّرَتِ الرِّيحُ : إذا سَكَّتْ وركدت . وقد حُكِيَ عن أبي عمرو بن العلاء ، أنه كان يقول : هو مأخوذ من سُكَّرِ الشَّرَابِ ، وأن معناه : قد غَشَّى أَبْصَارَنَا السُّكَّرُ .

وأما أهل التأويل ، فإنهم اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معنى (سُكِّرَتْ) : سُدَّتْ .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ؛ قال : ثنا رقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) قال : سُدَّتْ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، يعني ابن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني ابن كثير قال : سُدَّتْ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) يعني : سُدَّتْ ، فكأن مجاهدا ذهب في قوله ، وتأويله ذلك بمعنى سُدَّتْ ، إلى أنه بمعنى : مُنِعَتْ النَظْرَ ، كما يُسَكَّرُ المَاءُ ، فيُصْنَعُ من الجري ، بحبسه في مكان ، بالسُّكَّرِ الذي يُسَكَّرُ به .  
وقال آخرون : معنى سُكِّرَتْ : أُخِذَتْ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن ابن عباس :  
(لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) يقول : أُخِذَتْ أَبْصَارُنَا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
إِنَّمَا أُخِذَ أَبْصَارُنَا ، وَشَبَّهَ عَلَيْنَا ، وَإِنَّمَا سَحَّرْنَا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) يقول : سُحِّرَتْ أَبْصَارُنَا : يقول : أُخِذَتْ أَبْصَارُنَا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا شيبان ، عن قتادة ، قال : من قرأ (سُكِّرَتْ) مشددة : يعني سُدَّتْ . ومن قرأ (سُكِّرَتْ) مخففة ، فإنه يعني سُحِّرَتْ ، وكان هؤلاء وجهوا معنى قوله (سُكِّرَتْ) إلى أن أبصارهم سُحِّرَتْ ، فشَبَّهَ عليهم ما يبصرون ، فلا يميزون بين الصحيح مما يرون وغيره ، من قول العرب : سُكَّرَ على فلان رأيه : إذا اختلط عليه رأيه فيما يريد ، فلم يدر الصواب فيه من غيره ، فإذا عزم على الرأي ، قالوا : ذهب عنه التسكير .

وقال آخرون : هو مأخوذ من السُّكْر ، ومعناه : غَشِيَّ عَلَى أَبْصَارِنَا فَلَا نَبْصِر ، كما يفعل السُّكْر بِصَاحِبِهِ ، فَذَلِكَ إِذَا دِيرَ بِهِ وَغَشِيَّ بَصَرَهُ كَالسَّمَادِ يَر ، فلم يبصر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا ) قال : سَكَّرَتْ ، السكران الذي لا يعقل .  
وقال آخرون : معنى ذلك : عميت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن الكلبي ( سَكَّرَتْ ) قال : عميت .  
وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي : قول من قال : معنى ذلك : أُخِيذَتْ أَبْصَارُنَا وَوُحِرَتْ ، فلا تبصر الشيء على ما هو به ، وذهب حدَّ إبصارها ، وانطفأ نوره ، كما يقال للشيء الخار إذا ذهب قوَّرتَه ، وسكن حدَّ حره ، قد سَكَّرَ بِسَكْرٍ . قال المثنى بن جندل الطهوي :  
جاءَ الشَّتَاءُ واجْتَأَلَ القَسِيرُ واستخففت الأفعى وكانت تظهرُ  
وجعلت عين الحرور تسكراً  
أى تسكن وتذهب وتنطفئ ، وقال ذو الرمة :

قَبْلَ انْصِدَاعِ الفَجْرِ وَالتَّهَجُّرِ وَخَوْضِهِنَّ اللَّيْلَ حِينَ يَسْكُرُ

يعنى : حين تسكن فورته . وذكر عن قيس أنها تقول : سَكَّرَتْ الرِّيحُ تَسْكُرُ سَكُورًا ، بمعنى : سكنت ، وإن كان ذلك عنها صحيحاً ، فإن معنى سَكَّرَتْ وَسَكَّرَتْ بالتخفيف والتشديد متقاربان ، غير أن القراءة التي لا أستجيز غيرها في القرآن : ( سَكَّرَتْ ) بالتشديد ، لإجماع الحجة من القراء عليها ، وغير جائز خلافها فيما جاءت به جمعة عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ، وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦)

(١) هذه ثلاثة أبيات لجندل بن المثنى الطهوي . واجتأل : اجتمع وتقبض ، والقبر كالفنبر : ضرب من الطير كالعصافير ، واحده : قبرة وقنبرة . والحرور : الحر . ويقال سكرت عينه تسكر : إذا تحيرت وسكنت عن النظر ، وسكر الحر يسكر : سكن وغبا وقد استشهد بها أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٣٧ ، ٣٣٨ ) عند قوله تعالى « سكرت أبصارنا » : قال : أى غشيت شمادير ، فذهبت وغبا نظرها . قال : جاء الشتاء . . الخ وزاد فيها بيتاً قبل الآخر ، وهو : « وطلعت شمس عليها مفقر » . وفسر البيت الأخير وهو الشاهد بقوله : أى يذهب حرها ويخبو . وقال أبو عمر بن الدلاء : « سكرت أبصارنا » : مأخوذ من سكر الشراب ، كأن العين لحقها ما يلحق شارب المسكر إذا سكر . وقال الفراء : معناه : حبست ومنعت عن النظر .

(٢) البيت في ديوان ذي الرمة ( طبعة كيمبرج سنة ١٩١٩ ص ٢٠٢ ) وقوله :

أَتَشْتَكُ بِالْقَتُومِ مَهَارٍ ضَمَّرٌ خَوْصٌ بَرَى أَشْرَافَهَا التَّبَكْرُ

خوص : غائرات العيون . وأشرفها : أسنمتها . والتبكر : سير البكرة . والتبجر : سير المهاجرة ، ويسكر : يتسكر الأبصار بظلامه . وقوله : والتبجر ، بالرفع : معطوف على قوله التبكر ، في البيت السابق عليه .



يقول تعالى ذكره : ولقد جعلنا في السماء الدنيا منازل للشمس والقمر ، وهي كواكب ينزلها الشمس والقمر ( وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاطِقِينَ ) يقول : وزينا السماء بالكواكب لمن نظر إليها وأبصرها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شهاب ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ) قال : كواكب .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ) وبروجها : نجومها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( بُرُوجًا ) قال : الكواكب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ، فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ (١٨)

يقول تعالى ذكره : وحفظنا السماء الدنيا من كل شيطان لعين ، قد رجمه الله ولعنه ( إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ) يقول : لكن قد يسترق من الشياطين السمع ، مما يحدث في السماء ، بعضها ، فيتبعه شهاب من النار مبين ، يبين أثره فيه ، إما بإخباله وإفساده ، أو بإحراقه .  
وكان بعض نحوِّي أهل البصرة يقول في قوله ( إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ) : هو استثناء خارج ، كما قال : ما أشتكى إلا خيرا ، يريد لتكن<sup>١</sup> : أذكر خيرا ، وكان ينكر ذلك من قبله بعضهم ، ويقول : إذا كانت إلا بمعنى « لكن » عملت عمل لكن ، ولا يحتاج إلى إضمار أذكر ، ويقول : لو احتاج الأمر كذلك إلى إضمار أذكر ، احتاج قول القائل : قام زيد لا عمرو إلى إضمار أذكر .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا الأعمش عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : تَصَعَّدَ الشياطين أفواجا تسترق السمع ، قال : فينفرد المارد منها فيعلو ، فَيُرْمَى بالشهاب ، فيصيب جبهته أو جنبه ، أو حيث شاء الله منه ، فيلتهب ، فيأتى أصحابه وهو يلهب ، فيقول : إنه كان من الأمر كذا وكذا ، قال : فيذهب أولئك إلى إخوانهم من الكهنة ، فيزيدون عليه أضعافه من الكذب ، فيخبرونهم به ، فإذا رأوا شيئا مما قالوا ، قد كان صدقهم بما جاءوهم به من الكذب .

( ١ ) لكن : ساقطة من الأصل ، ولكن السياق بعدها يقتضيها .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ، إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ) قال : أراد أن يخطف السمع ، وهو كقوله ( إِلَّا مَنْ خَطِيفَ الْخَطِيفَةِ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ) وهو نحو قوله ( إِلَّا مَنْ خَطِيفَ الْخَطِيفَةِ ، فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ نَاقِبٌ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ) قال : خَطِيفَ الْخَطِيفَةِ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ) هو كقوله ( إِلَّا مَنْ خَطِيفَ الْخَطِيفَةِ ، فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ نَاقِبٌ ) كان ابن عباس يقول : إن الشَّهْبَ لا تقتل ، ولكن نُحْرِقُ وَنُحْبِلُ ونجرح ، من غير أن تقتل .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ) قال : الرجيم : الملعون ، قال : وقال القاسم عن الكسائي : إنه قال : الرجيم في جميع القرآن : الشتم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩)

يعني تعالى ذكره بقوله ( وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ) : والأرض دحوناها فبسطناها ( وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ) يقول : وألقينا في ظهورها رواسي ، يعني جبالا ثابتة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ) . وقال في آية أخرى ( وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ) . وذو كبر لنا أن أم القرى مكة ، منها دُحيت الأرض . قوله ( وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ) رواسيها : جبالها . وقد بينا معنى الرسو فيما مضى ، بشواهد المغنية عن إعادته . وقوله ( وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ) يقول : وأنبتنا في الأرض من كل شيء : يقول : من كل شيء مقدّر ، وبحد معلوم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ) يقول : معلوم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ) يقول : معلوم .

(١) الخبل والتخييل : إفساد الأعضاء ، حتى لا يدري كيف يمشي ، فهو متخيل جبل . (اللسان) .



حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، أو عن أبي مالك ، في قوله ( مِينَ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ) قال : بقدر .

حدثنا المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح أو عن أبي مالك ، مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحِمَاني ، قال : ثنا شريك ، عن خَصِيف ، عن عكرمة ( مِينَ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ) قال : بقدر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي ، يعني ابن الجعد ، قال : أخبرنا شريك ، عن خَصِيف ، عن عكرمة ( مِينَ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ) قال : بقدر .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن خَصِيف ، عن عكرمة ، قال بقدر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير ( مِينَ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ) قال : معلوم .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا عبد الله بن يونس ، قال : سمعت الحكم بن عتيبة وسأله أبو مخزوم ، عن قوله ( مِينَ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ) قال : من كل شيء مقدور .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا عبد الله بن يونس ، قال : سمعت الحكم ، وسأله أبو عمرو ، عن قول الله عز وجل ( مِينَ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ) قال : من كل شيء مقدور ، هكذا قال الحسن ، وسأله أبو عمرو .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابه ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وحدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( مِينَ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ) قال : مقدور بقدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( مِينَ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ) قال : مقدور بقدر .

حدثني المثني ، قال : ثنا علي بن الهيثم ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : مقدور بقدر .

حدثنا المثني ، قال : ثنا علي بن الهيثم ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ( مِينَ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ) قال : بقدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَأَنْبَسْنَا فِيهَا مِينَ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ) بقول : معلوم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ) يقول : معلوم .

وكان بعضهم يقول : معنى ذلك : وأنبئنا في الجبال من كل شيء موزون : يعني من الذهب والفضة والنحاس والرصاص ونحو ذلك من الأشياء التي توزن .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأُنَبِّئُكُمْ فِيهَا مِيزَانَ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ) قال : الأشياء التي توزن .

وأولى القولين عندنا بالصواب : القول الأول ، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً ، وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : وجعلنا لكم أيها الناس في الأرض معيشة ، وهي جمع معيشة ( وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ) .

اختلف أهل التأويل في المعنى في قوله ( وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ) ، فقال بعضهم عسى به الدواب والأنعام .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شهابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ) الدواب والأنعام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : عني بذلك : الوحش خاصة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور <sup>١</sup> في هذه الآية ( وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ) : قال الوحش ؛ فتأويل « مَنْ » في : ( وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ) على هذا التأويل : بمعنى « ما » ، وذلك قليل في كلام العرب .

(١) منصور الذي يروي عنه شعبة بن الحجاج : هو منصور بن عبد الرحمن التميمي العداني ( بضم العين ) عن الشعبي . وعنه شعبة وابن علي . وثقه ابن معين وأحمد وأبو داود . وقال أبو حاتم : ليس بالقوي ، يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال النسائي : ليس بقوي . وفي كلام الفراء الذي نقلناه تحت الشاهد « هلا سألت » إشارة إلى روايته هنا ، بقوله « وقد جاء أنهم الوحوش . . . الخ » . ( وانظر خلاصة الخزرجي ) .



﴿ وَأُولَىٰ ذَٰلِكَ بِالصَّوَابِ ، وَأَحْسَنُ : أَنْ يُقَالَ : عَسَىٰ بِقَوْلِهِ ( وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بُرَازِقِينَ ) من العبيد والإماء والدوابِّ والأنعام . فمعنى ذلك : وجعلنا لكم فيها معايش ، والعبيدَ والإماءَ والدوابِّ والأنعامَ : وإذا كان ذلك كذلك ، حسن أن توضع حينئذ مكان العبيد والإماء والدوابِّ « مَنْ » ، وذلك أن العرب تفعل ذلك إذا أرادت الخبر عن البهائم معها بنو آدم . وهذا التأويل على ما قلناه ، وصرفنا إليه معنى الكلام ، إذا كانت « مَنْ » في موضع نصب ، عطفًا به على معايش ، بمعنى : جعلنا لكم فيها معايش ، وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين . وقيل : إن « من » في موضع خفض عطفًا به على الكاف والميم ، في قوله ( وَجَعَلْنَا لَكُمْ ) بمعنى : وجعلنا لكم فيها معايش ( وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بُرَازِقِينَ ) وأحسب أن منصوراً في قوله هو الوحش ، قصد هذا المعنى ، وإياه أراد ، وذلك وإن كان له وجه في كلام العرب ، فبعيد قليل ، لأنها لا تكاد تظاهر على معنى في حال الخفض ، وربما جاء في شعر بعضهم في حال الضرورة ، كما قال بعضهم :

هَلَا سَأَلْتُ بِذِي الْجَمَاجِمِ عَنْهُمْ وَأَبَى نَعِيمٍ ذِي النَّوَاءِ الْمُخْرَقِ ؟  
فردَّ أبا نعيم على الهاء والميم في عنهم . وقد بينت قبح ذلك في كلامهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ، وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١)

﴿ يقول تعالى ذكره : وما من شيء من الأمطار إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر لكل أرض ، معلوم عندنا حده ومبلغه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا يزيد بن أبي زياد ، عن رجل ، عن عبد الله ، قال : ما من أرض أمطر من أرض ، ولكن الله يقدره في الأرض ، ثم قرأ ( وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ، وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن أبي جحيفة ، عن عبد الله ، قال :

(١) أنظر الكلام عليه في هامش ص ١٧ .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (ص ١٦٧ من مصورة الجامعة) . قال : وقوله « وجعلنا لكم فيها معايش » : أراد الأرض . « ومن لستم له برازقين » : فن في موضع نصب . يقول جعلنا لكم فيها معايش والعبيد والإماء ، وقد جاء أنهم الوحوش والبهائم ، ومن : لا يفرد بها البهائم ، ولا ما سوى الناس ، فإن يكن ذلك على ما روي ، فزرى أن أدخل فيهم الممالك ، على أنا ملكناكم العبيد والإبل والغنم وما أشبه ذلك ، مجاز ذلك . وقد يقال إن « من » في موضع خفض ، يراد جعلنا لكم فيها معايش لمن . وما أقل ما ترد العرب لمخفوض قد كنى عنه ، وقد قال الشاعر :

فملق في مثل السوارى سيوفنا وما بينها والكعب فوط نفسانف

فرد الكعب على بينها . وقال الآخر : هلا سألت . . . . . البيت ، فرد « أبي نعيم » على الهاء في عنهم .

قلت : وهذا الموضع الذي أشار إليه الفراء ، وهو عطف اسم مخفوض على ضمير ، هو قوله تعالى ( واتقوا الله الذي تساءلون به : والأرحام ) من سورة النساء .

ما من عام بأمطر من عام ، ولكن الله بصرفه عن يشاء ، ثم قال ( وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ، وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي ، قال : ثنا علي بن مسهر ، عن يزيد ابن أبي زياد ، عن أبي جحيفة ، عن عبد الله بن مسعود : ما من عام بأمطر من عام ، ولكن الله يقسمه حيث شاء ، عاما هينا ، و عاما هينا ، ثم قرأ ( وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ، وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ( وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ) قال : المطر خاصة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، عن الحكم بن عتيبة ، في قوله ( وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ) قال : ما من عام بأكثر مطرا من عام ولا أقل ، ولكنه يُمَطَّر قوم ، ويُجرَم آخرون ، وربما كان في البحر ، قال : وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم ، يحصون كل قطرة حيث تقع ، وما تبت .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ ، فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ، وَمَا أَنْتُمْ لَهُ

بِحِزْنٍ (٢٢)

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة القراء ( وأرسلنا الرياح لواقح ) ، وقراه بعض قراء أهل الكوفة ( وأرسلنا الرياح لواقح ) فوحّد الريح لواقح ، وهي موصوفة بالجمع : أعني بقوله : لواقح . وينبغي أن يكون معنى ذلك : أن الريح وإن كان لفظها واحدا ، فمعناها الجمع ، لأنه يقال : جاءت الريح من كل وجه ، وهبت من كل مكان ، فقيل : لواقح لذلك ، فيكون معنى جمعهم نعتها ، وهي في اللفظ واحدة معنى قولهم : أرض سباسب ، وأرض أغفال ، وثوب أخلاق ، كما قال الشاعر :

جاء الشتاء وقميصي أخلاق شراذم يضحك منه التواق

وكذلك تفعل العرب في كل شيء اتسع .

(١) هذا الرجز ، أورده الفراء في معاني القرآن (ص ١٦٧) قال : وقوله « وأرسلنا الرياح لواقح » وقرئ الريح ، قرأ حزة . فن قال : « الريح لواقح » فجمع اللواقح والريح واحدة ، لأن الريح في معنى جمع ، ألا ترى أنك تقول : جاءت الريح من كل مكان ، فقيل لواقح لذلك ، كما قيل : تركته في أرض أغفال وسباسب ، ومهراق ، وثوب أخلاق ، ومنه قول الشاعر : جاء الشتاء . . . الخ البيت . وأما من قال : الرياح لواقح ، فهو بين . ولكن يقال : إنما الريح ملقحة ، تلقح الشجر ، فكيف قيل : لواقح ؟ في ذلك معنيان : أحدهما أن تجعل الريح هي التي يمرورها على التراب والماء ، فيكون فيها اللقاح ، فيقال ربيع لاقح ، كما يقال : ناقة لاقح ؛ ويشهد على ذلك أنه وصف ربيع العذاب فقال : « عليهم الريح العقيم » ، فجعلها عقيما إذ لم تلقح . والوجه الآخر : أن يكون وصفها باللقح ، وإن كانت تلقح (بضم التاء) كما قيل : ليل نائم ، والنوم فيه ، وسركاتم .



واختلف أهل العربية في وجه وصف الرياح باللقح، وإنما هي مُلْقِحَةٌ لِأَنَّهَا لَاقِحَةٌ. وذلك أنها تُلْقِحُ السحاب والشجر، وإنما توصف باللقح الملقوحة لا الملقح، كما يقال: ناقة لاقح. وكان بعض نحويي البصرة يقول: قيل: الرياح لواقح، فجعلها على لاقح، كأن الرياح لَقِيحَت، لأن فيها خيرا، فقد لَقِيحَت بخير. قال: وقال بعضهم: الرياح تُلْقِحُ السحاب، فهذا يدل على ذلك المعنى، لأنها إذا أنشأتها وفيها خير وصل ذلك إليه. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: في ذلك معنيان: أحدهما أن يجعل الريح هي التي تُلْقِحُ بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح، فيقال: ربيع لاقح، كما يقال: ناقة لاقح، قال: ويشهد على ذلك أنه وصف ربيع العذاب، فقال (عليهم الرِّيحُ العقيم)، فجعلها عقبا إذا لم تُلْقِح. قال: والوجه الآخر أن يكون وصفها باللقح، وإن كانت تلقح، كما قيل: ليل نائم والنوم فيه، وسرّ كاتم. وكما قيل المبروز والمختوم، فجعل مبروزا، ولم يقل مبرزا بناء على غير فعله: أي أن ذلك من صفاته، فجاز مفعول مُلْقِعِيل، كما جاز فاعل لمفعول، إذا لم يرد البناء على الفعل، كما قيل: ماء دافق.

والصواب من القول في ذلك عندي: أن الرياح لواقح كما وصفها به جل ثناؤه من صفتها، وإن كانت قد تُلْقِحُ السحاب والأشجار، فهي لاقحة مُلْقِحَةٌ، ولَقِيحَتُها: حملها الماء، وإلقاحها السحاب والشجر: عملها فيه، وذلك كما قال عبد الله بن مسعود.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا البخاري، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن قيس بن سكن، عن عبد الله بن مسعود، في قوله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) قال: يرسل الله الرياح، فتحمل الماء، فتجري السحاب، فتدُرُّ كما تدر اللقحة ثم تمطر.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن قيس بن سكن، عن عبد الله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) قال: يبعث الله الريح فتلقح السحاب، ثم تمر به، فتدُرُّ كما تدر اللقحة، ثم تمطر.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا أسباط بن محمد، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن قيس ابن السكن، عن عبد الله بن مسعود، في قوله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) قال: يرسل الرياح، فتحمل الماء من السماء، ثم تمرى السحاب، فتدُرُّ كما تدر اللقحة، فقد بين عبد الله بقوله: يرسل الرياح، فتحمل الماء، أنها هي اللاقحة، بحملها الماء، وإن كانت ملقحة، بإلقاحها السحاب والشجر.

وأما جماعة أُخَر من أهل التأويل، فإنهم وجَّهوا وصف الله تعالى ذكره إياها بأنها لواقح، إلى أنه بمعنى ملقحة، وأن اللواقح وُضعت موضع ملاقح، كما قال تَهَشُّمُ بْنُ حَرَّيٍّ:

وفي لسان العرب: (خلق) وقد يقال: ثوب أخلاق، يصفون به الواحد، إذا كانت الخلوقة فيه كله، كما قالوا برمة أخلاق، وثوب أكباش (ضرب من نسج الخمين) وحبل أرمام، وأرض سباب. وهذا النحو كثير، وكذلك: ملاة أخلاق وبرمة أخلاق (من الحياني) أي نواحيها أخلاق. قال: وهو من الواحد الذي فرق ثم جمع. قال: وكذلك: حبل أخلاق وتمرية أخلاق، عن ابن الأعرابي. التهذيب: يقال ثوب أخلاق: يجمع بما حوله، وقال الرازي: جاء الشتاء... الخ. والتوافق ابنه. قلت: والرواية عند الفراء وفي اللسان: يضحك منه. وعند المؤلف: « يضحك مني »، والمعنى قريب بنفسه من بعض.

لِيُبَيْتِكَ يَزِيدُ بَائِسٌ لِيَصْرَاعَةَ وَأَشْعَثُ مِمَّنْ طَوَّحَتْهُ الطَّوَائِحُ<sup>١</sup>  
يريد المطاوح ، وكما قال النابغة :

كَلَيْبِي لِهَمِّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْبِلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ<sup>٢</sup>  
بمعنى : مُنْصَبٍ .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم في قوله ( وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ ) قال : تلمح السحاب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، مثله .  
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، مثله :  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، قوله ( وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ )  
قال : لواقح للشجر ، قلت : أو للسحاب ، قال : وللسحاب ، تمر به حتى يمطر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي سنان ، عن حبيب بن أبي ثابت عن عبيد بن عمير ، قال : يبعث الله المبرشة فتقمه الأرض قممًا ، ثم يبعث الله المبرشة فتشير السحاب ، ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب ، ثم يبعث الله اللواقح ، فتلقيح الشجر ، ثم تلا عبيد ( وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ ) يقول :  
لواقح للسحاب ، وإن من الريح عذابا ، وإن منها رحمة .

(١) البيت لنشبل بن حري على الأصح ، شاعر مخضرم ، وقد ينسب إلى غيره ، وصوب البغدادي نسبه إلى نشبل . وقد استشهد به أبو عبيدة بهذه الرواية نفسها عند تفسير قوله تعالى : « وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ » قال : مجازها مجاز : ملاقع ، لأن الريح ملقحة السحاب للغرب . وقد تفعل هذا ، فتلق الميم ، لأنها تعيده إلى أصل الكلام ، كقول نشبل بن حري يرثي أخاه « ليبيك يزيد . . . الخ البيت ، فحذف الميم ، لأنها المطاوح . وأورد البيت صاحب (اللسان : طبع) باختلاف في بعض الألفاظ ، قال : وأنشد سيبويه :

لِيُبَيْتِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُومَةٍ وَغُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطَيِّحُ الطَّوَائِحُ

وقال (سيبويه) : الطوائح : على حذف الزائد ، أو على النسب قال ابن جني : أول البيت مبني على أطراح ذكر الفاعل ، فإن آخره (كذا في اللسان) قد عوود فيه الحديث على الفاعل ، لأن تقديره فيما بعد : ليبيك تختبط مما تطيح الطوائح ، فدل قوله : ليبيك (بالبناء للمفعول) على ما أراد من قوله « ليبيك » (أى بالبناء للفاعل) . ٥١ . واختبط : الذي يسلك من غير معرفة ولا وسيلة بيكنا . وانظر خزنة الأدب للبغدادي (١ : ١٤٧ - ١٥٢) ففيها كلام كثير في معنى البيت ، وروايته ، وقائله .

(٢) البيت للنابغة الذبياني ، وهو مطلع قصيدة له يمدح بها عمرو بن الحارث الأعرج ، بن الحارث الأكبر ، بن أبي شمر ، حين هرب من التعمان بن المنذر . وقد مر شرحنا له في غير هذا الموضوع من التفسير . والشاهد هنا في قوله « ناصب » أنه بمعنى المنصب . قال في (اللسان : نصبت) : النسب : الإعياء من العناء . والفعل : نصب الرجل بالك : أعيا وتعب . وأنصبه هو ، وأنصبتني هذا الأمر ، وهم ناصب : منصوب ، ذو نصب ، مثل تامر ولا بن ، وهو فاعل بمعنى مفعول ، لأنه ينصب فيه ويتعب . قال النابغة : « كليلي لهم يا أميمة ناصب » قال : ناصب : بمعنى منصوب . وقال الأصمعي : ناصب : ذى نصب ، مثل : ليل : نائم ذو نوم ينام فيه ، ورجل دارع : ذو درع . وقال سيبويه : هم ناصب : هو على النسب . وحكى أبو علي الفارسي نصبه لهم ، فناسب إذن على الفعل . اه . قلت : أيريد بو علي الفارسي : أنه اسم فاعل قياسي : جار على فعله ، فليس على النسب إذن ، ولا على التجوز في الإستناد ، مثل ليل نائم .



حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( لَوَّاحِحَ ) قال : تُلْقِحُ الماء في السحاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن عباس ( لَوَّاحِحَ ) قال : تُلْقِحُ الشجر وتمررى السحاب .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحِحَ ) الرياح يبعثها الله على السحاب فتلقحه ، فيمتملى ماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبيس بن ميمون ، قال : ثنا أبو المهزم ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الرِّيحُ الجَنُوبُ مِنْ الجَنَّةِ ، وَهِيَ الرِّيحُ اللَّوَّاحِحُ ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ( وَفِيهَا مَنَافِعُ لِلنَّاسِ ) » .

حدثني أبو الجماهر الحمصي أو الحضرمي : محمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد العزيز بن موسى ، قال : ثنا عبيس بن ميمون أبو عبيدة ، عن أبي المهزم ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثله سواء .

وقوله ( فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَا كَوْمَهُ ) يقول تعالى ذكره : فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مطرا فأسقيناكم ذلك المطر ، لشرب أرضكم ومواشيتكم ، ولو كان معناه : أنزلناه لتشربوه ، لقليل : فسقينا كومه . وذلك أن العرب تقول إذا سقت الرجل ماء شربه ، أو لبنا ، أو غيره : سقيته بغير ألف ، إذا كان لسقيه ، وإذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ماشيته ، قالوا : أسقيته وأسقيت أرضه وماشيته ، وكذلك إذا استسقت له ، قالوا : أسقيته ، واستسقيته . كما قال ذو الرمة :

وَقَفْتُ عَلَى رَسْمٍ لَيْتَهُ نَاقِيَتِي      فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِيْبُهُ  
وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبَيْتُهُ      تَكَلَّمْتَنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِيْبُهُ<sup>١</sup>

وكذلك إذا وهبت لرجل إهابا ليجمعه سقاء ، قالت : أسقيته إياه .

وقوله ( وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِجَازِينَ ) يقول : ولستم بجازي الماء الذي أنزلنا من السماء فأسقيناكموه ، فتمنعوه من أسقيه ، لأن ذلك بيدى وإلى ، أسقيه من أشاء ، وأمنعه من أشاء .

كما حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال سفيان ( وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِجَازِينَ ) قال : بمانعين .

(١) البيتان في ديوان ذي الرمة (طبعة كيمبر دج سنة ١٩١٩ ص ٣٨) وأسقيه : أدعوه بالسقيا ، أقول : سقاك الله . وأبته : أشكو إليه . وقد استشهد بهذين البيتين أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٥٠) عل أن يقال : سقيت الرجل ماء ، وشرابا من لبن ، وغير ذلك ، وليس فيه إلا لغة واحدة ، بغير ألف ، إذا كان في الشفة . وإذا جعلت له شربا ( بكسر الشين ، أى ماء لشرب دوابه ) فهو : أسقيته ، وأسقيت أرضه وإبله ، لا يكون غير هذا ، وكذلك إذا استسقيت له ، كقول ذي الرمة . . . البيتين ، وهو قريب من كلام المؤلف هنا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ  
عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : ( وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي ) من كان ميتا إذا أردنا ( وَنُمِيتُ ) من كان حيا إذا  
شئنا ( وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ) يقول : ونحن نرث الأرض ومن عليها ، بأن نميت جميعهم ، فلا يبقى حتى سرانا ،  
إذا جاء ذلك الأجل . وقوله ( وَآتَمَدْ عَلِيمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ) .  
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ولقد علمنا من مضى من الأمم ، فتقدم  
هلاكهم ، ومن قد خلق وهو حي ، ومن لم يخلق بعد من سيخلق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ( وَلَقَدْ عَلِمْنَا  
الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ) قال : المستقدمون : من قد خلق ومن خلا  
من الأمم ، والمستأخرون : من لم يخلق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة ،  
في قوله ( وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ) قال : هم خلق الله  
كلهم ، قد علم من خلق منهم إلى اليوم ، وقد علم من هو خالقه بعد اليوم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمي ، عن أبيه ، عن عكرمة ،  
قال : إن الله خلق الخلق ، ففرغ منهم ، فالمستقدمون : من خرج من الخلق ، والمستأخرون : من بقي  
في أصلاب الرجال لم يخرج .

حدثني محمد بن أبي معشر ، قال : أخبرني أبو معشر ، قال : سمعت عون بن عبد الله بن عتبة بن  
مسعود ، يذكر محمد بن كعب ، في قول الله : ( وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا  
الْمُسْتَأْخِرِينَ ) فقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : خير صفوف الرجال المقدم ، وشر صفوف  
الرجال المؤخر ، وخير صفوف النساء المؤخر ، وشر صفوف النساء المقدم ؛ فقال محمد بن كعب : ليس  
هكذا ، ولقد علمنا المستقدمين منكم : الميت والمقتول ، والمستأخريين : من يلحق بهم من بعد ، وإن ربك  
هو يحشرهم ، إنه حكيم عليم ، فقال عون بن عبد الله : وفقك الله ، وجزاك خيرا !

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : قال قتادة : المستقدمين : من مضى  
والمستأخريين : من بقى في أصلاب الرجال .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا أبو الأحوص ، قال : ثنا سعيد بن



مسروق ، عن عكرمة وخصيف ، عن مجاهد ، في قوله ( وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ،  
وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ) قالوا : من مات ومن بقى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ  
مِنْكُمْ ) قال : كان ابن عباس يقول : آدم صلى الله عليه وسلم ، ومن منى من ذريته ( وَلَقَدْ عَلَّمْنَا  
الْمُسْتَأْخِرِينَ ) : من بقى في أصلاب الرجال .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَلَقَدْ عَلَّمْنَا  
الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ) قال : المستقدمون آدم ومن بعده ، حتى نزلت  
هذه الآية . والمتأخرون : قال : كل من كان من ذريته .

قال أبو جعفر : أظنه أنا قال : ما لم يُخلَقْ ، وما هو مخلوق .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : المستقدمون :  
ماخرج من أصلاب الرجال . والمتأخرون : ما لم يخرج . ثم قرأ ( وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ، إِنَّهُ  
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ) .

وقال آخرون : عني بالمستقدمين : الذين قد هلأوا ، والمتأخرين : الأحياء الذين لم يهلأوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ) يعني بالمستقدمين : من  
مات ، ويعنى بالتأخرين : من هو حي لم يموت .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله  
( وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ) يعني : الأموات منكم ، ( وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ) :  
بقيتهم ، وهم الأحياء ، يقول : علمنا من مات ومن بقى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ  
مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ) قال : المستقدمون منكم : الذين مضوا في أول الأمم ،  
والتأخرون : الباقيون .

وقال آخرون : بل معناه : ولقد علمنا المستقدمين في أول الخلق ، والتأخرين في آخرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر في هذه الآية ( وَلَقَدْ  
عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ) قال : قال : أول الخلق وآخره .  
حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن الشعبي ، في قوله ( وَلَقَدْ عَلَّمْنَا

المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ) : ما استقدم في أول الخلق ، وما استأخر في آخر الخلق .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، في قوله : ( وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ) قال : في العصر ، والمستأخرين منكم في أصلاب الرجال ، وأرحام النساء . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد علمنا المتقدمين من الأمم ، والمستأخرين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شاذان ، قال : أخبرنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : المتقدمين منكم ، قال : القرون الأولى ، والمستأخرين : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثني عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، في قوله : ( وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ) قال : المتقدمون : ما مضى من الأمم ، والمستأخرون : أمة محمد صلى الله عليه وسلم . حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عبد الملك عن مجاهد بنحوه ، ولم يذكر قيسا .

وقال آخرون : بل معناه : ولقد علمنا المتقدمين منكم في الخير ، والمستأخرين عنه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ) قال : كان الحسن يقول : المتقدمون في طاعة الله ، والمستأخرون في معصية الله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عباد بن راشد ، عن الحسن ، قال : المتقدمين في الخير ، والمستأخرين : يقول : المبطلين عنه . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد علمنا المتقدمين منكم في الصلوة ، والمستأخرين فيها ، بسبب النساء .



ذكر من قال ذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن رجل أخبرنا عن مروان بن الحكم ، أنه قال : كان أناس يستأخرون في الصفوف من أجل النساء ، قال : فأنزل الله : ( وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا جعفر بن سليمان ، قال : أخبرني عمرو بن مالك ، قال : سمعت أبا الجوزاء يقول في قول الله ( وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ) قال : المتقدمين منكم في الصفوف في الصلاة والمستأخرين .

حدثني محمد بن موسى الحرسي ، قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ، قال : كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة ، قال ابن عباس : لا والله ما إن رأيت مثلها قط ، فكان بعض المسلمين إذا صلوا استقدموا ، وبعض يستأخرون ، فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم ، فأنزل الله : ( وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا نوح بن قيس ، وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا نوح بن قيس ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة حسناء من أحسن الناس ، فكان بعض الناس يستقدم في الصف الأول ، لثلا يراها ، ويستأخر بعضهم ، حتى يكون في الصف المؤخر ، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه في الصف ، فأنزل الله في شأنها ( وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ) .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصحة : قول من قال : معنى ذلك : ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم ، فتقدم موته ، ولقد علمنا المستأخرين ، الذين استأخر موتهم ، ممن هو حي ، ومن هو حادث منكم ، من لم يحدث بعد ، لدلالة ما قبله من الكلام ، وهو قوله ( وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ ، وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ) ، وما بعده ، وهو قوله ( وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ) ، على أن ذلك كذلك ، إذ كان بين هذين الخبرين ، ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدل على خلافه ، ولا جاء بعد ، وجائز أن تكون نزلت في شأن المتقدمين في الصف ، لشأن النساء ، والمستأخرين فيه لذلك ، ثم يكون الله عز وجل عم بالمعنى المراد منه جميع الخلق ، فقال جل ثناؤه لهم : قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم ، وما كانوا يعملون ، ومن هو حي منكم ، ومن هو حادث بعدكم أيها الناس ، وأعمال جميعكم خيرها وشرها ، وأحصينا جميع ذلك ، ونحن نحشر جميعهم ، فنجازي كلا بأعماله ، إن خيرا فخييرا ، وإن شرا فشرا ، فيكون ذلك تهديدا ووعيدا للمستأخرين في الصفوف لشأن النساء ، ولكل من تعدى حد الله ، وعمل بغير ما آذن له به ، ووعدا لمن تقدم في الصفوف لسبب النساء ، وسارع إلى محبة الله ورضوانه في أفعاله كلها .

وقوله ( وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ) : يعني بذلك جل ثناؤه : وإن ربك يا محمد هو يجمع جميع الأولين

والآخرين عنده يوم القيامة، أهل الطاعة منهم والمعصية، وكلّ أحد من خلقه: المستقدمين منهم والمستأخرين،  
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ( وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ) قال : أي  
الأول والآخر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالدة القرشيّ ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ،  
في قوله ( وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ) قال : هذا من هاهنا ، وهذا من هاهنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانيّ ، عن ابن  
عباس ( وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ) قال : وكلهم ميت ، ثم يحشرهم ربهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عليّ بن عاصم ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ( وَإِنَّ رَبَّكَ  
هُوَ يَحْشُرُهُمْ ) قال : يجمعهم الله يوم القيامة جميعا ، قال الحسن : قال عليّ : قال داود : سمعت عامرا يفسر  
قوله ( إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ) يقول : إن ربك حكيم في تدبيره خلقه في إحيائهم إذا أحياهم ، وفي إيمانهم إذا  
أماتهم ، عليم بعددهم وأعمالهم ، وبالحيّ منهم والميت ، والمستقدم منهم والمستأخر .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كلّ أولئك  
قد علمهم الله ، يعني المستقدمين والمستأخرين .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : ولقد خلقنا آدم وهو الإنسان من صلصال . واختلف أهل التأويل في معنى الصلصال ،  
فقال بعضهم : هو الطين اليابس لم تصبه نار ، فإذا تقرّبه صلّ ، فسمعت له صلصلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهديّ ، قالوا : ثنا سفيان ، عن الأعمش ،  
عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : خلق آدم من صلصال من حمأ ومن طين  
لازب ، وأما اللازب : فالجيد ، وأما الحمأ : فالحمأة . وأما الصلصال : فالتراب المرقق ، وإنما سمى إنسانا  
لأنه عهد إليه فئسى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ  
صَلْصَالٍ ) قال : والصلصال : التراب اليابس ، الذي يسمع له صلصلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ  
حَمَاءٍ مَسْنُونٍ ) قال : الصلصال : الطين اليابس ، يسمع له صلصلة .



حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن الحسن بن صالح ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ( مِنْ صَلَّصَالٍ ) قال : الصلصال : الماء يقع على الأرض الطيبة ، ثم يحسِرُ عنها ، فتشقق ، ثم تصير مثل الحترَف الرقاق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : خلُق الإنسان من ثلاثة : من طين لازب ، وصلصال ، وحما مسنون . والطين اللازب : اللازق الجيد ، والصلصال : المرقق الذي يصنع منه الفخار ، والمسنون : الطين فيه الحماة . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكَتَمَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلَّصَالٍ مِنْ حَمَآ مَسْنُونٍ ) قال : هو التراب اليابس ، الذي يُببَلُ بعد يُبسه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن مسلم ، عن مجاهد ، قال : الصلصال : الذي يصلصل ، مثل الحترَف من الطين الطيب . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، يقول : الصلصال : طين صُلب يخالطه الكئيب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( مِنْ صَلَّصَالٍ ) قال : التراب اليابس .

وقال آخرون : الصلصال : المُسْتَنِ . وكأنهم وجهوا ذلك إلى أنه من قولهم : صَلَّ اللحم وأَصَلَ : إذا أُنن ، يقال ذلك باللغتين كلتيهما : بفتح ل ، وأفعل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثنا الحسن ، قال : ثنا شباية ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( مِنْ صَلَّصَالٍ ) الصلصال : المُسْتَنِ .

والذي هو أولى بتأويل الآية : أن يكون الصلصال في هذا الموضع : الذي له صوت ، من الصلصلة ، وذلك أن الله تعالى وصفه في موضع آخر ، فقال : ( خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلَّصَالٍ كَالْفَخَّارِ ) ، فشبهه تعالى ذكره بأنه كان كالْفَخَّارِ في بُبسه ، ولو كان معناه في ذلك المُسْتَنِ ، لم يشبهه بالفخار ، لأن الفخار ليس بمتن ، فيشبهه به في السنين غيره .

وأما قوله ( مِنْ حَمَآ مَسْنُونٍ ) فإن الحما : جمع حماة ، وهو الطين المتغسير إلى السواد . وقوله ( مَسْنُونٍ ) : يعنى : المتغير .

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله ( مَسْنُونٍ ) ، فكان بعض نحوِّي البصريين يقول : عنى

به: حماً مصوراً تاماً. وذُكر عن العرب أنهم قالوا: سُنُّ، على مثال سُنَّةِ الوجه: أي صورته. قال: وكان سُنَّةَ الشيء من ذلك: أي مثاله الذي وُضع عليه. قال: وليس من الآسن المتغير، لأنه من سَسَن مضاعف. وقال آخر منهم: هو الحَمَّ المصبوب. قال: والمصبوب: المسنون، وهو من قولهم: سَسَنَتِ الماء على الوجه وغيره: إذا صببته.

وكان بعض أهل الكوفة يقول: هو المتغير، قال: كأنه أخذ من سَسَنَتِ الحَجَرَ على الحجر، وذلك أن يحك أحدهما بالآخر، يقال منه: سنته أسنهُ سَنّاً فهو مسنون. قال: ويقال للذي يخرج من بينهما: سَسِين، ويكون ذلك مُسَنّاً، وقال منه: سُمِّي المِسْنُ، لأن الحديد يُسَنُّ عليه. وأما أهل التأويل، فإنهم قالوا في ذلك نحو ما قلنا.

## ذكر من قال ذلك

حدثنا عبيد الله بن يوسف الجبيري، قال: ثنا محمد بن كثير، قال: ثنا مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله (مِنْ حَمّاً مَسْنُونٍ) قال: الحَمَّ: المنتنة.

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن مسلم، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس (مِنْ حَمّاً مَسْنُونٍ) قال: الذي قد أُنْتِن.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاک عن ابن عباس (مِنْ حَمّاً مَسْنُونٍ) قال: مُسْنِن.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (مِنْ حَمّاً مَسْنُونٍ) قال: هو التراب المبتلّ المنتن، فجعل صلصالاً كالفسخار.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء؛ وحدثنا الحسن، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا ورقاء؛ وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا شبل جميعاً، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد (مِنْ حَمّاً مَسْنُونٍ) قال: منتن.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (مِنْ حَمّاً مَسْنُونٍ) والحَمَّ المسنون: الذي قد تغير وأُنْتِن.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر (مِنْ حَمّاً مَسْنُونٍ) قال: قد أُنْتِن، قال: منتنة.

حدثني المنثي، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: ثنا هشيم، عن جوير، عن الضحاک، في قوله (مِنْ حَمّاً مَسْنُونٍ) قال: من طين لازب، وهو اللازق من الكتيب: وهو الرمل.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله (مِنْ حَمّاً مَسْنُونٍ) قال: الحَمَّ المنتن:

وقال آخرون منهم في ذلك: هو الطين الرطب



ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( مِنْ حَمًا مَسْنُونٍ ) يقول : من طين رطب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧)

يقول تعالى ذكره ( والجان ) وقد بينا فيما مضى معنى الجان ، ولم قيل له جان . وعنى بالجان ههنا : إبليس أبا الجن ، يقول تعالى ذكره : وإبليس خلقناه من قبل الإنسان من نار السموم . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( والجان خلقناه من قبل ) وهو إبليس خلق قبل آدم ، وإنما خلق آدم آخر الخلق ، فحسده عدو الله إبليس ، على ما أعطاه الله من الكرامة ، فقال : أنا نارى ، وهذا طينى ، فكانت السجدة لآدم ، والطاعة لله تعالى ذكره ، فقال ( اخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ) .

واختلف أهل التأويل في معنى ( نار السموم ) فقال بعضهم : هي السموم الحارة التي تقتل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس في قوله ( والجان خلقناه من قبل من نار السموم ) ، قال : السموم : الحارة التي تقتل . حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق التميمي ، عن ابن عباس ( والجان خلقناه من قبل من نار السموم ) قال : هي السموم التي تقتل ، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ، قال : هي السموم التي تقتل .

وقال آخرون : يعنى بذلك من لب النار .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن معمر ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله ( والجان خلقناه من قبل من نار السموم ) قال : من كسب من نار السموم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان ، عن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : كان إبليس من حى من أحياء الملائكة ، يقال لهم الجن ، خلُقوا من نار السموم ، من بين الملائكة ، قال : وخلق الجن الذين ذُكروا في القرآن من مارج من نار .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : دخلت على عمرو بن الأصم أعوده ، فقال : ألا أحدثك حديثنا سمعته من عبد الله ؟ سمعت عبد الله يقول : هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خرج منها الجان ، قال : وتلا ( وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ

نَارِ السَّمُومِ . وكان بعض أهل العربية يقول : السموم بالليل والنهار . وقال بعضهم : الخُرُورُ : بالنهار ، والسموم : بالليل ، يقال : سَمَّ يَوْمُنَا يَسَمُّ سَمُومًا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه ، وسئل عن الجن ما هم ، وهل يأكلون أو يشربون ، أو يموتون ، أو يتناكحون ؟ قال : هم أجناس ، فأما خالص الجن ، فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ، ولا يموتون ولا يتوالدون ، ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون ويموتون ، وهي هذه التي منها السعالى والغول وأشباه ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ، إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا

سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ، فَفَعَّعُوا لَهُ سُجَّدِينَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره لنيبه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد ( إذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ) يقول : فإذا صورته فعدلت صورته ( وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ) فصار بشرا حيا ( فَفَعَّعُوا لَهُ سُجَّدِينَ ) سجدوا تحية وتكرمة ، لاسجدوا عبادة . وقد حدثني جعفر بن مكرم ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما خلق الله الملائكة قال : إني خالق بشر من طين ، فإذا أنا خلقتهم فاسجدوا له ، فقالوا : لا نفعل ، فأرسل عليهم نارا فأحرقهم ، وخلق ملائكة أخرى ، فقال : إني خالق بشر من طين ، فإذا أنا خلقتهم فاسجدوا له ، فأبوا ، قال : فأرسل عليهم نارا فأحرقهم ؛ ثم خلق ملائكة أخرى ، فقال : إني خالق بشر من طين ، فإذا أنا خلقتهم فاسجدوا له ، فأبوا ، فأرسل عليهم نارا فأحرقهم ؛ ثم خلق ملائكة ، فقال : إني خالق بشر من طين ، فإذا أنا خلقتهم فاسجدوا له ، فقالوا : سمعنا وأطعنا ، إلا إبليس كان من الكافرين الأولين .

القول في تأويل قوله تعالى

فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ

(٣١) ، قَالَ : يَسْأَلُ إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : فلما خلق الله ذلك البشر ، ونفخ فيه الروح بعد أن سواه ، سجد الملائكة كلهم جميعا ، إلا إبليس ، فإنه أبى أن يكون مع الساجدين ، في سجد لهم لآدم حين سجدوا ، فلم يسجد له معهم تكبرا وحسدا



وبغيا ، فقال الله تعالى ذكره : يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين : يقول : ما منعك من أن تكون مع الساجدين ؛ فأَن في قول بعض نحوي الكوفة خفض ، وفي قول بعض أهل البصرة نصب بفقد الحافظ .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا  
فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥)

يقول تعالى ذكره ( قال ) إبليس ( لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ) وهو من طين وأنا من نار ، والنار تأكل الطين . وقوله ( فَأَخْرِجْ مِنْهَا ) يقول الله تعالى ذكره لإبليس : ( فَأَخْرِجْ مِنْهَا ، فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ) والرجيم المرجوم ، صرف من مفعول إلى فاعيل وهو المشتوم ، كذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ) والرجيم : الملعون .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ) قال : ملعون . والرجيم في القرآن : الشتم .  
وقوله ( وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ) يقول : وإن غضب الله عليك بإخراجه إياك من السموات ، وطردك عنها : إلى يوم الحجازة ، وذلك يوم القيامة . وقد بينا معنى اللعنة في غير موضع ، بما أغنى عن إعادته ههنا .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ  
الْمَعْلُومِ (٣٨)

يقول تعالى ذكره : قال إبليس : رب فإذ أخرجتني من السموات ولعننتني ، فأخبرني إلى يوم تبعث خلقك من قبورهم ، فتحشرهم لموقف القيامة ، قال الله له : فإنك ممن أُخِّرَ هلاكه إلى يوم الوقت المعلوم هلاك جميع خلقي ، وذلك حين لا يبقى على الأرض من بني آدم ديار .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ، وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ  
الْمُخْلِصِينَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : قال إبليس ( رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ) بإغوائك ( لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ) .  
 وكان قوله ( بِمَا أَغْوَيْتَنِي ) خرج مخرج القسم ، كما يقال : بالله ، أو بعزة الله لأغوينهم . وعنى بقوله  
 ( لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ) : لأحسِّن لهم معاصيك . ولأحببها إليهم في الأرض ( وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ  
 أَجْمَعِينَ ) يقول : ( ولأضلنهم ) عن سبيل الرشاد ( إلا عبادك منهم المخلصين ) يقول : إلا من أخلصته  
 بتوفيقك فهديته ، فإن ذلك ممن لاسلطان لي عليه ولا طاقة لي به . وقد قرئ ( إلا عبادك منهم  
 المخلصين ) فن قرأ ذلك كذلك ، فإنه يعنى به : إلا من أخلص طاعتك ، فإنه لاسبيل لي عليه .  
 وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ( إلا عبادك  
 منهم المخلصين ) يعنى : المؤمنين .  
 حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ( إلا  
 عبادك منهم المخلصين ) قال قتادة : هذه تسمية الله تعالى ذكره .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ ، هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنْ آتَيْتَكَ

مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢)

اختلفت القراء في قراءة قوله ( قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ) فقراء عامة قراء الحجاز والمدينة  
 والكوفة والبصرة ( هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ) بمعنى : هذا طريق إلى مستقيم .  
 فكان معنى الكلام : هذا طريق مرجعه إلى ، فأجازى كلاً بأعمالهم ، كما قال الله تعالى ذكره ( إن  
 رَبَّنَا لَبَالِغُ صَادٍ ) ، وذلك نظير قول القائل لمن يتوعدده ويتهدده : طريقك على ، وأنا على طريقك ،  
 فكذلك قوله : ( هَذَا صِرَاطٌ ) معناه : هذا طريق على ، وهذا طريق إلى ، وكذلك تأول من قرأ ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء ، وحدثني الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال :  
 ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ،  
 جميعاً عن ابن نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ) قال : الحق يرجع إلى الله ،  
 وعليه طريقه ، لا يعرج على شيء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .



حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا مروان بن شجاع ، عن خصيف ، عن زياد بن أبي مریم ، وعبد الله بن كثير : أنهما قرآها ( هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ ) وقالوا : عليٌّ : هي إلى وبمزلتها . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن وسعيد عن قتادة ، عن الحسن ( هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ ) يقول : إلى مستقيم . وقرأ ذلك قيس بن عباد وابن سيرين وقاتدة فيما ذكر عنهم : ( هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ ) برفع عليٍّ ، على أنه نعت للصراف ، بمعنى : رفيع .

## ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي حماد ، قال : ثنى جعفر البصرى ، عن ابن سيرين أنه كان يقرأ ( هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ ) بمعنى : رفيع . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ ) أى رفيع مستقيم ، قال بشر ، قال يزيد ، قال سعيد : هكذا نقرأها نحن وقاتدة . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون ، عن أبي العوام ، عن قتادة ، عن قيس ابن عباد ( هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ ) يقول : رفيع \* والصواب من القراءة في ذلك عندنا : قراءة من قرأ ( هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ ) على التأويل الذى ذكرناه عن مجاهد والحسن البصرى ، ومن وافقهما عليه ، لإجماع الحجة من القراء عليها ، وشذوذ ماخالفها . وقوله ( إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ، إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ) يقول تعالى ذكره : إن عبادى ليس لك عليهم حجة ، إلا من اتبعك على مادعوته إليه من الضلالة ، ممن غوى وهلك . حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن عبيد الله بن موهب ، قال ثنا يزيد بن قسيط ، قال : كانت الأنبياء لم مساجد خارجة من قرأهم ، فلذا أراد النبي أن يستنبي ربه عن شيء ، خرج إلى مسجده ، فصلّى ما كتب الله له ، ثم سأل ما بدا له ، فبينما نبي في مسجده ، إذ جاء عدو الله ، حتى جلس بينه وبين القبلة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فقال عدو الله أُرَيْتَ الَّذِي تَعَوَّذَ مِنْهُ فَهُوَ هُوَ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فردّد ذلك ثلاث مرّات ، فقال عدو الله : أخبرني بأى شيء تنجو منى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بَلْ أَخْبِرْتَنِي بِأَى شَيْءٍ تَغْلِبُ ابْنَ آدَمَ ، مرتين ، فأخذ كل واحد منهما على صاحبه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ يَقُولُ ( إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ، إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ) قال عدو الله : قد سمعت هذا قبل أن تولد ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ويقول الله تَعَالَى ذِكْرُهُ : ( وَإِنَّمَا يَسْتَرْغَبُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحْسَسْتُ بِكَ قَطُّ إِلَّا اسْتَعَدَّتْ بِاللَّهِ مِنْكَ ، فقال عدو الله : صدقت ، بهذا تنجو منى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فَأَخْبِرْتَنِي بِأَى شَيْءٍ تَغْلِبُ ابْنَ آدَمَ ؟ قال : آخِذْهُ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَعِنْدَ الْهَوَى

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤)

يقول تعالى ذكره لإبليس : وإن جهنم لموعدهم من تبعك أجمعين (لها سبعة أبواب) يقول : لجهنم سبعة أطباق ، لكل طبق منهم : يعنى من أتباع إبليس جزء ، يعنى : قسما ونصيبا مقسوما .  
وذكر أن أبواب جهنم طبقات بعضها فوق بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت أبا هارون الغنوي ، قال : سمعت حيطان ، قال : سمعت عليا وهو يخطب ، قال : إن أبواب جهنم هكذا ، ووضع شعبة إحدى يديه على الأخرى .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عماتية ، عن أبي هارون الغنوي ، عن حيطان بن عبد الله ، قال : قال علي : تدرون كيف أبواب النار ؟ قلنا : نعم كنعو هذه الأبواب ، فقال : لا ، ولكنها هكذا ، فوصف أبو هارون أطباقا بعضها فوق بعض ، وفعل ذلك أبو بشر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أبي هارون الغنوي ، عن حيطان بن عبد الله عن علي ، قال : هل تدرون كيف أبواب النار ؟ قالوا : كنعو هذه الأبواب ، قال : لا ، ولكن هكذا ووصف ، بعضها فوق بعض .

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : ثنا مصعب بن المقدام ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن هبيرة ، عن علي ، قال : أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض ، فيمتملى الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، ثم تتملى كلها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شباية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة ، عن علي ، قال : أبواب جهنم سبعة ، بعضها فوق بعض ، وأشار بأصابعه على الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، حتى تملأ كلها .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن هبيرة ابن مريم ، قال : سمعت عليا يقول : إن أبواب جهنم بعضها فوق بعض ، فمتملى الأول ثم الذي يليه ، إلى آخرها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن جهمضم ، قال : سمعت عكرمة يقول في قوله (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ) قال : لها سبعة أطباق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ) قال : أولها جهنم ، ثم لظنى ، ثم الحظمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية . والجحيم فيها أبو جهل .



حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَهَا سَبْعَةٌ أَبْوَابٍ ، لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جِزَاءٌ مَقْسُومٌ ) وهى والله منازل بأعمالهم .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) أَذْخَلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : إن الذين اتقوا الله بطاعته وخافوه ، فتجنبوا معاصيته فى جنات وعيون ، يقال لهم : ( ادْخَلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ) من عقاب الله ، أو أن تُسَلِّبُوا أَنْعَمَةً نَعَمَهَا اللهُ عَلَيْكُمْ ، وكرامة أكرمكم بها . قوله ( وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ ) يقول : وأخرجنا ما فى صدور هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم ، من حقد وضغينة ، بعضهم لبعض :

واختلف أهل التأويل فى الحال التى ينزع الله ذلك من صدورهم ، فقال بعضهم : ينزع ذلك بعد دخولهم الجنة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنى المنثى ، قال : ثنا أبو غسان ، قال : ثنا إسرائيل ، عن بشر البصرى ، عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة ، قال : يدخل أهل الجنة الجنة ، على ما فى صدورهم فى الدنيا من الشحشاء والضغائن حتى إذا توافوا وتقابلوا ، نزع الله ما فى صدورهم فى الدنيا من غلٍّ ، ثم قرأ ( وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ ) . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو فضالة ، عن لقمان ، عن أبي أمامة ، قال : لا يدخل مؤمن الجنة حتى ينزع الله ما فى صدورهم من غلٍّ ، ثم ينزع منه السبع الضارى .

حدثنى المنثى ، قال : ثنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن إسرائيل ، عن أبي موسى سمع الحسن البصرى يقول : قال على : فىنا والله أهل بدر نزلت الآية ( وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ) .

حدثنى المنثى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ( وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ ) قال : من عداوة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطى ، عن جوير ، عن الضحالك ( وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ ) قال : العداوة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن رجل ، عن على ( وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ ) قال : العداوة .

حدثنا ابن وكيع ، قال ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : جاء ابن جرير

قاتل الزبير يستأذن عليّ ، فحجبه طويلا ، ثم أذن له فقال له : أما أهل البلاء فتجنّوهم ، قال عليّ :  
بفيك التراب ، إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله : ( وَتَرَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَيْلٍ  
إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن جعفر ، عن عليّ نحوه .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبان بن عبد الله البجلي ، عن نعيم بن أبي هند ، عن ربيع بن  
حيراش ، بنحوه . وزاد فيه : قال : فقام إلى عليّ رجل من همدان ، فقال الله أعدل من ذلك يا أبا المؤمنين .  
قال : فصاح عليّ صيحة ظننت أن القصر تدهده لها ، ثم قال : إذا لم تكن نحن ، فمن هم ؟  
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو معاوية الضرير ، قال : ثنا أبو مالك الأشجعيّ ، عن أبي حبيبة  
مولى لطلحة ، قال : دخل عمران بن طلحة على عليّ بعد ما فرغ من أصحاب الحمل ، فرحّب به وقال :  
إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله ( إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ) ورجلان جالسان على  
ناحية البساط ، فقالا : الله أعدل من ذلك ، تقتلهم بالأمس ، وتكونون إخوانا ؟ فقال عليّ : قوما أبعد  
أرض وأسقمها ، فمن هم إذن إن لم أكن أنا وطلحة ، وذكر لنا أبو معاوية الحديث بطوله .  
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا أبو مالك ، قال : ثنا  
أبو حبيبة ، قال : قال عليّ لابن طلحة : إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين ترع ما في صدورهم من  
غيل ، ويجعلنا إخوانا على سرر متقابلين .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حماد بن خالد الخياط ، عن أبي الجويرية ، قال : ثنا معاوية بن  
إسحاق ، عن عمران بن طلحة ، قال : لما نظرتني عليّ قال : مرحبا بابن أخي ، فذكر نحوه .  
حدثنا الحسن ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا هشام ، عن محمد ، قال : استأذن الأشتر  
على عليّ وعنده ابن لطلحة ، فحبسه ، ثم أذن له ، فلما دخل قال : إني لأراك إنما حبستني لهذا ، قال :  
أجلك ، قال : إني لأراه لو كان عندك ابن لعثمان لحبستني ، قال : آجلك ، إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن  
قال الله ( وَتَرَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَيْلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا إسحاق الأزرق ، قال : أخبرنا عوف ، عن ابن سيرين ، بنحوه .  
حدثنا الحسن ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق الحضرميّ ، قال : ثنا السكن بن المغيرة ، قال : ثنا معاوية  
ابن راشد ، قال : قال عليّ : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله ( وَتَرَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ  
غَيْلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثنا ابن المتوكل الناجي : أن أباسعيد  
الخدريّ حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، فَيَحْبِسُونَ  
عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ،  
حَتَّى إِذَا هَدَبُوا ، وَنُقُوا أُذِينَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ ، قَالَ : فَوَاللَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ،



لَا أَحَدَهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ ، مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا . وقال بعضهم : ما يشبه بهم إلا أهل جمعة انصرفوا من جمعهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد بن أبي عروبة في هذه الآية ( وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَيْلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ) قال : ثنا قتادة ، أن أبا المتوكّل الناجي حدثهم ، أن أبا سعيد الخدري حدثهم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه ، إلى قوله « وَأَذِنَ لَكُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ » ثم جعل سائر الكلام عن قتادة ، قال : وقال قتادة : فوالذي نفسى بيده لأحدهم أهدى بمنزله ، ثم ذكر باقي الحديث نحو حديث بشر ، غير أن الكلام إلى آخره عن قتادة ، سوى أنه قال في حديثه : قال قتادة وقال بعضهم : ما يشبه بهم إلا أهل الجمعة إذا انصرفوا من الجمعة .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا عمر بن زرعة ، عن محمد بن إسماعيل الزبيدي ، عن كثير النواء ، قال : سمعته يقول : دخلت على أبي جعفر محمد بن علي ، فقلت : ولبى وليكم ، وسليكم سليمانكم ، وعدوى عدوكم ، وحرى حربكم ، إني أسألك بالله ، أتبرأ من أبي بكر وعمر ، فقال : قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ، نولهما يا كثير ، فما أدركك فهو في رقبتي ، ثم تلا هذه الآية ( إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ) يقول : إخوانا يقابل بعضهم وجه بعض ، لا يستدبره فينظر في قفاه ، وكذلك تأوله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا حصين ، عن مجاهد ، في قوله ( على سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ) قال : لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ومؤمل ، قالوا : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . والسرر : جمع سرير ، كما الجُدُد : جمع جديد . وجمع سررا ، وأظهر التضعيف فيها ، والراءان متحركتان لخفة الأسماء ، ولا تفعل ذلك في الأفعال لثقل الأفعال ، ولكنهم يُدْعَمُونَ في الفعل ، ليسكن أحد الحرفين فيخفف ، فإذا دخل على الفعل ما يسكن الثاني ، أظهر وا حينئذ التضعيف .

القول في تأويل قوله تعالى

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ، وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) ۝ نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : لا يمس هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم في الجنات نصب ، يعني تعصب ( وما هم منها بمخرجين ) يقول : وما هم من الجنة ونعيمها وما أعطاهم الله فيها بمخرجين ، بل ذلك دائم أبدا . وقوله ( نبي عبادي ) أي أنا الغفور الرحيم : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :

أخبر عبادي يا محمد ، أفي أنا الذي أستر على ذنوبهم إذا تابوا منها وأنابوا ، بترك فضيحتهم بها ، وعقوبتهم عليها ، الرحيم بهم ، أن أعدبهم بعد توبتهم منها عليها ( وأنَّ عَدَايِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ) يقول : وأخبرهم أيضا أن عذابي لمن أصرَّ على معاصي ، وأقام عليها ، ولم يقب منها ، هو العذاب الموجع ، الذي لا يشبهه عذاب ، هذا من الله تحذير لخلقهم التقدّم على معاصيه ، وأمر منه لهم بالإتابة والتوبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( نَبِيُّ عِبَادِي أَتَى أَنَا الْعَفْصُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنَّ عَدَايِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ) قال : بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : لو يعلم العبد قدر عفو الله ، لما تورّع من حرام ، ولو يعلم قدر عذابه لبخّع نفسه .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا ابن المكي ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا مصعب بن ثابت ، قال : ثنا عاصم بن عبد الله ، عن ابن أبي رباح ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : « طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يدخل منه بنو شيبه ، فقال : ألا أراكم تضحكون ؟ ثم أدبر ، حتى إذا كان عند الحجر رجع إلينا القهقهري ، فقال : إني لما خرجتُ جاء جبرئيلُ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : لِمَ تُقَسِّطُ عِبَادِي ؟ نَبِيُّ عِبَادِي أَتَى أَنَا الْعَفْصُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنَّ عَدَايِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ » .

القول في تأويل قوله تعالى

وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَقَالُوا : سَلَامًا ، قَالَ : إِنَّا مِّنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا : لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأخبر عبادي يا محمد ، عن ضيف إبراهيم : يعني الملائكة الذين دخلوا على إبراهيم خليل الرحمن ، حين أرسلهم ربهم إلى قوم لوط ليهلكوهم . ( فَقَالُوا سَلَامًا ) : يقول : فقال الضيف لإبراهيم : سلاما ( قال : إِنَّا مِّنكُمْ وَجِلُونَ ) : يقول : قال إبراهيم : إنا منكم خائفون . وقد بيّنا وجه النصب في قوله ( سلاما ) ، وسبب وجل إبراهيم من ضيفه ، واختلاف المختلفين ، ودلنا على الصحيح من القول فيه ، فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وأما قوله ( قَالُوا سَلَامًا ) وهو يعني به الضيف ، فجمع الخبر عنهم ، وهم في لفظ واحد ، فإن الضيف اسم للواحد والاثنين والجمع ، مثل الوزن والقَطْرُ والعَدْلُ ، فلذلك جمع خبره ، وهو لفظ واحد . وقوله ( قَالُوا لَا تَوْجَلْ ) : يقول : قال الضيف لإبراهيم : لا توجل : لا تخف ( إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ ؟ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ؟ (٥٤)



يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم للملائكة الذين بشروه بغلام عليم ( أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبِيرَ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ؟ ) يقول : فبأي شيء تبشرون ؟

وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبِيرَ ؟ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ؟ ) قال : عجب من كبره ، وكبر امرأته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وقال ( عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبِيرَ ) ومعناه : لأن مسنى الكبر ، وبأن مسنى الكبر ، وهو نحو قوله ( حَقِّيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ) بمعنى : بأن لأقول ، ويمثله في الكلام : أتيتك أنك تعطي ، فلم أجده تعطي .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ : وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ

رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره : قال ضيف إبراهيم له : بشرناك بحق يقين ، وعلمنا منّا بأن الله قد وهب لك غلاما عليا ، فلا تكن من الذين يقنطون من فضل الله ، فيياسون منه ، ولكن أبشر بما بشرناك به ، واقبل البشري . واختلفت القراء في قراءة قوله ( مِنَ الْقَانِطِينَ ) فقرأه عامة قراء الأمصار ( مِنَ الْقَانِطِينَ ) بالألف ، وذكر عن يحيى بن وثاب أنه كان يقرأ ذلك ( الْقَانِطِينَ ) .

والصواب من القراءة في ذلك : ما عليه قراء الأمصار ، لإجماع الحجة على ذلك ، وشذوذ ماخالفه . وقوله قال ( وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ) يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم للضيف : ومن يياس من رحمة الله إلا القوم الذين قد أخطئوا سبيل الصواب ، وتركوا قصد السبيل ، في تركهم رجاء الله ، ولا يخيب من رجاء ، فضلوا بذلك عن دين الله .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( وَمَنْ يَقْنَطُ ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ( وَمَنْ يَقْنَطُ ) بفتح النون إلا الأعمش والكسائي ، فإنهما كسرا النون من ( يَقْنَطُ ) . فأما الذين فتحوا النون منه ، ممن ذكرنا ، فإنهم قرءوا : ( من بعد ما قنطوا ) ، بفتح القاف والنون . وأما الأعمش فكان يقرأ ذلك : من بعد ما قنطوا ، بكسر النون . وكان الكسائي يقرؤه بفتح النون . وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ الحرفين جميعا ، على النحو الذي ذكرنا من قراءة الكسائي .

وأولى القراءات في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه من بعد ما قنطوا ، بفتح النون ( وَمَنْ يَقْنَطُ ) بكسر النون ، لإجماع الحجة من القراء على فتحها في قوله ( مِنَ بَعْدِ مَا قنَطُوا ) فكسرها في ( وَمَنْ )

بِقَسْبِطٍ) أولى، إذ كان مجعاً على فتحها في قَسْبَطٍ، لأن فَعَلَ إذا كانت عين الفعل منها مفتوحة، ولم تكن من الحروف الستة، التي هي حروف الخلق، فإنها تكون في يَفْعِيلٍ مكسورة أو مضمومة. فأما الفتح فلا يُعرف ذلك في كلام العرب.

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ؟ (٥٧) قَالُوا: إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨)

إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا أُمَّرَأَةً قَدَّرْنَا إِنهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠)

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للملائكة: فما شأنكم؟ ما أمرُكم أيها المرسلون؟ قالت الملائكة له: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين: يقول: إلى قوم قد اكتسبوا الكفر بالله، إلا آل لوط: يقول: إلا تباع لوط على ما هو عليه من الدين، فأنا لن نهلكهم، بل ننجيهم من العذاب، الذي أمرنا أن نعذب به قوم لوط، سوى امرأة لوط، قدّرنا إنها من الغابرين: يقول: قضى الله فيها إنها لمن الباقين، ثم هي مهلكة بعد. وقد بينا الغابر فيما مضى بشواهد.

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ: لَأَنكُم قَوْمٌ مُّسْكِرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ

بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره: فلما أتى رسلُ الله آل لوط، أنكرهم لوط، فلم يعرفهم، وقال لهم: (إنكم قومٌ مُسْكِرُونَ): أي تُسْكِرُكم لانعرفكم، فقالت له الرسل: بل نحن رسل الله، جنناك بما كان فيه قومك يشكون أنه نازل بهم من عذاب الله على كفرهم به.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء؛ وحدثني الحسن بن محمد، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا ورقاء؛ وحدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل؛ وحدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (قال إنكم قومٌ مُسْكِرُونَ) قال: أنكرهم لوط. وقوله (بما كانوا فيه يمترون) قال: بعذاب قوم لوط.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ، وَاتَّبِعْ أذْبُرَهُمْ،

وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ، وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥)



يقول تعالى ذكره : قالت الرسل لوط : وجئناك بالحق اليقين من عند الله ، وذلك الحق هو العذاب الذى عذب الله به قوم لوط . وقد ذكرت خبرهم وقصصهم فى سورة هود وغيرها ، حين بعث الله رسله ليعذبهم به . وقولهم : ( وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ) يقولون : إنا لصادقون فيما أخبرناك به يا لوط ، من أن الله مهلك قومك . ( فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ ) يقول تعالى ذكره . مخبرا عن رساله ، أنهم قالوا لوط ، فأسر بأهلك ببقية من الليل . واتبع يا لوط أدبار أهلك الذين تَسْرَى بهم ، كن من وراءهم ، وسِرْ خلفهم ، وهم أمامك ، ولا يلتفت منكم وراءه أحد ، وامضوا حيث يأمركم الله .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ) : لا يلتفت وراءه أحد ، ولا يُعْرَج .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ) : لا ينظر وراءه أحد .

حدثني المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وحدثني المنثى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَأَتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ) قال : أمير أن يكون خلف أهله ، يتبع أدبارهم فى آخرهم إذا مشوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ ) قال : بعض الليل ( وَأَتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ) : أدبار أهله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ : أَنْ دَابِرَ هُوَلَاءِ مَقْطُوعٍ مُّصْبِحِينَ (٦٦) وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ

يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره : وفرغنا إلى لوط من ذلك الأمر ، وأوحينا أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين : يقول : إن آخر قومك وأولهم مجذوذ مستأصل صباح ليلتهم . « وأن » من قوله ( أَنْ دَابِرَ ) فى موضع نصب ، ردأ على الأمر ، بوقوع القضاء عليها ، وقد يجوز أن تكون فى موضع نصب بفقد الخافض ، ويكون معناه : وقضينا إليه ذلك الأمر ، بأن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين . وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله : وقلنا إن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين . وعسى بقوله ( مُّصْبِحِينَ ) : إذا أصبحوا ، أو حين يصبحون .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( أَنْ ذَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٍ مُصْبِحِينَ ) يعني : استئصال هلاكهم مصبحين . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ ) قال : أوحينا إليه .

وقوله ( وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ) يقول : وجاء أهل مدينة سدوم ، وهم قوم لوط ، لما سمعوا أن ضيفا قد صاف لوطا ، مستبشرين بنزولهم مدينتهم ، طمعا منهم في ركوب الفاحشة . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ) استبشروا بأضياف نبي الله صلى الله عليه وسلم لوط ، حين نزلوا لما أرادوا أن يأتوا إليهم من المنكر .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه : إن هؤلاء الذين جئتموهم تريدون منهم الفاحشة ، ضيفي ، وحق على الرجل إكرام ضيفه ، فلا تفضحون أيها القوم في ضيفي ، وأكرموني في ترككم التعرض لهم بالمكروه . وقوله ( وَأَتَقُوا اللَّهَ ) يقول : وخافوا الله في وفي أنفسكم ، أن يحل بكم عقابه . ( وَلَا تُخْزُونِ ) يقول : ولا تذلتوني ، ولا تهينوني فيهم ، بالتعرض لهم بالمكروه . ( قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ) : يقول تعالى ذكره : قال لوط قومته : أو لم نهك أن تضيف أحدا من العالمين .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ) قال : ألم نهك أن تضيف أحدا ؟

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ . (٧١) لَعَنَّاكَ إِنَّهُمْ لَغِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه : تزوجوا النساء فأتوهن ، ولا تفعلوا ما قد حرم الله عليكم من إتيان الرجال ، إن كنتم فاعلين ما أمركم به ، ومنهين إلى أمري .



كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ) : أمرهم نبي الله لوط أن يتزوجوا النساء ، وأراد أن يقبى أضيافه ببنايه .  
وقوله ( لَعَمْرُكَ ) يقول تعالى لئنبي محمد صلى الله عليه وسلم : وحياتك يا محمد ، إن قومك من قريش ( لَئِن سَكَرْتَهُمْ يُعَمَّهُونَ ) يقول : لئن ضللتهم وجهلهم يترددون .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا سعيد بن زيد ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ، قال الله تعالى ذكره ( لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَئِن سَكَرْتَهُمْ يُعَمَّهُونَ ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، قال : ثنا الحسن بن أبي جعفر ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، في قول الله ( لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَئِن سَكَرْتَهُمْ يُعَمَّهُونَ ) قال : ما حلف الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وحياتك يا محمد وعمرك وبقاتك في الدنيا : ( إِنَّهُمْ لَئِن سَكَرْتَهُمْ يُعَمَّهُونَ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَئِن سَكَرْتَهُمْ يُعَمَّهُونَ ) . وهي كلمة من كلام العرب ؛ لئن سكرتهم : أي في ضلالتهم . يعمهمون : أي يلبعون .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، قال : سألت الأعمش ، عن قوله ( لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَئِن سَكَرْتَهُمْ يُعَمَّهُونَ ) قال : لئن غفلتهم يترددون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فِي سَكَرْتَهُمْ ) قال : في ضلالتهم يعمهمون : قال : يلبعون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال مجاهد ( يُعَمَّهُونَ ) قال : يترددون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس . قوله ( لَعَمْرُكَ ) يقول : لَعَيْشُكَ ( إِنَّهُمْ لَئِن سَكَرْتَهُمْ يُعَمَّهُونَ ) قال : يتبادون .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كانوا يكرهون أن يقول الرجل : لعمرى ، يروونه كقولهم : وَحَيَاتِي .

وقوله ( فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ) يقول تعالى ذكره : فأخذتهم صاعقة العذاب ، وهي الصيحة . مشرقين : يقول : إذ أشرقوا . ومعناه : إذ أشرق الشمس ، ونصب مشرقين ومصبحين على الحال ، بمعنى : إذ أصبحوا ، وإذ أشرقوا ، يقال منه : صبح بهم : إذا أهلكوا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ) قال : حين أشرقت الشمس ، ذلك مشرقين .

القول في تأويل قوله تعالى

فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ  
لِّمُتَوَسِّمِينَ (٧٥)

يقول تعالى ذكره : فجعلنا على أرضهم سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل<sup>١</sup> .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ( وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ) : أي من طين .

وقوله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ) يقول : إن في الذي فعلنا بقوم لوط من إهلاكهم ، وأحللنا بهم من العذاب ، لآيات ودلالات للمتفرسين ، الاعتبار بعلمات الله وعبره ، على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به . وإنما يعنى تعالى ذكره بذلك قوم نبي الله صلى الله عليه وسلم من قريش يقول : فلقومك يا محمد في قوم لوط ، وما حل بهم من عذاب الله ، حين كذبوا رسولهم ، وتمادوا في غيهم ، وضلالهم ، معتسبر .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( لِّمُتَوَسِّمِينَ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، قال : ثنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن قيس عن مجاهد ، في قوله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ) قال : للمتفرسين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عبد الملك ، وحدثنا الحسن الزعفراني ، قال : ثني محمد ابن عبيد ، قال : ثني عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ) قال : للمتفرسين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شاذان ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) لعل الأصل ( من سجيل ) : أي من طين ، كما يظهر بتأمل .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال :  
المستوسمين : المتفرسين . قال : توسمت فيك الخير نافلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن قيس ، عن مجاهد  
( إن في ذلك آيات للمستوسمين ) قال : المتفرسين .

حدثني المنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( إن في ذلك  
آيات للمستوسمين ) يقول : للناظرين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن جوير ، عن الضحاك ( للمستوسمين ) قال للناظرين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إن في ذلك آيات للمستوسمين ) :  
أى للمعتبرين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( للمستوسمين )  
قال : للمعتبرين .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنى حسن بن مالك ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن عمرو بن قيس ،  
عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ، فَإِنَّهُ  
يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ » ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( إن في ذلك آيات للمستوسمين ) .

حدثنا أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا محمد بن كثير ، مولى بني هاشم ، قال : ثنا عمرو بن قيس  
الملائي ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا الفُرات بن السائب ، قال :  
ثنا ميمون بن مهران ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ؛  
فإنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ » .

حدثنا عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنى سعيد بن محمد الجرمي ، قال : ثنا عبد الواحد بن واصل ،  
قال : ثنا أبو بشر المزني ، عن ثابت البناني ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن  
لله عباداً يعترفون الناس بالتوسم » .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إن في ذلك  
آيات للمستوسمين ) قال : المتفكرون والمعتبرون الذين يتوسمون الأشياء ، ويتفكرون فيها ويعتبرون .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله  
( للمستوسمين ) يقول : للناظرين .

حدثني أبو شرحبيل الحمصي ، قال : ثنا سليمان بن سلمة ، قال : ثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف  
الرحبي ، قال : ثنا أبو المعالي أسد بن وداعة الطائي ، قال : ثنا وهب بن منبه ، عن طاوس بن كيسان ،

عن ثوبان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احذروا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ، وَيَنْشُطِقُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ » .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّمَا لِسَبِيلِ مُقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧)

يقول تعالى ذكره : وإن هذه المدينة ، مدينة سدوم ، لطريق واضح مقيم ، يراها المجتاز بها ، لا ختماء بها ، ولا يرح مكانها ، فيجهل ذو لب أمرها ، وغب معصية الله ، والكفر به .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُمَيْر ، عن ورقاء ، وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، وحدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، جميعاً عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِنَّمَا لِسَبِيلِ مُقِيمٍ ) قال : لطريق معلّم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِنَّمَا لِسَبِيلِ مُقِيمٍ ) يقول : بطريق واضح .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَإِنَّمَا لِسَبِيلِ مُقِيمٍ ) قال : طريق ، السبيل : الطريق .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( لِسَبِيلِ مُقِيمٍ ) يقول : بطريق معلّم .  
وقوله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ) يقول تعالى ذكره : إن في صنعنا بقوم لوط ما صنعنا بهم ، لعلامة ودلالة بينة لمن آمن بالله على انتقامه من أهل الكفر به ، وإنقاذه من عذابه ، إذا نزل بقوم أهل الإيمان به منهم .

كما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبیر ، في قوله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ) قال : هو كالرجل يقول لأهله : علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خائماً ، أو آية كذا وكذا :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ) قال : أما ترى الرجل يرسل بخاتمه إلى أهله فيقول : هاتوا خذى ، هاتوا خذى ، فإذا رأوه علموا أنه حق .



القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ (٧٨) فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ ، وَإِنَّهُمْ لَبِإِيمَانٍ مُّبِينٍ (٧٩)

يقول تعالى ذكره: وقد كان أصحاب الغيضة ظالمين ، يقول : كانوا بالله كافرين ، والأيكه : الشجر الملتف المجتمع ، كما قال أمية :

كَيْبُكَ الْحَمَامِ عَلَى فُرُوعِ الْأَيْكِ فِي الْغُصْنِ الْجَوَانِحِ  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، قال ، قوله ( أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ) قال : الشجر ، وكانوا يأكلون في الصيف الفاكهة الرطبة ، وفي الشتاء اليابسة . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ) ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ غِيضَةٍ . وكان عامة شجرهم هذا الدوم ، وكان رسولهم فيما بلغنا شعيب صلى الله عليه وسلم ، أرسل إليهم وإلى أهل مدين ، أرسل إلى أمتين من الناس ، وعذبتا بعداين شتى ، أما أهل مدين ، فأخذتهم الصيحة ، وأما أصحاب الأيكه ، فكانوا أهل شجر متكأوس ، ذُكر لنا أنه سُلِّطَ عليهم الحرّ سبعة أيام ، لا يظلمهم منه ظل ، ولا ينعهم منه شيء ، فبعث الله عليهم سخابة ، فحكوا تحتها يلتمسون الروح فيها ، فجعلها الله عليهم عذابا ، بعث عليهم نارا ، فاضطربت عليهم ، فأكلتهم ، فذلك عذاب يوم الظلّة ، إنه كان عذاب يوم عظيم .

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه عن سعيد بن جبير ، قال : أصحاب الأيكه : أصحاب غيضة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله ( وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ) قال : قوم شعيب . قال ابن عباس : الأيكه ذات آجام وشجر ، كانوا فيها . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ) قال : هم قوم شعيب ، والأيكه : الغيضة .

(١) البيت لامية بن أبي الصلت الثقفي ، ولم أجده في ديوانه ، ووجدته في سيرة ابن هشام (٣ : ٣١ طبعة الحلبي) من قصيدة له يرثي بها قتل بدر وأولها :

أَلَا بِتَكَيْتِ عَلَى الْكِرَامِ مِ بَيْنِي الْكِرَامِ أَوْلَى الْمَادِحِ

كيبكا الحمام . . . البيت . والأيك : الشجر الملتف ، واحده أيكه والجوانح : الموايل . يقول : جنح : إذا مال . وفي ( اللسان أيك ) : الأيكه : الشجر الكثير الملتف . وقيل : هي الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر ، وخص بعضهم به منبت الأثل ومجمعه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عمرو بن عبد الله ، عن قتادة ، أنه قال : إن أصحاب الأيكة ، والأيكة : الشجر الملتف . وقوله ( فَنَانَتْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ) يقول تعالى ذكره : فانتقمنا من ظلمة أصحاب الأيكة . وقوله ( وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ) يقول : وإن مدينة أصحاب الأيكة ، ومدينة قوم لوط ، والهاء والميم في قوله ( وَإِنَّهُمَا ) من ذكر المدينتين ( لَبِإِمَامٍ ) يقول : لطريق يأتمون به في سفرهم ، ويبتدون به ( مُّبِينٍ ) يقول : بين لمن ائتم به استقامته ، وإنا جعل الطريق إماما ، لأنه يؤم ويُسْتَع . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ) يقول : على الطريق . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَنَانَتْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ) يقول : طريق ظاهر . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ) قال : بطريق معلّم . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ) قال : طريق واضح . حدثت عن الحسين قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ) بطريق مستبين .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠) وَءَايَاتِنَاهُمْ ، آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١)

يقول تعالى ذكره : ولقد كذب سكان الحجر ، وجعلوا لسكناهم فيها ومقامهم بها ، أصحابها ، كما قال تعالى ذكره ( وَنَادَى أَصْحَابُ الْحِجْرِ أَصْحَابَ النَّارِ : أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ) ، فجعلهم أصحابها لسكناهم فيها ، ومقامهم بها . والحجر : مدينة ثمود . وكان قتادة يقول في معنى الحجر ، ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة : أصحاب الحجر : قال : أصحاب الوادي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، وهو يذكر الحجر



مساكن ثمود قال : قال سالم بن عبد الله : إن عبد الله بن عمر قال : « مررنا مع النبي صلى الله عليه وسلم على الحجر ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ، حَذَرًا أَنْ يُصَيِّبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ » ، ثم زَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلْفَهَا .

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري ، قال : ثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن أبي عباد المكي ، قال : ثنا داود بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن ابن سابط ، عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالحجر : « هَؤُلَاءِ قَوْمٌ سَالِحٌ أَهْلَكَهُمْ اللهُ إِلَّا رَجُلًا كَانَ فِي حَرَمِ اللهِ ، مَنَعَهُ حَرَمُ اللهِ ، مِنْ عَذَابِ اللهِ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : أَبُو رِغَالٍ . وَقَوْلُهُ ( وَأَتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا ، فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ) : يَقُولُ : وَأَرْبَانَاهُمْ أَذَلَّتْنَا وَحَجَجْنَا ، عَلَى حَقِيقَةِ مَا بَعَثْنَا بِهِ إِلَيْهِمْ رَسُولَنَا صَالِحًا ، فَكَانُوا عَنْ آيَاتِنَا الَّتِي آتَيْنَاهُمُهَا مُعْرِضِينَ ، لَا يَتَعَبَّرُونَ بِهَا وَلَا يَتَعَطَّوْنَ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ، آمِنِينَ (٨٢) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ (٨٣)  
فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره : وكان أصحاب الحجر : وهم ثمود قوم صالح ، ( يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ) من عذاب الله ، وقيل : آمنين من الخراب : أن تحرب بيوتهم التي نحتوها من الجبال . وقيل : آمنين من الموت . وقوله ( فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ) يقول : فأخذتهم صيحة الهلاك حين أصبحوا ، من اليوم الرابع من اليوم الذي وعيدوا العذاب ، وقيل لهم : تمتعوا في داركم ثلاثة أيام . وقوله ( فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ) يقول : فما دفع عنهم عذاب الله ما كانوا يجترحون من الأعمال الخبيثة قبل ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ ، فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلِيقُ الْعَلِيمُ (٨٦)

يقول تعالى ذكره : وما خلقنا الخلاق كلها ، سماءها وأرضها ، ما فيها وما بينهما ، يعني بقوله ( وَمَا بَيْنَهُمَا ) : مما في أطباق ذلك . ( إِلَّا بِالْحَقِّ ) يقول : إلا بالعدل والإنصاف ، لا بالظلم والجور . وإنما يعني تعالى ذكره بذلك : أنه لم يظلم أحدا من الأمم التي اقتضت قصصها في هذه السورة ، وقصص إهلاكها ، بما فعل به من تعجيل النعمة له ، على كفره به ، فيعذبه ويهلكه بغير استحقاق ، لأنه لم يخلق السموات والأرض وما بينهما بالظلم والجور ، ولكنه خلق ذلك بالحق والعدل . وقوله ( وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ )

فاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ) يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : وإن الساعة ، وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة ، لحثائية ، فافرض بها لمشركي قومك الذين كذبوك ، وردوا عليك ماجتتهم به من الحق . ( فاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ) يقول : فأعرض عنهم إعراضاً جميلاً ، واعف عنهم عفواً حسناً . وقوله ( إن رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ) يقول تعالى ذكره : إن ربك هو الذي خلقهم وخلق كل شيء ، وهو عالم بهم وبتدبيرهم ، وما يأتون من الأفعال . وكان جماعة من أهل التأويل تقول : هذه الآية منسوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ) . ثم نسخ ذلك بعد ، فأمره الله تعالى ذكره بقتالهم ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، لا يقبل منهم غيره .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك : في قوله ( فاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ) ، ( فاصْفَحْ عَنْهُمْ ، وَقُلْ سَلَامٌ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ - وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ) و ( قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ) وهذا النحو كله في القرآن أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يكون ذلك منه ، حتى أمره بالقتال ، فنسخ ذلك كله : فقال ( خذْهُمُ وَأَحْضِرْهُمْ ، وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد ( فاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ) : قال : هذا قبل القتال .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان بن عيينة ، في قوله ( فاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ) وقوله ( وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ) قال : كان هذا قبل أن ينزل الجهاد ، فلما أمر بالجهاد قاتلهم ، فقال : « أنا نبي الرحمة ، ونبي الملحمة ، وبُعِثْتُ بِالْحَصَادِ ، وَلَمْ أُبْعَثْ بِالزَّرَاعَةِ » .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَلِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧)

يختلف أهل التأويل في معنى السبع الذي آتى الله نبيه صلى الله عليه وسلم من المثالي ، فقال بعضهم : عنى بالسبع : السور من أول القرآن ، اللواتي يعرّفن بالطول . وقائلو هذه المقالة مختلفون في المثالي ، فكان بعضهم يقول : المثالي : هذه السبع ، وإنما سمين بذلك لأنهن ثُنِيَّ فيهن الأمثال والخبر والعبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن يونس ، عن ابن سيرين ، عن ابن مسعود في قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَلِي ) قال : السبع : الطول :



حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن سعيد الجريدي ، عن رجل ، عن ابن عمر ، قال : السبع : الطُّوَل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَكَانَ آتِيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ) قال : السبع الطُّوَل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن الحجاج ، عن الوليد بن العيزار عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : هنّ السبع الطُّوَل . ولم يُعطهن أحد إلا النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأعطى موسى منهن اثنتين .

حدثنا ابن وكيع ، وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : أوتى النبيّ صلى الله عليه وسلم سبعا من المثاني الطُّوَل ، وأوتى موسى ستا ، فلما ألقى الألواح رفعت اثنتان ، وبقيت أربع .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عليّ بن عبد الله بن جعفر ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، في قوله ( سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ) قال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف . قال إسرائيل : وذكر السابعة ، فنسيها .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشم ، عن سعيد بن جبیر ، في قوله ( وَكَانَ آتِيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ) قال : هي الطُّوَل : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبیر في هذه الآية ( وَكَانَ آتِيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ، وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ) قال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس ، فهنّ الفرائض والحدود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبیر ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي خالد ، عن خوات ، عن سعيد بن جبیر ، قال : السبع الطُّوَل .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال أبو بشر : أخبرنا عن سعيد بن جبیر ، قال : هنّ السبع الطُّوَل قال : وقال مجاهد : هنّ السبع الطُّوَل . قال : ويقال : هنّ القرآن العظيم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيابة ، قال : ثنا سعيد ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله ( سَبْعًا

من المثاني ) قال : البقرة وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس ، تُسْنِي فيها الأحكام والفرائض .

حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : هن السبع الطُّوَل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي ) قال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف . ويونس ، قال : قلت : ما المثاني ؟ قال : يُسْنِي فِيهِنَّ الْقَضَاءُ وَالْقَمَصَصُ .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد . قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ) قال : البقرة وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : السبع الطُّوَل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد القرشي ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد ، قال : هي السبع الطُّوَل . حدثنا الحسن بن محمد بن عبيد الله ، قال : ثنا عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، في قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي ) قال : هي السبع الطُّوَل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ) قال : من القرآن السبع الطُّوَل ، السبع الأوَّل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل وابن نمير ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، قال : هن السبع الطُّوَل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : السبع الطُّوَل .



حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن نمير ، عن سفيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : هي الأمثال والخبر والعبر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن إسماعيل ، عن خوات ، عن سعيد بن جبير ، قال : هي السبع الطووك ، أعطى موسى سنا ، وأعطى محمد صلى الله عليه وسلم سبعا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( سبعا من المثاني ) ؟ يعني السبع الطووك .

وقال آخرون : عنى بذلك : سبع آيات وقالوا : هن آيات فاتحة الكتاب ، لأنهن سبع آيات ، وهم أيضا مختلفون في معنى المثاني ، فقال بعضهم : إنما سُمّينَ مثاني ، لأنهن يُشْتَن في كل ركعة من الصلاة . ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا ابن علية ، عن سعيد الجري ، عن أبي نصر ، قال : قال رجل منا يقال له : جابر أو جوير : طلبت إلى عمر حاجة في خلافته ، فقدمت المدينة ليلا ، فمُتَّلتُ بين أن أتخذ منزلا وبين المسجد ، فاخترت المسجد منزلا ، فأرقت نَشْوَا من آخر الليل ، فإذا إلى جنبي رجل يصلي ، يقرأ بأم الكتاب ، ثم يسبح قدر السورة ، ثم يركع ولا يقرأ ، فلم أعرفه حتى جهَّرت ، فإذا هو عُمر ، فكانت في نفسي ، فغدوت عليه ، فقلت : يا أمير المؤمنين حاجة مع حاجة ، قال : هات حاجتك ، قلت : إني قدمت ليلا ، فمُتَّلتُ بين أن أتخذ منزلا وبين المسجد ، فاخترت المسجد ، فأرقت نَشْوَا من آخر الليل ، فإذا إلى جنبي رجل يقرأ بأم الكتاب ، ثم يسبح قدر السورة ، ثم يركع ولا يقرأ ، فلم أعرفه حتى جهَّرت ، فإذا هو أنت ، وليس كذلك نفع قبيلتنا ، قال : وكيف تفعلون ؟ قال : يقرأ أحدنا أم الكتاب ، ثم يفتح السورة ، فيقرأها ، قال : ما لم يعلمون ولا يعملون ، ما لم يعلمون ولا يعملون ، ما لم يعلمون ولا يعملون ؟ وما تبغى عن السبع المثاني ، وعن التسبيح صلاة الخلق .

حدثني طليق بن محمد الواسطي ، قال : أخبرنا يزيد ، عن الجري ، عن أبي نصر ، عن جابر أو جوير ، عن عُمر بنحوه ، إلا أنه قال : فقال يقرأ القرآن ما تيسر أحيانا ، ويسبح أحيانا ، ما لم يرغب عن فاتحة الكتاب ، وما يتبغى بعد المثاني ، وصلاة الخلق : التسبيح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن عبد خير ، عن علي ، قال : السبع المثاني : فاتحة الكتاب .

حدثنا نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا حفص بن عمر ، عن الحسن بن صالح ، وسفيان عن السدي ، عن عبد خير ، عن علي ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدي ، عن عبد خير ، عن علي ، مثله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد جميعا ، عن سفيان ، عن السدي ، عن عبد خير ، عن علي ، مثله .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا هشام ، عن ابن سيرين ، قال :  
سئل ابن مسعود عن سبع من المثاني ، قال : فاتحة الكتاب .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، في قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ  
سَبْعًا مِّنَ الْمُثَانِي ) قال : فاتحة الكتاب ، قال : وقال ابن سيرين عن ابن مسعود : هي فاتحة الكتاب .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن يونس ، عن ابن سيرين ، عن  
ابن مسعود ( سَبْعًا مِّنَ الْمُثَانِي ) قال : فاتحة الكتاب .  
حدثني سعيد بن يحيى الأموي ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنا ابن جريج ، قال : أخبرنا أبي ، عن سعيد  
ابن جبير ، عن ابن عباس ، أنه قال في قول الله تعالى ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمُثَانِي ) قال : هي  
فاتحة الكتاب ، فقرأها على سنا ، ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة ، قال سعيد : وقرأها ابن عباس  
على كذا قرأها عليك ، ثم قال الآية السابعة : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال ابن عباس : قد أخرجها الله لكم ،  
وما أخرجها لأحد قبلكم .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن جريج ، أن أباه حدثه ، عن سعيد بن  
جبير ، قال : قال لي ابن عباس : فاستفتح بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قرأ فاتحة الكتاب ، ثم قال : تدرى  
ما هذا ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمُثَانِي ) .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمُثَانِي ) يقول : السبع : الحمد لله رب العالمين ، والقرآن العظيم .  
ويقال : هن السبع الطول ، وهن الميثون .  
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ،  
عن ابن عباس ، قال : فاتحة الكتاب .  
حدثني عمران بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا إسحاق بن سويد ، عن يحيى بن  
يعمر ، وعن أبي فاختة في هذه الآية : ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمُثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ) قالا : هي  
أم الكتاب .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن السدي عن سمع عليا يقول : الحمد  
لله رب العالمين ، هي السبع المثاني .  
حدثنا أبو المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت العلاء بن عبد الرحمن ،  
يحدث عن أبيه ، عن أبي بن كعب ، أنه قال : السبع المثاني : الحمد لله رب العالمين .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قول  
الله تعالى ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمُثَانِي ) قال : فاتحة الكتاب سبع آيات ، قلت للربيع : إنهم  
يقولون : السبع الطول ، فقال : لقد أنزلت هذه ، وما أنزل من الطول شيء .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : فاتحة الكتاب . قال : وإنما سميت المثاني ، لأنه يثنى بها ، كلما قرأ القرآن قرأها ، فقيل لأبي العالية : إن الضحاك بن مزاحم يقول : هي السبع الطويل ، فقال : لقد نزلت هذه السورة سبعة من المثاني وما أنزل شيء من الطويل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي جميعاً ، عن سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم مثله . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد جميعاً ، عن هارون بن أبي إبراهيم البربري ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : السبع من المثاني : فاتحة الكتاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن ابن جريج ، عن أبي مليكة ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ) قال : فاتحة الكتاب . وذكر فاتحة الكتاب لنبينا صلى الله عليه وسلم ، لم تذكر لنبينا قبله . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، في قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ) قال : فاتحة الكتاب .

حدثني محمد بن أبي خديش ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا هارون البربري ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير اللبني في قول الله تعالى ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ) قال : هي الحمد لله رب العالمين .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، عن أبي رجاء ، قال : سألت الحسن ، عن قوله تعالى ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ) قال : هي فاتحة الكتاب ، ثم سئل عنها وأنا أسمع ، فقرأها الحمد لله رب العالمين ، حتى أتى على آخرها ، فقال : تُشْتَمَى فِي كُلِّ قِرَاءَةٍ .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ) ذكر لنا أنه فاتحة الكتاب ، وأنه يثنى في كل قراءة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي )

قال : فاتحة الكتاب تُشْتَمَى فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مَكْتُوبَةٍ وَتَطَوُّعٍ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد بن زيد وحجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني أبي

عن سعيد بن جبير ، أنه أخبره أنه سأل ابن عباس ، عن السبع المثاني ، فقال : أم القرآن ، قال سعيد : ثم قرأها ، وقرأ منها : ( بسم الله الرحمن الرحيم ) قال أبي : قرأها سعيد كما قرأها ابن عباس ، وقرأ فيها ( بسم الله الرحمن الرحيم ) . قال سعيد : قلت لابن عباس : فما المثاني ؟ قال : هي أم القرآن ، استثنانا الله لحمد صلى الله عليه وسلم ، فرفعها في أم الكتاب ، فذخرها لهم ، حتى أخرجها لهم ، ولم يعطها لأحد قبله . قال : قلت : لأبي : أخبرك سعيد أن ابن عباس قال له : بسم الله الرحمن الرحيم آية من القرآن ؟ قال : نعم . قال ابن جريج : قال عطاء : فاتحة الكتاب ، وهي سبع ببسم الله الرحمن الرحيم ، والمثاني : القرآن . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن عطاء ، أنه قال : السبع المثاني : أم القرآن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد الله العتسكي ، عن خالد الحنفي قاضي مرو ، في قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ) قال : فاتحة الكتاب . وقال آخرون : عنى بالسبع المثاني : معاني القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب الشهيد الشهيدى ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن زياد بن أبي مریم ، في قوله ( سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ) قال : أعطيتك سبعة أجزاء : مر ، وانه ، وبشر ، وأنذر ، واضرب الأمثال ، واعدد النعم ، وآتيتك نبأ القرآن . وقال آخرون من الذين قالوا عني بالسبع المثاني : فاتحة الكتاب ؛ المثاني : هو القرآن العظيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن أبي مالك ، قال : القرآن كله مثاني . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حصين ، عن أبي مالك ، قال : القرآن كله مثاني . حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبيد أبو زيد ، عن حصين ، عن أبي مالك ، قال : القرآن مثاني ، وعد البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، وبراءة . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، وعن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : القرآن كله يشتمى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : المثاني : ما نُسِي من القرآن ، ألم تسمع لقول الله تعالى ذكره : ( اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيًا ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : المثاني : القرآن ، يذكر الله القصة الواحدة مرارا ، وهو قوله ( نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيًا ) .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : عني بالسبع المثاني : السبع اللواتي هن آيات



أم الكتاب، لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: الذي حدثنيه يزيد بن مخلد بن خيد آش الواسطي، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أم القرآن السبع المثاني التي أُعطيَتْها».

حدثني أحمد بن المقدم العجلي، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا روح بن القاسم، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي: «إني أُحِبُّ أن أُعَلِّمَكَ سُورَةَ كَمْ يَنْزِلُ فِي التَّوْرَةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنِّي لَا رَجُوَ أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْبَابِ حَتَّى تَعَلِّمَهَا، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي يَحْدِثُنِي، فَجَعَلَتْ أَتْبَاطُؤُا مَخَافَةَ أَنْ يَبْلُغَ الْبَابَ قَبْلَ أَنْ يَنْقُضَ الْحَدِيثَ؛ فَلَمَّا دَنَوْتُ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا السُّورَةُ الَّتِي وَعَدْتَنِي؟ قَالَ: مَا تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ أُمَّ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلَ فِي التَّوْرَةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، إِنَّمَا السَّبْعُ مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا زيد بن حباب العكيلي، قال: ثنا مالك بن أنس، قال: أخبرني العلاء ابن عبد الرحمن بن يعقوب: مولى لعروة، عن أبي سعيد مولى عامر بن فلان، أو ابن فلان، عن أبي بن كعب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلَاةَ بِمِ تَفْتِيحٍ؟ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَتَّى خْتَمَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيَتْ».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو أسامة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أَعَلِّمُكَ سُورَةَ مَا أَنْزَلَ فِي التَّوْرَةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ، مِثْلُهَا؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: إِنِّي لَا رَجُوَ أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ حَتَّى تَعَلِّمَهَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَمْتُ مَعَهُ، فَجَعَلَ يَحْدِثُنِي وَيَدُهُ فِي يَدِي، فَجَعَلَتْ أَتْبَاطُؤُا، كَرَاهِيَةَ أَنْ يَخْرُجَ قَبْلَ أَنْ يَخْبِرَنِي بِهَا؛ فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْبَابِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، السُّورَةُ الَّتِي وَعَدْتَنِي؟ قَالَ: «كَيْفَ تَقْرَأُ إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلَاةَ؟ قَالَ: فَقَرَأْتُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، قَالَ: هِيَ هِيَ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِي أُوتِيَتْ)».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا المحاربي، عن إبراهيم بن الفضل المدني، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الرَّكْعَتَانِ اللَّتَانِ لَا يُقْرَأُ فِيهِمَا كَالْحَدِاجِ كَمْ يَتَمَسَّ، قَالَ رَجُلٌ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعِيَ إِلَّا أُمَّ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: هِيَ حَسْبُكَ. هِيَ أُمَّ الْقُرْآنِ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن نمير، عن إبراهيم بن الفضل، عن المقبري، عن أبي هريرة، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرُّكْعَةُ النَّبِيَّ لَا يَقْرَأُ فِيهَا كَالْحَدَاجِ » . قلت لأبي هريرة : فإن لم يكن معنى إلا أم القرآن ؟ قال : هي حسبك ، هي أم الكتاب ، وأم القرآن ، والسبع المثاني .

حدثني أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، عن محمد بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ ، وَلَا فِي الزَّبُورِ ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا ، يَعْنِي أُمَّ الْقُرْآنِ ، وَإِنَّمَا هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي ، الَّتِي آتَانِي اللَّهُ تَعَالَى » .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني بن أبي ذئب ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « هِيَ أُمَّ الْقُرْآنِ ، وَهِيَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن هارون وشبابة ، قالا : أخبرنا ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب قال : « هِيَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، قال : ثنا العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أُتَيْ بْنِ كَعْبٍ فَقَالَ : « أُتَيْبُ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةَ لَمْ يَنْزَلَ فِي التَّوْرَةِ ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ ، وَلَا فِي الزَّبُورِ ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَكَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ ؟ فَقَرَأَتْ عَلَيْهِ أُمَّ الْكِتَابِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلْتُ سُورَةَ فِي التَّوْرَةِ ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ ، وَلَا فِي الزَّبُورِ ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا ، وَإِنَّمَا السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ » .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا سعيد بن حبيب ، عن حفص بن عاصم ، عن أبي سعيد بن المعلى « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ وَهُوَ بِصُلَى ، فَصَلَّى ، ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَنِي ؟ قَالَ : إِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي ، قَالَ : أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ) قَالَ : ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَكَأَنَّهُ بَيْنَهَا أَوْ نَسِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ الَّذِي قُلْتَ : قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ : هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ » .

فإذا كان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلنا ، للذي به استشهدنا ، فالواجب أن تكون المثاني مراداً بها القرآن كله ، فيكون معنى الكلام : ولقد آتيناك سبع آيات ، مما يشئى بعض آيه بعضاً . وإذا كان ذلك كذلك كانت المثاني : جمع مشناة ، وتكون آي القرآن موصوفة بذلك ، لأن بعضها يشئى بعضاً ، وبعضها يتلو بعضاً ، بفصول تفصل بينها ، فيعرف انقضاء الآية ؛ وابتداء التي تليها ، كما وصفها به تعالى ذكره ؛ فقال ( اللَّهُ أَنْزَلَ



أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيًا، تَقَشَّعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ. وقد يجوز أن يكون معناها، كما قال ابن عباس والضحاك ومن قال ذلك، أن القرآن إنما قيل له مَثَانِيًا، لأن القصص والأخبار كررت فيه مرة بعد أخرى. وقد ذكرنا قول الحسن البصري أنها إنما سميت مَثَانِيًا، لأنها تُثَنَّى في كل قراءة. وقول ابن عباس: إنها إنما سميت مَثَانِيًا، لأن الله تعالى ذكره استثناها لحمد صلى الله عليه وسلم، دون سائر الأنبياء غيره، فادّخرها له.

وكان بعض أهل العربية، يزعم أنها سميت مَثَانِيًا، لأن فيها الرحمن الرحيم مرتين، وأنها تُثَنَّى في كل سورة، بمعنى: بسم الله الرحمن الرحيم.

وأما القول الذي اخترناه في تأويل ذلك، فهو أحد أقوال ابن عباس، وهو قول طاوس ومجاهد وأبي مالك، وقد ذكرنا ذلك قبل.

وأما قوله (والقرآن العظيم) فإن القرآن معطوف على السبع، بمعنى: ولقد آتيناك سبع آيات من القرآن، وغير ذلك من سائر القرآن.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (والقرآن العظيم) قال: سائره: يعني سائر القرآن، مع السبع من المثاني.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: (والقرآن العظيم) يعني: الكتاب كله.

#### القول في تأويل قوله تعالى

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ، وَادْخُلِ جَنَاحَكَ الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم: لا تتمنين يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للأغنياء من قومك، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يتمتعون فيها، فإن من وراءهم عذابا عظيما. (ولا تحزن عليهم) يقول: ولا تحزن على ما متّعوا به، فعجل لهم، فإن لك في الآخرة ما هو خير منه، مع الذى قد عجلنا لك في الدنيا من الكرامة، بإعطائنا السبع المثاني، والقرآن العظيم. يقال منه: مد فلان عينه إلى مال فلان: إذا اشتهاه وتمناه وأراده.

وذكر عن ابن عيينة أنه كان يتأول هذه الآية: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»: أى من لم يستغن به، ويقول: «أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ»: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ). لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ»: فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال. قال: ومنه قول الآخر: من أوتي القرآن، فرأى أن أحدا أعطى أفضل مما أعطى، فقد عظم صغيرا، وصغر عظميا.

وبنحو الذي قلنا في قوله (أزواجاً) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) : الأغنياء الأمثال الأشباه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) قال : نُهِيَ الرَّجُلُ أَنْ يَتَمَنَّى مَالِ صَاحِبِهِ . وقوله (وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَاتَّبَعَتْكُمْ مِنْكُمْ ، وَاتَّبَعَتْكُمْ مِنْكُمْ ، وَلَا تَجْفُفْ بِهِمْ ، وَلَا تَغْلُظْ عَلَيْهِمْ : يأمره تعالى ذكره بالرفق بالمؤمنين . والجناحان من بني آدم : جنباه ، والجناحان : الناحيتان ، ومنه قول الله تعالى ذكره : (وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ) قيل : معناه : إلى ناحيتك وجنبك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩) كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ

عِضِينَ (٩١)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد للمشركين : إني أنا النذير الذي قد أبان إنذاره لكم من البلاء والعقاب ، أن ينزل بكم من الله ، على تماديكم في غيكم ، كما أنزلنا على المقتسمين : يقول : مثل الذي أنزل الله تعالى من البلاء والعقاب ، على الذين اقتسموا القرآن ، فجعلوه عِضِينَ .

ثم اختلف أهل التأويل في الذين عَسُوا بقوله (الْمُقْتَسِمِينَ) ، فقال بعضهم : عَسَى به اليهود والنصارى ، وقال : كان اقتسامهم أنهم اقتسموا القرآن وعَصَوْه ، فأمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عيسى بن عثمان الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، في قول الله ( كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ، الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ) قال : هم اليهود والنصارى ، آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ، الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ) قال : هم أهل الكتاب ، جزءوه ، فجعلوه أعضاء أعضاء ، فأمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .



حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفیان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، في قوله ( كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ، الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ) قال : الذين آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : ( الْمُقْتَسِمِينَ ) أهل الكتاب ( الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ) قال : يؤمنون ببعض ، ويكفرون ببعض .

حدثني مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو بشر ، عن سعيد ابن جبير ، أنه قال في قوله ( كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ) قال : هم أهل الكتاب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية ( كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ، الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ) قال : هم أهل الكتاب آمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ) قال : هم أهل الكتاب جزءوه ، فجعلوه أعضاء ، فأمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : جزءوه ، فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، قال : هم أهل الكتاب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ) قال : هم اليهود والنصارى من أهل الكتاب ، قسموا الكتاب ، فجعلوه أعضاء ، يقول : أحزابا ، فأمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : المقتسمين آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ، وقرءوا الكتاب .

وقال آخرون ( الْمُقْتَسِمُونَ ) : أهل الكتاب ، ولكنهم سمو المقتسمين ، لأن بعضهم قال استهزاء بالقرآن : هذه السورة لي ، وقال بعضهم : هذه لي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة : أنه قال في هذه الآية ( الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ) قال : كانوا يستهزئون ، يقول هذا : لي سورة البقرة ، ويقول هذا : لي سورة آل عمران .

وقال آخرون : هم أهل الكتاب ، ولكنهم قيل لهم : المقتسمون : لاقتسامهم كتبهم ، وتفريقهم ذلك بإيمان بعضهم ببعضها ، وكفره ببعض ، وكفر آخريين بما آمن به غيرهم ، وإيمانهم بما كفر به الآخرون .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ( كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عيسى ) قال : هم اليهود والنصارى ، قسموا كتبهم ، ففرقوه ، وجعلوه أعضاء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( كما أنزلنا على المقتسمين ) قال : أهل الكتاب ، فرقوه وبدلوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( كما أنزلنا على المقتسمين ) قال : أهل الكتاب .  
وقال آخرون : عيسى بذلك رهط من كفار قريش بأعيانهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عيسى ) رهط خمسة من قريش ، عضهوا كتاب الله .  
وقال آخرون : عني بذلك رهط من قوم صالح ، الذين تقاسموا على تبئيت صالح وأهله .  
ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كما أنزلنا على المقتسمين ) قال : الذين تقاسموا بصالح ، وقرأ قول الله تعالى ( وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ) قال : تقاسموا بالله حتى بلغ الآية .

وقال بعضهم : هم قوم اقتسموا طرق مكة أيام قدوم الحاج عليهم . كان أهلها بعثهم في عقابها ، وتقدموا إلى بعضهم أن يشيع في الناحية التي توجه إليها لمن سأل عن نبي الله صلى الله عليه وسلم من القادمين عليهم ، أن يقول : هو مجنون ، وإلى آخر : إنه شاعر ، وإلى بعضهم : إنه ساحر .

والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : إن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم قومه الذين عضوا القرآن ففرقوه ، أنه نذير لهم من سخط الله تعالى وعقوبته ، أن يحل بهم على كفرهم ربهم ، وتكذيبهم نبيهم ، ما حل بالمقتسمين من قبلهم ومنهم . وجائز أن يكون عني بالمقتسمين : أهل الكتابين : التوراة والإنجيل ، لأنهم اقتسموا كتاب الله ، فأقرت اليهود ببعض التوراة ، وكذبت ببعضها ، وكذبت بالإنجيل والفرقان ، وأقرت النصارى ببعض الإنجيل وكذبت ببعضه وبالفرقان . وجائز أن يكون عني بذلك المشركون من قريش ، لأنهم اقتسموا القرآن ، فسماه بعضهم شعرا ، وبعض كنهانة ، وبعض أساطير الأولين . وجائز أن يكون عني به الفريقان ، ويمكن أن يكون عني به المقتسمون على صالح من قومه ،



فإذ لم يكن في التنزيل دلالة على أنه عُنِيَ به أحد الفرق الثلاثة ، دون الآخرين ، ولا في خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا في فِطْرَةِ عقل ، وكان ظاهر الآية محتملا ما وصفت ، وجب أن يكون مقضيا بأن كل من اقتسم كتابا لله ، بتكذيب بعض ، وتصديق بعض ، واقتسم على معصية الله ، ممن حل به عاجل نعمة الله في الدار الدنيا ، قبل نزول هذه الآية ، فداخل في ذلك ، لأنهم لأشكالهم من أهل الكفر بالله ، كانوا عبرة ، وللمتعظين بهم منهم عِظَةٌ .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ) فقال بعضهم : معناه : الذين جعلوا القرآن فِرْقًا مَفْتَرَةً .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ) قال : فرقا .

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : جزءوه ، فجعلوه أعضاء ، فأمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : جزءوه فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة ، عن عطاء ( الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ) قال : المشركون من قريش ، عَضُّوا الْقُرْآنَ ، فجعلوه أجزاء ، فقال بعضهم : ساحر ، وقال بعضهم شاعر ، وقال بعضهم : مجنون ، فذلك العِضُون .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ) : جعلوا كتابهم أعضاء كأعضاء الجزور ، وذلك أنهم تقطعوه زُبْرًا ، كل حزب بما لديهم فرحون ، وهو قوله ( فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ) : عَضُّهُوا كتاب الله : زعم بعضهم أنه سحر ، وزعم بعضهم أنه شِعْرٌ ، وزعم بعضهم أنه كاهن .

قال أبو جعفر : هكذا قال كاهن ، وإنما هو كهانة ، وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس الذي جعلوا القرآن عِضِينَ ، قال : آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثني يونس ، قال : أخبرني ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ) قال : جعلوه أعضاء ، كما تُعَضَّى الشاة . قال بعضهم : كهانة . وقال بعضهم : هو سحر . وقال بعضهم : شِعْرٌ . وقال بعضهم ( أساطيرُ الأولينَ اِكْتَسَبَهَا ) . الآية . جعلوه أعضاء كما تُعَضَّى الشاة

فوجه قائلو هذه المقالة قوله (عِضِينَ) إلى أن واحدها : عَضُو ، وأن عِضِينَ : جمعه ، وأنه مأخوذ من قولهم عَضَيْتُ الشئ تعضية : إذا فرقته ، كما قال رؤبة :

وليس دين الله بالمعضي<sup>١</sup>

يعنى بالمفروق ، وكما قال الآخر :

وعَضَى بِنِي عَوْفٍ ، فَأَمَّا عَدُوهُمْ فَأَرْضِي وَأَمَّا الْعِزَّ مِنْهُمْ فَعَسْبِرَا<sup>٢</sup>

يعنى بقوله : وعَضَى : سَبَّاهُمْ وَقَطَّعَاهُمْ بِالسَّنْبَمَا<sup>٣</sup> .

وقال آخرون : بل هي جمع عِضَّة ، جمعت عِضِينَ ، كما جمعت الثيرة بُرِينَ ، والعيزة عِزِينَ ، فإذا وُجِّه ذلك إلى هذا التأويل ، كان أصل الكلام عِضَّةً ، ذهب هاؤها الأصلية ، كما نقصوا الهاء من الشفة ، وأصلها شَفَهَةٌ ، ومن الشاة ، وأصلها شاهة ، يدل على أن ذلك الأصل تصغيرهم الشفة : شَفِيَّةً ، والشاة : شَوِيَّةً ، فيردون الهاء التي تسقط في غير حال التصغير ، إليها في حال التصغير ، يقال منه : عَضَيْتُ الرجلَ أَعْضَيْتُهُ عَضَيْتُهُ : إذا بَهَيْتَهُ ، وقذفته ببُهتان ، وكان تأويل من تأول ذلك كذلك : الذين عَضَبُوا القرآن ، فقالوا : هو يَحْرُ ، أو هو شعر ، نحو القول الذي ذكرناه عن قتادة .

وقد قال جماعة من أهل التأويل : إنه إنما عَنَى بالعَضَّة في هذا الموضع ، نسبتهم إياه إلى أنه يَحْرُ خاصة ، دون غيره من معاني الدم ، كما قال الشاعر :

للماءِ مِنْ عِضَاتِهِنَّ زَمْرَمَه<sup>٤</sup>

يعنى : من يَحْرُهْن .

(١) البيت لرؤبة في ديوانه (طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٨١) من أرجوزة له ، يمدح بها تيميا وسعدا ونفسه ، مطلعها : « داهيت أروي والديون تقضى » والبيت هو ال ٥١ فيها . واستشهد به أبو عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣٥٥) عند قوله تعالى « الذين جعلوا القرآن عضين » ، أي عضوه أعضاء ، أي فرقوه فرقا . قال رؤبة : وليس . . . الخ و (في اللسان : عضا) : عضيت الشاة والخزور تعضية : إذا جعلتها أعضاء وقسمتها . وعضى الشئ : وزعه وفرقه ، قال : وليس . . . البيت . ثم قال : وفي التزويل : « جعلوا القرآن عضين » : أي جزوه أجزاء ، آمنوا ببعضه ، وكفروا ببعض ، وقال ابن الأعرابي : فرقوا فيه القول ، فقالوا : شعر ، وسحر ، وكهانة ، فقسوه هذه الأقسام ، وعضوه أعضاء .

(٢) البيت لم أقت على قائله . ولعله للمخيل السعدي وعضى بنى عوف ، أي سباهم وقسمهم ، فأرضى عدوهم بذلك ، ومن بنى عوف ، فقير حاتم ، من السيادة إلى المذلة . ولعل رواية الشطر الثاني : « فأرضى ، وأما العز منهم فقبرا » ، وغبر بالياء الموحدة ، كما في بيت المخيل السعدي ، الذي أشده صاحب اللسان في غير ، وهو :

فَأَنْزَلَهُمْ دَارَ الضَّسْيَاعِ فَأَصْبَحُوا عَلَى مَسْعَدٍ مِنْ مَوْطِنِ الْعِزِّ أَعْسَبِرَا

يقال : عز أغير : أي ذاهب دارس . يريد أنه سبى فريقتا من بنى عوف ، وأذل فريقتا منهم .

(٣) قوله : « سباهم وقطعاهم بالسنبهما » : كذا في الأصل المخطوط (الورقة ٦٥ و ، جزء ١٤) ، ولعله سهو من المؤلف ، لأن الفعل « عضى » إذا كان من التعضية ، فهو مستند إلى واحد ، ولا يظهر في أي معنى يجعل المستند إليه معنى في كلام المؤلف .

(٤) البيت من مشطور الرجز ، ولم أقت على قائله . استشهد به المؤلف على أن « عضين » في الآية جمع « عضة » ، ومعناها عند قوم من أهل التأويل : السحر . وقال القراء (في معاني القرآن : ١٦٩) « الذين جعلوا القرآن عضين » : فرقوه ، إذ جعلوه سحرا ، وكذبا ، وأساطير الأولين . والعضون في كلام العرب : السحر بعينه . ويقال : عضوه : أي فرقوه ، كما تعضى الشاة والخزور . وواحد العضين عضة ، رفعها عضون ، ونصبها وخفضها عضين . وفي (اللسان : عضة) : وقال القراء : المنضون في كلام العرب : السحر ، وذلك أنه من العضة . اهـ . والزمزمة : الكلام غير البين .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : سحرا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عِضِينَ) قال : عَضَّوهُ وَبَهَتُوهُ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كان عكرمة يقول : العَضَّة : السحر ، بلسان قريش ، تقول للساحرة : إنها العاضبة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : سحرا ، أعضاء الكتب كلها ، وقريش فرقوا القرآن ، قالوا : هو سحر .

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ : أَنْ يُقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ ، أَمْرٌ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعْلِمَ قَوْمًا عَضَّوْهُ الْقُرْآنَ ، أَنَّهُ لَمْ نَذِيرَ مِنْ عِقَابِهِ تَنْزِيلَ بِهِمْ ، بَعْضُهُمْ لِإِيَّاهُ ، مِثْلَ مَا أَنْزَلَ بِالْمُقْتَسِمِينَ ، وَكَانَ عَضَّوْهُمُ إِيَّاهُ : قَدْ فَهَمُوهُ بِالْبَاطِلِ ، وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّهُ شَعْرٌ وَسِحْرٌ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

وإنما قلنا : إن ذلك أولى التأويلات به ، للدلالة ما قبله من ابتداء السورة وما بعده ، وذلك قوله (إننا كَفَيْتَنَّاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) على صحة ما قلنا ، وإنه إنما عُنِيَ بقوله (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) : مشركي قومه . وإذ كان ذلك كذلك ، فعلوم أنه لم يكن في مشركي قومه من يؤمن ببعض القرآن ، ويكفر ببعض ، بل إنما كان قومه في أمره على أحد معنيين : إما مؤمن بجميعه ، وإما كافر بجميعه . وإذ كان ذلك كذلك ، فالصحيح من القول في معنى قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) : قول الذين زعموا أنهم عَضَّوْهُ ، فقال بعضهم : هو سحر . وقال بعضهم : هو شعر ، وقال بعضهم : هو كهانة ، وما أشبه ذلك من القول ؛ أو عَضَّوْهُ ، ففرقوه بنحو ذلك من القول . وإذا كان ذلك معناه ، احتل قوله «عِضِينَ» ، أن يكون جمع : عِضَّة ، واحتمل أن يكون جمع عَضْوٍ ، لأن معنى التعضية : التفريق ، كما تُعَضَّى الْجَزُورُ وَالشَّاةُ ، فتفرق أعضاءه . والعَضَّة : التَّبَهُّتُ ، ورميه بالباطل من القول ، فهما متقاربان في المعنى :

## القول في تأويل قوله تعالى

فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلْتَنَّهُمُ الْجَمِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) فَأَصْدَعُ بِمَا تَوَمَّرُوا وَأَعْرَضُ

عَنِ الْمَشْرِكِينَ (٩٤)

\* يقول تعالى ذكره لئنبي محمد صلى الله عليه وسلم : فوربك يا محمد لنسألن هؤلاء الذين جعلوا القرآن

في الدنيا عِصِينَ في الآخرة عما كانوا يعملون في الدنيا، فيما أمرناهم به ، وفيما بعثناك به إليهم ، من آي كتابي الذي أنزلته إليهم ، وفيما دعوناهم إليه من الإقرار به ، ومن توحيدى والبراءة من الأنداد والأوثان :  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن بشير ، عن أنس ، في قوله ( فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَسْتَلْتَنَّهُمْ<sup>١</sup> أَجْمَعِينَ ) قال : عن شهادة أن لا إله إلا الله :  
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن بشير بن نبيك ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : ( فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَسْتَلْتَنَّهُمْ<sup>١</sup> أَجْمَعِينَ ) قال : عن لا إله إلا الله .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن بشير ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَسْتَلْتَنَّهُمْ<sup>١</sup> أَجْمَعِينَ ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) قال : عن لا إله إلا الله .  
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن هلال ، عن عبد الله بن عكشيم ، قال : قال عبد الله : « والذى لا إله غيره ، ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ، كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، فيقول : ابن آدم ، ماذا غرّك منى ؟ ابن آدم ، ماذا عملت فيما علمت ؟ ابن آدم ، ماذا أجبتم المرسلين ؟ »  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ( فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَسْتَلْتَنَّهُمْ<sup>١</sup> أَجْمَعِينَ ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) قال : يُسأل العباد كلهم عن خلقتين يوم القيامة : عما كانوا يعبدون ، وعما أجابوا المرسلين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا الحسين الجعفي ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي عن ابن عمر ( لَنَسْتَسْتَلْتَنَّهُمْ<sup>١</sup> أَجْمَعِينَ ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) قال : عن لا إله إلا الله .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَسْتَلْتَنَّهُمْ<sup>١</sup> أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) ، ثم قال ( فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْتَلُّ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ) قال : لا يسألهم : هل عملتم كذا وكذا ، لأنه أعلم بذلك منهم ، ولكن يقول لهم : لم عملتم كذا وكذا ؟

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، مولى زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل الله تعالى ذكره ( فاصدع<sup>١</sup> بما تؤمر ) فإنه أمر من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم ، بتبليغ رسالته قومه ، وجميع من أرسل إليه . ويعنى بقوله ( فاصدع<sup>١</sup> بما تؤمر ) : فأمض وافرق ، كما قال أبو ذؤيب :

وَكأْتُهُنَّ رِبَابَةً<sup>١</sup> وَكَأَنَّهُ<sup>١</sup> يَسَّرُ يَفِيضُ<sup>١</sup> عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ<sup>١</sup>

(١) البيت في شعر أبي ذؤيب من ديوان الهذليين ، القسم الأول (طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٥) . والربابة بكسر الراء : «



يعنى بقوله : يَصْدَعُ : يُفَرِّقُ بالقَدَاحِ .  
وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( فاصدعُ بِمَاءِ تُوْمَرٍ ) يقول : فأَمْضِهِ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فاصدعُ بِمَاءِ تُوْمَرٍ ) يقول : افعل ما تُوْمَرُ .

حدثنا الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله ( فاصدعُ بِمَاءِ تُوْمَرٍ ) قال : بالقرآن .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودى ، قال : ثنا يحيى بن إبراهيم ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ( فاصدعُ بِمَاءِ تُوْمَرٍ ) قال : هو القرآن .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله ( فاصدعُ بِمَاءِ تُوْمَرٍ ) قال : بالقرآن .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله ( فاصدعُ بِمَاءِ تُوْمَرٍ ) قال : الجهر بالقرآن فى الصلاة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ( فاصدعُ بِمَاءِ تُوْمَرٍ ) قال : بالقرآن فى الصلاة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فاصدعُ بِمَاءِ تُوْمَرٍ ) قال : اجهر بالقرآن فى الصلاة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن أخيه عبد الله ابن عبيدة ، قال : ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت ( فاصدعُ بِمَاءِ تُوْمَرٍ ) وأعرض عن المشركين ، فخرج هو وأصحابه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( فاصدعُ بِمَاءِ تُوْمَرٍ ) قال : بالقرآن الذى يوحى إليه أن يبلغهم إياه ، وقال تعالى ذكره ( فاصدعُ بِمَاءِ تُوْمَرٍ ) ولم يقل : بما تُوْمَرُ به ، والأمر يقتضى الباء ، لأن معنى الكلام : فاصدع بأمرنا ، فقد أمرناك أن تدعو إلى ما بعثناك به من الدين خلقى ، وأذننا لك فى إظهاره .

== حرقه تغطى بها القداح . ويقال الربابة هنا : هى القداح . والبسر : الذى يضرب بالقداح ، وهو المقيض ، ويصدع : يفرق ويصيح ، ويقيض على القداح : أى يدفعها ، ويضرب بها ، ونابت « على » نابت « الباء » ، والضمير فى كأنهن راجع إلى الأئتن المذكورة قبل البيت . وفى كأنهن راجع إلى حمار الوحش ، الذى يطردعا ، ويسوقها أمامه .

ومعنى « ما » التي في قوله ( بِمَا تُؤْمَرُ ) معنى المصدر ، كما قال تعالى ذكره ( يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ) معناه: افعل الأمر الذي تؤمر به . وكان بعض نحويي أهل الكوفة يقول في ذلك : حُدِّثت الباء التي يوصل بها تؤمر : من قوله ( فاصدعْ بِمَا تُؤْمَرُ ) ، على لغة الذين يقولون : أمرتك أمرا . وكان يقول : للعرب في ذلك لغتان : إحداهما أمرتك أمرا ، والأخرى أمرتك بأمر ، فكان يقول : إدخال الباء في ذلك وإسقاطها سواء ، واستشهد لقوله ذلك بقول حصين بن المنذر الرقاشي ، ليزيد بن المهلب :

أمرتك أمرا جازما فعصيتني فأصبحت مسلوب الإمارة نادما

فقال : أمرتك أمرا ، ولم يقل : أمرتك بأمر ، وذلك كما قال تعالى ذكره ( أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ) ، ولم يقل : بريهم ، وكما قالوا : مدت الزمام ، ومددت بالزمام ، وما أشبه ذلك من الكلام .

وأما قوله ( وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : بلغ قومك ما أرسلت به ، واكفف عن حرب المشركين بالله وقتلهم ، وذلك قبل أن يُعْرِضَ عليه جهادهم ، ثم نَسَخَ ذلك بقوله : ( فاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ) .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ) وهو من المنسوخ .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله ( وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ) - وَقُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ) وهذا النحو كله في القرآن أمر الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يكون ذلك منه ، ثم أمره بالقتال ، فَنَسَخَ ذلك كله ، فقال ( خُذُوا هُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ ) . . . الآية .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنا كفيناك المستهزين يا محمد ، الذين يستهزون بك ، ويسخرون منك ، فاصدعْ بأمر الله ، ولا تحف شيئا سوى الله ، فإن الله كافيك من ناصبك وأذاك ، كما كفاك المستهزين ، وكان رؤساء المستهزين قوما من قريش معروفين .

#### ذكر أسماءهم

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سكرمة ، قال : ثني محمد ، قال : كان عظماء المستهزين ، كما حدثني يزيد بن رومان ، عن عمرو بن الزبير : خمسة نفر من قومه ، وكانوا ذوى أسنان وشرف في قومهم . من بني أسد بن عبد العزى بن قصي : الأسود بن المطلب أبو زمعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني ، قد دعا عليه ، لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه ، فقال : اللهم أعم بصره ، وأثكله ولده . ومن بني زهرة : الأسود بن

(١) البيت : شاعداً على أنه يقال : أمرتك أمرا ، وأمرتك بأمر ، فيجوز أن يتعدى الفعل بنفسه وبالباء .



عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة . ومن بني مخزوم : الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم .  
ومن بني سہم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي : العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد بن  
سہم . ومن خزاعة : الحارث بن الطلائطة بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن مَسْكَان ، فلما تَمَادَوْا في الشرِّ ،  
وأكثرُوا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء ، أنزل الله تعالى ذكره : ( فاصدع بما تؤمر ، وأعرض  
عن المشركين ، إِنَّا كَفَيْتْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ) . . . إلى قوله ( فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ) : قال محمد بن  
إسحاق ، فحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، أو غيره من العلماء : أن جبرئيل أتى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالببيت ، فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فرآه الأسود  
ابن المطلب ، فرمى في وجهه بورقة خضراء ، فعصبي . ومرّ به الأسود بن عبد يغوث ، فأشار إلى بطنه ،  
فاستسقى بطنه ، فمات منه حبنا . ومرّ به الوليد بن المغيرة ، فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله ، كان  
أصابه قبل ذلك بسنتين ، وهو يجرّ سببته ، يعنى إزاره ، وذلك أنه مرّ برجل من خزاعة يبريش نبلا له ،  
فتعلق سہم من نبله بإزاره ، فخدش رجله ذلك الخدش ، وليس بشيء ، فانتقص به ، فقتله ، ومرّ به العاص  
ابن وائل السهمي ، فأشار إلى أخمص رجله ، فخرج على حمار له يريد الطائف ، فوقيص على شبرقة ، فدخل  
في أخمص رجله منها شوكة ، فقتله .

قال أبو جعفر : الشبرقة : المعروف بالحسك ، منه حبنا ، والخبين : الماء الأصفر ؛ ومرّ به الحارث  
ابن الطلائطة ، فأشار إلى رأسه ، فامتخط قبحا فقتله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد القرشي ، عن رجل ،  
عن ابن عباس ، قال : كان رأسهم الوليد بن المغيرة ، وهو الذي جمعهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد ، عن سعيد بن جبيرة ، في قوله ( إِنَّا  
كَفَيْتْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ) قال : كان المستهزين : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وأبو زمعة  
والأسود بن عبد يغوث ، والحارث بن عبيطلة ، فاتاه جبرئيل ، فأومأ بأصبعه إلى رأس الوليد ، فقال :  
ما صنعت شيئا ، قال : كُفَيْتَ ؛ وأومأ بيده إلى أخمص العاص ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما صنعتت  
شيئا ، فقال : كُفَيْتَ ؛ وأومأ بيده إلى عين أبي زمعة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما صنعتت شيئا ،  
قال : كُفَيْتَ ؛ وأومأ بأصبعه إلى رأس الأسود ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دَعُ لِي خَالِي ، فقال :  
كُفَيْتَ ؛ وأومأ بأصبعه إلى بطن الحارث ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما صنعتت شيئا ، فقال كُفَيْتَ .  
قال : فرآ الوليد على قنين لخزاعة وهو يجرّ ثيابه ، فتعلقت بثوبه برؤة أو شررة<sup>٢</sup> ، وبين يديه نساء ، فجعل  
يستحي أن يطأ من ينزع عنها ، وجعلت تضرب ساقه فخدشته ، فلم يزل مريضا حتى مات ؛ وركب العاص بن  
وائل بغلة له بيضاء ، إلى حاجة له بأسفل مكة ، فذهب ينزل ، فوضع أخمص قدمه على شبرقة ، فحكّت رجله ،  
فلم يزل يحكها حتى مات ؛ وعمى أبو زمعة ؛ وأخذت الأكلية في رأس الأسود ؛ وأخذ الحارث الماء في بطنه .

(١) كذا في الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب ( الورقة ٦٩ و ) ولعله قد سقط من العبارة بعضها . وأصلها :  
الشبرقة : واحدة الشبرق ، المعروف بالحسك . ويقال : مات منه حبنا . والخبين ... الخ . وانظر خبر كفاية الله لبيه المستهزين في سيرة  
ابن هشام ( طبعة الحلبي ٢ : ٥٠ - ٥٢ من الطبعة الأولى ) فقد نقله المؤلف هنا ، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ .  
(٢) البروة : لغة في البرة ، وهي الحلقة من صفر ونحوه ، يريد بها ما يتطاير من الحديد عند الطرق بالمطارق . والشررة :  
واحدة الشرر ، وفي الأصل : شررة ، ولا معنى له هنا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( إِنَّا كَفَيْْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ) قال : هم خمسة رهط من قريش : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وأبو زمعة والحرث بن عيطلة ، والأسود بن قيس .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( إِنَّا كَفَيْْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ) قال : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل السهمي ، والأسود ابن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، والحرث بن عيطلة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، في قوله ( إِنَّا كَفَيْْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ) قال : هم خمسة كلهم هلك قبل بدر : العاص بن وائل ، والوليد بن المغيرة ، وأبو زمعة بن عبد الأسود ، والحرث بن قيس ، والأسود بن عبد يغوث .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة عن عمرو ، عن عكرمة ( إِنَّا كَفَيْْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ) قال : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والأسود بن عبد يغوث ، والحرث بن عيطلة .

حدثنا المنثي ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي بكر الهذلي ، قال : قلت : للزُّهري : إن سعيد بن جبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزئين ، فقال سعيد : هو الحرث بن عيطلة ، وقال عكرمة : هو الحرث بن قيس ، فقال : صدقا ، كانت أمه تسمى عيطلة ، وأبوه قيس .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن الشعبي ، قال : المستهزئين سبعة ، وسمي منهم أربعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ( إِنَّا كَفَيْْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ) قال : كانوا من قريش خمسة نفر : العاص بن وائل السهمي ، كُفِي بِصُدَاعِ أَخْذِهِ فِي رَأْسِهِ ، فَسَال دِمَاغُهُ ، حَتَّى كَانَ يَتَكَلَّمُ مِنْ أَنْفِهِ ؛ وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ الْخَزَوِمِيُّ ، كُفِيَ بِرَجُلٍ مِنْ خِزَاعَةِ أَصْلَحَ سَهْمَا لَهُ ، فَندرت منه شَطَطِيَّةٌ ، فَوَطِئُ عَلَيْهَا فَمَاتَ ؛ وَهَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَعَبْدُ يَغُوثِ بْنِ وَهَبٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَيْطَلَةَ .

حدثنا أحمد بن إسماعيل ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ( إِنَّا كَفَيْْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ) قال : كلهم من قريش : العاص بن وائل ، فكُفِيَ بِأَنَّهُ أَصَابَهُ صُدَاعٌ فِي رَأْسِهِ ، فَسَال دِمَاغُهُ ، حَتَّى لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا مِنْ تَحْتِ أَنْفِهِ ؛ وَالْحَارِثُ بْنُ عَيْطَلَةَ بِصَقَرٍ فِي بَطْنِهِ ؛ وَابْنُ الْأَسْوَدِ فَكُفِيَ بِالْجُدَارِيِّ ؛ وَالْوَلِيدُ بِأَنْ رَجُلًا ذَهَبَ لِيُصَلِّحَ سَهْمَا لَهُ ، فَوَقَعَتْ شَطَطِيَّةٌ ، فَوَطِئُ عَلَيْهَا ؛ وَعَبْدُ يَغُوثِ فَكُفِيَ بِالْعَمَى ، ذَهَبَ بَصَرُهُ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، وعن مِقْسَمِ ( إِنَّا كَفَيْْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ) قال : هم الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وعدى بن قيس ، والأسود ابن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، مَرُّوا رَجُلًا رَجُلًا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ جَبْرِئِيلُ ، فَإِذَا مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَالَ جَبْرِئِيلُ : كَيْفَ تَجِدُ هَذَا ؟ فيقول : بئس عدو الله ، فيقول جبرئيل : كفاكه ؛



فأما الوليد بن المغيرة ، فتردى ، فتعلق سهم بردائه ، فذهب يجلس ، ففقط أكحله ، فُنزِفَ فمات ؛ وأما الأسود بن عبد يغوث ، فأُتِيَ بغصن فيه شوك ، فضرب به وجهه ، فسالت حدقتاه على وجهه ، فكان يقول : دعوت على محمد دعوة ، ودعا على دعوة ، فاستجيب لي ، واستجيب له ؛ دعا على أن أعمى ، فعميت ؛ ودعوت عليه أن يكون وحيدا فريدا في أهل يثرب ، فكان كذلك . وأما العاص بن وائل ، فوطئ على شوكة فتساقط لحمه عن عظامه حتى هلك . وأما الأسود بن المطلب ، وعدى بن قيس ، فإن أحدهما قام من الليل وهو ظمآن ، فشرب ماء من جرة ، فلم يزل يشرب حتى انفتق بطنه فمات . وأما الآخر فلدغته حية فمات .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة وعثمان ، عن مِقْسَمِ مولى ابن عباس ، في قوله ( إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ) ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن ابن ثور .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ) هم رهط خمسة من قريش ، عَصَهُوا الْقُرْآنَ ، زعم بعضهم أنه سحر ، وزعم بعضهم أنه شعر ، وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين ؛ أما أحدهم فالأسود بن عبد يغوث ، أتى على نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو عند البيت ، فقال له الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بيئس عبئد الله على أنه خالي ، قال : كفيناك ؛ ثم أتى عليه الوليد بن المغيرة ، فقال له الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بيئس عبئد الله قال : كفيناك ؛ ثم أتى عليه عدى بن قيس أخو بني سهم ، فقال الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بيئس عبئد الله ، قال : كفيناك ؛ ثم أتى عليه الأسود بن المطلب ، فقال له الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بيئس عبئد الله ، قال : كفيناك ؛ ثم أتى عليه العاص بن وائل ، فقال له الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بيئس عبئد الله ، قال : كفيناك . فأما الأسود بن عبد يغوث ، فأُتِيَ بغصن من شوك ، فضرب به وجهه ، حتى سالت حدقتاه على وجهه ، فكان بعد ذلك يقول : دعا على محمد بدعوة ، ودعوت عليه بأخرى ، فاستجاب الله له في ، واستجاب الله لي فيه ، دعا على أن أتكلم وأن أعمى ، فكان كذلك ؛ ودعوت عليه أن يصير شريدا طريدا ، فطردناه مع يهود يثرب وسراق الحبيج ، وكان كذلك . وأما الوليد بن المغيرة ، فذهب برتدى ، فتعلق بردائه سهم غرّب ، فأصاب أكحله أو أبجله ، فأُتِيَ في كل ذلك ، فمات . وأما العاص بن وائل ، فوطئ على شوكة ، فأُتِيَ في ذلك ، جعل يتساقط لحمه عضوا عضوا ، فمات وهو كذلك . وأما الأسود بن المطلب ، وعدى بن قيس ، فلا أدري ما أصابهما . .

ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ ، نَهَى أَصْحَابَهُ عَنِ قَتْلِ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ ، وَقَالَ : خذوه أخذًا ، فإنه قد كان له بلاء ، فقال له أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا البختري ، إنا قد نهبنا عن قتلك ، فهلم إلى الأمانة والأمان ، فقال أبو البختري : وابن أخي معي ، فقالوا : لم نؤمر إلا بك ، فراودوه ثلاث مرّات ، فأبى إلا وابن أخيه معه ، قال : فأغلظ للنبي صلى الله عليه وسلم الكلام ، فحمل عليه رجل من القوم فطمعنه فقتله ، فجاء قاتله وكأنما على ظهره جبل أو ثقل ، مخافة أن يلومه النبي صلى الله عليه وسلم ؛

(١) سهم غرب ، يسكون الراء وفتحها : لا يدري من أين أتاه (اللسان) .

فلما أخبر بقوله ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : أَبَعْدَهُ اللهُ وَأَسْحَقَهُ . وهم المستهزئون الذين قال الله : ( إِنَّا كَفَيْتْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ) : استهزؤا بكتاب الله ، ونبيه صلى الله عليه وسلم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ( إِنَّا كَفَيْتْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ) : هم من قريش .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وزعم ابن أبي بزة أنهم : العاص بن وائل السهمي ، والوليد بن المغيرة الوحيد ، والحارث بن عدي بن سهم بن العيطلة ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، وهو أبو زمعة ، والأسود بن عبد يغوث ، وهو ابن خال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، نحو حديث محمد بن عبد الأعلى ، عن محمد بن ثور ، غير أنه قال : كانوا ثمانية ، ثم عدّهم وقال : كلهم مات قبل بدر .

وقوله ( الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ) : وعيد من الله تعالى ذكره ، وتهديد للمستهزئين ، الذين أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قد كفاه أمرهم ، بقوله تعالى ذكره : إِنَّا كَفَيْتَاكَ يَا مُحَمَّدُ السَّخِرِينَ مِنْكَ ، الجاعلين مع الله شريكا في عبادته ، فسوف يعلمون ما يلحقون من عذاب الله عند مصيرهم إليه في القيامة ، وما يُحْمَلُ بهم من البلاء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ، وَكُنْ مِنَ

السَّاجِدِينَ (٩٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك ، من تكذيبهم إياك ، واستهزأهم بك ، وبما جشتم به ، وأن ذلك يُخْرِجُكَ . ( فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ) يقول : فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم إلى الشكر لله ، والثناء عليه والصلاة ، يكفك الله من ذلك ما أمرك . وهذا نحو الخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه كان إذا حَزَبَهُ أمر فترع إلى الصلاة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) .



\* يقول تعالى ذكره لنبية صلى الله عليه وسلم : واعبد ربك حتى يأتيك الموت ، الذى هو موقن به .  
وقيل : يقين ، وهو موقن به ، كما قيل : خمر عتيق ، وهى معتقمة .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، قال : ثنا طارق بن عبد الرحمن ، عن  
سالم بن عبد الله ( وأَعْبُدُ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ) قال : الموت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المنثى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا  
عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى عباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرنى ابن كثير ، أنه سمع مجاهدا  
يقول : ( حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ) قال : الموت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَأَعْبُدُ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ  
الْيَقِينُ ) قال : يعنى الموت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ )  
قال : اليقين : الموت .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنى المنثى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مبارك بن فضالة ، عن  
الحسن ، فى قوله ( حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ) قال : الموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن طارق ، عن سالم ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَأَعْبُدُ رَبَّكَ حَتَّى  
يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ) قال : الموت ، إذا جاء الموت ، جاءه تصديق ما قال الله له ، وحدثه من أمر الآخرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب « أن  
خارجة بن زيد بن ثابت أخبره ، عن أمّ العلاء امرأة من الأنصار قد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

أخبرته أنهم اقتسموا المهاجرين قرعة ، قالت : وطار لنا عثمان بن مظعون ، فأزلناه فى أبياتنا ، فوجيع وجعه  
الذى مات فيه ؛ فلما تَوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فى أثوابه ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت :

يا عثمان بن مظعون ، رحمة الله عليك أبا السائب ، فشهادتى عليك ، لقد أكرمك الله . فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم : « رَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ ؟ » قالت : يا رسول الله فمن ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : أَمَا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ، وَاللَّهِ لَأَتَى لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرُ » :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا إسماعيل ، قال : ثنا إبراهيم بن سعد ، قال : ثنا ابن شهاب ، عن خارجة بن زيد ، عن أمّ العلاء امرأة من نساءهم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه . حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا إبراهيم بن إسماعيل ، عن محمد بن شهاب ، أن خارجة بن زيد ، حدثه عن أمّ العلاء امرأة منهم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه ، إلا أنه قال في حديثه : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَمَا هُوَ فَقَدْتُ عَيْنَ الْيَقِينِ » .

## تفسير سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ، سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١)

\* يقول تعالى ذكره : أتى أمر الله ، فقرّب منكم أيها الناس ودنا ، فلا تستعجلوا وقوعه . ثم اختلف أهل التأويل في الأمر الذي أعلم الله عباده مجيئه وقربه منهم ما هو ؟ وأي شيء هو ؟ فقال بعضهم : هو فرائضه وأحكامه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن جوير ، عن الضحّاك ، في قوله ( أتى أمر الله فلا تستعجلوه ) قال : الأحكام والحدود والفرائض . وقال آخرون : بل ذلك وعيد من الله لأهل الشرك به ، أخبرهم أن الساعة قد قربت ، وأن عذابهم قد حضر أجله ، فدنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما نزلت هذه الآية ، يعني ( أتى أمر الله فلا تستعجلوه ) قال : رجال من المنافقين بعضهم لبعض : إن هذا يزعم أن أمر الله أتى ، فأسيكوا عن بعض ما كنتم تعملون ، حتى تنظروا ما هو كائن ؛ فلما رأوا أنه لا ينزل شيء ، قالوا : ما نراه نزل شيء ، فنزلت : ( اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ) فقالوا : إن هذا يزعم مثلها أيضا ؛ فلما رأوا أنه لا ينزل شيء ، قالوا : ما نراه نزل شيء ، فنزلت : ( ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحيسه ، ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم ، وحقّ إليهم ما كانوا به يستهزئون ) .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي بكر بن حفص ، قال : لما نزلت ( أتى أمر الله ) رفعوا رؤوسهم ، فنزلت ( فلا تستعجلوه ) .



حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو بكر بن شعيب ، قال : سمعت أبا صادق يقرأ ( يا عبادي ، أتي أمرُ الله فلا تستعجلوه ) .

وأولى القولين في ذلك عندى بالصواب : قول من قال : هو تهديد من الله أهل الكفر به وبرسوله ، وإعلام منه لهم قرب العذاب منهم والهلاك ، وذلك أنه عقب ذلك بقوله ( سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ) فدلّ بذلك على تقرّبه المشركين ، ووعيده لهم . وبعد ، فإنه لم يبلغنا أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل فرائض قبل أن تُفرض عليهم ، فيقال لهم من أجل ذلك : قد جاءكم فرائض الله فلا تستعجلوها . وأما مستعجلو العذاب من المشركين ، فقد كانوا كثيرا .

وقوله سبحانه وتعالى ( عَمَّا يُشْرِكُونَ ) يقول تعالى ذكره تنزيها لله ، وعلوا له عن الشرك الذي كانت قريش ومن كان من العرب على مثل ما هم عليه ، يتدين به .

واختلفت القراءة في قراءة قوله تعالى ( عَمَّا يُشْرِكُونَ ) فقرأ ذلك أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيون : ( عَمَّا يُشْرِكُونَ ) بالياء على الخبر عن أهل الكفر بالله ، وتوجيه الخطاب بالاستعجال إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك قرءوا الثانية بالياء . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالتاء على توجيه الخطاب بقوله ( فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ) إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبقوله تعالى ( عَمَّا يُشْرِكُونَ ) إلى المشركين . والقراءة بالتاء في الحرفين جميعا على وجه الخطاب للمشركين : أولى بالصواب ، لما بينت من التأويل ، أن ذلك إنما هو وعيد من الله للمشركين ، ابتداء أول الآية بتهديدهم ، وختم آخرها بنكير فعلهم ، واستعظام كفرهم ، على وجه الخطاب لهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ

إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢)

اختلفت القراءة في قراءة قوله ( يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ( يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ ) بالياء ، وتشديد الزاي ، ونصب الملائكة ، بمعنى : ينزل الله الملائكة بالروح . وقرأ ذلك بعض البصريين وبعض المكيين ( يُسَنزِلُ الْمَلَائِكَةَ ) بالياء ، وتخفيف الزاي ، ونصب الملائكة . وحكى عن بعض الكوفيين أنه كان يقرؤه ( تَسَنزِلُ الْمَلَائِكَةَ ) بالتاء ، وتشديد الزاي ، والملائكة بالرفع ، على اختلاف عنه في ذلك . وقد روى عنه موافقة سائر قراء بلده .

وأولى القراءات بالصواب في ذلك عندى : قراءة من قرأ ( يُسَنزِلُ الْمَلَائِكَةَ ) بمعنى : ينزل الله ملائكة . وإنما اخترت ذلك ، لأن الله هو المنزل ملائكته بوحيه إلى رسله ، فإضافة فعل ذلك إليه ، أولى وأحق . واخترت ينزل بالتشديد على التخفيف ، لأنه تعالى ذكره كان ينزل من الوحي على من نزله ، شيئا بعد شيء ، والتشديد به ، إذ كان ذلك معناه ، أولى من التخفيف .

فتأويل الكلام: ينزل الله ملائكته بما يحيا به الحق، ويضمحل به الباطل. من أمره على من يشاء من عباده، يعني على من يشاء من رسله، أن أنذروا، فإن الأولى في موضع خفض، رداً على الروح، والثانية في موضع نصب بأنذروا. ومعنى الكلام: ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده، بأن أنذروا عبادي سطوتي على كفرهم بي، وإشراكهم في اتخاذهم معي الآلهة والأوثان، فإنه لا إله إلا أنا، يقول: لا تنبغي الألوهة إلا لي، ولا يصلح أن يُعبد شيء سواي، فاتقون: يقول: فاحذروني بأداء فرائضي، وإفراد العبادة، وإخلاص الربوبية لي، فإن ذلك نجاتكم من الهلكة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا المنثي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (يُنزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ) يقول: بالوحي.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (يُنزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ، عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) يقول: ينزل الملائكة... حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، وحدثني المنثي، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، وحدثني المنثي، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (بالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ) إنه لا ينزل ملك إلا ومعه رُوح.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال مجاهد، قوله (يُنزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ) قال: لا ينزل ملك إلا معه رُوح، ينزل الملائكة بالروح من أمره (على مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) قال: بالنبوة، قال ابن جريج: وسمعت أن الرُّوح: خلق من الملائكة، نزل به الروح (وَيَسْتَكُونُكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِي) .

حدثني المنثي، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، في قوله: (يُنزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ، عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) قال: كلُّ كَلِمَةٍ تكلم به ربنا فهو رُوح منه (وكذلك أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا) . . . إلى قوله (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) .

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يُنزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ) يقول: ينزل بالرحمة والوحي من أمره (على مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) فيصطفي منهم رسلاً. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (يُنزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) قال: بالوحي والرحمة.

(١) أي بنحو ما قبله، من حديث المنثي عن ابن عباس، كما جرت به عادة المؤلف في مواضع كثيرة.



وأما قوله ( أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ) فقد بينا معناه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ) إنما بعث الله المرسلين أن يوحد الله وحده ، ويقطع أمره ، ويحجب سخطه .

القول في تأويل قوله تعالى

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣)

يقول تعالى ذكره معرفاً خلقه حجته عليهم في توحيده ، وأنه لا تصلح الألوهة إلا له : خلق ربكم أيها الناس السموات والأرض بالعدل ، وهو الحق ، منفرداً بخلقها ، لم يشركه في إنشائها وإحداثها شريك ، ولم يعنه عليه معين ، فأنتي يكون له شريك ( تعالی عما يشركون ) . يقول جل ثناؤه : علا ربكم أيها القوم عن شرككم ودعواكم إلهاً دونه ، فارتفع عن أن يكون له مثل أو شريك أو ظهير ، لأنه لا يكون إلهاً إلا من يخلق وينشي بقدرته مثل السموات والأرض ، ويتبدع الأجسام ، فيحدثها من غير شيء ، وليس ذلك في قدرة أحد سوى الله الواحد القهار ، الذي لا تنبغي العبادة إلا له ، ولا تصلح الألوهة لشيء سواه .

القول في تأويل قوله تعالى

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ، فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٤)

يقول تعالى ذكره : ومن حججه عليكم أيضاً أيها الناس ، أنه خلق الإنسان من نطفة ، فأحدث من ماء مهين خلقاً عجيباً ، قلبه تارات خلقتاً بعد خلق ، في ظلمات ثلاث ، ثم أخرجه إلى ضياء الدنيا ، بعد ما تم خلقه ، ونفخ فيه الروح ، فغذاه ورزقه القوت ، ونماه ، حتى إذا استوى على سوقه ، كفر بنعمة ربه ، وجحد مدبره ، وعبد من لا يضر ولا ينفع ، وخاصم إلهه ، فقال : ( من يحيي العظام وهى رميم ) ؟ ونسي الذي خلقه ، فسواه خلقاً سويًا من ماء مهين ، ويعنى بالمبين : أنه يبين عن خصومته بمنطقه ، ويجادل بلسانه ، فذلك إبانته ، وعسى بالإنسان : جميع الناس ، أخرج بلفظ الواحد ، وهو في معنى الجميع .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّا نَعْمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : ومن حججه عليكم أيها الناس ، ما خلق لكم من الأنعام ، فسخرها لكم ، وجعل لكم من أصوافها وأوبارها وأشعارها ، ملابس تدفئون بها ، ومنافع من ألبانها ، وظهورها تركيبها ( ومنها تأكلون ) يقول : ومن الأنعام ما تأكلون لحمه ؛ كالإبل والبقر والغنم ، وسائر ما يؤكل لحمه ، وحذفت « ما » من الكلام ، لدلالة من عليها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى وعلي بن داود ، قال : المثنى أخبرنا ، وقال ابن داود : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَاهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ) يقول : الثياب . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَاهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ) يعني بالدفء : الثياب ، والمنافع : ما ينتفعون به من الأطعمة والأشربة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ) قال : لباس ينسج ، ومنها مَرَكَبٌ ولحم ولبن . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ) لباس ينسج ، ومنافع : مَرَكَبٌ ولحم ولبن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قوله ( لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ ) قال : نَسْلُ كُلِّ دَابَّةٍ .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل بإسناده ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَاهَا لَكُمْ ، فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ ) يقول : لكم فيها لباس ومنفعة وبسطة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : قال ابن عباس ( وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَاهَا لَكُمْ ، فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ) قال : هو منافع وما كل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَاهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ ) قال : دِفْءٌ اللُّحُفُ التي جعلها الله منها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغني عن مجاهد ( وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَاهَا لَكُمْ ، فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ ) قال : نِتَاجُهَا ، وركوبها ، وألبانها ، ولحومها .

القول في تأويل قول تعالى

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا

بَلِيغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ، إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧)

يقول تعالى ذكره : ولكم في هذه الأنعام والمواشي التي خلقها لكم ( جمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ ) : يعني

(١) اللحف : جمع لحاف ، وهو كل ما يلتحف به الإنسان للدفء ، من عباءة ، وكساء ، ونحوهما .



تردونها بالعشي من مسارحها إلى مراحها ومنازلها التي تأوى إليها، ولذلك سمي المكان: المراح ، لأنها تروح إليه عشيا ، فتأوى إليه ، يقال منه : أراح فلان ماشيته ، فهو يريحها لإراحة . وقوله ( وَحِينَ تَسْرَحُونَ ) يقول : وفي وقت إخراجكموها غدوة من مراحها إلى مسارحها ، يقال منه : سرح فلان ماشيته يسرحها تسريحا ، إذا أخرجها للرعى غدوة ، وسرحت المشية : إذا خرجت للمرعى ، تسرح سرحا وسررحا ، فالسرح بالغداة ، والإراحة بالعشي ، ومنه قول الشاعر :

كَأَنَّ بَنَاقِيَا الْأُتُنِّ فَوْقَ مَسْتَوِيهِ مَدَبُّ الدَّبِّيِّ فَوْقَ النَّقَا وَهُوَ سَارِحٌ  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ) وذلك أعجب ما يكون إذا راحت عظاما ضروعها ، طوالا أسنمتها ، وحين تسرحون : إذا سرحت لرعيها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ) قال : إذا راحت كأعظم ما تكون أسنمة ، وأحسن ما تكون ضروعا . وقوله ( وَتَحْمِيلُ أَنْقَالِكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ) يقول : وتحمل هذه الأنعام أثقالكم إلى بلد آخر ، لم تكونوا بالغيه إلا بجهد من أنفسكم شديد ، ومشقة عظيمة .

كما حدثنا أحمد بن إسحاق قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن جابر ، عن عكرمة ، وتحميل أنقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشيق الأنفس ) قال : لو تكلفتموه لم تبلغوه إلا بجهد شديد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ( إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ) قال : لو كلفتموه لم تبلغوه إلا بشق الأنفس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثني ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وحدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ) قال : مشقة عليكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَتَحْمِيلُ أَنْقَالِكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ) يقول : بجهد الأنفس .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

(١) لعل الشاعر يصف حمارا وحشيا . يقول : إن الأتني قد عضفته ، فتركن فوق متونه آثارا ، كانت كأنها طريق لذي ، وهو صفار الجراد ، فوق النقا ، وهو الكثيب الأبيض من الرمل . ولم أعر على البيت ولا قائله .

واختلفت القراء في قراءة ذلك . فقرأته عامة قراء الأمصار بكسر الشين ( إلاّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ ) سوى أبي جعفر القارئ ، فإن المثني حدثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا أبو سعيد الرازي ، عن أبي جعفر قارئ المدينة ، أنه كان يقرأ ( لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ ) بفتح الشين ، وكان يقول : إنما الشقّ : شقّ النفس . وقال ابن أبي حماد : وكان معاذ الهراء يقول : هي لغة ، تقول العرب : بِشِقِّ وَبِشِقِّ ، وَبِرِقِّ وَبِرِقِّ .

بِبِشِقِّ والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ما عليه قراء الأمصار ، وهي كسر الشين ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وشذوذ ما خالفه ، وقد ينشد هذا البيت بكسر الشين وفتحها ، وذلك قول الشاعر :

وَذِي إِبِلٍ يَسْتَعِي وَيَحْسِبُهَا لَهُ أُخِي نَصَبٍ مِّنْ شِقِّهَا وَدُءُوبِ

ومن شِقِّها أيضا بالكسر والفتح ؛ وكذلك قول العجاج :

أَصْبَحَ مَسْحُولٌ يُوَازِي شِقًّا

وشِقًّا بالفتح والكسر ، ويعنى بقوله « يوازي شقًّا » : يقاسي مشقة . وكان بعض أهل العربية يذهب بالفتح إلى المصدر من شَقَّقْتُ عليه أَشِقُّ شَقًّا ، وبالكسر إلى الاسم . وقد يجوز أن يكون الذين قرءوا بالكسر ، أرادوا إلا بنقص من القوة ، وذهاب شيء منها ، حتى لا يبلغه إلا بعد نقصها ، فيكون معناه عند ذلك : لم تكونوا بالغية إلا بشِقِّ قُوَى أَنْفُسِكُمْ ، وذهاب شِقِّها الآخر . ويُحكى عن العرب : خذ هذا الشقّ : لشِقَّةِ الشاة بالكسر . فأما في شَقَّتْ عليك شَقًّا فلم يُحكى فيه إلا النصب .

وقوله ( إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ) يقول تعالى ذكره : إن ربكم أئيبها الناس ذو رأفة بكم ورحمة ، ومن رحمته بكم خلق لكم الأنعام لمنافعكم ومصالحكم . وخلق السموات والأرض أدلة لكم على وحدانية ربكم ، ومعرفة إلهكم ، لشكروه على نعمه عليكم ، فيزيدكم من فضله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَ الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ، وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)

بِبِشِقِّ يقول تعالى ذكره : وخلق الخيل والبغال والحمير لكم أيضا ، لتركبوها وزينة : يقول ، وجعلها لكم زينة ، تترزنون بها ، مع المنافع التي فيها لكم ، للركوب وغير ذلك ؛ ونصب الخيل والبغال ، عطفا على الهاء والألف في قوله ( خَلَقْنَاهَا ) ، ونصب الزينة بفعل مضممر على ما بيّنت ، ولو لم يكن معها واو ، وكان الكلام لتركبوها زينة ، كانت منصوبة بالفعل الذي قبلها ، الذي هي به متصلة ، ولكن دخول الواو آذنت بأن معها ضمير فعل ، وبانقطاعها عن الفعل الذي قبلها .

(١) البيت للتمرين تولب العكلى (اللسان : شقق) وقال أبو عبيدة في معاني القرآن (١ : ٣٥٦) « إلا بشق الأنفس » بكسر أوله ، ويفتح ، ومعناه : بمشقة الأنفس . وفي اللسان : الشق : المشقة . قال ابن بري : شاهد الكسر قول النمر بن تولب : وذى إبل ... البيت .

(٢) البيت في ديوان العجاج (طبع ليسج سنة ١٩٠٣ ص ٤٤٠) وهو شاهد على أن الشق بالكسر : بمعنى المشقة . ومسحول : بمعنى بعيره ، ويوازي : يقاسي .



وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( لَيْسَ كَيْبُوهَا وَزَيْنَةٌ ) قال : جعلها لركبها ، وجعلها زينة لكم . وكان بعض أهل العلم يرى أن في هذه الآية دلالة على تحريم أكل لحوم الخيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو ضمرة ، عن أبي إسحاق ، عن رجل ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَيْسَ كَيْبُوهَا ) قال : هذه للركوب ، ( وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ) قال : هذه للأكل .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا هشام الدستوائي ، قال : ثنا يحيى بن أبي كثير ، عن مولى نافع بن علقمة ، أن ابن عباس كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير ، وكان يقول : قال الله ( وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ) ، فهذه للأكل ، ( وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَيْسَ كَيْبُوهَا ) ، فهذه للركوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، أنه سئل عن لحوم الخيل ، فكرهها ، وتلا هذه الآية ( وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَيْسَ كَيْبُوهَا ) . . . الآية .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه سئل عن لحوم الخيل ، فقال : اقرأ التي قبلها ( وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَيْسَ كَيْبُوهَا وَزَيْنَةٌ ) فجعل هذه للأكل ، وهذه للركوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنينة ، عن أبيه ، عن الحكم ( وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ) فجعل منه الأكل ، ثم قرأ حتى بلغ ( وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَيْسَ كَيْبُوهَا ) قال : لم يجعل لكم فيها أكلا ، قال : وكان الحكم يقول : والخيل والبغال والحمير : حرام في كتاب الله .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن أبي غنينة ، عن الحكم ، قال : لحوم الخيل حرام في كتاب الله ، ثم قرأ ( وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ ) . . . إلى قوله ( لَيْسَ كَيْبُوهَا ) . وكان جماعة غيرهم من أهل العلم يخالفونهم في هذا التأويل ، ويرون أن ذلك غير دال على تحريم شيء ، وأن الله جل ثناؤه إنما عرّف عباده بهذه الآية ، وسائر ما في أوائل هذه السورة ، نعمه عليهم ، ونبتهم به على حُججه عليهم ، وأدلته على وحدانيته ، وخطأ فعل من يشرك به من أهل الشرك .

ذكر بعض من كان لا يرى بأساً بأكل لحم الفرس

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، أنه أكل لحم الفرس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، عن الأسود بنحوه .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفیان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : نحر أصحابنا فرساً في النجج ، وأكلوا منه ، ولم يروا به بأساً .

والصواب من القول في ذلك عندنا ، ما قاله أهل القول الثاني ، وذلك أنه لو كان في قوله تعالى ذكره ( لَيْسَ كَبِيرًا ) دلالة على أنها لا تصلح ( إذ كانت للركوب ) للأكل ، لكان في قوله ( فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ) دلالة على أنها لا تصلح ( إذ كانت للأكل والدفء ) للركوب ، وفي إجماع الجميع على أن ركوب ما قال تعالى ذكره ( وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ) جائز حلال غير حرام ، دليل واضح على أن أكل ما قال ( لَيْسَ كَبِيرًا ) : جائز حلال غير حرام ، إلا بما نص على تحريمه ، أو وضع على تحريمه دلالة : من كتاب ، أو وحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم . فأما بهذه الآية ، فلا يحرم أكل شيء . وقد وضع الدلالة على تحريم لحوم الحمير الأهلية ، بوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى البغال بما قد بينا في كتابنا ، كتاب الأطعمة ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، إذ لم يكن هذا الموضع من مواضع البيان عن تحريم ذلك ، وإنما ذكرنا ما ذكرنا ، ليدل على أن لا وجه لقول من استدل بهذه الآية على تحريم لحم الفرس .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عبد الكريم ، عن عطاء ، عن جابر ، قال :

كنا نأكل لحم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : فالبغال ؟ قال : أما البغال فلا .

وقوله ( وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره : ويخلق ربكم مع خلقه هذه الأشياء التي ذكرها لكم ، ما لا تعلمون ، مما أعيذ في الجنة لأهلها ، وفي النار لأهلها ، مما لم تره عين ، ولا سمعته أذن ، ولا خطر على قلب بشر .

القول في تأويل قول تعالى

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِرٌ ، وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمِينَ (٩)

يقول تعالى ذكره : وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر . والقصد من الطريق : المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ، كما قال الراجز :

فَقَصِدْ عَنِ تَهْجِجِ الطَّرِيقِ الْقَاصِدِ

(١) البيت شاهد على أن الطريق القاصد : معناه المستقيم . قال في اللسان : القصد : استقامة الطريق ، قصد يقصد قصداً ، فهو قاصد ، وقوله تعالى : « وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر » : أي على الله تبيين الطريق المستقيم ، والدعاء بالجمع والبراهين الواضحة . « ومنها جائر » : أي ومنها طريق غير قاصد . وطريق قاصد : سهل مستقيم .



وقوله ( وَمِنْهَا جَائِرٌ ) يعنى تعالى ذكره : ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوج ، فالقاصد من السبيل : الإسلام ، والجائر منها : اليهودية والنصرانية ، وغير ذلك من ملل الكفر ، كلها جائر عن سواء السبيل وقصدها ، سوى الخنيفية المسلمة . وقيل : ومنها جائر ، لأن السبيل يؤنث ويذكر ، فأثنت في هذا الموضع . وقد كان بعضهم يقول : وإنما قيل : ومنها ، لأن السبيل وإن كان لفظها لفظ واحد ، فمعناها الجمع . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ) يقول : البيان .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ) يقول : على الله البيان : أن يبين الهدى والضلالة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ( وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ) قال : طريق الحق على الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ) : يقول : على الله البيان ، بيان حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ) : قال : السبيل : طريق الهدى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك ( وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ) قال : إنارتها .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ) : يقول : على الله البيان ، يبين الهدى من الضلالة ، ويبين السبيل التى تفرقت عن سبله ، ومنها جائر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمِنْهَا جَائِرٌ ) : أى من السبيل ، سبيل الشيطان . وفى قراءة عبد الله بن مسعود ( وَمِنْكُمْ جَائِرٌ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَمِنْهَا جَائِرٌ ) قال : فى حرف ابن مسعود : ( وَمِنْكُمْ جَائِرٌ ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَمِنْهَا جَائِرٌ ) يعني : السبل المتفرقة .

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَمِنْهَا جَائِرٌ ) يقول : الأهواء المختلفة .

حدثت عن ابن عباس ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَمِنْهَا جَائِرٌ ) : يعني : السبل التي تفرقت عن سبيله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَمِنْهَا جَائِرٌ ) السبل المتفرقة عن سبيله .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمِنْهَا جَائِرٌ ) قال : من السبل جائر عن الحق ، قال : قال الله ( وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَقْرَبَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ) .

وقوله ( وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ) يقول : ولو شاء الله لالطف بجميعكم أيها الناس ، بتوفيقه ، فكنتم تهتدون ، وتلزمون قصد السبيل ، ولا تجورون عنه ، فتتفرقون في سبل عن الحق جائرة .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ) قال : لو شاء لهداكم أجمعين لقصد السبيل ، الذي هو الحق ، وقرأ ( وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ) . . . الآية ، وقرأ ( وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ) . . . الآية .

#### القول في تأويل قوله تعالى

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ ، وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠)

يقول تعالى ذكره : والذي أنعم عليكم هذه النعم ، وخلق لكم الأنعام والخيل وسائر البهائم لمنافعكم ومصالحكم ، هو الرب الذي أنزل من السماء ماء ، يعني : مطرا ، لكم من ذلك الماء شراب تشربونه ، ومنه شراب أشجاركم ، وحياة غروبكم ونباتها . ( فِيهِ تُسِيمُونَ ) يقول : في الشجر الذي ينبت من الماء الذي أنزل من السماء تُسِيمُونَ ، يعني تُرْعُونَ ، يقال منه : أسام فلان إبله يُسِيمها إسامة ، إذا أراعها ، وسومها أيضا يسومها ، وسامت هي : إذا رعت ، فهي تسوم ، وهي إبل سائمة . ومن ذلك قيل للمواشي المطلقة في الفلاة وغيرها للرعى : سائمة . وقد وجه بعضهم معنى السوم في البيع ، إلى أنه من هذا ، وأنه ذهاب كل واحد من المتبايعين ، فيما ينبغي له من زيادة ثمن ونقصانه ، كما تذهب سوائم المواشي ، حيث شاءت من مراعيها ؛ ومنه قول الأعشى :

وَمَشَى الْقَوْمُ بِالْعِمَادِ إِلَى الْمَرْءِ عَمَى وَأَعْيَا الْمُسِيمَ ابْنَ الْمَسَاقِ

(١) البيت لأعشى بن ثعلبة : ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢١٣) من قصيدة له قالها بنجران ، يتشوق إلى قومه مفتخرا بهم . والرواية فيه : « إلى الرزحى » بدل « إلى المرعى » : يقول : هزل الإبل الجوع ، فسقطت على الأرض =



وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة ( وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ) ، قال : تُرْعُونَ .

حدثنا أحمد بن سهيل الواسطي ، قال : ثنا قررة بن عيسى ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة ، في قوله ( فِيهِ تُسِيمُونَ ) قال : تُرْعُونَ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ترعون .

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ) يقول : شجر يُرْعُونَ فيه أنعامهم وشاءهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ( فِيهِ تُسِيمُونَ ) قال : تُرْعُونَ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية وأبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاك : فيه تُرْعُونَ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، عن الضحاك ، في قوله ( تُسِيمُونَ ) يقول : تُرْعُونَ أنعامكم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن طلحة بن أبي طلحة القنّاد ، قال : سمعت عبد الله بن عبد الرحمن ابن أْبْرَى ، قال : فيه تُرْعُونَ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ) يقول : تُرْعُونَ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : تُرْعُونَ .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة في قول الله ( شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ) قال : تُرْعُونَ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ) قال : تُرْعُونَ ؛ قال : الإسامة : الرعية ؛ وقال الشاعر :

من الإعياء ، رمى الناس إليها ، يضمون الأعمدة تحت بطونها ، ليعينوها على الوقوف ، وأعيان الراعي أن يجد المراعي ، لاستحكام الجذب . والرزحى : الإبل تهزل ، فلا تستطيع المشي ، فتسقط ، وهي جمع رازح ، يضمون العماد تحت بطونها ، ثم يرفعونها . والميم : اسم فاعل من أسام المشاة : أزعاجها في المرعى . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن : ١ : ٣٥٧ ) يقال : أسامت إبل ، وسامت هي : أي رعيها .

مثل ابن بزعة أو كآختر مثله أولى لك ابن مسيمة الأجمال<sup>١</sup>

قال : يا بن راعية الأجمال .

القول في تأويل قوله تعالى

يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره : يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ : يَنْبِتُ لَكُمْ بِالْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ زُرْعَتَكُمْ وَزَيْتُونَتَكُمْ وَنَخِيلَكُمْ وَأَعْنَابَكُمْ ، وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ : يَعْنِي مِنْ كُلِّ الْفَوَاكِهِ غَيْرِ ذَلِكَ ، أَرْزَاقًا لَكُمْ وَأَقْوَاتًا وَإِدَامًا وَفَاكِهَةً ، نِعْمَةٌ مِنْهُ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ وَتَفَضُّلاً ، وَحُجَّةٌ عَلَى مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْكُمْ ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ) يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : إِنَّ فِي إِخْرَاجِ اللَّهِ بِمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ ، مَا وَصَفَ لَكُمْ ، لَآيَةً : يَقُولُ : لِلدَّلَالَةِ وَاضِحَةٌ ، وَعَلَامَةٌ بَيْنَهُ ( لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ) . يَقُولُ : لِقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ مَوَاعِظَ اللَّهِ ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي حُجَّتِهِ ، فَيَتَذَكَّرُونَ وَيُسَبِّحُونَ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره : وَمِنْ نِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ، مَعَ الَّتِي ذَكَرَهَا قَبْلَ : أَنْ سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَعاقِبَانِ عَلَيْكُمْ ، هَذَا لِتَصْرَفِكُمْ فِي مَعَاشِكُمْ ، وَهَذَا لِسَكْنِكُمْ فِيهِ ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِمَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ أَرْزَاقِكُمْ وَشَهُورِكُمْ وَسِنِينِكُمْ ، وَصَلَاحِ مَعَاشِكُمْ ( وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ ) لَكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ ، تَجْرِي فِي فَلَكَهَا ، لَتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) : يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : إِنَّ فِي تَسْخِيرِ اللَّهِ ذَلِكَ عَلَى مَا سَخَّرَهُ ، لِلدَّلَالَاتِ وَاضِحَاتٍ ، لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ حُجَجَ اللَّهِ ، وَيَفْهَمُونَ عَنْهُ تَنْبِيهَهُ إِيَّاهُمْ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا ذَرَأَّا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَرُّونَ (١٣)

يقول جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ ( وَمَا ذَرَأَّا لَكُمْ ) : وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا ذَرَأَّا : أَيَّ مَا خَلَقَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ ، مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ، مِنَ الدُّوَابِّ وَالثَّمَارِ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا ذَرَأَّا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ ) يقول : وَمَا خَلَقَ لَكُمْ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ مِنَ الدُّوَابِّ ، وَمِنَ الشَّجَرِ وَالثَّمَارِ ، نَعَمَ مِنَ اللَّهِ مُتَظَاهِرَةً ، فَاشْكُرُوا اللَّهَ .

(١) البيت تقدم الاستشهاد به في الجزء الثالث من هذا التفسير (ص ٢٠٤) فارجع إلى شرحنا له في ذلك الموضع . وهو هنا شاهد على أن معنى « تسمون » : ترعون ، أي تخرجونها إلى المرعى .



حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : من الدواب والأشجار والثمار ، ونصب قوله مختلفا ، لأن قوله ( وما ) : في موضع نصب بالمعنى الذى وصفت . وإذا كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون مختلفا ألوانه ، حالا من « ما » ، والخبر دونه تام . ولو لم تكن « ما » في موضع نصب ، وكان الكلام مبتدأ من قوله ( وما ذرأ لكم ) لم يكن في مختلف إلا الرفع ، لأنه كان يصير مرفاع « ما » حينئذ .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَا كَلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ، وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلُكَ مَوَاحِرَ فِيهِ ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : والذى فعل هذه الأفعال بكم ، وأنعم عليكم ، أيها الناس هذه النعم : الذى سخر لكم البحر ، وهو كل نهر . ملحاحا كان ماؤه أو عذبا ( لينا كلوا منه لحما طريا ) وهو السمك الذى يُصطاد منه ، ( وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ) ، وهو اللؤلؤ والمرجان .

كما حدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( وهو الذى سخر البحر لينا كلوا منه لحما طريا ) قال : منهما جميعا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، قال : هذا اللؤلؤ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لينا كلوا منه لحما طريا ) يعنى : حيتان البحر .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا حماد ، عن يحيى ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الملك ، قال : جاء رجل إلى أبي جعفر ، فقال : هل في حيل النساء صدقة ؟ قال : لا ، هي كما قال الله تعالى ( حلية تلبسونها ، وترى الفلوك ) يعنى : السفن ( مواحير فيه ) وهي جمع ماخرة . وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( مواحير ) فقال بعضهم : المواخر : المواقير .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، في قوله ( وترى الفلوك مواحير فيه ) قال : المواقير .

وقال آخرون في ذلك : ما حدثنا به عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، عن أبي بكر الأصم ، عن عكرمة ، في قوله ( وترى الفلوك مواحير فيه ) قال : ما أخذ عن يمين السفينة وعن يسارها من الماء ، فهو المواخر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي مكين ، عن عكرمة ، في قوله ( وترى الفلوك مواحير فيه ) قال : هي السفينة تقول بالماء هكذا ، يعنى : تشقه .

وقال آخرون فيه ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ( وَتَرَى الْفُلُكَ مَوَآخِرَ فِيهِ ) قال : تجرى فيه متعرجة .

وقال آخرون فيه ، بما حدثني به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ( وَتَرَى الْفُلُكَ مَوَآخِرَ فِيهِ ) قال : تمخر السفينة الرياح ، ولا تمخر الرياح من السفن ، إلا الفلك العظيم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المنثي ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه ، غير أن الحارث قال في حديثه : ولا تمخر الرياح من السفن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( مَوَآخِرَ ) قال : تمخر الرياح . وقال آخرون فيه : ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَتَرَى الْفُلُكَ مَوَآخِرَ فِيهِ ) تجرى بريح واحدة ، مقبلة ومدبرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : تجرى مقبلة ومدبرة ، بريح واحدة .

حدثنا المنثي ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن يزيد بن إبراهيم ، قال : سمعت الحسن ( وَتَرَى الْفُلُكَ مَوَآخِرَ فِيهِ ) قال : مقبلة ومدبرة بريح واحد . والمخر في كلام العرب : صوت هبوب الريح ، إذا اشتد هبوبها ، وهو في هذا الموضع : صوت جرئ السفينة بالريح إذا عصفت ، وشقها الماء حينئذ بصدرها ، يقال : منه : تخرت السفينة تمخر محرًا ومخورا ، وهي ماخرة ، ويقال : امتخرت الريح وتمخرتها : إذا نظرت من أين هبوبها ، وتسمعت صوت هبوبها . ومنه قول واصل مولى ابن عيينة : كان يقال : إذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح ، يريد بذلك : لينظر من أين مجراها وهبوبها ، ليستدبرها ، فلا ترجع عليه البول ، وتردّه عليه .

وقوله ( وَكَلِمَاتٌ مِّنْ فَضْلِهِ ) يقول تعالى ذكره : ولتصرفوا في طلب معاشكم بالتجارة ، تخر لكم من فضلها ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَكَلِمَاتٌ مِّنْ فَضْلِهِ ) قال : تجارة البر والبحر .

وقوله ( وَكَلِمَاتٌ مِّنْ فَضْلِهِ ) يقول : ولتذكروا ربكم على ما أنعم به عليكم من ذلك ، سخر لكم ما سخر من هذه الأشياء ، التي عدّها في هذه الآيات .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَن تَمِيدَ بِكُمْ ، وَأَنهَارًا سُبُلًا لِّمَلَكِكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥)



يقول تعالى ذكره : ومن نعيمه عليكم أيها الناس أيضا ، أن أتى في الأرض رواسي ، وهي جمع راسية ، وهي الثوابت في الأرض من الجبال . وقوله ( أن تميد بكم ) يعني : أن لا تميد بكم ، وذلك كقوله ( يبسين الله لكم أن تضيئوا ) ، والمعنى : أن لا تضلوا ، وذلك أنه جل ثناؤه أرسى الأرض بالجبال ، لئلا يميد خلقه الذي على ظهرها ، وقد كانت مائدة قبل أن تُرسى بها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن قيس بن عباد أن الله تبارك وتعالى لما خلق الأرض جعلت تمور ، قالت الملائكة : ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا ، فأصبحت صبحا وفيها رواسيا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن حبيب ، عن علي بن أبي طالب ، قال : لما خلق الله الأرض قمصت ، وقالت : أي رب أنجعل علي بني آدم ، يعملون علي الخطايا ، ويعملون علي التحبث ؟ قال : فأرسى الله عليها من الجبال ماترون ومالاترون ، فكان قرارها كاللحم يترجرج . والميد : هو الاضطراب والتكفر ، يقال : ما ذات السفينة تميدا مبيدا : إذا تكفأت بأهلها ، ومالت ، ومنه المييد الذي يعتري راكب البحر : وهو الدور .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أن تميد بكم ) : أن تكفأت بكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله ( وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم ) . قال : الجبال أن تميد بكم . قال قتادة : سمعت الحسن يقول : لما خلقت الأرض كادت تميد ، فقالوا : ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا ، فأصبحوا وقد خلقت الجبال ، فلم تدبر الملائكة م خلقت الجبال ؟

وقوله ( وأنهارا ) يقول : وجعل فيها أنهارا ، فعطف بالأنهار على الرواسي ، وأعمل فيها ما أعمل في الرواسي ، إذ كان مفهوما معنى الكلام والمراد منه ، وذلك نظير قول الراجز :

تَسْمَعُ فِي أَجْوَاهِيهِنَّ صَوْرًا      وَفِي الْيَدَيْنِ حَشَّةً وَبَوْرًا<sup>١</sup>

(١) هذا من الرجز ، ولم أفت على قائله . والصور : الصوت ( اللسان ) ، أولعله محرف عن الصور بالضاد ، والمراد به : الصوت يشبه الأنين في الجوف من شدة الجوع ، قال في اللسان : الصور : شدة الجوع . والتصور ، التلوي والسياح ، من وجع الضرب أو الجوع . وتصور الذئب والكلب والأسد والتعلب : صباح عند الجوع . والحشة ، بتشديد الشين : اليبس . يقال حشت اليد وأحشت وهي محس : يبست . وأكثر ذلك في الشلل . والبور بالفتح : مصدر بار ، بمعنى هلك وفسد . والبور أيضا : الهالك القاسد ، ولعله يريد وصف ناقته بأنه أضر بها الجوع فصاحت ، وأن في يديها يبسا أي شللا وفسادا . وقد بين الإمام الطبري موضع الشاهد في التفسير .

وَالْحَشَّةُ: الْيُبْسُ، فَعَطَفَ بِالْحَشَّةِ عَلَى الصَّوْتِ، وَالْحَشَّةُ لَا تَسْمَعُ، إِذْ كَانَ مَفْهُومًا الْمُرَادَ مِنْهُ، وَأَنْ مَعْنَاهُ: وَتَرَى فِي الْيَدَيْنِ حَشَّةً.

وقوله (وَسُبُلًا) وهي جمع سبيل، كما الطرق: جمع طريق. ومعنى الكلام: وجعل لكم أيها الناس في الأرض سُبُلًا وفجاءا تسلكونها، وتسيرون فيها في حوائجكم، وطلب معاشكم رحمة بكم، ونعمة منه بذلك عليكم، ولو عمّاها عليكم، لهلكتم ضلالا وحيرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل:

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (سُبُلًا): أي طرقا: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (سُبُلًا) قال: طرقا. وقوله (لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ) يقول: لكي تهتدوا بهذه السبل التي جعلها لكم في الأرض، إلى الأماكن التي تقصدون، والمواضع التي تريدون، فلا تضلوا وتتحيروا.

القول في تأويل قوله تعالى

وَعَلَّمْتِ، وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦)

اختلف أهل التأويل في المعنى بالعلامات، فقال بعضهم: عني بها معالم الطرق بالنهار.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس (وَعَلَّمْتِ، وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) يعني بالعلامات: معالم الطرق بالنهار، وبالنجم هم يهتدون بالليل. وقال آخرون: عني بها النجوم.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم (وَعَلَّمْتِ، وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) قال: منها ما يكون علامات، ومنها ما يهتدون به.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد (وَعَلَّمْتِ، وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) قال: منها ما يكون علامة، ومنها ما يهتدى به.

حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا قبيصة، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، مثله.

قال المثنى، قال: ثنا إسحاق: خالف قبيصة وكيعا في الإسناد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَعَلَّمْتِ، وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)

والعلامات: النجوم، وإن الله تبارك وتعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات: جعلها



زينة للسماء ، وجعلها يهتدى بها ، وجعلها رجوما للشياطين ، فمن تعاطى فيها غير ذلك ، فتمدّ رأيه ، وأخطأ حفظه ، وأضاع نصيبه ، وتكلّف ما لا علم له به .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَعَلَامَاتٍ ) قال النجوم وقال آخرون : 'عني بها الجبال :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبي : وعلامات ، قال : الجبال .  
 ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره عدّد على عباده من نعمه ، إنعامه عليهم ، بما جعل لهم من العلامات التي يهتدون بها في مسالكهم وطرقهم ، التي يسبرونها ، ولم يخصص بذلك بعض العلامات دون بعض ، فكل علامة استدلت بها الناس على طرقهم ، وفجّاج سبلهم ، فداخل في قوله ( وَعَلَامَاتٍ ) والطرق المسبولة : الموطوءة ، علامة للناحية المقصودة ، والجبال علامات يهتدى بهنّ إلى قصد السبيل ، وكذلك النجوم بالليل ، غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية : أن تكون العلامات من أدلة النهار إذ كان الله قد فصلّ منها أدلة الليل بقوله ( وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ) ؛ وإذ كان ذلك أشبه وأولى بتأويل الآية ، فالواجب أن يكون القول في ذلك ما قاله ابن عباس في الخبر الذي رويناه عن عطية عنه ، وهو أن العلامات معالم الطرق ، وأماراتها التي يهتدى بها إلى المستقيم منها نهاراً ، وأن يكون النجم الذي يهتدى به ليلاً هو الحدّى والقرّقدان ، لأنّ بها اهتداء السفر ، دون غيرها من النجوم .  
 فتأويل الكلام إذن : وجعل لكم أيها الناس علامات تستدلون بها نهاراً على طرقكم في أسفاركم ، ونجوماً يهتدون بها ليلاً في سبلكم :

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ، إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨)

﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لعبدة الأوثان والأصنام : أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة ، التي عددناها عليكم ، وينعم عليكم هذه النعم العظيمة ، كمن لا يخلق شيئاً ، ولا ينعم عليكم نعمة صغيرة ولا كبيرة : يقول : أتشركون هذا في عبادة هذا ؟ يعرفهم بذلك عظم جهلهم ، وسوء نظرهم لأنفسهم ، وقلّة شكرهم لمن أنعم عليهم بالنعم التي عدّها عليهم ، التي لا يحصيها أحد غيره ، قال لهم جلّ ثناؤه موبخهم . ( أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ) أيها الناس : يقول : أفلا تذكرون نعم الله عليكم ، وعظيم سلطانه وقدرته على ما شاء ، وعجز أوثانكم وضعفها ومهانتها ، وأنها لا تجلب إلى نفسها نفعاً ، ولا تدفع عنها ضرراً ، فتعرفوا بذلك خطأ ما أنتم عليه مقيمون ، من عبادتكموها ، وإقراركم لها بالألوهة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَنْ ) لا يَخْلُقُ أَفْلا تَدَّكَّرُونَ ) والله هو الخالق الرازق، وهذه الأوثان التي تُعبد من دون الله مُخَلَّقٌ، ولا تُخَلَّقُ شيئاً، ولا تملك لأهلها ضرراً ولا نفعاً، قال الله: (أَفلا تَدَّكَّرُونَ) . وقيل ( كَنْ ) لا يَخْلُقُ ) : هو الوثن والصنم ، و « مَنْ » : لذوي التمييز خاصة، فجعل في هذا الموضع لغيرهم للتمييز ، إذ وقع تفصيلاً بين من يخلق ومن لا يخلق . وَخَكِيَّ عن العرب : اشتبه على الراكب وجهه ، فما أدري من ذا ، ومن ذا ، حيث جمعاً ، وأحدهما إنسان، حسنت مَنْ فيهما جميعاً . ومنه قول الله عز وجل ( فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ) . وقوله ( وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ) لا تطيقوا أداء شكرها ، ( إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ) يقول جل ثناؤه : إن الله لغفور لما كان منكم من تقصير في شكر بعض ذلك ، إذا تبتم وأنبتم إلى طاعته ، واتباع مَرْضَاتِهِ ، رحيم بكم أن يعذبكم عليه ، بعد الإنابة إليه والتوبة .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً، وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : والله الذي هو إلهكم أيها الناس ، يعلم ما تُسِرُّونَ في أنفسكم من ضمائركم ، فتخفونه عن غيركم ، فما تبدونه بألسنتكم وجوارحكم ، وما تعلنونه بألسنتكم وجوارحكم وأفعالكم ، وهو محص ذلك كله عليكم ، حتى يجازيكم به يوم القيامة ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء منكم بإساءته ، ومُسَائِلُكُمْ عما كان منكم من الشكر في الدنيا على نعمه التي أنعمها عليكم فيها ، التي أحصيت ، والتي لم تحصوا . وقوله ( وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ) يقول تعالى ذكره : وأوثانكم الذين تدعون من دون الله أيها الناس آلهة ، لا يَخْلُقُ شيئاً وهي مُخَلَّقٌ ، فكيف يكون إلهاماً كان مصنوعاً مُدَبَّرًا ، لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضرراً .

## القول في تأويل قوله تعالى

أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ، وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١)

يقول تعالى ذكره لهُؤلاءِ المشركين من قريش : والذين تدعون من دون الله أيها الناس ( أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ) ؛ وجعلها جل ثناؤه أمواتاً غير أحياء ، إذ كانت لا أرواح فيها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ، وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ) وهي هذه الأوثان التي تُعبد من دون الله أموات لا أرواح فيها ، ولا تملك



لأهلها ضراً ولا نفعاً ، وفي رفع الأموات وجهان : أحدهما أن يكون خبراً للذين ، والآخر على الاستئناف وقوله ( وَمَا يَشْعُرُونَ ) يقول : وما تدري أصنامكم التي تدعون من دون الله متى تبعث ؟ وقيل : إنما عُنِيَ بذلك الكفار ، أنهم لا يدرون متى يبعثون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ ، وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : معبودكم الذي يستحق عليكم العبادة ، وإفراد الطاعة له دون سائر الأشياء : معبود واحد ، لأنه لا تصلح العبادة إلا له ، فأفردوا له الطاعة ، وأخلصوا له العبادة ، ولا تجعلوا معه شريكاً سواه ( فالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ ) يقول تعالى ذكره : فالذين لا يصدقون بوعد الله ووعيده ، ولا يُقَرِّونَ بالمعاد إليه بعد الممات ، قلوبهم منكرة ، يقول تعالى ذكره : مستنكرة لما نقص عليهم من قدرة الله وعظمته ، وجميل نعمه عليهم ، وأن العبادة لا تصلح إلا له ، والألوهة ليست لشيء غيره ؛ يقول : وهم مستكبرون عن إفراد الله بالألوهة ، والإقرار له بالوحدانية ، اتباعاً منهم لما مضى عليه من الشرك بالله أسلافهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ ) لهذا الحديث الذي مضى ، وهم مستكبرون عنه .

القول في تأويل قوله تعالى

لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣)

يعنى تعالى ذكره بقوله : لا جرم حقا أن الله يعلم ما يسرّ هؤلاء المشركون ، من إنكارهم ما ذكرنا من الأنبياء في هذه السورة ، واعتقادهم تكبير قولنا لهم : إلهكم إله واحد ، واستكبارهم على الله ، وما يعلنون من كفرهم بالله وفيريتهم عليه ( إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ) يقول : إن الله لا يحب المستكبرين عليه أن يوحدوه ، ويخلعوا ما دونه من الآلهة والأنداد .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا مسعر ، عن رجل ، أن الحسن بن علي كان يجلس إلى المساكين ، ثم يقول ( إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَ أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من المشركين : ماذا أنزل ربكم ؟ أي شيء أنزل ربكم ؟ قالوا : الذي أنزل ما سطره الأولون من قبلنا من الأباطيل .

وكان ذلك كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ماذا أنزل ربكم ؟ ) قالوا أساطير الأولين ) يقول : أحاديث الأولين وباطلهم ، قال ذلك قوم من مشركي العرب كانوا يقعدون بطريق من أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا مرّ بهم أحد من المؤمنين ، يريد نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا لهم : أساطير الأولين ، يريد : أحاديث الأولين وباطلهم .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أساطير الأولين ) يقول : أحاديث الأولين .

القول في تأويل قوله تعالى

لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بغير علم ، ألا

سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : يقول هؤلاء المشركون لمن سألم : ماذا أنزل ربكم : الذي أنزل ربنا فيما يزعم محمد عليه : أساطير الأولين ، لتكون لهم ذنوبهم التي هم عليها مقيمون ، من تكذيبهم الله ، وكفرهم بما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن ذنوب الذين يصدّونهم عن الإيمان بالله ، يضلون : يفتنون منهم بغير علم . وقوله ( ألا ساء ما يزرّون ) يقول : ألا ساء الإثم الذي يأثمون ، والثقل الذي يتحملون .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) ومن أوزار من أضلوا احتمالهم ذنوب أنفسهم ، وذنوب من أطاعهم ، ولا يخفف ذلك عن أطاعهم من العذاب شيئا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه ، إلا أنه قال : ومن أوزار الذين يضلونهم : حملهم ذنوب أنفسهم ، وسائر الحديث مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ ) قال : حملهم ذنوب أنفسهم وذنوب من أطاعهم ، ولا يخفف ذلك عن أطاعهم من العذاب شيئا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) : أي ذنوبهم وذنوب الذين يضلونهم بغير علم ، ( ألا ساء ما يزرّون ) .



حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( لِيُحْصِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) يقول : يحملون ذنوبهم ، وذلك مثل قوله ( وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ) يقول : يحملون مع ذنوبهم ذنوب الذين يضلُّونهم بغير علم .

حدثني المنثي ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، ( لِيُحْصِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ) . قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَيْمًا دَاعٍ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ فَاتَّبِعَ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مِثْلَ أَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ؛ وَأَيْمًا دَاعٍ دَعَا إِلَى هُدًى فَاتَّبِعَ ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِمْ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ » .

حدثني المنثي ، قال : أخبرنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن رجل ، قال : قال زيد بن أسلم : « إنه بلغه أنه يتمثل للكافر عمله في صورة أقبح ما خلق الله وجهها ، وأنته ربحاً ، فيجلس إلى جنبه كلما أفرعه شيء زاده فزعا ، وكلما تخوف شيئاً زاده خوفاً ، فيقول : بئس الصاحب أنت ، ومن أنت ؟ فيقول : وما تعرفني ؟ فيقول لا ، فيقول : أنا عمك كان قبيحا ، فلذلك تراني قبيحا ، وكان منتنا ، فلذلك تراني منتنا ، طأطأ إلى أركبك ، فطأنا ركبتني في الدنيا ، فيركبه ، وهو قوله ( لِيُحْصِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَدَّمَكِرَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ، فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ قَوَائِمِهِمْ ،  
وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين ، الذين يصدون عن سبيل الله ، من أراد اتباع دين الله ، فراموا مغالبة الله ببناء بنوهم ، يريدون بزعمهم الارتفاع إلى السماء لحرب من فيها . وكان الذي رام ذلك فيما ذكر لنا جبارا من جبابرة النبط ، فقال بعضهم : هو عمرو بن كنعان . وقال بعضهم : هو بختنصر ، وقد ذكرت بعض أخبارهما في سورة إبراهيم . وقيل : إن الذي ذكر في هذا الموضع هو الذي ذكره الله في سورة إبراهيم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أمر الذي حاج إبراهيم في ربه بإبراهيم فأخترج ، يعني : من مدينته ، قال : فلقى لوطا على باب المدينة ، وهو ابن أخيه ، فدعاه ، فأمن به ، وقال : إني مهاجر إلى ربي ، وحلف عمرو أن يطلب إله إبراهيم ، فأخذ أربعة أفراخ من فِراخ

النسور ، فرباهن باللحم والخبز ، حتى كبرن وغلظن واستعجلن ، فربطهن في تابوت ، وقعد في ذلك التابوت ، ثم رفع هن رجلا من لحم ، فطرن . حتى إذا ذهبن في السماء ، أشرف ينظر إلى الأرض ، فرأى الجبال تدب كدبيب النمل ، ثم رفع هن اللحم ، ثم نظر فرأى الأرض محيطة بها بحر ، كأنها فسلكة في ماء ، ثم رفع طويلا فوقع في ظلمة ، فلم ير ما فوقه وما تحته ، ففرع ، فألقى اللحم ، فاتبعته متقصّات ، فلما نظرت الجبال إلين ، وقد أقبلن متقصّات ، وسمعت حفيفهن ، فزِعَت الجبال ، وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن ، وذلك قول الله تعالى ( وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَيَسْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ) ، وهي في قراءة ابن مسعود ( وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ ) فكان طيّبُورَين به من بيت المقدس ووقوعهن به في جبل الدخان ؛ فلما رأى أنه لا يطيق شيئا ، أخذ في بنيان الصرح ، فبنى حتى إذا شيده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر ، يزعم إلى إله إبراهيم ، فأحدث ، ولم يكن يحدث ، وأخذ الله بُنْيَانَهُ مِنْ الْقَوَاعِدِ ، ( فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَأَنَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ) يقول : من مأمئهم ، وأخذهم من أساس الصرح ، فتنقض بهم ، فسقط ، فتبليت ألسن الناس يومئذ من الفرع ، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا ، فلذلك سميت بابل . وإنما كان لسان الناس من قبل ذلك بالسُريانية . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ) قال : هو نمروذ حين بنى الصرح .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم : إن أول جبار كان في الأرض نمروذ ، فبعث الله عليه بعوضة ، فدخلت في منخره ، فكث أربع مئة سنة يضرب رأسه بالمطارق ، أرحم الناس به من جمع يديه ، فضرب رأسه بهما ، وكان جبارا أربع مئة سنة ، فعذبه الله أربع مئة سنة كملكه ، ثم أماته الله ؛ وهو الذي كان بنى صرحا إلى السماء ، وهو الذي قال الله : ( فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ، فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ) . وأما قوله ( فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ) فإن معناه : هدم الله بنيانهم من أصله . والقواعد : جمع قاعدة ، وهي الأساس . وكان بعضهم يقول : هذا مثل للاستئصال ، وإنما معناه : أن الله استأصلهم . وقال : العرب تقول ذلك إذا استؤصل الشيء . وقوله ( فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فخر عليهم السقف من فوقهم : أعالي بيوتهم من فوقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ) : إى والله ، لأنها أمر الله من أصلها ( فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ) والسقف : أعالي البيوت ، فَأَتَتْكَ بِهِمْ بِيوتهم ، فأهلكهم الله ودمرهم ، ( وَأَنَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ) .



حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ) قال : أتى الله بنيانهم من أصوله ، فخر عليهم السقف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ) قال : مكر نمروذ بن كنعان الذي حاج إبراهيم في ربه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقال آخرون : عن بقوله ( فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ) : أن العذاب أتاهم من السماء .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ) يقول : عذاب من السماء ، لما رأوه استسلموا وذلوا .  
\* وأولى القولين بتأويل الآية : قول من قال : معنى ذلك : تساقطت عليهم سقوف بيوتهم ، إذ أتى أصولها وقواعدها أمر الله ، فأنتفكت بهم منازلهم ، لأن ذلك هو الكلام المعروف من قواعد البنيان ، وخر السقف ، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر الأعراف منها : أولى من توجيهها إلى غير ذلك ، ما وجيد إليه سبيل ( وَأَنَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ) يقول تعالى ذكره : وأتى هؤلاء الذين مكروا من قبل مشركي قريش ، عذاب الله من حيث لا يدرون أنه أتاهم منه .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْزِيهِمْ ، وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ ؟ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ : إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧)

\* يقول تعالى ذكره : فعل الله بهؤلاء الذين مكروا ، الذين وصف الله جل ثناؤه أمرهم ، ما فعل بهم في الدنيا ، من تعجيل العذاب لهم ، والانتقام بكفرهم ، وجحودهم وحدانيتهم ، ثم هو مع ذلك يوم القيامة يخزيهم ، فلنظم بعذاب أليم ، وقائل لهم عند ورودهم عليه ( أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ ؟ ) : أصله : من شاققت فلانا فهو يشاققني ، وذلك إذا فعل كل واحد منهما بصاحبه ما يشق عليه ؛ يقول تعالى ذكره يوم القيامة تقريرا للمشركين بعبادتهم الأصنام : أين شركائي ؟ يقول : أين الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي اليوم ، ما لم لا يحضرونكم ، فيدفعوا عنكم ما أنا محل بكم من العذاب ، فقد كنتم تعبدونهم في الدنيا ، وتتولونهم ، والولى ينصر وايه ، وكانت مشاققتهم الله في أوثانهم : مخالفتهم إياه في عبادتهم .  
كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ ؟ ) يقول : تخالفوني .

وقوله ( قال الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ إِنْ الْخِزْيَ الْيَوْمِ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ) يعنى : الذلّة والهوان والسوء ، يعنى : عذاب الله على الكافرين .

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ، قَالُوا سَلَامٌ ، مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ، بَلَىٰ ، إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : قال الذين أوتوا العلم : إن الخزي اليوم والسوء على من كفر بالله ، فمجدد وحدانيته . ( الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ) يقول : الذين تقبض أرواحهم الملائكة ( ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ) يعنى : وهم على كفرهم وشركهم بالله . وقيل : إنه عتّى بذلك من قُتيل من قريش ببدر ، وقد أخرج إليها كرها . حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا يعقوب بن محمد الزهري ، قال : ثنى سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : كان ناس بمكة أقرّوا بالإسلام ولم يهاجروا ، فأخرج بهم كرها إلى بدر ، فقتل بعضهم ، فأنزل الله فيهم ( الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ) .

وقوله ( قَالُوا سَلَامٌ ) يقول : فاستسلموا لأمره ، وانقادوا له حين عاينوا الموت قد نزل بهم ، ( مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ) ، وفى الكلام محذوف استغنى بفهم سامعيه ما دلّ عليه الكلام عن ذكره ، وهو : قالوا ما كنا نعمل من سوء ، يخبر عنهم بذلك أنهم كذبوا وقالوا : ما كنا نعصي الله اعتصاما منهم بالباطل ، رجاء أن ينجوا بذلك ، فكذبهم الله ، فقال : بل كنتم تعملون سوء ، وتصدون عن سبيل الله ( إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ) يقول : إن الله ذو علم بما كنتم تعملون فى الدنيا من معاصيه ، وتأتون فيها ما يسخطه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، فَلَيْئَسَ مَشْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : يقول هؤلاء الظلمة أنفسهم حين يقولون لربهم : ما كنا نعمل من سوء : ادخلوا أبواب جهنم ، يعنى : طبقات جهنم ( خَالِدِينَ فِيهَا ) يعنى : ما كثر فيها . ( فَلَيْئَسَ مَشْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ) يقول : فليئس منزل من تكبر على الله ، ولم يقرّ بربوبيته ، ويصدّق بوحدانيته ، جهنم .

القول فى تأويل قوله تعالى

\* وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ، قَالُوا : خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ، وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ، وَلَنِعْمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ (٣٠)



يقول تعالى ذكره : وقيل للفريق الآخر ، الذين هم أهل إيمان وتقوى لله ( ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا خبيراً ) يقول : قالوا : أنزل خيراً . وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يقول : إنما اختلف الإعراب في قوله ( قالوا أساطير الأولين ) ، وقوله ( خبيراً ) ، والمسئلة قبل الجوابين كليهما واحدة ، وهي قوله ( ماذا أنزل ربكم ) : لأن الكفار جحدوا التنزيل ، فقالوا حين سمعوه : أساطير الأولين : أى هذا الذى جئت به أساطير الأولين : ولم ينزل الله منه شيئاً . وأما المؤمنون فصدقوا التنزيل ، فقالوا خيراً ، بمعنى أنه أنزل خيراً ، فانتصب بوقوع الفعل من الله على الخير ، فلهذا افترقا ، ثم ابتدأ الخير ، فقال ( للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ) . وقد بينا القول في ذلك فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته . وقوله ( للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ) يقول تعالى ذكره : للذين آمنوا بالله في هذه الدنيا ورسوله ، وأطاعوه فيها ، ودعوا عباد الله إلى الإيمان والعمل بما أمر الله به ، حسنة ، يقول : كرامة من الله ( ولقد آتيناكم خبيراً ) يقول : ولدار الآخرة خير لهم من دار الدنيا ، وكرامة الله التى أعدّها لهم فيها أعظم من كرامته التى عملها لهم في الدنيا ( ولنعيم دار المتقين ) يقول : ولنعم دار الذين خافوا الله في الدنيا فاتقوا عقابه ، بأداء فرائضه ، وتجنب معاصيه دار الآخرة . وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وقيل للذين اتقوا ما ذا أنزل ربكم ؟ قالوا خبيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ) وهؤلاء مؤمنون ، فيقال لهم ( ماذا أنزل ربكم ؟ فيقولون : خبيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ) : أى آمنوا بالله ، وأمروا بطاعة الله ، وحشوا أهل طاعة الله على الخير ودعواهم إليه .

القول في تأويل قوله تعالى

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ، كَذَلِكَ يَجْزِي

اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١)

يقول تعالى ذكره بقوله ( جنات عدن ) بسايتين للمقام . وقد بينا اختلاف أهل التأويل في معنى عدن فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ( يَدْخُلُونَهَا ) يقول : يدخلون جنات عدن ، وفي رفع جنات : أوجه ثلاثة : أحدها : أن يكون مرفوعاً على الابتداء ، والآخر : بالعائد من الذكر في قوله ( يَدْخُلُونَهَا ) . والثالث : على أن يكون خبر النعم ، فيكون المعنى : إذا جعلت خيراً لنعم : ولنعم دار المتقين ( جنات عدن ) ويكون ( يَدْخُلُونَهَا ) في موضع حال ، كما يقال : نعم الدار دار تسكنها أنت ، وقد يجوز أن يكون إذا كان الكلام بهذا التأويل : يدخلونها ، من صلة جنات عدن . وقوله ( تجرى من تحتها الأنهار )

يقول : تجرى من تحت أشجارها الأنهار . ( لَمْ يَشَاءُ ) يقول : للذين أحسنوا في هذه الدنيا في جنات عدن ما يشاءون ، مما تشبهى أنفسهم ، وتلدأ أعينهم ( كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ) يقول : كما يجزي الله هؤلاء الذين أحسنوا في هذه الدنيا ، بما وصف لكم أيها الناس أنه جزاهم به في الدنيا والآخرة ، كذلك يجزي الذين اتقوه ، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : كذلك يجزي الله المتقين الذين تقبض أرواحهم ملائكة الله ، وهم طيبون بتطيب الله إياهم بنظافة الإيمان ، وطهر الإسلام في حال حياتهم وحال مماتهم .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المنثى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المنثى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ) قال : أحياء وأمواتا ، قدر الله ذلك لهم . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله ( يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ) يعني جل ثناؤه أن الملائكة تقبض أرواح هؤلاء المتقين ، وهي تقول لهم : سلام عليكم ، صيروا إلى الجنة ، بشارة من الله تبشرهم بها الملائكة .

كما حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، أنه سمع محمد بن كعب القرظي يقول : إذا استنعت نفس العبد المؤمن ، جاءه ملك فقال : السلام عليك ولي الله ، الله يقرأ عليك السلام ، ثم نزع بهذه الآية ( الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله ( فَسَلَامٌ لَكَ مِّنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ) قال : الملائكة يأتونه بالسلام من قبيل الله ، وتخبره أنه من أصحاب اليمين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا الأشب أبو علي ، عن أبي رجاء ، عن محمد بن مالك ، عن البراء ، قال : قوله ( سَلَامٌ قَوْلًا مِّنْ رَبِّ رَحِيمٍ ) قال : يسلم عليه عند الموت .

وقوله ( بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) يقول : بما كنتم تصيدون في الدنيا أيام حياتكم فيها طاعة الله ، وطلب مرضاته .



القول في تأويل قوله تعالى

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ؟ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ  
مِنْ قَبْلِهِمْ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : هل ينتظر هؤلاء المشركون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم ، أو يأتي أمر ربك بحشرهم لموقف القيامة ( كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنَ الْقَبْلِهِمْ ) يقول جل ثناؤه : كما يفعل هؤلاء من انتظارهم ملائكة الله لقبض أرواحهم ، أو إتيان أمر الله فعل أسلافهم من الكفرة بالله ، لأن ذلك في كل مشرك بالله ( وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ) يقول جل ثناؤه وما ظلمهم الله بإحلال مُحْطِهِمْ ( وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ) بمعصيتهم ربهم ، وكفرهم به ، حتى استحقوا عقابه ، فَعَجَّلَ لَهُمْ .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ) قال : بالموت ، وقال في آية أخرى ( وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ ) وهو ملك الموت ، وله رسل ، قال الله تعالى ( أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ) ذاك يوم القيامة .  
حدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ) يقول : عند الموت حين تتوفاهم ، ( أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ) : ذلك يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ، وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : فأصاب هؤلاء الذين فعلوا من الأمم الماضية فعل هؤلاء المشركين من قریش ، سيئات ما عملوا ، يعنى : عقوبات ذنوبهم ، ونقم معاصيه التي اكتسبوها . ( وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ) يقول : وحل بهم من عذاب الله ما كانوا يستهزئون منه ، ويسخرون عند إنذارهم ذلك رسل الله ، ونزل ذلك بهم دون غيرهم من أهل الإيمان بالله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا ، وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ، كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنَ الْقَبْلِهِمْ ، فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : وقال الذين أشركوا بالله ، فعبدوا الأوثان والأصنام من دون الله : ما نعبد هذه الأصنام إلا لأن الله قد رضى عبادتنا هؤلاء ، ولا نحرم ما حرمنا من البحائر والسوائب ، إلا أن الله شاء منا ومن آباؤنا تحريمها ، ورضيه لولا ذلك ، لقد غير ذلك ببعض عقوباته أو بهدايته إيانا إلى غيره من الأفعال ، يقول تعالى ذكره : كذلك فعل الذين من قبلهم من الأمم المشركة الذين استنّ هؤلاء سنتهم ، فقالوا مثل قولهم ، وسلكوا سبيلهم في تكذيب رسل الله ، واتباع أفعال آباؤهم الضلال . وقوله ( فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ؟ ) يقول جل ثناؤه : فهل أيها القائلون : لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ، على رسلنا الذين نرسلهم بإنذاركم عقوبتنا على كفركم ، إلا البلاغ المبين : يقول : إلا أن تبلغكم ما أرسلنا إليكم من الرسالة . ويعنى بقوله ( الْمُبِينُ ) : الذى يبين عن معناه لمن أبلغه ، ويفهمه من أرسل إليه .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ، فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ ، وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : ولقد بعثنا أيها الناس في كل أمة سلفت قبلكم رسولا ، كما بعثنا فيكم ، بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له ، وأفردوا له الطاعة ، وأخلصوا له العبادة ( وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ) يقول : وابتعدوا من الشيطان ، واحذروا أن يغويكم ، ويصدكم عن سبيل الله ، ففضلوا ، ( فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ ) يقول : فمن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله ، فوفقه لتصديق رسله ، والقبول منها ، والإيمان بالله ، والعمل بطاعته ، ففاز وأفلح ، ونجا من عذاب الله ( وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ) يقول : ومن بعثنا رسلنا إليه من الأمم ، آخرون حقّت عليهم الضلالة ، فجاروا عن قصد السبيل ، فكفروا بالله ، وكذبوا رسله ، واتبعوا الطاغوت ، فأهلكهم الله بعقابه ، وأنزل عليهم بأسه الذى لا يردّ عن القوم المجرمين ، ( فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ) يقول تعالى ذكره لمشركى قريش : إن كنتم أيها الناس غير مصدقّى رسولنا فيما يخبركم به عن هؤلاء الأمم ، الذين حلّ بهم ما حلّ من بأسنا ، بكفرهم بالله ، وتكذيبهم رسوله ، فسيروا في الأرض التى كانوا يسكنونها ، والبلاد التى كانوا يعتمرونها ، فانظروا إلى آثار الله فيهم ، وآثار سخطه النازل بهم ، كيف أعقبهم تكذيبهم رسل الله ما أعقبهم ، فإنكم ترون حقيقة ذلك ، وتعلمون به صحة الخبر الذى يخبركم به محمد صلى الله عليه وسلم .

## القول في تأويل قوله تعالى

إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ، وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ (٣٧)



يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن تحرص يا محمد على هدى هؤلاء المشركين إلى الإيمان بالله واتباع الحق ( فإن الله لا يهدي من يضل ) .

واختلفت القرء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الكوفيين ( فإن الله لا يهدي من يضل ) بفتح الياء من يهدي ، وضمها من يضل . وقد اختلف في معنى ذلك قارئوه كذلك ، فكان بعض نحوى الكوفة يزعم أن معناه : فإن الله من أضله لا يهتدى . وقال : العرب تقول : قد هدى الرجل : يريدون قد اهتدى ، وهدى واهتدى بمعنى واحد . وكان آخرون منهم يزعمون أن معناه : فإن الله لا يهدي من أضله ، بمعنى : أن من أضله الله ، فإن الله لا يهديه . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة ( فإن الله لا يهدي ) بضم الياء من يهدي ومن يضل ، وفتح الدال من يهدي بمعنى : من أضله الله فلا هادى له .

وهذه القراءة أولى القراءتين عندي بالصواب ، لأن يهدى : بمعنى يهتدى قليل في كلام العرب غير مستفيض ، وأنه لافائدة في قول قائل : من أضله الله فلا يهديه ، لأن ذلك مما لا يجمله أحد . وإذا كان ذلك كذلك ، فالقراءة بما كان مستفيضا في كلام العرب من اللغة بما فيه الفائدة العظيمة أولى وأحرى .

فتأويل الكلام : لو كان الأمر على ما وصفنا : إن تحرص يا محمد على هدايتهم ، فإن من أضله الله فلا هادى له ، فلا تجهد نفسك في أمره ، وبلغه ما أرسلت به لتتم عليه الحججة ( وما لهم من ناصرين ) يقول : وما لهم من ناصر ينصرهم من الله إذا أراد عقوبتهم ، فيحول بين الله وبين ما أراد من عقوبتهم .

وفي قوله ( إن تحرص ) لغتان : فن العرب من يقول : حرص يحرص بفتح الراء في فعل وكسرها في يفعل . وحرص يحرص بكسر الراء في فعل ، وفتحها في يفعل ، والقراءة على الفتح في الماضي ، والكسر في المستقبل ، وهى لغة أهل الحجاز .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨)

يقول تعالى ذكره : وحلف هؤلاء المشركون من قريش (بالله جهد أيمانهم) حلفهم ، (لا يبعث الله من يموت) بعد مماته ، وكذبوا وأبطلوا في أيمانهم التي حلفوا بها كذلك ، بل سببعته الله بعد مماته ، (وعدًّا عليه) أن يبعثهم وعد عباده ، والله لا يخلف الميعاد (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يقول : ولكن أكثر قريش لا يعلمون وعد الله عباده ، أنه باعثهم يوم القيامة بعد مماتهم أحياء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وأقسموا بالله جهداً

أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ) تكذيباً بأمر الله أو بأمرنا، فإن الناس صاروا في البعث فريقين: مكذّب ومصدق. ذكر لنا أن رجلاً قال لابن عباس: إن ناساً بهذا العراق يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة، ويتأولون هذه الآية، فقال ابن عباس: كذب أولئك، إنما هذه الآية للناس عامة، ولعمري لو كان علياً مبعوثاً قبل يوم القيامة، ما أنكحنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال ابن عباس: إن رجلاً يقولون: إن علياً مبعوث قبل يوم القيامة، ويتأولون (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ، بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) قال: لو كنا نعلم أن علياً مبعوث، ما تزوجنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه، ولكن هذه للناس عامة.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن أبيه، عن الربيع، في قوله (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ) قال: حلف رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عند رجل من المكذّبين، فقال: والذي يرسل الروح من بعد الموت، فقال: وإنك لتزعم أنك مبعوث من بعد الموت، وأقسم بالله جهد يمينه: لا يبعث الله من يموت.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين، فأتاه يتقاضاه، فكان فيما تكلم به: والذي أرجوه بعد الموت إنه لكذا، فقال المشرك: إنك تزعم أنك تبعث بعد الموت، فأقسم بالله جهد يمينه: لا يبعث الله من يموت، فأنزل الله (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ، بَلَى، وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن عطاء بن أبي رباح أنه أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول: «قال الله: سبني ابن آدم، ولم يكن ينبغي له أن يسبني، وكذّبتني ولم يكن ينبغي له أن يكذّبتني؛ فأما تكذّبه إياي، فقال (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ) قال: قلت (بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا). وأما سبّه إياي، فقال: (إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ)، وقالت: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ).»

#### القول في تأويل قوله تعالى

لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ (٣٩)

يقول تعالى ذكره: بل ليبعثن الله من يموت، وعدا عليه حقا، ليبين هؤلاء الذين يزعمون أن الله لا يبعث من يموت، ولغيرهم الذي يختلفون فيه، من إحياء الله خلقه بعد فناءهم، وليعلم الذين جحدوا صحة ذلك، وأنكروا حقيقته أنهم كانوا كاذبين في قائلهم: لا يبعث الله من يموت.



كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي  
يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ) قال : للناس عامة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٠) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ  
مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)

يقول تعالى ذكره : إنا إذا أردنا أن نبعث من يموت ، فلا تعب علينا ولا نصب في إحيائناهم ، ولا في  
غير ذلك مما نخلق ونكوّن ونحدث ، لأننا إذا أردنا خلقه وإنشاءه ، فإنما نقول له : كن فيكون ، لا معاناة  
فيه ، ولا كلفة علينا .

واختلفت القراء في قراءة قوله : يكون ، فقرأه أكثر قراء الحجاز والعراق على الابتداء ، وعلى أن قوله  
( إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ ) كلام تام مكتف بنفسه عما بعده ، ثم يبتدأ  
فيقال فيكون كما قال الشاعر :

يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ<sup>١</sup>

وقرأ ذلك بعض قراء أهل الشام ، وبعض المتأخرين من قراء الكوفيين ( فَيَكُونُ ) نصبا ، عطفا على قوله  
( أَنْ نَقُولَ لَهُ ) . وكان معنى الكلام على مذهبهم : ما قولنا لشيء إذا أردناه إلا أن نقول له : كُنْ ،  
فيكون . وقد حكي عن العرب سمعا : أريد أن آتيتك فيمنعتني المطر ، عطفا بيمينعتني على آتيتك .

وقوله ( وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ) يقول  
تعالى ذكره : والذين هاجروا قومهم ودورهم وأوطانهم ، عداوة لهم في الله على كفرهم ، إلى آخرين غيرهم ( من  
بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) يقول : من بعد ما نبيل منهم في أنفسهم بالكاره في ذات الله ( لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا  
حَسَنَةً ) يقول : لنسكنهم في الدنيا مسكنا يرضونه صالحا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

(١) هذا بيت من مشطور الرجز ، من شواهد الفراء في معاني القرآن (ص ١٦١) والشاهد في البيت : أن قوله فيعجمه بالرفع ، ليس معطوفا على  
أن يعربه ، وإنما هو كلام مشتاف ، أي فهو يعجمه ولا يعربه . ومثله قوله تعالى « أن نقول له كن » فيكون بالرفع ، وليس معطوفا على  
« أن نقول » . ومثله أيضا قوله تعالى « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ، فيضل بالرفع ، وليس بالنصب على الجواب للفق .  
ومثله قوله تعالى « لنبين لكم ، ونقر في الأرحام » برفع نقر على الاستئناف ، وقوله تعالى في براءة « قاتلوهم يعدهم الله بأيديكم » ، ثم قال  
« ويتوب الله على من يشاء » . قال الفراء : فإذا رأيت الفعل منصوبا ، وبعده فعل قد نسق عليه بوار أو فاء أو ثم ، فإن كان يشاكل  
معنى الفعل الذي قبله ، نسقته عليه ، وإن رأيت غير مشاكل لمعناه ، استأنفته برفعه . ومنه قوله :

وَالشَّعْرُ لَا يَسْتَطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهُ<sup>٢</sup>      يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ<sup>١</sup>

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُؤْتِيَنَّهُمْ ) قال : هؤلاء أصحاب محمد ، ظلمهم أهل مكة ، فأخرجوهم من ديارهم ، حتى لحق طوائف منهم بالحبشة ، ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك ، فجعلها لهم دار هجرة ، وجعل لهم أنصارا من المؤمنين .

حدثت عن القاسم بن سلام ، قال : ثنا هشيم ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ( لَنُؤْتِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ) قال : المدينة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُؤْتِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ) قال : هم قوم هاجروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة ، بعد ظلمهم ، وظلمهم المشركون . وقال آخرون : عن بقوله ( لَنُؤْتِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ) لَنُؤْتِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا رِزْقًا حَسَنًا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَنُؤْتِيَنَّهُمْ ) لَنُؤْتِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا رِزْقًا حَسَنًا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن العوام ، عن حدثه أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول : خذ بارك الله لك فيه ، هذا ما وعدك الله في الدنيا ، وما ذخره لك في الآخرة أفضل ، ثم تلا هذه الآية ( لَنُؤْتِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَلَا نُجْزِيَنَّ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ) .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ( لَنُؤْتِيَنَّهُمْ ) : لَنُؤْتِيَنَّهُمْ وَلَنُؤْتِيَنَّهُمْ ، لأن النبوة في كلام العرب : الحلول بالمكان والزول به . ومنه قول الله تعالى ( وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ ) وقيل : إن هذه الآية نزلت في أبي جندل بن سهيل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن داود بن أبي هند ، قال : نزلت ( وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) . . . إلى قوله ( وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) في أبي جندل بن سهيل . . .

وقوله ( وَلَا نُجْزِيَنَّ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ) يقول : ولثواب الله إياهم على هجرتهم فيه ، في الآخرة أكبر ، لأن ثوابه إياهم هنالك الجنة ، التي يدوم نعيمها ولا يبديد .



وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الله ( وَلَا جَبْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ) أى والله لما يثيبهم الله عليه من جنته أكبر ( لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا صفتهم ، وآتيناهم الثواب الذي ذكرناه ، الذين صبروا في الله على ما نابهم في الدنيا ( وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) يقول : وباللَّه يثقون في أمورهم ، وإليه يستندون في نوائب الأمور التي تنوبهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ؛ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

لَا تَعْلَمُونَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلى أمة من الأمم ، للدعاء إلى توحيدنا ، والانتفاء إلى أمرنا ونهيها ، إلا رجالا من بنى آدم ، نوحى إليهم وحينئذ ، لاملائكة . يقول : فلم نرسل إلى قومك إلا مثل الذى كنا نرسل إلى من قبلهم من الأمم من جنسهم ، وعلى منيهاجهم ( فاستأثروا أهل الذِّكْرِ ) يقول لمشركى قريش : وإن كنتم لاتعلمون أن الذين كنا نرسل إلى من قبلكم من الأمم رجال من بنى آدم مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، وقلتم : هم ملائكة ، أى ظننتم أن الله كلمهم قبلا ، فاستأثروا أهل الذِّكْرِ ، وهم الذين قد قرءوا الكتب من قبلهم : التوراة والإنجيل ، وغير ذلك من كتب الله التي أنزلها على عباده .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن ليث ، عن مجاهد ( فاستأثروا أهل الذِّكْرِ ) قال : أهل التوراة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن سفيان ، قال : سألت الأعمش ، عن قوله ( فاستأثروا أهل الذِّكْرِ ) قال : سمعنا أنه من أسلم من أهل التوراة والإنجيل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَمَا

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ، فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) قال : هم أهل الكتاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ( فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) قال : قال لمشركي قريش : إن محمداً في التوراة والإنجيل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاک عن ابن عباس ، قال : لما بعث الله محمداً رسولاً ، أنكرت العرب ذلك ، أو من أنكر منهم ، وقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد ، قال : فأنزل الله ( أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ ؟ ) وقال : ( وما أرسلنا من قبلك إلا رجلاً نوحى إليهم ، فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ، بالبينات والزبر ) فاستلوا أهل الذكر : يعنى أهل الكتب الماضية ، أبشراً كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة ؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم ، وإن كانوا بشراً فلا تنكروا أن يكون محمداً رسولاً ، قال : ثم قال : وما أرسلنا من قبلك إلا رجلاً نوحى إليهم من أهل القرى : أى ليسوا من أهل السماء كما قلتم . وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ( فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) قال : نحن أهل الذكر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) قال : الذكر : القرآن . وقرأ ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) . وقرأ ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ، وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : أرسلنا بالبينات والزُّبُرِ رجلاً نوحى إليهم .

فإن قال قائل : وكيف قيل بالبينات والزُّبُرِ ، وما الجالب لهذه الباء في قوله ( بِالْبَيِّنَاتِ ) ؟ فإن قلت : جالبها قوله ( أَرْسَلْنَا ) وهي من صلته ، فهل يجوز أن تكون صلة « ما » قبل « إلا » بعدها ، وإن قلت : جالبها غير ذلك ، فما هو ، وأين الفعل الذي جالبها ؟ قيل : قد اختلف أهل العربية في ذلك ، فقال بعضهم : الباء التي في قوله ( بِالْبَيِّنَاتِ ) من صلة أرسلنا ، وقال : إلا في هذا الموضع ، ومع الجحد والاستفهام في كل موضع بمعنى « غير » ، وقال : معنى الكلام : وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزُّبُرِ غير رجال نوحى إليهم ، ويقول على ذلك : ما ضرب إلا أخوك زيدا ، وهل كلم إلا أخوك عمراً ، بمعنى : ما ضرب زيدا غير أخيك ، وهل كلم عمراً إلا أخوك ؟ ويحتاج في ذلك بقول آؤس بن حجاج :



أَبْنِي لُبَيْتِي لَسْتُمْ بِيَدِي إِلَّا يَدِي لَيْسَتْ لَهَا عَضُدٌ<sup>١</sup>  
 ويقول: لو كانت «إلا» بغير معنى، لفسد الكلام، لأن الذي خفض الباء قبل إلا، لا يقدر على إعادته بعد إلا،  
 لخفض اليد الثانية، ولكن معنى إلا بمعنى غير، ويستشهد أيضا بقول الله عز وجل (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ  
 إِلَّا اللَّهُ) ويقول: إلا بمعنى «غير» في هذا الموضع. وكان غيره يقول: إنما هذا على كلامين: يريد:  
 وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا، أرسلنا بالبينات والزبير. قال: وكذلك قول القائل: ماضرب إلا أخوك زيدا،  
 معناه: ماضرب إلا أخوك، ثم يبتدىء: ضرب زيدا، وكذلك مامرر إلا أخوك بزيدا، مامرر إلا أخوك، ثم  
 يقول: مرر بزيدا، ويستشهد على ذلك بيت الأعشى:

وَلَيْسَ مُجِيرًا إِنْ أُنِيَ الْحَتَىٰ خَائِفٌ وَلَا قَائِلًا إِلَّا هُوَ الْمُتَعَبِّبَا<sup>٢</sup>

ويقول: لو كان ذلك على كلمة لكان خطأ، لأن المتعبيبا من صلة القائل، ولكن جاز ذلك على كلامين:  
 وكذلك قول الآخر:

نُبِّئْتُهُمْ عَذَّبُوا بِالنَّارِ جَارَهُمْ وَهَلْ يُعَذَّبُ إِلَّا اللَّهُ بِالنَّارِ<sup>٣</sup>

(١) رواية هذا البيت في الكتاب لسبويه (١: ٣٦٢):

يَا بَنِي لُبَيْتِي لَسْتُمْ بِيَدِي إِلَّا يَدًا لَيْسَتْ لَهَا عَضُدٌ

ينصب يد التي بعد إلا على محل يد التي قبلها. قال الشنمري في الكلام على الشاهد: الشاهد فيه نصب ما بعد إلا، على البذل من موضع  
 الباء وما عملت فيه. والتقدير: لستما يدا إلا يدا لا عضدهما. ولا يجوز الجر على البذل من المجرور، لأن ما بعد «إلا» مجرور،  
 والباء مؤكدة للثنى. ويروي: محبوباة العضد. والخيل: الفساد، أي أننا في الضعف وقلة النفع، كيد بطل عضدها. اه.  
 وقال الفراء في معاني القرآن (١: ١٧٢): ورأيت الكسائي يجعل إلا مع الجحد والاستفهام بمنزلة غير... وقال في قوله  
 تعالى: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا» لا أجد المعنى إلا: لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدنا. واحتج بقول الشاعر:

أَبْنِي لُبَيْتِي لَسْتُمْ بِيَدِي إِلَّا يَدٌ لَيْسَتْ لَهَا عَضُدٌ

فقال: لو كان المعنى إلا لكان الكلام فاسدا في هذا؛ لأن لا أقدر في هذا البيت على إعادة خافض بضمير، وقد ذهب ههنا مذهبا. قلت  
 وقد جوز الشيخ خالدة في يد التي بعد إلا النصب على الاستثناء، وعلى البدلية، كما مر في كلام الأعلام الشنمري. وجوز وجهها ثالثا  
 تبعا لكسائي وأشد بيته الشاهد، وهذا الوجه: هو جرد، على الصفة ليد الأولى التصريح بمضمون التوضيح ١: ٤٤ (طبعة  
 الأميرية، باب الاستثناء).

وقال الشيخ يس العليمي الحمصي في حاشيته على التصريح في هذا الموضع: «أبني لبني»: بصيغة المثني، بدليل قوله «لستما» أي  
 في رواية صاحب التصريح. وهو منادى حذف منه حرف النداء، وليس في قوله: «إلا يد» وصف الشيء بنفسه، لأن المعتد  
 بالصفة ليد الأولى: صفة يد الثانية، و«يد» الثانية صفة موطئة.

(٢) البيت لأعشى بن ثعلبة ميمون بن قيس (ديوانه طبعة القاهرة ص ١١٣) يقول: إنه لا يملك أن يؤمن رجلا، فيجعله  
 في جواره، لأن الناس لا يحترمون هذا الجوار، وإنما يحترمون جوار الأقوياء، فلا يحرمون أن يتألموا جارهم بأذى، والمتعيب:  
 اسم مفعول من تعيبه إذا نسبة إلى العيب. أي ولا قائلا القول العيب إلا هو. وقد بين المؤلف وجه استنباط بعض التحويين (وهو  
 الكسائي) بالبيت. وأن المتعيبا منصوب بقائلا المحذوف. والتقدير: ولا قائلا إلا هو «قائلا» المتعيبا. وهو معنى قوله، ولكن جاز  
 ذلك على كلامين. اه.

(٣) هذا البيت كسابقه: شاهد على أن قوله «بالنار» من صلة الفعل «يعذب» وما قبل إلا لا يعمل فيما بعدها، فأخره، ونوى  
 كلامين فيكون «بالنار» من صلة «يعذب» المحذوف. والتقدير: وهل يعذب إلا الله، يعذب بالنار. والبيت من شواهد الفراء  
 في معاني القرآن (١: ١٧٢).

فتأويل الكلام إذن : وما أرسلنا من قبلك إلا رجلا نوحى إليهم ، أرسلناهم بالبينات والزبر ، وأنزلنا إليك الذكر . والبينات : هي الأدلة والحجج التي أعطاها الله رسوله ، أدلة على نبوتهم ، شاهدة لهم على حقيقة ما أتوا به إليهم من عند الله . والزُّبُر : هي الكتب ، وهي جمع زَبُور ، من زَبَرَتِ الكتاب وذَبَرَتْه : إذا كتبت . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( بالبيناتِ والزُّبُرِ ) قال : الزبر : الكتب .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( بالبيناتِ والزُّبُرِ ) قال : الآيات ، والزُّبُرُ : الكتب . حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الزُّبُرُ : الكُتُبُ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وبالزُّبُرِ ) يعني : بالكتب .

وقوله ( وأنزلنا إليك الذكر ) يقول : وأنزلنا إليك يا محمد هذا القرآن ، تذكيرا للناس ، وعظة لهم ، ( لِيَتَّبِعِينَ لِلنَّاسِ ) يقول : لتعرفهم ما أنزل إليهم من ذلك ( وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ) يقول : وليتذكروا فيه ، ويعتبروا به : أي بما أنزلنا إليك ؛ وقد حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : ثنا الثوري ، قال : قال مجاهد ( وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ) قال : يطيعون .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ، أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ

حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ؟ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : أفأمن الذين ظلموا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فراموا أن يفتنواهم عن دينهم ، من مشركي قريش الذين قالوا ، إذ قيل لهم : ما ذا أنزل ربكم : أساطير الأولين ، صدا منهم لمن أراد الإيمان بالله عن قصد السبيل ، أن يخسف الله بهم الأرض ، على كفرهم وشركهم ، أو يأتيهم عذاب الله من مكان لا يشعرون به ، ولا يدري من أين يأتيه ؟ وكان مجاهد يقول : عني بذلك نمرود ابن كنعان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ،



عن مجاهد (أَقَامِينَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ) . . . إلى قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) قال : هو نمروذ بن كنعان وقومه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 وإنما اخترنا القول الذي قلناه في تأويل ذلك ، لأن ذلك تهديد من الله أهل الشرك به ، وهو عقيب قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ) ، فاستلوا أهل الذكّر إن كنتم لاتعلمون) فكان تهديد من لم يقرّ بحجة الله ، الذي جرى الكلام بخطابه قبل ذلك ، أخرى من الخبر عن انقطع ذكره عنه .

وكان قتادة يقول في معنى السيئات في هذا الموضع ، ما حدثنا به بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَقَامِينَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ) : أى الشرك .

القول في تأويل قوله تعالى

أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ، فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٤٧)

يعنى تعالى ذكره بقوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) أو يهلكهم في تصرفهم في البلاد ، وترددهم في أسفارهم ، فهاهم بمعجزين : يقول جل ثناؤه : فإنهم لا يعجزون الله من ذلك ، إن أراد أخذهم كذلك .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى وعلى بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) يقول : في اختلافهم .  
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) قال : إن شئت أخذته في سفر .  
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) في أسفارهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله :

وقال ابن جريج في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) قال : التقلب : أن يأخذهم بالليل والنهار .  
 وأما قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) فإنه يعنى : أو يهلكهم بتخوف ، وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم ، الشيء بعد الشيء ، حتى يهلك جميعهم ، يقال منه : تخوف فلان الإنفاق : إذا انتقصه ، ونحو تخوفه من التخوف : بمعنى التنقص ، قول الشاعر :

تَحْوَفَ السَّيْرُ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا كَمَا تَحْوَفَ عُوْدَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ<sup>١</sup>  
يعنى بقوله : تحوَّف السير : تنقَّص سنامها . وقد ذكرنا عن الهيثم بن عدي أنه كان يقول : هي لغة لأزد  
شثوة ، معروفة لهم ؛ ومنه قول الآخر :

تَحْوَفَ عَدُوهُمْ مَالِي وَأَهْدَى سَلَسِيلَ فِي الْحُلُوقِ هَلَا صَلِيلُ<sup>٢</sup>  
وكان الفراء يقول : العرب تقول : تحوَّفته : أى تنقصته ، نحوفا : أى أخذته من حافاته وأطرافه ، قال :  
فهذا الذى سمعته ، وقد أتى التفسير بالخاء ، وهما بمعنى . قال : ومثله ما قرئ بوجهين قوله : إن لك فى النهار  
سببًا وسببًا .

وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن المسعودى ، عن إبراهيم بن عامر بن مسعود ، عن رجل ، عن  
عمر : أنه سأله عن هذه الآية (أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقَاتِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ، أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى  
تَحْوُفٍ) فقالوا : ما نرى إلا أنه عند تنقص ما يردده من الآيات . فقال عمر : ما أرى إلا أنه على  
مانتقصون من معاصى الله ، قال : فخرج رجل ممن كان عند عمر ، فلقى أعرابيا ، فقال : يا فلان ما فعل  
ربك ؟ قال : قد تحيَّفته ، يعنى تنقصته ، قال : فرجع إلى عمر فأخبره ، فقال : قدر الله ذلك .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس  
(أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَحْوُفٍ) يقول : إن شئت أخذته على أثر موت صاحبه ، وتحوَّف بذلك .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن  
ابن عباس (على تحوَّفٍ) قال : التنقص والتفريع .

(١) البيت لابن مقبل (لسان العرب : خوف) قال : التخوف : التنقص . وفى التنزيل : «أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَحْوُفٍ» . قال الفراء  
فى التفسير بأنه التنقص ، قال : والعرب تقول : تحوَّفته أى تنقصته من حافاته . قال : فهذا الذى سمعته . قال : وقد أتى التفسير بالخاء .  
قال الزجاج : ويجوز أن يكون معناه : أو يأخذهم بعد أن يخفهم ، بأن يهلك قرية ، فتخاف التى تليها . وقال ابن مقبل : تخوف ... الخ .  
والسفن : الحديد التى تبرد بها القسي ، أى تنقص كما تأكل هذه الحديد خشب القسي . وكذلك التحويف ، يقال : خوفه وخوف  
منه . قال ابن السكيت : يقال : هو يتحوَّف المسال (بالمهمل) ويتخوفه ، أى ينقصه ، ويأخذ من أطرافه . وقال ابن الأعرابي : تحوَّفته  
وتحيَّفته ، وتحوَّفته وتحيَّفته : إذا تنقصته . والتامك : السنام ، أو السنام المرتفع . والقرود : الذى تجمع شعره ، أو الذى تراكم لحمه من السم .  
وفى «فتح القدير» للشوكاني : التخوف بالغاء : التنقص : لغة لأزد شثوة ، والبيع : من شجر الجبال ، تتخذ منه القسي ، الواحدة نبعة .  
(٢) البيت من شوهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٠) قال : «على تحوَّف» مجازة : على التنقص ، وأشد بيتين ثانيهما  
بيت الشاهد ، وأولهما :

أَلَامٌ عَلَى الْهَيْجَاءِ وَكُلُّ يَوْمٍ بِلَاقِيَنِ مِىنَ الْجَسِيرَانِ غُولٌ

أى تنقص غدوم مالى . سلاسل : يريد القوافى تنشد ، فهو صليلها . وهو قلائد فى أعناقهم . وفى رواية أبى عبيدة والفرطى : غدوم ،  
فى مكان غدوم . أى اعتداؤهم . قلت . وفى اللسان أيضا (خون) تخوته ، وخونه ، وخون منه : نقصه . يقال : تخوننى فلان حق :  
إذا تنقصك .



حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أو )  
يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ) على تنقص .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المنثي ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال :  
ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( على تَخَوُّفٍ ) قال : تنقص .  
حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أو ) يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ) ، فيعاقب  
أو يتجاوز .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أو ) يَأْخُذْهُمْ عَلَى  
تَخَوُّفٍ ) قال : كان يقال : التَخَوُّفُ : التَنَقُّصُ ، يَنْتَقِصُهُمْ مِنَ الْبُلْدَانِ مِنَ الْأَطْرَافِ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول  
في قوله ( أو ) يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ) يعني : يأخذ العذاب طائفة ، ويترك أخرى ، ويعذب القرية  
ويهلكها ، ويترك أخرى إلى جنبها .

وقوله ( فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ) يقول : فإن ربكم إن لم يأخذ هؤلاء الذين مكروا السيئات  
بعذاب معجل لهم ، وأخذهم بموت وتنقص بعضهم في أثر بعض ، لرؤوف بخلقه ، رحيم بهم ، ومن رأفته  
ورحمته بهم لم يخسف بهم الأرض ، ولم يعجل لهم العذاب ، ولكن يخوفهم وينقصهم بموت .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ

وَهُمْ دَخِرُونَ (٤٨)

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء الحجاز والمدينة والبصرة ( أو لم يروا ) بالياء على  
الخبر عن الذين مكروا السيئات . وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين ( أو لم تروا ) بالياء على الخطاب .

وأولى القراءتين عندي بالصواب : قراءة من قرأ بالياء ، على وجه الخبر عن الذين مكروا السيئات ، لأن ذلك  
في سياق قصصهم ، والخبر عنهم ، ثم عقب ذلك الخبر عن ذهابهم عن حجة الله عليهم ، وتركهم النظر  
في أدلته ، والاعتبار بها . فتأويل الكلام إذن : أو لم يروهؤلاء الذين مكروا السيئات ، إلى ما خلق الله من جسم  
قائم ، شجر أو جبل أو غير ذلك ، يتفياً ظلاله عن اليمين والشمال ، يقول : يرجع من موضع إلى موضع ،  
فهو في أول النهار على حال ، ثم يتقلص ، ثم يعود إلى حال أخرى في آخر النهار .

وكان جماعة من أهل التأويل يقولون في اليمين والشمال ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد

عن قتادة ، قوله ( أَوْكُمُ يَرَوْنَ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَّقِيًّا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ ) أما اليمين : فأول النهار ، وأما الشمال : فآخر النهار .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( يَتَّقِيًّا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ) قال : الغدو والآصال ، إذا فاءت الظلال ، ظلال كل شيء بالغدو ، سجدت لله ، وإذا فاءت بالعشي سجدت لله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( يَتَّقِيًّا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ) يعني : بالغدو والآصال ، تسجد الظلال لله غدوة ، إلى أن يبيء الظل ، ثم تسجد لله إلى الليل ، يعني : ظل كل شيء .

وكان ابن عباس يقول في قوله ( يَتَّقِيًّا ظِلَالُهُ ) ما حدثنا المنثي ، قال : أخبرنا أبو صالح ، قال ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( يَتَّقِيًّا ظِلَالُهُ ) يقول : تتميل . واختلف في معنى قوله ( سُجَّدًا لِلَّهِ ) فقال بعضهم : ظل كل شيء سجدده .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( يَتَّقِيًّا ظِلَالُهُ ) قال : ظل كل شيء : سجدده .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق الرازي ، عن أبي سنان ، عن ثابت عن الضحاك ( يَتَّقِيًّا ظِلَالُهُ ) قال : سجد ظل المؤمن طوعا ، وظل الكافر كرها .

وقال آخرون : بل عنى بقوله ( يَتَّقِيًّا ظِلَالُهُ ) كلا عن اليمين والشمال في حال سجودها ، قالوا : وسجد الأشياء غير ظلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، وحدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قالوا : ثنا حكام ، عن أبي سنان ، عن ثابت عن الضحاك ، في قول الله ( أَوْكُمُ يَرَوْنَ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَّقِيًّا ظِلَالُهُ ) قال : إذا فاء الشيء توجه كل شيء ساجدا قبيل القبلة ، من نبت أو شجر ، قال : فكانوا يستحبون الصلاة عند ذلك .

حدثني المنثي ، قال : أخبرنا الحماني ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قول الله ( يَتَّقِيًّا ظِلَالُهُ ) قال : إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل .

وقال آخرون : بل الذي وصف الله بالسجود في هذه الآية ظلال الأشياء ، فإنما يسجد ظلها دون التي لها الظلال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( أَوْكُمُ )



يَرَوْنَ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُونَ ظِلَالَهُ ) قال : هو سجود ظلالات الدواب ، وظلال كل شيء ، ما في السموات وما في الأرض من دابة ، قال : سجود ظلالات الدواب ، وظلال كل شيء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُونَ ظِلَالَهُ ) ما خلق من كل شيء ، عن يمينه وشماله ، فلفظ « ما » : لفظ عن اليمين والشمال ، قال : ألم تر أنك إذا صليت الفجر ، كان ما بين مطلع الشمس إلى مغربها ظلا ، ثم بعث الله عليه الشمس دليلا ، وقبض الله الظل .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر في هذه الآية أن ظلالات الأشياء هي التي تسجد ، وسجودها : ميلانها ودورانها من جانب إلى جانب ، وناحية إلى ناحية ، كما قال ابن عباس : يقال من ذلك : سجدت النخلة إذا مالت ، وسجد البعير ، وأُسجد : إذا أميل للركوب . وقد بيننا معنى السجود في غير هذا الموضع : بما أغنى عن إعادته .

وقوله ( وَهُمْ دَاخِرُونَ ) يعني : وهم صاغرون ، يقال منه : دَخَرَ فلان الله يدُخِر دَخْرًا ودخورا : إذا ذل له وخضع ، ومنه قول ذي الرمة :

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا دَاخِرٌ فِي مُخَيَّسٍ وَمُسْتَجْحِرٌ فِي غَيْرِ أَرْضِكَ فِي جُحْرٍ

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَهُمْ دَاخِرُونَ ) : صاغرون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَهُمْ دَاخِرُونَ ) : أي صاغرون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وأما توحيد اليمين في قوله ( عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ ) فجمعها ، فإن ذلك إنما جاء كذلك ، لأن معنى الكلام : أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفتح ظلالات ما خلق من شيء عن يمينه : أي ما خلق ، وشماله ، فلفظ « ما » لفظ واحد ، ومعناه معنى الجمع ، فقال : عن اليمين بمعنى : عن يمين ما خلق ، ثم رجع إلى معناه في الشمال . وكان بعض أهل العربية يقول : إنما تفعل العرب ذلك ، لأن أكثر الكلام مواجهة الواحد الواحد ، فيقال للرجل : خذ عن يمينك ، قال : فكأنه إذا وحد ذهب إلى واحد من القوم ، وإذا جمع

(١) البيت شاهد على أن معنى الداخر : الصاغر . قال أبو عبيدة في جاز القرآن : وهم داخرون : أي صاغرون . يقال : فلان دخر لله : أي ذل وخضع . و ( في اللسان : دخر ) : دخر الرجل بالفتح يدخر دخورا ، فهو داخر ، ودخر دخرا ( كفتح ) : ذل وصغر يصغر صغارا ، وهو الذي يفعل ما يؤمر به ، شاء أو أبى ، صاغرا قمينا . وفي ( اللسان : خيس ) : وكل سجن : مخيس ومخيس ( بتشديد الياء مفتوحة ومكسورة ) . وأنشد البيت ، ونسبه إلى الفرزدق . والمنحجر : الداخل في الحجر ، يقال : أبحره فانحجر : أدخله الحجر ، فدخله . والبحر : كل شيء تحفره الهوام والسيباج لأنفسها . والجمع : أبحار وجرحة .

فهو الذي لامسألة فيه ، واستشهد لفعل العرب ذلك بقول الشاعر :

بِئْسَ الشَّامِتِينَ الصَّخْرُ إِنْ كَانَ هَدَانِي رَزِيَّةُ شَيْبَلَتِي مُخْشِدِرٍ فِي الضَّرَاغِمِ ١

فقال : بني الشامتين ، ولم يقل : بأفواه ؛ وقول الآخر :

الْوَارِدُونَ وَتَسِيمٌ فِي ذَرَا سِبَاءٍ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ ٢

ولم يقل : جلود .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره : والله يخضع ويستسلم لأمره ، ما في السموات وما في الأرض من دابة يدب عليها ، والملائكة التي في السموات ، وهم لا يستكبرون عن التذلل له بالطاعة ، والذين لا يؤمنون بالآخرة ، قلوبهم منكروة وهم مستكبرون ، وظلالهم تنفياً عن اليمين والشمال سجدا لله وهم داخرون .

وكان بعض نحوِّي البصرة يقول : اجتزى بذكر الواحد من الدواب عن ذكر الجميع . وإنما معنى الكلام : والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من الدواب والملائكة ، كما يقال : ما أتاني من رجل ، بمعنى : ما أتاني من الرجال .

وكان بعض نحوِّي الكوفة يقول : إنما قيل : من دابة ، لأن « ما » وإن كانت قد تكون على مذهب الذي ، فإنها غير مؤقنة ، فإذا أبهت غير مؤقنة أشبهت الجزاء ، والجزاء يدخل « من » فيما جاء من اسم بعده من النكرة ، فيقال : من ضربه من رجل فاضربوه ، ولا تسقط « من » من هذا الموضع ، كراهية أن تشبه أن تكون حالا لمن وما ، فجعلوه بمن ، ليدل على أنه تفسير لما ومن ، لأنهما غير مؤقتين ، فكان دخول من فيما بعدهما تفسيراً لمعناهما ، وكان دخول « من » أدل على ما لم يوقت من من وما ، فلذلك لم تلغيا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : يخاف هؤلاء الملائكة التي في السموات ، وما في الأرض من دابة ، ربهم من

(١) هذا البيت من شواهد الفراء في (معاني القرآن ١ : ١٧٢) استشهد به عند قوله تعالى : (ينفياً ظلاله عن اليمين والشمال) قال : الظل يرجع على كل شيء من جوانبه ، فذلك تقيده ، ثم فسر فقال : عن اليمين والشمال ، وكل ذلك جائز في العربية ، قال الشاعر : « بني الشامتين . . . الخ البيت . قال ولم يقل : بأفواه الشامتين . قلت : يريد : أن جمع الشمال وإفراد اليمين ، جائز في العربية ، واستشهد عليه بالبيت . وقد وجه المؤلف في التفسير توجيهها حسناً .

(٢) وهذا البيت أيضاً كاشاهد قبله من شواهد الفراء ، في (معاني القرآن ، بعد سابقه ١ : ١٧٢) على أن الشاعر قال : بلد الجواميس بالإفراد ، ولم يقل : جلود الجواميس ، في مقابلة أعناقهم . ولم تقف على البيت في المراجع ، ولا عمل قائله .



فوقهم ، أن يعذبهم إن عصوا أمره ، يفعلون ما يؤمرون . يقول : يفعلون ما أمرهم الله به ، فيؤدون حقوقه ، ويحتنون سُخْطَه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ، إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ، فَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ (٥١)

يقول تعالى ذكره : وقال الله لعباده : لا تتخذوا لى شريكاً أبها الناس ، ولا تعبدوا معبودين ، فإنكم إذا عبدتم معى غيرى ، جعلتم لى شريكاً ، ولا شريك لى ، إنما هو إله واحد ، ومعبود واحد ، وأنا ذلك ، فإياى فارهبون : يقول : فإياى فاتقوا ، وخافوا عقابى بمعصيتكم إياى إن عصيتمونى ، وعبدتم غيرى ، أو أشركتم فى عبادتكم لى شريكاً .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ، أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره : والله ملك ما فى السموات والأرض من شىء ، لا شريك له فى شىء من ذلك ، هو الذى خلقهم ، وهو الذى يرزقهم ، ويبيده حياتهم وموتهم . وقوله ( وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ) : يقول جل ثناؤه : وله الطاعة والإخلاص دائماً ثابتاً واجباً ، يقال منه : وَصَبَ الدِّينُ يُصِيبُ وَصُوبًا وَوَصْبًا ، كما قال الديبلى :

لَا أَبْتَغِي الْحَمْدَ الْقَلِيلَ بِتَقَاؤُهُ      يَوْمًا بِيَدَمِ الدَّهْرِ أَجْمَعَ وَاصِبًا

ومنه قول الله ( وَكُنْمْ عِدَابٌ وَاصِبٌ ) ؛ وقول حسان :

غَسَّيْرَتُهُ الرِّيحُ تَسْفِي بِهٍ      وَهَزِيمٌ رَعْدُهُ وَاصِبٌ

فأما من الألم ، فإنما يقال : وَصِبَ الرَّجُلُ يُوَصَّبُ وَصْبًا ، وذلك إذا أعيأ ومل ؛ ومنه قول الشاعر :

(١) البيت لأبي الأسود الدؤلى ، ويقال فيه الديبلى أيضا ، استشهد به أبو عبيدة فى مجاز القرآن ( ١ : ٣٦١ ) على أن معنى « واصباً » : دائماً . وروايته فيه كرواية المؤلف ( الطبرى ) . واستشهد به كذلك القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن ( ١٠ : ١١٤ ) ورواه بروايته : الأولى كرواية المؤلف ، وقال قبلها : أنشد الغزنوى والتعلبى وغيرهما . . . البيت . والأخرى باختلاف فى الشطر الثانى ، وهو : « بدم يكون الدهر أجمع واصباً » وظاهر أن هذه الرواية محرقة عن الأولى . وقال صاحب لسان العرب فى « وصب » : وفى التنزيل العزيز : « وله الدين واصباً » قال أبو إسحاق : قيل فى معناه : دائماً . أى طاعته دائماً واجبة أبداً . قال : ويجوز ، والله أعلم ، أن يكون « وله الدين واصباً » : أى له الدين والطاعة ، رضى العبد بما يؤمر به ، أو لم يرض به ، سهل عليه ، أو لم يسهل ، فله الدين وإن كان فيه الوصب ، والوصب : شدة التعب . وفيه : « يعذاب واصباً » أى دائم ثابت . وقيل : موجه .

(٢) البيت لحسان بن ثابت ( ديوانه طبع ليدن سنة ١٩١٠ ص ٦١ وقبله بيت وهو المطلع :

قَدْ تَعَفَّى بَعْدَنَا عَذِيبٌ      مَا بِهِ بَادٍ وَلَا قَارِبٌ

وتسفى به : تحمل إليه التراب . والحزيم : السحاب المتشقق بالمطر . يقول : غير هذا المكان ما تسفيه الريح عليه من التراب ، وما يأتى به السحاب من مطر رعدته دائم .

لا يغمزُ السَّاقَ مِـنْ أَيْـنٍ ولا وَصَبٍ ولا يَعْصُ على شُرْمُوفِهِ الصَّفَرُ  
وقد اختلف أهل التأويل في تأويل الواصب ، فقال بعضهم : معناه : ما قلنا .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حصين  
عن أبي نضرة ، عن ابن عباس ( وَكَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا ) قال : دائماً .  
حدثني إسماعيل بن موسى ، قال : أخبرنا شريك ، عن أبي حصين ، عن عكرمة ، في قوله ( وَكَلَهُ  
الدِّينُ وَأَصِيبًا ) قال : دائماً .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن يعلى بن النعمان ، عن عكرمة ، قال دائماً .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن  
قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ؛ وحدثني المثنى ،  
قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَكَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا )  
قال : دائماً .

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَكَلَهُ الدِّينُ  
وَأَصِيبًا ) قال : دائماً .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة وأبو معاوية ، عن جوير ، عن الضحاك ( وَكَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا )  
قال : دائماً .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا ) : أى دائماً ، فإن الله  
تبارك وتعالى لم يدع شيئاً من خلقه إلا عبده ، طائعاً أو كارهاً .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَأَصِيبًا ) قال : دائماً ،  
ألا ترى أنه يقول ( عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ) : أى دائماً .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَكَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا ) قال :  
دائماً ، والواصب : الدائم .

(١) هذا البيت لأعشى بأهله ، واسمه عامر بن الحارث ( بجمرة أشعار العرب محمد بن أبي الخطاب القرشي ( ١٣٥ - ١٣٧ ) من  
قصيدة يقولها في أخ له اسمه المنتشر ، قتله بنو الحارث بن كعب ، وقطعوه إرباً إرباً ( عضوا عضواً ) برجل منهم كان فعل معه مثل  
ذلك . ورواية البيت فيه وفي اللسان : ( صفر ) :

لا يَتَأَسَى لِمَا فِي الْقَيْدِ يَرْقُبُهُ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرْمُوفِهِ الصَّفَرُ

قال : والصفر دوية تكون في البطن ، تدعى الأعراب ، ويكون منها الجوع . وخطأ رواية البيت الصاغاني ، وأورده كرواية المؤلف .  
( انظر هامش اللسان : أرى ) . والغمز : العصر باليد . والشرسوف : جمعة شرا سيف ، وهي أطراف أضلاع الصدر ، التي تشرف على  
البطن .



وقال آخرون : الواصب في هذا الموضع : الواجب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن يعلب بن النعمان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَكَهَّ الدِّينُ وَأَصَابَا ) قال : واجبا .

وكان مجاهد يقول : معنى الدين في هذا الموضع : الإخلاص . وقد ذكرنا معنى الدين في غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَكَهَّ الدِّينُ وَأَصَابَا ) قال : الإخلاص .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : الدين : الإخلاص .

وقوله ( أَفَغَسِبَ اللَّهُ تَتَقُونَ ) يقول تعالى ذكره : أفغير الله أيها الناس تتقون : أي ترهبون وتحذرون أن يسلبكم نعمة الله عليكم ، بإخلاصكم العبادة لربكم ، وإفرادكم الطاعة له ، ومالككم نافع سواه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ، ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ (٥٣)

اختلف أهل العربية في وجه دخول الفاء في قوله ( فَمِنَ اللَّهِ ) فقال بعض البصريين : دخلت الفاء ، لأن « ما » بمنزلة « مَنْ » فجعل الخبر بالفاء . وقال بعض الكوفيين : « ما » في معنى جزاء ، ولها فعل مضمر ، كأنك قلت : ما يكن بكم من نعمة فمن الله ، لأن الجزاء لا بد له من فعل مجزوم ، إن ظهر فهو جزم ، وإن لم يظهر فهو مضمر ؛ كما قال الشاعر :

إِنِ الْعَقْلُ فِي أَمْوَالِنَا لَا نَضِيقُ بِهِ ذِرَاعًا وَإِنْ صَبِرًا فَتَعْرِفُ لِلصَّبْرِ

وقال : أراد : إن يكن العقل فأضمره ، قال : وإن جعلت ما بكم في معنى الذي : جاز ، وجعلت صلته بكم

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن ( ١ : ١٧٣ ) عند قوله تعالى « وما بكم من نعمة فمن الله » قال : ما : في معنى جزاء ، ولها فعل مضمر ، كأنك قلت : ما يكن بكم من نعمة فمن الله ؛ لأن الجزاء لا بد له من فعل مجزوم ، إن ظهر فهو جزم ، وإن لم يظهر فهو مضمر ، كما قال الشاعر : « إن العقل . . . البيت . أراد : إن يكن ، فأضمرها . ولو جعلت « ما بكم » في معنى « الذي » : جاز ، وجعلت صلته « بكم » ، والذي حيثئذ : في موضع رفع ، بقوله « فمن الله » . وأدخل الفاء ، كما قال تعالى : « قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملائكم » . وكل اسم وصل ، مثل من وما والذي ، فقد يجوز دخول الفاء في خبره ؛ لأنه مضارع للجزاء ، والجزاء قد يجاب بالفاء ، ولا يجوز : أخوك فهو قائم ، لأنه اسم غير موصول . والعقل في البيت معناه : الدية .

و « ما » فى موضع رفع بقوله ( فَمِنْ اللَّهِ ) وأدخل الفاء ، كما قال ( إِنَّ الْمَوْتِ الَّذِي تَغْفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ) وكل اسم وُصِلَ بِمِثْلِ مَنْ وَمَا الَّذِي ، فقد يجوز دخول الفاء فى خبره ، لأنه مضارع للجزاء ، والجزاء قد يجاب بالفاء ، ولا يجوز أخوك فهو قائم ، لأنه اسم غير موصول ، وكذلك تقول : مالك لى ، فإن قلت : مالك ، جاز أن تقول : مالك فهو لى ، وإن أقيمت الفاء فصواب .

وتأويل الكلام : ما يكن بكم فى أبدانكم أيها الناس من عافية وصحة وسلامة ، وفى أموالكم من نماء ، فالله المنعم عليكم بذلك لاغيره ، لأن ذلك إليه وبيده ( ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ ) يقول : إذا أصابكم فى أبدانكم سَقَمٌ ومرض ، وعلّة عارضة ، وشدة من عيش ( فَإِلَيْهِ تَجَاءرُونَ ) يقول : فإلى الله تصرخون بالدعاء ، وتستغيثون به ، ليكشف ذلك عنكم . وأصله : من جَوَّار الثور ، يقال منه : جَارَ الثور يجَارُ جَوَّارًا ، وذلك إذا رفع صوتا شديدا ، من جوع أو غيره ؛ ومنه قول الأعشى :

وَمَا أَيُّبِيْلِي عَلَى هَيْكَلِي بِنَاهُ وَصَلَّبَ فِيهِ وَصَارَا  
يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِيكِ طَوْرًا سَجُودًا وَطَوْرًا جَوَّارًا

يعنى بالجوّار : الصياح : إما بالدعاء ، وإما بالقراءة .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المنثى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المنثى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، فى قوله ( فَإِلَيْهِ تَجَاءرُونَ ) قال : تَضَرَّعُونَ دُعَاءً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنى المنثى ، قال : أخبرنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : الضَّرُّ : السُّقَمُ .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤) لِيَكْفُرُوا بِمَا  
ءَاتَيْنَاهُمْ ، فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥٥)

(١) البيتان من شعر الأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة ص ٥٣) من قصيدة له سبعون بيتا ، يمدح بها قيس بن ميمون بكر بن الأبييل : الراهب صاحب الأبييل ، وهى العصا التى يذق بها الناقوس . والهيكل : موضع فى صدر الكنيسة ، يقرب فيه القربان . صلب : صور فيه الصليب . وفى اللسان صار : صور عن أبى على الفارسى . ويلوح لى أن المراد بصور فى البيت : هو ما قاله الأعشى فى بيت آخر وهو ( قول فى وصف الحمر : « واصل على ذنها وارتمس » . ومعنى ارتسم : أشار بيده على جبهته وقلبه وصدره ، بمنة ويمرة ، كما يفعل » )



يقول تعالى ذكره : ثم إذا وهب لكم ربكم العافية ، ورفع عنكم ما أصابكم من المرض في أبدانكم ، ومن الشدة في معاشكم ، وفرج البلاء عنكم ( إذا فرّق منكم ) ( إذا فرّق منكم ) يقول : إذا جماعة منكم يجعلون لله شريكا في عبادتهم ، فيعبدون الأوثان ، ويدبحون لها الذبائح ، شكرا لغير من أنعم عليهم بالفرج مما كانوا فيه من الضر ( ليكفروا بما آتيناهم ) يقول : ليحجدوا الله نعمته ، فيما آتاهم من كشف الضر عنهم ( فتستعصموا فسوف تعلمون ) ، وهذا من الله وعيد هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآيات ، وتهديد لهم ، يقول لهم جل ثناؤه : تمتعوا في هذه الحياة الدنيا ، إلى أن توافيكم آجالكم ، وتبلغوا الميقات الذي وقته لحياتكم ، وتمتعكم فيها ، فإنكم من ذلك ستصيرون إلى ربكم ، فتعلمون بلقائه وبال ما كسبت أيديكم ، وتعرفون سوء مغربة أمركم ، وتندمون حين لا ينفعكم الندم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ، تَاللّٰهِ لَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره : ويجعل هؤلاء المشركون من عبدة الأوثان ، لما لا يعلمون منه ضرا ولا نفعا ، نصيبا . يقول : حظا وجزاء مما رزقناهم من الأموال ، إشراكا منهم له بالذي يعلمون أنه خلقهم ، وهو الذي ينفعهم ويضرهم دون غيره :

كالذي حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ) قال : يعلمون أن الله خلقهم ، ويضرهم وينفعهم ، ثم يجعلون لما لا يعلمون أنه يضرهم ولا ينفعهم ، نصيبا مما رزقناهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ) وهم مشركو العرب ، جعلوا الأوثانهم نصيبا مما رزقناهم ، وجزاء من أموالهم يجعلونه لأوثانهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ) قال : جعلوا لآلهتهم التي ليس لها نصيب ولا شيء ، جعلوا لها نصيبا مما قال الله من الحرث والأنعام ، يسمون عليها أسماءها ، ويدبحون لها .

وقوله ( تَاللّٰهِ لَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ) يقول تعالى ذكره : والله أيها المشركون الجاعلون للآلهة والأنداد نصيبا فيما رزقناكم ، شركا بالله وكفرا ، ليسألنكم الله يوم القيامة عما كنتم في الدنيا تفترون ، يعني : تختلقون من الباطل والإفك على الله ، بدعواكم له شريكا ، وتصييركم لأوثانكم فيما رزقكم نصيبا ، ثم ليعاقبنكم عقوبة تكون جزاء لكفرانكم نعمته ، وافتراكم عليه .

= المسيحيون . وراوح بين العمليين : تداول هذا مرة ، وهذا مرة . وجاز إلى الله جزارا : تضرع إليه بالدعاء والاستغاثة . يقول : ليس الراهب المعتكف في هيكله أمام صليبه ، داثبا على صلواته : سجودا وتضرعا إلى الله ، بأعظم منه تق في الحساب . ( خبر ما في البيت الذي بعد البيتين ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَجْمَعُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ، وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٧) وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ

مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : ومن جهل هؤلاء المشركين وخبث فعلهم ، وقبح فيريتهم على ربهم ، أنهم يجعلون لمن خلقهم ودبرهم وأنعم عليهم ، فاستوجب بنعمه عليهم الشكر ، واستحق عليهم الحمد : البنات . ولا ينبغي أن يكون لله ولد ذكر ولا أنثى . سبحانه ، نزه جلّ جلاله بذلك نفسه ، عما أضافوا إليه ونسبوه ، من البنات ، فلم يرضوا بجهلهم إذ أضافوا إليه ما لا ينبغي إضافته إليه ، ولا ينبغي أن يكون له من الولد ، أن يضيفوا إليه ما يشتهونه لأنفسهم ، ويحبونه لها ، ولكنهم أضافوا إليه ما يكرهونه لأنفسهم ، ولا يرضونه لها من البنات ، ما يقتلونها إذا كانت لهم . وفي « ما » التي في قوله ( وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ) وجهان من العربية : النصب عطفًا لها على البنات ، فيكون معنى الكلام ، إذا أريد ذلك : ويجعلون لله البنات ، ولهم البنين الذين يشتهون ، فتكون « ما » للبنين . والرفع ، على أن الكلام مبتدأ من قوله ( وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ) ، فيكون معنى الكلام : ويجعلون لله البنات ، ولهم البنون :

وقوله ( وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا ) يقول : وإذا بشر أحد هؤلاء الذين جعلوا لله البنات ، بولادة ما يضيفه إليه من ذلك له ، ظلّ وجهه مسودًّا ، من كراهته له ( وَهُوَ كَظِيمٌ ) يقول قد كظّم الحزن ، وامتلاً نغماً بولادته له ، فهو لا يظهر ذلك . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَيَجْمَعُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ، وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ) ، ثم قال ( وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ) ... إلى آخر الآية ، يقول : يجعلون لله البنات ، ترضونهنّ لي ، ولا ترضونهنّ لأنفسكم ، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا وُلد للرجل منهم جارية ، أمسكها على هون ، أو دسها في التراب وهي حية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ) وهذا صنيع مشركي العرب ، أخبرهم الله تعالى ذكره بخبث صنيعهم ، فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له ، وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه ، ولعمري ما يدرى أنه خير ، لرُبّ جارية خير لأهلها من غلام . وإنما أخبركم الله بصنيعهم ، لتجتنبوه وتنتهوا عنه ، وكان أحدهم يغذو كلبه ، ويشد ابنته .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( وَهُوَ كَظِيمٌ ) قال : حزين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله ( وَهُوَ كَظِيمٌ ) قال : الكظيم : الكميد . وقد بيننا ذلك بشواهد ، في غير هذا الموضع .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَتَوَرَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ، أَيْمَسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩)

يقول تعالى ذكره : يتوارى هذا المبشَّر بولادة الأنثى من الولد له ، من القوم ، فيغيب عن أبصارهم . ( مِن سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ) يعنى : من مساءته إياه ، ممثلاً بين أن يمسكه على هُونٍ : أى على هوان ، وكذلك ذلك في لغة قريش ، فيما ذُكِر لى ، يقولون للهوان : الهُون ؛ ومنه قول الخطيب :

فَلَمَّا حَشَيْتُ الْهُونَ وَالْعَتِيرُ مُمْسِكٌ عَلَى رَغْمِهِ مَا أَثَبَتَ الْحَبْلَ حَافِرُهُ

وبعض بنى تميم جعل الهُون مصدراً للشيء الهين ، ذكر الكسائى أنه سمعهم يقولون : إن كنت لقليل هُون المؤنة منذ اليوم ؛ قال : وسمعت : الهَوَان في مثل هذا المعنى ، سمعت منهم قائلاً يقول لبعير له : ما به بأس غير هَوَانه ، يعنى خفيف الثمن . فإذا قالوا : هو يمشى على هَوْنه ، لم يقولوه إلا بفتح الهاء ، كما قال تعالى ( وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) . ( أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ) يقول : يدفنه حيا في التراب ، فيثده .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( أَيْمَسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ) : يثد ابنته .

وقوله ( أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ) يقول : ألا ساء الحكم الذى يحكم هؤلاء المشركون ، وذلك أن جعلوا لله ما لا يرضون لأنفسهم ، وجعلوا لما لا ينفعهم ولا يضرهم شيراً كما فيما رزقهم الله ، وعبدوا غير من خلقهم ، وأنعم عليهم .

(١) البيت في ديوان الخطيب طبع التقدم بالقاهرة ص ١٠ قال شارحه : يقول : مادام الحمار مقيدا فهو ذليل ، معترف بالهوان . وهذا مقلوب ، أراد : ما أثبت الحبل حافره (الحبل فاعل أثبت ، والحافر مفعوله) فقلب ، فجعل الفاعل مفعولا ، والمفعول فاعلا ، ومثله : أسلموها في دمشق كما أسلمت وحشية وهقا  
أراد : كما أسلم وحشية ودهق (والوهق : الحبل المغار فيه أنشوطه ، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان ، جمعه أوهاق ..) : وقال عروة ابن الورد :

فلو أنى شهدت أبا سعاد غداة غدا ببهجته يفوق

فديت بنفسه نفسى ومالى وما آلوه إلا ما أطيق

أى لا أترك جهدا ، أراد : فديت نفسه بنفسى ، فقلب .

## القول في تأويل قوله تعالى

لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ ، وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠)

و هذا خبر من الله جل ثناؤه أن قوله ( وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ) ، والآية التي بعدها: مثل ضربه الله هؤلاء المشركين ، الذين جعلوا لله البنات ، فبين بقوله ( لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ ) أنه مثل ، وعنى بقوله جل ثناؤه ( لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ) : للذين لا يصدقون بالمعاد والثواب والعقاب من المشركين ( مَثَلُ السَّوِّءِ ) وهو القبيح من المثل ، وما يسوء من ضرب له ذلك المثل . ( وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ) يقول : والله المثل الأعلى ، وهو الأفضل والأطيب ، والأحسن ، والأجل ، وذلك التوحيد والإذعان له ، بأنه لا إله غيره .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ) قال : شهادة أن لا إله إلا الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ ، وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ) الإخلاص والتوحيد .  
وقوله ( وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) يقول تعالى ذكره : والله ذو العزة التي لا يمتنع عليه معها عقوبة هؤلاء المشركين ، الذين وصف وصفهم في هذه الآيات ، ولا عقوبة من أراد عقوبته على معصيته إياه ، ولا يتعذر عليه شيء أرادته وشاءه ، لأن الخالق خلقه ، والأمر أمره ، الحكيم في تدبيره ، فلا يدخل تدبيره خلل ، ولا خطأ .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ، وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ

مُؤَمَّيٍّ ، فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١)

يقول تعالى ذكره : ( وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ ) عصاة بني آدم بمعاصيهم ( مَا تَرَكَ عَلَيْهَا ) يعني : على الأرض ( مِنْ دَابَّةٍ ) تدب عليها ( وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ ) يقول : ولكن بجلمه يؤخر هؤلاء الظلمة ، فلا يعاجلهم بالعقوبة ( إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ) يقول : إلى وقتهم الذي وقَّت لهم ، ( فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ ) يقول : فإذا جاء الوقت الذي وقَّت هلاكهم ( لَا يَسْتَأْخِرُونَ ) عن الهلاك ساعة فيمهلون ، ( وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ) له حتى يستوفوا آجالهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .



ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال : كاد الجُعَلُ أن يعذبَ بذنبِ بني آدم ، وقرأ ( لَوْ يُوَاحِدُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ) .

حدثنا محمد بن المنثي ، قال : ثنا إسماعيل بن حكيم الخزازي ، قال : ثنا محمد بن جابر الجعفي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، قال : سمع أبو هريرة رجلا وهو يقول : إن الظالم لا يضر إلا نفسه ، قال : فالتفت إليه فقال : بلى ، والله إن الجباري لتموت في وكرها هزلا بظلم الظالم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا أبو عبيدة الحداد ، قال : ثنا قرة بن خالد السدوسي ، عن الزبير بن عدي ، قال : قال ابن مسعود : خطبته ابن آدم قتلت الجُعَل .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، قال : قال عبد الله : كاد الجُعَلُ أن يهلك في جحره بخطبته ابن آدم .

حدثني المنثي ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، قال الله : ( فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ) قال : نرى أنه إذا حضر أجله فلا يؤخر ساعة ، ولا يقدم ، ما لم يحضر أجله ، فإن الله يؤخر ما شاء ، ويقدم ما شاء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَجْمَعُونَ لِمَا يُكْرَهُونَ ، وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى ، لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ  
النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : ويجعل هؤلاء المشركون لله ما يكرهونه لأنفسهم ( وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ ) يقول : وتقول ألسنتهم الكذب وتفتريه ، أن لهم الحسنى ، فإن في موضع نصب ، لأنها ترجمة عن الكذب . وتأويل الكلام : ويجعلون لله ما يكرهونه لأنفسهم ، ويزعمون أن لهم الحسنى ، الذي يكرهونه لأنفسهم البنات يجعلون لله تعالى ، وزعموا أن الملائكة بنات الله . وأما الحسنى التي جعلوها لأنفسهم : فالذكور من الأولاد ، وذلك أنهم كانوا يندون الإناث من أولادهم ، ويستبقون الذكور منهم ، ويقولون : لنا الذكور والله البنات ، وهو نحو قوله ( وَيَجْمَعُونَ لِمَا يُكْرَهُونَ ) والله البنات سبحانه ، ولهم ما يشتهون .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المنثي ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وحدثني المنثي ، قال : أخبرنا

إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، حميما ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَتَصِفُ أُنْسَتَهُمْ  
الْكُذِبَ أَنْ لَمْ تُحْسِنِي ) قال : قول قريش : لنا البنون ، والله البنات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه  
قال : قول كفار قريش .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ  
وَتَصِفُ أُنْسَتَهُمُ الْكُذِبَ ) : أى يتكلمون بأن لهم الحسنى : أى الغلمان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( أَنْ لَمْ تُحْسِنِي )  
قال : الغلمان .

وقوله ( لاجِرَمَ أَنْ لَمْ تُنَّارَ ، وَأَنْتَهُمْ مُفْرَطُونَ ) يقول تعالى ذكره : حقا واجبا أن هؤلاء  
القاتلين لله البنات ، الجاعلين له ما يكرهونه لأنفسهم ، ولأنفسهم الحسنى ، عند الله يوم القيامة النار .

وقد بيئنا تأويل قول الله ( لاجِرَمَ ) في غير موضع من كتابنا هذا بشواهد ، بما أغنى عن إعادته  
في هذا الموضع .

وروى عن ابن عباس في ذلك : ما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ،  
عن ابن عباس ، قوله ( لاجِرَمَ ) يقول : بلى .

وقوله ( لاجِرَمَ ) كان بعض أهل العربية يقول : لم تُنَّصَبْ جرم بلا ، كما نصبت الميم من قول : لا غلام  
لك : قال : ولكنها نُصِبَتْ لأنها فعل ماض ، مثل قول القائل : قَعَدَ فلان وجلس ، والكلام : لا ، ردَّ

لكلامهم ، أى ليس الأمر هكذا ، جِرَمَ : كَسَبَ ، مثل قوله : لا أقسم ، ونحو ذلك . وكان بعضهم يقول :  
نصب جِرَمَ بلا ، وإنما هو بمعنى : لا بد ، ولا محالة ، ولكنها كُثِرَتْ في الكلام ، حتى صارت بمنزلة حقا .

وقوله ( وَأَنْتَهُمْ مُفْرَطُونَ ) يقول تعالى ذكره : وأنهم مُخَلَّفُونَ متروكون في النار ، منسيون فيها .  
واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال أكثرهم بنحو ما قلنا في ذلك .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن  
سعيد بن جبير في هذه الآية ( لاجِرَمَ أَنْ لَمْ تُنَّارَ ، وَأَنْتَهُمْ مُفْرَطُونَ ) قال : منسيون مُضَيَّعُونَ .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا زيد بن حباب ، قال : أخبرنا سعيد ، عن أبي بشر ،  
عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا بهز بن أسد ، عن شعبة ، قال : أخبرني أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، مثله .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( لاجِرَمَ

أَنْ لَمْ تُنَّارَ ، وَأَنْتَهُمْ مُفْرَطُونَ ) قال : متروكون في النار ، منسيون فيها .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا ، عن سعيد بن جبير ، بمثله .



حدثني المثنى ، قال : أخبرنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير بمثله .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَأَنَّهُمْ  
مُفْرَطُونَ ) قال : منسيون .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال :  
ثنا شبل ، وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ،  
عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة وأبو معاوية وأبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاك ( وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ )  
قال : مَرَوْكُونَ فِي النَّارِ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم ، عن مجاهد :  
( مُفْرَطُونَ ) قال : منسيون :

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبي ، عن الحسين ، عن قتادة ( وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ )  
يقول : مُضَاعُونَ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا بدل ، قال : ثنا عباد بن راشد ، قال : سمعت داود بن أبي هند ، في قول  
الله ( وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ) قال : منسيون في النار .

وقال آخرون : معنى ذلك : أَنَّهُمْ مُعْجَلُونَ إِلَى النَّارِ ، مقدّمون إليها ، وذهبوا في ذلك إلى قول العرب :  
أفرطنا فلانا في طلب الماء : إذا قدموه لإصلاح الدلاء والأرشية ، وتسوية ما يحتاجون إليه عند ورودهم عليه ،  
فهو مُفْرَطٌ . فأما المتقدم نفسه فهو فارط ، يقال : قد فرط فلان أصحابه يفرطهم فرطاً وفرطاً : إذا  
تقدمهم . وجمع فارط ، فرطاً ، ومنه قول القطامي :

وَاسْتَعْجَلُونَا وَكَانُوا مِنْ أَصْحَابِنَا كَمَا تَعَجَّلَ فَرَاطٌ لِيُرَادِ

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم « أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْخَوْضِ » : أى متقدمكم إليه وسابقكم « حَتَّى  
تَرُدُّوهُ » .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ) يقول : مُعْجَلُونَ  
إِلَى النَّارِ .

(١) البيت في ديوان القطامي طبعه ليدن سنة ١٩٠٢) وفيه « فاستعجلونا » بالفاء . يقول : استعجلونا : أى أعجلونا ، يريد  
تقدمونا ، والفرط : الذين يتقدمون الرادة ، فيصلحون الأرشية ، حتى يأتي القوم بعدهم . وفي (اللسان : فرط) : وفرط القوم  
يفرطهم فرطاً (من باب قتل) وفرطه : تقدمهم إلى التردد ، لإصلاح الأرشية والدلاء ، ومدد الحياض ، والسق فيها ، فأذا فارط ،  
وهم الفرط ؛ قال القطامي : فاستعجلونا . . الخ البيت . وفي الصحاح : كما تعجل في موضع : كما تقدم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ )  
قال : قد أَفْرَطُوا في النار : أي مُعَجَّلُونَ .  
وقال آخرون : معنى ذلك : مُبْعَدُونَ في النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أشعث السَّيَّان ، عن الربيع ، عن أبي بشر ، عن سعيد ( وَأَنَّهُمْ  
مُفْرَطُونَ ) قال : مُخَسَّنُونَ مُبْعَدُونَ .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : القول الذي اخترناه ، وذلك أن الإفراط الذي هو بمعنى التقديم ،  
إنما يقال فيمن قدم مقدما لإصلاح ما يقدم إليه ، إلى وقت ورود من قدّمه عليه ، وليس بمقدّم من قدّم  
إلى النار من أهلها ، لإصلاح شيء فيها ، لوارد يرد عليها فيها ، فيوافقه مصلحا . وإنما تقدّم من قدّم إليها  
لعذاب يُعَجَّلُ له . فإذا كان معنى ذلك الإفراط الذي هو تأويل التعجيل ، ففسد أن يكون له وجه في الصحة ،  
صح المعنى الآخر ، وهو الإفراط الذي بمعنى التخليف والترك . وذلك أنه يُحْكَمُ عن العرب : ما أفرطت  
ورأى أحدا : أي ما خلّفته ، وما فرطته : أي لم أخلفه .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المصريين الكوفة والبصرة ( وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ )  
بتخفيف الراء وفتحها ، على معنى ما لم يُسَمَّ فاعله ، من أفرط فهو مفرط . وقد بينت اختلاف قراءة ذلك  
كذلك في التأويل . وقراء أبو جعفر القاري ( وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ) بكسر الراء وتشديدها ، بتأويل : أنهم مفرطون  
في أداء الواجب كان الله عليهم في الدنيا ، من طاعته وحقوقه ، مضيعو ذلك ، من قول الله تعالى ( يا حسرتنا  
على ما فرطت في جنب الله ) . وقراء نافع بن أبي نعيم ( وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ) بكسر الراء وتخفيفها .  
حدثني بذلك يونس ، عن ورش ، عنه ، بتأويل : أنهم مفرطون في الذنوب والمعاصي ، مُسْرِفُونَ  
على أنفسهم ، مكثرون منها . من قولهم : أفرط فلان في القول : إذا تجاوز حدّه ، وأسرف فيه .  
والذي هو أولى القراءات في ذلك بالصواب : قراءة الذين ذكرنا قراءتهم من أهل العراق ، لموافقها  
تأويل أهل التأويل الذي ذكرنا قبل ، وخروج القراءات الأخرى عن تأويلهم .

القول في تأويل قوله تعالى

تَأَلَّه لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ، فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ، فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ  
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)

يقول تعالى ذكره ، مقسما بنفسه عز وجل ، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : والله يا محمد لقد أرسلنا رسلا  
من قبلك إلى أممها ، بمثل ما أرسلناك إلى أمتك ، من الدعاء إلى التوحيد لله ، وإخلاص العبادة له ، والإذعان له  
بالطاعة ، وخلع الأنداد والآلهة ( فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ) يقول : فحسّن لهم الشيطان ما كانوا



عليه من الكفر بالله وعبادة الأوثان ، مقيمين ، حتى كذبوا رسلهم ، وردوا عليهم ماجاءوهم به من عند ربهم ( فَهَوُّوْا وَلِيْثَهُمُْ الْيَوْمَ ) يقول : فالشيطان ناصرهم اليوم في الدنيا ، وبئس الناصر ( وَهَلْهُمْ عَدَّآبُ الْيَوْمِ ) في الآخرة عند ورودهم على ربهم ، فلا ينفعهم حينئذ ولاية الشيطان ، ولا هي نفعهم في الدنيا ، بل ضررتهم فيها ، وهي لهم في الآخرة أضر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ (٦٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أنزلنا يا محمد عليك كتابنا ، وبعثناك رسولا إلى خلقنا ، إلا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله ، فتعرفهم الصواب منه ، والحق من الباطل ، وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله ، الذي بعثك بها .

وقوله ( وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) يقول : وهدى بيانا من الضلالة ، يعنى بذلك الكتاب ، ورحمة لقوم يؤمنون به ، فيصدقون بما فيه ، ويقرؤون بما تضمن من أمر الله ونهيه ، ويعملون به ، وعطف بالهدى على موضع ليبين ، لأن موضعها نصب . وإنما معنى الكلام : وما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانا للناس فيها اختلفوا فيه ، هدى ورحمة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

يَسْمَعُونَ (٦٥)

يقول تعالى ذكره ، منبه خلقه على حججه عليهم في توحيدهِ ، وأنه لا تنبغى الألوهة إلا له ، ولا تصلح العبادة لشيء سواه : أيها الناس ، معبودكم الذي له العبادة دون كل شيء ( أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ) يعنى : مطرا ، يقول : فأنبت بما أنزل من ذلك الماء من السماء ، الأرض الميتة التي لا زرع بها ولا عشب ولا نبت : ( بَعْدَ مَوْتِهَا ) بعد ما هي ميتة ، لا شيء فيها ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ) يقول تعالى ذكره : إن في إحيائنا الأرض بعد موتها ، بما أنزلنا من السماء من ماء ، لدليلا واضحا ، وحجة قاطعة عذر من فكر فيه ( لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ) يقول : لقوم يسمعون هذا القول ، فيتدبرونه ويعقلونه ، ويطيعون الله بما دهم عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ، تُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ، لَبَنًا

خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّرْبِ بَيْنَ (٦٦)

يقول تعالى ذكره : وإن لكم أيها الناس لعظة في الأنعام التي نُسْقِيكُمْ مما في بطونه .

واختلفت القراء في قراءة قوله (نُسْقِيكُمْ) ، فقراءته عامة أهل مكة والعراق والكوفة والبصرة ، سوى عاصم ؛ ومن أهل المدينة أبو جعفر : (نُسْقِيكُمْ) بضم النون ، بمعنى : أنه أسقاهم شراباً دائماً . وكان الكسائي يقول : العرب تقول : أسقيناهم نهراً ، وأسقيناهم لبناً : إذا جعلته شرباً دائماً ، فإذا أرادوا أنهم أعطوه شربة قالوا : سقيناهم ، فنحن نَسْقِيهم ، بغير ألف . وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة ، سوى أبي جعفر ؛ ومن أهل العراق عاصم (نَسْقِيكُمْ) بفتح النون ، من سقاه الله ، فهو يَسْقِيه ، والعرب قد تدخل الألف فيما كان من السقي غير دائم ، وتزعمها فيما كان دائماً ، وإن كان أشهر الكلامين عندها ما قال الكسائي ، يدل على ما قلنا من ذلك ، قول لبيد في صفة سحاب :

سَقَى قَوْمِي بَيْتِي بِجَدِّ وَأَسْقَى نَمِيرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هَيْلَالٍ

فجمع اللغتين كلتيهما في معنى واحد . فإذا كان ذلك كذلك ، فآية القراءتين قرأ القاري فصيحاً ، غير أن أعجب القراءتين إلى ، قراءة ضم النون ، لما ذكرت من أن أكثر الكلامين عند العرب فيما كان دائماً من السقي : أسقى بالألف ، فهو يُسْقِي ، وما أسقى الله عباده من بطون الأنعام ، فدائم لهم غير منقطع عنهم . وأما قوله (مِمَّا فِي بَطُونِهِ) وقد ذكر الأنعام قبل ذلك ، وهي جمع ، والهاء في البطون موحدة ، فإن لأهل العربية في ذلك أقوالاً . فكان بعض نحووي الكوفة يقول : النعم والأنعام شيء واحد ، لأنهما جميعاً جمعان ، فرد الكلام في قوله (مِمَّا فِي بَطُونِهِ) إلى التذكير ، مراداً به معنى النعم ، إذ كان يؤدي عن الأنعام ، ويستشهد لقوله ذلك برجز بعض الأعراب :

إِذَا رَأَيْتَ أَنْجُمًا مِنْ الْأَسَدِ جِبْهَتِهِ أَوْ الْحَرَاةِ وَالكَتَدِ  
بِالْ سُهَيْلِ فِي الْفَضِيخِ فَفَسَدِ وَطَابَ أَلْبَانُ اللَّفَّاحِ قَبْرَدِ

ويقول : رجع بقوله : « فبرد » إلى معنى اللبن ، لأن اللبن والألبان تكون في معنى واحد ، وفي تذكير النعم قول الآخر :

(١) البيت لبيد (لسان العرب : سق) قال : السق : معروف ، والاسم : السقيا بالضم . وسقاه الله الغيث وأسقاه ، وقد جمعهما لبيد في قوله : « سق قومي » . وقال الفراء في معاني القرآن : (١٧٤) العرب تقول : لكل ما كان من بطون الأنعام ، ومن السماء أو نهر يجري لقوم : أسقيت . فإذا سقاك الرجل ماء لشفتك ، قالوا : سقاه ، ولم يقولوا : أسقاه ، كما قال الله عز وجل : « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً » . وقال : « الذي يطعمني ويسقين » . وربما قالوا لما في بطون الأنعام وسماء السماء : سق وأسق ، كما قال لبيد : « سق قومي » . . . البيت . وقد اختلفت القراء ، وقرأ بعضهم : نسقيكم ، وبعضهم : يسقيكم .

(٢) الأبيات الثلاثة الأولى في (اللسان : جبه) قال : الأزهرى : الجهة النجم الذي يقال له : جهة الأسد ، وهي أربعة أنجم يزلها القمر ، قال الشاعر : « إذا رأيت . . . وفي (اللسان : خرت) : والخراة ن : نجمان من كواكب الأسد ، وهما كوكبان ، بينهما قدر سوط ، وهما كتفا الأسد ، وأحدتهما خراة ، وأنشد الأبيات الأربعة . وفي (اللسان : كتد) : والكتد : نجم ، أنشد ثعلب : « إذا رأيت . . . الخ الأبيات . وفي (اللسان : سهيل) الأزهرى : سهيل كوكب لا يرى بخراسان ، ويرى بالعراق ، وقال ابن كنانة ، سهيل يرى بالحجاز ، وفي جميع أرض العرب ، ولا يرى بأرض إزميلية . وقال الأزهرى : سهيل كوكب يمان . وفي (اللسان : فضخ) : الفضيخ : عصير العنب ، وهو أيضاً شراب يتخذ من البسر المفصوخ وحده ، من غير أن تسم النار ، وهو المشدوخ . =



أَكُلَّ عَامٍ نَعَمٌ نَحْوُونَهُ يُلْقِيهِ قَوْمٌ وَتَسْتَجُونَهُ<sup>١</sup>

فذكر النعم ؛ وكان غيره منهم يقول : إنما قال ( يَمْنَى فِي بَطُونِهِ ) لأنه أراد : مما في بطون ما ذكرنا ؛ ويشد في ذلك رجزا لبعضهم :

مِثْلُ الْفِرَاحِ نَتِفَتْ حَوَاصِلُهُ<sup>٢</sup>

وقول الأسود بن يعْفُر :

إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْحُتُوفَ كِلَاهُمَا يُونِي الْمَخَارِمَ يَرْفُئَانِ سَوَادِي<sup>٣</sup>

فقال : كلاهما ، ولم يقل : كلتاها ؛ وقول الصَّلْتَانِ الْعَبْدِي :

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ ضُمْنَا قَسْبًا بَمَرٍّ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ<sup>٤</sup>

وقول الآخر :

« وقضخت البسر وافتضخته ، قال الرازي : « بال سهيل في الفصيخ ففسد » يقول : لما طلع سهيل . ذهب زمن البسر وأرطب ، فكانه بال فيه . وأصل هذه الشواهد من شواهد الفراء في معاني القرآن ، قال : ( ص ١٧٤ ) : « وأما قوله « مما في بطونه » ، ولم يقل « بطونها » فإنه قيل - والله أعلم - إن النعم والأنعام شيء واحد ، وهما جمعان ، فرجع التذكير إلى معنى « النعم » ، إذ كان يؤدي عن الأنعام . أنشده في بعضهم : إذا رأيت أنجما . . . الخ الأبيات الأربعة ، وهي من مشطور الرجز . فرجع ( ضمير قوله فبرد ) إلى اللبن ، والألبان يكون في معنى واحد . قال : وقال الكسائي « نسقكم مما في بطونه » : بطون ما ذكرنا . وهو صواب . أنشده في بعضهم : « مثل الفراح نفت حواصله »

(١) هذا الرجز لقيس بن الحصين بن يزيد الحارثي ، أنشده أبو عبيدة في ( مجاز القرآن ١ : ٣٦٢ ) وأنشده بعد بيتي الشاهد ، بيتا ثالثا وهو : « أربابه نوكتي ولا يجمعونه » . والشاهد فيه أن الأنعام يذكر ويؤنث . قال : وقال آخرون : المعنى على النعم ، لأن النعم ، يذكر ويؤنث . وأنشده في اللسان ( نعم ) قال : وقال آخر في تذكير النعم :

فِي كُلِّ عَامٍ نَعَمٌ يَحْوُونَهُ يُلْقِيهِ قَوْمٌ وَتَسْتَجُونَهُ

وذكر الرجز البغدادي في الخزانة ( ١ : ١٩٦ - ١٩٧ ) وزاد فيه أبياتا ، قال : وتنجونه بتاء الخطاب : يقال نتج الناقة أهلها إذا استولوا لها . وأنجت الفرس بالمهزمة : حان نتاجها . والنتاج بالكسر : اسم يشمل وضع البهائم من النعم وغيرها . وإذا ولي الإنسان ناقة أو شاة ما خضا حتى تضع ، قيل نتجها نتجا من باب ضرب ، فالإنسان كالتقابلة ، لأنه يخلق الولد ويصلح من شأنه ، فهو نتاج ، والبهيمة منتوجة ، والولد : نتيجة .

يقول : يحملون الفحولة على النوق ، فإذا حملت أغرم أنتم عليها . ورواية البيت في الخزانة كرواية المؤلف . والأبيات قيلت في يوم الكلاب الثاني ، وهو ما لبى تميم بين الكوفة والبصرة .

(٢) هو مثل الشاهد السابق على سابقه . أنشده الفراء في معاني القرآن ( ص ١٧٤ ) شاهدا ، على أن قوله نفت حواصله ، أي حواصل ما ذكرنا ، كما فسره الكسائي . ونقله صاحب اللسان في ( نعم ) مع أشباه له .

(٣) البيت للأسود بن يعفر النهشل التميمي ( المفضليات : ١٠١ ) والمنية : الموت . والختوف : جمع حنق يريد أنواع الأخطار التي تؤدي إلى الموت . والمخارم : جمع مخرم : الطريق في الغلط ، عن السكري ، وقيل : الطرق في الجبال ، وأقواء الفجاج . وسواد الإنسان : شخصه . والشاهد في البيت قوله « كلاهما » بالتذكير ، مع أن المنية والختوف مؤنثان . وكان حقه أن يقول : كلتاها ، لأن الشاعر لم يحفل بهذا التأنيث ، واعتبر المذكور أولا مذكرا ، بمعنى الشيتين .

(٤) الشاهد في البيت أن السباحة والمروءة لفظتان مؤنثتان ولم يؤنث الفعل المتحليل ضميرها ، فقال الشاعر : ضمنا ، ولم يقل ضممتا ، لأنه اعتبر ما رجع إليه الضمير قبل الفعل شيتين مذكرين ، أو خلقين ، فلذلك لم يؤنث الفعل المستند إلى ضميرهما .

وَعَفْرَاءُ أَدَّتِي النَّاسَ مَبْنِي مَوَدَّةً وَعَفْرَاءُ عَسَى الْمُعْرِضُ الْمُتَوَانِي<sup>١</sup>

ولم يقل : المعرضة المتوانية ، وقول الآخر :

إِذَا النَّاسُ نَاسٌ وَالْبِلَادُ بَغِيظَةٌ وَإِذْ أُمُّ عَمَّارٍ صَدِيقٌ مُسَاعِفٌ<sup>٢</sup>

ويقول : كل ذلك على معنى هذا الشيء ، وهذا الشخص ، والسواد ، وما أشبه ذلك ، ويقول من ذلك قول الله تعالى ذكره ( فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَأْيِي ) بمعنى : هذا الشيء الطالع . وقوله ( إِنَّ هَذِهِ تَذَكِيرَةٌ ، فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ) ولم يقل ذكرها ، لأن معناه : فمن شاء ذكر هذا الشيء . وقوله ( وَإِذَا مَرُسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَ سَلِيمَانُ ) ، ولم يقل : جاءت .

وكان بعض البصريين يقول : قيل ( مِمَّا فِي بَطُونِهِ ) ، لأن المعنى : نسقيكم من أى الأنعام كان في بطونه ، ويقول : فيه اللبن مضمرة ، يعنى : أنه يسقى من أيها كان ذا لبن ، وذلك أنه ليس لكلها لبن ، وإنما يسقى من ذوات اللبن . والقولان الأولان أصح مخرجا على كلام العرب ، من هذا القول الثالث .

وقوله ( مِنْ بَيْنِ فَرَثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا ) يقول : نسقيكم لبنا ، نخرجه لكم من بين فرث ودم خالصا : يقول : خلص من مخالطة الدم والفرث ، فلم يختلطا به ، ( سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ) يقول : يسوغ لمن شربه ، فلا يتغص به كما يتغص الغاص ببعض ما يأكله من الأطعمة . وقيل : إنه لم يتغص أحد باللبن قط .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره : ولكم أيضا أيها الناس عبرة<sup>٣</sup> فيما نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب ، ما تتخذون منه سكرًا وريزقا حسنا ، مع ما نسقيكم من بطون الأنعام ، من اللبن الخارج من بين الفرث والدم . وحذف من قوله ( وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ ) الاسم ، والمعنى ما وصفت ، وهو : ومن ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه ، لدلالة « مِنْ » عليه ، لأن « مِنْ » تدخل في الكلام مبغضة ، فاستغنى بدلالتها ومعرفة السامعين ، بما يقتضى من ذكر الاسم معها . وكان بعض نحويي البصرة يقول في معنى الكلام : ومن ثمرات النخيل والأعناب شيء تتخذون منه سكرًا ، ويقول : إنما ذكرت الهاء في قوله ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ ) لأنه أريد بها الشيء ، وهو عندنا عائد على المتروك ، وهو « ما » . وقوله ( تَتَّخِذُونَ ) : من صيغة « ما » المتروكة .

(١) استشهد المؤلف بهذا البيت على أن المعرض وهو خبر لعفراء ، لم يطابق المبتدأ في التأنيث ، وهو عفراء ، لأن الشاعر ذهب إلى معنى الحبيب أو الشخص ، ما هو مذكر في المعنى .

(٢) وهذا الشاهد كتابته ، لأن الشاعر ذهب إلى أن أم عمار شخص . فلذلك قال صديق على التأويل ، ولم يقل صديقة على المطابقة . والصديق المساعف : أى المواصل ، الذى يدنو من صديقه ، ويسعفه بحاجته .



واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) فقال بعضهم : عنى بالسَّكَّرِ : الخمر ، وبالرزق الحسن : التمر والزبيب ، وقال : إنما نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر ، ثم حرِّمتم بعد .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أيوب بن جابر السُّحَيْمِيُّ ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس ، قوله ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) قال : السَّكَّرُ : ما حرِّم من شرابه ، والرزق الحسن : ما أحل من ثمرته .

حدثنا ابن وكيع وسعيد بن الربيع الرازي ، قالوا : ثنا ابن عيينة ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) قال : الرزق الحسن : ما أحل من ثمرتها ، والسَّكَّرُ : ما حرِّم من ثمرتها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس مثله . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس بنحوه .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الأسود بن قيس ، قال : سمعت رجلاً يحدث عن ابن عباس في هذه الآية ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) قال : السكر : ما حرِّم من ثمرتهما ، والرزق الحسن : ما أحل من ثمرتهما .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا الحسن بن صالح ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو غسان ، قال : ثنا زهير بن معاوية ، قال : ثنا الأسود بن قيس ، قال : ثنا عمرو بن سفيان ، قال : سمعت ابن عباس يقول : وذكرت عنده هذه الآية ( وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) قال : السكر : ما حرِّم منهما ، والرزق الحسن : ما أحل منهما .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان البصري ، قال : قال ابن عباس ، في قوله ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) قال : فأما الرزق الحسن : فما أحل من ثمرتهما ، وأما السكر : فما حرِّم من ثمرتهما .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان البصري ، عن ابن عباس ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) قال : السكر : حرَّامه ، والرزق الحسن : حلاله .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس قال : السَّكَّرُ : ما حرّم من ثمرتها ، والرزق الحسن : ما حلّ من ثمرتها .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الرزق الحسن : الحلال : والسَّكَّرُ : الحرام .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) قال : ما حرّم من ثمرتها ، وما أحلّ من ثمرتها .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : السكر خمّر والرزق الحسن الحلال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مسعر وسفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : الرزق الحسن : الحلال ، والسَّكَّرُ : الحرام .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في هذه الآية ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) قال : السَّكَّرُ : الحرام ، والرزق الحسن : الحلال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي رزين ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) قال : نزل هذا وهم يشربون الخمر ، فكان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن متهدي ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم .

والشعبي وأبي رزين ، قالوا : هي منسوخة في هذه الآية ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا أبو قطن ، عن سعيد ، عن المغيرة ، عن إبراهيم والشعبي وأبي رزين .

بمثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) قال : هي منسوخة ، نسخها تحريم الخمر .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هُوَذَةَ ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) قال : ذكر الله نعمته في السَّكَّرِ قبل تحريم الخمر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور وعوف ، عن الحسن ، قال السكر : ما حرّم الله منه ، والرزق : ما أحلّ الله منه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن الحسن ، قال : الرزق الحسن : الحلال ، والسَّكَّرُ : الحرام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة ، عن الضحاك ، قال : الرزق الحسن : الحلال ، والسَّكَّرُ : الحرام .



حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي كدينة بجي بن المهلب ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : السكر : الخمر ، والرزق الحسن : الرطب والأعناب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا ) قال : هي الخمر قبل أن تحرم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا ) قال : الخمر قبل تحريمها ( وَرِزْقًا حَسَنًا ) قال : طعاما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) أما السكر : فخمور هذه الأعاجم ، وأما الرزق الحسن : فما تنتبذون ، وما تخللون ، وما تأكلون ، ونزلت هذه الآية ولم تحرم الخمر يومئذ ، وإنما جاء تحريمها بعد ذلك في سورة المائدة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، قال : قرأت على ابن أبي عذرة ، قال : هكذا سمعت قتادة ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) ثم ذكر نحو حديث بشر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( سُكْرًا ) قال هي : خمور الأعاجم ، ونُسخت في سورة المائدة ، والرزق الحسن : ما تنتبذون وتخللون وتأكلون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) وذلك أن الناس كانوا يسمون الخمر سكرًا ، وكانوا يشربونها ، قال ابن عباس : مرّ رجال بوادي السكران الذي كانت قريش تجتمع فيه ، إذا تلتقوا مسافريهم ، إذا جاءوا من الشام ، وانطلقوا معهم يشيعونهم ، حتى يبلغوا وادي السكران ، ثم يرجعوا منه ، ثم سبأها الله بعد ذلك الخمر حين حرمت ، وقد كان ابن عباس يزعم أنها الخمر ، وكان يزعم أن الحبشة يسمون الخمر السكر ، قوله ( وَرِزْقًا حَسَنًا ) يعني بذلك : الحلال التمر والزبيب ، وما كان حلالا لايسكر .

وقال آخرون : السكر بمنزلة الخمر في التحريم ، وليس بخمر ، وقالوا : هو نقيع التمر والزبيب : إذا اشتدّ وصار يسكر شاربه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، في قوله ( وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ )

(١) قوله : قال ابن عباس إلى يرجعوا منه . كذا في النسخ . وهو كالمقحم وسط الكلام ، وقد أسقطه السيوطي من الدر المنثور حين روى هذا الحديث .

والأعشاب تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال ابن عباس : كان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر ، والسكر حرام مثل الخمر ؛ وأما الحلال منه ، فالزبيب والتمر والحل ونحوه .

حدثني المثنى ، وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا ) فحرم الله بعد ذلك ، يعني بعد ما أنزل في سورة البقرة من ذكر الخمر ، والميسر والأنصاب والأزلام ، السُّكْرَ مع تحريم الخمر ، لأنه منه ، قال ( وَرِزْقًا حَسَنًا ) فهو الحلال من الحل والنبيذ ، وأشبه ذلك ، فأقره الله ، وجعله حلالا للمسلمين .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن موسى ، قال : سألت مرّة عن السُّكْرِ فقال : قال عبد الله : هو خمر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي فروة ، عن أبي عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : السكر : خمر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي الهيثم ، عن إبراهيم ، قال : السكر : خمر .  
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا حسن بن صالح ، عن مغيرة ، عن إبراهيم وأبي رزين ، قالا : السكر : خمر .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا ) يعني : ما أسكر من العنب والتمر ( وَرِزْقًا حَسَنًا ) يعني : ثمرتها .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) قال : الحلال ما كان على وجه الحلال ، حتى غيروها ، فجعلوا منها سُكْرًا .  
وقال آخرون : السُّكْرُ : هو كل ما كان حلالا شربه ، كالنبيذ الحلال ، والحل ، والرطب .  
والرزق الحسن : التمر والزبيب .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني داود الواسطي ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال أبو روق : ثنى قال : قلت للشعبي : رأيت قوله تعالى ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا ) أهو هذا السُّكْرُ الذي تصنعه النِّبَّط ؟ قال : لا ، هذا خمر ، إنما السكر الذي قال الله تعالى ذكره : النبيذ ، والحل ، والرزق الحسن : التمر والزبيب .

حدثني يحيى بن داود ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : وذكر مجالد ، عن عامر ، نحوه .  
حدثنا أحمد بن إسماعيل ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا مندل ، عن ليث ، عن مجاهد ( تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) قال : ما كانوا يتخذون من النخل : النبيذ ، والرزق الحسن : ما كانوا يصنعون من الزبيب والتمر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا مندل ، عن أبي روق ، عن الشعبي ، قال : قلت له :



ما تتخذون منه سكرًا ، قال : كانوا يصنعون من النبيذ والخل ؛ قلت : والرزق الحسن ، قال : كانوا يصنعون من التمر والزبيب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة وأحمد بن بشير ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : السكر : النبيذ والرزق الحسن : التمر الذي كان يؤكل . وعلى هذا التأويل ، الآية غير منسوخة ، بل حكمها ثابت .  
وهذا التأويل عندي : هو أولى الأقوال بتأويل هذه الآية ، وذلك أن السكر في كلام العرب على أحد أوجه أربعة : أحدها : ما أسكر من الشراب . والثاني : ما طعم من الطعام ، كما قال الشاعر :

جَعَلْتُ عَيْبَ الْأَكْرَمِينَ سَكْرًا ١

أى طعاما . والثالث : السُّكُونُ من قول الشاعر :

جَعَلْتُ عَيْنَ الْحَرُورِ تَسْكُرُ ٢

وقد بينا ذلك فيما مضى . والرابع : المصدر من قولهم : سكر فلان يسكر سكرًا وسكرًا وسكرًا ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان ما يُسكر من الشراب حراما ، بما قد دللنا عليه في كتابنا المسمى : « لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام » ، وكان غير جائز لنا أن نقول : هو منسوخ ، إذ كان المنسوخ : هو ما نفي حكمه الناسخ ، وما لا يجوز اجتماع الحكم به وناسخه ، ولم يكن في حكم الله تعالى ذكره بتحريم الخمر ، دليل على أن السكر الذي هو غير الخمر ، وغير ما يسكر من الشراب ، حرام ، إذ كان السكر أحد معانيه عند العرب ، ومن نزل بلسانه القرآن : هو كل ما طعم ، ولم يكن مع ذلك ، إذ لم يكن في نفس التنزيل دليل على أنه منسوخ ، أوورد بأنه منسوخ خير من الرسول ، ولا أجمعت عليه الأمة ، فوجب القول بما قلنا ، من أن معنى السكر في هذا الموضع : هو كل ما حل شربه ، مما يتخذ من ثمر النخل والكرم ، وفسد أن يكون معناه الخمر ، أو ما يسكر من الشراب ، وخرج من أن يكون معناه السكر نفسه ، إذ كان السكر ليس مما يتخذ من النخل والكرم ، ومن أن يكون بمعنى السُّكُونِ .

وقوله ( إن في ذلك لآية ليقوم يعقلون ) يقول : فيما إن وصفنا لكم من نعمنا التي آتيناكم أيها

(١) تقدم الكلام على هذا الشاهد في صفحة ١٣ من هذا الجزء ، وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٦٣ ) عند قوله تعالى « تتخذون منه سكرًا » : أى طعاما ، وهذا له سكر : أى طعم . وقال جندب « جعلت عيب الأكرمين سكرًا » . قال : وله موضع آخر ، مجازه سكتا . ورواية البيت في اللسان :

جَعَلْتُ أَعْرَاضَ الْكِرَامِ سَكْرًا

أى جعلت ذمهم طعاما لك .

(٢) تقدم الكلام على هذا الشاهد في صفحة من هذا الجزء ، واستشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٦٣ ) بعد الشاهد السابق ، وعطفه عليه بقوله : وقال :

جاء الشتاء واجتال القنبر وجعلت عين الحرور تسكر

أى يسكن حرها ويخبو . ويقال : ليلة ساكرة : أى ساكنة . وقال :

تريد الليالي في طولها وليست بطلق ولا ساكرة

ويروى : تزيد ليالي في طولها . اهـ . وفي ( اللسان : سكر ) : تزداد .

الناس من الأنعام والنحل والكرم ، لدلالة واضحة وآية بيّنة لقوم يعقلون عن الله حججه ، ويفهمون عنه مواعظه ، فيتعظون بها .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ: أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ، وَمِنَ الشَّجَرِ ، وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : وألمم ربك يا محمد النحل لإيحاء إليها ( أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ) يعني : مما يبنون من السقوف ، فرفعوها بالبناء .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان ، عن إسحاق التميمي ، وهو ابن أبي الصباح ، عن رجل ، عن مجاهد ( وأوحى ربك إلى النحل ) قال : ألمها إلهاما .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : بلغني ، في قوله ( وأوحى ربك إلى النحل ) قال : قذف في نفسها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو سفيان ، عن معمر ، عن أصحابه ، قوله ( وأوحى ربك إلى النحل ) قال : قذف في نفسها : أن اتخذ من الجبال بيوتاً .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه عن ابن عباس ، قوله ( وأوحى ربك إلى النحل ) . . . الآية ، قال : أمرها أن تأكل من الثمرات ، وأمرها أن تتبع سبل ربها ذللاً .

وقد بيننا معنى الإيحاء ، واختلاف المختلفين فيه فيما مضى بشواهد ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، وكذلك معنى قوله ( يعرشون ) .

وكان ابن زيد يقول في معنى يعرشون ، ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( يعرشون ) قال الكرم :

## القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ كَلِيَ مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ ، فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩)

يقول تعالى ذكره : ثم كلى أيها النحل من الثمرات ( فاسلكي سبل ربك ) يقول : فاسلكي طرق ربك ( ذللاً ) يقول : مددلة لك ، والذلل جمع ذلول .



وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( فاسألنك سبيل ربك ذللاً ) قال : لا يتوعر عليها مكان سلكته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فاسألنك سبيل ربك ذللاً ) قال : طرقت ذللاً ، قال : لا يتوعر عليها مكان سلكته . وعلى هذا التأويل الذي تأوله مجاهد ، الدليل : من نعت السبل .

والتأويل على قوله ( فاسألنك سبيل ربك ذللاً ) الدليل لك : لا يتوعر عليك سبيل سلكتيه ، ثم أسقطت الألف واللام ، فنصب على الحال .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فاسألنك سبيل ربك ذللاً ) : أي مطيعة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( ذللاً ) قال : مطيعة . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فاسألنك سبيل ربك ذللاً ) قال : الذلول : الذي يقاد ويذهب به حيث أراد صاحبه ، قال : فهم يخرجون بالنحل ينتجعون بها ويذهبون ، وهي تتبعهم . وقرأ ( أولم يروا أننا خلقتنا لهم مما عمات أيدينا أنعاما ، فهم لها مالكون ، وذللناها لهم ) ... الآية ، فعلى هذا القول ، الدليل : من نعت النحل ، وكلا القولين غير بعيد من الصواب في الصحة ، وجهان مخترجان ، غير أنا اخترنا أن يكون نعتا للسبل لأنها إليها أقرب .

وقوله ( يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ) يقول تعالى ذكره : يخرج من بطون النحل شراب ، وهو العسل ، مختلف ألوانه ، لأن فيه أبيض وأحمر وأحمر ، وغير ذلك من الألوان . قال أبو جعفر : أحر : ألوان مختلفة ، مثل أبيض يضرب إلى الحمرة .

وقوله ( فيه شفاء للناس ) اختلف أهل التأويل فيما عادت عليه الهاء التي في قوله ( فيه ) ، فقال بعضهم : عادت على القرآن . وهو المراد بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا الحارثي ، عن ليث ، عن مجاهد ( فيه شفاء للناس ) قال : في القرآن شفاء .

وقال آخرون : بل أريد بها العسل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يخرج من بطونها شراب

مُحْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ) ففيه شفاء ، كما قال الله تعالى ، من الأدوية ، وقد كان ينهى عن تفریق النحل ، وعن قتلها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر أن أخاه اشتكى بطنه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اذْهَبْ فَاسْتَقِ أَخَاكَ عَسَلًا ، ثم جاءه فقال : ما زاده إلا شدة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اذْهَبْ فَاسْتَقِ أَخَاكَ عَسَلًا ، فَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَحِيكَ ، فسقاه ، فكأنما نُشِيطُ من عِقَالٍ . »

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُحْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ) قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : « شفاءان : العسل شفاء من كل داء ، والقرآن شفاء لما في الصدور . »

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ) : العسل .

وهذا القول ، أعنى قول قتادة : أولى بتأويل الآية ، لأن قوله ( فِيهِ ) في سياق الخبر عن العسل ، فإن تكون الماء من ذكر العسل ، إذ كانت في سياق الخبر عنه : أولى من غيره .

وقوله ( إن في ذلك لآيةً ليقوم يشفكروا ) يقول تعالى ذكره : إن في إخراج الله من بطون هذه النحل : الشراب المختلف ، الذي هو شفاء للناس ، للدلالة وحجة واضحة على من تحتر النحل ، وهداها لأكل الثمرات التي تأكل ، واتخاذها البيوت التي تبتعث من الجبال والشجر والعروش ، وأخرج من بطونها ما أخرج من الشفاء للناس : أنه الواحد الذي ليس كمثل شيء ، وأنه لا ينبغي أن يكون له شريك ، ولا تصح الألوهة إلا له .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ

شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : والله خلقكم أيها الناس وأوجدكم ، ولم تكونوا شيئاً ، لا الآلهة التي تعبدون من دونه ، فاعبدوا الذي خلقكم دون غيره . ( ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ) يقول : ثم يقبضكم ( وَمِنكُم مَّن يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ ) يقول : ومنكم من يهرم ، فيصير إلى أردل العمر ، وهو أَرْدُوهُ ، يقال منه : رَدُّهُ الرجل وفَسَّل ، يرُدُّ رَدًّا لهُ ورُدُّوهُ ، ورَدُّ لَتُهُ أنا . وقيل : إنه يصير كذلك في خمس وسبعين سنة .

حدثني محمد بن إسحاق الفزاري ، قال : أخبرنا محمد بن سوار ، قال : ثنا أسد بن عمران ، عن سعد بن



طريف ، عن الأصبع بن نباتة ، عن عليّ ، في قوله ( وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أُرْدَالِ الْعُمْرِ ) قال :  
خمسٌ وسبعون سنة .

وقوله ( لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ) يقول : إنما نرده إلى أُرْدَالِ الْعُمْرِ ، ليعود جاهلا كما كان  
في حال طفولته وصباه . ( بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ) يقول : لتلا يعلم شيئا بعد علم كان يعلمه في شبابه ، فذهب ذلك  
بالكبر ونسي ، فلا يعلم منه شيئا ، وانسلخ من عقله ، فصار من بعد عقل كان له ، لا يعقل شيئا ( إِنْ اللَّهُ  
عَلَيْكُمْ قَدِيرٌ ) يقول : إن الله لا ينسى ، ولا يتغير علمه ، عليم بكل ما كان ويكون ، قديرٌ على ما شاء ،  
لا يجهل شيئا ، ولا يُعجزه شيء أراده .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَىٰ رِزْقِهِمْ عَلَىٰ  
مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ، أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ؟ (٧١)

يقول تعالى ذكره : والله أيها الناس فضل بعضكم على بعض في الرزق الذي رزقكم في الدنيا ، فما  
الذين فضلهم الله على غيرهم بما رزقهم ( بِرَادَىٰ رِزْقِهِمْ ) على ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ) يقول : بمشركي  
ممالئكم فيما رزقهم من الأموال والأزواج ( فِيهِ سَوَاءٌ ) يقول : حتى يستوا هم في ذلك  
وعبيدكم ، يقول تعالى ذكره : فهم لا يرضون بأن يكونوا هم وممالئكم فيما رزقهم سواء ، وقد جعلوا  
عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني . وهذا مثل ضربه الله تعالى ذكره للمشركين بالله . وقيل : إنما عني  
بذلك ، الذين قالوا : إن المسيح ابن الله من النصارى . وقوله ( أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ) : يقول تعالى  
ذكره : أفبِنِعْمَةِ اللَّهِ التي أنعمها على هؤلاء المشركين ، من الرزق الذي رزقهم في الدنيا ، يجحدون بإشراكهم  
غير الله من خلقه ، في سلطانه ومملكه ؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله : ( وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَىٰ رِزْقِهِمْ ) على  
مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ) يقول : لم يكونوا يُشْرِكُونَ عبيدهم في أموالهم ونسأهم ، فكيف يشركون عبيدي  
معي في سلطاني ، فذلك قوله ( أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ) ؟

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس :  
هذه الآية في شأن عيسى بن مريم ، يعني بذلك نفسه ، إنما عيسى عبد ، فيقول الله : والله ما تشركون  
عبيدكم في الذي لكم ، فتكونوا أنتم وهم سواء ، فكيف ترضون لي بما لا ترضون لأنفسكم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، في قوله ( بَرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ) قال : مثل آلهة الباطل مع الله تعالى ذكره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ، أَقْبِنِعْمَةَ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ؟ ) وهذا مثل ضربه الله ، فهل منكم من أحد شارك مملوكه في زوجته وفي فراشه ، فتعدلون بالله خلقه وعباده ، فإن لم ترض لنفسك هذا ، فالله أحق أن ينزهه منه من نفسك ، ولا تعدل بالله أحدا من عباده وخلقه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ) قال : هذا الذي فضل في المال والولد ، لا يشرك عبده في ماله وزوجته ، يقول : قد رضيت بذلك لله ، ولم ترض به لنفسك ، فجعلت لله شريكا في ملكه وخلقه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ؟ (٧٢)

يقول تعالى ذكره : ( والله ) الذي ( جعل لكم ) أيها الناس ( من أنفسكم أزواجا ) يعني أنه خلق من آدم زوجته حواء ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ) : أي والله خلق آدم ، ثم خلق زوجته منه ( ثم جعل لكم بنين وحفدة ) .

واختلف أهل التأويل في المعنيين بالحفدة ، فقال بعضهم : هم الأختان ، أختان الرجل على بناته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا أبان بن تغلب ، عن المنهال بن عمرو ، عن ابن حبيش ، عن عبد الله ( بنين وحفدة ) قال : الأختان .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن ورقاء سألت عبد الله : ما تقول في الحفدة ؟ هم حشمة الرجل يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : لا ، ولكنهم الأختان .

حدثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا عبد الرحمن ، وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قالا جميعا : ثنا سفيان ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زب بن حبيش ، عن عبد الله ، قال : الحفدة : الأختان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان بإسناده عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن بشر وأحمد بن الوليد القرشي وابن وكيع ، وسوار بن عبد الله العنبري ، ومحمد بن خلف



ابن خيرا ش والحسن بن خلف الواسطي، قالوا: ثنا يحيى بن سعيد القطان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، قال: الحفدة: الأختان.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا هشيم، عن المغيرة، عن إبراهيم، قال: الحفدة: الأختان.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبيرة (بنيين وحفدة) قال: الحفدة: الأختان.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: الحفدة: الحنتين.  
حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن عاصم، عن زير، عن عبد الله، قال: الأختان.  
حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حفص، عن أشعث، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الأختان.  
وحدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي بن ابن عباس، قوله (وحفدة) قال: الأصهار.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا حماد، عن عاصم، عن زير، عن ابن مسعود، قال: الحفدة: الأختان.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عاصم بن أبي النجود، عن زير بن حبيش، قال: قال لي عبد الله بن مسعود: ما الحفدة يا زير؟ قال: قلت: هم أحفاد الرجل، من ولده وولد ولده، قال: لا، هم الأصهار.  
وقال آخرون: هم أعوان الرجل وخدمه.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خالد بن خيداش، قال: ثني سالم بن قتيبة، عن وهب بن حبيب الأسدي، عن أبي حمزة، عن ابن عباس، سئل عن قوله (بنيين وحفدة) قال: من أعانك فقد حقدك، أما سمعت قول الشاعر:

حَفَدَ الْوَالِدُ حَوَّالَهُنَّ وَأُسْلِمَتْ بِأَكْفُهُنَّ أَرْمَةٌ الْأَجْمَالِ

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سيبك، عن عكرمة، في قوله (بنيين وحفدة) قال: الحفدة: الحفد.

(١) استشهد بالبيت أبو عبيدة في مجاز القرآن: (١: ٣٦٤) ونسبه بجميل بن عبد الله بن معمر العذري. قال عند قوله تعالى «بنيين وحفدة»: أعوانا وخداما، قال جميل: «حقد الولائد... الخ». واحدهم حاقد، خرج مخرج كامل. والجمع: كفاة. وقال في (اللسان: حقد) يحقد بالكسر حفدا، وحقدانا، واحقده: عطف في العمل وأمرح، وحقد بحقد حفدا: خدم. الأزهرى: الحقد في الخدمة والعمل: الخفة، وأنشد (حقد الولائد...) البيت.

حدثني محمد بن خالد بن خيداش، قال: ثنى سَلَمُ بن قُتَيْبَةَ، عن حازم بن إبراهيم البَجَلِي، عن سِمْكٍ، عن عكرمة، قال: قال: الخَفْدَةُ: الخُدَامُ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمران بن عيينة، عن حصين، عن عكرمة، قال: هم الذين يُعِينُونَ الرجل، من ولده وخدمه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة: (وَحَفْدَةٌ) قال: الخَفْدَةُ: من خدمك مِن ولدك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن سلام بن سليم، وقيس عن سِمْكٍ، عن عكرمة، قال: هم الخُدَمُ.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سلام أبو الأَحْوَص، عن سِمْكٍ، عن عكرمة، مثله.

حدثني محمد بن خالد، قال: ثنى سَلَمَةُ، عن أبي هلال، عن الحسن، في قوله (بَنِينَ وَحَفْدَةً) قال: البنين وبنو البنين، مَن أعانك من أهل وخدام فقد حَفْدَكَ.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن منصور، عن الحسن، قال: هم الخُدَمُ.

حدثني محمد بن خالد وابن وكيع، ويعقوب بن إبراهيم، قالوا: ثنا إسماعيل بن عُلَيْيَةَ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الخَفْدَةُ: الخُدَمُ.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، وحدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، جميعاً عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (بَنِينَ وَحَفْدَةً) قال: ابنه وخدامه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، وحدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى (بَنِينَ وَحَفْدَةً) قال: أنصاراً وأعوانا وخداماً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا زمعة، عن ابن طاوس، عن أبيه، قال: الخَفْدَةُ: الخُدَمُ.

حدثنا ابن بشار مرة أخرى، قال: ابنه وخدامه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قال: (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفْدَةً) مَهْنَةٌ يَمْتَهِنُونَكَ وَيَخْدُمُونَكَ مِنْ وَلَدِكَ، كرامة أكرمكم الله بها.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الله، عن إسرائيل، عن السُّدِّي، عن أبي مالك، قال: الخَفْدَةُ: الأعوان.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن حصين، عن عكرمة، قال: الذين يُعِينُونَهُ.



حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، في قوله ( بَنِينَ وَحَفَدَةً ) قال : الحفدة : من خدمك من ولدك وولد ولدك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمي ، عن أبيه ، عن الحسن ، قال : الحفدة : الخدم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن عكرمة ( بَنِينَ وَحَفَدَةً ) قال : ولده الذين يعينونه .

وقال آخرون : هم ولد الرجل وولد ولده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( وَحَفَدَةً ) قال : هم الولد وولد الولد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس في هذه الآية ( بَنِينَ وَحَفَدَةً ) قال : الحفدة : البنون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بنوك حين يخدمونك ويرفدونك ويعينونك ، ويخدمونك ، قال حميد :

حَفَدَ الْوَالِدُ حَوْهْنًا وَأُسْلِمَتْ بِأَكْفُهُنَّ أَرْمَةٌ الْأَجْمَالِ

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ) قال : الحفدة : الخدم من ولد الرجل : هم ولده ، وهم يخدمونه ؛ قال : وليس تكرون العبيد من الأزواج ، كيف يكون من زوجي عبد؟ إنما الحفدة : ولد الرجل وخدمه .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله ( بَنِينَ وَحَفَدَةً ) يعني : ولد الرجل يخدمونه ويخدمونه ، وكانت العرب إنما تخدمهم أولادهم الذكور .

وقال آخرون : هم بنو امرأة الرجل من غيره .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ) يقول : بنو امرأة الرجل ليسوا منه ، ويقال : الحفدة : الرجل يعمل بين يدي الرجل ، يقول : فلان يخدم لنا ، ويضم رجال أن الحفدة أختان الرجل . والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : إن الله تعالى أخبر عباده معرفتهم نعمه عليهم ، فيما جعل

(١) سبق الاستشهاد بالبيت قريبا في صفحة ١٤٤ فراجعته ثمة .

(٢) الأختان : جمع عتق ، يسكون التاء ، وهو زوج بنت الرجل .

لهم من الأزواج والبنين ، فقال تعالى ( **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً** ) فأعلمهم أنه جعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة ، والحفدة في كلام العرب : جمع حافد ، كما الكذبة : جمع كاذب ، والفسقة : جمع فاسق . والحافد في كلامهم : هو المتخفف في الخدمة والعمل . والحفد : خفة العمل . يقال : مرّ البعير بحفد حفدانا : إذا مرّ يسرع في سيره . ومنه قولهم : إليك نسعى ونحفد : أي نسرع إلى العمل بطاعتك . يقال منه : حفد له يحفد حفدا وحفودا وحفدانا ، ومنه قول الراعي :

كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نَوْقًا يَمَانِيَةً إِذَا الْحُدَاةُ عَلَى أَكْسَائِهَا حَفَدُوا

وإذ كان معنى الحفدة ما ذكرنا ، من أنهم المسرعون في خدمة الرجل ، المتخففون فيها ، وكان الله تعالى ذكره أخبرنا أن مما أنعم به علينا ، أن جعل لنا حفدة تحفد لنا ، وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا ، وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا من أزواجنا ، وخدمنا من ممالكنا ، إذا كانوا يحفدوننا ، فيستحقون اسم حفدة ، ولم يكن الله تعالى دلّ بظاهر تنزيله ، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا بحجة عقل ، على أنه عني بذلك نوعا من الحفدة ، دون نوع منهم ، وكان قد أنعم بكل ذلك علينا ، لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاص من الحفدة دون عام ، إلا ما اجتمعت الأمة عليه ، أنه غير داخل فيهم ، وإذا كان ذلك كذلك ، فلكل الأقوال التي ذكرنا عن ذكرنا وجه في الصحة ، ومخرج في التأويل . وإن كان أولى بالصواب من القول : ما اخترنا ، لما بيننا من الدليل .

وقوله ( **وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ** ) يقول : ورزقكم من حلال المعاش والأرزاق والأقوات . ( **أَفْبَالًا بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ** ) يقول تعالى ذكره : يحرم عليهم أولياء الشيطان ، من البحائر والسوائب والوصائل ، فيصدق هؤلاء المشركون بالله . ( **وَبَيْنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ** ) يقول : وبما أحل الله لهم من ذلك ، وأنعم عليهم بإحلاله . يكفرون . يقول : ينكرون تحليله ، ويجحدون أن يكون الله أحله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ**

(٧٣) **فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** (٧٤)

يقول تعالى ذكره : ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه أوثانا ، لا تملك لهم رزقا من السموات ، لأنها لا تقدر على إنزال قطر منها لإحياء موتان الأرضين . والأرض : يقول : ولا تملك لهم أيضا رزقا من الأرض

(١) الأكساء : واحدا كسى ، بوزن قفل ، وهو مؤخر العجز ، أو مؤخر كل شيء ، والجمع أكساء (السان : كسا) . وقال في (كسا) : كس كل شيء وكسوه : مؤخره . وكس الثبر وكسوه : آخره ، قدر عشر بقين منه ... وأنشد أبو عبيدة :

كلفت مجهولها ... إذا الحداد ... حفدوا

ولعل « الحداد » في رواية الأزهرى : محرقة عن الحداد .



لأنها لا تقدر على إخراج شيء من نباتها وثمارها لهم ، ولا شيئا مما عدد تعالى في هذه الآية ، أنه أنعم بها عليهم .  
( وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ) يقول : ولا تملك أوثانهم شيئا من السموات والأرض ، بل هي وجميع ما في السموات والأرض لله ملك . ولا يستطيعون : يقول : ولا تقدر على شيء .

وقوله ( فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ) يقول : فلا تمثلوا لله الأمثال ، ولا تشبهوا له الأشباه ، فإنه لا مثل له ، ولا شبهة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الأمثال الأشباه .  
وحدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ) يعني اتخاذهم الأصنام ، يقول : لا تجعلوا معي إلهة غيري ، فإنه لا إله غيري .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ) قال : هذه الأوثان التي تعبد من دون الله ، لا تملك لمن يعبدها رزقا ، ولا ضرا ولا نفعا ، ولا حياة ولا نشورا . وقوله ( فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ) فإنه أحد صمد ، لم يولد ، ولم يولد له ، ولم يكن له كفوا أحد . ( إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) يقول : والله أيها الناس يعلم خطأ ما تمثلون وتضربون من الأمثال ، وصوابه ، وغير ذلك من سائر الأشياء ، وأنتم لا تعلمون صواب ذلك من خطئه .

واختلف أهل العربية في الناصب قوله ( شَيْئًا ) فقال بعض البصريين : هو منصوب على البدل من الرزق ، وهو في معنى : لا يملكون رزقا قليلا ولا كثيرا . وقال بعض الكوفيين : نصب شيئا بوقوع الرزق عليه ، كما قال تعالى ذكره ( أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كَيْفَانًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ) : أي تكفيت الأحياء والأموات ، ومثله قوله تعالى ذكره ( أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَبَةٍ يَتَّبِعُنَا وَمِنْ أَجْلِ عَمَلِكُمْ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِنَا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ) . قال : ولو كان الرزق مع الشيء بلجاز خفضه ، لا يملك لكم رزق شيء من السموات ، ومثله ( فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلْتُم مِّنَ النَّعَمِ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ، وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا ، فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ، هَلْ يَسْتَوُونَ ؟ الْحَمْدُ لِلَّهِ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥)

❦ يقول تعالى ذكره : وشبهه لكم شيئا أيها الناس ، للكافر من عبده ، والمؤمن به منهم . فأما مثل الكافر :

فإنه لا يعمل بطاعة الله ، ولا يأتي خيرا ، ولا ينفق في شيء من سبيل الله ماله ، لغلبة خذلان الله عليه ، كالعبد المملوك ، الذي لا يقدر على شيء فينفقه . وأما المؤمن بالله ، فإنه يعمل بطاعة الله ، وينفق في سبيله ماله ، كالحرّ الذي آتاه الله مالا ، (فهو يُسْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا) ، يقول : يعلم من الناس وغير علم . (هَلْ يَسْتَوُونَ؟) : يقول هل يستوى العبد الذي لا يملك شيئا ولا يقدر عليه ، وهذا الحرّ الذي قد رزقه الله رزقا حسنا ، فهو ينفق كما وصّف ؟ فكذلك لا يستوى الكافر العامل بمعاصي الله ، المخالف أمره ، والمؤمن العامل بطاعته . وبنحو ما قلنا في ذلك كان بعض أهل العلم يقول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) هذا مثل ضربه الله للكافر ، رزقه مالا ، فلم يقدم فيه خيرا ، ولم يعمل فيه بطاعة الله ، قال الله تعالى ذكره (وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِينًا رِزْقًا حَسَنًا) ، فهذا المؤمن أعطاه الله مالا ، فعمل فيه بطاعة الله ، وأخذ بالشكر ، ومعرفة حقّ الله ، فأثابه الله على ما رزقه الرزق المقيم الدائم لأهله في الجنة ، قال الله تعالى ذكره (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) ؟ والله ما يستويان . (الْحَمْدُ لِلَّهِ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) قال : هو الكافر لا يعمل بطاعة الله ، ولا ينفق خيرا (وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِينًا رِزْقًا حَسَنًا) قال : المؤمن يطيع الله في نفسه وماله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس . قوله (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) يعني : الكافر ، أنه لا يستطيع أن ينفق نفقة في سبيل الله . (وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِينًا رِزْقًا حَسَنًا) ، فهو يُسْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا) يعني المؤمن ، وهذا المثل في النفقة .

وقوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ) يقول : الحمد الكامل لله خالصا ، دون ماتدّعون أيها القوم من دونه من الأوثان ، فإياه فاحمدوا دونها . وقوله (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : ما الأمر كما تفعلون ، ولا القول كما تقولون ، ما للأوثان عندهم من يد ولا معروف ، فتحمد عليه ، إنما الحمد لله ، ولكن أكثر هؤلاء الكفرة الذين يعبدونها ، لا يعلمون أن ذلك كذلك ، فهم يجهلهم بما يأتون ويذرون ، يجعلونها لله شركاء في العبادة والحمد .

وكان مجاهد يقول : ضرب الله هذا المثل ، والمثل الآخر بعده لنفسه ، والآلهة التي تعبد من دونه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ، وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا  
يُوجِبُهُ لَابَاتٍ مَخْزِيَةٍ ، هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ، وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٦)



و هذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه ، والآلهة التي تُعبد من دونه ، فقال تعالى ذِكْرَهُ : ( وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ) يعنى بذلك الصم ، أنه لا يسمع شيئاً ، ولا ينطق ، لأنه إما خشب منحوت ، وإما نحاس مصنوع ، لا يقدر على نفع لمن خدمه ، ولا دفع ضرر عنه ، وهو كَلٌّ على مولاه : يقول : وهو عيال على ابن عمه وحلفائه وأهل ولايته ، فكذلك الصم كَلٌّ على من يعبده ، يحتاج أن يحمله ، ويضعه ، ويخدمه ، كالأبكم من الناس : الذي لا يقدر على شيء ، فهو كَلٌّ على أوليائه من بنى أعمامه وغيرهم ( أَيْسَمَا يُوْجِهُهُ لَأَيَّاتٍ بَحْسِيْرٍ ) يقول : حينما يوجهه لآيات بخير ، لأنه لا يفهم ما يُقال له ، ولا يقدر أن يعبر عن نفسه ما يريد ، فهو لا يفهم ، ولا يفهم عنه ، فكذلك الصم ، لا يعقل ما يقال له ، فيأتمر لأمر من أمره ، ولا ينطق فيأمر وينهى . يقول الله تعالى ( هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ) يعنى : هل يستوى هذا الأبكم الكَلٌّ على مولاه ، الذي لا يأتي بخير حيث توجه ، ومن هو ناطق متكلم ، يأمر بالحق ، ويدعو إليه ، وهو الله الواحد القهار ، الذي يدعو عباده إلى توحيده وطاعته ؛ يقول : لا يستوى هو تعالى ذكره ، والصم الذي صفتة ما وصف . وقوله ( وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) يقول : وهو مع أمره بالعدل ، على طريق من الحق في دعائه إلى العدل ، وأمره به مستقيم ، لا يتعوج عن الحق ، ولا يزول عنه .

وقد اختلف أهل التأويل في المضروب له هذا المثل ، فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ) قال : هو الوثني ( هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ) قال : الله يأمر بالعدل ( وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) وكذلك كان مجاهد يقول : إلا أنه كان يقول : المثل الأول أيضا ضربه الله لنفسه وللوثني . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ذكره ( عَبِيدٌ أَعْمَلُونَ كَمَا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ، وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا - وَرَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ - وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ) قال : كل هذا مثل إله الحق ، وما يُدعى من دونه من الباطل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن جوير ، عن الضحاك ( وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ ) قال : إنما هذا مثل ضربه الله . وقال آخرون : بل كلا المثلين للمؤمن والكافر ، وذلك قول يروى عن ابن عباس ، وقد ذكرنا الرواية عنه في المثل الأول في موضعه .

وأما في المثل الآخر ، فحدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن

أبيه ، عن ابن عباس ( وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَتَلٌ عَلَى مَوْلَاهُ ) . . . إلى آخر الآية ، يعني بالأبكم : الذي هو كَتَلٌ على مولاه : الكافر ، ويقول ( وَمَنْ يَأْمُرْ بِالْعَدْلِ ) المؤمن . وهذا المثل في الأعمال .

حدثنا الحسن بن الصباح البزار ، قال : ثنا يحيى بن إسحاق السيلحيني ، قال : ثنا حماد ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن إبراهيم ، عن عكرمة ، عن يعلى بن أمية ، عن ابن عباس ، في قوله ( ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا ) قال : نزلت في رجل من قريش وعبدته . وفي قوله ( مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ) . . . إلى قوله ( وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) قال : هو عثمان بن عفان . قال : والأبكم الذي أيها يُوجِّهُهُ لا يأت بخير ، ذلك مولى عثمان بن عفان ، كان عثمان يتفق عليه ويكفله ، ويكفیه المثونة ، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه ، وينهاه عن الصدقة والمعروف ، فنزلت فيهما . \* وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في المثل الأول ، لأنه تعالى ذكره ، مثل مثل الكافر بالعبد الذي وصف صفته ، ومثّل مثل المؤمن بالذي رزقه رزقا حسنا ، فهو يتفق ممارزقه سرا وجهرا ، فلم يجز أن يكون ذلك الله مثلا ، إذ كان الله إنما مثل الكافر الذي لا يقدر على شيء ، بأنه لم يرزقه رزقا يتفق منه سرا ، ومثّل المؤمن الذي وفقه الله لطاعته فهدها لرشده ، فهو يعمل بما يرضاه الله ، كالحرّ الذي بسط له في الرزق ، فهو يتفق منه سرا وجهرا ، والله تعالى ذكره هو الرزاق غير المرزوق ، فغير جائز أن يمثل إفضاله وجوده ، بإنفاق المرزوق الرزق الحسن . وأما المثل الثاني ، فإنه تمثيل منه تعالى ذكره من مثله الأبكم الذي لا يقدر على شيء ، والكفار لاشك أن منهم من له الأموال الكثيرة ، ومن يضر أحيانا الضر العظيم بفساده ، فغير كائن ما لا يقدر على شيء ، كما قال تعالى ذكره ، مثلا لمن يقدر على أشياء كثيرة . فإذا كان ذلك كذلك ، كان أولى المعاني به ، تمثيل ما لا يقدر على شيء ، كما قال تعالى ذكره ، بمثله ما لا يقدر على شيء ، وذلك الوثن الذي لا يقدر على شيء ، بالأبكم الكتل على مولاه ، الذي لا يقدر على شيء كما قال ووصف .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ، إِنَّ اللَّهَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧)

يقول تعالى ذكره : ولله أيها الناس ملك ما غاب عن أبصاركم في السموات والأرض ، دون آفتكم التي تدعون من دونه ، ودون كل ما سواه ، لا يملك ذلك أحد سواه ( وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ ) : يقول : وما أمر قيام القيامة والساعة التي تنشر فيها الخلق ، للوقوف في موقف القيامة ، إلا كنظرة من البصر ، لأن ذلك إنما هو أن يقال له : كن ، فيكون .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ ، أَوْ أَقْرَبُ ) : كالمح البصر ، أو أقرب .



حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وما أمر الساعة إلا كالمسح البصر ) قال : هو أن يقول : كن ، فهو كالمسح البصر ، فأمر الساعة كالمسح البصر أو أقرب ، يعنى يقول : أو هو أقرب من مسح البصر .

وقوله ( إن الله على كل شيء قدير ) يقول : إن الله على إقامة الساعة في أقرب من مسح البصر قادر ، وعلى ما يشاء من الأشياء كلها ، لا يمتنع عليه شيء أرادته .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ  
وَالْأَفْئِدَةَ ، لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)

يقول تعالى ذكره : والله تعالى أعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم ، من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا ولا تعلمون ، فرزقكم عقولا تفقهون بها ، وتميزون بها الخير من الشر ، وبصركم بها ما لم تكونوا تبصرون ، وجعل لكم السمع الذى تسمعون به الأصوات ، فيفقه بعضكم عن بعض ماتحاورون به بينكم ، والأبصار التى تبصرون بها الأشخاص ، فتتعارفون بها ، وتميزون بها بعضا من بعض . والأفئدة : يقول : والقلوب التى تعرفون بها الأشياء فتحفظونها ، وتفكرون وتفقهون بها . ( لعلكم تشكروا ) : يقول : فعلنا ذلك بكم ، فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك ، دون الآلهة والأنداد ، فجعلتم له شركاء فى الشكر ، ولم يكن له فيما أنعم به عليكم من نعمة ، شريك .

وقوله ( والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا ) : كلام متناه ، ثم ابتدئ الخبر ، فقيل : وجعل الله لكم السمع والأبصار والأفئدة . وإنما قلنا ذلك كذلك ، لأن الله تعالى ذكره جعل العبادة والسمع والأبصار والأفئدة ، قبل أن يخرجهم من بطون أمهاتهم ، وإنما أعطاهم العلم والعقل بعد ما أخرجهم من بطون أمهاتهم .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ  
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩)

يقول تعالى ذكره لظؤلاء المشركين : ألم تروا آيةها المشركون بالله ، إلى الطير مسخرات فى جواء السماء ، يعنى : فى هواء السماء ، بينها وبين الأرض ، كما قال إبراهيم بن عمران الأنصارى :

وَيْبُلُ أُمَّهَا مِنْ هَوَاءِ الْجَوِّ طَالِبَةً وَلَا كَهَذَا الَّذِي فِي الْأَرْضِ مَطْلُوبٌ

(١) البيت نسه المؤلف إلى إبراهيم بن عمران الأنصارى . ونسه البغدادى فى الحزانة (١١٢: ٢) لامرئ القيس بن حبر الكندى .

يعنى : فى هواء السماء ( ما يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ) يقول : ما طيراتها فى الجوِّ إلا بالله ، وبسخره إياها بذلك ، ولو سلبها ما أعطاها من الطيران ، لم تقدر على النهوض ارتفاعا . وقوله ( إنَّ فى ذلكَ آياتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) يقول : إنَّ فى تسخير الله الطير ، وتمكينه لها الطيران فى جوِّ السماء ، لعلامات ودلالات ، على أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحده لا شريك له ، وأنه لاحظ للأصنام والأوثان فى الألوهة . ( لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) يعنى : لقوم يقرّون بوجودان ما تعابنه أبصارهم ، وتحسه حواسهم .  
وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مُسَخَّرَاتٍ فى جِوِّ السَّمَاءِ ) : أى فى كبد السماء .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا، وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ، وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَىٰ حِينٍ . (٨٠)

يقول تعالى ذكره ( وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم ) أيها الناس ( مِنْ بُيُوتِكُمْ ) التى هى من الحجر والمدنر . ( سَكَنًا ) تسكنون أيام مقامكم فى دوركم وبلادكم . ( وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا ) وهى البيوت من الأنطاع ، والفساطيط من الشعر والصوف والوبر ( تَسْتَخِفُّونَهَا ) يقول : تستخفون حملها ونقلها ( يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ) من بلادكم وأمصاركم لأسفاركم ( وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ) فى بلادكم وأمصاركم . ( وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا ) .  
وينحو الذى قلنا فى معنى السكن ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

وعزى فى الكتاب لسيبويه مرة إلى امرئ القيس ( ٣٥٣ : ١ ) ومرة ( ٢٧٢ : ٢ ) إلى النعمان بن بشير الأنصارى . وذكر البغدادى المقتوعة التى منها البيت ، وهى عشرة أبيات ، ونسبها لامرئ القيس ، ومطلعها :

الخير ما طلعت شمس وما غربت مطلب بنواحي الخليل معصوب

وبيت الشاهد هو الثامن فى المقتوعة ، وأوله : « لا كالتى فى هواء . . . الخ . وقال ابن رشيقي فى العدة : هذا البيت عند دغبل . أشعر بيت قاتله العرب ، وبه قدمه على الشعراء . وقوله : ويلها : هذا فى صورة الدعاء على الشيء ، والمراد به التعجب . والضمير المؤنث يراد به العقاب . والجو : ما بين السماء والأرض ، وأراد بالمطلوب الذئب ، لأنه وصف عقابا تبعته ذئبا لتضديه ، فتعجب منها فى شدة طابها ، وتعجب من الذئب أيضا فى سرعته ، وشدة هربه منها .

واستشهد المؤلف بالبيت عند تفسير قوله تعالى « ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جِوِّ السماء » : أى فى هواء السماء ، بينها وبين الأرض ، كما استشهد أبو عبيدة من قبله فى مجاز القرآن ( ١ : ٣٦٥ ) على أن جو السماء : أى الهواء .



قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( مِمَّنْ بِيُتُوتِكُمْ سَكَنًا ) قال : تسكنون فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وأما الأشعار فجمع شَعْرٌ ، تنقل عينه وتخفف ، وواحد الشَّعْرُ شَعْرَةٌ . وأما الأثاث فلإنه متاع البيت ، لم يسمع له بواحد ، وهو في أنه لا واحد له مثل المتاع . وقد حكى عن بعض النحويين أنه كان يقول : واحد الأثاث : أثاثه ، ولم أر أهل العلم بكلام العرب يعرفون ذلك ، ومن الدليل على أن الأثاث هو المتاع ، قول الشاعر :

أهاجَتْكَ الظَّعَائِنُ يَوْمَ بَانُوا بِبَيْدِي الرَّقِّي الْجَمِيلِ مِنَ الْأَثَاثِ؟<sup>١</sup>

ويروى : بذى الزى ، وأنا أرى أصل الأثاث : اجتماع بعض المتاع إلى بعض ، حتى يكثر ، كالشعر الأثيث ، وهو الكثير الملتف ، يقال منه ، أث شعر فلان يثيث أثنا : إذا كثر والتف واجتمع .  
وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أثاثا ) يعنى بالأثاث : المال .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( أثاثا ) قال : متاعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( أثاثا ) قال : هو المال .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن حرب الرازى ، قال : أخبرنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن حميد بن عبد الرحمن ، في قوله ( أثاثا ) قال : الثياب ،  
وقوله ( ومتاعا إلى حين ) فإنه يعنى : أنه جعل ذلك لهم بلاغا ، يتبأغون ويكتفون به إلى حين أجالهم للموت .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( ومتاعا إلى حين ) فإنه يعنى : زينة : يقول : ينتفعون به إلى حين .

(١) البيت لمحمد بن نمير الثقفي ، وكان يشيب بزينة أخت الحجاج بن يوسف الثقفي ، فتوعدته ، فهرب منه (خبره في الكامل للمبرد ٢٨٩) والبيت من كلمة له (الكامل ٣٧٦) ، وفي (اللسان : رأى) قال : قال الفراء الرقي : المنظر وأهل المدينة يقرمون الآية (وريا) بغير همز . قال : وهو وجه جيد من رأيت ، لأنه من آيات لسن ميموزات الأواخر . وقال الجوهري : من همزه جعله من المنظر من رأيت ، وهو : ما رآته العين من حال حسنة ، وكسوة ظاهرة . وأشد أبو عبيد لمحمد بن نمير الثقفي :

أشاقنك الظمائين يوم بانوا بذى الرقي الجميل من الأثاث

ومن لم يهزه : إما أن يكون على تخفيف الهجزة ، أو يكون من « رويت ألوانهم وجلودهم » : أي امتلات وحسنت . وأثاثا : أي متاعا . قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٦٥ ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ومَتَاعًا إِلَى حِينٍ ) قال : إلى الموت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( ومَتَاعًا إِلَى حِينٍ ) إلى أجل وبُالْغَةَ .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا ، وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ، وَجَعَلَ لَكُم سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ، وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ ، كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُتْلَوْنَ (٨١) \* يقول تعالى ذكره : ومن نعمة الله عليكم أيها الناس : أن جعل لكم مما خلق من الأشجار وغيرها ظلالًا ، تستظلون بها من شدة الحرّ وهي جمع ظلّ .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن قتادة ، في قوله ( مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا ) قال : الشجر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَنَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا ) أي والله ، من الشجر ومن غيرها .

وقوله ( وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ) يقول : وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها ، وهي جمع كنّ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ) يقول : غير أننا من الجبال يُسْكَنُ فيها ( وَجَعَلَ لَكُم سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ) يعني ثياب القطن والكتان والصوف وقمصانها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَجَعَلَ لَكُم سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ) من القطن والكتان والصوف .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ) قال : القطن والكتان .

وقوله ( سَرَائِلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ ) يقول : ودروعًا تقيكم بأسكم ، والبأس : هو الحرب ، والمعنى : تقيكم في بأسكم السلاح أن يصل إليكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ ) من هذا الحديد .



حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَسَرَّابِيلٌ تَقْيِيكُكُمْ بِأَسْكُمْ ) قال : هي سراويل من حديد .

وقوله ( كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ) يقول تعالى ذكره : كما أعطاكم ربكم هذه الأشياء التي وصفها في هذه الآيات ، نعمة منه بذلك عليكم ، فكذا يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ . يقول : لتخضعوا لله بالطاعة ، وتذل منكم بترجيده النفوس ، وتخلصوا له العبادة . وقد روى عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ ( لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ) بفتح التاء .

حدثني المنفي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن حنظلة . عن شهر بن حوشب ، قال : كان ابن عباس يقول ( لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ) قال : يعني من الجراح . حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن حنظلة السدوسي ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، أنه قرأها ( لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ) من الجراحات . قال أحمد بن يوسف : قال أبو عبيد : يعني بفتح التاء واللام .

فتأويل الكلام على قراءة ابن عباس هذه : كذلك يتم نعمة عليكم ، بما جعل لكم من السراويل التي تقيكم بأسكم ، لتسلموا من السلاح ، في حروبكم . والقراءة التي لا أستجيز القراءة بخلافها : بضم التاء من قوله : ( لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ) وكسر اللام من أسلمت تسليم يا هذا ، لإجماع الحجة من قرأ الأمصار عليها . فإن قال لنا قائل : وكيف قيل جعل لكم سراويل تقيكم الحر ، فخص بالذكر الحر دون البرد ، وهي تقي الحر والبرد ، أم كيف قيل ( وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ) ، وترك ذكر ما جعل لهم من السهل ؟ قيل له : قد اختلف في السبب الذي من أجله جاء التنزيل كذلك ، وسنذكر ما قيل في ذلك ، ثم ندل على أولى الأقوال في ذلك بالصواب .

فروى عن عطاء الخراساني في ذلك ، ما حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، قال : إنما نزل القرآن على قدر معرفتهم ، ألا ترى إلى قول الله تعالى ذكره ( وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ) وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب جبال ، ألا ترى إلى قوله ( وَمِنَ الْأَصْوَادِ فِيهَا أَوْبَارٌ وَأَشْعَارٌ أَثْنَا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ) وما جعل لهم من غير ذلك أعظم منه وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب بئر وشعر ، ألا ترى إلى قوله ( وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَنًى جِبَالٌ فِيهَا مِنٌ بَرْدٌ ) ! يعجبهم من ذلك ، وما أنزل من الثلج أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا لا يعرفون به ، ألا ترى إلى قوله ( وَسَرَّابِيلٌ تَقْيِيكُكُمْ الْحَرَّ ) وما تقي من البرد أكثر وأعظم ، ولكنهم كانوا أصحاب حر ، فالسبب الذي من أجله خص الله تعالى ذكره السراويل بأنها تقي الحر دون البرد ، على هذا القول : هو أن المخاطبين بذلك كانوا أصحاب حر ، فذكر الله تعالى ذكره نعمة عليهم ، بما يقيهم مكروه ما به عرّفوا مكروهه ، دون ما لم يعرفوا مبلغ مكروهه ، وكذلك ذلك في سائر الأحرف الأخر . وقال آخرون : ذكر ذلك خاصة اكتفاء بذكر أحدهما من ذكر الآخر ، إذ كان معلوما عند المخاطبين

به معناه : وأن السراييل التي تقي الحرّ تقي أيضا البرد . وقالوا : ذلك موجود في كلام العرب مستعمل ، واستشهدوا لقولهم بقول الشاعر :

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ وَجْهًا      أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِيْنِي

فقال : أيهما يليني : يريد الخير أو الشرّ ، وإنما ذكر الخير ، لأنه إذا أراد الخير ، فهو يتقى الشرّ .  
 وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : إن القوم خوطبوا على قدر معرفتهم ، وإن كان في ذكر بعض ذلك ، دلالة على ماترك ذكره ، لمن عرف المذكور والمتروك ، وذلك أن الله تعالى ذكره ، إنما عدّد نعمه التي أنعمها على الذين قُصِدوا بالذكر في هذه السورة دون غيرهم ، فذكر أبايابه عندهم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ، وَأَكْثَرُهُمْ

الْكَافِرُونَ (٨٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإن أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عما أرسلتك به إليهم من الحقّ ، فلم يستجيبوا لك ، وأعرضوا عنه ، فما عليك من لوم ولا عدّال ، لأنك قد أدبت ما عليك في ذلك ، إنه ليس عليك إلا بلاغهم ما أرسلت به . ويعنى بقوله (المُبِينُ) الذي يبيّن لمن سمعه حتى يفهمه .  
 وأما قوله (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى بالنعمة ، التي أخبر الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين أنهم ينكرونها ، مع معرفتهم بها ، فقال بعضهم : هو النبيّ صلى الله عليه وسلم ، عرفوا نبوته ، ثم جحدوها وكذبوه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السديّ (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن السديّ ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم يعرفون أن ما عدّد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله ، وأن الله هو المنعم بذلك عليهم ، ولكنهم ينكرون ذلك ، فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم .

(١) البيت من شواهد القراء في معاني القرآن (ص ١٧٦) قال : وقوله «سراييل تقيكم الحر» ، ولم يقل (والبرد) ، فترك ، لأن معناه معلوم ، والله أعلم ، كقول الشاعر : «وما أدري . . . الخ البيت . يريد أن الخير والشر يليني ، لأنه إذا أراد الخير ، فهو يتقى الشر . اه . وقد أفصح الشاعر في البيت الذي بعده عن مراده ، وهو موافق لما قالوا :

أَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ      أَمْ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَغِيْنِي ؟

والبيتان : لسحيم بن وثيل الرياحي ، من قصيدة مطلعها :

أَفَاطِمَ قَبْلَ بَيْتِنِكَ مَتَّعِيْنِي      وَمَنْعُكَ مَا سَأَلْتُ كَانَ تَبِيْعِي



## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنا المثني ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وحدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ) قال : هي المساكن والأنعام ، وما يُرزقون منها ، والسرايل من الحديد والثياب ، تعرف هذا كفار قريش ، ثم تنكره ، بأن تقول : هذا كان لأبائنا ، فروحونا إياه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : فرأونا إياها ، وزاد في الحديث عن ابن جريج ، قال ابن جريج : قال عبد الله بن كثير : يعلمون أن الله خلقهم ، وأعطاهم ما أعطاهم ، فهو معرفتهم نعمته ، ثم إنكارهم إياها كفرهم بعد .

وقال آخرون في ذلك ، ما حدثنا ابن ربيع ، قال : ثنا معاوية ، عن عمرو ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن ليث ، عن عون بن عبد الله بن عتبة ( يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ) قال : إنكارهم إياها أن يقول الرجل : لولا فلان ما كان كذا وكذا ، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا .

وقال آخرون : معنى ذلك أن الكفار إذا قيل لهم : مَنْ رَزَقَكُمْ ؟ أقرؤا بأن الله هو الذي رزقهم ، ثم يُنكرون ذلك بقولهم : رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، وأشبهها بتأويل الآية : قول من قال : عُنِيَ بالنعمة التي ذكرها الله في قوله ( يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ) النعمة عليهم بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم ، داعيا إلى ما بعثه بدعائهم إليه ، وذلك أن هذه الآية بين آيتين ، كلتاها خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمّا بعث به ، فأولى ما بينهما أن يكون في معنى ما قبله وما بعده ، إذ لم يكن معنى يدل على انصرافه عما قبله وعمّا بعده ، فالذي قبل هذه الآية قوله ( فَإِنْ تَوَلَّوْا فَلَنَمَّا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ، يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ) وما بعده ( وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ) وهو رسولها . فإذا كان ذلك كذلك ، فمعنى الآية : يعرف هؤلاء المشركون بالله، نعمة الله عليهم يا محمد بك ، ثم ينكرونك ، ويحسدون نبوتك . ( وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ) يقول : وأكثر قومك الجاحدون نبوتك ، لا المقرّون بها .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ، ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ، وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره : يعرفون نعمة الله ثم يُنكرونها اليوم ، ويستنكرون ( يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ) وهو الشاهد عليها بما أجابت داعي الله ، وهو رسولهم الذي أرسل إليهم ( ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ) يقول : ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار ، فيعتذروا مما كانوا بالله وبرسوله يكفرون ( وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ) فيتركوا الرجوع إلى الدنيا ، فينبؤوا ويتوبوا ، وذلك كما قال تعالى ( هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ) .

(١) قال في اللسان : في حديث أم زرع : وأراح على نعمائيا : أي أعطاني . قال : والترويح : كالإراحة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَيَوْمَ تَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ) وشاهدها نبيها ، على أنه قد بلغ رسالات ربه ، قال الله تعالى ( وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْمَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ ، وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٥)

يقول تعالى ذكره : وإذا عاين الذين كذبوا بك يا محمد ، وحدثوا نبوتك ، والامم الذين كانوا على منهاج مشركي قومك ، عذاب الله ، فلا ينجيهم من عذاب الله شيء ، لأنهم لا يؤذن لهم ، فيعتذرون ، فيخفف عنهم العذاب ، بالعذر الذي يدعون به ( وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ) يقول : ولا يرجئون للعقاب ، لأن وقت التوبة والإنابة قد فات ، فليس ذلك وقتا لهما ، وإنما هو وقت للجزاء على الأعمال ، فلا ينظر بالعتاب ليعتب بالتوبة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ ، قَالُوا : رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ ، قَالِقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِن كُنُمْ لَكَ كَذِبُونَ (٨٦)

يقول تعالى ذكره : وإذا رأى المشركون بالله يوم القيامة ما كانوا يعبدون من دون الله ، من الآلهة والأوثان وغير ذلك ، قالوا : ربنا هؤلاء شركائنا في الكفر بك ، والشركاء الذين كنا ندعوهم آلهة من دونك ، قال الله تعالى ذكره ( قَالِقُوا ) يعني : شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله . القول : يقول : قالوا لهم : إنكم لكاذبون أيها المشركون ، ما كنا ندعوكم إلى عبادتنا .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ( قَالِقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ ) قال : حدثوهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٧)



يقول تعالى ذكره : وألقى المشركون إلى الله يومئذ السلم : يقول : استسلموا يومئذ ، وذلّوا لحكمه فيهم ، ولم تغن عنهم آلتهم التي كانوا يدعون في الدنيا من دون الله ، وتبرأت منهم ، ولا قومهم ، ولا عشائرهم الذين كانوا في الدنيا يدافعون عنهم ، والعرب تقول : ألقىت إليه كذا ، تعنى بذلك : قلت له . وقوله ( وَصَلَّ عَنْهُمْ \* مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ) يقول : وأخطأهم من آلتهم ما كانوا يأتوا ملون من الشفاعة عند الله ، بالنجاة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ ) ، يقول : ذلوا واستسلموا يومئذ : ( وَصَلَّ عَنْهُمْ \* مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره : الذين جحدوا يا محمد نبوتك ، وكذبوك فيما جنتهم به من عند ربك ، وصدوا عن الإيمان بالله وبرسوله ، ومن أراد ، زدناهم عذابا يوم القيامة في جهنم ، فوق العذاب الذي هم فيه قبل أن يزدوه . وقيل : تلك الزيادة التي وعدهم الله أن يزيدهمها : عقارب وحيات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة عن مسروق ، عن عبد الله ( زِدْنَاهُمْ \* عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ) قال : عقارب لها أنياب كالنخل . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية وابن عيينة ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ( زِدْنَاهُمْ \* عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ) قال : زيدوا عقارب لها أنياب كالنخل الطوال . حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن عبد الله ابن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن سليمان ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله قال ( زِدْنَاهُمْ \* عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ) قال : أفاعي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله ، قال : أفاعي في النار .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مروة ، عن عبد الله ، مثله .  
حدثنا مجاهد بن موسى والفضل بن الصباح ، قالا : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن  
مجاهد ، عن عبيد بن عمير ، قال : إن لجهنم جبابا فيها حيات أمثال البُخْتِ ، وعقارب أمثال البغال الدهم ،  
يستغيث أهل النار إلى تلك الجباب أو الساحل ، فتنب إليهم ، فتأخذ بشيفاهم وشيفارهم إلى أقدامهم .  
فيستغيثون منها إلى النار ، فيقولون : النار النار ، فتبعهم حتى تجد حرها فترجع ، قال : وهي في أسراب .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني حبي بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي  
عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن لجهنم سواحل فيها حيات وعقارب ، أعناقها كأعناق البُخْتِ .  
وقوله ( يَمَّا كَانُوا يَفْسُدُونَ ) يقول : زدناهم ذلك العذاب على ما بهم من العذاب ، بما كانوا  
يفسدون ، بما كانوا في الدنيا يعصون الله ، ويأمرون عبادته بمعصيته ، فذلك كان إفسادهم . اللهم إنا  
نسألك العافية ، يا مالك الدنيا والآخرة الباقية .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ، وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ، وَنَزَّلْنَا  
عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ، وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)

يقول تعالى ذكره ( وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ ) يقول : نسأل  
نبيهم الذي بعثناه إليهم ، للدعاء إلى طاعتنا ، وقال ( مِّنْ أَنفُسِهِمْ ) لأنه تعالى ذكره ، كان يبعث إلى أمم  
أنبياءها منها ، ماذا أجابوكم ، وما ردوا عليكم ؟ ( وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ ) يقول لنبيه محمد صلى  
الله عليه وسلم : وجئنا بك يا محمد شاهدا على قومك وأمتك الذين أرسلتك إليهم ، يم أجابوك ؟ وماذا عملوا  
فيما أرسلتك به إليهم ؟ وقوله ( وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ) يقول : نزل عليك يا محمد  
هذا القرآن بيانا لكل ما بالناس إليه الحاجة ، من معرفة الحلال والحرام ، والثواب والعقاب ( وَهُدًى ) من  
الضلالة ( وَرَحْمَةً ) لمن صدق به ، وعمل بما فيه من حدود الله ، وأمره ونهيه ، فأحل حلاله ، وحرّم  
حرامه . ( وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ) يقول : وبشارة لمن أطاع الله ، وخضع له بالتوحيد ، وأذعن له بالطاعة ،  
يشره بجزيل ثوابه في الآخرة ، وعظيم كرامته .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا أبان بن  
تغلب ، عن الحكم ، عن مجاهد ( تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ) قال : مما أحلّ وحرّم .

(١) البخت : هي الإبل الخراسانية ، وهي جمال طوال الأعناق . الواحد : بختى . (اللسان) .



حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد ، في قوله ( تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ) مما أحلّ لهم وحرّم عليهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قوله ( تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ) قال : ما أمر به ، وما نهى عنه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( وَتَرَكْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ) قال : ما أمروا به ، ونهوا عنه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن أشعث ، عن رجل ، قال : قال ابن مسعود : أنزل في هذا القرآن كل علم ، وكل شيء قد بين لنا في القرآن ، ثم تلا هذه الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) ﴾

يقول تعالى ذكره : إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد بالعدل ، وهو الإنصاف ، ومن الإنصاف : الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته ، والشكر له على أفضاله ، وتولى الحمد أهله . وإذا كان ذلك هو العدل ، ولم يكن للأوثان والأصنام عندنا يد تستحق الحمد عليها ، كان جهلا بنا حمدها وعبادتها ، وهي لا تنعم فنشكر ، ولا تنفع فتعبد ، فلزمننا أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولذلك قال من قال : العدل في هذا الموضع : شهادة أن لا إله إلا الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ) قال : شهادة أن لا إله إلا الله . وقوله والإحسان ، فإن الإحسان الذي أمر به تعالى ذكره ، مع العدل الذي وصفنا صفته : الصبر لله على طاعته فيما أمر ونهى ، في الشدة والرخاء ، والمكثرة والمثسّط ، وذلك هو أداء فرائضه .

كما حدثني المثني ، وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : والإحسان : يقول : أداء الفرائض .

وقوله ( وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ) يقول : وإعطاء ذى القربى الحق الذي أوجبه الله عليك ، بسبب القرابة والرحم . كما حدثني المثني وعلى ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ) يقول : الأرحام .

وقوله ( وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ ) قال : الفحشاء في هذا الموضع : الزنا .

## ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس ( وَيَسْتَهَيِّ  
عَنِ الْفَحْشَاءِ ) يقول : الزنا ، وقد بيئنا معنى الفحشاء بشراهدة فيما مضى قبل .  
وقوله ( وَالْبَغْيِ ) قيل : عُبِيَ بالبغي في هذا الموضع : الكبر والظلم .

## ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن  
ابن عباس ( وَالْبَغْيِ ) يقول : الكبر والظلم ، وأصل البغي : التعدى ، ومجاوزة القدر والحد من كل  
شيء . وقد بيئنا ذلك فيما مضى قبل .  
وقوله ( يَعْظُمُكُمْ لَعَنَاتِكُمْ تَدَكَّرُونَ ) يقول : يذكركم أيها الناس ربكم ، لتذكروا فتنبهوا إلى  
أمره ونهيه ، وتعرفوا الحق لأهله .

كما حدثني المثنى ، وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس  
( يَعْظُمُكُمْ ) يقول : يوصيكم ( لَعَنَاتِكُمْ تَدَكَّرُونَ ) . وقد ذُكِرَ عن ابن عيينة أنه كان يقول  
في تأويل ذلك : إن معنى العدل في هذا الموضع : استواء السريرة والعلانية ، من كل عامل لله عملاً . وإن معنى  
الإحسان : أن تكون سريرته أحسن من علانيته . وإن الفحشاء والمنكر : أن تكون علانيته أحسن من سريرته .  
وذكر عن عبد الله بن مسعود ، أنه كان يقول في هذه الآية ، ما حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال :  
ثنا معتمر بن سليمان ، قال : سمعت منصور بن النعمان ، عن عامر ، عن شُتَيْبِ بْنِ شَكَلٍ ، قال : سمعت  
عبد الله يقول : إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ  
ذِي الْقُرْبَى ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الشعبي ، عن شُتَيْبِ بْنِ شَكَلٍ ، قال :  
سمعت عبد الله يقول : إن أجمع آية في القرآن لخير أو لشر ، آية في سورة النحل ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ  
وَالْإِحْسَانِ ) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ  
وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ) . . . الآية . إنه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه ، إلا  
أمر الله به ، وليس من خلق سيئ كانوا يتعابرونه بينهم ، إلا نهى الله عنه ، وقدم فيه . وإنما نهى عن سفاسف  
الأخلاق ومآدمها .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ، وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَمَلْتُمْ اللَّهَ  
عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ (٩١)



❦ يقول تعالى ذكره : وأوفوا بميثاق الله إذا واثقتموه ، وعقده إذا عاقدتموه ، فأوجبتم به على أنفسكم حقا لمن عاقدتموه به ، وواثقتموه عليه ( وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ) يقول : ولا تخالفوا الأمر الذي تعاقدتم فيه الأيمان ، يعني بعد ما شددتم الأيمان على أنفسكم ، فتحسثوا في أيمانكم ، وتكذبوا فيها ، وتنقضوها بعد إبرامها ، يقال منه : وكَّد فلان يمينه يوكدها توكيدا : إذا شدَّدها ، وهي لغة أهل الحجاز ، وأما أهل نجد ، فإنهم يقولون : أكدتها أوكدتها تأكيدا . وقوله ( وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ) يقول : وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيا ، يرعى الموثق منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به والناقض .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، على اختلاف بينهم فيمن عني بهذه الآية ، وفيما أنزلت ، فقال بعضهم : عني بها الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، وفيهم أنزلت .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن مغيرة الأسدي ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو ليلى ، عن بريرة ، قوله ( وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ) قال : أنزلت هذه الآية في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ، كان من أسلم بايع على الإسلام ، فقالوا ( وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ) هذه البيعة التي بايعتم على الإسلام . ( وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ) : البيعة ، فلا يحنثكم قلة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكثرة المشركين ، أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام وإن كان فيهم قلة ، والمشركين فيهم كثرة . وقال آخرون : نزلت في الحلف الذي كان أهل الشرك تحالفوا في الجاهلية ، فأمرهم الله عز وجل في الإسلام أن يوفوا به ، ولا ينقضوه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ) قال : تغليظها في الحلف .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ) يقول : بعد تشديدها وتغليظها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : هؤلاء قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا ، وأعطى بعضهم العهد ، فجاءهم قوم ، فقالوا : نحن أكثر وأعز وأمنع ، فانقضوا عهد هؤلاء ، وارجعوا إلينا ، ففعلوا ، فذلك قول الله تعالى ( وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ

كفيلاً) أن تكون أمة هي أربي من أمة، هي أربي: أكثر، من أجل أن كان هؤلاء أكثر من أولئك، نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء، فكان هذا في هذا.

حدثني ابن البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا نافع بن يزيد، قال: سألت يحيى بن سعيد، عن قول الله (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) قال: اليهود.

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله تعالى أمر في هذه الآية عباده بالوفاء بعهوده، التي يجعلونها على أنفسهم، ونهاهم عن نقض الأيمان بعد توكيدها على أنفسهم لآخرين، بعقود تكون بينهم بحق، مما لا يكرهه الله. وجائز أن تكون نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهبهم عن نقض بيعتهم، حذرا من قلة عدد المسلمين، وكثرة عدد المشركين، وأن تكون نزلت في الذين أرادوا الانتقال بحلفهم عن حلفائهم، لقلّة عددهم، في آخرين لكثرة عددهم. وجائز أن تكون في غير ذلك، ولا خبر تشبّهت به الحجة أنها نزلت في شيء من ذلك دون شيء، ولا دلالة في كتاب ولا حجة عقل أي ذلك عيني بها، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قلنا، لدلالة ظاهره عليه، وأن الآية كانت قد نزلت لسبب من الأسباب، ويكون الحكم بها عاما في كل ما كان بمعنى السبب الذي نزلت فيه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) قال: وكيلاً.

وقوله (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره: إن الله أيتها الناس يعلم ما تفعلون في العهود التي تعاهدون الله من الوفاء بها، والأحلاف والأيمان التي تؤكدونها على أنفسكم، أتبرون فيها أم تنقضونها، وغير ذلك من أفعالكم، محص ذلك كله عليكم، وهو مسائلكم عنها، وعمّا عملتم فيها؛ يقول: فاحذروا الله أن تلقوه، وقد خالفتم فيها أمره ونهيه، فستوجبوا بذلك منه ما لا قبيل لكم به من أليم عقابه.

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِمَّا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ، وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢)

يقول تعالى ذكره ناهيا عباده عن نقض الأيمان بعد توكيدها، وأمرًا بوفاء العهود، وممثلا ناقض ذلك بناقضة غزلها من بعد إبرامه، وناكثته من بعد إحكامه؛ ولا تكونوا أيها الناس في نقضكم أيمانكم بعد توكيدها، وإعطائكم الله بالوفاء بذلك العهود والمواثيق (كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة) يعني: من بعد إبرام. وكان بعض أهل العربية يقول: القوّة: ما غزّل على طاقة واحدة ولم يُسّن. وقيل: إن التي كانت تفعل ذلك امرأة حفاء معروفة بمكة.



ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن كثير ( كَالْبَيْتِ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ) قال : خِرْفَاءُ كَانَتْ بِمَكَّةَ ، تَنَقُّضُهُ بَعْدَ مَا تُسَبِّرُهُ .  
 حدثنا المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن صدقة ، عن السدي ( وَلَا تَكُونُوا كَالْبَيْتِ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ) قال : هي خِرْفَاءُ ، بِمَكَّةَ كَانَتْ إِذَا أُبْرِمَتْ غَزْلَهَا نَقَضَتْهُ .  
 وقال آخرون : إنما هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد ، فشبهه بامرأة تفعل هذا الفعل ، وقالوا : في معنى نقضت غزلها من بعد قوة ، نحو مما قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تَكُونُوا كَالْبَيْتِ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ) فلو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم : ما أحمق هذه ! وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَلَا تَكُونُوا كَالْبَيْتِ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ) قال : غزها : حبيلها تنقضه ، بعد إبرامها إياه ، ولا تنتفع به بعد .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ( كَالْبَيْتِ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ) قال : نقضت حبيلها من بعد إبرام قوة .  
 حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تَكُونُوا كَالْبَيْتِ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ) قال : هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد الذي يعطيه ، ضرب الله هذا مثلا بمنزل التي غزلت ثم نقضت غزلها ، فقد أعطاهم ثم رجع ، فنكث العهد الذي أعطاهم . وقوله ( أَنْكَاثًا ) يعني : أنقاصا ، وكل شيء نقض بعد الفتل فهو أنكاث ، واحدها : نِكْثٌ ، حبلا كان ذلك أو غزلا ، يقال منه : نَكَّثَ فلان هذا الحبيل فهو ينكثه نكثا ، والحبيل مننكث : إذا انتقضت قواه . وإنما عيبي به في هذا الموضع نكث العهد والعقد . وقوله ( تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ) أن تكون أمة هي أرتبي من أمة ) يقول تعالى ذكره : يجعلون أيمانكم التي تحلفون بها على أنكم مؤفون بالعهد لمن عاهدتموه ( دَخَلًا بَيْنَكُمْ ) يقول : خديعة وغرورا ، ليطمئنوا إليكم ، وأنتم مضمرون لهم الغدر ، وترك الوفاء بالعهد . والنقلة عنهم إلى غيرهم من أجل أن غيرهم أكثر عددا منهم . والدخيل في كلام العرب : كل أمر لم يكن صحيحا ، يقال منه : أنا أعلم دخيل فلان ودخيلته ، ودخيلته ، ودخلته ودخيلته .

وأما قوله ( أنْ تَكُونُ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبِي مِنْ أُمَّةٍ ) فإن قوله أَرْبِي : أفعال ، من الربا ، يقال : هذا أربي من هذا ، وأربأ منه ، إذا كان أكثر منه ؛ ومنه قول الشاعر :

وَأَسْمَرَ حَطِي كَأَنَّ كَعْرُوبَهُ نَوَى الْقَسْبِ قَدِ أَرْبَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشِيرِ  
 وإنما يقال : أربي فلان من هذا وذلك ، للزيادة التي يزيد بها على غريمه ، على رأس ماله .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنثي وعلي بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أنْ تَكُونُ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبِي مِنْ أُمَّةٍ ) يقول : أكثر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس . قوله ( أنْ تَكُونُ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبِي مِنْ أُمَّةٍ ) يقول : ناس أكثر من ناس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( أنْ تَكُونُ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبِي مِنْ أُمَّةٍ ) قال : كانوا يخالفون الحلفاء ، فيجدون أكثر منهم وأعز ، فينقضون حلف هؤلاء ، ويخالفون هؤلاء الذين هم أعز منهم ، فهوا عن ذلك .

حدثنا ابن المنثي ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . وحدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ) يقول : خيانة وغدرا بينكم ( أنْ تَكُونُ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبِي مِنْ أُمَّةٍ ) أن يكون قوم أعز وأكثر من قوم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا أبو ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( دَخَلًا بَيْنَكُمْ ) قال : خيانة بينكم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ) يَغْرُبُ بها ، يعطيه العهد يؤمنه ، وينزله من مأمنه ، فنزل قدمه ، وهو في مأمن ، ثم يعود يريد الغدر قال : فأرل بدو هذا قوم كانوا حلفاء لقوم خالفوا ، وأعطى بعضهم بعضا العهد ، فجاءهم قوم قالوا : نحن أكثر وأعز وأمنع ، فانقضوا عهد هؤلاء ، وارجعوا إلينا ، ففعلوا ، وذلك قول

(١) (البيت في اللسان : قسب) قال : القسب : القمير اليابس يتفتت في القم ، صلب النواة . قال الشاعر . يصف رجلا : « وأسر خطيا . . . إلى آخر البيت . قال ابن بري : هذا البيت يذكر أنه لحاتم الطال . ولم أجده في شعره . وأربي وأرسى : لغتان . ونوى القسب أصلب النوى . والخطى نسبة إلى الخط : بلد عند البحرين ، مشهور بصنع الزجاج . واستشهد المؤلف هنا بالبيت على أن معنى أربي : أكثر . وكذلك قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٦٧ ) .

(٢) أي مثله ، وكثيرا ما يأتي بالسند ويترك المتن إذا تقدم ، ولا يأتي بلفظ نحوه أو مثله . وقد تقدمت الإشارة إلى بعض ذلك في مواضعه .

(٣) في الأصل : هو ، ولعله تحريف من التناسخ .



الله تعالى ( وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ، أَنْ تَكُونُوا أُمَّةً مِثْلَ أُمَّةٍ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ) هي أربى : أكثر . من أجل أن كانوا هؤلاء أكثر من أولئك نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء ، فكان هذا في هذا ، وكان الأمر الآخر في الذي يعاهده ، فينزله من حصنه ، ثم ينكت عليه . الآية الأولى في هؤلاء القوم ، وهي مبدؤه ، والأخرى في هذا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله ( أَنْ تَكُونُوا أُمَّةً مِثْلَ أُمَّةٍ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ) يقول : أكثر ، يقول : فعليكم بوفاء العهد .

وقوله ( إِنَّمَا يَبْتَلُواكُمُ اللَّهُ بِهِ ) يقول تعالى ذكره : إنما يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بعهد الله إذا عاهدتم ، ليقين المطيع منكم المنتهى إلى أمره ونبيه ، من العاصي المخالف أمره ونبيه ( وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ) يقول تعالى ذكره : وليبين لكم أيها الناس ربكم يوم القيامة إذا وردتم عليه ، بمجازاة كل فريق منكم على عمله في الدنيا ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، ما كنتم فيه تختلفون . والذي كانوا فيه يختلفون في الدنيا : أن المؤمن بالله كان يقرّ بوحداية الله ونبوة نبيه . ويصدق بما ابتعث به أنبياءه ، وكان يكذب بذلك كله الكافر ، فذلك كان اختلافهم في الدنيا الذي وعد الله تعالى ذكره عباده أن يبينه لهم عند ورودهم عليه ، بما وصفنا من البيان .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ،  
وَلَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣)

يقول تعالى ذكره : ولو شاء ربكم أيها الناس للطف بكم بتوفيق من عنده ، فصرتم جميعا جماعة واحدة ، وأهل ملة واحدة ، لا تختلفون ولا تفترقون ، ولكنه تعالى ذكره خالف بينكم ، فجعلكم أهل ملل شتى ، بأن وفق هؤلاء للإيمان به ، والعمل بطاعته ، فكانوا مؤمنين ، وخذل هؤلاء ، فحزرتهم توفيقه ، فكانوا كافرين ، وليسألنكم الله جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا ، فيما أمركم ونهاكم ، ثم ليجازينكم جزاء المطيع منكم بطاعته ، والعاصي له بمعصيته .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ، فَزِيلَ قَدَمُ بَعْدَ بُيُوتِهَا ، وَتَذُوقُوا سُوءَ مَا  
صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤)

يقول تعالى ذكره : ولا تتخذوا أيمانكم بينكم دخلا وخديعة بينكم ، تغفرون بها الناس ( فَزِيلَ قَدَمُ

بَعْدَ ثُبُوتِهَا ) يقول : فتهلكوا بعد أن كنتم من الملاك آمنين . وإنما هذا مثل لكل مبتلى بعد عافية ، أو ساقط في ورطة بعد سلامة ، وما أشبه ذلك : « زَلَّتْ قَدَمُهُ » ، كما قال الشاعر :

سَيَمْنَعُ مِنْكَ السَّبِيْقُ إِنْ كُنْتَ سَابِقًا وَتُلْطَعُ إِنْ زَلَّتْ بِكَ النَّعْلَانِ ١

وقوله ( وَتَذُوقُوا السُّوءَ ) يقول : وتذوقوا أتم السوء : وذلك السوء هو عذاب الله الذي يعذب به أهل معاصيه في الدنيا ، وذلك بعض ما عذب به أهل الكفر ( بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) يقول : بما فتنتم من أراد الإيمان بالله ورسوله عن الإيمان ( وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) في الآخرة ، وذلك نار جهنم ، وهذه الآية تدل على أن تأويل برئدة الذي ذكرنا عنه ، في قوله ( وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ) والآيات التي بعدها ، أنه عني بذلك : الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، عن ٢ مفارقة الإسلام لقلة أهله ، وكثرة أهل الشرك ، هو الصواب ، دون الذي قال مجاهد : أنهم عسوا به ، لأنه ليس في انتقال قوم تحالفوا عن حلفائهم إلى آخرين غيرهم ، صدق عن سبيل الله ، ولا ضلال عن الهدى ، وقد وصف تعالى ذكره في هذه الآية فاعليني ذلك ، أنهم باتخاذهم الأيمان دخلا بينهم ، ونقضهم الأيمان بعد توكيدها ، صادقون عن سبيل الله ، وأنهم أهل ضلال في التي قبلها ، وهذه صفة أهل الكفر بالله . لاصفة أهل النقمة بالحلف عن قوم إلى قوم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ، إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥)

مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ، وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦)

يقول تعالى ذكره : ولا تنقضوا عهودكم أيها الناس ، وعقودكم التي عاقدتموها من عاقدتم ، مؤكداً بآيمانكم ، تطالبون بنقضكم ذلك عبرضاً من الدنيا قليلاً ، ولكن أوفوا بعهد الله الذي أمركم بالوفاء به ، يثبكم الله على الوفاء به ، فإن ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بذلك ، هو خير لكم إن كنتم تعلمون . فضل ما بين العوضين اللذين أحدهما الثمن القليل ، الذي تشترون بنقض عهد الله في الدنيا ، والآخر الثواب الجزيل في الآخرة على الوفاء به . ثم بين تعالى ذكره ، فترق ما بين العوضين ، وفضل ما بين الثوابين ، فقال : ما عندكم أيها الناس مما تملكونه في الدنيا ، وإن كسرت فنافد فان ، وما عند الله لمن أوفى بعهده وأطاعه من الخيرات ، باق غير فان ، فلما عنده فاعملوا ، وعلى الباقي الذي لا ينفى فاحرصوا . وقوله ( وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) يقول تعالى ذكره : وليثيبن الله الذين صبروا على

(١) في (اللسان : لطمع) : اللطمع أن تصرف مؤخر الإنسان برجلك . تقول : لطمعت (بالكسر) اللطمع لطمعا . وقوله تعالى : « فترل قدم بعد ثبوتها » قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٦٧ ) : مثل يقال لكل مبتلى بعد عافية ، أو ساقط في ورطة بعد سلامة ، ونحو ذلك : زلت قدمه .

(٢) « عن » هنا : لتعليل ، أي بسبب مفارقة الإسلام ، مثلها في قوله تعالى ( وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ) : أي لأجله .



طاعتهم إياه في السرّاء والضرّاء ، ثوابهم يوم القيامة على صبرهم عليها ، ومساوئهم في رضاه ، بأحسن ما كانوا يعملون من الأعمال دون أسوأها ، وليغفرن الله لهم سيئاتها بفضله .

القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)

يقول تعالى ذكره : من عمل بطاعة الله ، وأوفى بعهود الله إذا عاهد ، من ذكر أو أنى من بنى آدم ، وهو مؤمن . يقول : وهو مصدق بثواب الله الذي وعد أهل طاعته على الطاعة ، وبوعيد أهل معصيته على المعصية ( فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ) .

واختلف أهل التأويل في الذي عسى الله بالحياة الطيبة ، التي وعد هؤلاء القوم أن يحييهموها ، فقال بعضهم : عنى أنه يحييهم في الدنيا ما عاشوا فيها بالرزق الحلال . ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس ( فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ) قال : الحياة الطيبة : الرزق الحلال في الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي مالك وأبي الربيع ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي الربيع ، عن ابن عباس ، في قوله ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ) قال : الرزق الحسن في الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي الربيع ، عن ابن عباس ( فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ) قال : الرزق الطيب في الدنيا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي الربيع ، عن ابن عباس ( فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ) قال : الرزق الطيب في الدنيا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ) يعني في الدنيا . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن مطرف ، عن الضحاك ( فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ) . قال : الرزق الطيب الحلال .

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عون بن سلام القرشي ، قال : أخبرنا بشر بن عمار ، عن (١) إسماعيل بن سميع ، باليمن مفتوحة ، الحنف ، أبو محمد ، وثقه جماعة . وكان خارجياً .

أبي رَوْق ، عن الضحاك ، في قوله ( فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ) قال : يأكل حلالا . ويلبس حلالا .  
وقال آخرون ( فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ) بأن نرزقه القناعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن المنهال بن خليفة ، عن أبي خزيمة سليمان التمار ، عن  
ذكره ، عن عليّ ( فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ) قال : القنوع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو عصام ، عن أبي سعيد ، عن الحسن البصري ، قال :  
الحياة الطيبة : القناعة .

وقال آخرون : بل يعنى بالحياة الطيبة : الحياة مؤمنا بالله ، عاملا بطاعته .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول  
في قوله ( فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ) يقول : من عمل عملا صالحا وهو مؤمن في فاقة أو ميسرة ، فحياته  
طيبة ، ومن أعرض عن ذكر الله ، فلم يؤمن ولم يعمل صالحا ، عيسته صنكة لاخير فيها .  
وقال آخرون : الحياة الطيبة : السعادة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ،  
قوله ( فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ) قال : السعادة .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : الحياة في الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هروذة ، عن عوف ، عن الحسن ( فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ) قال :  
لانطيب لأحد حياة دون الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن الحسن ( فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ) قال :  
مانطيب الحياة لأحد إلا في الجنة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ  
أَوْ أُنثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ) فإن الله لا يشاء عملا إلا في إخلاص ، ويوجب من  
عمل ذلك في إيمان ، قال الله تعالى ( فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ) ، وهي الجنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ  
حَيَاةً طَيِّبَةً ) قال : الآخرة . يحيبهم حياة طيبة في الآخرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ  
ذَكَرٍ أَوْ أُنثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ) قال : الحياة الطيبة في الآخرة : هي الجنة ،



تلك الحياة الطيبة ، قال ( وَلَسَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) وقال : ألا تراه يقول : ( يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ) قال : هذه آخرته . وقرأ أيضا ( وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ) قال : الآخرة دار حياة لأهل النار وأهل الجنة ، ليس فيها موت لأحد من الفريقين .

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ نَسِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ) قال : الإيمان : الإخلاص لله وحده ، فبين أنه لا يقبل عملا إلا بالإخلاص له .

بَيِّنَةٌ وَأُولَى الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ : قول من قال : تأويل ذلك : فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة ، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق ، لم يكثر للدنيا تبعه ، ولم يعظم فيها نصبه ، ولم يتكدر فيها عيشه ، باتباعه بغية ما فاتته منها ، وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها .

وإنما قلت : ذلك أولى التأويلات في ذلك بالآية ، لأن الله تعالى ذكره أوعد قوما قبلها على معصيتهم إياه إن عصوه أذاقهم السوء في الدنيا ، والعذاب في الآخرة ، فقال تعالى ( وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَ يَدَيْكُمْ ، فَتَنَزَّلَ قَدَمٌ مِّنْ بَعْدِ ثُبُوتِهَا ، وَتَذُوقُوا السُّوَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) فهذا لهم في الدنيا ، وهم في الآخرة عذاب عظيم ، فهذا لهم في الآخرة . ثم أتبع ذلك ما لمن أوفى بعهد الله وأطاعه ، فقال تعالى : ما عندكم في الدنيا ينفد ، وما عند الله باق ، فالذي ا هذه السيئة بحكته ، أن يُعْتَقِبَ ذلك الوعد لأهل طاعته بالإحسان في الدنيا ، والغفران في الآخرة ، وكذلك فعَلَّ تعالى ذكره .

وأما القول الذي روى عن ابن عباس أنه الرزق الحلال ، فهو محتمل أن يكون معناه البى قلنا في ذلك ، من أنه تعالى يقنعه في الدنيا بالذي يرزقه من الحلال ، وإن قل ، فلا تدعوه نفسه إلى الكثير منه من غير حله ، لأنه يرزقه الكثير من الحلال . وذلك أن أكثر العاملين لله تعالى بما يرضاه من الأعمال ، لم نرهم رزقوا الرزق الكثير من الحلال في الدنيا ، ووجدنا ضيق العيش عليهم أغلب من السعة .  
وقوله ( وَلَسَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) فذلك لاشك أنه في الآخرة ، وكذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس : ( وَلَسَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) قال : إذا صاروا إلى الله جزاهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي مالك ، وأبي الربيع ، عن ابن عباس ، مثله .

(١-١) هذه العبارة قد سقطت منها كلمات . ولعل الأصل : فالذي أوعد أهل المعاصي بإذاتهم هذه السيئة بحكته ، أراد أن يعقب الخ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن مسمع ، عن أبي الربيع ، عن ابن عباس ( وَلَسَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ ) قال : في الآخرة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن مسمع ، عن أبي الربيع ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( وَلَسَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) يقول : يجزيهم أجرهم في الآخرة بأحسن ما كانوا يعملون .

وقيل : إن هذه الآية نزلت بسبب قوم من أهل ميلل شتى تفاخروا ، فقال أهل كل ملة منها : نحن أفضل ، فبين الله لهم أفضل أهل الملل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قال : جلس ناس من أهل الأوثان وأهل التوراة وأهل الإنجيل ، فقال هؤلاء ، نحن أفضل ، وقال هؤلاء : نحن أفضل ، فأنزل الله تعالى ( مَن سَمِعَ صَاحِبًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَسُحِيبَتُهُ حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ ، وَلَسَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)

يقول تعالى ذكره لبيده محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا كنت يا محمد قارئاً القرآن ، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . وكان بعض أهل العربية يزعم أنه من المؤخر الذي معناه التقديم . وكأن معنى الكلام عنده : وإذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم . فاقراً القرآن ، ولا وجه لما قال من ذلك ، لأن ذلك لو كان كذلك لكان منى استعاذ مستعيز من الشيطان الرجيم ، لزمه أن يقرأ القرآن ، ولكن معناه ما وصفناه ، وليس قوله ( فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ) بالأمر اللازم . وإنما هو إعلام وندب . وذلك أنه لاخلاف بين الجميع ، أن من قرأ القرآن ولم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، قبل قراءته أو بعدها ، أنه لم يضيع فرضاً واجباً . وكان ابن زيد يقول في ذلك نحو الذي قلنا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ) قال : فهذا دليل من الله تعالى دل عباده عليه .



وأما قوله ( إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) فإنه يعنى بذلك : إن الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله ، وعملوا بما أمر الله به ، وانتهوا عما نهاهم الله عنه ( وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) يقول : وعلى ربهم يتوكلون ، فيما نابهم من مهمات أمورهم . وإنما سلطانه على الذين يتولونه ، يقول : إنما حجته على الذين يعبدونه ( وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) يقول : والذين هم بالله مشركون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسين . قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( إِنَّمَا سُلْطَانُهُ ) قال : حجته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين . قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ) قال : يطيعونه .

واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى من أجله لم يسلط فيه الشيطان على المؤمن .

فقال بعضهم بما حدثت عن واقد بن سليمان ، عن سفيان ، فى قوله ( إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) قال : ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر . وقال آخرون : هو الاستعاذة ، فإنه إذا استعاذ بالله منع منه ، ولم يسلط عليه . واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الله تعالى ( وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) وقد ذكرنا الرواية بذلك فى سورة الحجر .

وقال آخرون فى ذلك ، بما حدثني به المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، فى قوله ( إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) إلى قوله ( وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) يقال : إن عدو الله إبليس قال ( لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ) فهؤلاء الذين لم يجعل للشيطان عليهم سبيل ، وإنما سلطانه على قوم اتخذوه وليا ، وأشركوه فى أعمالهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) يقول : السلطان على من تولى الشيطان وعمل بمعصية الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ ) يقول : الذين يطيعونه ويعبدونه .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا ،

فاستعاذوا بالله منه ، بما ندب الله تعالى ذكره من الاستعاذة ، وعلى ربهم يتوكلون على ما عرض لهم من خطراته ووساوسه .

وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلات بالآية ، لأن الله تعالى ذكره أتبع هذا القول ( فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ) وقال في موضع آخر : ( وإماماً يستعذ بك من الشيطان نزعاً فاستعذ بالله إنه سميعٌ عليكم ) فكان بيننا بذلك أنه إنما ندب عباده إلى الاستعاذة منه في هذه الأحوال ، ليبيدهم من سلطانه .

وأما قوله ( والَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم فيه بما قلنا : إن معناه : والذين هم بالله مشركون .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وحدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( والَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ) قال : يعدلون برب العالمين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( والَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ) قال : يعدلون بالله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( والَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ) عدلوا إبليس بربهم ، فإنهم بالله مشركون . وقال آخرون : معنى ذلك : والذين هم به مشركون ، أشركوا الشيطان في أعمالهم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ( والَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ) أشركوه في أعمالهم .

والقول الأول ، أعنى قول مجاهد : أولى القولين في ذلك بالصواب ، وذلك أن الذين يتولون الشيطان إنما يشركونه بالله في عبادتهم وذبايحهم ومطاعمهم ومشاربهم ، لأنهم يشركون بالشيطان . ولو كان معنى الكلام ما قاله الربيع ، لكان التنزيل : الذين هم مشركوه ، ولم يكن في الكلام به . فكان يكون لو كان التنزيل كذلك ، والذين هم مشركوه في أعمالهم ، إلا أن يوجه معنى الكلام ، إلى أن القوم كانوا يدينون بألوهة الشيطان ، ويشركون الله به في عبادتهم إياه ، فيصح حينئذ معنى الكلام ، ويخرج عما جاء التنزيل به في سائر القرآن ، وذلك أن الله تعالى وصف المشركين في سائر سور القرآن أنهم أشركوا بالله ، ما لم ينزل به عليهم سلطاناً ، وقال في كل موضع تقدم إليهم بالزجر عن ذلك ، لا تشركوا بالله شيئاً ، ولم نجد في شيء من التنزيل : لا تشركوا الله بشيء ، ولا في شيء من القرآن ، خبراً من الله عنهم أنهم أشركوا الله بشيء ،



فيجوز لنا توجيه معنى قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) إلى والذين هم بالشیطان مشركو الله، فبين إذن إذ كان ذلك كذلك، أن الهاء في قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ) عائدة على الرب في قوله (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ).

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ، قَالُوا: إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)

يقول تعالى ذكره: وإذا نسخنا حكم آية، فأبدلنا مكانه حكم أخرى، والله أعلم بما ينزل: يقول: والله أعلم بالذي هو أصل خلقه، فيما يبدل ويغير من أحكامه، قالوا: إنما أنت مفتر. قال المشركون بالله، المكذبو رسوله لرسوله: إنما أنت يا محمد مفتر: أي مكذوب، تحرّص بتقول الباطل على الله: يقول الله تعالى: بل أكثر هؤلاء القائلين لك يا محمد: إنما أنت مفتر جهال، بأن الذي تأتيهم به من عند الله ناسخه و منسوخه، لا يعلمون حقيقة صحته.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ)، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء؛ وحدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل؛ وحدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ) رفعناها فأزلنا غيرها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ) قال: نسخناها، بدلناها، رفعناها، وأثبتنا غيرها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ) هو كقوله (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسَخْ).

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ) قالوا: إنما أنت مفتر، تأتي بشيء وتنقضه، فتأتي بغيره. قال: وهذا التبديل ناسخ، ولا تبدل آية مكان آية إلا بنسخ.

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ، لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا، وَهُدًى وَبُشْرَىٰ  
لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للقائلين لك : إنما أنت مفتر فيما تتلو عليهم من آي كتابنا ، أنزله روح القدس : يقول : قل جاء به جبرئيل من عند ربي بالحق . وقد بينت في غير هذا الموضع معنى : روح القدس ، بما أغنى عن إعادته .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا جعفر بن عون العمري ، عن موسى بن عبيدة الربيدي ، عن محمد بن كعب ، قال : قال : روح القدس : جبرئيل .  
وقوله ( لِيُشَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا ) يقول تعالى ذكره : قل نزل هذا القرآن ناسخه ومنسوخه روح القدس على من ربي ، تثبيتا للمؤمنين ، وتقوية لإيمانهم ، ليزدادوا بتصديقهم لخاصه ومنسوخه إيمانا لإيمانهم ، وهدى لهم من الضلالة ، وبشرى للمسلمين الذين استسلموا لأمر الله ، وانقادوا لأمره ونبيه ، وما أنزله في آي كتابه ، فأقرؤا بكل ذلك ، وصدقوا به قولاً وعملاً .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ

عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣)

يقول تعالى ذكره : ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلاً منهم : إنما يعلم محمد هذا الذي يتلوه بشر ، من بني آدم ، وما هو من عند الله ، يقول الله تعالى ذكره مكذبهم في قلوبهم ، وذلك ألا تعلمون كذب ما تقولون ، إن لسان الذي تلحدون إليه : يقول : تملون إليه بأنه يعلم محمد ، أعجمي ، وذلك أنهم فيما ذُكر كانوا يزعمون أن الذي يعلم محمد هذا القرآن عبد رومي ، فلذلك ، قال تعالى ( لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ) يقول : وهذا القرآن لسان عربي مبين .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في اسم الذي كان المشركون يزعمون أنه يعلم محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن من البشر ، فقال بعضهم : كان اسمه بلعام ، وكان قينا بمكة نصرانيا  
ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا إبراهيم بن طهمان ، عن مسلم بن عبد الله الملقب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة ، وكان أعجمي اللسان ، وكان اسمه بلعام ، فكان المشركون يروون رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه ، وحين يخرج من عنده ، فقالوا : إنما يعلمه بلعام ، فأنزل الله تعالى ذكره ( وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ) .



وقال آخرون : اسمه يعيش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن عكرمة ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاما لبني المغيرة أعجميا ، قال سفيان : أراه يقال له : يعيش ، قال : فذلك قوله ( لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ) .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَقَدْ تَعَلَّمْ أَتَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ) وقد قالت قريش : إنما يعلمه بشر ، عبد لبني الحضرمي يقال له يعيش ، قال الله تعالى ( لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ) وكان يعيش يقرأ الكتب .  
وقال آخرون : بل كان اسمه جبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة إلى غلام نصراني يقال له جبر ، عبد لبني بياضة الحضرمي ، فكانوا يقولون : والله ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتي به إلا جبر النصراني غلام الحضرمي ، فأنزل الله تعالى في قولهم ( وَلَقَدْ تَعَلَّمْ أَتَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير : كانوا يقولون : إنما يعلمه نصراني على المروة ، ويعلم محمدا رومي يقولون اسمه جبر ، وكان صاحب كتب ، عبد لابن الحضرمي ، قال الله تعالى ( لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ) قال : وهذا قول قريش : إنما يعلمه بشر ، قال الله تعالى ( لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ )  
وقال آخرون : بل كانا غلامين : اسم أحدهما يسار ، والآخر جبر .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن عبد الله بن مسلم الحضرمي : أنه كان لهم عبدان من أهل عير اليمن ، وكانا طفلين ، وكان يُقال لأحدهما يسار ، والآخر جبر ، فكانا يقرأان التوراة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جلس إليهما ، فقال كفار قريش : إنما يجلس إليهما يتعلم منهما ، فأنزل الله تعالى ( لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا معن بن أسد ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن حصين ، عن عبد الله بن مسلم الحضرمي ، نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن حصين ، عن عبد الله بن مسلم ، قال : كان لنا غلامان

فكانا يقرآن كتابا لهما بلسانهما ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمرّ عليهما ، فيقوم يستمع منهما ، فقال المشركون : يتعلم منهما ، فأنزل الله تعالى ما كذبهم به ، فقال ( لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ) .

وقال آخرون : بل كان ذلك مسلّمان الفارسي .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ) كانوا يقولون : إنما يعلمه سلّمان الفارسي . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَكَانَ يُعَلِّمُهُمُ ) يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ) قال : قول كفار قريش : إنما يعلمه عبد ابن الحضرمي ، وهو صاحب كتاب ، يقول الله ( لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ) . وقيل : إن الذي قال ذلك : رجل كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ عن الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب أن الذي ذكر الله إنما يعلمه بشر ، إنما افتتن ، إنه كان يكتب الوحي ، فكان يملئ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : سميع عليم ، أو عزيز حكيم ، وغير ذلك من خواتم الآي ، ثم يشتغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحي ، فيستفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : أعزيز حكيم ، أو سميع عليم ، أو عزيز عليم ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي ذلك كتبت فهو كذلك ، ففتنه ذلك ، فقال : إن محمدا بكل ذلك إلى ، فأكتب ما شئت ، وهو الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة .

واختلف القرّاء في قراءة قوله ( يُلْحِدُونَ ) ، فقرأه عامة قرّاء المدينة والبصرة ( لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ ) بضم الياء ، من ألحد يلحد إلحادا ، بمعنى يعترضون ، ويعدّلون إليه ، ويُعَرَّجون إليه من قول الشاعر :  
قَدَرْتِي مِنْ نَصْرِ الْحُبَيْبِيِّنِ قَدِي  
لَيْسَ أَمِيرِي بِالشَّحِيحِ الْمُلْحِدِ

(١) قلفي : اسم فعل بمعنى كلف . والحبيبين : مثنى مصغر . وهما عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب ، أو هما عبيد بن عبد الله بن الزبير وأحد إخوته من بني عبد الله بن الزبير ، وهم حمزة وثابت وعباد وقيس وعامر وموسى . وقيل إن لفظ الحبيبين جمع حبيب ، يريد حبيبا ومن معه . أو يريد أنصار عبد الله بن الزبير ، وكان يلقب أبا حبيب . والملمد : قال صاحب المصباح : من ألحد في الحرم بالألف : إذا استحل حرمة واتهكها . وألحد إلحادا : جادل ومازى . ولحد ( بلا ألف ) بمعنى : جار وظلم . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٦٨) « لسان الذي يلحدون إليه أعجمي » أي يعدّلون إليه . ويقال : ألحد فلان : أي جار . وأعجمي : أصيف إلى أعجم اللسان . والبيتان من مشطور الرجز ، وهما لحيد الأرقط ( انظر خزانة البعداوي ٢ : ٤٥٣ ) .



وقرأ ذلك عامة قرآء أهل الكوفة (لسانُ الَّذِي يَسْتَجِدُّونَ لِآلِيهِ) بفتح الياء، يعنى: يميلون إليه من لحد فلان إلى هذا الأمر، يَسْتَجِدُّ لحدًا ولحدودًا، وهما عندى لغتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارى فمصيب فيهما الصواب. وقيل (وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) يعنى: القرآن كما تقول العرب لقصييدة من الشعر يعرضها الشاعر: هذا لسان فلان: تريد قصيدته؛ كما قال الشاعر:

لِسَانُ السُّوءِ يُهْدِيهَا إِلَيْنَا وَحِينَتَ وَمَا حَسِبْتُكَ أَنْ تُحْيِينَا

يعنى باللسان: القصيدة والكلمة.

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِثَأْتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ، وَاللَّهُمَّ عَذَابُ الْإِيمِ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِي  
الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِثَأْتِ اللَّهِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٠٥)

يقول تعالى: إن الذين لا يؤمنون بحجج الله وأدلته، فيصدقون بما دللت عليه (لا يهديهم الله) يقول: لا يوفقهم الله لإصابة الحق، ولا يهديهم لسبيل الرشيد فى الدنيا (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ) وعند الله إذا وردوا عليه يوم القيامة عذاب مؤلم موجه. ثم أخبر تعالى ذكره المشركين الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إنما أنت مفتر، أنهم هم أهل الفرية والكذب، لانبي الله صلى الله عليه وسلم، والمؤمنون به، وبرآ من ذلك نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال: إنما يتخرص الكذب، ويتقول الباطل، الذين لا يصدقون بحجج الله وإعلامه، لأنهم لا يرجون على الصدق ثوابا، ولا يخافون على الكذب عقابا، فهم أهل الإفك وافتراء الكذب، لامن كان راجيا من الله على الصدق الثواب الجزيل، وخائفا على الكذب العقاب الأليم. وقوله (وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) يقول: والذين لا يؤمنون بآيات الله هم أهل الكذب، لا المؤمنون.

القول فى تأويل قوله تعالى

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ، وَلَكِنْ مَنْ  
شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦)

يختلف أهل العربية فى العامل فى «مَنْ» من قوله (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ) ، ومن قوله (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا) فقال بعض نحوى البصرة: صار قوله (فَعَلَيْهِمْ) خبرا لقوله (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا) ، وقوله (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ) فأخبر لهم بغير واحد، وكان ذلك

(١) فى (اللسان: لسن): اللسان: جارحة الكلام، وقد يكئى بها عن الكلمة، فيؤثت حينئذ، قال أعشى باهلة: إني أتفتى لسان لا أسر بها. قال ابن برى: اللسان هنا: الرسالة والمقالة. وقد يذكر، عل معنى الكلام، قال الخطيب: «ندمت على لسان فات منى». وحان يبين حينئذ: هلك. وشاهد المؤلف فى البيت: أن اللسان قد يحسى مؤنثا، بمعنى الكلمة والقصيدة.

يدلّ على المعنى . وقال بعض نحوّي الكوفة : إنما هذان جزءان اجتماعا ، أحدهما منعقد بالآخر ، فجوابهما واحد ، كقول القائل : من يأتنا ، فمن يحسن نكرمه ، بمعنى : من يحسن ممن يأتنا نكرمه . قال : وكذلك كلّ جزءين اجتماعا الثاني منعقد بالأوّل ، فالجواب لهما واحد . وقال آخر من أهل البصرة : بل قوله ( مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ) مرفوع بالردّ على الذين في قوله ( إِنَّمَا يَنْتَقِرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ) ؛ ومعنى الكلام عنده : إنما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ، إلا من أكره من هؤلاء ، وقلبه مطمئن بالإيمان . وهذا قول لا وجه له ؛ وذلك أن معنى الكلام لو كان كما قال قائل هذا القول ، لكان الله تعالى ذكره قد أخرج من افترى الكذب في هذه الآية ، الذين ولدوا على الكفر ، وأقاموا عليه ، ولم يؤمنوا قطّ ، وخصّ به الذين قد كانوا آمنوا في حال ، ثم راجعوا الكفر بعد الإيمان ، والتنزيل يدلّ على أنه لم يخصّ بذلك هؤلاء دون سائر المشركين ، الذين كانوا على الشرك مقيمين ، وذلك أنه تعالى أخبر خبر قوم منهم أضافوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم افتراء الكذب ، فقال ( وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزَّلُ ) ، قالوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) وكذب جميع المشركين بافتراءهم على الله ، وأخبر أنهم أحقّ بهذه الصفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ( إِنَّمَا يَنْتَقِرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ) . ولو كان الذين عسّوا بهذه الآية هم الذين كفروا بالله من بعد إيمانهم ، وجب أن يكون القائلون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما أنت مفتر حين يدلّ الله آية مكان آية ، كانوا هم الذين كفروا بالله بعد الإيمان خاصة ، دون غيرهم من سائر المشركين ، لأن هذه في سياق الخبر عنهم ، وذلك قول إن قاله قائل ، فبين فساده ، مع خروجه عن تأويل جميع أهل العلم بالتأويل : **بَيِّنُوا** والصواب من القول في ذلك عندي : أن الرفع لمن الأولى والثانية ، قوله ( فَعَلَيْتِهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ ) والعرب تفعل ذلك في حروف الجزاء ، إذا استأنفت أحدهما على الآخر .

وذكر أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر ، وقوم كانوا أسلموا ، ففتنهم المشركون عن دينهم ، فثبت على الإسلام بعضهم ، وافتن بعض .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ) . . . إلى آخر الآية ، وذلك أن المشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذبوه ، ثم تركوه ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدثه بالذي لتيق من قريش ، والذي قال : فأنزل الله تعالى ذكره عذره : ( مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ ) . . . إلى قوله ( وَكَلِمَةُ عَذَابٍ عَظِيمٍ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ) قال : ذكر لنا أنها نزلت في عمار بن ياسر ، أخذه بنو المغيرة ، فغصّوه في بئر ميمون ، وقالوا : اكفر بمحمد ، فتابعهم على ذلك وقلبه كاره ، فأنزل الله تعالى ذكره



(إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا) : أى من أتى الكفر على اختيار واستحباب (فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن أبي عبيدة ابن محمد بن عمار بن ياسر ، قال : «أخذ المشركون عمار بن ياسر ، فعذبوه حتى باراهم في بعض ما أرادوا ، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ ؟ قال : مطمئنا بالإيمان ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فإن عادوا فعدوا» .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك ، في قوله (إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) قال : نزلت في عمار بن ياسر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، قال : لما عذب الأعداء أعطوهم ما سألوا إلا خبثاب بن لأرت ، كانوا يضجعونه على الرضف ، فلم يستقلوا منه شيئا .

فتأويل الكلام إذن : من كفر بالله من بعد إيمانه ، إلا من أكره على الكفر ، فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ، موقن بحقيقته ، صحيح عليه عزمه ، غير مفسوح الصدر بالكفر ، لكن من شرح بالكفر صدرا ، فاختره وآثره على الإيمان ، وباح به طائعا ، فعليهم غضب من الله ، ولهم عذاب عظيم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ورد الخبر ، عن ابن عباس .

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) فأخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد إيمانه ، فعليه غضب من الله ، وله عذاب عظيم ، فأما من أكره ، فتكلم به لسانه ، وخالفه قلبه بالإيمان ، لينجو بذلك من عدوه ، فلا حرج عليه ، لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أُسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧)

يقول تعالى ذكره : حل هؤلاء المشركين غضب الله ، ووجب لهم العذاب العظيم ، من أجل أنهم اختاروا زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة ، ولأن الله لا يوفق القوم الذين يجحدون آياته مع إصرارهم على جحودها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨)

لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَامِرُونَ (١٠٩)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء المشركون الذين وصفت لكم صفتهم في هذه الآيات أيها الناس ، هم القوم

الذين طبع الله على قلوبهم ، فحتم عليها بطابعه ، فلا يؤمنون ، ولا يهتدون ، وأصمّ أسياعهم ، فلا يسمعون داعي الله إلى الهدى ، وأعمى أبصارهم ، فلا يبصرون بها حجج الله لإبصار معتبر ومتعظ ( وأولئك هم الغافلون ) يقول : وهؤلاء الذين جعل الله فيهم هذه الأفعال هم الساهون ، عما أعدّ الله لأمثالهم من أهل الكفر ، وعمّا يراد بهم .

وقوله ( لاجرم آتيم في الآخرة هم الخاسرون ) المالكون ، الذين غيبوا أنفسهم حظوظها من كرامة الله تعالى .

#### القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا  
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٠)

يقول تعالى ذكره : ثم إن ربك يا محمد للذين هاجروا من ديارهم ومساكنهم وعشائرهم من المشركين ، وانتقلوا عنهم إلى ديار أهل الإسلام ومساكنهم ، وأهل ولايتهم ، من بعد ما قاتلهم المشركون الذين كانوا بين أظهرهم ، قبل هجرتهم عن دينهم ، ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم بالسيف ، وبأسننتهم بالبراءة منهم ، ومما يعبدون من دون الله ، وصبروا على جهادهم ( إن ربك من بعد ما قاتلهم لغفور رحيم ) يقول : إن ربك من بعد فعلتهم هذه لهم لغفور ، يقول : لدو ستر على ما كان منهم من إعطاء المشركين ما أرادوا منهم ، من كلمة الكفر بأسننتهم ، وهم لغيرها مضمرون ، وللإيمان معتقدون ، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع إنايتهم إلى الله وتوبتهم .

وذكر عن بعض أهل التأويل أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا تخلّفوا بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فاشتدّ المشركون عليهم ، حتى فتنوهم عن دينهم ، فأيسوا من التوبة ، فأنزل الله فيهم هذه الآية ، فهاجروا ولحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ) قال : ناس من أهل مكة آمنوا ، فكتب إليهم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة : أن هاجروا ، فإننا لانراكم منا ، حتى تهاجروا إلينا ، فخرجوا يريدون المدينة ، فأدركتهم قريش بالطريق ، ففتنواهم ، وكفروا مكريهين ، ففهم نزلت هذه الآية .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

قال ابن جريج : قال الله تعالى ذكره ( من كفر بالله من بعد إيمانه ) ثم نسخ واستثنى ، فقال



( «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» ) :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» ) : ذِكْرٌ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ إِسْلَامٌ حَتَّى يَهَاجِرُوا ، كَتَبَ بِهَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِلَى أَصْحَابِهِمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ ذَلِكَ تَبَايَعُوا بَيْنَهُمْ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا ، فَإِنْ لَحِقَ بِهِمُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، قَاتَلُوهُمْ حَتَّى يَنْجُوا أَوْ يَلْحَقُوا بِاللَّهِ ، فَخَرَجُوا فَأَدْرَكَهُمُ الْمُشْرِكُونَ ، فَقَاتَلُوهُمْ ، فَهَبِمُ مِنْ قَتْلٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَجَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ( «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا» ) . . . الْآيَةَ .

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال ثنا محمد بن شريك ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يستخفون بالإسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم ، فأصيب بعضهم ، وقُتل بعض ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين ، وأكروهوا فاستغفروا لهم ، فنزلت ( «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ» ) . . . إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، قَالَ : وَكَتَبَ إِلَى مَنْ بَقِيَ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَذِهِ الْآيَةَ لِاعْدِرْ لَهُمْ ، قَالَ : فَخَرَجُوا فَلَحَقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ ، فَأَعْطَوْهُمُ الْفِتْنَةَ ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ( «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ، فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ» ) . . . إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، فَكَتَبَ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ ، فَخَرَجُوا وَأَيْسُوا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ، ثُمَّ نَزَلَتْ فِيهِمْ ( «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» ) فَكَتَبُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ تَخْرُجًا ، فَخَرَجُوا ، فَأَدْرَكَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَقَاتَلُوهُمْ ، ثُمَّ نَجَا مِنْ نَجَا ، وَقُتِلَ مِنْ قَتْلٍ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال نزلت هذه الآية في عمَّار بن ياسر وعياش ابن أبي ربيعة ، والوليد بن الوليد ( «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا» ) .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في شأن ابن أبي سرح .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرى ، قالوا في سورة النحل ( «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ، فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» ) ثُمَّ نَسَخَ وَاسْتَنْبَى مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ ( «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» ) وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَرْحٍ ، الَّذِي كَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم ، فأزله الشيطان ، فلحق بالكفار ، فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل يوم فتح مكة ، فاستجار له أبو عمرو ١ ، فأجاره النبي صلى الله عليه وسلم .

## القول في تأويل قوله تعالى

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَدِيلٍ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (١١١)

يقول تعالى ذكره: إن ربك من بعدها لغفور رحيم ، (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ) تخاصم عن نفسها ، وتحتج عنها ، بما أسلفت في الدنيا من خير أو شر ، أو إيمان أو كفر ، (وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ) في الدنيا من طاعة ومعصية ، (وَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) يقول: وهم لا يفعل بهم إلا ما يستحقونه ويستوجبونه بما قدموه من خير أو شر ، فلا يجزي المحسن إلا بالإحسان ، ولا المسيء إلا بالذي أسلف من الإساءة ، لا يعاقب محسن ، ولا يبخس جزاء إحسانه ، ولا يثاب مسيء إلا ثواب عمله .

واختلف أهل العربية في السبب الذي من أجله قيل تجادل ، فأنتث الكل ، فقال بعض نحوِّي البصرة: قيل ذلك لأن معنى كل نفس: كل إنسان، وأنت لأن النفس تذكر وتؤنث ، يقال: ما جاءني نفس واحد وواحدة . وكان بعض أهل العربية يرى هذا القول من فائله غلطا، ويقول: كل إذا أضيفت إلى نكرة واحدة خرج الفعل على قدر النكرة: كل امرأة قائمة ، وكل رجل قائم ، وكل امرأتين قائمتان ، وكل رجلين قائمان ، وكل نساء قائمات ، وكل رجال قائمون ، فيخرج على عدد النكرة وتأنيثها وتذكيرها ، ولا حاجة به إلى تأنيث النفس وتذكيرها .

## القول في تأويل قوله تعالى

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ، فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١١٢)

يقول الله تعالى ذكره: ومثل الله مثلا لمكة التي سكانها أهل الشرك بالله، هي القرية التي كانت آمنة مطمئنة، وكان أمنها أن العرب كانت تتعادي، ويقتل بعضها بعضا، ويسبي بعضها بعضا، وأهل مكة لا يغار عليهم، ولا يحاربون في بلدهم، فذلك كان أمنها. وقوله (مُطْمَئِنَّةً) يعني: قارة بأهلها، لا يحتاج أهلها إلى السَّجْع، كما كان سكان البوادي يحتاجون إليها (يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا) يقول: يأتي أهلها معاشهم واسعة كثيرة. وقوله (مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) يعني: من كل فج من فجاج هذه القرية، ومن كل ناحية فيها. وبنحو الذي قلنا في أن القرية التي ذُكرت في هذا الموضع أريد بها مكة قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

(١) أبو عمرو : يريد عثمان بن عفان رحمه الله ، وكان أخا عبد الله بن سعد من الرضاعة . قاله ابن إسحاق في السيرة .



قوله ( وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ )  
يعنى : مكة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ) قال : مكة .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ  
آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ) قال : ذُكِرَ لَنَا أَنَّهَا مَكَّةُ .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً ) قال :  
هى مكة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا  
قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذه مكة .  
وقال آخرون : بل القرية التى ذكر الله فى هذا الموضع : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .  
ذكر من قال ذلك

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مریم ، قال : أخبرنا نافع بن يزيد ، قال : ثنى  
عبد الرحمن بن شريح ، أن عبد الكريم بن الحارث الحضرمي ، حدث أنه سمع مِشْرَحَ بن عاهان ، يقول :  
سمعت سليم بن نمير يقول : صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وعثمان محصور  
بالمدينة ، فكانت تسأل عنه ما فعل ، حتى رأت راكبين ، فأرسلت إليهما تسألهما ، فقالا : قتل ، فقالت  
حفصة : والذي نفسى بيده إنها القرية ، تعنى المدينة ، التى قال الله تعالى ( وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ  
آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَكَفَّرَتْ بِأَنعُمِ اللَّهِ ) قرأها ، قال أبو شريح  
وأخبرني عبد الله بن المغيرة عن حدثه ، أنه كان يقول : إنها المدينة ، وقوله : ( فَكَفَّرَتْ بِأَنعُمِ اللَّهِ )  
يقول : فكفر أهل هذه القرية بأنعم الله التى أنعم عليها .

واختلف أهل العربية فى واحد الأنعم ، فقال بعض نحوئي البصرة : جمع النعمة على أنعم ، كما قال الله  
( حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ) فزعم أنه جمع الشدَّة . وقال آخر منهم : الواحد نَعْمٌ ، وقال : يقال : أيام طَعْمٍ  
ونَعْمٍ : أى نعيم ، قال : فيجوز أن يكون معناها : فكفرت بنعيم الله لها . واستشهد على ذلك بقول الشاعر :  
وعندى قُرُوضُ الخَبِيرِ والشَّرِّ كُلُّهُ فَبُؤْسٌ لِّذِي بُؤْسٍ وَنَعْمٌ بِأَنعُمٍ ١

(١) فى مجاز القرآن لأبي عبيدة ( ١ : ٣٦٩ ) عند الآية : واحدها « نعم » بضم النون وسكون العين ، ومعناه : نعمة ، وهما  
واحد . قالوا : نادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم ببنى « إنها أيام طعم ونعم ، فلا تصوموا » . وفى ( اللسان : نعم ) : وجمع  
النعمة : نعم ، وأنعم . كشدة وأشد ، حكاها سيويه . وقال النابغة :

فَلَنْ أَذْكَرَ النُّعْمَانَ إِلَّا بَصَالِحٍ فَإِنَّ لَهُ عَيْنِدِي يَدِيًّا وَأَنْعُمًا

والنعم : خلاف البؤس ، ويقال : يوم نعم ، ويوم بؤس . والجمع : أنعم ، وأبؤس .

وكان بعض أهل الكوفة يقول : أنعم : جمع نعماء ، مثل بأساء وأبؤس ، وضراء وأضر : فأما الأشد فإنه زعم أنه جمع شد .  
 وقوله ( فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ) يقول تعالى ذكره : فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع ، وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم ، فجعل الله تعالى ذكره ذلك مخالطته أجسامهم ، بمنزلة اللباس ذا ، وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية ، بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أكلوا العياضير والخبث . قال أبو جعفر : والعلهز : الوبر يعجن بالدم والقراد يأكلونه ، وأما الخوف فإن ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت تطيف بهم . وقوله ( بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ) : يقول : بما كانوا يصنعون من الكفر بأنعم الله ، ويحقدون آياته ، ويكذبون رسوله ، وقال : بما كانوا يصنعون ، وقد جرى الكلام من ابتداء الآية إلى هذا الموضع على وجه الخبر عن القرية ، لأن الخبر وإن كان جرى في الكلام عن القرية ، استغناء بذكر أهلها ، لمعرفة السامعين بالمراد منها ، فإن المراد أهلها ، فلذلك قيل ( بِمَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ) فرد الخبر إلى أهل القرية ، وذلك نظير قوله ( فَجَاءَهَا بِأَسُنَا بَيَانًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ) ولم يقل قائلة ، وقد قال قبله ( فَجَاءَهَا بِأَسُنَا ) ، لأنه رجع بالخبر إلى الإخبار عن أهل القرية ، ونظائر ذلك في القرآن كثيرة .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٣)

يقول تعالى ذكره : ولقد جاء أهل هذه القرية التي وصف الله صفتها في هذه الآية التي قبل هذه الآية ( رَسُولٌ مِنْهُمْ ) يقول : رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم . يقول : من أنفسهم يعرفونه ، ويعرفون نسبه وصدق لهجته ، يدعوه إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم ( فَكَذَّبُوهُ ) ولم يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله ( فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ) وذلك لباس الجوع والخوف ، مكان الأمن والطمأنينة والرزق الواسع الذي كان قبل ذلك يرزقونه ، وقتل بالسيف ( وَهُمْ ظَالِمُونَ ) يقول : وهم مشركون ، وذلك أنه قُتِلَ عظماءهم يوم بدر بالسيف على الشرك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ ) إلى الله ، يعرفون نسبه وأمره ، ( فَكَذَّبُوهُ ) ، فأتواهم بالباطل ، فأخذهم الله بالجوع والخوف والقتل .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ، وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤)



يقول تعالى ذكره: فكلوا أيها الناس مما رزقكم الله من بهائم الأنعام التي أحلها لكم حلالا طيبا منذ كانت غير محرمة عليكم (وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ) يقول: واشكروا الله على نعمه التي أنعم بها عليكم في تحليله ما أحل لكم من ذلك، وعلى غير ذلك من نعمه (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) يقول: إن كنتم تعبدون الله، فتطيعونه فيما يأمركم وينهاكم. وكان بعضهم يقول: إنما عني بقوله (فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا) طعاما كان بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين من قومه في سبني الجذب والقحط رقة عليهم، فقال الله تعالى للمشركين: فكلوا مما رزقكم الله من هذا الذي بعث به إليكم حلالا طيبا، وذلك تأويل بعيد، مما يدل على ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى قد أتبع ذلك بقوله (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ) . . . الآية والتي بعدها، فبين بذلك أن قوله (فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا) إعلام من الله عباده، أن ما كان المشركون يحرّمونه من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذلك، مما قد بيّنا قبل فيما مضى، لا معنى له، إذ كان ذلك من خطوات الشيطان، فإن كل ذلك حلال، لم يحرّم الله منه شيئا.

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ، فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٥)

يقول تعالى ذكره مذكرا بالمشركين الذين كانوا يحرّمون ما ذكرنا من البحائر وغير ذلك ما حرّم الله عليكم أيها الناس إلا الميتة والدم ولحم الخنزير، وما ذبح للأنصاب، فسُمّي عليه غير الله، لأن ذلك من ذبائح من لا يحلّ أكل ذبيحته، فن اضطرّ إلى ذلك، أو إلى شيء منه، فجاءة حلّت، فأكله (غير باغٍ ولا عاد، فإن الله غفورٌ رحيمٌ) يقول: ذوسر عليه أن يؤاخذه بأكله ذلك في حال الضرورة، رحيم به أن يعاقبه عليه.

وقد بيّنا اختلاف المختلفين في قوله (غير باغٍ ولا عادٍ)، والصواب عندنا من القول في ذلك، بشواهدة فيما مضى، بما أغنى عن إعادته.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ) . . . الآية؛ قال: وإن الإسلام دين مطهره الله من كل سوء، وجعل لك فيه يا بن آدم سعة إذا اضطررت إلى شيء من ذلك. قوله (فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) غير باغٍ في أكله ولا عاد أن يتعدى حلالا إلى حرام، وهو يجد عنه مندوحة.

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ ألسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ، لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَّعٌ قَلِيلٌ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧)

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ( وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ ) فتكون تصف الكذب ، بمعنى : ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب ، فتكون « ما » بمعنى المصدر . وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ ( وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا ) بخفض الكذب ، بمعنى : ولا تقولوا للكذب الذي تصفه ألسنتكم ( هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ ) فيجعل الكذب ترجمة عن « ما » التي في لما ، فتخفضه بما تخفض به « ما » . وقد حكى عن بعضهم ( لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبُ ) برفع الكذب ، فيجعل الكذب من صفة الألسنة ، ويخرج على فِعْلٍ ، على أنه جمع كذُوب وكذب ، مثل شكُور وشكُر .

والصواب عندي من القراءة في ذلك : نصب الكذب ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، فتأويل الكلام ، إذ كان ذلك كذلك لما ذكرنا : ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب فيما رزق الله عباده من المطاعم : هذا حلال ، وهذا حرام ، كى تفتروا على الله بقبيلكم ذلك الكذب ، فإن الله لم يحرم من ذلك ما تحرمون ، ولا أحل كثيرا مما تحلّون ، ثم تقدم إليهم بالوعيد على كذبهم عليه ، فقال ( إِنَّ الَّذِينَ يَتَسَبَّوْنَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ) يقول : إن الذين يتخرصون على الله الكذب ويختلقونه ، لا يخلدون في الدنيا ، ولا يبقون فيها ، إنما يتمتعون فيها قليلا . وقال ( مَتَاعٌ قَلِيلٌ ) فرفع ، لأن المعنى الذي هم فيه من هذه الدنيا متاع قليل ، أو لهم متاع قليل في الدنيا . وقوله ( وَهَلْ لَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) يقول : ثم إلينا مرجعهم ومعادهم ، ولهم على كذبهم واقترابهم على الله بما كانوا يفترون ، عذاب عند مصيرهم إليه أليم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ ) في البحيرة والسائبة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : البحائر والسوائب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ (١١٨)

يقول تعالى ذكره : وحرّمنا من قبلك يا محمد على اليهود ما أنبأناك به من قبل في سورة الأنعام ، وذلك كل ذى ظفر ، ومن البقر والغنم ، حرّمنا عليهم شحومهما ، إلا ما حملت ظُهُورهما أو الحوايا ، أو ما اختلط



بعضهم (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ) بتحرينا ذلك عليهم (وَلَكِنَّ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) فجزيناهم ذلك ببغيم على ربهم ، وظلمهم أنفسهم بمعصية الله ، فأورثهم ذلك عقوبة الله .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ) قال : في سورة الأنعام .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، عن أيوب ، عن عكرمة ، في قوله ( وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ) قال : في سورة الأنعام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ) قال : ما قص الله تعالى في سورة الأنعام حيث يقول : ( وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ، ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ، إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا أَعْفُوٌّ رَحِيمٌ (١١٩)

يقول تعالى ذكره : إن ربك للذين عصوا الله ، فجهلوا بركوبهم ما ركبوا من معصية الله ، وسفهاوا بذلك ، ثم راجعوا طاعة الله والندم عليها ، والاستغفار والتوبة منها ، من بعد ما سلف منهم ما سلف من ركوب المعصية ، وأصلح فعلهم بما يحب الله ويرضاه ( إن ربك من بعد ذلك من بعد ما سلف من ركوب المعصية ، وأصلح فعلهم بما يحب الله ويرضاه ) يقول : إن ربك يا محمد من بعد توبتهم له ( لَعَفُوٌّ رَحِيمٌ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ، وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِنِعْمِهِ ، اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١)

يقول تعالى ذكره : إن إبراهيم خليل الله كان معلّم خبير ، ياتم به أهل الهدى قانتا ، يقول : مطيعا لله حنيفا : يقول : مستقيا على دين الإسلام ( وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) يقول : ولم يك يشرك بالله شيئا ، فيكون من أولياء أهل الشرك به ، وهذا إعلام من الله تعالى أهل الشرك به من قريش ، أن إبراهيم منهم برىء ، وأنهم منه برآء ( شَاكِرًا لِنِعْمِهِ ) يقول : كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه ، ولا يجعل معه في شكره في نعمه عليه ، شريكا من الآلهة والأنداد وغير ذلك ، كما يفعل مشركو قريش . ( اجْتَبَاهُ ) يقول : اصطفاه

واختاره لخائته، وهداه (إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول: وأرشده إلى الطريق المستقيم، وذلك دين الإسلام، لا اليهودية ولا النصرانية.

وبنحو الذي قلنا في معنى (أُمَّةً قَانِتًا) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى، قال: ثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن الحكم، عن يحيى بن الجزار، عن أبي العبيدين، أنه جاء إلى عبد الله، فقال: من نسأل إذا لم نسألك؟ فكأن ابن مسعود رقب له، فقال: أخبرني عن الأُمَّة، قال: الذي يعلم الناس الخير.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن أبي العبيدين أنه سأله عبد الله بن مسعود، عن الأُمَّة القانت: قال: الأُمَّة: معلم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن منصور، يعني ابن عبد الرحمن، عن الشعبي، قال: ثنا فروة بن نوفل الأشجعي، قال: قال ابن مسعود: إن معاذًا كان أُمَّةً قانتًا لله حنيفًا، فقلت في نفسي: غلط أبو عبد الرحمن، إنما قال الله تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ) فقال: تدري ما الأُمَّة، وما القانت؟ قلت: الله أعلم، قال: الأُمَّة: الذي يعلم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله، وكذلك كان معاذ بن جبل يعلم الخير، وكان مطيعًا لله ورسوله.

حدثنا محمد بن المنثري، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت فراسًا يحدث، عن الشعبي، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: إن معاذًا كان أُمَّةً قانتًا لله، قال: فقال رجل من أشجع يقال له فَرَوَةُ بن نوفل: نسي إنما ذاك إبراهيم، قال: فقال عبد الله: من نسي؟ إنما كنا نشبهه إبراهيم، قال: وسئل عبد الله عن الأُمَّة، فقال: معلم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن فراس، عن الشعبي، عن مسروق، قال: قرأت عند عبد الله هذه الآية (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ) فقال: كان معاذ أُمَّةً قانتًا، قال: هل تدري ما الأُمَّة؟ الأُمَّة الذي يعلم الناس الخير، والقانت: الذي يطيع الله ورسوله.

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا ابن فضيل، قال: ثنا بيان بن بشر البجلي، عن الشعبي، قال: قال عبد الله: إن معاذًا كان أُمَّةً قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين، فقال له رجل: نسيت، قال: لا ولكنه شبيه إبراهيم، والأُمَّة: معلم الخير، والقانت: المطيع.

حدثني علي بن سعيد الكندي، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، عن ابن عون، عن الشعبي، في قوله (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا) قال: مطيعًا.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر، قال: قال عبد الله: إن معاذًا كان أُمَّةً قانتًا معلم الخير. وذكر في الأُمَّة أشياء مختلف فيها، قال (وَأَدَّكَرَّ بَعْدَ أُمَّةٍ) يعني: بعد حين (وَأُمَّةً وَسَطًا)



حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن سعيد بن سابق ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، قال : لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ، وتخرج بركتها ، إلا زمن إبراهيم ، فإنه كان وحده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : أخبرنا هشيم ، قال : أخبرنا سيار ، عن الشعبي . قال : وأخبرنا زكريا ومجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، نحو حديث يعقوب ، عن ابن علقمة وزاد فيه : الأمة : الذي يعلم الخير ، ويؤتم به ، ويقتدى به ؛ والقانت : المطيع لله وللرسول ، قال له أبو فريرة الكندي : إنك وآهنت .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( إن إبراهيم كان أمة ) على حدة ( قانتا لله ) قال : مطيعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : مطيعا لله في الدنيا .

قال ابن جريج : وأخبرني عويمر ، عن سعيد بن جبیر ، أنه قال : قانتا : مطيعا .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إن إبراهيم كان أمة قانتا لله ) قال : كان إمام هدى مطيعا ، تسمع سنته وميلته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن ابن مسعود قال : إن معاذ بن جبل كان أمة قانتا ، قال غير قتادة : قال ابن مسعود : هل تدرون ما الأمة : الذي يعلم الخير .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن مسروق ، قال : قرأت عند عبد الله بن مسعود ( إن إبراهيم كان أمة قانتا ) فقال : إن معاذ كان أمة قانتا ، قال : فأعادوا ، فأعاد عليهم ، ثم قال : أتدرون ما الأمة ؟ الذي يعلم الناس الخير ، والقانت الذي يطيع الله .

وقد بينا معنى الأمة ووجوهها ، ومعنى القانت باختلاف المختلفين فيه ، في غير هذا الموضع من كتابنا بشواهد ، فأغنى بذلك عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَإِنَّا فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢)

يقول تعالى ذكره : وآتيناه إبراهيم على قنوته لله ، وشكره له على نعمه ، وإخلاصه العبادة ، له في هذه الدنيا ذكرا حسنا ، وثناء جميلا باقيا على الأيام ( وَإِنَّا فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ) يقول : وإنه في الدار الآخرة يوم القيامة لمن صالح أمره وشأنه عند الله ، وحسنت فيها منزلته وكرامته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ) قال : لسان صدق . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ) ، فليس من أهل دين إلا يتولاه ويرضاه .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣) إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ثم أوحينا إليك يا محمد ، وقلنا لك : اتبع ملة إبراهيم الحنيفية المسلمة . حنيفا : يقول : مسلما على الدين الذي كان عليه إبراهيم ، بريئا من الأوثان والأنداد التي يعبدها قومك ، كما كان إبراهيم تبرا منها .

وقوله ( إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ) يقول تعالى ذكره : ما فرض الله أيها الناس تعظيم يوم السبت إلا على الذين اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : هو أعظم الأيام ، لأن الله تعالى فرغ من خلق الأشياء يوم الجمعة ، ثم سببت يوم السبت .

وقال آخرون : بل أعظم الأيام يوم الأحد . لأنه اليوم الذي ابتداء فيه خلق الأشياء ، فاختروه وتركوا تعظيم يوم الجمعة ، الذي فرض الله عليهم تعظيمه ، واستحلوه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ) : اتبعوه وتركوا الجمعة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ ) قال : أرادوا الجمعة فأخطئوا ، فأخذوا السبت مكانه .



حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ) استحله بعضهم ، وحرّمه بعضهم .  
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك وسعيد بن جبير ( إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ) قال : باستحلالهم يوم السبت .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ) قال : كانوا يطلبون يوم الجمعة فأخطئوه ، وأخذوا يوم السبت ، فجعله عليهم .  
 وقوله ( وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ) يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد ليحكم بين هؤلاء المختلفين بينهم في استحلال السبت وتحريمه . عند مصيرهم إليه يوم القيامة ، فيقضى بينهم في ذلك وفي غيره ، مما كانوا فيه يختلفون في الدنيا بالحق ، ويفصل بالعدل ، بمجازاة المصيب فيه جزاءه ، والمخطئ فيه منهم بما هو أهله .

## القول في تأويل قوله تعالى

أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ( ادْعُ ) يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته ( إلى سَبِيلِ رَبِّكَ ) يقول : إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه ، وهو الإسلام . ( بِالْحُكْمَةِ ) يقول بوحى الله الذي يوحى إليك ، وكتابه الذي ينزل عليك ( وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ ) يقول : وبالعبارة الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه ، وذكرهم بها في تنزيله ، كالتي عددت عليهم في هذه السورة من حججه ، وذكرهم فيها ما ذكرهم من آياته ( وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) يقول : وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها ، أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى ، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) أعرض عن أذاهم إليك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله ( إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله

عليه وسلم : إن ربك يا محمد هو أعلم بمن جاز عن قصد السبيل ، من المختلفين في السبت وغيره من خلقه ، وحادّ الله ، وهو أعلم بمن كان منهم سالكا قصد السبيل ، ومَحَجَّة الحقّ ، وهو مجازٍ جمعهم جزاءهم عند ورودهم عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَمَا قَبُولُوا بِمِثْلِ مَا عُوِقِبْتُمْ بِهِ ، وَإِنَّ صَبْرَتُمْ لَهِيَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين : وإن عاقبتم أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم ، فعاقبوه بمثل الذي نالكم به ظالمكم من العقوبة ، ولئن صبرتم عن عقوبته ، واحتسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم ، ووكلمتم أمره إليه ، حتى يكون هو المتولى عقوبته (طَوَّخْتُمْ لِلصَّابِرِينَ) يقول : لا صبر عن عقوبته بذلك ، خير لأهل الصبر احتسابا ، وابتغاء ثواب الله ، لأن الله يعوّضه من الذي أراد أن يناله ، بانتقامه من ظالمه على ظلمه إياه ، من لذّة الانتصار ، وهو من قوله (طَوَّخْتُمْ) كناية عن الصبر ، وحسن ذلك ، وإن لم يكن ذكر قبل ذلك الصبر ، لدلالة قوله (وَلَيَسِّنَنَّ صَبْرَتُمْ) عليه .

وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية . وقيل : هي منسوخة أو محكمة ، فقال بعضهم : نزلت من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أقسموا حين فعل المشركون يوم أحد ما فعلوا بقتلى المسلمين ، من التمثيل بهم ، أن يجاوزوا فعلهم في المثلثة بهم ، إن رزقوا الظفر عليهم يوما ، فهاهم الله عن ذلك بهذه الآية ، وأمرهم أن يقتصروا في التمثيل بهم ، إن هم ظفروا على مثل الذي كان منهم ، ثم أمرهم بعد ذلك بترك التمثيل ، وإيثار الصبر عنه بقوله (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) ففسخ بذلك عندهم ما كان أذن لهم فيه من المثلثة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت داود ، عن عامر : أن المسلمين قالوا : لما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد : لئن ظهروا عليهم لنفعلنّ ولنفعلنّ ، فأنزل الله تعالى (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَمَا قَبُولُوا بِمِثْلِ مَا عُوِقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَيَسِّنَنَّ صَبْرَتُمْ طَوَّخْتُمْ لِلصَّابِرِينَ) قالوا : بل نصبر .

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : لما رأى المسلمون ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد ، من تبقيير البطون ، وقطع المذاكير ، والمثلثة السيئة ، قالوا : لئن أظفروا الله بهم ، لنفعلنّ ولنفعلنّ ، فأنزل الله فيهم (وَلَيَسِّنَنَّ صَبْرَتُمْ طَوَّخْتُمْ لِلصَّابِرِينَ) . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال : نزلت سورة النحل كلها بمكة ، وهي مكية ، إلا ثلاث آيات في آخرها ، نزلت في المدينة بعد أحد ، حيث



قُتِلَ حِمْزَةٌ وَمِثْلُهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَسِنٌ ظَهَرَ نَا عَلَيْهْم ، لَسُنْمَثَلُنٌ بِثَلَاثَيْنِ رَجُلًا مِنْهُمْ » . فَلَمَّا سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ ، قَالُوا : وَاللَّهِ لَئِنْ ظَهَرَ نَا عَلَيْهِمْ لَنُخْلِنَنَّ بِهِمْ مِثْلَةَ لَمْ يَمِثْلُهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ بِأَحَدٍ قَطُّ ، فَانزَلَ اللَّهُ ( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلِئِنَّ صَابِرًا تَمَّ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ) . . . إِلَى آخِرِ السُّورَةِ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ) قال المسلمون يوم أحد ا فقال ( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ) . . . إِلَى قَوْلِهِ ( هُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ) ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ( وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما أصيب في أهل أحد المثل ، فقال المسلمون : لئن أصبناهم لننلن بهم ، فقال الله ( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلِئِنَّ صَابِرًا تَمَّ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ) ثم عزم وأخبر فلا يمثل ، فهى عن المثل ، قال مثل الكفار يقتل أحد ، إلا حظلة بن الراهب ، كان الراهب أبو عامر مع أبي سفيان ، فتركوا حظلة لذلك وقال آخرون : نسخ ذلك بقوله في براءة ( اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ) قالوا : وإنما قال ( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ) خبرا من الله للمؤمنين ، ألا يبدوهم بقتال حتى يبدوهم به ، فقال ( وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْقَاتِلُونَكُمْ ، وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ) .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ) قال : هذا خبر من الله نبيه ، أن يُقاتل من قاتله . قال : ثم نزلت براءة ، وانسلاخ الأشهر الحرم ، قال : فهذا من المنسوخ . وقال آخرون : بل عني الله تعالى بقوله ( وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ) نبي الله خاصة ، دون سائر أصحابه ، فكان الأمر بالصبر له عزيمة من الله دونهم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ) قال : أمرهم الله أن يعفوا عن المشركين ، فأسلم رجال لهم منعة ، فقالوا : يا رسول الله ، لو أذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب ، فنزل القرآن ( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلِئِنَّ صَابِرًا تَمَّ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ) واصبر أنت يا محمد ، ولا تكن في ضيق ممن ينتصر ، وما صبرك إلا بالله ، ثم نسخ هذا ، وأمره بجهادهم ، فهذا كله منسوخ .

(١) أى مقالهم السابق : لئن ظهرنا . . الخ .

وقال آخرون: لم يُعَنَّ بهاتين الآيتين شيء مما ذكره هؤلاء، وإنما عُنِيَ بهما: أن من ظلمهم بظلامة، فلا يحل له أن ينال ممن ظلمه أكثر مما نال الظالم منه، وقالوا: الآية محكمة غير منسوخة.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن خالد، عن ابن سيرين (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) يقول: إن أخذ منك رجل شيئا، فخذ منه مثله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن منصور، عن إبراهيم، قال: إن أخذ منك شيئا فخذ منه مثله؛ قال الحسن: قال عبد الرزاق: قال سفيان: ويقولون: إن أخذ منك دينارا، فلا تأخذ منه إلا دينارا، وإن أخذ منك شيئا، فلا تأخذ منه إلا مثل ذلك الشيء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) لاتعدوا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله تعالى ذكره، أمر من عوقب من المؤمنين بعقوبة، أن يعاقب من عاقبه بمثل الذي عوقب به، إن اختار عقوبته، وأعلمه أن الصبر على ترك عقوبته، على ما كان منه إليه خيرا، وعزم على نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصبر، وذلك أن ذلك هو ظاهر التنزيل، والتأويلات التي ذكرناها عن ذكرها عن ذكرها عنه، محتملها الآية كلها. فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة على أي ذلك عُنِيَ بها من خبر ولا عقل، كان الواجب علينا الحكم بها إلى ناطق لادلالة عليه؛ وأن يقال: هي آية محكمة، أمر الله تعالى ذكره عباده أن لا يتجاوزوا فيها وجب لهم قبل غيرهم من حق، من مال أو نفس، الحق الذي جعله الله لهم إلى غيره، وأنها غير منسوخة، إذ كان لادلالة على نسخها، وأن للقول بأنها محكمة، وجها صحيحا مفهوما.

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واصبر يا محمد على ما أصابك من أذى في الله، (وما صبرك إلا بالله) يقول: وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله، وتوفيقه إليك لذلك (ولا تحزن عليهم) يقول: ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونك، وينكرون ما جنتهم به في آن ولوا عنك، وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة (ولا تك في ضيق مما يَمْكُرُونَ) يقول: ولا يضق صدرك

(١) لعله كان الواجب علينا تعميم الحكم بها، لتأويلها إلى خاص لادلالة عليه... الخ.



بما يقولون من الجهل ، ونسبهم ما جنبهم به إلى أنه سحر أو شعر أو كهانة . مما يمحرون : مما يختالون بالخدع في الصدق عن سبيل الله ، من أراد الإيمان بك ، والتصديق بما أنزل الله إليك .  
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء العراق ( وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ ) بفتح الضاد في الضيق ، على المعنى الذي وصفت من تأويله . وقراه بعض قراء أهل المدينة ( وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ ) بكسر الضاد .  
﴿ وَأُولَى الْقُرْآنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا : قِرَاءَةٌ مِنْ قَرَأَهُ فِي ضَيْقٍ ، بِفَتْحِ الضَّادِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا نَهَى نَبِيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَضَيِّقَ صَدْرَهُ مِمَّا يَلْقَى مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ ، عَلَى تَبْلِيغِهِ لِبَاهِمٍ وَحَى اللَّهُ وَتَنْزِيلِهِ ، فَقَالَ لَهُ ( فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ ) وَقَالَ ( فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَصَائِقُ بِهِ صَدْرُكَ ، أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ ، أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَائِكَةٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ) ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي نَهَاهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ ، فَفَتْحَ الضَّادِ هُوَ الْكَلَامُ الْمَعْرُوفُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى ، تَقُولُ الْعَرَبُ : فِي صَدْرِي مِنْ هَذَا الْأَمْرِ ضَيْقٌ ، وَإِنَّمَا تَكْسَرُ الضَّادَ فِي الشَّيْءِ الْمَعَاشِ ، وَضَيْقُ الْمَسْكَنِ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ ، فَإِنْ وَقَعَ الضَّيْقُ بِفَتْحِ الضَّادِ فِي مَوْضِعِ الضَّيْقِ بِالْكَسْرِ ، كَانَ عَلَى الَّذِي يَتَسَعُ أَحْيَانًا ، وَيَضَيِّقُ مِنْ قَلَّةِ أَحَدٍ وَجْهَيْنِ ، إِمَّا عَلَى جَمْعِ الضَّيْقَةِ ، كَمَا قَالَ أَعْمَشُ بْنُ ثَعْلَبَةَ :

فَلَيْتَ رَبُّكَ مِنْ رَحْمَتِهِ  
كَشَفَ الضَّيْقَةَ عَنَّا وَقَسَحَ

وَالْآخِرُ عَلَى تَخْفِيفِ الشَّيْءِ الضَّيْقِ ، كَمَا يَخْفَفُ الْهَيْبَةُ اللَّيْنُ ، فَيَقَالُ : هُوَ هَيْبٌ لَيِّنٌ .

## القول في تأويل قول تعالى

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨) .

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ ( إِنَّ اللَّهَ ) بِإِحْمَدِ ( مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ) اللَّهُ فِي مَحَارِمِهِ فَاجْتَنَبُوهَا ، وَخَافُوا عِقَابَهُ عَلَيْهَا ، فَأَحْجَمُوا عَنِ التَّقَدُّمِ عَلَيْهَا ( وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ) يَقُولُ : وَهُوَ مَعَ الَّذِينَ يَحْسِنُونَ رِعَايَةَ فَرَائِضِهِ ، وَالْقِيَامَ بِحَقُوقِهِ ، وَلِزُومِ طَاعَتِهِ فِي أَمْرِهِمْ بِهِ ، وَنَهَاهُمْ عَنْهُ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن ( إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ) قال : اتَّقَوْا اللَّهَ فِي مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ، وَأَحْسِنُوا فِي مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن رجل ، عن الحسن ، مثله .

(١) البيت في ديوان أعمش بن ثعلبة ميمون بن قيس (طبع القاهرة من ٢٣٧) من قصيدة يمدح بها إياس بن قبيصة الطائي ، وهو الرابع في القصيدة . وفي (اللسان : ضيق) : الضيق : الشك يكون في القلب من قوله تعالى : « وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ » : وقال الفراء : الضيق ما ضاق عنه صدرك . والضيق (بالكسر) ما يكون في الذي يتسع ويضيق ، مثل الدار والثوب . وإذا رأيت الضيق (بالفتح) قد وقع في موضع الضيق (بالكسر) كان على أحد أمرين : أحدهما أن يكون جمعا للضيقة كما قال الأعمش . فلئن ربك . . الخ البيت . والوجه الآخر : أن يراد به شيء ضيق ، فيكون ضيق مخففا ، وأصله التشديد ، ومثله : هين ولين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن هريم بن حيان العبدي لما حضره الموت ، قيل له : أوص ، قال : ما أدري ما أوصي ، ولكن بيعوا درعي ، فاقضوا عني ديني ، فإن لم تف ، فبيعوا فرسي ، فإن لم يف فبيعوا غلامي ، وأوصيكم بخواتيم سورة النحل : ( ادعُ إلى سبيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ، وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ) ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال بئله نصير .

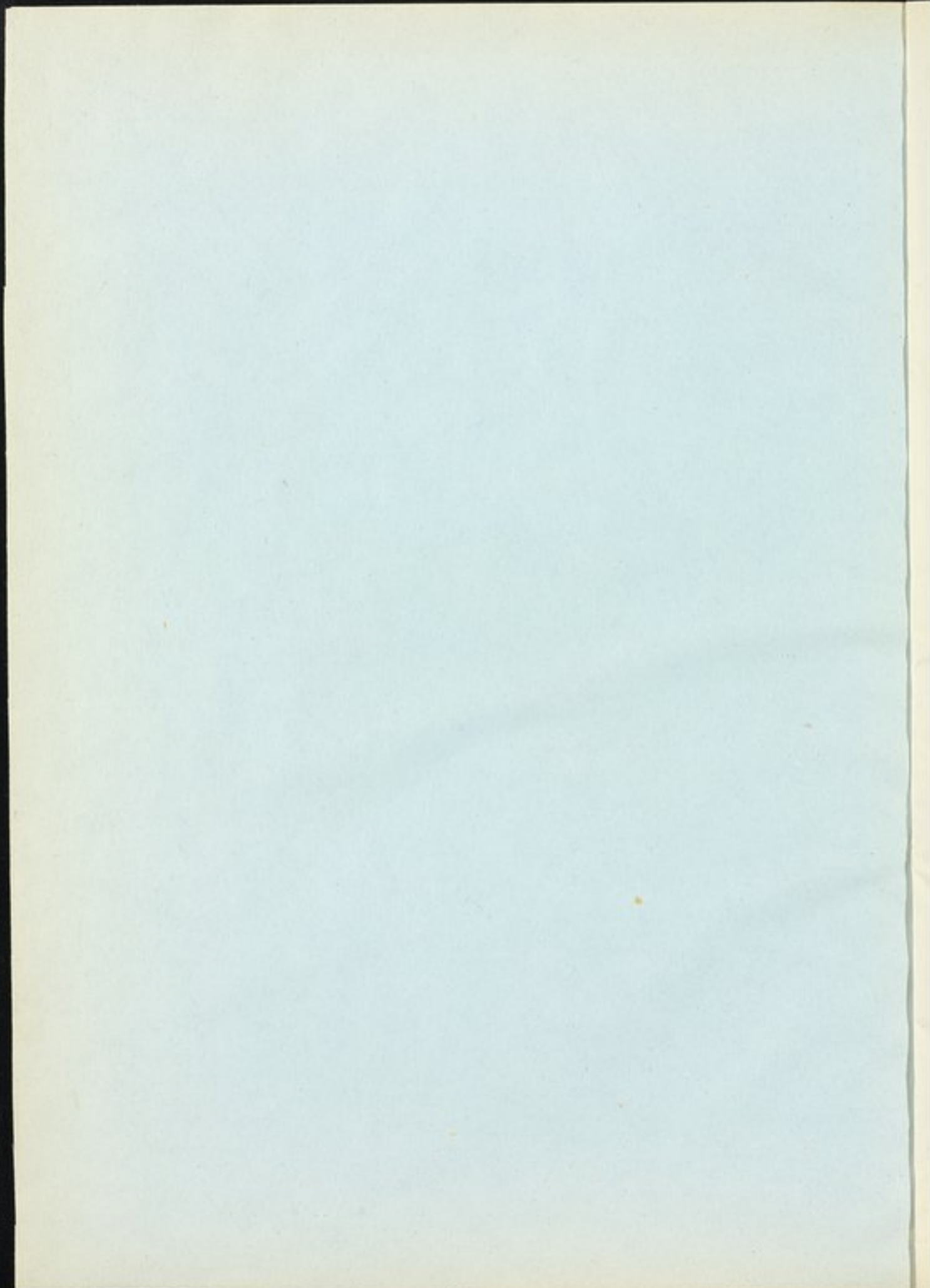
آخر تفسير سورة النحل



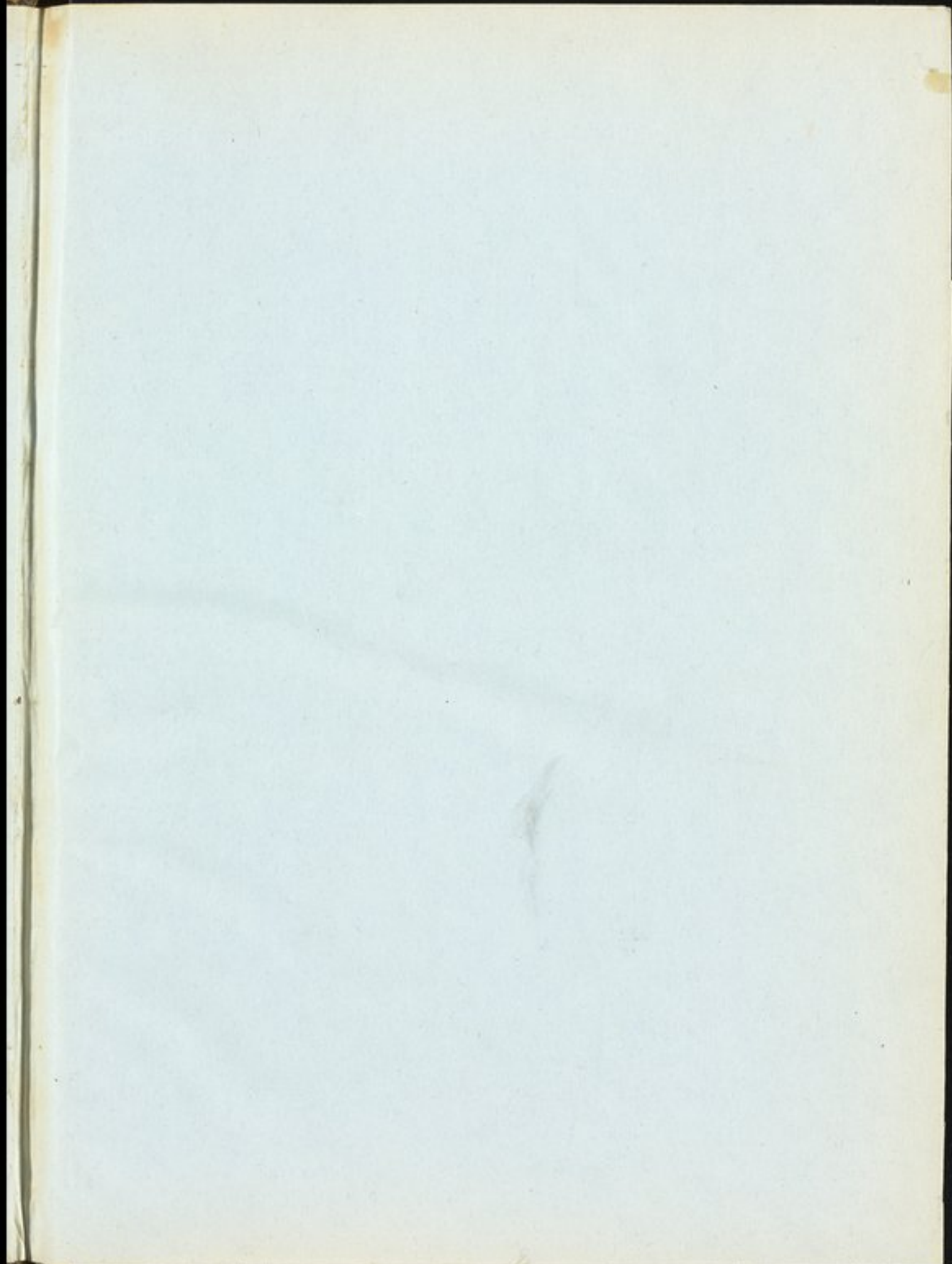
تمّ الجزء الرابع عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

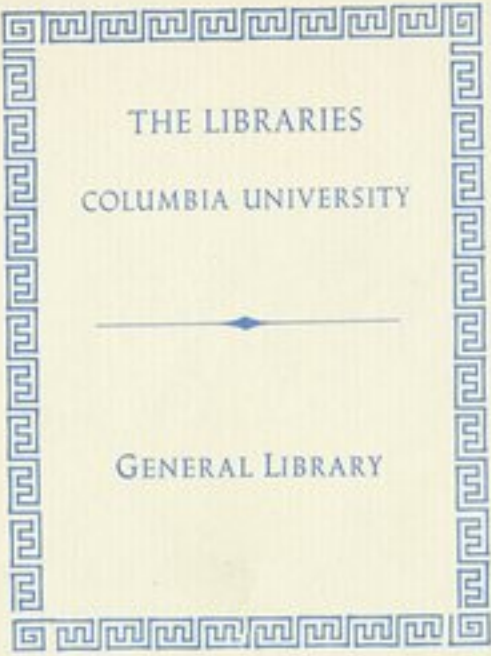
ويليه الجزء الخامس عشر

وأوله : القول في تأويل قوله تعالى ( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ )









THE LIBRARIES  
COLUMBIA UNIVERSITY



GENERAL LIBRARY



